تاريخ الحرية

في العالم

للمتبصرين في هذه الحرب آراء متباينة في منشئها : فقد عدها فريق مظهراً من مظاهر الطحان المستديم الذي تشتبك فيه الكائنات الحية جمعاء . وقال البعض ان العوامل التجارية والاقتصادية هي التي حضت الشعوب على خوض غمارها . وقال آخرون ان المطامع السياسية كانت الباعث الاول على اشتعال نيرانها . وقال غيرهم غير ذلك مما ليس هنا محل الافاضة فيه

على انه يتراءى لنا ان هذه الحرب ـ مهما يكن منشأها ـ قد أصبحت الآن نزاعاً بين الحرية والاستبداد . فكأنها الحلقة الاخيرة من سلسلة المجهودات التي بذلها البشر لتحرير نفوسهم من قوات الظلم والاستعباد

فاذا نظرنا الى الحرب الحاضرة بهذا الاعتبار كان جديراً بنا ان نتبين مدارج الحرية البشرية في القرون السالفة وما بذله الناس في سبيلها من الارواح والاموال

ولكن القيام بهذه المهمة ليس امراً سهلاً . فان استخراج تاريخ الحرية البشرية من مكامنه في بطون الكتب القديمة والحديثة يقتضي مقدرة عظيمة ودرساً طويلاً . ومع انه قد صدر كتب جليلة في هذا الباب فلنها لم توف الموضوع حقه (نذكر منها كتاب الفيلسوف ميل عن الحرية ، وتاريخ الحرية تأليف لورد اكتون الانكليزي)

وليس غرضنا من هذه المقالة الا الالمام بالحوادث الخطيرة التي رفعت البشر الى مرتبتهم الحاضرة من الاستقلال الشخصي والقومي

ما هي الحرية ؟

لا تكاد كلمة حرية تحتاج الى تعريف . فلنها تعبر عن معنى بسيط نحسه بالبداهة . على انه يحسن بنا مع ذلك ايضاح هذا المعنى بقدر المستطاع . ولا يخفى ان الحرية

أنواع كالحرية الدينية والحرية السياسية وحرية الصحافة وحرية الخطابة الخ . . وهذه جميعاً تسير في الغالب معاً . على اننا في درسنا هـذا نريد الحرية السياسية على الخصوص . ولعل أفضل ما نعتمد عليه في تحديدها « اعلان استقلال الولايات المتحدة » المؤرخ ٤ يوليو سنة ١٧٧٦ و « اعلان حقوق الانسان » الصادر في اغسطس سنة ١٧٨٩ وهو احدى ثمار الثورة الفرنسية

أما اعلان استقلال الولايات المتحدة فقد ورد فيه : « اننا نعد هذه الحقائق بليهية وهي ان جميع البشر خلقوا متساوين ، وان الخالق منحهم حقوقاً لا تقبل الانتزاع ، وان من هذه الحقوق الحياة والحرية والسعي وراء السعادة ، وانه لضمانة هذه الحقوق قامت الحكومات بين الناس مستمدة سلطتها العادلة من رضى المحكومين ، وانه حين تعمل الحكومة ـ مهما يكن شكلها ـ على هدم هـذه الاغراض يصبح من حق الشعب ان يغيرها أو يلغيها ليقيم مكانها حكومة جديدة يضع أساسها وينظم سلطتها على الوجوه التي يراها ضامنة لراحته وسعادته »

وأما اعلان حقوق الانسان فان البند الاول منه يقرر « ان الناس يلدون ويظلون أحراراً ومتساوين في الحقوق . . . » وفي البند الثاني بيان لحقوق الانسان الطبيعية التي لا يفقدها بمرور الزمن وهي « . . . الحرية والامتلاك والامن ومقاومة الظلم » أما البند الثالث فانه يقرر أساس الحكومة الديمقراطية وهو « ان مبدأ كل سلطة يستقر بطبيعته في الشعب » وفي البند الرابع تحديد للحرية السياسية كما يلي : « الحرية هي ان يستطيع الانسان عمل كل ما لا يضر سواه . وعلى ذلك فلا حدَّ لتمتع الفرد بحقوقه الطبيعية الا تمتع غيره بهذه الحقوق نفسها . ولا يقرر تلك الحدود الا القانون »

من ذلك نرى ان الحرية خاضعة للقانون وليست كما يتصورها بعض الجهال ابلحة كل عمل . فانها تفرض أولاً خضوع الانسان برضاه لحكم القانون الذي يعين الحدود الفاصلة بين حرية الفرد ومصلحة الجماعة

الحرية عند الاقدمين

تولدت فكرة الحرية السياسية كما نعهدها اليوم في البلاد اليونانية — منبت كل فكرة عظيمة . فان صولون الشارع الاثيني الشهير كان أول من منح الشعب حق التصويت سنة ٥٩٤ قبل المسيح . فكأن تاريخ الحرية في العالم يبدأ من تلك السنة . وقد جاء بعد صولون شارعون آخرون توسعوا في تطبيق هذا المبدإ

على ان الحرية اليونانية لم تلبث ان اضمحلت لتطرف الشعب اليوناني في فهم معناها وعدم تمييزه بين الحرية والاباحة حتى قام ظلم الجماعات مقام ظلم الافراد وهو بلا ريب أهول النوعين وأفظعهما . ولكن بالرغم من ذلك يجب ألا يبرح من ذهننا ان نور الحرية سطع لأول مرة في البلاد اليونانية

اما رومة فقد قامت بالتجربة التي قامت بها أثينا بعدها بقرن تقريباً . فان العامة لم يمنحوا فيها حق التصويت الا سنة ٥٠٩ ق . م . وقد ساد في رومة الحكم الجمهوري من تلك السنة الى سنة ٣١ ق . م .

على ان القياصرة العظام ما برحوا مع استبدادهم في الحكم يصدرون القوانين باسم الشعب . فان خداع الحاكم للمحكوم بلغ أشد صوره عند الرومانيين . وليس أدل على ذلك من هذا القول الذي اشتهر بينهم وهو vox populi vox dei أي ان صوت الشعب هو صوت الله . وقد اقام الرومانيون معبداً لالهة الحرية (Libertas) في الحي الذي تقطنه العامة

المقابلة بين حرية الاقدمين والحرية الحديثة

على ان أقصى ما ناله اليوناني أو الروماني من الحرية ليس يرضي الاميركي أو الانكليزي من أهل هذا العصر . فقد كان له حق التصويت ولكن هذا الحق لم يجده في الغالب غير حق الاختيار بين حكام أو هيئات تتساوى في الظلم وان اختلفت مظاهره . وكان الفرد في ذلك الزمن ضحية للمجموع فلم تراعَ حقوقه الا في المقام الثاني كأن الفرد خادم الحكومة لا الحكومة خادمة الفرد كما هو الحال اليوم في معظم البلدان الديمقراطية

مصدران للحرية في العالم الحديث

ان ما نقص حرية الاقدمين جاء العالم من مصدرين مختلفين قد يستهجن القارئ ثانيهما اليوم وهما :

(١) الديانة المسيحية.

(٢) القبائل الجرمانية التي غزت اوربا على أثر سقوط الامبراطورية الرومانية

اما المسيحية فتأثيرها في الاخلاق معلوم فقد قامت في عالم متشرب بروح الظلم والاستعباد ناشرة مبادئها السامية القائلة بان الناس اخوة متساوون عند الله فنالت انتشاراً عظيماً في مدة قصيرة لانها جاءت في عصر يفتقر اهله اليها اشد الافتقار

وأما القبائل الجرمانية التي زحفت الى اوربا من الشمال فقد كان للحرية الشخصية عند اهلها مقام رفيع جداً . فان الجرماني لم يكن يعترف بسلطة عليا غير سلطته أو سلطة القانون الذي يسنه أو يشترك في سنه . وقد كان ينتخب ملكه في ايام الحرب

فمن التعاليم المسيحية ومن التقاليد الجرمانية تكونت جرثومة الحرية الحديثة التي لم تلبث ان أثمرت في انكلترا واميركا وفرنسا . وقد كانت اول ثمارها « المغنا كارتا » أو (المنشور الاعظم) الانكليزي و « اعلان الاستقلال » الاميركي و « اعلان حقوق الانسان » الفرنسي

فتلك الوثائق الثلاث هي الاعمدة التي قامت عليها الحرية في العالم الحديث

فضل انكلترا

لا ريب ان انكلترا اعرق الدول الحديثة في النظامات الدستورية التي تضمن للفرد حريته ، رغم بعض الاغلاط التي ارتكبتها في سياستها ورغم المسلك الاستعماري القصير النظر الذي سلكته في اول امرها اسوة بسائر الدول الاوربية في ذلك الحين

وفي مقدمة الاغلاط التي ارتكبتها انكلترا معاملتها السيئة للاميركيين التي انتهت باستقلالهم . على انه يجب ألاَّ يبرح من الذهن ان مصدر الظلم كان ملك انكلترا لا الشعب الانكليزي . بل ان روح الحرية التي امتاز بها الأميركيون ليست الأ من ثمار المبادىء الانكلوسكسونية التي حملها المهاجرون الاولون الى العالم الجديد

وقد نمت الحرية في انكلترا نمواً طبيعياً بطيئاً ولم تنفجر دفعة واحدة كما تفجرت في الثورة الفرنسية . فقد تدرجت من حادثة الى حادثة حتى عمت الحياة السياسية كلها. ومعظم تلك الحوادث كانت ضئيلة الشأن في ذاتها كسجن أحد الرعية من غير تحقيق واف أو فرض ضريبة غير عادلة أو منع بعض الخطباء من التكلم أو حجز بعض المطبوعات أو نحو ذلك

وهذه الميزة تتضح جلياً بالمقارنة بين الوثيقة المعروفة « بالمغنا كارتا » أي المنشور الاعظم الصادر سنة ١٢١٥ ووثيقتي اعلان الاستقلال الاميركي واعلان حقوق الانسان . فانك لا تجد في المغنا كرتا ولا في الوثائق الانكليزية التالية لها — بخلاف هاتين الوثيقتين — اشارة الى مبادىء الحرية الطبيعية أو الى حقوق البشر الاولية أو نحو ذلك . فليس فيها الا تعهدات من الملك بامور معلومة محدودة . كذلك من تتبع سلطة المجلس النيابي في انكلترا يجد انها زادت شيئاً فشيئاً حتى صارت مع مرور الزمن المرجع الأعلى لكل سلطة في البلاد الانكليزية

انتشار الحرية

اما فلاسفة الحرية الذين أفاضوا في مبادئها وشروطها فقد عاش معظمهم في القرن الثامن عشر — وفي مقدمتهم مونتسكيو وفولتير و روسو وديدرو . ولم تلبث تعاليم هؤلاء الفلاسفة الا قليلاً حتى انتشرت في العالم أجمع . وقد كان لها نصيب في حمل الاميركيين على اعلان استقلالهم ولكن ثمرتها الكبرى كانت الثورة الفرنسية الملخصة مبادئها في هذه الكلمات الثلاث : حرية مساواة اخاء

ومن ذلك الحين تتالت انتصارات الحرية في العالم . وتفصيلها يخرج بنا عن الغرض من هذه المقالة

اجمل النساء

اللواتي خلد جمالهن المصورون

ما هو الجمال ؟ وهل في الامكان تحليل هذه الصفة التي تسر عين الناظر كما تسر الموسيقى أذن السامع ؟ قد حاول غير واحد تحديد الجمال وبيان شروطه ولوازمه ولكن محاولتهم لم تسفر عن نتيجة يصح الاعتماد عليها – كأنَّ الجمال يأبى الخضوع لقاعدة ويرفض التقيد بقانون . فقد تعيّن مثلاً بعض الشروط التي بها تعد المرأة جميلة حتى اذا عمدت الى تطبيق ذلك على من تشاهدهن من النساء اعترضت لك صعوبات كثيرة : فقد تتوفر تلك الشروط لدى امرأة لا تسميها جميلة كما انك قد تعجب بجمال اخرى لم تحصل عليها

وما ذلك الا لان الجمال يقوم أولاً بعامل غير محسوس يفوق الملامح شأناً ويتقدم عليها – نعني « الشخصية » . فانها في الحقيقة أساس الجمال لانها تنفخ الحياة في ملامح المرأة وتجعل لها تأثيراً خاصاً في النفوس تمتاز به عن غيرها

وقد خلد مشاهير المصورين جمال بعض النساء ، وكانهم بذلك نقلوا جمالهن الى الاجيال التالية ولم يقصروا تأثيرهن على العصر الذي عشن فيه . وقد كان لمعظم أولئك النساء شأن في أيامهن ومنهن من لعبن أدواراً تاريخية عظيمة . وفي مقدمة الجميلات اللواتي لا تزال صورهن محفوظة في المتاحف حتى اليوم النساء الاربع المذكورات في هذه المقالة . فانهن لا يزلن في الحقيقة حيات الى هذا اليوم في قلوب ألوف المشاهدين لصورهن المعجبين بجمالهن الرائع

ومهارة المصور تتوقف على تأدية لائحة الشخص وروحه وشكله الاجمالي اكثر مما تتوقف على رسم الجزئيات واجادة تمثيلها . ومع ان الكتاب كتبوا كثيراً عن جمال النساء المذكورات هنا فان ذلك كله لم يجد نفعاً لولا الصور التي خلفها المصورون وكأنها تحييهن الى مدى الدهور

وبقطع النظر عن قيمة تلك الصور من الوجهة الفنية فان لها قيمة تاريخية عظيمة لان صاحباتها كنَّ من اللواتي برزن في عصورهن وسمون بجمالهن

دوقة ديفونشير

فمنهن أولاً دوقة ديفونشير (تصوير جينسبورو) التي كان لها نفوذ عظيم في سياسة بلادها وقد سيطرت زمناً على حزب الاحرار ولما توفيت سنة ١٨٠٦ قال عنها ولي عهد انكلترا في ذلك الحين : « لقد فقدنا أول نساء انكلترا تهذيباً » وقال آخر : « لقد خسرنا أرق قلب في انكلترا » ووصفها أحدهم بقوله : « لم تحملها محاسنها على المباهاة والكبرياء ولم يكن جمالها قائماً على انتظام ملامحها وأعضائها بل على لطفها ورشاقتها وسلطان حركاتها وجاذبية مجلسها . وقد كان يمازج شعرها احمرار خفيف أما وجهها فمع كونه مقبولا لم يكن ليعد ممتازاً لو لم يضئه نور ذكائها »

والصورة المنشورة هنا تمثلها وهي في السنة السابعة والعشرين من عمرها. وقد صورها غير جينسبورو المصور رينولدز الشهير

مدام فيجه لبران

ومنهن ايضاً مدام لويز اليزابت فيجه لبران المصورة الشهيرة المولودة في باريز سنة ١٧٥٥ والمتوفاة فيها سنة ١٨٤٢ . وقد كانت والدتها من جميلات زمانها ولم تكد الابنة تبلغ الخامسة عشرة من عمرها حتى اشتهرت ببراعتها في التصوير وأم دارها نخبة السيدات الفرنسيات . وقد انتخبت لعضوية اكاديمية القديس لوقا وهي في التاسعة عشرة ودخلت في الاكاديمية الملكية في السابعة والعشرين . وقد صورت اكثر من ثلاثين صورة الملكة ماري انتوانت واضطرت في زمن الثورة الفرنسية الى مغادرة فرنسا فساحت في ايتاليا وكانت حيثما حلت ترسم وتصور . واجمل صورة لشخصها هي التي صورتها بنفسها لمتحف فلورنسا وهو المتحف الذي يمتاز عن سائر متاحف العالم باحتوائه على صور مشاهير المصورين من صنع ايديهم . وقد قضت سنوات في روسيا اختلطت في اثنائها بالبلاط الروسي حيث كان لها مقام رفيع . ثم زارت بروسيا وانكلترا وكانت شهرتها قد سبقتها اليهما فنالت فيهما أعظم حفاوة

الملكة لويزا البروسية

وقد وصفت مدام فيجه لبران هذه ما كان لجمال الملكة لويزا البروسية في نفسها من التأثير وكانت قد طلبت اليها أن تصورها سنة ١٨٠١ قالت : « أن لطافة شكلها

الفتان ورقة ملامحها المتناسقة وجمال وجهها وعنقها وأيديها وبياضها الباهر – كل شيء فيها فاق ما انتظرت ... » . وُلدت الملكة لويزا في هانوفر سنة ١٧٧٦ . وقد ارادت عمتها الملكة شارلوت الانكليزية أن تزوجها بولي عهد انكلترا ولكن امنيتها لم تحقق اذ قدر لها أن تتزوج علك بروسيا . وقد كان لها شأن في سياسة بلادها ولا سيما في ايام نابوليون الذي كسر الجيش البروسي شر كسرة . ومما قاله عنها تاكري الكاتب الانكليزي الشهير : « ... لقد اشتركت لويزا مع ماري انتوانت في التفوق بالجمال والشقاء معاً » . وذكر جمالها ايضاً غوتي الشاعر الالماني . وقال آخر في وصفها : « عينان زرقاوان باهرتان تشعان نور الشباب والحماسة والسعادة ، وابتسامة جميلة على فمها الصغير وشفتيها الكرزيتين ، وجبهة نبيلة بهية قائمة على انف مستوٍ ، ووجه جامع بين الانفة والفتنة وبين التنعم والطهارة يتدفق عظمة حقيقية وحسناً فتاناً »

مدام ريكامييه

أما مدام ريكاميه الموصوفة بكونها اجمل نساء زمانها على الاطلاق فقد وُلدت في ليون سنة ١٧٧٧ وورثت جمالها عن ابويها ولم تبلغ الخامسة عشرة حتى تزوجها ريكاميه البنكير الذي كان يكبرها سبعاً وعشرين سنة . وقد وصفها احدهم على أثر زواجها قال : « وجه رشيق ورأس رزين وعنق فتان وكتفان بديعتا الصنعة والتناسب ويدان جميلتان وفم صغير وردي اللون واسنان لؤلؤية وشعر اسود مجعد تجعداً طبيعياً وانف نحيف مستوٍ وبشرة لماعة .... » وقد كانت كمدام لبران تلبس لباساً ابيض اللون بسيط الزي . وامتازت بالاستقامة رغم جمالها الفتان فلم يسمع عنها كلمة سوء في حياتها مع كثرة النساء اللواتي حسدنها على ما وهبها الله من الجمال الساحر

أما الصورة المنشورة هنا فمن رسم دافيد المصور الشهير سنة ١٨٠٠ وقد اعترض عليها بعضهم بقوله انها لا تمثل لنا طهارة تلك المرأة بل تكاد تدخل الريبة الى نفوسنا في امر استقامتها وصلاح معيشتها

وقد اضطرت مدام ريكاميه الى مغادرة فرنسا لان نابوليون كان غاضباً عليها لمصادقتها نفراً من اعدائه وخصومه السياسيين وفي مقدمتهم مدام دي ستال الاديبة الشهيرة

بلاد الاختراع والابتكار

مشاهير المخترعين الاميركيين وفضلهم على العالم

ليس في العالم كله قطر تجسمت فيه قوة الابتكار والاختراع كتجسمها في الولايات المتحدة الاميركية . فان لها من هذا القبيل فضلاً على الانسانية لا يقدره الا من وقف على وسائل الارتقاء التي استحدثها بنوها وما كان لها من الشأن العظيم في تاريخ العصر الحديث

ومن يقابل بين حالة اميركا منذ قرن وحالتها اليوم تستولي عليه الدهشة لاتساع مسافة النجاح التي قطعتها تلك البلاد في هذا الزمن القصير . فقد كادت اميركا اذ ذاك تكون خالية من عوامل المدنية فلم تلبث أن وطئ أرضها أولئك القوم المجيدون الناهضون حتى أخصبت تربتها وشيدت عليها المباني العظيمة وأقيمت المعاهد والمدارس . ولئن كان للمستكشف والحاكم والسياسي والتاجر وغيرهم قسط في ذلك الرقي السريع فان القسط الاكبر يعود على فئة المخترعين الذين قلبوا بمخترعاتهم نظام الصناعة والزراعة والتجارة بل قلبوا نظام الاجتماع الاميركي وكونوا بجهدهم وفطنتهم عالماً جديداً ومدنية جديدة

حيا الله تلك البلاد العظيمة ـ بلاد الجد والنشاط والاقدام، وحيا الله ذلك الشعب النبيل الناهض الذي لا يعرف غير العمل مفخرة ولا يرضى الا صنع اليدين نسباً !

* * *

المخترعون في أميركا كثيرون واكثر منهم رجال العمل الذين يحولون تلك الاختراعات الى آلات وأدوات وأجهزة وأوان يستعملها الناس . فالاختراع وحده لا يكفي ما لم يستثمره أهل الصناعة ويعمموا منفعته . ولعل أميركا تمتاز على البلاد الاوربية من هذا القبيل فانه حالما تتولد فيها فكرة مستحدثة لا تلبث ان تخرج الى حيز العمل وتنتشر فائدتها بين الطبقات المختلفة

وليس غرضنا من هذه المقالة ترجمة كبار المخترعين الاميركيين وتفصيل مخترعاتهم فان ذلك لا يتيسر لنا في مقالة وانما نحن ذاكرون بايجاز ترجمة ستة من اقطابهم

مع بيان تأثيرهم في سير المدنية . وحسب أميركا فخراً انها انجبت تلك الادمغة المحدثة التي خطت بالبشرية خطوات واسعة في سبيل السعادة والرفاهية

الي وتني

مخترع محلج القطن

خذ مثلاً الانقلاب الصناعي الذي ترتب على اختراع محلج القطن . فانه في سنة ١٧٩٢ – حين تولى الي وتني الشاب ادارة مدرسة في ولاية جورجيا – لم يكن للقطن شأن يذكر في مزروعات الولايات المتحدة . فان الاهلين لم يزرعوه الا من قبيل الزينة والزخرفة لافتقارهم الى طريقة اقتصادية يتم بها فصل القطن عن البزرة فان فصلهما بعمل اليد يستغرق وقتاً طويلا ولا يعود منه فائدة للعامل (كان فصل رطل القطن عن ثلاثة ارطال من البزر يستغرق عشر ساعات)

تنبه وتني الى هذا النقص وأدرك مايترتب على اختراع الآلة المطلوبة من المنافع العظيمة الشأن ومع انه كان يدرس الحقوق في ذلك الحين فقد خصص ساعات فراغه ليعمل في غرفة أعدها لهذا الغرض في أسفل منزله وقد كان من صغره يميل الى الميكانيكيات وأبدى ميله هذا في صنع عدة آلات وأجهزة لغايات مختلفة . ولم يمض على عمله بضعة أشهر حتى تم له ما ابتغى وأبرز أول محلج للقطن . وقد كان اختراعه هذا الاساس الذي قامت عليه زراعة القطن في الولايات المتحدة وهي كما لا يخفى محور الحياة الاقتصادية فيها اليوم

روبرت فلتن

مخترع السفن البخارية

ولعل اختراع روبرت فلتن للسفن البخارية يفوق اختراع وتني المتقدم . على أن لفلتن اختراعات أخرى كثيرة ذات اهمية حتى أن الاميركيين يسمونه «اديسن عصره»

كان روبرت فلتن صاحب نظر بعيد وخيال واسع وقد كان يُعنى بالنتائج البعيدة قبل التفاته الى النتائج القريبة واضعاً مصلحة الهيئة الاجتماعية فوق كل مصلحة . فمن ذلك انه اخترع التوربيد ليمنع البشر عن الحرب اعتقاداً منه بان فظاعته وهوله ينفيان الحروب من سطح الارض

على أن فلتن ليس اول من فكر في استخدام البخار لتسيير السفن ولكنه اول

من اخرج هذه الفكرة الى حيز العمل في صورة حسية عملية . فقد توصل الى تسيير الباخرة كلرمونت بقوة البخار في ١١ اغسطس سنة ١٨٠٧ رغم ما اعترضهُ من الصعوبات المادية والمعنوية فانه اضطر الى اقتراض المال لتنفيذ مشروعه كما اضطر الى مقاومة اصدقائه الذين ثبطوا همته وازدروا بفكرته وكثيراً ما كانوا يسمونها « جنون فلتن »



روبرت فلتن مخترع السفن البخارية

الياس هوى

مخترع مكنة الخياطة

أما اختراع مكنة الخياطة فينسب الى الياس هوي . وتروى قصتان مختلفتان عن منشأ هذا الاختراع : أما الاولى فمؤداها ان هذه الفكرة خطرت له على أثر ملحوظة ابداها زائر جاء الى المصنع الذي كان هو يختلف اليه . وأما الثانية فخلاصتها ان تلك الفكرة نشأت عن رغبته في تخفيف عناء امرأته التي كانت تضطر الى الخياطة ليلاً لتكسب ما تسد به أود الاسرة حين كان يمرض هو أو يخلو من العمل

ومهما يكن الامر فما لاريب فيه ان هوي انكب على العمل سنة ١٨٤٣ (وقد كان

اذ ذاك في الرابعة والعشرين من عمره) وتوفق بعد سنة الى ابراز آلته الشهيرة التي قامت باجل الخدمات . على ان عالم الخياطين قاوم هذا الاختراع في اول امره خوفاً من أن يتعطل العمال عن العمل بسببه حتى انهم قاموا بمظاهرات لهذا الغرض ولكنهم ما لبثوا ان ادركوا فائدة هذا الاختراع الذي اوجد صناعة جديدة وهي صناعة الملابس الجاهزة التي يعمل فيها آلاف العمال

صموئيل مورس

مخترع التلغراف

في سنة ١٨١١ ابحر صموئيل مورس (وكان اذ ذاك في العشرين من عمره) على سفينة قاصداً ليفربول ليتعلم فن التصوير. ولو قيل له في ذلك الحين ان اسمه سيخلد بصفته مخترعاً لما قابل القائل بغير الاستهزاء . ولكن الاحوال غيرت مجرى حياته كما غيرت مجرى حياة غيره من مشاهير الرجال

فقد اتفق في سنة ١٨٢٧ ــ بعد عودته من انكلترا ــ أنه حضر دروساً في المغنطيسية الكهربائية (الكترومغنتسم) فحضته تلك الدروس على الاهتمام بالقوة الكهربائية والوقوف على خواصها ولاسيما امكان استخدامها واسطة للاتصال . وقد سافر الى أوربا لهذه الغاية ولما عاد سنة ١٨٣٢ كان قد أحاط بمبادىء اختراعه ولكنه لم يقم بتجربة عمومية الا بعد خمس سنوات ولكن سواد الناس عدوا هذا الاختراع بمقام العوبة علمية لا قيمة لها من الوجهة العملية . ولاقى مورس عقبات جمة دون اقناع مواطنيه بفائدة اختراعه الى ان كانت سنة ١٨٤٣ فتمكن في تلك السنة من حمل مجلس النواب الاميركي على تخصيص مبلغ ٣٠٠٠٠ ريال لبناء خط تلغرافي بين مدينتي واشنطن وبلتيمور . وقد انتقل أول خبر على هذا الخط في ١ مايو سنة ١٨٤٤ وهو خبر انتخاب هنري كلاي لرئاسة جمهورية الولايات المتحدة . ومن ذلك الحين اعترف رسمياً بفائدة هذا الاختراع الثمين

الكسندر جراهم بل

مخترع التلفون

يحكى أن الكسندر جراهم بل كان يجري بعض التجارب لتحسين اجهزة التلغراف وبينما هو يهز سلكاً مشدوداً سمع الصوت وقد انتقل على سلك آخر في

طرفيه اسطوانتان حديديتان . فكرر التجربة فكان الصوت ينتقل في كل مرة ففكر اذ ذاك في نقل الاصوات البشرية على هذه الصورة وما برح من ذلك الحين يواصل التجارب حتى اجرى تجربة عمومية سنة ١٨٧٦ في المعرض المئوي (لاعلان الاستقلال) الذي أقيم في تلك السنة في الولايات المتحدة فاعجب الناس باختراعه

ولكنه مع ذلك لم يلق المساعدة المالية اللازمة لتعميم فكرته . ففي سنة ١٨٧٧ سافر الى أوربا فلم يجد من يشتري منه نصف حقوق اختراعه لاوربا بعشرة آلاف ريال كما ان أحد اصدقائه رفض أن يدفع ٢٥٠٠ ريال مقابل نصف حقوقه لاميركا

على ان هذا الاختراع لم يلبث ان نال الاقبال الذي يستحقه حتى ان عدد الآلات التلفونية المستعملة في الولايات المتحدة وحدها يقدر اليوم بنحو عشرة ملايين آلة

توماس اديسن

اشهر المخترعين في هذا العصر

لا ريب في أن توماس أديسن هو اشهر المخترعين في هذا العصر فان له عدة اختراعات تتساوى في الشأن والاهمية

وُلد أديسن سنة ١٨٤٧ في قرية صغيرة في ولاية اوهايو وبدأ حياته العلمية وهو في الثانية عشرة من عمره واول مهنة احترفها كانت بيع الجرائد على محطات السكة الحديدية . ولما بلغ الثامنة عشرة توظف في مصلحة التلغراف ومن ذلك الحين برزت عبقريته فانه لم يلبث أن ادخل عدة تحسينات على الآلات التلغرافية وحاز اعجاب رؤسائه ثم تمكن بمساعدة بعض الماليين الذين مدوه بالمال من القيام بتجاربه العديدة التي انتهت باختراع النور الكهربائي — وحسب أديسن هذا الاختراع وحده لتخليد ذكره مدى الدهور . ولكنه قد كرّس حياته للعمل والابتكار حتى ان الاختراعات أخذت تخرج واحداً بعد الآخر من معمله في نيوجرسي نذكر أهمها فقط وهي الفونوغراف والكينتوسكوب والميميوغراف والبطرية المخزنة والسينماتوغراف المتكلم الخ . . . —

ولا يزال أديسن الى هذا اليوم يعمل بهمة الشباب وقد أشيع عنه أنه اخترع عدة اختراعات حربية عظيمة الشأن

كيف يتفاوض وزراء انكلترا

وصف مجتمعاتهم ومباحثاتهم

في البناء المرقوم برقم ١٠ من شارع دوننج في لندن تجتمع كل يوم الادمغة الستة التي تدير دفة الحرب والسياسة للتفاوض في الخطط والتدابير والقرارات التي يقتضيها سير الحوادث . انها لمسؤولية هائلة ! فان على عاتق هؤلاء الاعضاء الذين يتألف منهم مجلس وزراء الحرب (War Cabinet) حملا تخر دونه الرواسي بل ان التاريخ لم يعرف نفراً من الرجال كان في يدهم من السلطة مثل ما في يد أولئك الستة الذين تتناول قراراتهم الامبراطورية الانكليزية من اقصاها الى اقصاها

وقد كانت هذه الحرب باعثاً على تبديل كثير من النظامات الدستورية الانكليزية المتوارثة جيلاً عن جيل كما يتضح من مطالعة الفصل التالي عن تأليف وزارة الحرب وطريقة اجتماعها وتداولها وهو بقلم المستر روبرت دونالد محرر جريدة « الكرونيكل » الانكليزية الشهيرة . قال ما خلاصته :

لقد حدث في اثناء الحرب ان انقلب نظام الحكومة الانكليزية بحكم الضرورة انقلاباً عظيماً من غير ان يصدر قانون أو قرار بذلك . فان وزارة الحرب تعمل اليوم بطريقة لم يألفها قط الدستور الانكليزي . والفضل في ذلك يرجع الى رئيسها المستر لويد جورج الذي يتعذر ان تجد بين رجال السياسة في اوربا رجلاً مثله يكره التقيد بالتقاليد . ولم تتألف وزارته بنظامها الحاضر اثر التفكير الطويل والبحث المستفيض وانما صورتها الايام وكيفتها وفقاً لمقتضى الحال

اعضاء وزارة الحرب

تتألف وزارة الحرب من ستة اشخاص هم : المستر لويد جورج (رئيس) والمستر بونار لو ولورد كرزن ولورد ملنر والمستر بارنز والجنرال سمتس . وفي هذا المجلس على العموم ميل ظاهر الى الديمقراطية والجامعة الامبراطورية . والمستر لويد جورج روح المجلس وحركته الدائمة وهو يمثل مقاطعة ويلز المشهورة بنشاط اهلها . اما المستر بونار لو فانه كندي المولد اسكتلندي الاصل وقد بدأ حياته في التجارة ثم انتقل منها الى السياسة . واما لورد كرزن فانه من القائلين بالجامعة

الامبراطورية وهو من الثقات في التاريخ السياسي وله معرفة واسعة بالشعوب الشرقية واحوالها . ومثلها ايضاً لورد ملنر . اما المستر بارنز فانه اسكتلندي الاصل ويمثل العمال . ويمثل الجنرال سمتس المستعمرات الانكليزية وهو عالم كبير ومحام عظيم ولا يزال عضواً في حكومة افريقا الجنوبية فضلاً عن عضويته في وزارة الحرب ومن غرائب هذه الحرب انها جمعت بينه وبين لورد ملنر وقد كانا من زعما الفريقين المتحاربين في اثناء حرب افريقا الجنوبية . وليس لهؤلاء الاعضاء وظائف غير عضويتهم في وزارة الحرب الا المستر بونار لو فانه وزير المالية ايضاً ويمثل الوزارة في مجلس النواب

ويجتمع الوزراء كل يوم تقريباً الا الاحد من الساعة ١١ والدقيقة ٣٠ الى الساعة ١ والدقيقة ٤٥ وفي بعض الاحيان يجتمعون بعد الظهر أيضاً . وعند كل اجتماع تعرض عليهم قائمة المسائل التي تقتضي النظر والبت وعددها نحو ١٢ مسئلة كل مرة . ولا تقتصر اجتماعات المجلس على أعضائه الرسميين الا فيما ندر فانهم يستدعون في الغالب بعض رؤساء المصالح التي لها دخل في المواضيع المعروضة عليهم وبعض الخبيرين فيها من رجال الحكومة أو غيرهم . وفي استدعاء الخبيرين ورؤساء المصالح على هذه الصورة بدعة لم يعرفها مجلس وزراء انكلترا فيما مضى على انها تسبب وفراً عظيماً في الوقت : فكل موظف يقدم تقريراً أو مذكرة عن مسئلة وكلت اليه يحضر بنفسه عند عرض تقريره أو مذكرته على المجلس ليقدم البيانات اللازمة ويجيب على الاعتراضات التي تسنح للمجلس . وقد كان يتم ذلك فيما مضى بواسطة المكاتبات الرسمية

كاتبو الاسرار

ويستعين الوزراء بعدد كبير من كاتبي الاسرار وكلهم من خيرة رجال انكلترا وهم يدونون قوائم المسائل التي تستدعي نظر المجلس ويحفظون قراراته ومداولاته فسكرتارية المجلس مؤلفة من عدة اشخاص اولهم الكولونل السير موريس هانكي ومن هذه السكرتارية أيضاً عضوان في البرلمان احدهما السير مارك سيكس الخبير في الشؤون الشرقية والكولونل امري ووظيفتهما تقديم التقارير الرسمية من المصادر المختلفة

ولرئيس الوزارة وحده سكرتارية قائمة بذاتها مؤلفة من خمسة اشخاص وهم : المستر فيليب كر وهو من الخبيرين في الشؤون السياسية وقد كان من محرري مجلة « روند تابل » المشهورة في عالم السياسة ، والاستاذ ادمس من اساتذة اكسفرد ، والسير جوزف دافيز الخبير في شؤون العمال ، والمستر والدرف استور العضو في البرلمان والثقة في المسائل الطبية والصحية ، والمستر سيسيل هرمزورث الذي له عناية خاصة بمسائل الاطعمة . ووظيفتهم جميعاً ان يقوموا مقام مكتب استعلامات لرئيس الوزارة وزملائه

ثم ان للمستر لويد جورج سكرتارية خصوصية مؤلفة من ثلاثة : احدهم المستر ج . دافيز المكلف بالمسائل التي لها صفة شخصية ، والمستر وليم سوثرلند المكلف بالمسائل ذات الصفة العامة ، والمس فرنسيس ستيفنسن وهي المكلفة بالرد على المراسلات بوجه الاجمال . وتقدر الرسائل التي ترد الى المستر لويد جورج كل يوم بما لا يقل عن الف رسالة

اخلاق المستر لويد جورج

وقد احدث المستر لويد جورج بعد تقلده رئاسة الوزارة تغييراً عظيماً في نظام الحكومة الانكليزية . فقد تسربت اليها روح الديمقراطية وزادت الهمة والنشاط في مصالحها . فان الداخل اليوم الى البناء نمرة ١٠ في شارع دوننج يرى الحياة والحركة مجسمتين في موظفيه وعماله . وقد كان فيما مضى ساكناً هادئاً قلما يتردد اليه زائر أو طالب . أما الآن فان الوفود والاجتماعات والمقابلات تتالى فيه بلا انقطاع ـ كل ذلك يرجع الى نشاط المستر لويد جورج وما فطر عليه من الهمة والاقدام . فليس بين الوزراء من يجاريه في الجد والنشاط والعمل . ومع ذلك تراه دائماً هاشاً باشاً جليّ الفكر حاد الذهن حتى ان زملاءه يعجبون أشد الاعجاب بحضور ذهنه وقوة ابتكاره . ولعلّ سر ذلك أن له قدرة عجيبة على النوم متى شاء فتراه اذا ما اغمض جفنيه دقائق قليلة قام بهمة مستجدة

ومن مميزاته انه يدرك للحال النقط الخطيرة في المسائل المعروضة عليه مهما تكن جديدة في نظره فيصيب بلمحة كبد الموضوع وقلما يخطىء مرماه . وله أيضاً مقدرة عجيبة على استجماع قواه العقلية وحصرها في الموضوع الذي يريد فحصه أو درسه

أما غرفة المجلس فانها من البساطة على جانب عظيم. وهي تختلف من هذا القبيل عن الغرف الفخمة التي يجتمع فيها وزراء فرنسا وايتاليا وغيرهم . وهذه الغرفة تقوم بعدة وظائف في آن واحد فهي مكتب رئيس الوزارة ومكان اجتماع الوزراء وغرفة استقبال الوفود واللجان الخ ... وحيطان هذه الغرفة مغطاة اليوم بالخرائط الحربية المفصلة لميادين القتال . وفيها خوان كبير وعشرون كرسيًا عادياً وكرسيان أو ثلاثة من الطرز المستطيل ومكتب في احد اطرافها

ويجلس رئيس الوزراء الى منتصف الخوان وظهره للموقد . واذا جاء وفد لمقابلته نقل الخوان الكبير الى مكان آخر وملئت الغرفة بالكراسي . ومن المستهجن ألا يكون لرئيس وزراء انكلترا غير هذه الغرفة لتأدية مهامه المختلفة ولاسيما مع كثرة الوفود التي تتردد عليه اليوم في حين ان لوزراء الدول الاخرى في الغالب غرف كثيرة للاستقبالات والولائم وغير ذلك

ومنذ ابتداء العصر الجديد في شارع دوننج تسهل مقابلة كاتمي الاسرار بل يسهل ايضاً في كثير من الاحيان مقابلة رئيس الوزارة نفسه وانما يقف ذلك على خطورة الموضوع . وبعبارة أخرى أن روح الديمقراطية الحقة تسربت الى هذا البناء فلم يعد من حاجز بين الحاكمين والمحكومين

يعمل المستر لويد جورج بلا انقطاع حتى في ساعات الطعام فانه يغتنمها للاجتماع بالذين لا يتيسر له مقابلتهم في أثناء النهار فيدعوهم للافطار أو للغداء أو للعشاء . ويندر أن يرى وحده أو بلا عمل يشغله وقلما يطالع في هذه الايام وهو لا يتعاطى من انواع الرياضة البدنية الا لعبة « الجولف » . على أن ذلك أصبح نادراً الآن فانه يكتفي بالمشي قليلاً في معظم الاحيان

وهو بخلاف غيره من الوزراء لا يلعب شيئاً من الالعاب المنزلية كالبريدج أو غيره وقلما يؤم الاحتفالات والاجتماعات الا اذا كان لها صفة عامة

ولعل أغرب ما في المستر لويد جورج انه يوحي روح النشاط والعمل الى كل من يقترب منه . وهو رغم همومه ومسؤوليته الهائلة لا يرى الا باشاً متفائلا

روح الشعب الاميركي

من مذكرات للفياسوف أميل بوترو

[الهلال] رحل الى اميركا اخيراً المسيو اميل بوترو الفيلسوف الفرنسي الشهير والعضو في الاكادمية الفرنسية فكتب مذكرات وجيزة عن الشعب الاميركي وحلل اخلاقه تحليلا نفسياً بديعاً فرأينا ان ننقل بعض ملحوظاته الى العربية لعلها تعيننا على استبانة الروح الاميركية . قال :

من أصعب الامور على الانسان أن يدرك تصورات غيره من الناس وأن يستطلع مكنونات عقولهم وقلوبهم . قال وليم جيمس الفيلسوف الاميركي ان الناس من هذا القبيل عميان بفطرتهم . ولهذا ينبغي لنا ان نكون حذورين في احكامنا ولا سيما حين نتناول رجالاً واشياء لم نعرفها الا في اثناء سياحة سريعة

ولعلَّ افضل طريقة للسياحة هي ان يلزم الانسان غرفته فيطلع على كتب الذين رأوا وتأملوا فيما رأوا ، ثم يرحل بنفسه بعدئذٍ ويسعى لاستجلاء المسائل التي تعرض للناظر البصير

وفيما يلي ملحوظات شتى خطرت لي في اثناء رحلتي الى الاقطار الاميركية :

تبين لي ان بعض الاميركيين يخشون عواقب اختلاط الشعوب والاجناس في بلادهم . فان المهاجرين يتوافدون اليها من اقطار متباينة الروح والمدنية ولا سيما السلافيون منهم والاسيويون

فما الذي ينجم عن اجتماع هذه العناصر المختلفة يا ترى ؟ لقد خشي هنري جيمس (والد الفيلسوف وليم جيمس) ان تحل ببلاده حالة « ابهام فومي » تمحى فيها الاخلاق والسجايا التي امتاز بها الاميركيون الاولون فتستبدل بصفات مبهمة غير واضحة . على ان فريقاً آخر يرى ان حالة الابهام هذه لن تستمر طويلاً فما هي الا دور انتقال بين الخلق الاميركي الاول الذي كان معظمه انكلوسكسوني الاصل وخلق جديد يمتاز بروح اميركية خاصة ــ كما يتخلل تحول المركبات الكيماوية من صورة الى صورة حالة متوسطة عادمة الشكل المميز .

* * *

لقد انمى القرن الماضي في اميركا القوة المادية الى حد لا نهاية له . وكان

المطلوب الآن تحويل تلك القوة المادية الى قوة نفسية . ولذلك أصبح موضوع التربية الشغل الشاغل للاميركيين . ولا يبرح من ذهننا ان المراد بالتربية تعليم العلوم وتقويم النفوس معاً . والاميركيون يعتقدون انهم بتعميم التربية يستطيعون ان يأتوا المعجزات وهم يعتمدون عليها في تكوين الروح الاميركية

***

قيل أن القرن الماضي كان قرن التحليل والتشريح analyse وأن القرن العشرين يجب أن يكون قرن الجمع والتأليف synthèse . ويعتقد الاميركيون أن عندهم استعداداً عظيماً لهذه المهمة . فان من أعز العقائد في نظرهم خلع نير الماضي والانطلاق في سبيل المستقبل لتحقيق الاماني التي وضعوها نصب عيونهم

وهاك اشعاراً لهنري فانديك شاعرهم الشهير تعبر عن خلقهم هذا قال :

I know that Europe's wonderful, but something seems to lack :

The past is too much with her and the people looking back ;

But the glory of the present is to make the future free

I love our land for what she is and what she is to be

وهذه ترجمتها بالعربية :

« اعلم ان أوربا جميلة ولكن يتراءى لي ان فيها نقصاً : فان للماضي عندها قيمة عظيمة واهلها ينظرون الى الوراء . انما مجد الحاضر ان يجعل المستقبل حراً . اني أحب بلادي لما هي عليه اليوم ولما سوف تصير »

ان هذه الاشعار تعبر أحسن تعبير عن الروح الاميركية . ومما يدل أيضاً على تلك الروح مذهب « البرغماتزم » الذي قال به بعض مشاهير الفلاسفة الاميركيين (وفي مقدمهم وليم جيمس) واليك خلاصة هذا المذهب :

تتدرج الفلسفة المدرسية من الحقيقة الى العمل . أما مذهب البرغماتزم فانه يتدرج من العمل الى الحقيقة . وبعبارة أخرى بينما يبدأ المدرسيون بوضع مبادىء عقلية أولية يتخذونها نبراساً لاعمالهم يعكس القائلون بالبرغماتزم هذه الآية فيستخرجون تلك المبادىء من الاعمال الواقعة في حيز القدرة البشرية . أي بدلا من ان يقولوا « هذه حقيقة فلنعمل بها » يقولون « هذا ما استطعنا عمله فهو اذاً حقيقة » . فالحقيقة

عندهم تابعة للاستطاعة . وكأن مرماهم النهائي من هذه الفلسفة ان يبينوا « ان ليس في العالم من مستحيل لان كل شيء ممكن »

* * *

وعلى هذا البناء يعلل الاميركيون اهتمامهم بجمع المال . على انهم يعدون المال وسيلة لا غاية. وعندهم ان كل شيء ميسور بالمال والعلم والنشاط

وفي نظرهم ان المال لم يجعل للكنز بل للانفاق . وانما المسئلة ذات الشأن هي ان يكون انفاقه في وجوهه الحقة . . .

وأصلح أوجه الانفاق في نظر الاميركيين التعليم والتربية . فحالما تبدي احدى الجامعات احتياجها الى بعض الملايين لاقامة معهد أو بناء معمل أو غير ذلك يقبل عليها الاغنياء ويهبونها بسعة وسخاء

* * *

من اظهر أخلاق الاميركيين تساهلهم في الدين بل تسويتهم بين الاديان وتحبيذهم لها على السواء . فمن امثلة ذلك أن كنيسة أقيمت حديثاً في شمالي ولاية نيويورك من اموال تبرع بها أناس ينتمون الى اديان مختلفة . وتجد التلاميذ في الجامعات على اختلاف مذاهبهم الدينية من كاثوليك وبروتستانت ويهود يجتمعون كل صباح لسماع فصل وجيز من الكتاب المقدس يتلوه قسيس أو استاذ كأنهم بذلك يجردون الدين عن العقائد الخصوصية وهذا ما يسمى عندهم undenominationalism

على ان لكل اميركي كنيسة ينتمي اليها . ومعظم الدين عندهم عمليّ ادبيّ فقلما يلتفتون الى العقائد الروحانية البحتة

* * *

لقد سمعت أحدهم يقول أن المسافة المعنوية بين العالمين القديم والجديد أعظم من المسافة المادية بينهما . ولعلّ ذلك صحيح

* * *

في الروح الاميركية مزيج غريب من الحقائق والتخيلات يجعل الاميركيين رجال عمل ورجال خيال في آن واحد

مناجاة الهاجر

متى تفارق قلبي لوعةٌ سكنت وتهجر النفسَ آلامٌ واحزانُ
متى تعيد الليالي لذة سلفت فلا يعذبني في الحب هجران
أبيتُ احلم بالماضي ولذته ، وللنفوس من الاحلام اشجان
عبدتُ فيك جمالا رائعاً بهجاً فليس ينفع قلبي عنك سلوان
أرعى عهوداً مضت لاريب تذكرها وان كل جزائي منك حرمان
ماذا عليك اذا أحييت ذا شجنٍ قد عذبته من الآلام الوان

* * *

اذا مررت بروض خلته طللا وأحسب الغصن ميتاً وهو زهران
وأحسب الطير تبكي وهي صادحةٌ يهتز من لحنها في الروض أغصان
أنى لاذكر اياماً لنا سلفت ما نال امثالها في العيش انسان
اذ كنت ترقص كالاغصان يسكرها بخمرة الماء انداء وغدران
وكنت تنشد الحاناً ترددها عجم الطيور ـ كأن الطير أعوان
هلا حنوت على قلبٍ يعذبه وجدٌ اليك واشواق وتحنان
أهواك . أهواك . فارحم مغرماً دنفاً وآرك صدودك ـ ان الحسن احسان
اذا هجعتَ فاني ساهرٌ سهرٌ وان غضوت فجفني منكَ يقظان
اني لانظم اشعاراً أضمنها وجدي اليك وبعض الوجد نيران
الشعر يسلب لبّ الناس قاطبة فكل قلبٍ الى الاشعار لهفان
ان كان قلبك صخراً في قساوته فان شعري لا يجديه صوّان
فعد اليّ بعطفٍ لا تكلفه وروّ قلبي ان القلب ظمآن
النفس ظامئةٌ للحب ينقذها عطف فما لك عنها اليوم غفلان
الحب كالماء يروي القلب غلته والقلب للحب ظمآن وصديان
والحب كالنور يهدي كل تائهة من النفوس وهذا الكون غيمان
والحب كالقطر يحيي كل مجدبةٍ من الزهور وهذا الشعر بستان
والحب كالطير يشدو في أرائكه فللغرام كما للطير ألحان

الاسكندرية حورية علي

كليمنسو

رجل فرنسا العظيم

[الهلال] تعاقبت في فرنسا خمس وزارات منذ نشوب الحرب وهي وزارات فيفياني وبريان وريبو وبانلفه وكليمنسو . وقد كان كليمنسو قبل تقلده رئاسة الوزارة يحرر جريدته « الرجل الحر » (التي دعيت فيما بعد « الرجل المقيد » اشارة الى تقييد الرقيب لها) فضلاً عن عضويته في مجلس الشيوخ . فظل يجاهد جهاد الابطال بقلمه ولسانه حتى اتيح له ان يعمل بيمينه وينفذ امانيه الوطنية . وقد اطلع القراء أخيراً على التلغراف الذي مؤداه ان المجالس العمومية في فرنسا قدمت ثناءها الى حكومة كليمنسو لما قامت به من الاعمال الباهرة . وفي هذه المقالة التي دبجها يراع اديب سوري مقيم في باريس درس لاخلاق هذا الرجل العظيم ـ وانه لحري ان ندرسه نحن معاشر الشرقيين لنقتدي به وبامثاله

نود للشرقيين من رجالنا الذين يحاولون خوض غمار السياسة أن يدرسوا قبل كل شيء حياة اقطابها الخاصة والعامة بدقة وامعان . فانهم لم يفهموا حتى هذه الآونة أن الظفر كل الظفر في السياسة ليس لاولئك الذين يخدعون الناس بل هي لمن سعى ، حسب جهده وطاقته ، في تمييز الحق من الباطل والغث من السمين ، ثم عمل على نشر الفكرة الحقة ورد الفكرة الباطلة ما استطاع الى ذلك سبيلاً

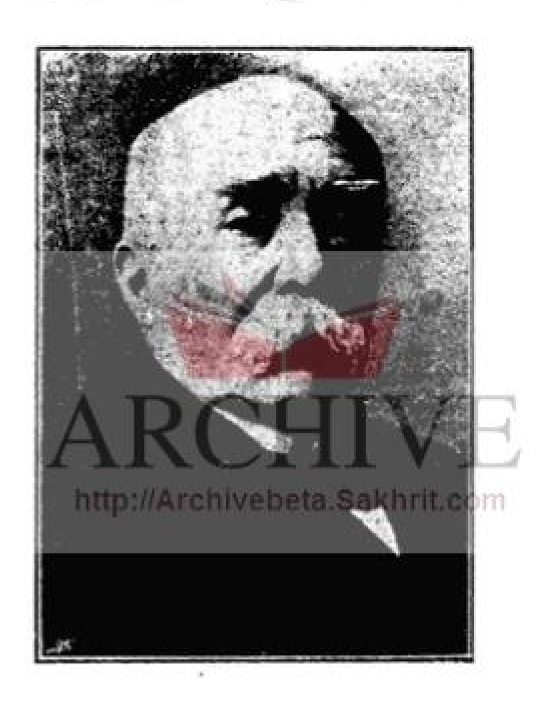
لم يفهم الشرقيون بعد معنى السياسة الصحيحة : فمنهم من يحسبها الكذب بعينه ومنهم من يخالها مهنة لمن أراد الاتجار وكسب الاموال وآخرون يعدونها سرقة وخدعة واحتيالاً . فنحن لم نعلم الى الآن أن الرقي الصحيح لا يتأتى بالهين وأن الظفر والتوفيق والنجاح في المسائل الاجتماعية وخصوصاً في المسائل السياسية لا تكون الا للرجل الراقي الصادق الشجاع

لذلك نرانا أجدر من سوانا بدرس حياة أقطاب السياسة الذين اشتهروا بالصدق في أقوالهم والشجاعة في أفعالهم ، ليعلم الذين يجهلون كيف تصح العزائم وتكتسب المعالي وكيف يستطيع الانسان ان يخدم بلاده وأمته

ولقد رأينا ان نتحف قراء الهلال بنبذة عن حياة كليمنسو ، رئيس مجلس الوزراء الفرنسوي ، لما لهذا الرجل من التأثير الكبير في الحرب الحاضرة ، ولما كان له من عظيم الشأن والأثر في تاريخ فرنسا الحديث

فاجأت الحرب هذا العجوز الذي لم يعجز بالرغم من طعنه في السن وعظم ما لاقاه من العظائم منذ نصف قرن فاكثر ، قوي الشكيمة ، ثابت الجأش ، صبوراً على اقتحام الاهوال وتحمل المصائب الكبار

فاجأته وهو يحرر جريدة « الرجل الحر » التي كانت كالشجا في حلوق أعدائه وكالقذى في عيون الخائنين . ومنذ نشوب الحرب الى هذا اليوم لم يضع ساعة واحدة ، دون عمل وجد واجتهاد ، مع أن له من العمر سبعاً وسبعين سنة



كليمنسو

إن المرء ليعجز عن ادراك هذه القوة العجيبة . بيد ان هذا العجب يقل كثيراً اذا ما نظر الانسان ولو نظرة مجملة في حياة هذا الرجل الكبير واطلع على ما قام به من الاعمال الشهيرة في خلال الاربعين أو الخمسين سنة الاخيرة

***

لم يدع كليمنسو في حياته السياسية الطويلة مسلكاً الا سلكه . فقد كابد أعظم المعضلات وخاض بحر السياسة طولاً وعرضاً وذاق حلوها ومرها وعالج صعبها ومستسهلها وبقي بعد مضي نصف قرن أو اكثر ، هو هو كأنه الجبل صلابة والحديد متانة

رمى كليمنسو بنفسه الى معامع السياسة يافعاً ، وقد شب عليها وتدرج في شعابها وسلك جميع سهولها وحزونها حتى اكتهل وابيض شعر رأسه وفوديه ، دون ان يحط ذلك في شيء من نشاطه وغيرته وثباته

اعتنق السياسة وهو باسل شجاع وشاخ فيها وهو باسل شجاع

ولج هذا الباب ولوج عمر بن الخطاب في الاسلام وكان مثله لا يخاف في الحق لومة لائم . انه ما رهب قط دولة ولا خشي أبداً قوة في العالم ، واذا ما عنّ له ابداء فكر أو اعلان رأي ، فليس قوة في العالم تستطيع دفعه عما يريد

تلك هي ميزته في ماضيه وها هو اليوم حاله ، لم يتغير ولم يحول عنها فتيلا ، وكل من قرأ له تلك المقالات السياسية البديعة التي كان ينشرها في كل عدد من جريدته « الرجل المقيد » يعرف له هذه العبارة التي كتبها بمناسبة مقالة حذفها له الرقيب الحربي :

« سأرسل هذه المقالة الى مشتركي جريدتي على أجنحة البريد . وان ضبطتها الحكومة ولم تصل الى أيدي أصحابها فاني سأوزعها بيدي على كل واحد منهم ، وان وقف الشرطي دون ما أريد فاني سأقف بعرض الطريق وأقرأها جهاراً على ملأ الناس بأعلى ما يكون من صوتي الى ان يضعف مني النفس وأسقط ميتاً في الارض . ففي موتي اكبر شاهد على حريتي واستقلالي اللذين لن أحول عنهما ولن ابغي بهما بديلا »

* * *

كان كليمنسو طبيباً في بادىء الامر . بيد أن الطبابة لم تصرفه عن العناية بما رغب فيه نفسه من شؤون السياسة والادب والفلسفة . وقد سافر في أواخر امبراطورية نابوليون الثالث الى اميركا ، حيث أقام ثلاث سنوات درس فيها الفلسفة الانكليزية وتدرب على أساليب الحرية الاميركية

ولا يخفى ان الجمهورية الفرنسوية التي تأسست لثالث مرة في فرنسا سنة ١٨٧١ تكن موطدة الاركان في أول أمرها بل كاد يقضي عليها الحزب الرجعي اذ كان معظم مبعوثين والاعيان يميلون الى الملكية والامبراطورية ويأنفون من حكومة الشعب . ان كليمنسو كان من أولئك الرجال الذين لا تهزم العواصف القاصفة ولا

يزحزحهم السيل الجارف . فلقد كان جمهورياً حقاً وفعلا وهكذا ظل طول حياته

ولعمري ما أفرط في الحكم من سماه « مقلب الوزارات » . والغريب ان كليمنسو لم يكن في ذلك الحين قوي العضد ، كثير المساعدين في مجلس النواب . غير انه كان عالماً راقياً ، قوي الفكرة ، حاضر الذهن وصاحب قلم وأدب وحكمة وبيان. فلقد كان لا يسطو على احد حتى يعدمه الصبر ويرميه بين يديه بلا قوة ولا حراك

هكذا فعل بفريني وغامبتا وجول فري . وهكذا قضى على كل من أراد له الاضمحلال

سطا على غامبتا وهو في عز دولته وانقض على جول فري وهو في أوج اقباله ، فارداهما وسبل عليهما ستراً وجعلهما حيناً طويلا من المنسيين

* * *

لم يكن زمان كليمنسو كله زمان جاه واقبال . ولا عجب في ذلك فلكل فارس كبوة . فقد أتى على هذا الرجل الكبير زمان حجب فيه بدره عن الانظار

كان كليمنسو موالياً لاحد الماليين الذين اتهموا في مسألة باناما الشهيرة وحكم عليهم بجريمة الاختلاس . وقد ثبت يومئذ أن جريدة « العدالة » التي كان كليمنسو رئيس تحريرها والتي كانت آفة على حياة غامبتا وجول فري السياسية اقترضت من المالي المذكور ، بحجة الاعلانات التي كانت تنشرها له ، مبالغ باهظة. ولم تشع هذه الاخبار وتتناقلها ألسن الناس حتى اضطهد كليمنسو وابتعد عنه الاصدقاء وأصبح من الخاسرين

يقولون ان قوة الرجال العظام تظهر عند الحادثات الجسام ، وان المصائب الكبار محك اهل الدهاء والاقتدار . فلئن عدم كليمنسو في تلك الازمة الشديدة كل عون ونصير ، واضاع ما كان له من الشأن والكرامة لدى العامة الحاكمة التي لها السلطان الاكبر في تلك البلاد ، فانه لم يعدم صبره ولم يفقد وثوقه الاول في نفسه القوية وهمته الشماء . ألم يكن له قلم سيال وبيان ساحر ؟ فلئن منعوه الخطابة على المنابر التشريعية ، فانهم لم يسلبوه يراعه الاغر وحكمته العالية

ترك كليمنسو منبر المجلس النيابي غير يائس ولا قانط ، لان قوته الادبية وفكره الراقي ونفسه الابية كانت اكبر من أن تذلها الحوادث الزمانية . فهو بدل أن يضعفه عن العمل، كما يقع لضعفاء النفوس عند وقوع المصائب ونزول البلاء ، أخذ يعمل

بجد واقدام وقوة وعرفان لم يعهدها له أحد من قبل . فاتخذ من عالم الصحافة منبراً عاماً وشرع يلقي من عليه دروس حكم وآداب عالية

فقد طرق كل المواضيع وخاض كل المشاريع وكان يزيد في كل يوم همة ونشاطاً ويكثر احساناً وابداعاً ، حتى كثر قارئوه ومالت اليه النفوس وصار له عليها حكم وسلطان . ثم ما لبث ان انشأ جريدته المشهورة التي سماها « الفجر » والتي جاءت على اثر حوادث « دريفوس » الشهيرة ، فاخذ ينشر فيها مقالاته الغرر التي ملأ ذكرها الخافقين مدافعاً مع اميل زولا عن ذلك المتهم البرىء

فلا بدع اذاً اذا عاد نجم هذا الرجل الكبير يسطع في الافق وقد زاد منظره بهجة وضوءه لمعاناً

* * *

اتهم بعضهم كليمنسو بانه لا ينفع الا للهدم ولا يصلح الا للتخريب . غلط فاحش . فلئن طاب لكليمنسو أن يدعى حقاً « مقلب الوزارات » فانه جدير ايضاً بان يلقب « سيد العاملين »

قلنا انه دخل مجلس النواب ، لانه رأى ان العمل فيه اكثر نفعاً واكبر تأثيراً منه في غير مكان . أليس انه المحل الذي تشرع فيه القوانين ويقوم عليه عمود الدولة ؟ فهذا السبب وحده كان كافياً لان يدعوه للانتظام في سلك النواب الذين لهم من الفعل والتأثير في السياسة ما لا يكون لغيرهم فيها . بيد أن « مقلب الوزارات » لم يلبث كثيراً حتى علم ان مجلس النواب الفرنسوي هو غير مجلس العوام الانكليزي وان الخطب التي يلفظها النواب على منابره ليس لها من التأثير والفعل ما يكون لمثلها في انكلترا . لان الكلام في مجلس العوام يكاد يكون عملاً وبتعبير آخر ان القول عند الانكليز لا يلبث ان يدخل في حيز الفعل . ولو كان كليمنسو ممن يقنعون بالعبارات المطرزة والكلام المجمل ، لاكتفى ببيانه العذب وادبه العالي . ولكنه كان رجل عمل وفعل بقدر ما كان رجل خطابة وقلم . فهو في جميع اعماله وافعاله كالنار شعلة واتقاداً . ولولا اني اخاف الشطط في التمثيل لشبهته بحصان امرؤ القيس الذي يقول فيه صاحبه :

مكرٍّ مفرٍّ مقبلٍ مدبرٍ معاً ... كجلمود صخر حطه السيل من علِ

علمته التجارب أن الخطابة والكتابة في فرنسا لا تقومان وحدهما بالغرض

المنشود ، لذلك عمد الى الانتظام في سلك الحكومة حتى يعمل بنفسه ما لم يتيسر لغيره عمله ويخدم بجميع قواه وطنه الذي وقف حياته لاجله . قال له يوماً احد اصدقائه :

— قد اسقطت جميع الوزارات في خلال العشرين سنة الاخيرة ، فماذا الذي كنت تفكر فيه يوم كنت تصعد على المنبر وتعمل على اسقاطها

— كنت افكر ان اسقط الوزارة لاخلفها في الحكم واعمل احسن مما كانت تعمل

* * *

لم يخل كليمنسو بوعده ، فلقد اظهر اقتداراً عظيماً وسياسة كبيرة يوم تولى الحكم واستلم زمام الامور

كان من قبل نقمة نقماء على الحكومات السالفة ، فلما جاء دوره انتظم في عداد الوزراء في فرنسا ولم يتخلص من طعن الطاعنين ونقد الناقدين . وقد برز له في ذلك الحين جوريس رجل البلاغة والبراعة والخطابة

اني لا اعلم ابدع من تلك المناقشات السياسية والمجادلات الادبية التي كانت تدور على لساني هذين الرجلين . فكل من قرأ الجريدة الرسمية لتلك الايام ، لا يقدر ان يتمالك نفسه من الطرب والسرور عندما يطالع فيها اقوال هذين البطلين اللذين سمت بهما الشجاعة الى أعلى المراتب ولباهما الادب وحسن البيان فاصبحا وهما في درجة أعلى من درجة الحكماء الاولين

كان كليمنسو ، كما اشرنا الى ذلك في غير موضع ، جبلاً لا يتزحزح وحصناً لا يدك ، فلقد توصل اعداؤه الى اسقاط الوزارة التي كان أحد اعضائها ، دون ان يستطيعوا اسقاطه أو اكراهه على عمل ما لا يريد . فقد عهد اليه رئيس الجمهورية برئاسة الوزارة الساقطة فالفها حسب هواه وانبرى يعمل في وظيفته الجديدة اعمالا كباراً غير سائل عن العقبات الصعاب التي كان يضعها جوريس واعوانه في طريقه . ودام على هذا الحال مدة طويلة وهو يحرز كل يوم ظفراً جديداً ويتمتع بحلاوة العمل ولذة النجاح والتوفيق

ولكنه ما لبث ان اعتزل الحكم وعاد الى مجلس الاعيان الذي قد كان سبر غوره وذاق حلوه ومره من قبل . واصطف كعادته في عداد المعارضين ناقداً لغالب ما تفعل الحكومة أو ما ترمي اليه

ولا يظنن أحد ان كليمنسو يميل الى معارضة الوزارات ويرغب في احراز السلطة لانه غيور حقود تسوقه الانانية الى القدح في الناس ويدفعه حب الشهرة الى تسنم منصب الرئاسة . كلا . فانه لما سقطت وزارة كومب ودخلت السياسة الفرنسوية في ازمة حادة صار الناس يشيرون اليه بالبنان ظناً منهم أن هذه الازمة لا تنفرج وان هذه السياسة العويصة لا تدخل في دور جديد سعيد الا اذا أخذ كليمنسو بعمودها المعوج وأعاد له قوامه الاول

ولكن كليمنسو كان يرى غير ما يرون ، لان وجدانه الشريف وأخلاقه الطيبة كانت تدعوه الى التصريح ببعض الامور التي كانت لا تتفق مع الحكم ولا تساعده على تسنم منصب الوزارة . وقد رجح التصريح بفكره والعمل بما توحيه اليه الوطنية والخدمة الصحيحة على اعتناق أعظم المناصب واكبر المراتب

* * *

وقد أذكت رحلة كليمنسو الى أميركا ما في نفسه من الصراحة والنشاط والحرية الشخصية . ومن مميزاته انه هجر أساليب السياسة القديمة المبنية على المواربة والمداهنة . وليس أدل على خلقه هذا من المذكرة الرسمية التي أصدرها أثر انكار الحكومة النمسوية أمر الرسالة التي ارسلها الامبراطور كارل الى شقيق امرأته في فرنسا يستوسطه في الصلح . فقد بدأ هذه المذكرة بقوله « من الناس من لهم ضمائر عفنة » اشارة الى رجال النمسا ثم دحض أقوال وزير النمسا وامبراطوره بحجج لا ترد

ولعل اكبر فضل لكليمنسو توصله بمساعدة المستر لويد جورج الى توحيد القيادة تحت ادارة المارشال فوش . وعلى ذكر المارشال فوش يحسن بنا أن نشير الى ان كليمنسو هو الذي اختار فوش لرئاسة المدرسة الحربية في أثناء وزارته الماضية لما توسمه فيه من المواهب الممتازة . ويحكى عن ذلك ان فوش لما استدعي لقبول هذا المنصب قال لكليمنسو (المعروف بمقاومته لنفوذ الكنيسة) :

— ... ولكن أرجو ألا تنسى ايها الوزير اني كاثوليكي صميم وان لي اخاً جزويتياً

فاجابه كليمنسو :

— هذا امر لا شأن له فانما المطلوب منك ان تخرج ضباطاً صالحين لخدمة فرنسا

باريس ع . ع . ع .

جهد انكلترا

في الحرب

في اوائل الحرب اذاع الالمان في جملة ما اذاعوا أن الانكليز يحاربون على حساب الفرنسيين حتى لقد نقلوا زوراً عن لسان المرحوم لورد كتشنر قوله « ان انكلترا ستحارب حتى آخر جندي فرنسي » . ولعل الالمان اعتقدوا بعض ما قالوا ولكن لا ريب اليوم في انهم قد تحولوا عن هذا الرأي بعد الجهد العظيم الذي بذلته انكلترا ومستعمراتها في سبيل الحرب . فان في مقدمة المعجزات التي اتتها هذه الحرب تحوُّل الشعب الانكليزي الذي لم يعن فيما مضى الا بسلطة البحار الى شعب عسكري بري ذي جيش جرار ومصانع حربية وذخائر لا تكاد تحصى

وقد اطلعنا اخيراً على رسالة ذات صفة رسمية توضح بالارقام البليغة امثلة من الجهد الذي بذلته انكلترا منذ دخولها الحرب الى هذا اليوم واليك شيئاً مما جاء فيها

لما نشبت الحرب كان مجموع ما عند انكلترا من الجند على اختلاف مراتبهم نحو ٧٠٠٠٠٠ رجل منهم ٢٥٠٠٠٠ في الجيش النظامي و ٢٠٠٠٠٠ احتياطي ملكي و ٢٥٠٠٠٠ رجل يتألف منهم الحرس الوطني المعروف بجيش التريتوريال ولم يكن تدريبهم العسكري وافياً

أما اليوم فيقال بوجه الاجمال ان انكلترا قد جندت في الجيش البري والبحري واحداً من كل اربعة ذكور ومن جملة هذه الاربعة الاطفال والشيوخ

وعند نشوب الحرب لم تستطع انكلترا أن ترسل الى فرنسا اكثر من ٦٠٠٠٠ مقاتل . وفي ٨ أغسطس سنة ١٩١٤ طلب لورد كتشنر ١٠٠٠٠٠ متطوع فحصل على العدد المطلوب في أقل من اسبوعين . وفي الاسبوع الخامس للحرب كان عدد المتطوعين ١٧٥٠٠٠ ولم تمض السنة الاولى حتى كان المتطوعون ينيفون على مليونين وفي ٢٦ مايو سنة ١٩١٦ أصدر الملك جورج رسالة الى شعبه ذكر فيها ان ٥٠٤١٠٠٠ قد تطوعوا بخاطرهم في الجيش والاسطول . وفي اكتوبر سنة ١٩١٧ كان عدد المقاتلين من الانكليز في صفوف القتال يربو على ثلاثة ملايين مقاتل وأخيراً في منتصف يناير سنة ١٩١٨ أعلن وزير الخدمة الوطنية ان الامبراطور

الانكليزية قد قدمت ٧٥٠٠٠٠٠ مقاتل منذ نشوب الحرب . وقد تطوع ٢٥٠٠٠٠ رجل من المتقدمين في السن الذين لا يصلحون للخدمة الفعلية في ميادين القتال فألفوا حرساً وطنياً لحراسة الجزر البريطانية يقوم من تلقاء نفسه بجميع نفقاته

وفيما يلي جدول يبين بالتفصيل نصيب انكلترا نفسها ثم نصيب مستعمراتها من ذلك وقد عمل هذا الجدول في شهر مارس الماضي

	مجموع	النسبة في مجموع الجيش	نسبته الى عدد السكان
انكلترا	٤،٥٣٠،٠٠٠	٦٠،٤ في المئة	١٣،٣ في المئة
مقاطعة ويلز	٢٨٠،٠٠٠	٣،٧ «	٩،٨ «
اسكتلندا	٦٢٠،٠٠٠	٨،٣ «	١٣ «
ارلندا	١٧٠،٠٠٠	٢،٣ «	٣،٨ «
فرق انكليزية من المستعمرات	٩٠٠،٠٠٠	١٢ «	٦،٧ «
فرق وطنية هندية وافريقية الخ . وفرق عمال	١،٠٠٠،٠٠٠	١٣،٣ «	
	٧،٥٠٠،٠٠٠		

وآخر المعلومات عن مجهود انكلترا في الحرب وردت في خطاب المستر لويد جورج ألقاه في البرلمان في اوائل أغسطس الماضي وفيه تعديل للارقام المذكورة أعلاه فقد ذكر أن بريطانيا العظمى جندت للجيش وللبحرية نحو ٦٢٥٠٠٠٠ وان بلاد الهند جندت ١٢٥٠٠٠٠ وقدمت المستعمرات الاخرى ١٠٠٠٠٠٠ رجل

ومما ذكره أنه في الشهر التالي لهجوم الالمان في ٢١ مارس الماضي أرسلت انكلترا الى فرنسا نحو ٣٥٥٠٠٠ جندي

أما الاسطول فقد كان عدد رجاله في أغسطس سنة ١٩١٤ نحو ١٤٥٠٠٠ فاصبح في سنة ١٩١٧ نحو ٤٣٠٠٠٠ ولا يدخل في ذلك بحارة السفن التجارية ولا بحارة الاساطيل المساعدة التي تقوم بحراسة الشواطىء والتقاط الالغام ونحو ذلك. واذا ادخلنا في حسابنا بحارة السفن التجارية والاساطيل المساعدة فان عددهم لا يقل اذ ذاك عن ١٥٠٠٠٠٠ بحري

وقد زاد محمول الاسطول الانكليزي من ٢٥٠٠٠٠٠ طن في اول الحرب الى ٨٠٠٠٠٠٠ طن اليوم ويدخل في ذلك محمول الاساطيل المساعدة

ومن الادلة على نشاط الاسطول الانكليزي أن سفنه قطعت في شهر يونيو الماضي وحده ٨٠٠٠٠٠٠ ميل . وقد بلغ عدد الغواصات التي اغرقها الانكليز ١٥٠ غواصة

ومن الارقام البليغة الدالة على جهد البحرية الانكليزية الارقام التالية وهي تبين ما نقلته الاساطيل الانكليزية منذ نشوب الحرب . فقد نقلت :

١٣٠٠٠٠٠٠ رجل لم يغرق منهم الا ٢٧٠٠

٢٠٠٠٠٠٠ فرس وبغل

٥٠٠٠٠٠ عربة (على انواع مختلفة)

٢٥٠٠٠٠٠٠ طن من المفرقعات والذخائر

٥١٠٠٠٠٠٠ طن من الزيوت والوقود

١٣٠٠٠٠٠٠ طن من الاطعمة والمواد الاخرى

الجدل

ارشد ألاّ تعرف ارشدا	أما رأيت معانداً وغدا
عجباً لحزمي كيف يتركني	ارضى الحوار واجمل الردا
رجل يجادلني فاكرمه	ما كان قلبي هكذا جلدا
أو لبس بي شر فيجنبه	وفداً اليه مغضباً وفدا
أو لست أدري من مساوئه	انفاً فنظم نثرها عقدا
بل لو فعلت لكنت مشبهه	بعداً نظهر شره بعدا
الحلم بي وله السفاه فمن	غضبي لنا أخفى وما أبدى
للشر نار بين أضلعه	تزداد أما هجتها وقدا
فاتركه لا خوفاً ولا فرقاً	ان اللئيم اذا دنا أعدى

الاسكندرية عبد اللطيف النشار

مسرات العمل

فصل معرب بتصرف من كتاب « تربية الارادة »
للعالم الفرنسوي پايو وهو جدير بان يطالعه
شبان الشرق باهتمام وتدبّر

بقلم خليل مطران

لا شيء أدعى للحزن وأنفى للسرور من عيشة الفراغ : فان الذين يعيشونها اذا التفتوا الى ماضيهم لم يشعروا به اكثر مما يشعر الحي بتقلص الظل ، واذا اعتبروا في حاضرهم وجدوه لا يزيد قيمة ولا كرامة عما عبر من عمرهم . فهم في غمّ وإحساس شر من قرب الموت . اذ انهم سينقضون ولا يتخلف عنهم من أثر دالّ على ممرّهم في طريق هـذا الوجود . مثلهم مثل المقضي عليهـم بالسجن يحملهم قطار سريع بغير ما يحبّون والى حيث لا يحبّون .

أما أولئك الذين حياتهم مليئة بالعمل المنتج فانهم به يضاعفون معنى الحياة : يتمتعون بها أملى وأحلى . ومهما يكن من سرعة القطار الذي يقلهم فهم يستبقون الماضي في صحبتهم بحسن التذكري له ويزينون الحاضر بصنوف الزينات العقلية ، ويتحررون من شر الخيبة بكونهم يواجهون الموت وهو حق متحتم مجيء مواجهة الذي أدى أمراً قيماً ، مرضيّ الضمير ، قد استوفاه ، وأتمه ، وبلغ الى نوقه كي يبتغ التعب في الراحة . وفي وسعه ان يفرق بين كدح رقد ومستنم جهد . فالحياة في الشعور الحي لا في تبديدها بالاستشراف من بعيد . قال داروين « عند ما أقمت في دير مريضاً حسبت ان حياتي ثقيلة لا تطاق بسبب الفراغ » .

وفي الحقيقة ليس منكسل لا متحرج على مبين : لانه يخترط الشغل ويبسط سلطه على نفسه فيودي به . على ان الفراغ باطلاق المعنى لا وجود له و « من لم يعمل وجد له الشيطان عملاً » فحيث لا يكون شغل بغرض شريف حل محله شغل بغرض زري أو سافل . وقد تكون من هـذه الشغل دفع الهموم وذ ...

المعاكسات : فهي لا تقوّي العقل بل تنهكه وتدكه . وقد يكون من هذا الشغل ان قوة الاحساس التي لم تضبط ، ولم تدبر في نزع منصوصة لترويي الارجلة العليا من السليقة الانسانية ، تندفع منحدرة الى قاذورات الطبيعة الحيوانية فتفسد فيها وتزيدها فساداً . يخال ان المترفين من أولي اليسار في نعيم . والصواب ان المسرات مع البلادة تصبح مشقات ، وان لا قيمة لغبطة ما لم تكن نتيجة من نشاط . على ان الكسل يضر بالجسم فيضعف فيه الجهاز الهضمي ، ويحدث الجمود والاسترخاء كما انه يضر بالنفس فيجعل الذكاء متوزعاً تتناشه صغار الهموم وتتناوله صغائر الحزازات فيتأكل بها ويتضاءل . ومن ثم جاء ان المكسال يجد العناء والنصب في كل عمل يضطر للقيام به ، وعلى نقيضه المكدود يوالي عمله متجهاً الى قصد معلوم ، بقدر طاقته ، متسلطة فيه ارادته على أفكاره ونزعاته فلا تأذن لها بالشتات

فاذا عكف العامل العقلي على شأنه بنظام ومن غير اجهاد ، ثم انصرف الى الراحة لتجديد قواه في الوقت الملائم ، كان في ذلك سر السعادة لانه يجمع به الى حسن الانتاج حضور الذهن في كل حالة ، ويقظة الرقابة للنفس

الا ان الاكثرين من جبلة الحقائق على ان العمل مشقة . وما من تصور يدخل فيه الألم أو الضغط أو الكمد الا أدخلوه قسراً في تصور العمل . مع انه ثابت في علم النفس ان العمل هو السعادة ما لم يتجاوز الكد فيه القدر الذي تسمح به الحالة الهضمية . وان الهناء الذي ينجم عن العمل لهناء ايجابي مثمر لا سلبي عقيم : فهو يبقي للحقيقة في الحياة طعمها ورونقها ولا يحولها الى وهم موهوم ثم يعصم العقل من سلطان الدنايا والهموم الصغيرة ، ويمنح النفس من الترضيات الشافية مثل ما تجود به الينابيع الفياضة من نقع الغلة

ومن مسرات العمل العقلي انه يرفعنا فوق مستوى العامة ، ويأذن لنا بدخول ندوة اولي الالباب من عظماء كل زمان فيزيدنا بذلك اسباباً للابتهاج والاهتمام بالحياة ، في حين ان التفرغ يحتاج في الغالب الى معاشرة من هم دونه اقتضاء وقت وذلك لانه لا يكتفي نفسه فيقع في صنوف من العبودية للاخرين لا يعرفها العامة

من اهل العلم . ولذا صدق من قال « ان العمل هو الحرية » فتلك حقيقة وليست مجازاً . ومزية العامل ان سعادته يلتمسها من نفسه ويجدها في نفسه . أما المتفرغ فان كان له هناء فهو ما يستمده من سواه

ثم ان توالي الايام لا يزيد المتفرغ سوى تقدم في السن ، وتمادٍ في عمر بلا نتيجة . ولكنه يزيد مجموع المعارف التي يكتسبها المتعلم المجد زيادة مطردة لا تلبث مع كر السنين ان تجعله ذا مقام عالٍ بمعارفه الواسعة ، وذا سلطان بذكائه على القوم الذين يحيطون به يكاد يضارع سلطان الخُلُق العظيم

فاذا جاءت الشيخوخة شهد المتفرغ انطفاء لذاته واحدة بعد الاخرى ، على حين ان مسرّات العامل لا ينضب لها معين بل تنمو على توالي الايام ، وتتنوع تنوع اهتمامه بالعلم ، أو الادب ، أو الطبيعة ، أو الانسانية ، أو الفنون على اختلافها . قال كينه « رأيت الشيخوخة حين بلغتها اقلّ مرارة مما وصفوها لي وربّ ساعات منها وردتها اشهى من ساعات الشباب »

اذن فحياة العامل العقلي السعيد حياة لا تحرمه لذة الحرية بل يرغب فيها ، بل تمتعه بما لا يتمتع به الا امثاله من الشعور بكنه الوجود ، وتحرره من الرق المعنوي الذي يجعل الكسالى ألاعيب في ايدي الصروف ، وتعصم عقله من السفاسف القاتلة

اضف الى ذلك ان الحياة المنتجة تقوي الارادة بكونها توردها منبع السعادة الثابتة ، وتجعل صاحبها من سكان الحاضرة الراقية ، حاضرة المفاخر ، التي انما يأهلها اولو الالباب ، وعظماء الدنيا بصنوف الاحساب ، وتمنحه سلطاناً على غيره ، وتزيده على مسرات العقل والنفس الازدهاء بتفوقه على الآخرين . ثم هي تكرمه عن الممذوق والمكذوب من المجد الذي يتظاهر به ذوو الثروة والمناصب السياسية بمنحها اياه المجد الصحيح الذي تصحبه السعادة الفائقة . ونعم الثوابان لمستحقها هذا السعد الموموق وذلك المجد المصدوق

خليل مطران

زمن الورد

يا زمن الورد وفصل البهار هل عودة منك فتحيي الديار
ذكرك للقلب ارتياح وقد يرتاح قلب الحب بالادكار
كم ليلة منك على دجلة أحييتها أنساً وكم من نهار
حيث السما صافية والفضا من هيبة الليل عليه شعار
والزُهر[1] مثل الزَهر مبثوثة والنهر[2] كالنهر جرى بانحدار
والقمر الزاهر في أفقه شنت شمل الليل بالازدهار
حيث النسيم الغض أرواحه تنعش روح الصب ذي الاحتضار
حيث الزلال العذب يجري وقد أجرى به البدر سبيك النضار
حيث المروج الخضر مخضلة حيث كؤوس الراح صرفاً تدار
حيث الندامى حسن أخلاقهم ينمى الى النبل وطيب النجار
حيث تغني الشعر عوادة رخيمة الصوت فتاة نوار
والكأس يسقيها فتى حسنه عوّدني اللهو وخلع العذار
يسقي نداماي ويدعوهم حيَّ على القصف البدار البدار
حيَّ على حمراء وردته جامعة الضدين ماء ونار
فانتهزوها فرصة واشربوا فإن أعمار الليالي قصار
فقد صفا الوقت وطاب المنى وطاب ذا اليوم تعاطي العقار
وكلل الزهر رؤوسَ الربى وأضحك الروضَ بكاء القطار
والارض من زهو ومن بهجة طاولت الأغنان بالازدهار
كأنما جنة عدن بها بالحور والولدان ثم الجوار

قد نسج الزهر بساطاً بها منمنماً في حسنه العقل حار
من عنبر او من خزامى ومن بنفسج مثل سماء النهار

(١) النجوم النيرة جمع ازهر (٢) يريد به نهر المجرة

من اقحوان ثغره باسم وقد علا ايضه الاصفرار
من نرجس غض ونيلوفر من زنبق من سوسن من عرار
سدّى له النسرين والنوّر قد الحمه والحوك للجلنار
وصبغة النعمان (١) وشت به شقيقه من اسود ذي احمرار
والورس والريحان قد وشعا آساً كصدغي غدة أو عذار
وعلق المنثور (٢) صلبانه كفضة قد طليت بنضار
وعرس الورد به فغتدى من لؤلؤ الطل عليه نثار
وصفقت فيه اكف الصبا اذ رقص البان وغنى الهزار
والغصن قد عانق غصناً كما عنقت الغدران فيه تجور

والنجم في جو السما سائر يقطع اجواز الفضا في وقار
من مشئم يلفى ومن معرق ومنجد لاح وتابه غار
كل جرى للسبق في ساحة قد من تسابق فيه انعثار
والبدر قد جاء بحضره فلا يشق النجم منه الغبار
كأنه ملك ومن خلفه مواكب حفت به حيث سار
سرى على مهل وفي سيره شأا فعيا حلبات المغار
جل الذي احسن ابداعه بصورة في شكلها الفكر حار
وهو الذي ابدع شمس الضحى وارسل الريح تسوق البخار
اعني الذي حارت عقول الورى بكنه معناه كباراً صغار
من قائل ذاك الاثير الذي يحيي موات الكون بعد البوار
وقائل بل صمد واحد منه قواه بن الاثير استعار
كل له رأي باوصافه والحق مسدول عليه ستار

بغداد — كاظم الدجيلي

(١) اسم من اسماء الدم وقيل اليه نسبت شقائق النعمان تشبيهاً لها به حمرتها
(٢) نبت من الرياحين من فصيلة الصليبية وهو انواع ذات الوان مختلفة وأرقها الاصفر الذهبي

شعوب النمسا

وأمانيها الوطنية

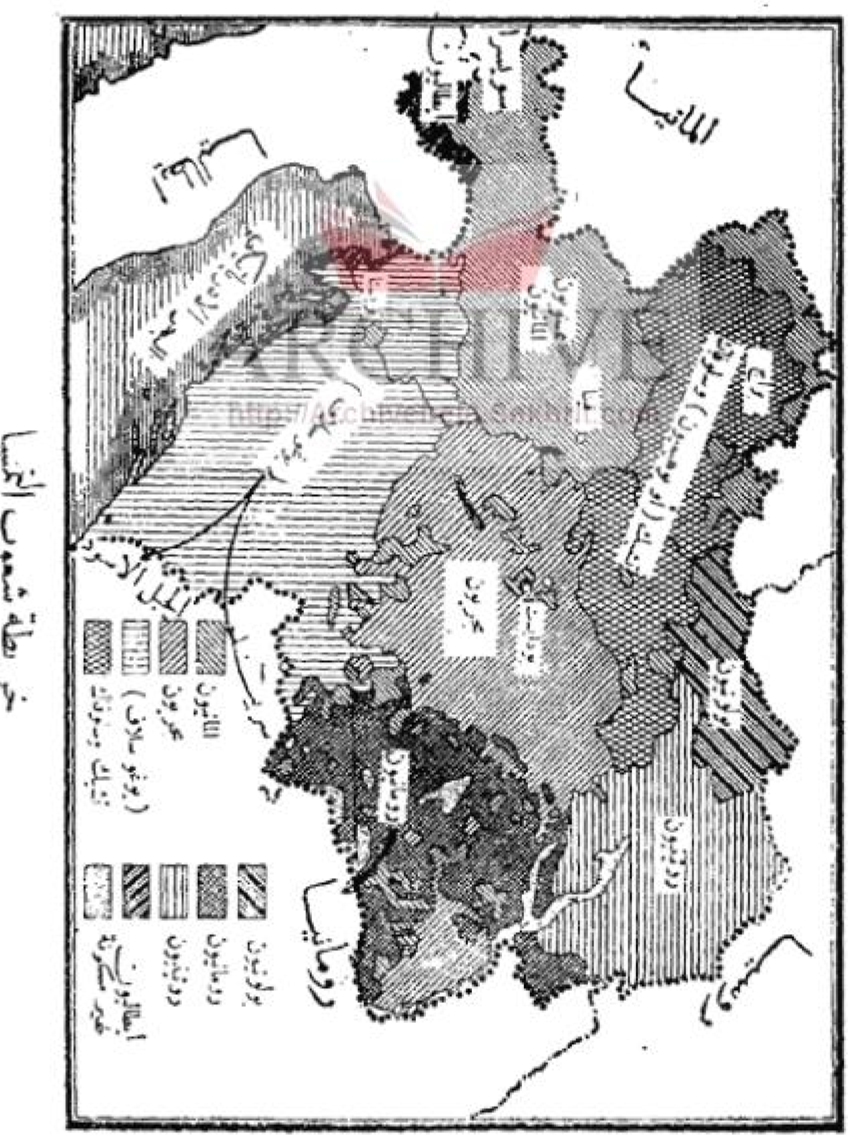
اتجهت الانظار في الاشهر الاخيرة الى الشعوب المختلفة التي تتألف منها الامبراطورية النمسوية المجرية ، ولا سيما اثر الاعمال الباهرة التي قام بها التشيك والسلوفاك في البلاد الروسية وهي الاعمال التي حملت دول الحلفاء على الاعتراف لهم بامانيهم الاستقلالية — كما اعترفوا ايضاً بأماني البولونيين واليوغوسلاف . ولطالما سمع الناس بالفتن والثورات في انحاء تلك الدولة المختلفة الاجناس واللغات بل ليس بين دول اوربا دولة مثلها كثرت فيها الاضطرابات الداخلية . ولا غرابة في ذلك الاضطراب سهل التسرب الى هذا الجسم العليل الذي اكل عليه الدهر وشرب ، بالرغم من العلاجات والمسكنات التي يكثر من تناولها فان فعلها لايدوم قط فكلما هبت ريح شديدة نفخت الرماد وأججت النار الكامنة تحته . ولا خلاص من هذه الحالة الا بالانحلال

يحكى عن امير نمسوي كان قائداً لاحد الجيوش انه كان يراقب ذات يوم بعض الحركات الحربية وحوله اركان حربه المنتمون الى جهات مختلفة من الامبراطورية . فبينما هم كذلك اذا بجندي جاءهم راكضاً وأخذ يشير بيديه ويتكلم لغة لم يفهمها الامير . فالتفت الى رئيس اركان حربه وكان مجرياً وقال له : « أظنه يتكلم المجرية فهل لك ان تترجم لي اقواله » فاجاب هذا : « لم افهم يا سيدي كلمة مما قال فهو لا يتكلم المجرية ولا الكرواتية التي أعرفها ايضاً . لعل لغته رومانية » فتقدم الامير الى ياوره وقال : « انك لاتيني الاصل وتستطيع ان تفهم هذا الكلام أليس كذلك ? » فهز الياور رأسه وقال : « كلا . هذا الرجل ليس ايتالياً ولا هو روماني » فكرر الامير السؤال على طبيب بولندي ثم على ضابط تشيكي من دون ان يظفر بفائدة . ولما لم يجد بين رجال حاشيته من يفهم لغة الجندي اضطر الى الاستعانة بمترجم فني كان في الصفوف الخلفية

ان هذه الحكاية تبين لنا مشهداً من مشاهد الحياة في تلك البلاد . ولا وصف لها من هذا القبيل أبلغ من الخريطة المنشورة هنا فانها تبين اللغات المختلفة

التي يتكلمها اهالي النمسا . وكل لغة من هذه اللغات يقابلها شعب يختلف عن جيرانه في التاريخ والعادات والتقاليد

على ان هذه الشعوب ليست على مستوى واحد من الوجهة السياسية فانها تختلف في الشأن والمكانة ودرجة الاستقلال . وعلى الاجمال يقال انها تقسم الى فريقين يدخل كل فريق منهما تحت نفوذ أحد الشعبين المسيطرين على الامبراطورية وهم الالمان والمجر (فالامبراطور هو في آن واحد امبراطور النمسا وملك المجر) . على ان هذين الشعبين لا يزيدان على ٤٤ في المئة من مجموع عدد السكان.



واليك جدولا بالشعوب القاطنة للامبراطورية النمسوية المجرية حسب احدث الاحصاءات

(١) النمسا ٢٨ مليوناً منهم :

- ١٠ ملايين المان
- ١٧ مليوناً سلاف
  - ٦ ½ تشيك
  - ٥ بولونيون
  - ٣ ½ روثينيون
  - ٢ يوغوسلاف
- ١ مليون ايتاليون ورومانيون

(٢) المجر ٢٢ ½ مليوناً منهم :

- ١٠ ملايين مجر
- ٧ ½ ملايين سلاف
  - ٢ سلوفاك
  - ٥ يوغوسلاف
  - ½ روثينيون
- ٢ المان
- ٣ رومانيون

(٣) المجموع في النمسا والمجر

١٢ مليوناً		المان
١٠ ملايين		مجر
٨ ½	«	تشيك وسلوفاك
٧	«	يوغوسلاف
٥	«	بولونيون
٤	«	روثينيون
٤	«	لاتين (رومانيون وايتاليون)

ولا بد للقارىء من الاستفحاص عن الاسباب التي كوّنت الامبراطورية النمسوية المجرية بهذا الشكل المختلط . فالجواب ان لذلك اسباباً بعضها خارجي والبعض داخلي

أما السبب الاول الذي دعى الى تكوّن النمسا على هذه الصورة فهو خوف تلك الشعوب المختلفة فيما مضى من الاتراك وهم اعداؤهم المشتركون . فقد توفقت أسرة هابسبرج الى جمع الشعوب المسيحية القاطنة تلك الجهات لمحاربة الاتراك . وحفظ سيادتها عليها ما برحت تثير بينها الفتن والحزازات عملاً بسياسة « فرّق تسد »

اما السبب الآخر فهو اولاً سعي المانيا لاستخدام النمسا في تحقيق مآربها السياسية في الشرق ، ثم وجود روسيا التي ما برحت تعضد الحكومات المستبدة وتحول دون

انحلالها ، واخيراً رضي اوربا بتلك الحال خشية حدوث الحروب والاضطرابات من جراء انقسام النمسا

* * *

ويجدر بنا الآن ذكر كلمة عن اماني الشعوب التي تتألف منها النمسا . ولن نذكر شيئاً عن الالمان والمجر وهما الشعبان المسيطران على سائر الشعوب فان امنيتهما ليست الا بقاء الامبراطورية واستعباد اهاليها . أما الشعوب الاخرى فهي :

التشيك : يقطنون بوهيميا (من مقاطعات النمسا) ويودون ان يؤلفوا أمة مستقلة مع السلوفاك القاطنين في بلاد المجر .

اليوغو سلاف (أو سلاف الجنوب) : يشتملون على الصربيين والكرواسيين والدلماسيين وهم يقطنون مقاطعات البوسنة ودلماسيا وكرواسيا . وقد كانوا يعملون جماعات منفصلة للاستقلال والاتحاد مع سربيا والجبل الاسود ولكنهم اتفقوا اخيراً على العمل معاً ولا سيما بعد معاهدة كورفو التي اتفق عليها زعماؤهم في سنة ١٩١٦

البولونيون : (يقطنون غاليسيا) كانوا أقل الشعوب النمسوية عداء لحكومة فينا . وقد كانت حالتهم افضل من حالة اخوانهم البولونيين في المانيا وفي روسيا ولكنهم مع ذلك بولونيون قبل كل شيء

الرومانيون : كانوا تحت نير المجر . وقد تحققت احلامهم زمناً قصيراً اثر دخول الجيوش الرومانية في بلادهم ولكن تلك الاحلام زالت اثر تقهقر الرومانيين وانخذالهم

الروثينيون : يطلبون الانضمام الى الاكرانيين في روسيا فانهم واياهم من اصل واحد

الايتاليون : (في جهات تريستا وترنتينو) يتوقون الى الانضمام الى ايتاليا

* * *

ومن يطلع على الاضطرابات والفتن التي حدثت في النمسا في اثناء هذه الحرب لا يبقى لديه مجال للشك في قرب انحلالها . واليك أمثلة من ذلك :

بلغ عدد المحكوم عليهم بالاعدام في البلاد النمسوية من اول الحرب حتى يناير سنة ١٩١٦ نحو ٣٤٦٣ شخصاً (منهم ٨٠٠ في البوسنه و٧٢٠ في بوهيميا)

ومن اغرب الفتن التي حدثت في النمسا تمرد الآلاي التشيكي الثامن والعشرين الذي ذهب الى خط القتال وهو ينشد اناشيد وطنية سلافية فيها مدح للروس

والفرنسيين كاصدقاء لهم ضد الالمان . ورفع جنوده علماً كبيراً كتبوا عليه « اننا ذاهبون لمحاربة الروس ولكن ليس من يعرف السبب » . وقد استغنموا اول فرصة سنحت لهم فسلموا أنفسهم جميعاً للروس . وقد حدث مثل هذا الحادث في آلايات أخرى منها الآلاي الثامن والآلاي الثلاثون والآلاي الثامن والثمانون . وبلغ عدد الصحف التشيكية التي اوقفت عن الصدور في شهري مايو ويونيو سنة ١٩١٦ ٧٨ صحيفة

أما الجهات الرومانية الاصل فقد تحمل اهلها من الظلم الواناً . فمن امثلة ذلك أن الحكومة المجرية (المسيطرة عليهم) سجنت في العقدين الاخيرين اكثر من ٣٥٠ من كتابهم وأدبائهم بتهمة « التحريض على الشعب المجري » ومن غرائب النظام النيابي المجري أنه ليس للثلاثة ملايين ونصف مليون روماني الا خمس ممثلين في مجلس النواب

ولعل أفظع ما حدث من هذا القبيل كان في المقاطعات السلافية الجنوبية فقد عانى اهلها صنوف العذاب لميلهم الى السرب والجبل الاسود (وذلك الميل كما لا يخفى في مقدمة الاسباب التي اثارت هذه الحرب) . ولما تقهقر الجيش السربي بعد انتصاراته الاولى انتقمت الحكومة النمسوية أفظع انتقام من الاهلين الذين كانوا قد أحسنوا استقبال اخوانهم في الجنس . فمن أمثلة ذلك أن جريدة شبه رسمية تصدر في البوسنه نشرت بين ٢٠ فبراير و٢٣ مارس سنة ١٩١٥ قائمة تحوي ٥٢٦ أسرة طردت كلها من مقاطعات البوسنه الى الجبل الاسود أو غيره من جهات الحدود في حالة يرثى لها

وقس على ذلك أمثلة كثيرة يضيق عنها المقام

عقيدة الاميركي

[الهلال] اطلعنا على هذه القطعة في احدى المجلات الاميركية وهي تعبر احسن تعبير عن روح الشعب الاميركي وغاياته السامية

أثق بكرامة العمل وقداسة العائلة وسمو غاية الديموقراطية

الشجاعة حقي الموروث والعدل امنيتي العليا والثقة بالانسانية نجمي المرشد

قسماً بتضحية الذين تألموا كي أحيا والذين ماتوا لتعيش اميركا اكرس حياتي لوطني ولتحرير الانسانية

الجندي الياباني

وكتابه المقدس

يحمل كل جندي وضابط في الجيش الياباني كتاباً هو في نظره بمنزلة الكتب المقدسة . وما ذلك الكتاب الا أمرٌ اصدره الى رجال جيشه الامبراطور ميجي الامبراطرة السابقين وقد ترجم حديثاً الى اللغة الانكليزية ونشر في مجلة القرن التاسع عشر فرأينا نقل أهم ما جاء فيه . فانه جدير أن يكون كتاباً مقدساً جندي في العالم اجمع . وينحصر الكتاب في خمسة فصول يتناول كل فصل منها صا من الصفات الخمس التي يجب أن يتحلى بها الجندي وهي : حب الوطن والنظ والشجاعة والاستقامة والاقتصاد . واليك أهم ما جاء في ذلك الكتاب :

[illegible]

...ين يجيء وقت العمل

أن أمن البلاد واعزاز الوطن موكولان الى الجيش . ولذا يجب أن تذكروا هدم نظامكم أو تقهقره يرادفان رفعة وطنكم أو ذله . ويجب عليكم ألا تعيروا الا الى الآراء التي يبديها الجمهور والا تعنوا بالسياسة حتى تكرسوا أنفسكم لما تعهدة نحو وطنكم عادين الامانة أوطد من الجبال والموت أخف من الريشة .

على استقامتك وتحمل بصبر ما يحل بك من المصائب التي لا تتوقعها فبذا سمعتك نقية

النظام

لكل من القائد الاكبر والجندي البسيط وظيفة تجاه الآخر . ولا ة العلاقات العسكرية على الامر من جهة والطاعة من الجهة الاخرى فان بين

المرتبة الواحدة تفاوتاً في السن والخدمة . فعلى الجندين الحديثين أن يحترموا الجنود الذين سبقوهم في سلك الخدمة كما أنه على كل جندي أن يطيع رئيسه كما يطيعنا نحن . وهذا الاعتبار يتناول الضباط والجنود المتقدمين في الخدمة حتى في حين ينتسبون الى فرق مختلفة . وعلى الرؤساء ألا يكونوا متكبرين ولا متصلفين

فعلى كل رئيس أن يكون لطيفاً ورقيقاً تجاه مرؤوسيه الا حين تأتى الشدة والصرامة عن القيام بالواجب . وهكذا يتيسر لاهل المراتب كلها أن يعملوا معاً لمصلحة الامبراطورية . فكل حامل للسلاح يهمل هذه القاعدة ــ سواء تواقح مع رؤسائه أو اغلظ معاملة مرؤوسيه ــ يجب أن يعد سماً لوظيفته وخائناً لوطنه

الشجاعة

لقد عبدت الشجاعة في مملكاتنا منذ قديم الزمن . ولهذا يجب على كل واحد من رعيتنا ان يكون قوياً جريئاً وعلى الخصوص ينبغي لاولئك الذين فرض عليهم التأهب المستديم للقتال ان يذكروا ان اول واجب عليهم ان يتحلوا بالبأس والشجاعة . [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

كالذئاب . فهذا الامر خطير يجب [illegible]

الاستقامة والامانة

ان هذه الفضيلة واجبة على الشعب باسره ولكنها على الخصوص تلزم الجندي الذي يصبح بدونها عديم القيمة بين زملائه . ويمكننا ان نحدد الاستقامة بكونها المحافظة على الكلمة ، والامانة بانها مواظبة الانسان على القيام بواجبه . ولكي يكون الانسان مستقيماً وأميناً يجب عليه في أول الامر ان يتبين أعماله وان يثق بقدرته على الاحتفاظ بوعده

فاذا تعهد امريء بشيء لا يضمن عمله باستقامة وأمانة فانه يعرض نفسه لمتاعب

كثيرة . ولن يجدي الندم عند عجزه عن القيام به . ولذلك يجدر به اولاً أن يفكر ملياً ويفحص نفسه حتى اذا تراءى له أن الغرض صعب المنال تنحى عنهُ . . .
ينبغي اعتبار هذا الموضوع بمزيد الاحترام

الاقتصاد

على الجند ان يعملوا بهذه الفضيلة والا فانهم يعرضون أنفسهم لان يكونوا مخنثين ذاتيين متراخين وطماعين صغيري النفوس . . . . .

* * *

وجاء في ختام الكتاب :

ان هذه البنود الخمسة تشمل روح الجندية كما ان الاخلاص روح هذه البنود. فانه ان لم يكن القلب صادقاً فليست الاقوال الحسنة والاعمال الجميلة الامظاهر خارجية لاقيمة لها . ولكن من صدق قلبه استطاع ان يأتي مايشاء . . .

كلمات مختارة

البغض غضب الضعفاء

ما أضعف صوت الضمير حين تصيح المعدة — ديدرو

المرأة عصب الانسانية والرجل عضلها — الاستاذ هاله

. . . ذلك الجهل العظيم الذي يسمونه الطهارة — هوغو

من عاش بلا جنون ليس عاقلا بقدر ما يعتقد

يفكر الانسان بعقله ولكنه يعمل بوحي قلبه

لكل انسان ثلاثة طباع : طبعه الحقيقي والطبع الذي يظهر به امام الناس والطبع الذي يعتقده في نفسه — الفونس كار

ليست اللذة اجرة الفضيلة ولا الباعث عليها وانما هي تابعة لها . فالفضيلة لا تُحب لانها تجلب المسرة ولكنها تجلب المسرة لانها تحب

من الصعب أن يحب الانسان من لا يحترمه ولكنه اصعب عليه ان يحب من يحترمه اكثر من نفسه — لاروشفوكو

التفكير الطويل لا يؤدي دائماً الى افضل حكم — غوته

جزيرة سيلان

أحوالها الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية

من رحلة لصاحب الامضاء

في الاوقيانوس الهندي على مقربة من رأس غومرين في جنوبي هندستان قطعة من الارض على شكل قلب الانسان تدعى « جزيرة سيلان » . طولها ٢٧٠ ميلا بمعظم عرضها ١٤٠ ميلاً ومساحتها ٢٥٤٨٠ ميلا مربعاً . ومع كونها في المنطقة الحارة فاقليمها لطيف وهواؤها منعش ولا سيما في الليل . أما على الجبال في داخلية الجزيرة فيشتد البرد الى درجة الجليد . وتكثر الامطار على سفوحها الغربية فيبلغ مقدار المطر في بعض السنين ٢٠٠ قيراط . وبذلك لبست الجزيرة حلة سندسية لكانت جنة الله في خلقه . قال فيها أحد الكتاب الاوربيين « تكثر الامور المحبوبة في سيلان . أولها حالها الاقتصادية فيقصدها الماليون لتوظيف أموالهم في أسواقها فتدر عليهم الارباح الطائلة . وثانيها اقليمها البديع فيؤمها الاوربيون هرباً من برد وربا القارس . ومن زارها مرة زارها بعدها مراراً رغبة في لطيف اقليمها وجمال مناظرها . فهي فردوس نعيم للاوربي المقيم في مفاوز هندستان المحرقة اذ تجدد له شبابه وتزيده نشاطاً وقوة في أقصر وقت وبأقل نفقة . أما الاغنياء وعشاق الشفاء فاذكر لهم سيلان وكفى . وكذلك المستشرقون وعلماء الدفائن والآثار . وانه لهشنا ان يتنكب عن زيارتها واحد من القادرين على ذلك »

***

وهي بلاد زراعية فيها ٥٦٠ الف فدان أرض مستعملة ما عدا الغابات والحراج تخصب فيها الشاي والبن والارز والكاوتشوك والبهارات وجوز الطيب . وفي هذا الأخير قال الاستاذ كبر في كتابه « شجرة الطيب للسيلاني هي كل شيء : يبني بيته منها ويسقفه بغصونها ويصنع من لحائها حبالاً لربط رفوفه وتسييج مزارعه وتعليق أرجوحته . ويطبخ طبيخه على قشور ثمارها . ويصنع من تلك القشور ملاعق وصحافاً للاكل ويعمل بغصونها أطواقاً يركبها في البحيرات والانهار للصيد . ويشرب ماءها اذا هو عطش . ويأكل لبابها اذا هو جاع . ويرشف خمرها اذا رام

الطرب . ويدلك جسمه بزيتها اذا مرض . ويحلي قهوته بعسلها ويمزج شايه بلبنها . ويتخذ قشرتها مصباحاً ينير بزيتها . وحين يولد وحين يموت يوضع على سريره وعلى قبره طاقات من أزهارها لطرد الارواح الشريرة عنه »

وبمناسبة قوله « ويشرب ماءها » أذكر ما حدث لي في ليل ١٧ فبراير (شباط) سنة ١٩١٨ وأنا في القطار من كولمبو الى كلكتا . فقد اكلت وطلبت الماء لانني شريب . فلم أجد . وخفت ان أنزل من القطار فلا أعرف لغة القوم لأسألهم عن موضع الماء وأخاف ان يفوتني القطار . فحرت في أمري ولكننا ما لبثنا ان وصلنا الى محطة دفيا نقودا فاجتمع حول القطر باعة جوز الطيب . ففطنت الى مائه . فبادرت واشتريت واحدة بثمن بخس فيها ما لا يقل عن ٤٠٠ غرام ماء عذب لذيذ ويكفي انه نقي خال من الميكروبات والاقذار . وأذكر انني رويت باقل من نصف الماء وظللت أعلل النفس به مسافة طويلة . فحقاً ان جوز الطيب في تلك المنطقة من أعظم بركات الله

وفيها من الحيوانات البقر والخيل والماشية ويكثر السعدان في آجامها والفيل والتمساح أيضاً

وفيها من المعادن حجر الصفير وعين الهر والياقوت والمرجان واللؤلؤ والبلومباجو والملح . تجارتها واسعة وموقعها الجغرافي يساعدها على ذلك فانها على مسافة ٣٥٠٠ ميل من السويس و٣٨٠٠ ميل من جنوبي أفريقيا و٣٤٠٠ من هنغ كنغ و٣١٠٠ من أستراليا . فتصدر سنوياً ١٨ مليون ليرة من الشاي و٥٠٠٠٠٠٠ جالون من زيت النبات وكثيراً من العاج والدخان والقهوة والبهارات وتستورد الارز والفحم والمنسوجات والخزفيات والخمور وأكياس القنب والعقاقير الطبية

عدد سكانها ٤٥٠٠٠٠٠ نفس منهم ٣٠٠٠٠٠٠ سيلانيون و١٢٠٠٠٠٠ هنود و٢٦٦٠٠٠ مور و١٤٠٠٠ برغل و٢٠٠٠٠ أوربيون وعرب وأعجام وخلافهم . وينقسمون حسب المذاهب هكذا : ٢٧٠٠٠٠٠ بوذيون و١٣٠٠٠٠٠ براهمة و٣٢٠٠٠٠ مسلمون و٣٢٠٠٠٠ كاثوليك و٧٠٠٠٠ بروتستانت . والحرية مباحة فيها لجميع المذاهب والحكومة في أمر الدين على الحياد . البرغل هم أبناء البرتوغاليين والهولانديين وأكثرهم موظفون في الحكومة

تنفق حكومتها سنوياً على المعارف نحو ١٤٠ الف جنيه انكليزي ولها على نفقتها الخاصة ٨١٧ مدرسة وتساعد ٢٠٣١ من المدارس الخيرية . ويوجد في الجزيرة ١٣٠٠ مدرسة أخرى مستقلة فمجموع المدارس ٤١٤٨ طلبتها ٤٠٠ الف

كشف هذه الجزيرة البرتوغاليون سنة ١٥٠٥ ودخلها الهولانديون سنة ١٥٩٥ وملكوها سنة ١٦٥٦ وانتزعها منهم الانكليز سنة ١٧٩٧ وهي في قبضة يدهم الى اليوم ويعينون لها حاكماً انكليزياً يدير شؤونها بالاستقلال عن هندستان . ونقودها غير نقود هندستان . فلا يتداول فيها نقد هندستان ولا نقدها هناك بل يلزم التبديل

مدينة كولمبو

هي عاصمة سيلان ومقر الحاكم الانكليزي ودوائر الحكومة العليا . موقعها على شط الجزيرة الغربي . عدد سكانها ٣٠٠ الف نسمة وهي نقطة دائرة الجزيرة سياسياً واقتصادياً وروحياً . لها مرفأ حسن لرسو السفن مساحته ٦٦٤ فداناً مصنوع بسدود متينة محكمة

مدينة كولمبو واسعة الجناب ، حسنة الوضع ، عريضة الشوارع ، نظيفة الجنبات ، جميلة الساحات ، كثيرة الاشجار ، صافية المياه ، عديدة العناصر ، وافرة المخازن والبضائع . يحيط بها البحر من الجهات الثلاث والفراديس من الرابعة . فيخال المرء فيها أنه في جنات تجري من تحتها الانهار . تكثر فيها البيوت المالية والاندية الادبية والمتصدقات العلمية ففيها من الكليات كلية سانت جوزيف وكلية ولسلي وكلية رويال وكلية التهذيب وكلية سانت توماس وكلية السيدات وكلية فوياتفودا للبوذيين

زرت هذه الاخيرة فاذا هي مدرسة دينية فيها ٤٠٠ طالب يدرسون الديانة البوذية وفلسفة كنفوشو ولغة السنسكريت . مدة التحصيل فيها عشر سنين . ولا يأكلون في اليوم الا مرة واحدة . ويلبس رهبانها اللون الاصفر . ولا يقابل رئيسهم أحداً الا في مولد القمر وابداره . وفي المدرسة مكتبة عمومية فيها قاموس سنسكريتي عليه كتابة بخط أدوارد السابع ملك الانكليز . وصورة مؤسس المدرسة الحبر سري مونفرا وضريحه . وفيها هيكل بوذي وهو اول هيكل وثني زرته . وخلعت نعلي عملا بالاشارة وهو صغير الحجم حسن الصنع محكم الوضع مزدان بالصور الجميلة من

الارض الى السقف . وفيه ثلاثة تماثيل لبوذه المهم . الاول أكبرها قبالة الباب وم
مضطجع بعظمة وعيناه كلهيب النار ولا ينقصه عن الاحياء الا الكلام . والثاني
الى يمين المدخل وهو واقف يعظ . والثالث الى يسار المدخل وهو قاعد يسلّم وم
أصغرها . أما باقي الصور فتدل على تاريخ حياته لما كان في بيت أبيه ولما تزوج و
ترك امرأته وجال ينشر دعواه وصور تلامذته وتابعيه الخ . .

كولمبو مدينة زاهرة غنية في معدات الراحة كاسلاك البرق والترام الكهربائي
والسكك الحديدية والجنائن والمستشفيات . وفيها متحف جميل ومكتبة عمومية كبيرة
وهي نقطة السكك الحديدية ومنها تسير القطارات الى انحاء الجزيرة شرقاً وشمالاً
وجنوباً (غربها البحر) . ومما هو جدير بالذكر ان القطار يسير فيها يومياً الى كلكتا
مع انها (كولمبو) في الجزيرة ويفصل البحر بينها وبين هندستان . واليك البيان

تمتد من شمالي سيلان نحو بلاد الهند شبه جزيرة تدعى منار طولها ٢٦ ميلا
ومن محاسن الصدف انه برز من بر الهند المقابل لها شبه جزيرة تدعى بمبام . وبين
بمبام تمتد جزيرة في البحر بينها وبين منار وتدعى رامسوار. قد الانكليز سكة الحديد
من سيلان الى نهاية منار عند محطة طالمناي . وكذلك من الهند الى نهاية بمبام وهنا
وصلوها برمسوار بجسر فوق البحر فوصل الى نهاية رمسوار عند محطة دانشكودي
والبحر بين دانشكودي وبين طالمناي عشرون ميلا يدعى جسر أدمس وهنا ينقل
الركاب من الهند واليها في رفاص على حساب الشركة بدون أن يدفعوا شيئاً . فيقطع
المسافر ورقة السفر من كولمبو الى الهند وحين يصل القطار الى طالمناي يرى
الرفاص والحمالين بانتظاره وبعد نصف ساعة يكون قد تمّ نقل كل شيء فيسير الرفاص
نحو دانشكودي وبعد ساعتين يكون فيها ، وهناك القطار بالانتظار فلا يمضي نصف
ساعة الا وقد تمّ نقل الركاب وسار القطار يفري الحزونة والبطاح . وفي نية حكومة
هندستان وصل سيلان بالهند بكبري فوق البحر والرسوم الهندسية معدة لذلك

ليس في كولمبو قهوة ولا مكسلة ولا خمارة الا مياسس . ويندر ان ترى النساء
الوطنيات في الشوارع . اكثر بناياتها مؤلفة من طبقة واحدة وبيوتها الوطنية واسواقها
الوطنية زرية ليس فيها ما يستحق الذكر . تصدر صحفها اليومية باللغة الانكليزية و
متينة الورق غزيرة المادة صريحة العبارة . وقد تصدرت احداها بهذه العبارة
« لا ترشوها الارباح ولا تخضعها القوة »

﴿ اهاليها ﴾ رجالها كالنساء يرخون شعور رؤوسهم ويلفونها على قرص الرأس كنسائنا ويضعون فوقها الامشاط ولكن عكس وضع سيداتنا اياها بحيث يكون طرفاها الى الامام ويلبسون الحلي كالنساء تماماً . حال وصولي الى كولمبو ذهبت الى ادارة البريد واذا في الباب سيدة بالوزرة والقميص حسنة القوام بديعة الهندام لفت شعرها في قرص الرأس فكان كقطعة من الماس وقد تقرَّطت وتخزَّمت وتختقت وتسوَّرت وتحجلت . ولما ادارت وجهها ادهشني انها رجل عارضاه أنحن من ذنب ابن آوى وعيناه كعيون الاسد الهائل . وهم سود البشرة عراة الابدان يلبسون الوزرة على الوسط وان زادوا عليها فالقميص . ومنظرهم مهيب لان عيونهم تدل على قوة أدمغتهم ويعملون بجد وسكون ورضاء فلم اسمع احدهم يتذمر أو يتضجر قط

لغتهم السيلانية فرع من السنسكريتية . وقد شاقني تدفق خطبائهم بها تدفق السيول — سمعتهم يعظون على قارعة الطريق والناس حولهم مئات

اكثر عرباتها من نوع الركشا وهي صغيرة تحمل راكباً واحداً يجرها رجل بدل الخيل لها دولابان محوطان بالكاوتشوك والذي يجرها حافي القدمين فلا تسمع لها ولا له صوتاً . وفي شوارع كولمبو مئات من الركشات مستعدة للعمل . واجرة الركشا في الساعة نصف روبية . ولم أسمع قط حوذياً يخاصم أو يصيح او يراجع في امر الاجرة . وأظن ان السبب في ذلك انهم لا يشربون الحشيش ولا يوغلون في الفحشاء

يحار العقل في أمر هذا الوجود . هنا عند خط الاستواء وبين هؤلاء السود العراة تتجلى شموس المدنية وتخفق أعلام الحرية والامن وتنتشر أنوار العلوم بفضل حكومة عادلة عاقلة حكيمة . وبلادنا فردوس الدنيا ومهد التمدن بلاد الدجلة والفرات ولبنان الارض التي تفيض لبناً وعسلاً تخيم ظلمات الجهل ويرفرف غراب الموت لقد انعدم الامن والعدل والانصاف

وإذا نظرت الى البلاد رأيتها تشقى كما تشقى العباد وتسعدُ

ابرد البرد واحر الحر

احدث المباحث العلمية في خواص البرد والحر

ماهية الحرارة ومقياسها

اتفق علماء الطبيعة أخيراً على أن الحرارة هي حركة اهتزازية في المادة . و مقدار الحرارة مناسب لاهتزاز دقائق الجسم الحار . أي أنه كلما اسرعت الدقائق الاهتزاز شعرنا نحن بشدة الحرارة وكلما ابطأت فيه شعرنا بالبرودة . ولم يكن ل من دليل على مقدار هذا الاهتزاز غير ما فطرنا عليه من الاحساس بالحر والبرودة . على ان الاحساس بهما لا يعد دقيقاً تتعين به درجاتهما كما ان سائر حو لا تصلح قياساً حسابياً مضبوطاً لما نحس به من نور وصوت وثقل الخ . ولذلك بق الحرارة غامضة القدر الى أن توفق العلم لاستنباط الترمومتر وهو مقياس الحر الشائع استعماله

على أن هذا المقياس مقصور على مدى من الحرارة قليل جداً وهو المدى تتراوح فيه الحياة تقريباً أي المدى الذي يمكن أن تعيش فيه الاحياء بعضها في وبعضها في بعضه . وأما دونه فما لا يموت فيه لا ينمو وأما فوقه فلا يعيش حي . و المدى المشار اليه هو الذي يبقى فيه الماء في حالة السيولة فان هبطت حرارته عنه جليداً وان تجاوزته حرارته تحول الى بخار . وقد قسم هذا المدى بمقياس سن الى مئة درجة باعتبار درجة الجليد صفراً ودرجة الغليان ١٠٠ وقسمه فه الى ١٨٠ جاعلا درجة الجليد ٣٢ ودرجة الغليان ٢١٢ وقسمه ريومر الى ٨٠ الجليد صفراً . ومقياس سنتغراد اكثر شيوعاً

انهى برد

على أن درجة تجليد الماء ليست منتهى ما تهبط اليه الحرارة . ذلك لان مواد يمكن أن تهبط عن هذه الدرجة كثيراً وهي بعض الغازات التي يمكن تحو بالوسائل الصناعية كالضغط وغيره الى السيولة كالهيدروجين الذي هو أخف ال والطفها . وقد وجد أن ضغط الغاز أو مقاومته ما حوله أو ما يشتمله تزيد درجة من درجات سنتغراد $\frac{1}{273}$ من مقدار ضغطه أو مقاومته عند درجة

ينقص كذلك $\frac{1}{٢٧٣}$ لكل درجة تحت الصفر

وحاصل ذلك أن ضغط الغاز عند درجة ٢٧٣ سنتغراد يكون مضاعفاً وعند درجة ٥٤٦ يكون ٣ أضعاف وعند درجة ٨١٩ يكون ٤ أضعاف وهلم جراً . بالعكس يكون ضغطه منصفاً عند درجة ١٣٦ ½ تحت الصفر وعند درجة ٢٧٣ تحت الصفر لا يبقى للغاز ضغط مطلقاً . وجميع الغازات تحول الى سوائل قبل ان نزل درجة حرارتها الى هذا الحد . ومعنى انتفاء ضغطها أو مقاومتها هو ان دقائقها سكن أي لا تعود تتحرك مطلقاً . ولذلك يصح ان تسمى هذه الدرجة درجة البرد المطلق اذ لا يمكن تصور أبرد منها . وبعبارة أخرى أن درجة الصفر المطلقة أو الحقيقية هي ٢٧٣ تحت صفر سنتغراد وهي تقابل $\frac{٤}{١٠}$ ٤٥٩ تحت صفر فارنهيت الهيدروجين يسيل عند ٢٥٤ سنتغراد وهي أقرب درجة للصفر المطلق وليس رب اليه من درجة سائل الهيدروجين

تغير خواص المواد بتغير درجات الحرارة

وكان من نتائج توصل العلم والصناعة الى اختزال الحرارة حتى درجة الصفر طلقة أن العلم والصناعة أنفسهما استفادا فوائد جمة من هذا الاختزال . فالعلم كتشف أن الاجسام التي تختزل حرارتها اختزالاً تاماً تتغير خواصها الطبيعية مكيمية جميعاً . اذ لا يخفى ان لكل مادة من مواد أرضنا خواص كيمية وطبيعية تص بها عند حرارة عينتها لها الطبيعة حتى اذا أرغمت بالوسائل الصناعية على مجاوزة داها من الحرارة صعوداً أو نزولاً تغيرت خواصها واذا أزيلت تلك الوسائل اهرة عادت اليها خواصها الاصلية . فالماء مثلاً في حالته الطبيعية سائل فان غليناه الى درجة ١٠٠ س تبخر واذا بردناه حتى الصفر جلد . ومعنى ذلك اننا اذا سخنا الماء زدنا معدل اهتزازات دقائقه حتى متى أبلغنا تسخينه الى درجة الغليان اشتد طراب تلك الدقائق وشردت عن حالها المعتاد (وهو الحال الذي تبقى فيه متجاذبة ضها بعضاً) وتجاوزت الى الحالة البخارية . واذا بردنا هذا البخار أو برد من سه بما يختلسه الجو المحيط به من حرارته عاد سائلاً أي عاد الى معدل اهتزازه صلي . واذا استمررنا ان نبرده سائلاً كنا نشل حركة اهتزاز دقائقه أو نخفف عنها حتى تبلغ الى حد السكون وعند ذلك تجتمع تلك الدقائق في شكل جليد متبلور فاذاً يمكننا ان نحول الغاز الى سائل بتبريده . خذ غاز ثاني أوكسيد الكبريت

(وهو يحصل من احراق الكبريت) وبرّده بالضغط فيتحول الى سائل حتى اذا رفعت عنه الضغط عاد الى غازيته الطبيعية وذلك باختلاسه الحرارة مما أحاط به أي الجو الذي يحيط بالوعاء الذي يشتمله يمنحه بواسطة الوعاء الحركة الاهتزازية التي فقدها وبالوقت نفسه يغير الجو من حرارته (أو معدل اهتزازه) قدر ما كسب ذلك السائل منها (كما كان الجو نفسه يكسب من حرارة الغاز في حالة تحوله الى السيولة . وهي الحرارة التي كان يفقدها الغاز حينئذ) . وعلى هذا النحو يستخدم ثاني أوكسيد الكبريت في صنع الثلج

كذلك يمكن ان يخزن غاز الحمض الكربوني (ثاني أوكسيد الكربون المتولد من احراق الفحم) بشكل سائل في أوان حديدية أصطوانية حتى اذا فتح فم الاناء تبخر هذا السائل سريعاً وهبطت حرارة الآنية تحت درجة الصفر . ومن مبهجات هذا العمل ان بعض السائل الكربوني هذا يجمد عند فم الاناء لما يختلسه سائر السائل المتبخر من حرارته كأن بعضه يختلس حرارة بعض قبل ان تتيسر له من المحيط الآخر الحرارة اللازمة لتبخيره كله

ناموس التبريد

وقد توصل الاستاذ ديور الى تحويل الهيدروجين والهيليوم الى سائل في معمل الجمعية الملكية بوسائل مختلفة ترجع كلها الى مبدأ واحد . وهو أن الغاز المضغوط اذا ترك حراً تمدد تخفض درجة حرارة ما يبقى منه . وقد عرف هذا المبدأ اللورد كلفن وانتفع به عملياً لند العلامة الجرماني وهمبسون الطبيعي الانكليزي وكانا هذا يعملان مستقلين

ولكن كيف يبرد الغاز المضغوط اذا أطلق سراحه وترك تمدد أو يتفش (بلغة ابن خلدون) . يفعل كذلك اذا فتح له في الوعاء الذي يحبسه ثقب صغير فقد ثبت انه كلما تطاير منه قسم متبخراً برد ما بقي في الوعاء . وذلك لان المتبخر كان يسلب بقية الحرارة التي في زميله الباقي لكي يتسنى له ان يتطاير بها

وعلى هذا المبدأ استطاع لند وهمبسون ان يتقنا أسلوباً عملياً لتحويل الغازات الى سوائل حتى استطاعا ان يحولا الى سوائل الغازات التي لم يتسنّ تحويلها بالوسائل الاخرى

حفظ السخونة أو البرودة

واذا كان الغاز المتحول الى سائل ميالا شديد الميل الى امتصاص الحرارة مما يحيط به فبطبيعة الحال يختزل حرارة ذلك المحيط (او الوعاء) ويحطها جداً . فاذا أفرغت سائل الهواء في اناء زجاجي اعتيادي لا يلبث أن يغلي ويفور (وهو يغلي عند درجة ١٨٠ تحت صفر سنتغراد) .فيحطم الاناء في الحال اذ يحط درجة حرارته بسرعة لما يختلسه منها . فاذا أريد حفظ السوائل الغازية مدة طويلة يجب أن يكون الاناء مصوناً من حرارة المحيط الذي حوله . وهو معلوم أن الحرارة لا تنتقل الا بواسطة المواد المحسوسة فاذا افرغ ما حول الاناء من أي مادة أصبح الاناء مصوناً من الحرارة . وبناء على هذه الحقيقة العلمية استنبط ديوَر أناء زجاجياً ذا محيطين الواحد ضمن الآخر وأفرغ ما بينهما من الهواء افراغاً يقارب حد الاطلاق وبذلك امتنع انتقال الحرارة من المحيط الخارجي الى المحيط الداخلي . وهب أن قليلاً من الزئبق وضع بين هذين المحيطين فحال وضع السائل الغازي في قلب الاناء يتجمد الزئبق على جدران الاناء وفي هذه الحالة يكون كمرآة تعكس اشعاع الحرارة الذي يصدم سطوح الاناء الخارجية . وعلى هذا النحو تصنع الآن الاواني التي تراد بها صيانة المواد الباردة أو الحارة وحفظها مدة طويلة

البرودة والكهربائية

أما وقد عرفنا فيما تقدم بعض أسرار الحرارة صار في وسعنا أن نذكر بعض الظواهر العجيبة التي تحدث بسبب تبريد بعض المواد الى ما دون حرارتها الطبيعية

اذا غمسنا قطعة من الفضة (في حالة كونها قسماً من دائرة مجرى كهربائي) في هواء سائل تقل مقاومتها للمجرى الكهربائي وقد تنبأ بعض الطبيعيين بان أي مادة معدنية تفقد مقاومتها المجرى الكهربائي اذا اختزلت حرارتها حتى درجة الصفر

واكتشف الاستاذ ديوَر أنه اذا غمس مغنطيساً في الهواء السائل مراراً تشتد قوته المغنطيسية فقط بل تزداد زيادة مطردة . وبفعل المغنطيس ينفصل الاوكسيجين عن النيتروجين من سائل الهواء

ومن غرائب سوائل الغازات أنها تغير بعض الالوان . ولما كان معلوماً أن لون أي مادة يترتب على طول الامواج الاثيرية النورانية التي تمتصها تلك المادة فيستنتج معاً أن تقلص الدقائق عند انحطاط درجة حرارتها يؤثر في امتصاص تلك الامواج .

ولهذا وجد أنه عند انحطاط درجة الحرارة تصفرّ الاشياء الحمراء وتبيض الصفرا وهلمّ جرا

وكذلك وجد ايضاً أن الجرس المصنوع من الرصاص (والرصاص لا يرن يصبح رناناً اذا بُرِّد جداً . والنباتات الرخصة الخضراء اذا غمست في سائل الهو تصبح قصمة ويمكن سحقها في الهون

والغريب أنه وجد في معمل الجمعية الملكية البريطانية أن البكتيريا لا تموت أحط درجات الحرارة (ولكنها لا تنمو)

ذلك ما يزعمه الطبيعيون الآن بشأن الدرجة القصوى من البرودة بناء عل حساب تقدم بيانه وبناء على تحويل غاز الهيدروجين الى سائل عند درجة ٢٥٤ تحت صفر سنتغراد . وهم يعتقدون أن دقائق الهيدروجين تكون ساكنة غير مهتزة حينذاك. ولكن في هذه النظرية نظر . فقد تكون برودة سائل الهيدروجين أقصى ما امكن أن يتوصل اليه الانسان ولكنها قد لا تكون الدرجة القصوى في الطبيعة

بقي أن نسأل هل للحرارة حدٌّ أقصى كالبرودة ؟ وهل استطاع الانسان أن ينتج هذه الحرارة ؟

فقد قيل بهذا الشأن انه اذا كانت سرعة النور منتهى ما في الطبيعة من السر فلا بد أن يكون للحرارة حدّ ما دامت الحرارة عبارة عن حركة اهتزازية في دقائق المادة أو تموجية في دقائق الاثير . ومهما أسرعت هذه الحركة فلا يمكن أن تجاوز سرعة أمواج النور . بل المعلوم انها ابطأ منها . على أن الحد الاقصى للحرارة يعلم حتى الآن ومهما كان ذلك الحد فلم يستطع الانسان أن ينتج حرارة مقاربة كما فعل في انتاج البرودة . وأقصى حرارة أنتجها الانسان هي ٩٤٠٠ درجة م مقياس فهرنهيت (أي نحو ٥٢٠٥ سنتغراد) . ومع ذلك كانت حرارة وقتية لا تتجاوز الثانية أو اللحظة لانها كانت نتيجة انفجار مادة مفرقعة . وقد ذكر العلا ريموند فرنسيس يايتس في مجلة « العلم العام » أن أقصى حرارة توصلت اليها الصنا في السنين الاخيرة قاربت ٣٢٠٠ درجة من مقياس فهرنهيت . وقال أن هذه الدر ليست شيئاً يذكر في جنب الحرارة التي تستعمل الآن في اصطناع الياقوت وكر الكلس والكربوراندوم والجرافيت والفولاذ

الحرارة الكيماوية

واليك ما قاله يابيتس : — ان الانسان يعتمد الآن في انتاج الحرارة على الكيمياء والكهربائية . فالغاز الذي هو مزيج الاوكسيجين والهيدروجين اذا أشعل التهب التهاباً سريعاً شديداً وبلغت حرارته حينذاك ٣٦٠٠ فهرنهيت . وقد استخدم المسيو ڤرنويل الفرنساوي التهاب هذين الغازين لصهر الالومينا مع قليل من أوكسيد الكروميوم لتلوينها واصطناع مادة يستحيل ان تجد فرقاً بينها وبين الياقوت الطبيعي

والاستاذ جولد شميت اكتشف أسلوباً للحصول على درجة ٣٤٠٠ من الحرارة بالتفاعل الكيماوي بين الاوكسيجين والالومينيوم . فمزج حبيبات أوكسيد الحديد بالالومينوم وأحرقها فترك الحديد أوكسيجينه للالومينيوم حتى متى تم هذا التفاعل نصهر الحديد وتجاوزت حرارته درجة غليانه . وهكذا تفعل اكاسيد كثير من المعادن . ولا يخفى ما في ذلك من الفائدة للكيماوي والمعدّن

وقد وجد أيضاً أنه اذا وضع مقدار قليل من التيتانيوم مع الحديد المصهور على نحو ما تقدم تكوّن منهما مزيج صالح جداً للحم المعادن التي كان يتعذر لحمها

وقد امكن الحصول على حرارة أعلى من الحرارة الآنف ذكرها باشعال غازي الاوكسيجين والاسيتيلين بنسبة ١٧ من حجم ذاك الى ١٠ من حجم هذا . ففي قمة لهيبهما الهرمي تكون درجة الحرارة ٦٣٠٠ فهرنهيت . وذلك لان الهيدروجين الذي يفلت من الاسيتيلين يحيط باللهيب ويمنع نقص الحرارة ويحصرها في حيز ضيق . وحينئذ يمكن استعمال الانبوبة النافخة للهيب للحم المعادن التي تعذر لحمها باسلوب جولدشميت

الحرارة الكهربائية

وأما الحصول على الحرارة العالية بفعل الكهربائية فيتسنى بالوطيس الكهربائي الذي تتولد حرارته الشديدة من قوس كهربائية تحدث بين طرفي كربون متصلين بمجرى كهربائي كما هو معروف في المصابيح الكهربائية الساطعة

فالوطيس الذي توصل به مواسون اول مستخدمي القوس الكهربائية الكربونية الى عدة اكتشافات واستخدمه في عدة تجارب بسيط الشأن . فهو عبارة عن قوس كهربائية بين طرفي كربونين كهربائيين وقد تسلط عليهما مجرى كهربائي شديد . والقوس محفوظة في تجويف مصنوع من الجير (الكلس) في هذا الوطيس حصل

مواسون على درجة ٦٣٠٠ فهرنهيت . ولولا ان الكربون ينصهر ويفور عند هذه الدرجة من الحرارة ما كنا ندري كم كانت ترتفع درجة الحرارة فوق ذلك القدر

وهو معلوم ان علم الحرارة الكهربائية رقى كثيراً من الصناعات وخدمها ليس عن يد مواسون فقط بل عن يد غيره من المحققين أيضاً . وكثير من الصناعات استخدمت الوطيس الكهربائي ، فمنها ما استخدمت وطيس اشيسون لصنع الكربوراندوم والجرافيت . وفي هذا الوطيس تكون المواد المطلوب صنعها قسماً من المجرى الكهربائي وتولد مقاومتها للمجرى الكهربائي حرارة تبلغ ٦٣٠٠ فهرنهيت

وبواسطة الوطيس الكهربائي استطاع هول ان يصنع من الالومينيوم ادوات نافعة . وتايلور استخرج به كربيد الكاسيوم بمقادير كبيرة قليلة الكلفة

وأما اعلى درجة من الحرارة فقد ولدها السير أندرو نوبل والسير آبل باختراع الكوردیت وهو البارود الذي لا دخان له . وهو مؤلف من القطن والنيتروجليسرين والهلام المعدني . وحين انفجر هذ الكوردیت في اسطوانة من الفولاذ المتين بلغت درجة الحرارة ٩٤٠٠ فهرنهيت . وهي ناجمة عن سرعة الانفجار ولهذا كانت مدتها قصيرة جداً . فالفائدة من هذه الحرارة علمية فقط حتى الآن . بيد ان بواسطة الكوردیت استطاع السير وليم كروكس ان يصنع قطعاً صغيرة من الالماس

اقوال في الحرية

هل بلغت قيمة الحياة ولذة السلام مبلغاً تستسهل معه السلاسل والعبودية اجارنا الله من ذلك . . . لست ادري المسلك الذي يسلكه غيري أما انا فهواي الحرية أو الموت ـ باتريك هنري (احد خطباء الثورة الاميركية) .

لا تهبط الحرية الى الشعب بل على الشعب أن يرتفع اليها فانها نعمة لا يتمتع الا من بذل جهده في سبيلها ـ كولتن

حيث توجد الحرية فهناك وطني ـ ملتن

الحرية لجسم الجماعة كالصحة لجسم الفرد . فكما ان الانسان لا يتمتع باللذة من غير صحته كذلك الشعوب لا تعرف السعادة من غير الحرية ـ بولنجبروك

البيـــان

بقلم السيد مصطفى لطفي المنفلوطي

[الهلال] ليس بين كتابنا من هو اجدر بالتكلم عن البيان من أمير البيان السيد مصطفى لطفي المنفلوطي . واننا لنود ان يطلع على هذا المقال البديع كل اديب من ادبائنا وكل متطلع الى احتراف الادب من شباننا

عرفت فيما مضى من الايام أديباً كان من اكبر أدباء هذا البلد المضطلعين باللغة وفنونها الحافظين للكثير الممتع من منظومها ومنثورها . وكان لا يكتب كلمة في صحيفة ولا ينشر في الناس كتاباً الا أعجم كتابته وأبهمها وتعمل فيها تعملاً يأخذ على القارئ عقله وفهمه فلا يدري أي سبيل يأخذ بين مسالكها وشعابها . وكنت أحسبها غريزة من غرائزه الغالبة عليه الآخذة من نفسه مأخذ الطبيعة الثابتة والملكة الراسخة فلا سبيل له الى التخلص منها والنزوع عنها حتى اطلعت له عند بعض اصدقائه على كتاب صغير كان قد أرسله اليه في بعض الشؤون الخاصة به وكتبه بتلك اللغة السهلة البسيطة التي يسمونها اللغة العادية . فاعجبت باسلوبه في كتابه هذا اعجاباً كثيراً ورأيت أنه أبلغ ما قرأت له في حياتي من كتب ورسائل وعلمت أن الرجل فصيح بفطرته قادر على الابانة عن اغراضه ومراميه كافضل ما يقتدر مقتدر على ذلك الا أنه يتكلف الركة والتعقيد في كتابته تكلفاً ويأخذ نفسه بهما أخذاً . ولو أنه أرسل نفسه على سجيتها فكتب جميع رسائله ومؤلفاته بتلك اللغة الجميلة العذبة التي كتب بها كتابه هذا لكان من أعظم الكتاب شأناً واكثرهم نفعاً وأرفعهم صوتاً في عالم الكتابة والادب . ولكن هكذا قدر له أن يقضي بنفسه على نفسه حتى مات رحمة الله عليه فماتت بموته نفثاته وآثاره

وقرأت منذ أيام لاحد الشعراء المتكلفين ديوان شعر فلم أفهم منهُ غير خطبته النثرية ولم يعجبني فيه سواها . وما أحسبها أفلتت من يده ولا جاءت على هذه الصورة من الجودة والحسن الا لانه أغفل العناية بها والتدقيق في وضعها فارسلها عفو الخاطر ارسال من يعلم أنه انما يسئل عن الاجادة في الشعر لا في النثر . وأن

الناس سيغتفرون له ضعف الكاتب أمام قوة الشاعر . غير عالم أنه كاتب من أفصح الكتاب وأبينهم . ولو شاء لكان شاعراً من أقدر الشعراء وأنه ما أحسن الا حيث ظن الاساءة ولا أساء الا حيث ظن الاحسان

والله ما أدري ما الذي يستفيده بعض كتابنا وشعرائنا من سلوكهم هذا المسلك الوعر الخشن في أساليبهم الكتابية والشعرية وتكلف الاغراب والتعقيد فيها وهم يعلمون أنهم انما يكتبون للناس لا لانفسهم وان الناس خصوصاً في مثل هذا العصر عصر المدنية والعمل والحركة والنشاط أضنّ بانفسهم و باوقاتهم من أن يقفوا الوقفات الطوال أمام بيت من الشعر يعالجون فهمه أو سطر من النثر يعانون كسر صخور الفاظهِ عن مخبآت معانيه . ولم لا يؤثر أحدهم ان كان يكتب للمنفعة العامة ان يستكثر من سواد المتفعين بعلمهِ وفضله . أو للشهرة والذكر أن ينتشر له ما يريد من ذلك بين جميع طبقات الامة عامتها وخاصتها جاهلها وعالمها . وهل الشعر والكتابة الا احاديث سائرة يحادث بها الشعراء والكتاب الناس ليفضوا اليهم بخواطر أفكارهم وسوانح آرائهم وخلجات نفوسهم ؟ وهل يعني المتحدث في حديثهِ شيئاً سوى أن يعي عنه الناس ما يقول وأن يجد بين يديه سامعاً مصغياً ومقبلاً محتفلاً وأي فرق بين أن يجلس الرجل الى جمع من اصدقائه ليقص عليهم بعض القصص أو يوحي اليهم بعض الآراء فيتلطف في تفهيمهم وايصال معانيهِ الى نفوسهم ويتفنن في اجتذاب ميولهم وعواطفهم . وبين أن يجلس الى مكتبه ليبعث اليهم بهذه الاحاديث نفسها من طريق القلم ؟ ولمَ لا يعنيهِ في الحالة الاخرى ما يعنيه في الحالة الاولى ؟

ليس البيان ميداناً يتبارى فيه اللغويون والحفاظ أيهم أكثر مادة في اللغة وأوسع اطلاعاً على مفرداتها وتراكيبها وأقدر على استظهار نوادرها وشواذها ومترادفاتها ومتوارداتها . ولا متحفاً لصور الاساليب وأنواع التراكيب . ولا مخزناً لحفظ المجازات والاستعارات . واحمال الشواهد والامثال . فتلك اشياء خارجة عن موضوع البيان وجوهره انما يُعنى بها المؤلفون والمدونون وأصحاب القواميس والمعاجم واه

كتب المترادفات ومصنفو تاريخ اللغة وأدبها . أما البيان فهو تصوير المعنى القائم في النفس تصويراً صادقاً يمثله في ذهن السامع كأنه يراه ويلمسه . لا يزيد على ذلك شيئاً . فان عجز الشاعر أو الكاتب مهما كبر عقله وغزر علمه وذكى ذهنه عن أن يصل بسامعه الى هذه الغاية . فهو ان شئت أعلم العلماء أو أفضل الفضلاء أو أذكى الاذكياء ولكنه ليس بالشاعر ولا بالكاتب

ما أشبه الجمود اللغوي في هذه البيئة العربية بالجمود الديني . وما اشبه نتيجة الاول بنتيجة الآخر . لم يزل علماء الدين يتشددون فيه ويتنطعون ويقتطعون من هضبته الشماء صخوراً صماء يضعونها عثرة في سبيل المدنية والحضارة حتى صيروه عبئاً ثقيلاً على كواهل الناس واعناقهم فمله الكثير منهم وبرموا به واخذوا يطلبون لانفسهم الحياة من طريق غير طريقه . ولو انهم لانوا به مع الزمان وصروفه وتمشوا باحكامه واوامره مع شؤون المجتمع وتقلباته لاستطاع المسلمون أن يجمعوا بين الاخذ باسباب دينهم والاخذ باسباب دنياهم . ولم يزل جماعة اللغويين وعبدة الالفاظ والصور يتشددون في اللغة ويتحذلقون . ويتشبثون بالاساليب القديمة والتراكيب الوحشية ويغالون في محاكاتها واحتذائها . ويأبون على الناس الا أن يجمدوا معهم حيث جمدوا . وينزلوا على حكمهم فيما أرادوا . ويحاسبون الكاتبين والناطقين حساباً شديداً على الكلمة الغريبة والمعنى المبتكر ويقيمون المناحات السوداء على كل تشبيه لم تعرفه العرب وكل خيال لم يمر باذهانهم حتى ملّهم الناس وملّوا اللغة معهم فتمردوا عليهم وخلعوا طاعتهم وطلبوا لانفسهم الحرية اللغوية التامة في جميع مواقعهم فلانهم فسقطوا في اللغة العامية في احاديثهم . وشبه العامية في كتاباتهم . وكادت تقطع الصلة بين الامة ولغتها لولا أن تداركها الله برحمته فقيض لها هذا الفريق الكامل المستنير من شعراء العصر وكتابه الذين عرفوا سر البيان وادركوا كنهه فاتخذوا لانفسهم في مناحيهم الشعرية والكتابية اسلوباً وسطاً معتدلاً جمعوا فيه بين المحافظة على اللغة واوضاعها واساليبها وبين تمثيل روح العصر وتصوير اسرار الحياة . ولولاهم لذهبت اللغة في ايدي الجامدين فماتت . أو غلبت عليها العامية فاستحالت

* * *

قال لي احد أولئك المتكلفين في معرض الاعتذار عن نفسه وقد عتبت عل
في هذا المنهج الخشن الوعر الذي ينهجه في اسلوبه : انت تعلم أن الناس في هذ
البلد قد ألفوا من طريق خطأ الحس أن ينظروا بعين الاجلال والاعظام الى كل
اسلوب شعري او كتابي معقد غامض وان تفهت معانيه وهانت اغراضه . وبعين
الازدراء والاحتقار الى الاساليب السهلة البسيطة وان اشتملت على أشرف الاغراض
وابرع المعاني . أي انهم لا يرون السهولة والاستحمام حتى يظنون التفاهة والسف
ولا يرون الثقل اللفظي حتى يظنون الحذق والبراعة وسمو المعاني واشرفها . و
حالة طبيعية في جميع النفوس البشرية أن تزدري المبذول لها وتستسني قيمة الممنو
عنها . وليس هذا شأنهم مع ادباء هذا العصر فقط بل مع ادباء كل عصر وجيل فهم
يسمون البحتري وأبا نواس والشريف الرضي وامثالهم شعراء الالفاظ . ويسمو
المتنبي والمعري وابن الرومي واشباههم شعراء المعاني . وليس بين الاولين والآخرين
فرق في جودة المعاني وشرفها الا ان الاولين اردفوها الى الناس وبعثروها تحت
اقدامهم فهانت عليهم . وضن بها الآخرون ووعّروا سبيلها فعظمت في عيو
وجلّت في صدورهم . قال ولقد عرضت السلعتين في سوق الادب فكتبت اتف
المعاني وادونها في اخشن الاساليب وأوعرها فنفقت في تلك السوق نفاقاً عظيماً
وكثر المعجبون بها والمكبرون اياها . وكتبت اشرف المعاني وابرعها في الطف
الاساليب واعذبها فما ابه لها الا القليل من الناس وربما لم يأبه لها احد . فلم أر
من ان انهج لنفسي في الكتابة الخطة التي اعلم انها اجدر بي وأجدى عليَّ

فعجبت لرأيه هذا عجباً شديداً وقلت له أما هذا الذي تذكره فاني لا اع
الا لفئة قليلة من المشتغلين بالادب فاسدة الذوق لا يعبأ بها عابئ . وليس هـ
رأي جمهور المتأدبين بل ولا رأي العامة من ابناء هذه اللغة . وهب أن الام
تقول فالادب ليس سلعة من السلع التجارية التي لا همَّ لصاحبها سوى أن يحت
لنفاقها في سوقها . انما الادب فن شريف يجب ان يخلص له المتأدبون باداء

والقيام على خدمته اخلاص المشتغلين بقية الفنون لفنونهم . والادباء هم قادة الجماهير وزعماؤهم فلا يجمل بهم أن ينقادوا للجماهير وينزلوا على حكمهم في جهالاتهم وفساد تصوراتهم . وما زلت به حتى اذعن للرأي الذي رأيته له فحمدت الله على ذلك

* * *

ليس من الرأي ولا من المعقول أن ينظم الشعراء الشعر ويكتب الكتاب الرسائل في هذا العصر عصر الحضارة والمدنية وبين هذا الجمهور الذي لا يعرف اكثر من العامية الا قليلاً باللغة التي كان ينظم بها امرؤ القيس وطرفة والقطامي والحطيئة ورؤبة والعجاج ويكتب بها الحجاج وزياد وعبد الملك بن مروان والجاحظ والمعري في عصور العربية الاولى : فليس عصرنا كعصرهم ولا جمهورنا كجمهورهم. واحسب لو انهم بعثوا اليوم من اجداثهم لما كان لهم بد من ان ينزلوا الى عالمنا الذي نعيش فيه ليخاطبونا بما نفهم او يعودوا الى مراقدهم كما جاؤا

ليست الاساليب اللغوية ديناً يجب أن نتمسك به ونحرص عليه حرص النفس على الحياة انما هي اداة للفهم وطريق اليه لا تزيد على ذلك ولا تنقص شيئاً

يجب أن نحافظ على اللغة باتباع قوانينها والتمسك باوضاعها ومميزاتها الخاصة بها ثم نكون احراراً بعد ذلك في التصور والتخيل واختيار الاسلوب الذي نريد

يجب ان يشف اللفظ عن المعنى شفوف الكأس الصافية عن الشراب حتى يرى الرائي بين يديه سوى عقل الكاتب ونفس الشاعر وحتى لا يكون للمادة اللفظية شأن عنده اكثر مما يكون للمرآة من الشأن في تمثيل الصور والمخائل

يجب أن يتمثل المعنى في ذهن المتكلم قبل ان يتمثل اللفظ حتى اذا حسن الاول افاض على الثاني جماله ورونقه . فاللفظ لا يجمل حتى يجمل المعنى . بل مفهوم للفظ الجميل الا المعنى الجميل

لو لم يكن للفصاحة قانون يرجع اليه من يريد معرفتها ولا مقياس تقاس عليه وجب أن يكون قانونها العقلي أن يترك القائل في نفس السامع الاثر الذي يريده . فان

عجز عن ذلك فلا أقل من أن يصوّر له المعنى القائم في نفسهِ . فان لم يكن هذا و
ذاك فاحتراف أي حرفة من الحرف العامة مهما صغر قدرها وهان أمرها أعود بالن
على الامة وأجدى عليها من حرفة القلم

لا يبك شاعر بعد اليوم ولا كاتب سقوط حظه في الامة ولا يقض حياته باك
عليها جهلها وقصورها كلما رآها منقبضة عنهُ غير حافلة به ولا مصغية اليه . فالامة ق
ارتقت واستنارت وأصبحت طماحة متطلعة لا يقنعها من قلم الشاعر أن يرنَّ ع
صفحة القرطاس دون أن يطربها ويملك عواطفها . ولا من قلم الكاتب أن يس
وجه الصحف دون أن ينير لها أذهانها ويغذي عقولها ومداركها . فان كان لا ب
باكياً فليبكِ على نفسهِ ولينع عجزه وقصوره . وليعلم أنه لو استطاع أن يكتب للا
ما تفهم لاستطاعت الامة أن تفهم عنهُ ما يقول

انني لا ألوم على الركاكة والفهاهة الاغبياء الذين اظلمت أذهانهم فاظلم
أقلامهم ونور القلم قبسة من نور العقل . ولا الجاهلين الذين لم يدرسوا قوانين الل
ولم يمارسوا أدبها ولم يتشبعوا بروح منظومها ومنثورها . ولا العاجزين الذين غلبت
احدى اللغات الاجنبيـة على أمرهم قبل الالمام بشيء من أدب لغتهم فاصبحوا ا
ترجموا ترجمة حرفية ليس فيها مميز واحد من مميزات العربية ولا خاصـة م
خواصها واذا كتبوا كتبوا باسلوب عربي الحروف أعجمي كل شيء بعـد ذلك
فهؤلاء جميعاً لا حول لاحد فيهم ولا حيلة لأنهم لا يستطيعون أن يكونوا غير ذلك
انما ألوم المتأدبين القادرين الذين عرفوا اللغة واطلعوا على أدبها وفهموا سر فصاح
وأنقم عليهم عدولهم عن المحجة في البيان الى الجمجمة والغمغمة فيـهِ وأنعي علم
نقص القادرين على التمام

مصطفى لطفي المنفلوطي

نهضة الادب
في مصر

نهضة الادب في مصر سائرة في طريق يعيد الى النفوس اليائسة بعض الامل ويخفف من تطير الذين أتى عليهم حين من الدهر ظنوا فيه أن العقل المصري لن يبعث بعد أن طال على موته الامد

ولكن هذه النهضة سائرة ببطء يجعلها كأنها تتردد بين التقدم والتأخر، بطء قد لا يكون من نتائجه أقل من تسلط الملل على النفوس والتقهقر بالهمم الجاهدة الى حد اليأس والقنوط فتنطفىء أشعة الامل التي على ضآلتها تجدد كل يوم ما يخور من عزيمة الادباء وتجعلهم يتفاءلون بدنو مستقبل يكون للادب فيه شأن غير شأنه اليوم . واذا بحثنا عن أسباب هذا البطء نجدها ترجع الى أصول ثلاثة هي المصدر لكل ما يتفرع منها من العقبات والعوائق في سبيل تدرج الادب في مصر نحو الكمال

الاصل الاول انصراف الجمهور القارىء عن الادب الصحيح الى أشياء غريبة عنه ليس من شأنها أقل من افساد ذوقه وتخشين شاعريته واتلاف الاوتار الحساسة في روحه وعقله

والاصل الثاني انحطاط فن النقد وبالأصرح انعدامه في النهضة الادبية الحديثة

والثالث عدم اشتغال أدبائنا بالفن حباً فيه

تلك هي الاصول بل الامراض الثلاثة التي اذا لم نعمل على مداواتها يكون من العبث المطلق أن نبتغي معها الوصول الى غايتنا من الادب أو ان نريد ان يكون لنا أدب يربي النفوس ويهذب العواطف ويرقي المدارك ويثقف العقول

— ١ —

أما انصراف الجمهور القارىء في مصر عن الادب الصحيح فليس أدل عليه من قلة عدد طبعات الكتب القيمة التي ظهرت في بلادنا حتى اليوم ومن قلة انتشار الصحف والمجلات الادبية بيننا واني لا أعرف من تلك الكتب ما تجاوز طبعته الثالثة ولا من هذه الصحف والمجلات ما تجاوز عدد المشتركين فيه بضعة آلاف

نعلم أن مبلغ اقبال الجمهور على الادب انما يقاس بمبلغ علم هذا الجمهور وادراكه

لجمال الفنون ، ونعلم ان الجمهور المصري لايزال في مبدأ دور التكون العلمي وان القارئين في الامة لا يزال قليلاً بالنسبة الى عدد أفرادها . نعلم ذلك ولا ننتظر تروج الآن مؤلفاتنا رواج مؤلفات الغربيين ولا ان تنتشر صحفنا ومجلاتنا انتشار صحفهم ومجلاتهم . لذلك لا نتصدى المقارنة بيننا وبينهم ولا نطلب من جمهورنا كله يقتني ما لا يستطيع قراءته من الكتب ولا أن ينكب على ما لا يستطيع فهمه من ثمرات الاقلام . ولكننا نطلب من الطبقة المتعلمة من هذا الجمهور ان تقتني ما يطبع وأن تقرأ ماينشر لان هذه الطبقة هي المنصرفة عن الادب الصحيح انصرافاً ليس العجز ولا الجهل سببه وانما سببه الكسل الذي يجعلنا نستثقل أعمال عقولنا في الكتب الجدية والميل عن حب الاستزادة من المعلومات والمدارك الى الاستغراق في اللهو والانكباب على مطالعة ما لا يكبدنا تعباً ولا يتطلب تفكيراً

لا أريد أن الجأ الى الارقام لاثبات ذلك واكتفي بأن اذكر أمثلة لنا صادقة على اعراض الجمهور عن أشهر وأثمن المؤلفات التي ظهرت في العهد الاخير حتى حوتها طي النسيان : وضع الدكتور شميل مجموعته النفيسة وطبع منها خمسمائة نسخة لم تنفد بعد خمسة عشر عاماً . ونقل الى العربية فتحي زغلول « روح الاجتماع » و « سر تطور الامم » و « سر تقدم الانكليز السكسونيين » وخواطر الكونت كاستري في الاسلام وغيرها . ولا تزال اكثر نسخ الطبعة الاولى من هذه الاسفار النفيسة ترزح في مكاتب الباعة تحت أثقال التراب . وتلك دواوين شوقي وحافظ لم تتجاوز بعد الطبعة الثانية . ولا تزال حتى اليوم في عهد طبعتها الاولى مؤلفات قاسم امين وديوان المطران وتلك قصة « زينب » التي لا جدال في أنها من احسن ما أخرجته الاقلام العربية في عالم التأليف الروائي وقد ظهرت واختفت ولم يشعر بها اكثر الناس

هذه أمثلة قليلة ولكنها كافية لتظهر مبلغ انصراف الجمهور القادر على تفهم المصنفات الى مايقدمه اليه المتجرون بالكتابة كوقائع كارتر واللص الشريف وغيره وهل أنا في حاجة الى تنبيه القارىء الى اعراض الجمهور عن التمثيل الراقي واقباله على تلك السخافات الوقحة السافلة التي يسمونها بالفودفيل والتي يزدحم الناس كل ليلة لاستماعها وحشو آذانهم واذهانهم بها ؟

وهل أنا في حاجة الى القول بأن الجمهور القادر على تفهم آراء محمد عبده وقاسم امين وغيرهما من الكتاب المصلحين انما هو الجمهور بذاته الذي يولي هذه الثمرات

الناضجة من العقول ظهره ليستقبل بالترحاب ما تزفه اليه مسامرات الشعب والمسامير؟
و ليس هذا الجمهور هو الذي يهجر التمثيل المفيد ليصفق المهرجين في شارع عماد
لدين وللذين ليس لهم كسب الا من تشويه الفنون ؟

هذا مبلغ انصراف الجمهور القارىء عن الادب ومبلغ تقديره لجهود الكتّاب
ان دامت الحال على ذلك فليس امامنا ما ننتظره غير أن تثبط عزيمة الادباء وتفتر
همهم وان يتسلط اليأس على نفوسهم فينتهوا الى ان يكفوا عن التأليف والنشر كما فعل
بعض نحوهم ممن حبسوا عنا كتاباتهم فصرنا نتلهف على سطور منها ولا نجدها

— ٢ —

السبب الثاني في بطء تقدم نهضتنا الادبية انحطاط فن النقد فيها وبالاصرح
نقص ملكة النقد في كتّابنا

لا بد للادب من هيئة تشرف وتسيطر عليه وليست هذه الهيئة عبارة عن
أفراد يغتصبون سلطة النقد ويتصدون للبحث في ثمرات الافكار بلا حق ولا كفاءة
انما هي مجموع أفراد تؤهلهم مواهبهم الى ارتقاء منصة الحكم بين قضايا العقول وما
شروط الكفاءة والاهلية هنا الا العلم تعززه فطرة الذوق السليم . وظيفة هؤلاء
الافراد أن ينتقوا من الادب جيده فيظهروا ما خفي من حسنه وما استتر من كماله
ويقدموه للناس تقدمة تزيده جلاء ووضوحاً ، وأن ينفوا عنه رديئه بعد ان
يمحوا ما عليه من الطلاء ويبدوه على حقيقته ويحكموا عليه حكمهم الذي يحله المحل
اللائق به في سلسلة التاليف

فالنقاد وهذه مهمته قاض لا بد من أن يتحلى بكل صفات القضاة : العلم والعدل
والاستقلال والبعد عن المجاملة والمحاباة . وكما أنه مطلوب من القاضي أن يحكم على
من يرتكب على الانسانية من الآثام متبعاً في حكمه نص الشرائع والقوانين فانه
مطلوب من النقاد أن يحكم على من يمس الفن بسوء متبعاً في احكامه ايضاً قوانين
الفن وشريعته . بل ان سلطته أوسع من سلطة القاضي أذ ليس لهذا الا أن يعاقب
في حين أن لذاك أن يعاقب ويكافىء

ليس النقاد حكماً فحسب بل هو شخص يمتاز بأنه اكثر الماماً من غيره بفن
المطالعة — والمطالعة في اعتقادي فن من الفنون — فهو بذلك أقدر على تفهم سطور
الكتب وما بين تلك السطور من الجمال الذي لا تهتدي الى اكتشافه كل العيون

والذي تمر عليه ولا تشعر به كثير من العقول . فهو اذن شخص يصح أو يجب يتخذه القارئ صديقاً يستشيره في مطالعاته ويهتدي بآرائه ليجد فيها ما لا يستطيع وجوده بنفسه

كل كتاب جديد انما يعبر عن فكرة مؤلفه أي أنه لا يعبر الا عن فكرة لم تكن قد اختمرت من قبل في عقول جمهور القراء . يقرأ الناس هذا الكتاب يرى فيه كل منهم الا مقدار ما تراه عيناه ولا يفهم منه أكثر مما يصل اليه ادرا وعقله . وكذلك يبقى الكتاب ولم تتجل كل معانيه للقراء حتى يتناوله النقاد فيفه ويستخرج الفكرة الرئيسية فيه من خلال صفحاته ويوضحها ويبين قيمتها وم نصيبها من الحقيقة والجمال . والكتب كلها كتلك الثمار التي لا يتم نضجها على شجر والتي لا بد لها ممن يتعهدها بعد قطفها حتى يتم تكونها وتصبح صالحة للانتفاع بها

النقد قوة كبيرة وعامل قوي في اصلاح حال الفنون وترقيتها لانه هو الذ يستطيع تهذيب ذوق الجمهور ويهديه الى معرفة الجميل من القبيح والطيب الم من الردىء المزخرف . وهو الذي يعلم هذا الجمهور كيف يميز بين رجل الف الصحيح الذي يخدمه حباً فيه من الدخيل المدعي الذي لا يحترف الفنون الا ط في كسب أو رجاء شهرة وسمعة

والنقاد هو ذلك الرقيب الغيور الساهر على الفن الذي تأبى عليه نفسه أن ي به أو يتلاعب فيه ، هو ذلك الذي يعرف مواضع الكلام فيرسل عليها من علمه ما يضيئها حتى يراها الناس ويعرف مواضع العيب فيرشد اليها حتى لا بأذهان الجمهور مصبوغة بغير صبغتها ، هو ذلك الذي يقرأ الكتاب فيدرك روح كاتبه ومبلغ كفاءته فيهدي القراء اليها ويرشد المؤلف ذاته الى معرفة نفسه وحقيقة وجهة استعداده ان كان يجهلها ، هو ذلك الذي ان لم يستطع الكتاب الى الصواب ففي استطاعته ان يفض الجمهور من حولهم حتى لا بضلالهم أو تضليلهم ، هو ذلك المرتب المنظم الذي يعلي الكفء ويجزي ا ويطهر الفن من المدعين والدخلاء

النقد حكومة للادب تحميه من الفوضى وتسهر فيه على النظام . والنقادو أحسنوا القيام بعملهم كانوا ملوكا على رأس تلك الحكومة يطاعون ويرهبون

تلك فائدة النقد ووظيفة النقاد فماذا نرى من ذلك في بلادنا ؟

نرى العواطف الشخصية مقدمة على الاخلاص للفن فاذا أردنا ان ننتقد كتاباً نظرنا الى علاقتنا بمؤلفه فان كانت تجمعنا به رابطة صداقة أغرقنا في مدحه وبالغنا في الثناء عليه ورفعناه فوق مايستحق درجات وأن كان في نفوسنا شيء صببنا على الكتاب جام غضبنا ووصمناه بأقبح مايوصم به كتاب . هذا اذا لم نتناول شخص المؤلف فنلصق له كل المزري من الصفات والمحقر من الالقاب . وهل نسينا ما كان من شأن النقد منذ سنوات يوم ان كنا لا نفرق بين عرض المؤلف وأفكاره ومعيشته الداخلية وسياسته وآرائه ؟ — هل نسينا عامي الكفء والكف ؟ هل نسينا . . . ؟ اللهم انك تعلم اني لا أريد التذكير بأشياء لا أظنها نسيت ويا ليت الاقلام التي كتبتها قصفت قبل ان تخط منها حرفاً . أو ليت الايدي التي خطتها قطعت قبل ان تتناول القلم لتكتب

لقد ذهب بنا جهلنا بحقيقة فن النقد الى ان صرنا لا نفرق بينه وبين المدح والهجاء وحتى أطلقنا اسمه على تلك الحملات والتقاريظ التي نقرأها كل يوم على صفحات الجرائد والمجلات والتي لا دافع اليها الا عوامل البغضاء والمحبة أو الحسد والتملق والمجاملة

يجب على الناقد قبل ان يبت رأيه في كتاب أو فكرة ان يعلم أن الحكم على ذات المدارك ليس أمراً ميسوراً ولا مادة للهو واللعب وان النقد الطائش الذي يحكم على الاشياء قبل تمام فحصها انما هو نقد مضر مسيء . وان كثيراً من العقول الكبيرة أحجمت عن النقد خشية الخطأ في الرأي وتضليل الجمهور

يجب عليه ان يجعل الفن فوق كل شيء وقبل كل اعتبار وان يعلم ان مثله اذا وصف كاتباً على غير حقيقته مثل ذلك المصور الذي يريد ارضاء صديق له أعور فصوره ذا عينين

تلك حقيقة فن النقد وواجبات النقاد فاذا عملنا بها جرينا بالادب شوطاً كبيراً في طريق الرقي والكمال

(للبحث بقية)

حسن الشريف

حسين بك عمر

فقيد القضاء الاهلي

بقلم عبد العزيز بك محمد القاضي بمحكمة مصر الاهلية

وُلد المغفور له حسين بك عمر طيَّب الله ثراه بكفر المصيلحة التابعة لمركز شبين الكوم يوم الجمعة لسبع وعشرين خلون من شهر شوال سنة ١٢٨٤ هـ يوافق ٢١ فبراير سنة ١٨٦٨م ورباه والده على أكمل الاخلاق وأفضل الآداب

حياته العلمية

ولما تمت مداركه واستعد للحفظ والفهم أدخل كتّاب القرية وبقي فيه. استظهر كتاب الله الكريم حفظاً وتجويداً. وهذا هو السر فيما كان عليه رحمه من ثبات الدين وقوة اليقين ومتانة الاخلاق

ثم أدخل مدرسة شبين الكوم الاميرية في سنة ١٢٩٩ الهجرية لاول افتتاحها ولبث فيها يتلقى علومها أربع سنين كان في خلالها مثال الجد والنشاط أتمها ثم غادرها الى مدرسة القربية بمصر في سنة ١٣٠٤ الهجرية الموافقة لسنة ٨٦ الميلادية ليتلقى فيها الدروس الثانوية باللغة الفرنسية قصد التمكن فيها استعداداً لدخ مدرسة الحقوق التي كان معظم دروسها يلقى بهذه اللغة وكان من شدة ولعه با تعلمها لا يُرى الا حاملاً كتاباً من تآليف أكبر كتّابها

على أن فرط اشتغاله بها وإكبابه على تحصيلها لم يلهه عن أن يخص لغته الع

---

(١) تعتبر آل عمر (أسرة الفقيد رحمه الله) فخر كفر المصيلحة بالمنوفية وحسبها انجبت أخوة للفقيد منهم حضرة صاحب المعالي الوزير احمد حشمت باشا الخالدة آثاره في و المعارف بما اجراه في جميع فروع التعليم من ضروب الاصلاح ، وحضرة الشيخ ا حجازي بك عمر عميد القرية وعمدتها ، وحضرة الاداري الحازم علي عمر بك وكيل م الجيزة سابقاً . وقد انجبت ايضاً اولاد اخوة له نخص بالذكر من بينهم حضرة الاستاذ عبد فهمي بك نقيب المحامين الشهير والعضو بالجمعية التشريعية وبالمجلس الحسبي الاعلى وحضرة ال الكبير عبد المجيد بك عمر وكيل مدرسة الهندسة السلطانية والمدرس فيها وحضرة ال الدكتور عبد الرحمن بك عمر طبيب اول مستشفى اسيوط الاميري وغيرهم كثير

وفر حظ من العناية فكان يختلف الى الازهر الشريف ليتلقى علومها . وقد أخذ
يئاً من علوم البلاغة وعلمي الاصول والمنطق على كبار مشايخه واستظهر شيئاً كثيراً
ن مقامات الحريري وحفظ جملة صالحة من اشعار العرب فكان ذلك مع سبق
حفظه للقرآن العظيم مما حصلت له به ملكة الانشاء وذوق الكتابة

وفي سنة ١٣٠٥ الهجرية الموافقة لسنة ١٨٨٧ الميلادية كانت نظارة المعارف
معومية قد انشأت شهادة البكالوريا فجاز المرحوم امتحانها لاول سنة من انشائها
جاح تام وحصل على هذه الشهادة ثم دخل في السنة عينها مدرسة الحقوق الخديوية
السلطانية الآن) فلبث فيها المدة المقررة لها في ذلك الوقت وهي خمس سنين تلقى
يها الفقه الاسلامي على فضيلة الاستاذ الشيخ حسونه النواوي الذي لا يجهل احد
مصر مكانته من الدين والعلم والفضل ، والقانون الروماني على فقيد الجد والهمة
العمل المسيو دوبلو ، وشرح قانون المرافعات على الاستاذ لوزينا بك ، وشرح القانون
دني عليه ايضاً وعلى الاستاذ المسيو تستو ناظر المدرسة لذلك العهد ، وقانون
قوبات وتحقيق الجنايات على المسيو تستو ايضاً والمرحوم عمر بك لطفي الذي كان
كيلا للمدرسة ، وشرح قانون التجارة على الاستاذ المسيو شار المحامي بالمحكمة المختلطة ،
لم الاقتصاد السياسي على المسيو دوبلو السالف ذكره وعلى المسيو لبا المحامي
سكمة المذكورة . وتلقى اداب اللغة العربية على الاستاذ الطائر الصيت محمد حفني بك
مف وآداب اللغة الفرنسية على المسيو فيدال ناظر المدرسة السابق للمسيو تستو .
ان المترجم رحمه الله في جميع سني المدرسة آية في الجد والمثابرة على التحصيل
يلهيه عن الدرس شيء اللهم الا فترات من حلو الفكاهة ولذيذ الدعابة كان يستجم
قلبه ويروح بها نفسه عملاً بقول الامام علي كرم الله وجهه « ان هذه القلوب
كما تمل الابدان فابتغوا لها طرائف الحكمة » . وقد نال بهذا الاجتهاد أعلى
رجات المدرسية فكان دائماً في مقدم طلبة فرقته

وأما سيرته في المدرسة فكانت من أقوم السير واعدلها فقد كان نضر الله روحه
يب ضريحه دمث الاخلاق سليم القلب رضي العشرة حسن المحاضرة شهي
ورة مخفوض الجناح لنظرائه كثير التواضع لمن دونه جميل المعاملة لاساتذته
أوانه لم يعرف عنه قط في كل هذا الزمن الطويل أنه ألم بأذى أو اقترف اساءة .
ليق بمن هذه شيمه ان يكون محبوباً من الجميع وقد كان كذلك

تخرج من هذه المدرسة في شهر يونيه سنة ١٨٩٢ الميلادية مجازاً في علم الحقوق
وأخذ بسبيل النفع والانتفاع بما علم

حياته العملية

عين سقى الله جدثه شآبيب الرحمة في ١٠ يوليو سنة ١٨٩٢ كاتباً بالنيابة للتمر
على الاعمال الكتابية القضائية ومعرفة الاصطلاحات المتواضع عليها فيها بمرتب
خمسماية قرش وفي اول نوفمبر سنة ١٨٩٣ ندب معاوناً للنيابة للمرافعة في القضايا
وفي ٢١ يناير سنة ١٨٩٥ عين مساعداً للنيابة فبقي في هذا المنصب الذي بدأ فيه ع
القضائي الحقيقي الى ٢٩ مارس سنة ١٨٩٧ الذي عين فيه وكيلاً للنيابة بخمسة ع
جنيهاً واستمر كذلك الى اول يناير سنة ١٩٠٢ وفيه عين قاضياً في الدرجة الخا
من النظام القضائي بمحكمة الاسكندرية . وفي اول يناير سنة ١٩٠٣ نقل الى النيا
وكيلاً لها في الدرجة الثالثة من نظامها وفي ١٤ يناير سنة ١٩٠٤ رقي الى الدر
الثانية من هذا النظام . وفي ٥ مارس سنة ١٩٠٤ عين قاضياً من الدرجة الرا
بمحكمة بني سويف وفي ٢٨ نوفمبر سنة ١٩٠٧ رقي للدرجة الثالثة بمحكمة
وفي ١٨ يناير سنة ١٩٠٩ رقي للدرجة الثانية ثم نقل الى محكمة الزقازيق في ا
ابريل من السنة عينها ثم نقل الى محكمة المنصورة الاهلية في اول نوفمبر سنة ١٣
وفي اول ابريل سنة ١٩١٤ عين قاضياً في الدرجة الاولى بمحكمة مصر الاه
واستمر في هذا المنصب الى يوم ١٩ فبراير سنة ١٩١٨ وهو آخر عهد له بخدمة القض

من هذا البيان السريع الموجز يتبين القارئ الكريم ان الطيب الذكر ح
بك عمر خدم القضاء نحو ست وعشرين سنة بين نائب محقق وقاض عادل مد
والمعروف من حاله فيها انه احتمل أثقل عبء وبذل اقصى جهد لا يقدر قد
الا ذوو البصائر النيرة واصحاب السرائر الطاهرة . فقد كان رحمه الله بصيراً بعظم
منصبه الذي قال فيه عارفوه « من ولي القضاء فقد ذبح بغير سكين » خبيراً بما فيه
من العناء والنصب ولذلك ملك عليه عمله كل وقته ولم يعد يتفكه الا ببحل معض
ولا يتسلى الا بايضاح مشكلاته وحبب اليه اعتزال الناس خصوصاً في سنيه الا
فلم يكن يوجد الا في مجلس الحكم أو في بيته بين الاوراق والمحابر . على ان
لم يذهب بما جبل عليه من الانس والبشاشة ووداعة الاخلاق

وقد اجتمع له رحمه الله افضل صفات القاضي العادل فكان فوق علمه بالقا

ذكي القلب حر الضمير نزيه النفس واللسان صبوراً على كشف حقائق الامور غير ضجر من مماحكة الخصوم ولا متبرم بلجاجهم وقافاً في الشبهات متأنياً في فصل الخصومات ماضي العزيمة عند اتضاح الحكم. وما اجدر من هذه صفاته أن يكون علماً نيراً يهتدي به الساري في ظلمات الظلم الى ساطع نور العدل وموردا عذباً هنيئاً يتوارد عليه عطاش البغي والجور لينهلوا من سلسبيل الانصاف. كان هذا شأنه مع المتحاكمين اليه فقد كانوا يتزاحمون على قضائه تزاحم الواثقين بعدله ودينه وتقواه الواقفين على مبلغ حرصه على القيام بالقسطاس المستقيم بين عباد الله

وقد اورثته هذه السجايا الفاضلة والاخلاق القيمة أطيب الذكر في الناس واجمل الاحدوثة بينهم « وانما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسنة عباده وحسبه هذا في الدنيا لعمله جزاء ولأجر الاخرة اكبر لو كانوا يعلمون »

بعد ان جرى رحمه الله هذا الشوط البعيد في مضمار القضاء ووجد نفسه محروماً من نصيبه في الرقي والتقدم مع كونه من السابقين المبرزين وان ما بقي من العمر لا يتسع لانتظار الرقي في القضاء ولبطئه وندرة اسبابه وان حاجات المعيشة تزداد كل يوم لذلك قبل بلا تردد ما عرضته عليه وزارة الاوقاف فعينته نائباً لمستشار قضاياها في ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ ولكنه لم يكد يستقر في عمله الجديد نحو ثلاثة شهر حتى تولدت فيه فترات علل كانت كامنة فكان يقاومها وتقاومه ويغالبها وتغالبه حتى غلبته على قواه وقطعته عن عمله ففزع الى الاطباء فاختلفوا في تشخيصها وصف كل فريق منهم لعلاجها من الدواء ما هداه اليه مبلغ علمه ولكن ما ابطل لب الطبيب اذا حم القضاء وحل الاجل

بينما كان اهله واخوانه ومعارفه على رجاء من شفائه لان العلة التي شخصها فيه حذق الاطباء بالامراض الباطنية في مصر وهي داء الفيل لم تكن مميتة اذ عرض له ناء العلاج احتباس بول فساءت حاله حتى فتر معلله ويئس ممرضه ولم تلبث روحه طيبة الطاهرة أن فاضت غدوة يوم الاثنين لثمان خلون من شهر رمضان المعظم نة ١٣٣٦ الهجرية وهو الموافق ١٧ يونية سنة ١٩١٨ الميلادية تاركة سجنها الضيق ناني الى ربها الفسيح الباقي مستقبلة ما أعد للاتقياء الابرار من النعيم المقيم مخلفة راءها عيوناً غارقة في دمعها المهراق وقلوباً مكلومة من لظى الفراق . أسبغ الله به هواطل رحمته وأسكنه فراديس جنته

العائلة والمنزل

تأثير الفرح والحزن

في سير الهضم

لايدرك اكثر الناس عظم ما لعاملي الفرح والحزن من التأثير في سير الهضم فاذا بحثنا عن منشإ الامراض المنتشرة التي من قبيل عسر الهضم وجدنا معظمها لم نقل كلها يرجع الى أسباب وانفعالات عصبية ولا سيما الى الافكار المقلقة والمز التي اذا لازمت المرء عرقلت سير الهضم حتماً حتى انك لا تكاد ترى ذا مز نورستيني الا يشكو من معدته في حين ان الافكار السارة تساعد العمل الهض وتسهله

راقب سير الهضم جيداً يتبين لك ذلك جلياً : فاول ادوار الهضم الهامة دو افراز اللعاب وقد ثبت ان السرور والانبساط يساعدان على هذا الافراز في ان الحزن والقلق يعسرانه . ومما يدلك على ذلك ان الفرح يكون مقروناً في الغا بلبلة في الفم ناجمة عن توفر اللعاب فيه حتى ان بعض المتوحشين من قبائل استرا يعبرون عن سرورهم واعجابهم بمص ريقهم وبلعه . والاطفال يبالغون في الى حد ان يبدو من شفاههم صوت المص . وعكس ذلك الغضب والحزن والجز والتأثر الشديد على العموم فانه يوقف افراز الغدد اللعابيــة فتنضب الغدد ويجف الحلق كله . وتمكننا مراقبة ذلك في أنفسنا

ويلي افراز اللعاب بالاهمية دور افراز العصارة المعدية . وهنا ايضاً يظهر فعل العاملين المتقدمين . ولا شك ان معظمنا يلاحظون من أنفسهم ان الا في حالة السرور والطمأنينة يتم بسهولة من غير ان يعقبه ادنى تعب أو عسر هض والذي يدلك على اهميــة هذه الحقيقة الثابتــة ان اصحاب الفنادق والمطا

ادركوها وجعلوا يعملون بها فيفرغون جهدهم في استنباط الوسائل الآئلة لمسرة زبائنهم في اثناء تناول الطعام فيواظبون على النظافة في كل شيء ويحضرون انفس الاواني واجملها وينتدبون جوقات موسيقية تصدح بالانغام المطربة . أما الحزن فاذا فاجأ أحدنا اثناء الاكل صدّ قابليته بحيث يتعذر عليه استتمام طعامه مهما يكن جائعاً وان غاصب نفسه أو حُمل على الاستمرار في الاكل ناله من عسر الهضم ما لا تحمد عقباه . وقد لوحظ ان الاطفال الذين لم يعطوا الغذاء حال طلبهم له ينالهم من الغيظ والكدر ما يعجزهم عن الاكل اذا قدم لهم بعد حين

كذلك للفرح والحزن تأثير بين على القسم الميكانيكي من الهضم وهو الذي يتم بتقلص عضلات الامعاء والمعدة وتمددها فان الحزن يعرقل هذه الحركة والفرح يسهلها

مما تقدم يتضح لك ما للافكار المحزنة والمفرحة من التأثير العظيم في سير الهضم . ومنه نستخرج فائدة خطيرة ينبغي ان نتبعها وهي :

« ألا نأكل البتة ونحن في حالة حزن أو جزع أو ضجر أو أي انشغال بل ان نتوقف عن الاكل حالما نفاجأ بفكرة مزعجة أو بخبر مكدر »

ومن الاوهام الشائعة التي يجب الاقلاع عنها الاعتقاد بان مجرد الاكل عبارة عن الشبع والاكتفاء . ولطالما اضر هذا الوهم بالصحة العمومية فيجب ان نستأصله وألاّ نجلس على المائدة الا ونحن قد أخلينا ذهننا من كل كدر وسرينا عن انفسنا كل غم

هل من الحكمة معالجة العسر ؟ كلا

اختلف العلماء في تقدير عدد العسر من الناس . وتقديرهم يتراوح بين ٢ و٨ في المئة . ولعل الحقيقة بين هذين العددين اي نحو ٤ في المئة وهو ما توصل اليه حدث الباحثين في هذا الموضوع

ويعدّ العسر عند جمهور الناس من العاهات التي يجب معالجتها . في معظم الاحيان

ترى أهل الاعسر يبذلون جهدهم لتعويده منذ صغره استعمال يده اليمنى بدلاً اليسرى . فهل من الحكمة ان يسلكوا هذا المسلك ؟

لا يتردد الطب الحديث في الاجابة سلباً عن هذا السؤال . فان في مقاومة من هذا القبيل خطراً عظيماً على الحدث – خطراً قد يتناول مهارته الفطر ومقدرته العقلية فيهبط بهما الى مرتبة دون التي عينتها لهما الطبيعة . هذا ما المشاهدات الكثيرة فعلى كل رب عائلة ان يلاحظ اولاده من هذا القبيل اذا كان بينهم أعسر تركه وشأنه

أي سن افضل للزواج ؟

بحثت الجرائد الاميركية اخيراً عن افضل الاسنان لزواج المرأة . وقد كان الباعث على ذلك ما نشره العلامة الشهير الاستاذ الكسندر جراهم بل في هذا الشأن في الجدول التالي خلاصة مباحثه هذه . وهو يبين النسبة بين سن الوالدة وقدر على القيام بوظيفة الامومة – وبعبارة أخرى ان الغرض منه بيان السن التي تكون المرأة فيها أكثر استعداداً للعناية باطفالها

سن الوالدات عند الولادة	مجموع عدد الاولاد	عدد الوفيات قبل الخامسة	نسبة الوفيات في الالف
١٥ – ١٩	٧٠	١٥	٢١٤
٢٠ – ٢٤	٤٥٤	٨٨	١٩٤
٢٥ – ٢٩	٦٠٣	١٣٣	٢٢٠
٣٠ – ٣٤	٥٦١	١٤٠	٢٤٩
٣٥ – ٣٩	٤٢٢	٩٨	٢٣٢
٤٠ فما فوق	٢٧٤	٨٨	٣٢١

فيتبين مما تقدم ان المرأة تكون اقدر على القيام بوظيفتها بين العشرين والرابع والعشرين فان نسبة وفيات الاولاد بينهما دونها في الاسنان الاخرى

كيف يوزع الدم على الاعضاء

يقدر وزن الدم في الانسان بجزء من اثني عشر من وزن جسمه أي ان من زن ٦٠ كيلوغراماً فيه نحو ٥ كيلوغرامات دماً . على ان احتياج الاعضاء الى الدم تختلف بالنظر الى تفاوتها في العمل والاهمية . وقد حسب احدهم قدر الدم الذي تحتاج اليه الاعضاء بالنسبة الى حجمها فوجد ما يأتي :

الساق	٥	في المئة
العضلات [١]	١٢	« «
القلب	١٦	« «
المعدة	٢١	« «
البنكرياس	٨٠	« «
الكبد	٨٤	« «
الكلية	١٥٠	« «
الغدة الدرقية	٥٦٠	« «

قواعد بلوطرخس لاطالة الحياة

وضع بلوطرخس المؤرخ اليوناني الشهير قواعد لاطالة الحياة واليك خلاصتها :
لا تأكل الا في حالة الجوع
احذر من الطعام الذي يحملك على تناوله وأنت غير جائع
نم باعتدال ولا تغرق في النوم
اكثر من الرياضة ولكن تجنب الرياضة العنيفة واقرأ بصوت عالٍ كل يوم
كل لحماً قليلاً أو لا تأكله بالمرة
اشرب الماء بلا تقييد
تجنب الخمر

(١) تزيد كمية الدم في العضلات عند عملها الى عشرين ضعف قدره عند راحتها

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بأحرف أو بكلمة عند النشر

الجريمة والعقاب

﴿ مصر ﴾ منسى القمص

هل العقاب الصارم ينقص عدد الجرائم والعقاب السهل يزيدها ؟ وايهما لاصلاح المجرم تعليمه أو معاقبته ؟

﴿ الهلال ﴾ ان الاساس النظري الذي يخول الجماعة حق معاقبة افراد المجرمين هو أن الجماعة بمنزلة جسم حي يتطلب البقاء والنمو فله الحق في المدافعة عن حياته وتوقي شر المجرمين الذين يهدمون كيانه . فبهذا القدر فقط ولهذا الغرض دون غيره يحق للجماعة أن تعاقب المجرمين وليس لها أن تعد العقاب انتقاماً أو تشفياً من المجرم ـ كما كان الحال فيما مضى من الايام . لذلك ينبغي ألا يجاوز العقاب ما تقتضيه المصلحة الاجتماعية . ومن هذه المصلحة أن يكون العقاب رادعاً للناس عن اتيان الجرائم اذ لا ريب في أن خوف العقاب من العوامل التي تحول دون انتشار الجرائم

على أن اسباب الاجترام كثيرة بعضها اجتماعي وبعضها اقتصادي و نفساني الخ . . . ولا قدرة للعقاب مهما يكن صارماً على منع هذه الاسباب . فصرامة العقاب وان تكن رادعاً في بعض الاحيان فانها لا تؤثر كثيراً على ما نعتقد في عدد الجرائم

أما مسئلة معاقبة المجرم أو تعليمه فان أحدث الآراء في هذا الشأن تقضي بمعاملة كل مجرم معاملة خاصة بعد درس أحواله النفسية والجسدية والوقوف على الاسباب التي حملته على اتيان جريمته (ويسمى هذا المذهب Individualisation de la peine

فبناء على هـذا الرأي يجب التميز بين المجرم لاول مرة والمجرم المتعود الاجرام والمجرم المريض الخ . . فيعامل كل منهم معاملة تختلف عن معاملة الآخر . فقـد يجدي التعليم فريقاً من المجرمين ولا يجـدي فريقاً آخر . وعلى كل حال فالعقاب يجب أن يرمي بقدر المستطاع الى اصلاح المجرم لا الى الانتقام منه

حالة البشر الاولى

﴿ بسكريا . غينة الفرنسية ﴾ فارس عبده

رجو ان تفيدونا عن منشأ الاحكام بين البشر

﴿ الهلال ﴾ لتعليل منشأ الاحكام نظريات مختلفة نذكر منها نظرية « العقد الاجتماعي » القائلة بان البشر كانوا عائشين عيشة طبيعية غير خاضعين لقانون ثم وجدوا ان مصلحتهم تقتضي اتحادهم وانتظامهم فتعاقدوا على انشاء سلطة عليا يخضعون لها جميعاً . على ان هذه النظرية غير مدعمة بالادلة الكافية ولذلك نبذها الكتاب الاجتماعيون الحديثون كما نبذوا نظريات أخرى لا محل لذكرها هنا . لعل أحسن رأي ذهب اليه العلماء الحاليون هو « نظرية النشوء التاريخي » خلاصتها ان الدولة ليست نظاماً فجائياً ولا هي اختراع فرد من الافراد بل هي نظام نشأ نشوءاً تدريجياً مع الزمن حتى بلغ حالته الحاضرة

أسم انكلترا

﴿ بثال . ترنسفال ﴾ خوري اخوان

لماذا سميت انكلترا بالانكليزية England وبريطانيا Britain

﴿ الهلال ﴾ ذكرنا في الجزء السابع من السنة الماضية أصل تسمية بريطانيا بهذا الاسم . اما اسم انكلترا الانكليزي فمؤلف من اسمين وهما Engle او Angle هو اسم الشعب الذي قطن انكلترا و land ومعناها ارض ـ اي ارض « الانكل » الانكليز . وبهذا المعنى أيضاً الاسم الفرنسي Angleterre

---

رئيس الولايات المتحدة

﴿ لورنس . ماس . الولايات المتحدة ﴾ نمر خليل سميا

هل يشترط في رئيس الولايات المتحدة ان يكون بروتستنتي المذهب ? فقد صديق أنه سمع المستر روزفلت يقول مرة في خطاب له ان من يحرز الاصوات في اميركا ينال رئاسة الولايات المتحدة مهما يكن مذهبه

﴿ الهلال ﴾ لا دخل للدين في شؤون الحكومة الاميركية فلا مانع انتخاب رئيس على غير مذهب البروتستانت اذا نال اغلبية الاصوات

كلمة أمازون

﴿ ويليستن نورث داكوتا . الولايات المتحدة ﴾ عزيزي الخوري يوحنا

ذكرتم في الهلال الثالث من السنة ٢٦ في مقالة « النساء المقاتلات قديماً وحديثاً » ان اسم أمازون يعني « فاقدة الصدر » اشارة الى ان النساء اللواتي سمين بهذا كن يبترن أثديهن ليسهل عليهن رمي النبال . على اننا كنا قد قرأنا في المجلات ان الامازون كلمة هندية معناها « محطم القوارب » . فاي المعنيين أصح

﴿ الهلال ﴾ قد فسرت كلمة أمازون على أوجه مختلفة . على ان الرأي نشرناه في الهلال يستند الى آراء سواد الثقات في الموضوع

الانشاء المرسل والانشاء المسجع

﴿ مكة ﴾ عبد السلام كامل

هل الانشاء المرسل الذائع اليوم أدعى للتأثير وأوقع في النفوس من المسجع . وهل الاحرى بنا الجنوح اليه في هذا العصر ?

﴿ الهلال ﴾ لا ريب في ان الانشاء المرسل الذائع اليوم أقرب الى العصر من الانشاء المسجع . فان أهل هذا الزمن يلتفتون الى المعاني اكثر من التفاتهم الى الالفاظ والتراكيب . والانشاء المرسل يسهل على الكاتب تأديته لانه لا يقيده باللفظ فيخرج كلامه أقرب الى الافهام . على ان السجع قد يكون وقعاً في مواقف معلومة على شرط ألا تشم منه رائحة التعمل والتكلف

الجزء ٢ — الهلال — السنة ٢٧

اول نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩١٨ و ٢٦ محرم سنة ١٣٣٧

بيروت (١)

لمؤسس الهلال

على اثر رحلته اليها سنة ١٩١٠

بيروت مسقط رأسنا عرفنا النور من سمائها وتنفسنا اول نسمة من هوائها ودرجنا على رمالها وترابها وقضينا اوائل الحياة فيها ونحن لا نعرف من الدنيا غيرها . وكان العالم في نظرنا يحده لبنان من الشرق والبحر الابيض من الغرب . حتى قضي علينا بفراقها منذ بضع وعشرين سنة ونحن في ابان الشباب فعرفنا سواها وعدنا اليها في أثناء ذلك اربع مرات آخرها في هذا الصيف . . . فرأينا فيها تغييراً يستلفت النظر يجدر بنا أن نأتي على بيانه اذ لا يخلو ذلك من فائدة . ونمهد الكلام بتاريخها

تاريخها

لم يرد ذكر بيروت في التوراة كما ورد ذكر صور وصيدا غير ان ذلك لا يطعن في قدمها فانها من المدن الفينيقية القديمة ولا يزال اسمها الفينيقي (بيروت) شاهداً على ذلك ومعناه الآبار ولفظه في العبرانية أو الفينيقية « بئيروت » . وقد جاء هذا اللفظ في سفر يشوع وغيره اسماً لبلد قرب اورشليم . وربما سميت بيروت به لكثرة آبارها . وذهب بعضهم أنها سميت به نسبة الى « بيروت » أحد آلهة الفينيقيين

كانت بيروت في اقدم ازمانها تابعة لجبيل وأهل جبيل بنوها واقاموا فيها . حتى اذا نشأت الدولة السلوقية في القرن الرابع قبل الميلاد خربها احد مختلسي الملك

(١) الهلال سنة ١٩ صفحة ٢٢ — ٢٥

من دولتهم فظلت خربة الى العصر الروماني فاحياها الرومانيون وجعلها أوغسطس قيصر سنة ١٣ قبل الميلاد مستعمرة رومانية أو مقاطعة أقطعها لفرقة من جنده. ومنحها امتيازاً على سواها من مدن فينيقية فكانت تنتخب حكامها وقضاتها كما يفعل اهل رومية أنفسهم وتجري على احكام رومية ولاهلها حقوق رومانية . وهذا امتياز قلما ناله غير اهل رومية . وكانت تضرب باسمها نقوداً من نحاس وفضة تطبع عليها صورة القيصر واسمه مع القابه واسم المدينة (بيروت) . وعني أوغسطس باصلاح مرفئها لوقاية السفن الراسية فيه . وفيها جرت محاكمة ابني هيرودس ملك اليهودية في السنة السادسة قبل الميلاد ويدل ذلك على امتيازها وعلو منزلتها في ذلك العهد

وكان في بيروت على زمن الرومانيين مدرسة كلية لتدريس الفقه وشرائع الرومان أنشئت في القرن الثالث للميلاد وظلت مبعثاً للعلم والشرع نحو ثلثمائة سنة وكانت تعد أعظم مدرسة للحقوق في مملكة الروم يقيم فيها الطلبة خمس سنين ليتموا دروسهم الفقهية ثم يتفرقون في المملكة يطلبون الرزق كما يفعل تلامذة المدارس الكلية في بيروت لهذا العهد . فكثر في المملكة الرومانية الفقهاء المتخرجون في مدرسة بيروت وغيرها ولكل كتاب او غير كتاب في الشريعة فكثرت المؤلفات الشرعية وعسر حملها على طلاب الفقه . فاهتم القيصر يوستنيانوس في اوائل القرن السادس بتلخيصها وتدوينها وتبويبها ليسهل تداولها وحفظها . ففوض ذلك الى لجنة من العلماء فيهم جماعة من متخرجي مدرسة بيروت ففعلوا ذلك سنة ٥٣٣ بعد الميلاد. وأصيبت بيروت بعد بضع عشرة سنة (٥٥١ ب م) بزلزال دكها وهدم ابنيتها فهجرها أكثر من بقي من اهلها وانتقلت المدرسة الى صيدا ولم تعد بيروت الى رونقها الروماني من ذلك الحين . وكانت مركزاً تجارياً وفيها جماعة من كبار تجار فينيقية فانتقلوا بعد خرابها الى صور واصبحت بيروت قرية صغيرة

فلما قام المسلمون للفتح كانت بيروت في جملة ما دخل في سلطانهم من مدن سورية وقلما جاء ذكرها في كتبهم . فلما حمل الصليبيون على الشرق دخلت بيروت في حوزتهم حيناً ثم عادت الى المسلمين . وتوالى عليها من الحوادث ما توالى على سائر مدن سورية في زمن العثمانيين مما يطول شرحه لكنها لم تبلغ في عمرها ما بلغت اليه اليوم من الرقي والعمران

بدأ تاريخ رقيها الحديث سنة ١٨٦٠ على أثر فتنة لبنان وحاصبيا ودمشق

اذ نزح اهل تلك البلاد الى بيروت يلتمسون الرزق او اعالة الحكومة فانشأ المرسلون الاميركيون والانكليز واليسوعيون والعازريون وغيرهم المدارس لتعليم الفقراء واعالتهم . وتوجهت انظار الافرنج اليها بالتدريج للتجارة فزهت وعمرت واتسعت . وكانت تابعة في احكامها الى ولاية عكا ثم صارت متصرفية واخيراً ولاية من الصنف الاول وألحقت بها ألوية بيروت وطرابلس وعكا ونابلس واللاذقية سنة ١٣٠٤ وما زالت ترتقي حتى بلغت ما هي عليه الآن . وزادت زهاء ورونقاً بعد اعلان الدستور . ويقدرون سكانها الآن بنحو ١٥٠٠٠٠ نفس ومساحتها نحو ٢٤ كيلو متراً مربعاً وتقسم الى ٢٥ محلة

حالتها الاجتماعية والادبية

ان العالم كله سائر في طريق العلم والتمدن سيراً متواصلاً . فلا غرابة اذا رأينا بيروت قد تقدمت في الاعوام الاخيرة . لكن الغرابة في تقدمها تحت ضغط عصر الاستبداد في ظل عبد الحميد الذي غلّ الايدي وكم الافواه وقيد العقول وفرّق بين العناصر والاديان وشغل الناس بالمفاسد والنمائم فاغرى الاخ على أخيه والابن على أبيه والجار على جاره وجعل الناس عيوناً وجواسيس بعضهم على بعض — ومع ذلك فان البيروتيين ساروا شوطاً حسناً في طريق المدنية فارتقت هيأتهم الاجتماعية واتسعت عماراتهم وتعددت مدارسهم وارتقت ناشئتهم ونبغ فيهم طائفة من الشبان المتعلمين اشتغلوا في التجارة ولم يكن يتعاطاها الا القليلون منهم - واشتغال المتعلمين في التجارة رقاها كثيراً . وهكذا يقال في سائر المهن

أما حالها الاجتماعية من حيث الائتلاف بين الطوائف والعناصر فقد تقهقرت في ظل عبد الحميد لان سياسته اقتضت ذلك التفريق كما تقدم . ولم يغنهم العلم شيئاً بل زادت شهرة بيروت بالانقسام والتعصب بين سكانها المسلمين والمسيحيين . وبعد ان كانوا يتخاصمون على كلمة تقال في الاسواق قامت الجاسوسية مقام الكلام حتى يئس الناس من الاصلاح . فما عتم ان جاء الدستور منذ عامين وبعض العام حتى انقلب ذلك الخصام الى وفاق وتحولت الجاسوسية الى مروءة واخلاص . واتحد المسلم والمسيحي اتحاداً كأنه من عمل السحر مما أدهش الناس لكنك اذا تأملته رأيت سببه طبيعياً لا غرابة فيه

السبب الاساسي في هذا الانقلاب التعليم والتربية فالبيروتيون الذين كانوا منذ بضع وعشرين سنة يتخاصمون ويتنازعون هم غيرهم اليوم . كان اكثر أولئك من أهل الدعارة والبطالة وبينهم جماعة من الافاقين الذين لا عمل لهم يشغلهم عن المشاكل حتى كان منهم طائفة كالجند المنظم يكاد يكون لها زعماء تعرف بطائفة الزعران كانوا يتعاونون على الخصام والسرقة والفساد لا يخافون حكومة ولا يرعون ذماماً . وكانت حكومة المدينة عرفية يتولاها حكام يعرفون بالاغوات أدركنا منهم احمد آغا وسعيد آغا يتصرفون باحكام الناس كما يتراءى لهم — فلما انتظمت الحكومة على النمط الحديث كان التباغض قد تمكن بين الطائفتين ولا سيما بين العامة وهم السواد الاعظم وأصبح المسيحي منهم يشب وهو يعدّ المسلم عدوّه الطبيعي والمسلم كذلك وحيثما التقيا تخاصما أو تلاكما

ولما دخل العلم سوريا في نهضتها الاخيرة نال المسيحيون منه اكثر مما ناله المسلمون لان المدارس التي أنشئت في ذلك الحين معظمها أو كلها لارساليات دينية مسيحية فلم يدخلها غير المسيحيين الا نادراً . فكان النصارى بذلك أسبق الى الارتقاء في أسباب المدنية الحديثة من المسلمين فصارت ثروة المدينة وتجارتها وأموالها أكثرها في أيدي المسيحيين وصاروا بطبيعة الحال أقرب الى الاجتماع وأميل الى السكون والكف عن الخصام من سواهم حرصاً على أموالهم ومتاجرهم . ثم تعلم المسلمون حتى جاروا المسيحيين في أسباب هذه المدنية وصاروا أصحاب أموال وتجارات فمالوا مثلهم الى الاجتماع والاتحاد والسلام . لكن سياسة عبد الحميد كانت تحول دون ذلك بما تبثه من روح الشقاق بتقوية طائفة على طائفة . فلما أعلن الدستور وأساسه الاتحاد بين العناصر والمذاهب كان أهل بيروت من الطائفتين في غاية الاستعداد له وقد تعبوا من التباعد فاجتمعوا

جرجي زيدان

جمعية الامم

وهل يتحقق بها حلم محبي السلام ؟

> لقد نحت الشعب الفرنسي حجارة لا تهدم فوضعها — في وسط القارة الاوروبية الملكية المزعزع — الاساس الاول لذلك البناء العظيم الذي سيسمى يوماً « دول اوروبا المتحدة »
>
> هوغو (سنة ١٨٤٨)

كلما ألقى الدكتور ولسن خطبة من خطبه الخالدة اهتزت له القلوب طرباً وابتهاجاً . انها تطرب وتبتهج لدى سماع ذلك الصوت العذب المنعش متصاعداً من بين اصوات الحرب المزعجة — اصوات البنادق والمدافع واصوات المتألمين والباكين — لانه صوت البشر والسلام ، صوت الانسانية الساعية للتخلص من عوامل الظلم والاستبداد !

أجل لا يسع المطلع على تلك الخطب البديعة الا أن يستفزه كلامها الشريف ولا يتمالك عن الاعجاب بشخص قائلها وما يرمي اليه من الغايات النبيلة والاغراض السامية . ألا بارك الله في همة ذلك الرجل العظيم ووفقه الى نجاح مساعيه !

رأي الدكتور ولسن

وقد اتضح الان أن اول غرض يرمي اليه الدكتور ولسن انما هو انشاء جمعية مؤلفة من الامم المتمدنة لحفظ السلم العام . وقد ردد ذكر هذه الجمعية في خطبه المختلفة ولا سيما خطبته الاخيرة التي القاها في ٢٧ سبتمبر الماضي عند فتح الاكتتاب في قرض الحرية الرابع . فقد قال فيها :

« فاذا كانت الحكومات التي تحارب المانيا وشعوب تلك الحكومات متفقة على احراز صلح وطيد ثابت كما اعتقد وجب على جميع الذين يجلسون حول مائدة الصلح أن يأتوا اليها وهم مستعدون أن يدفعوا الثمن الوحيد الذي يحرز به هذا الصلح وان يوجدوا الاداة الوحيدة التي تتكفل تنفيذ معاهدات الصلح واحترامها . وهذا الثمن هو العدل المجرد عن الهوى في تنفيذ كل مادة من مواد الصلح بقطع النظر عن المصالح التي يعترض ذلك لها وعن اصحاب هذه المصالح وليس العدل المطلق فقط بل ارتياح

الشعوب التي يحكم في امورها ومصيرها أيضاً . فالاداة التي توصل الى ذلك والتي لا بد منها هي جمعية الامم التي تؤلف بعهود فعالة . ومن دون هذه الاداة التي تكفل دوام السلام يظل السلم العام قائماً بعضه على وعود قوم لا يحميهم القانون لان المانيا يجب أن تبيّض سواد صفحتها لا في مجلس الصلح بل بما يعقبه . وعندي أن تأليف جمعية الامم هذه وتعيين الغرض منها تعيينا صريحاً جلياً يجب أن يكون جزءاً من الصلح نفسه بل أهم جزء فيه »

على أن الدكتور ولسن أبدى رأيه هذا قبل دخول امريكا الحرب اذ دعا الدول الى تأليف « لجنة عامة للسلم » في خطبة ألقاها في ٢٢ يناير سنة ١٩١٧ قال فيها :

« لا تكفي الاتفاقات لضمان السلام فلا بد من ايجاد قوة تضمن بقاء الحل النهائي وتتفوق على قوة كل أمة داخلة في محالفة حاضرة أو عتيدة بحيث لا يجسر على مناوأتها شعب ولا مجموع شعوب يحتمل اتحادها . . لن تكون اوربا ثابتة ما لم تكن أمينة . فليس المطلوب الموازنة بين قوات الدول بل توحيد تلك القوات — ليس الغرض ايجاد منافسات منظمة بل اقامة سلم عام منظم »

رأي فيسكونت غراي

وقد انشأ فيسكونت غراي أوف فالودون (وهو السير ادوار غراي وزير الخارجية الانكليزية الشهير عند نشوب الحرب) رسالة وجيزة تعليقاً على رغبة الدكتور ولسن في انشاء جمعية الامم بيّن فيها امكان تنفيذ هذه الفكرة الجميلة كما بيّن ضرورتها وخطورتها . واليك خلاصة آرائه في هذا الشأن :

« لقد اصبحت الحرب قائمة على تطبيق اختراعات العلم لابادة النفوس البشرية المحاربة وغير المحاربة . ولو بقي المجال مفتوحاً بعد هذه الحرب لنشوب حروب أخرى لادى تقدم العلم الى استنباط وسائل يكون من شأنها انقراض الجنس البشري

وليس امام البشرية الا أحد حلين لالغاء الحروب : اما الغاؤها بسيطرة شعب واحد على سائر الشعوب أو الغاؤها باتحاد الشعوب (أو اتحاد اعظمها على الاقل) لتأليف لجنة غايتها حفظ السلم . فالحل الاول هو الحل الالماني في حين أن الحل الثاني هو حل الحلفاء الذين ما برحوا يوضحون غرضهم في هذا المعنى كما انه الحل الوحيد الذي يضمن حرية الشعوب المحايدة في المستقبل . والارجح أن حلفاء المانيا

يتوقون اليه في سرهم لانهُ وحده يحميهم من تحكم المانيا فيهم

أما الشروط الممهدة لجمعية الامم فهي اولاً أن يعزم اصحاب السلطة عزماً صادقاً على تأليفها . وقد توفق الدكتور ولسن بحكم الاحوال وبوحي السجايا التي فطر عليها الى اتخاذ القيادة في هذا السبيل . والعدو الوحيد من هذا القبيل هو الحزب العسكري الالماني فما دامت مقاليد الاحكام في يده فالمنتظر أن تقاوم المانيا هذه الفكرة . . . وثانياً يجب أن تدرك الدول العازمة على تأليف جمعية الامم ان تلك



فيسكونت غراي اوف فلودون

الجمعية لا بد أن تضيق بعض التضييق على سلطة كل منها وقد تفرض عليها واجبات غير هينة . . . »

وقد ألقى فيسكونت غراي اخيراً خطبة في هذا الشأن ايضاً كان لها احسن وقع في العالم اجمع . واننا نشاهد الآن في المانيا تطوراً عظيماً في الافكار يرمي الى انتهاج منهج الدول الديمقراطية في الحكم . وقد ابدى المستشار الجديد البرنس مكس دي بادن موافقته على مطالب الدكتور ولسن من هذا القبيل . ولعل في ذلك ضماناً لنجاح هذا المشروع الجليل

تاريخ المشروع

ولا يُظن أن فكرة « جمعية الامم » جديدة . فلقد فكر فيها غير واحد من كبار الرجال في اعصر مختلفة . وانما الجديد من هذا القبيل دخول تلك الفكرة حيز العمل والتنفيذ . وانا ذاكرون فيما يلي شيئاً من تاريخها في الماضي :

ليس في الكتاب المقدس ذكر لاتحاد بين البشر يرمي الى دوام السلام الا قصة برج بابل الشهيرة . على ان تلك التجربة لم تنجح كما هو معلوم بل أدت الى عكس المراد منها

ويقال أن الصينيين في زمن كونفوشيوس الفيلسوف الشهير مارسوا « التحكيم الدولي » . فان البلاد الصينية لم تكن متحدة في ذلك الزمن بل كانت تتألف من دول مختلفة اتفقت فيما بينها على تأليف « جمعية دولية » لها الحكم فيما يقع بين اعضائها من الاختلافات . وقد كان لهذه الجمعية سلطة فعلية فاذا رفض فريق الرضوخ لحكمها اضطرته الى ذلك الجيوش المتحالفة المتألبة عليه . وقد قامت الجمعية المتقدم ذكرها باعمال كثيرة كان رائدها فيها فائدة الجميع

وكان عند اليونانيين القدماء مجلس للتحكيم بين المدن اليونانية دعوه « المجمع الامفيكتيوني » . على انه كان ذا صبغة دينية غالبة عليه فانما كان غرضه الاول النظر في شؤون هيكل ابولو في دلفي . ولكنه مع ذلك كان ينظر ايضاً في الشؤون العامة فقد كان له الحق في تعبية جيش مشترك عند الحاجة وتعيين قائد عام له ومحاكمة الذين يخالفون قرارات المجمع الخ . . .

أما الرومانيون فقد أتيح لهم أن يوطدوا اركان السلم العام زمناً ـ وهو ما سموه « السلم الروماني » pax romana ـ وما ذلك الا لانهم سيطروا على العالم باسره فاخضعوا لهم جميع الشعوب حتى اصبحت الامبراطورية الرومانية مرادفة للعالم المعروف في ذلك الحين

وقد سعى شارلمان وخلفاؤه لاعادة وحدة الامبراطورية الرومانية ولكن مساعيهم لم تنجح اذ دخلت البشرية دور النظام الاقطاعي وتجزأت السلطة بين الامراء والاشراف حتى أدى الأمر [illegible] منازعات طويلة

[illegible] بين الملوك

والرؤساء . ومن مآثرها في هذا الباب « هدنة الله » التي فرضت على جميع المتحاربين الامتناع عن الاعمال الحربية في ايام الاعياد والايام المقدسة

***

ومن اشهر المشروعات التي رمت الى توطيد السلم في العالم مشروع منسوب الى الملك هنري الرابع الفرنسي . ولكن الارجح أن واضعه الحقيقي كان سولي وزيره الشهير (في اوائل القرن السابع عشر) . وخلاصة هذا الرأي وجوب التسوية بين قوى الدول بقدر الامكان بحيث تسلخ اقسامٌ من الدول الكبيرة وتضاف الى الدول الصغيرة أو تتحد هذه فيما بينها لتقوى على الوقوف في وجه الدول الكبيرة . وبمقتضى هذا الرأي قسمت اوربا الى ١٥ دولة : ست منها ملكية وراثية وهي فرنسا وأسبانيا وانكلترا واسوج ودانمارك ولومبارديا ، وست ملكية انتخابية وهي رومة والبندقية والمانيا وبولونيا وهنغاريا وبوهيميا ، وثلاث جمهورية اتحادية وهي سويسرا وبلجيكا وايتاليا . وقد جعل على رأس هذه الدول مجلس عام للقضاء بينها يعضده جيش واسطول مشتركان

ويطول بنا الشرح لو أردنا سرد الاقتراحات العديدة التي قدمها المفكرون لحفظ السلم العام فان هذا الحلم اللذيذ ما برح منذ القدم يتردد على فكر البشر فصوره الفلاسفة في صور جميلة جذابة . وانا ذاكرون فيما يلي أسماء الذين اشتهروا في هذا الشأن : فمنهم الأبيه سان بيار الذي توسع في مشروع هنري الرابع المتقدم ذكره ، وجان جاك روسو الذي لخص آراء سان بيار هذا وعممها ، والفيلسوف بنثام الانكليزي مؤلف « المحكمة الدولية » ، والفيلسوف كَنْت الالماني صاحب « مؤتمر الشعوب الدائم والسلم العام » ، وجون ستيورت ميل صاحب « المحكمة الاتحادية العليا » . وغيرهم كثيرون

***

وقد كان من أغراض الثورة الفرنسية ان تلغي الحروب وتحث الشعوب على التآخي والسلام . ولكنها لم توفق الى تحقيق حلمها اذ فاتها قول دالمبير : « ان كل من يسعى لاسعاد البشر ولا يفطن لامر الاهواء والرذائل البشرية انما يكون قد تخيل حلماً لذيذاً » . فقد انتهت الثورة الفرنسية بقيام نابوليون اله الحرب الاكبر ! وكن[illegible] تجربة

ولم يكد نابوليون يسقط عن عرشه حتى ألفت الدول الاوربية « الاتحاد المقدس » وغرضه الظاهري حفظ السلم والامان في حين كان غرضه الحقيقي توطيد العروش المزعزعة وتثبيت التيجان المقلقلة ـ وهو ما أدى الى هبوب عاصفة الحرية على اوربا سنة ١٨٤٨ وهي السنة التي لفظ فيها فيكتور هوغو عبارة « دول أوربا المتحدة » لاول مرة بين تصفيق حزب الاحرار في الجمعية التشريعية الفرنسية

وفي سنة ١٨٧٠ اجتمع في بال بسويسرا مؤتمر للنظر في تأليف لجنة دولية لحفظ السلم وبينما كانت جلساته منعقدة نشبت الحرب البروسية الفرنسية فقضت عليه

ولا ريب في ان أعظم مسعى بذله البشر لتوطيد أركان السلم قبل هذه الحرب كان مؤتمر لاهاي الذي عقد بدعوة القيصر نقولا الثاني سنة ١٨٩٩ وقد عقد مرة ثانية سنة ١٩٠٧ . وكان في النية عقده للمرة الثالثة سنة ١٩١٧ ولكن الحرب الاوربية حالت دون ذلك . وعلى أثر المؤتمر الاول عقدت دول كثيرة اتفاقات تحكيمية ترمي الى فض المشاكل التي تقع بينها بواسطة التحكيم الدولي . وقد فضت في الواقع مشاكل كثيرة بهذه الطريقة

هل يحقق حلم الدهور ؟

أول ما يتبادر الى الذهن رداً على هذا السؤال ان البشر بشر وسيظلون بشراً. فلا أمل في اقلاعهم عن غريزة التنازع المستقرة في أعماق الطبيعة البشرية. وهو رأي فريق كبير من الفلاسفة السالفين والمعاصرين

على أن من يمعن النظر في المسألة يتضح له ان البشر مع كونهم لا يزالون بشراً قد تقدموا شوطاً بعيداً في مضمار الرقي المعنوي فضلاً عن الرقي المادي . ثم ان الاحوال الاقتصادية قد انقلبت انقلاباً أصبحت الحرب معه ضارة بالمنصور والمكسور على السواء . ومن جهة أخرى ان انتشار المبادىء الديموقراطية وتحول السلطة من أيدي أسرات حاكمة طماعة الى شعوب مسالمة لا تطلب الا الراحة ورغد العيش ـ كل ذلك يؤملنا باقتراب اليوم الذي يدرك البشر فيه مصلحتهم المشتركة ويتعاونون على استثمار الارض وما فيها بدلاً من التنازع والتطاحن

ولن تكون الدماء المسفوكة في هذه الحرب ثمناً غالياً لهذا الحلم حين يتحقق !

الغناء العربي الحاضر

شيء عنه

من التغيرات التي قضت بها الحرب الحاضرة فافضت الى تطورات مختلفة في حياتنا الاجتماعية تقلص الملاهي الافرنجية الى ما يداني الصفر تقريباً وتوسع الملاهي العربية حتى اصبحت ملتقى جميع القاصدين من الوطنيين — اللهم اذا ضربنا صفحاً عن ملاهي الصور المتحركة . فاجواق التمثيل العربي المتعددة وجوقات المغنين كلها صادفت رواجاً عظيماً ناهيك عن ان هذه الاجواق تعددت الى ما جاوز الضعفين . وكان من انفساح المجال لها انها أخذت تتطوَّر تطوراً جديداً يعلو من بعض الوجوه متجهاً الى الاجمل والافضل وربما عُدَّ في المستقبل القريب « نهضة » ولا سيما اذا قورنت هذه الجوقات العربية بالجوقات الافرنجية

لا يسعني مجال القول هنا أن اقول كل ما أريد أن اقوله بهذا الموضوع فاقصر الكلام على شيء أو اشياء مما يلوح في ضميري دائماً عن الغناء العربي

ولا أتصدى لنقد الغناء العربي لا مقرظاً ولا ذاماً لاني لست من ابناء الفن الذين يحق لهم أن يفوهوا بكلمة من هذا القبيل . وانما انا واحدٌ من الالوف الذين يسمعون الغناء . فما اقوله بهذا الشأن ربما كان مجمل الصدى المردود عن الاذان لا نتيجة تفاعل الاذهان بفن اهل الالحان . وبعبارة ابسط اقول اني اتكلم من جهة طائفة السامعين لا من جهة فئة المغنين والملحّنين . وللسامعين مجال واسع للكلام وربما كان أوسع من مجال ذوي الفن

لا أتعرض هنا للقضية التي هي موضوع مناقشة دائمة عند المتفلين بين الموسيقيين الشرقية والغربية وهي أيهما أرقى تطوُّراً — ولا اقول افضل لان لي مقالة ضافية بهذا البحث نُشرت في ضياء المرحوم اليازجي برهنت فيها بمقتضى نواميس الاصوات النغمية أن الموسيقى الشرقية ارقى . ولا يمكن تلخيص تلك المقالة هنا من غير اضعاف قوة البراهين فيها

ولا اقول ان احداهما افضل أو اوقع في النفس من الاخرى لسبب طبيعي أشرت اليه في احدى مقالاتي عن « تحول الحركة » في هلال السنة الماضية . وفيها

يثبت أن كل موسيقى جميلة لاهلها فقط لا لغيرهم

وانما يمكن القول بالاجمال ان الغناء العربي تحسّن جداً في العصر الاخير. ولي جرأة ان اقول انه ارتقى ارتقاء محسوساً. واكتُشف جماله وارتقاؤه على الخصوص في مدة الحرب حين قضت الاحكام العرفية بتنظيف مغاني الغناء من عربدة السكارى وتهتك الراقصات. واصبح مغنى الغناء لمجرد الغناء لا يقصد اليه الا من يحب « السمع » فقط. في هذه الحالة صار يمكن الناقد أن ينقد الغناء صادراً من الاوتار الجامدية والحيوية وراجع الصدى من ملامح السامعين

أجل أن الغناء العربي حلا ولطف ورقَّ ورخم وطرَّب جدًّا حتى يمكن القول انه ارتقى ارتقاء بيّناً لولا ما يعتوره من بعض العيوب التي اذا تلوفيت جاز القول انه قارب الكمال. وتلافيها ليس بالمستحيل

تنقسم هذه العيوب الى ثلاثة انواع بحسب مواضعها: اولاً عيوب السمع. وثانياً عيوب الغناء. وثالثاً عيوب التلحين

عيوب السمع

أقدّم عيوب السمع على العيوب الاخرى لانها عيوب امثالي من السامعين. ونحن اولى بنقد أنفسنا من نقد سوانا

فلا اقصد أن اعيب على السامعين لغط بعضهم وقت الغناء وانشغالهم في الكلام في حين اجادة المغنين والعازفين. لان الذين لا يصغون ولا ينعطفون بكل جوارحهم الى الغناء ليسوا من فئة السامعين بل هم غرباء عن نعيم الغناء وما دخلوا المغنى الا في صحبة آخرين او لملاقاة آخرين أو لانهم لم يجدوا مؤنسين لهم في غير ذلك المكان

ولا استهجن « تهيص المهيصين » من بعض الفتيان الذين عذرهم خفة الشبا وطيش الصبا لان هؤلاء لا يهيصون لجمال الغناء وانما يهيصون لنكتة خليعة في لغة المغني أو المغنية على الخصوص او لحركة تهتك تردف بها المغنية « نهفتها ». فهؤلا لا يحسبون في فئة السامعين بل يعدون من فئة الفتيان « المتظرفين »

ولا ألحي الافراد الذين يقترحون على المغني (او المغنية) دوراً غير الذي ينوي أن يقوله أو هو شارع بقوله أو « طقطوقة » - وبعض الطقطوقات فنية جميلة لان هؤلاء لا يميزون الغث من السمين فلا يعدون في صف السامعين أيضاً. ولا اقرّع بعض السامعين الذين يحاولون أن « يتظرفوا » لدى الجمهور بنكات يرمون بها المغنـ

تارة والعازف أخرى والمجلس مجلس طرب لا مجلس لعب . وهؤلاء بالرغم من ظرفهم الشخصي فقدوا خفة روحهم بوضعها في غير موضعها

لا أعيب ولا ألوم ولا ألحى ولا أقرّع هؤلاء ولا أمثالهم ممن شذوا عن قاعدة السمع لان عيوبهم هذه واضحة ولا يجهلها أحد حتى ولا هم أنفسهم يجهلونها

وانما أعيب على السامعين عيباً خطيراً وربما كان خطراً على تدرج الفن في مدارج الارتقاء وهو « قلتهم » . ان الذين يحبون السمع ويفهمون السمع ويعرفون كيف « يسمعون » قليلون جداً . والنسبة بين رقي التلحين والغناء ورقي السمع في بلادنا غريبة لا تكاد تعلل بتعليل علمي عقلي أو طبيعي . واذا علم الاجنبي ان بيننا موسيقيين بكل معنى الكلمة كثيرين وان السامعين الحقيقيين فينا قليلون بالنسبة الى المجموع دهش وشق عليه ان يصدق لان السنة الطبيعية هي ان تحسن البضاعة كما طُلبت ورغب فيها . والذي لاح لي من تعليل هذا التناقض الغريب ان سر ارتقاء الفن كان مجرد تنافس أهله في الاختراع والابداع في التلحين والغناء والعزف . وربما وجدوا مضماراً لهذا التنافس في مجالس الكبراء الخصوصية . واذا أضفنا الى ذلك ان الفن خلقة أوسجية طبيعية في الشرقي ولا سيما المصري رأينا هذا التعليل معقولاً

هذا من جهة ارتقاء أهل الفن . وأما من جهة جمود فئة السامعين فالغالب في تعليله ان دُوْر الغناء العمومية كانت دائماً في ادارة أجانب لا يعرفون منها الا ابتزاز أموال ذوي الطيش من الفتيان وأهل الشهوات من غيرهم فاصبحت هذه الدُوْرُ بلا نظام وتغلب فيها اللهو والبطالة على محاسن الفن فانكمش عنها السامعون . وبدل ان تتربى أذواق الجمهور على الذوق الموسيقي السليم كانت تتربى على شواذه مما يتغنى به المقلدون والمتطفلون . فكاد ذوق الجمهور الموسيقي يفسد

نرى أن العلاج الشافي لجعل الجمهور برمته صالحاً للسمع ـ السمع الفني الصحيح ـ انما هو تربية ذوقه على السمع . ولا تتسنى هـذه التربية له الا اذا جعل فن الغناء في البلاد نظامياً في ادارته طاهراً في قصده

عيوب الغناء

لا أقصد بعيوب الغناء العيوب الفنية . معاذ الله وانما أقصد العيوب التي ينفر منها « السمع » أو السامعون . وقد تستغرب القول أن للمغنين عيوباً تنفر منها النفوس وهم بمقتضى الفن الجميل يجب ان يكونوا مثال الذوق

دع خلاعة بعض المغنيات أو المغنين في خلال الغناء . ودع تلاعب بعضهم ببعض ألفاظ الاغنية (أو الدور) استفزازاً « للمهيصين » . وخلّ الممازحة التي تتخطى الجمهور من دكة الجوقة الى بعض الجلاّس . فان كل ذلك ونحوه مما جرى مجراه معلوم انه مستنكر وهو يكثر ويقل بحسب طبقة جمهور الحضور . وربما كان الذنب فيه على الحضور اكثر وان كان أهل الغناء أولى باللوم فيه

وانما نعين من عيوب المغنين والمغنيات انتقاءهم للاغاني (الادوار) . فهو معلوم ان الاغاني لا تتساوي في جمال ألحانها . بعضها أجمل وأوقع في النفس وأطرب لها من بعض بحكم الاكثرية من السامعين . وبين الادوار ما لا يملّ اذ غني ليلاً وبعضها لا يطاق ان يسمع . أفليس من الغريب ان يكرر المغني أو المغنية هذا ليلة بعد ليلة ولا يفطن لذلك مرة في الدهر

أجل أن الناس يختلفون في استحسان الالحان اختلافهم في الحكم على الجميل ـ وما اللحن الا ضرب من الجمال ـ ولكن هناك قواعد عمومية لجمال الالحان التي تشترك في استحسانه جميع أذواق الشعب الواحد لانها تمرست على نمط واحد . وربما امكن اجمال هذه القواعد هكذا :ـ

أولاً تنوع الانغام في دور واحد . انما يجب ان تكون الانغام المتنوعة متآلفة غير متنافرة . ومن مزايا الموسيقى العربية تعدد الانغام فيها بحيث يتسنى للملحن الاختيار بسهولة . وفي وسعه ان يحاشى الضرب على وتيرة واحدة

ثانياً ان يكون روح النغم متفقاً مع معنى الكلام الشعري

ثالثاً قلة التكرار الممل ونعني به بالاكثر تكرار العبارات الموسيقية نفسها لا تكرار العبارات الشعرية مع ان تكرار هذه عيب أيضاً

هذا مجمل ما يقال الان بشأن هذه القواعد (من قبيل السامعين) ولاهل الفن أحكام أخرى في قواعد التلحين ليست من شأن بحثنا . وانما يصح القول هنا ان للسامعين الحق في النفور من « الدور » الذي يشذ عن هذه القواعد واستحسان « الدور » الذي ينطبق عليها . ولا ريب انَّ هناك أدواراً يتفق معظم القوم على استحسانها وأدواراً أخرى يتفق معظمهم على تجافيها والنفور منها

فلا نظن أحداً سمع دور « الفؤاد مخلوق لحبك » مثلاً الا طرب له لأول مرة خلافاً لبعض الادوار التي لا تطرب لها الا بعد ان تألفها . فكأنَّ ذوقنا الموسيقي

مهيأ بالفطرة لتشرب هـذا اللحن . وما سمعت هذا الدور مرة الا استحضر لذهني مقدرة ملحنه وروحه الموسيقية وأعجبت بالملحن قبل المغني . فالدور جليل اللحن رصينه كانه أمير بين أماثل الالحان وأشرافها . كذا « مذهبه » وكذا « قفلته » وأما سائر جسمه فرخيم شجي مطارب مبهج . ولا أظن ان المغنين يجدون فيه عيباً فهو من القبيل الفني تام . وجمهورالسامعين يعدونه تحفة الغناء العربي العصري . وقد اتم جماله في نظمه الشعري الرقيق . ولا بأس من ذكره هنا برمته من قبيل الفكاهة الشعرية :

الفؤاد مخلوق لحبك والعيون على شان تراك
والنفوس تحيا بقربك والملوك تطلب رضاك
راع ربك رق قلبك
تشف صبك من لماك
الجمال منسوب لشكلك والقمر محسوب ضياك
مين يطول في الملك وصلك وانت في باهي علاك
مين يماثلك مين يعادلك
مين يليق لك في سماك

ويليه بالجمال الموسيقي « المحاسن والطاقة » ومعظم الادوار الحديثة جميلة

وأخص بالذكر من الادوار القديمة (ولا أعني العريقة في القدم) « أسير العشق ياما بشوف » فان في هذا الدور من البراعة الفنية وقوة التطريب ما يجعله في المنزلة الاولى بين منازل الادوار الجميلة . ولست في مقام تعداد الادوار الجميلة والا لذكرت عشرات منها . وانما غرضي ان أقول ان الدور الجميل لا يخفى على السامعين كما ان الدور البارد أو الفاهي أو الجامد أو الممل لا يخفى عليهم أيضاً . ولا أتذكر من هـذه الادوار الا ما ندر لاني كسائر الناس لا أتذكر ما لا أحب وانما استشهد بدور سمعته حديثاً قد أظلمه اذا طعنت فيـه لانه يعد قبيحاً على الاطلاق وانما يعد في الدرجة الثانية وهو « يلي جرجت القلب داويه » فهو جميـل التلحين اذا جزأته ونظرت لكل قطعة منـه وحدها . وانمـا عيبه أن قطعه كلها تسير على وتيرة واحدة من أوله الى آخره ولا أظنه يخرج عن « هوى » (أى نغم) واحد . ولكن هناك من الادوار ما لا يطاق سمعه لما فيه من وحدة الوتيرة المملة والقاتلة لعاطفة الطرب في النفس البشرية كدور « الحب سلطانه قاسي »

أجل ان الادوار الباردة المملة الجافية للذوق الغنائي تموت بحكم الطبع . اللهم الا اذا كان المغنون يتفقون مع السامعين على تجافيها . ولكن ما قولك اذا كان المغنون والمغنيات يريدون أن يثبتوا للملأ أنهم يحسنون غناء كل دور على الاطلاق فيمرون على جميع الادوار في ليالي غنائهم دوراً بعد آخر بقطع النظر عن كون الدور مطرباً أو غير مطرب كأنهم يريدون أن يحيوا ما يجب أن يموت

والغريب من امر « السامعين » انهم اذا سمعوا دوراً جميلاً عظموا مغنيه وغفلوا عن براعة ملحنه وسلامة ذوقه ولا يخفى ما في ذلك من غمط فضل الملحن. (ووالله ما سمعت دوراً جميلاً الاّ لاح في ذهني قدر الملحن لا المغني) . وكذلك اذا سمعوا دوراً بارداً قبحوا صوت المغني وشنعوا بكفاءته ولا يخفى ما في ذلك من الظلم للمغني وانما الحق عليه في سوء الاختيار

عيوب التلحين

بقي أن نقول الكلمة الواجبة عن التلحين . ولا يخفى ان التلحين كنظم الشعر بل هو أدق منه واسمى . وكما ان الشعراء يتفاوتون في الاجادة يتفاوت الملحنون فيها ايضاً . وكما ان الشاعر يقع احياناً تحت خطر الغرور كذلك الملحن . ولذلك اذا اكتفى الملحن بحكمه الشخصي وحده على الدور الذي يلحنه لا يضمن سلامة دوره من العيوب . ولعلَّ هذا هو السر في ان بعض الادوار مشوبة بعيوب تشوهها وتحط من منزلتها . ومن شواهد ذلك دور « خلّي الفكر » فانه لولا قطعة فيه تزهق الارواح لعدَّ في مقدمة الادوار العصرية أبهة وجمالا واطراباً . ولا بأس ان نذكر هنا هذه القطعة وهي اواخر مكررات « ياريت الحب لم شفته ولا رأيتو » السابقة لقوله « صحيح الحب يهنا لي » فهذه القطعة تمثل لك « الحب » في دور النزع أو الاحتضار . وبسببها فقد الدور كثيراً من جماله ورونقه . فاذا كان الملحن يقطع هذه القطعة او اذا كان المغني يحذفها استعاد الدور مكانته التي يستحقها . وفي كثير من الادوار الجميلة مثل هذه العيوب الامر الذي يدلك على أن الملحن لا يعتمد على احد في الحكم على جمال تلحينه بل يستبد برأيه وحكمه فلا يأمن الشوهة في الحالة

ومن ذلك ترى أن فن التلحين يحتاج الى هيئة تحكيم . فاذا كان الملحن يستثقل نقد زميله للحنه ويستنكف أن يأخذ رأي غيره في لحنه فلا يثقل على طبعه حكم فئة من اهل الفن اذا نقدوا لحنه بل يفتخر كل الفخر اذا حكموا له بجمال لحنه

ولكن أين هذه الفئة وكيف يمكن تأليفها بطريقة نظامية . فاذا كان نادي الموسيقى الشرقي يضم اليه جميع اهل الفن من ملحنين ومغنين ويختار الفئة المحكمة منه ساغ لهذه الفئة أن تنقد الادوار الجديدة وتشهد للجيد منها فتكون شهادته حجة . ولا ندري سبباً لعدم توسع النادي على هذا النحو الا تخاذلنا نحن الشرقيين في اعمالنا

ان الموسيقى الشرقية ولا سيما المصرية راقية الروح جداً ولكنها لم تزل في فوضى بلا انظام ولا قاعدة — لا أعني فوضاها من قبيل الفن البحت بل من قبيل العمل فيها . وربما كانت تحتاج الى تهذيب فني ايضاً لتنقيتها وتطهيرها من الشوائب العارضة

وانما بالاجمال يقال انها مهملة ومتروكة بين ايدي فئة عاجزة عن رفعها الى مقامها الحقيقي . ولا أدري من يلام بهذا الاهمال ومن هو المطالب بالاهتمام في تنظيم هذا الفن الجميل . ولعل سبب هذا الاهمال عدم تقدير أهمية الموسيقى في حياة الامة وجهل تأثيرها في التهذيب والرقي . والغريب ان تكون هذه منزلتها عندنا مع انها في مقدمة ملذات الجنس البشري الصالحة والمجردة من الشر . وهي عند غيرنا عنوان ذوق الامة والعامل الفعال في تدميث الاخلاق ورفع النفس من درك الصغارة والبلادة والحمول الى قمة العزة فضلاً عن انها أول مصدر من مصادر السرور الذي هو الغرض الاخير من مساعي الانسان وجهاده في هذه الحياة

وأغرب ضروب هذا الاهمال أن الصحافة التي من واجباتها ان تلم بكل شيء من أشياء الاجتماع لا تقرب الى حوادث الغناء والموسيقى لا من قبيل الخبر المجرد ولا من قبيل التقريظ او الانتقاد . فاذا كان الكتاب لا يدرون شيئاً بهذا الشأن فهناك أختصاصيون يقدرون ان يكتبوا فيه كل يوم شيئاً جديداً . وما دام كل يوم من أيام الزمان يرينا اغنية جديدة ومغنياً جديداً وعازفاً جديداً وحفلة موسيقى جديدة فباب الكتابة بهذا الموضوع يكون مفتوحاً على الدوام والكلام فيه يلذ للجمهور عموماً ويهم المغنين من محترفين او « غاوين » على الخصوص

وقد انشئ نادي الموسيقى كوطن معين للحضارة الموسيقية فما رأينا الصحافة أعطته حقه من اهتمامها مع انه يضم نخبة من نبلاء الفنيين الذين يشرف الفن بعنايتهم به . فالصحافة مقصرة بواجب كبير من واجباتها اذا كانت تدعي ان ما تفعله انما هو خدم واجبة للامة ولقرائها

نقولا الحداد

نور الدين أبراجاً في مملكته لحمام البطاق في كل برج نظار وحراس يراقبون وصولها وبين البرج والآخر ١٢ ميلا

وفي القرون المتأخرة كان بعض الافرنج المقيمون في الشرق يستخدمون الحمام في بعض الاحوال التجارية وقد ذكروا ان تاجراً اصطاد حمامة وجد معها رسالة علم منها أن القطن قليل في انجلترا فاشترى منه كمية كبيرة ربح منها مالا كثيراً

***

هذه لمحة اجمالية في تاريخ استخدام حمام الزاجل منذ أقدم الازمنة وقد بطل استخدامه اليوم في المراسلات السلمية بسبب انتشار التليفون والتلغراف . غير انهم لا يزالون يستخدمونه ويستفيدون منه في الحروب ولا سيما حين يقطع العدو الاسلاك البرقية ولا يبقى ثمت اتصال . وقد أنشأت وزارات الحرب في جيوشها مصالح لتدريب حمام الزاجل على اسلوب علمي والاستفادة منه في الحروب الحديثة

أخذت الجيوش الاوربية تستخدم حمام الزاجل رسمياً في صفوفها ابتداء من سنة ١٨٧٠ اذ ثبتت فائدته في الحرب البروسية الفرنسية . فما زالت الحكومات منذ ذلك الحين تعنى به وتهذب فطرته وترقي نوعه بالانتخاب الاصطناعي حتى تضاعفت فائدته . وقد أدى حمام الزاجل خدمات جليلة أثناء حصار باريس في الحرب البروسية الفرنسية سنة ١٨٧٠ فكان يحمل على البالونات التي تطير من العاصمة الى المقاطعات فلا يلبث أن يرجع مزوداً بالاخبار . ولما وضعت الحرب اوزارها قررت الحكومة الفرنسية استخدامه رسمياً فاتبعته اولاً بمصلحة التلغراف الحربي ثم ألحقته أخيراً بفرقة المهندسين . وقد حذت سائر الدول حذوها في استخدام ذلك الطير لحثت رعاياها على تربيته والاعتناء به فتأسست في معظم الاقطار الاوربية جمعيات لتربية حمام الزاجل وترقية نوعه . وكانت تقام حفلات دولية يتسابق اليها المربون من جميع الاقطار بطيورهم ويعرضونها للسباق . فارتقى بذلك نوع حمام الزاجل ارتقاء كبيراً حتى ان بعض الطيور كانت تقطع مسافات تزيد على الف كيلو متر

وكان الطير الرابح اذا عرض للمبيع بالمزاد طلبه الراغبون بأثمان باهظة أربت في كثير من الاحيان على ١٥٠٠ فرنك

وقد كانت بعض صحف المساء في باريس قبل الحرب كجريدة الانترنزيجان اليومية تستخدم حمام الزاجل للحصول باسرع ما يمكن على تفاصيل الحوادث الهامة

كنتيجة سباق أو مصارعة أو نحو ذلك

ولم تغفل المانيا أمر حمام الزاجل في استعداداتها الحربية كما هو معلوم . فقد بثت جواسيسها وعمالها قبل الحرب في البلجيك لشراء أفضل نوع من ذلك الطير ولا يخفى ان الالمان حال احتلالهم الاراضي البلجيكية أصدروا منشوراً أمروا به الاهلين بتسليمهم كل ما لديهم من ذلك النوع باقرب وقت وقد حكموا بالقتل على كثيرين ممن رفضوا الاذعان لاوامرهم

وقد كان لكل فرقة المانية عند نشوب الحرب عربة يأوي اليها مئتان من حمام الزاجل منوط أمرها بيوزباشي واربعة أنفار

وكانت عربة الحمام هذه تبقى وراء فرقتها على مسافة معينة بحيث لاتكون عرضة للخطر . وحمام العربة يوزع على وحدات الفرقة لكل وحدة اربعة طيور . وقد خطر للالمان قبل الحرب أن يستخدموا حمام الزاجل للتصوير الشمسي بواسطة آلات صغيرة تشد الى اعناقها . غير ان التجارب لم تؤد الى نتائج مرضية من هذا القبيل فلم تخرج الفكرة الى حيز العمل

أما الحلفاء فانهم اعتنوا بأمر حمام الزاجل كل الاعتناء وما زالوا يستخدمونه ويستفيدون منه منذ ابتداء الحرب . وقد حذرت المراقبة في بادئ الامر على الصحف نشر التعليمات بخصوصه . على انها عادت وسمحت اخيراً بنشر بعض الشيء في هذا الصدد

تستعمل الجيوش الفرنسية عربات أو أوتوموبيلات يأوي اليها الحمام تقف على بعد ١٢ كيلومتراً من خطوط النار . والطيور التي في خدمتها وان تكن من افضل أنواع الحمام الا انه لا تتم فائدتها ولا تصير صالحة للخدمة الا بتمرينها وتدريبها رأساً في ميادين القتال وعلى اسلوب خاص

ويبتدئ هذا التمرين عند ما يبلغ عمر الحمامة ثلاثة أشهر فتكون اذ ذاك قادرة على الاهتداء الى مأواها اذا تركت على بعد كيلومتر منه . على انهم لا يزالون يدربونها ويمرنونها على مسافات متفاوتة حتى تستطيع العودة الى مأواها من مسافة ٣٠ كيلومتراً . وعند ذلك لايبقى الا تعويد الحمام على اصوات ميادين القتال المختلفة فيأتون به أولاً الى ميدان للطيران حتى اذا ألف اصوات الطيارات بقي عليه أن يتعود دوي المدافع وهزيم الرصاص الى غير ذلك . وهنا الامتحان الحاسم فاذا نجح فيه عدّ

صالحاً للخدمة في الجيش . وكثيراً ما جرى لبعض الحمام انها تطايرت بدون انتظام عند سماعها اصوات القنابل لاول مرة ولم تعد وقد يتعادها الحمام في بعض الاحيان تلك الاصوات لاول مرة . فاذا نجح الحمام في هذا الامتحان وضعوه في اقفاص وذهبوا به الى الخطوط الامامية حتى اذا احتيج اليه هناك حملوه ما شاءوا من الاخبار فيعود بها الى مأواه الذي على بعد ١٢ كيلومتراً . ولا يجوز استخدام الحمام الا عند الحاجة الماسة حين تعدم سائر وسائل المخابرات

وقد نوهت عدة بلاغات عسكرية بافعال الحمام وخدماته الجليلة ومن ذلك ان الذين حوصروا في حصن دوومون أثناء معركة فردان كانوا يخابرون مع سائر الجيش الفرنسي بواسطته وقد أقام له بعض الجنود مقابر في غير مكان تذكاراً لخدماته

وتستخدم حمام الزاجل اليوم مصلحة الطيران البحري وسفن الخفر الصغيرة والغواصات . وقد نشرت أخيراً بعض الصحف الانجليزية فحوى رسالة استغاثة بعثت بها سفينة خفر عند غرقها على اجنحة ذلك الطير . ويروى ان طيارة بحرية انجليزية وقعت في البحر لخلل في آلتها فاتخذ ربانها حماماً برسالة استغاثة وكان الفضل في نجاته الى ذلك الطير الذي قام بمهمته بكل أمانة

خواطر

لمدام دي سيفينيه

قليلة هي الفرص التي يتاح فيها للانسان أن يظهر مودته وصداقته . ولذا وجب عليه أن لا يضيعها حين تسنح له

ليس ما هو افضل من النفس الطيبة الجميلة فانها تبدو في كل شيء يصدر عنها

الامراض الطويلة تستهلك الالم كما تستهلك الفرح الآمال الطويلة

العقل يحتمل الآلام ، والشجاعة تقاومها ، والصبر والدين يتغلبان عليها

اظهر بروحك لا بروح غيرك . ولتتجلَّ في مراسلاتك نفسك وليس محتويات مكتبتك

ليس ما ينتزع العواطف الطيبة من القلب مثل الريبة والشك . فان من تعده عدواً لك لايلبث أن يصبح كذلك . وبعكسهما الثقة فانها تحمل على الاستقامة والفضيلة

اجمل الابنية

التي اقامها البشر

انا ذاكرون في هــذه المقالة ستة ابنية عدّها أحد كبار رجال الفن اجمل ما صنعه المهندسون - كل واحدة في بابهـا . وهي : قبر تاج محل وقصر الحمراء وكاتدرائية اميان وكاتدرائية سالسبري وقصر شامبور و بناء بلدية مدينة نيويورك

ولكن قبل الشروع في وصف هذه الابنية يجدر بنا أن نجيب عن هذا السؤال :

علامَ يتوقف جمال البناء ؟

يصعب تحديد ما يكوّن الجمال في البناء كما يصعب تحديد ما يكوّنه في الطبيعة . فانه لا يتوقف على عامل واحد بل يقوم بعوامل مختلفة منها الحجم والتناسب والطرز والزخرفة والقدم والمحيط الخ . زد على ذلك ما للبناء من التأثير في نفس الناظر وما يوحيه اليه من التذكارات والاماني . فان هذا العامل غير المحدود قد يحمل الانسان على تفضيل بناء على سواه من الابنية لما يربطه به من الروابط الروحية

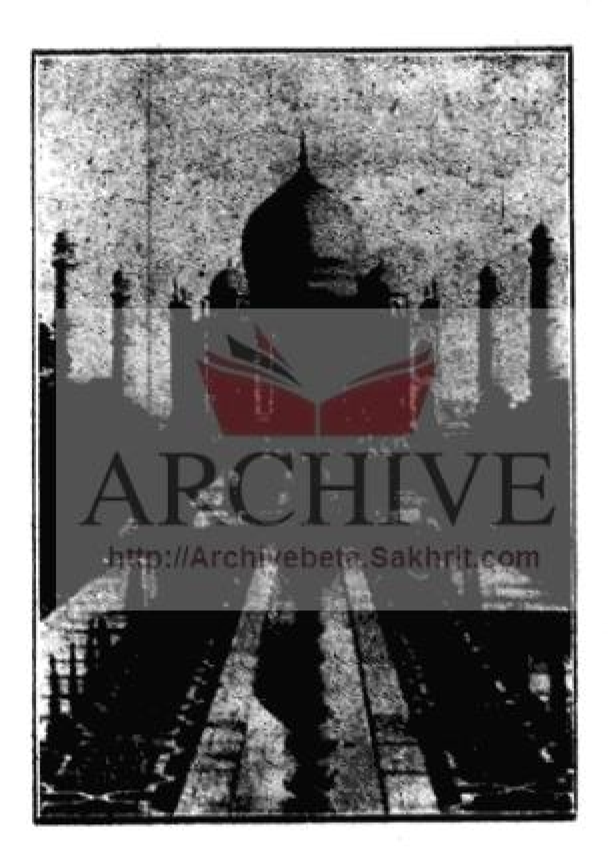
لذلك يتعذر تعيين عدد من الابنية وعدها اجمل ابنية العالم لان الجمال على الغالب احساس نسبي كما رأينا . فقد خلفت لنـا العصور الماضية والشعوب السالفة عدداً كبيراً من الابنية لـكل منها جمال خاص في بابه . فلهذا السبب لا يجوز لنا عد الابنية الستة المذكورة في هذه المقالة اجمل ما صنع على الاطلاق فانما غرضنا انتقاء نماذج مختلفة يمتاز كل منها بمميزات مخصوصة

قبر تاج محل

قليلة هي الابنية التي نالت من المدح والاطراء ما ناله هذا القبر الفريد في نوعه فقد اعجب به السائحون والمصورون والشعراء على اختلاف اجناسهم ومشاربهم . بناه شاه جهان الملك المغولي الكبير تذكاراً لامرأته التي كان يحبها حباً جماً

لجعله في اجمل صورة تجسم دوام الذكرى . وقد شرع في تشييده سنة ١٦٣٢ واستغرق بناؤه ٢٢ سنة . أما حجارته فمن الرخام الابيض النقي يتخللها زخرفة بحجارة ثمينة ملونة على ابدع نظام . ولعل افضل ما في ذلك القبر قبته الناصعة البياض

ثم ان للجهة التي بني فيها القبر وما يكتنفه من المناظر الطبيعية قسطاً من مبلغ



قبر تاج محل

تأثيره في النفوس فان زرقة السماء فوقه وخضرة الحدائق حوله تزيد رونقه وبهاءه . فضلاً عن جمال الابراج الاربعة القائمة كالحراس على القبر عند زوايا السطيحة الرخامية المحيطة بالقبة الوسطى . أما الداخل فلا يقل جمالاً عن الخارج فضلاً عما يوحيه من الوقار والهيبة . وقد اتفق الذين شاهدوا هذا القبر الجميل على أنه يتعذر وصف جماله لمن لم يره بعينه

قصر الحمراء

ان المسافة المعنوية بين قبر تاج محل وقصر الحمراء اقل من المسافة المادية بينهما فكلاهما من ثمار الفن الاسلامي وكأن الاول اجمل مظاهره في الشرق والآخر اجمل مظاهره في الغرب

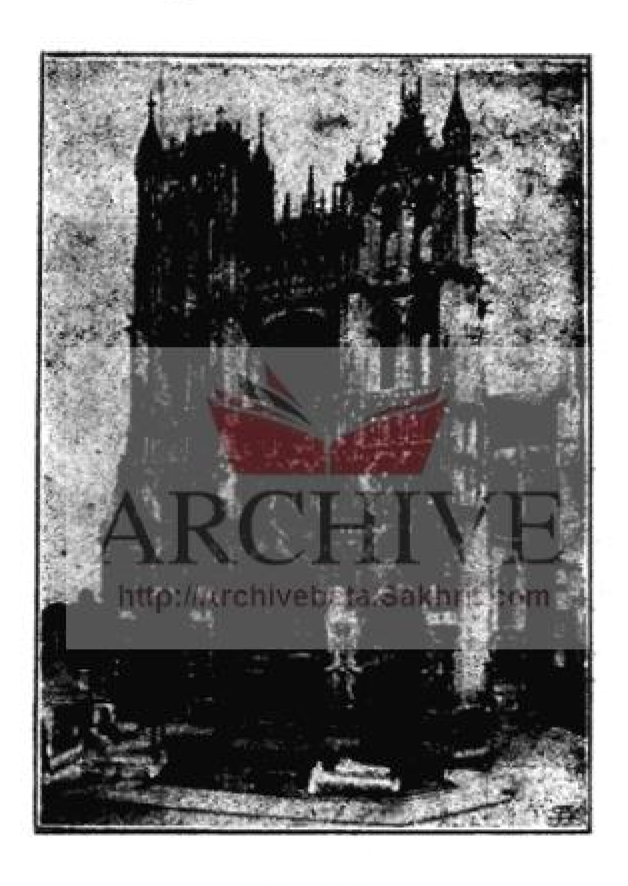
بنى الحمراء ابن الاحمر في اواسط القرن الثامن للهجرة في ارض مساحتها ٣٠ فداناً فوق مرتفع فسيح يشرف على مدينة غرناطة بالاندلس ويقال انها سميت



قصر الحمراء

الحمراء نسبة الى لون آجرّها . والحمراء كمعظم ثمار الفن الاسلامي بسيطة في ظاهرها ولكن حالما يجاوز الانسان بابها لا يتمالك عن الاعجاب بجمالها والتأثر بهيبتها بل لا يلبث أن يشعر حال دخولها انه في محيط شرقي اذ تتجلى له الروح الشرقية في فسحاتها وابوابها وبركها وردهاتها واروقتها وعواميدها العديدة : فقصر الحمراء يمثل الهندسة العربية بكمالها ومن يدخله ينسى انه في غرناطة باسبانيا فيتصور نفسه في دمشق ويرى ما يقرأه من وصف المنازل في الف ليلة وليلة وما فيها من العجائب والغرائب . فهو يمثل قوة العرب وثروتهم ومجدهم وآمالهم . وقد جعلوه معقلاً يصد

عنهم هجمات العدو وقصراً اشتمل على ما يروق للعين وتشتهيه النفس من نعيم ورفاه
وفي قصر الحمراء ساحات متعددة منها ساحة الرياحين وفي وسطها بركة طولها ١٣٠ قدماً تكتنفها اشجار الآس والبرتقال وبقربها ردهة السفراء وفيها العرش وهي اكبر ردهات القصر . وجمال هذه الاماكن يرجع الى نقوشها البديعة وزخرفتها



كاتدرائية اميان

الفائقة الوصف . على ان اجمل ما في قصر الحمراء بركة السباع التي ليس لهندستها البديعة من مثيل

كاتدرائية اميان

بينما كان العرب في الاندلس يشيدون قصر الحمراء البديع كان المسيحيون في شمالي فرنسا يقيمون تلك الكاتدرائيات العظيمة التي تعد من مفاخر فن البناء

وهي لا تزال الى اليوم قائمة في باريس وشارتر و بورج وريمس وروان ولي‌مان و بوفيه واميان وغيرها . وقد بنيت كلها في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . ومن الصعب اختيار كاتدرائية من هذه القائمة على سواها فلكل منها مميزات خاصة وجمال خاص على اننا مضطرون الى اختيار انموذج من هذا الطرز فلنختر كاتدرائية اميان وهي في نظر سواد اهل الفن افضل مثال للهندسة الغوطية فان واجهتها من اجمل



كاتدرائية سالسبري

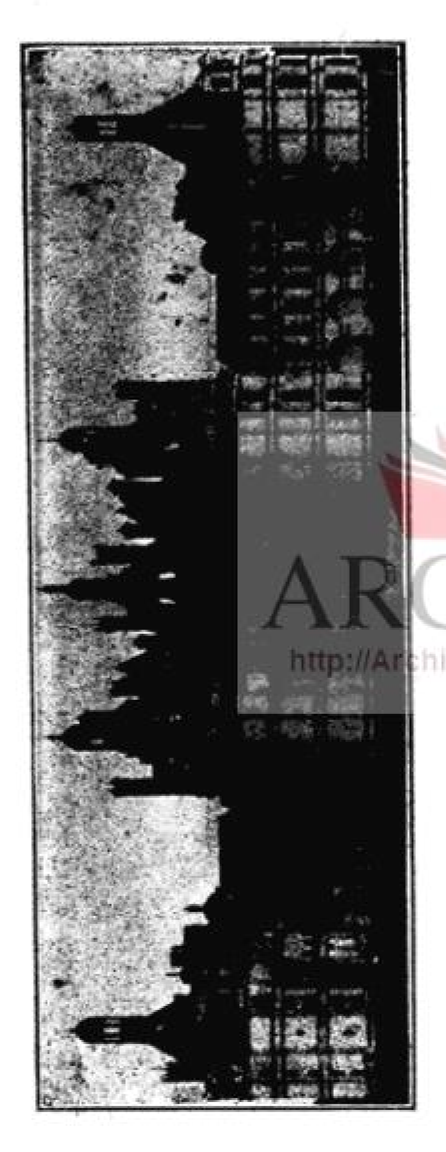
ما صنعه البشر وعليها نقوش تاريخية بديعة بل ان الكاتدرائية كلها ملأى بالصور والمشاهد المنحوتة في الحجارة . ولعل افضل منظر ترى فيه الكاتدرائية منظرها الجنبي فانها تظهر فيه بكمال ابهة الفن الغوطي في طول يبلغ ٥٠٠ قدم وارتفاع يزيد على ٢٠٠

كاتدرائية سالسبري

اذا مثلت كاتدرائية اميان فخامة الدين المسيحي فان كاتدرائية سالسبري تمثل ما فيه من الامل ببرجها الذي لا مثيل له في العالم والذي يبلغ ارتفاعه ٤٠٤ اقدام وهي

بلا ريب أجمل كاتدرائية في انكلترا مع كثرة الكاتدرائيات فيها

وقد شيدت كاتدرائية سالسبري في الزمن الذي شيدت فيه كاتدرائية اميان وكلاهما من ثمار الفن الغوطي ولكنه اظهر في الثانية منه في الاولى فان فيها بعض آثار من الهندسة النورمندية . ثم ان بينهما فروقاً اخرى فكاتدرائية سالسبري قائمة في جهة هادئة ساكنة بعيدة عن الضوضاء بعكس اميان القائمة في مدينة كبيرة . ولذا فتأثير كاتدرائية سالسبري في النفس يرجع معظمه الى وقارها وهدوئها و بساطة هندستها بعكس الحال في كاتدرائية اميان



قصر شامبور

بني هذا القصر بعد بناء الكاتدرائيتين المتقدمتين بنحو مئتي سنة ضعفت في اثنائها سلطة الكنيسة وقويت سلطة الملوك والاشراف . وقد بدا ذلك في الفنون فانصرف الناس عن بناء الكنائس الى بناء القصور . وقصر شامبور في مقدمة القصور الكثيرة التي أقيمت في ذلك العهد . بناه الملك فرنسوا الاول في بدء القرن السادس عشر وهو لا يمتاز بالزخرفة والنقش بل برحابته وعظمته . ولعل اغرب ما فيه سقفه الكثير الابراج والقبب والمداخن . واجمل ما في داخله سلمه الفخيم . وقد بني هذا القصر ليأوي اليه الملك حين يخرج للصيد . ومع كبره وفخامته لم يحدث فيه من الحوادث التاريخية ما يستحق الذكر

بناء مدينة نيويورك

نذكر أخيراً بناء مدينة نيويورك الذي بني بين سنتي ١٨٠٣ و ١٨١٢ وهو مثال من الابنية الحديثة ومع انه ليس كبير الحجم فانه يمتاز بجمال الهندسة وبساطتها وبتناسب الاجزاء ودقتها قال أحدهم فيه : « ان هـذا البناء جدير بنيويورك بعد ان اصبحت مدينة الملايين من الناس كما كان جديراً بها حين كانت مدينة الالوف »



بناء مدينة نيويورك

مما تقدم يتضح لنا صعوبة تحديد الجمال فانك لا تجد بين الابنية الستة المتقدم ذكرها بناءين متشابهين ومع ذلك فانها كلها جميلة . وجمالها لا يقف على هندستها فقط بل على ما توحيه الى النفس من الشعور : فان قبر تاج محل يمثل التذكر البشري وقصر الحمراء يجسم الفخامة الشرقية وكاتدرائية اميان ترمز عن عظمة الدين وقوته وكاتدرائية سالسبري تمثل الايمان البسيط المستكن وقصر شامبور يذكر بما شاهده من لهو الملوك والامراء وبناء مدينة نيويورك يمثل الروح الديمقراطية الحديثة وعنايتها بالجمهور ورفاهته

تاريخ الحياة والموت

قصة فلسفية

لا تغبطوا من انتزعه الموت بغتة فلم يشك ألماً . فلقد طالما أرعبه خيال الموت في حياته فسمما . . .

في تلك الاعصر الغابرة كان في الكون مدينتان الواحدة تواجه الاخرى لايفصلهما سوى نهر لجيني صافٍ هو شبه معبر للمدينتين العظيمتين

وكانت المدينة الاولى تسمى مدينة (الحياة) والثانية مدينة (الموت) ! خلق تينك المدينتين ذلكم الاله العظيم (جوبيتر) وقلد زمام مدينة الحياة (لابولون) الطبيب القلب ومدينة الموت (لمارس) الحكيم العبقري ثم قال لهما : « أفعلا ما تريانه صالحاً »

عندئذ قامت ثورة الحياة في مدينة ابولون فبدأت ذكاء تشرق وتغيب وتعاقب الجديدان بانتظام عجيب وجاش الخضم بامواجه وارتفع وأخذ السحاب يبدو في السماء وقد امتلأت اردانه بحبات القطر بينما الارض وعليها حلة قشيبة من زرقة الحقول تمتلىء رويداً رويداً بالناس والحيوانات والطيور

ولكي تتكاثر المخلوقات وتنمو خلق الطبيب القلب ابولون جوهراً من صنعه دعاهُ (الحب) وضمنه آخر أسماه (السعادة) فدعاه جوبيتر اليه وقال له : « بما أني قد خلقت السماء فليس لك أن تصنع للارض بعد الآن شيئاً أكمل مما صنعت . فاسترح ودع أولئك الذين تلقبهم بالبشر ينسجون وحدهم خيط الحياة ! »

فاطاع ابولون أمر جوبيتر . ومنذ ذلك الحين بدأ البشر يفكرون في أنفسهم .. فتولد السرور من افعالهم الحميدة والكآبة من افعالهم الرديئة . حينئذٍ ادركوا بمزيد الدهش أن الحياة ليست فرحاً مستمراً وأن ذلك الخيط الذي نوّه عنهُ جوبيتر قد نسجته امرأتان مختلفتان أحداهما بسّامة الثغر والاخرى تفيض عيناها بالعبرات ...

فتجمعوا وذهبوا نحو عرش ابولون الطبيب القلب متوسلين قائلين : « يا سيد ان الحياة ثقيلة في ظل الكآبة ! » فاجابهم : « اذهبوا وليكن الحب عزاءكم ! » فعادوا ساكتين لان الحب كان حقاً يطرد الكآبة التي كانت تتضاءل أمام سعادة

فيتناساها الكل ولا يعبأ بها أحد. غير أن الحب كان في الوقت نفسه اكبر خالق للحياة ومع أن مدينة ابولون كانت مترامية الاطراف فان جماهير البشر لم تكتفِ بثمار اشجارها وعسل نحلها فقام علماؤهم وبدأوا بقطع الاشجار وزرع الحقول وبذر القمح وحصده. وعلى هذه الشاكلة ظهر العمل على الارض فاضطر كل واحد أن يعمل لانه رأى في العمل أساس الحياة أو هو الحياة نفسها . . . وتولد من العمل التعب ومن التعب الضجر فتألب البشر ثانياً وذهبوا لابولون يستصرخونهُ قائلين: « يا سيد ! لقد أنهك التعب جسومنا فتملكنا الضجر. نود ان نستريح والحياة تجبرنا على العمل » فاجاب ابولون: « يا بني البشر الاحياء لم يخول لي جوبيتر العظيم حق التصرف المطلق في الحياة ولكني استطيع أن ابتدع لكم شيئاً يورث السكون والراحة » ثم تمطى نخلق: النوم !

ففرح البشر لهذه المنحة وقدروا الاله حق قدره لان كل ما من شأنه أن يعكر صفو المرء من ضغينة وعبء وأمل كان يتلاشى أمام سلطان الكرى وهو كالام الرؤوم يكفكف أسى الناعين ودموعهم ويحوط رؤوسهم الضئيلة بسحابة من النسيان رقيقة ساكنة. وهكذا مجد البشر النوم قائلين: « لتكن مقدساً يا أحلى من الحياة نفسها ! . . . »

وتراهم يتدلهون بالنوم حباً وهم مع ذلك يعيرونهُ بانهُ لا يدوم ابداً بل تعقبه اليقظة فتتلوها الاعمال الجديدة والتعب الجديد والضجر الجديد . . . وسحقتهم هذه الفكرة فذهبوا للمرة الثالثة الى ابولون صارخين: «ياسيد ان ما وهبتنا اياه من الهناء لا يزال ناقصاً. ارحم عبيدك واجعل النوم سرمداً ! » فقطب ابولون حاجبيهِ واجابهم: « أما هذا فلا. واذا رغبتم فيما تطلبون فاذهبوا الى معبر النهر من الجهة الاخرى . . . » فاطاع الجمهور وذهبت فئة كبيرة لبثت تجاه المعبر تنظر الى الامام حيث تنبسط المدينة الثانية ، مدينة الحكيم مارس، مدينة الموت ! لم يكن هناك شروق ولا غروب ! لا ظلمة ولا نور ! بل اعمدة مكسوة بباقات ورد يتسلق حواليها العليق وكروم تتعلق بالصخر وتتدلى تكتنفها شوابك اللبلاب وقد خضب الفجر وريقاته بلونه القرمزي. كل ذلك شفاف بطبيعتهِ يغمره ضوءٌ أخضر ابدي في سبات عميق ابدي ! لم يكن في الهواءِ الجاف لا هبة ولا ريح. كذلك الورود والاوراق لم تكن لتتحرك او تميس ! وكأنما الفئة التي وافت حادلة معها الضجة والالجب شعرت بهيبة

المكان فصمتت لنورها خاشعة لدى الفضاء الثابت ! وبعد مرور لحظة بدأ افرادها يتهامسون : « يا للسكون ! يا للنور ! حقاً هذا هو مقر السلام والنوم السرمدي ! »

وتجاسر احدهم وكان اكثرهم سآمة من الحياة فقال : « هلموا بنا ! هلموا بنا نحو النوم السرمدي ! » فقفز هو فتبعه البعض وعبروا مياه النهر ! وكان من على الشاطيء يناديهم غير انهم ولوا مدبرين لا يلتفتون وقد أخذوا بسحر المدينة الجليلة ، ولاحظ الجمع الناظر اليهم انهم كلما توغلوا في السير غمرهم الضوء الاخضر الذي يغمر مدينة الموت ! ولدى وصولهم اليها ألحوا في طلب الراحة المنشودة فناموا بين الشجيرات والورود تحت الجلاميد الفتيتة والصخور الناشزة وأغمضت منهم العيون واكتست وجوههم حلة صفاء وسعادة يقصر عن ادائها الحب نفسه في مدينة الحياة . لذلك صاحت الشعوب التي رأت عن بعد ما كان : « كلا ! كلا ! ان مدينة مارس أجمل من مدينتنا واحلى ! » وهكذا بدأت جموعهم تفد شيئاً فشيئاً نحو المدينة الاخرى حتى لم يبق في مدينة الحياة الا النفر القليل . . . حينئذٍ أسقط في يد ابولون وحرّق الارمَّ غيظاً كيف انه أسدى في ساعة غضب نصيحة كهذه وحار في أمره فقصد جوبيتر العظيم وقال له : « هلاَّ انقذت الحياة أيها الخالق المبدع ؟ لقد جعلت مدينة الموت جميلة حتى هجر الكل مدينتي ! »

فسأله جوبتير : « أو لم يظل لديك أحد ؟ » فاجاب ابولون : « بلى شاب وفتاة آثرا سعادة الحياة على أن تغمض عيونهما في الموت فيحرمان رؤية أحدهما للاخر » فقال جوبيتر : « وأنت ماذا تطلب ؟ » فاجاب : « أن تجعل مدينة الموت أقل جمالا ورونقاً مما هي عليه لان الفتاة وحبيبها سوف يهجراني ايضاً متى انقضى ربيع حبهما ! »

فتروى جوبيتر العظيم في الامر ثم قال : « كلا . لن انقص من جمال مدينة الموت شيئاً بل سأبتكر عنصرين جديدين انقذ بهما مدينة الحياة . واعلم يا ابولون أن البشر لن يمروا منذ الساعة بمحض ارادتهم من المدينة الى الاخرى . . . »

وبعد ان أتم جوبيتر قوله نسج من خيوط الظلام وشاحاً كثيفاً ثم خلق منه : الخوف والالم ! وامرهما بطرح الوشاح في منتصف طريق الحياة ! . . . ومنذ ذلك الحين عادت الحياة الى مدينة ابولون . ومع أن مدينة الموت كانت لم تزل جميلة فان الناس كانوا يخشون عبور الحياة نحو الموت !

ابراهيم حداد

الحدائق العمومية

في المدن الكبرى

لقد اصبحت الحدائق العمومية من الاجزاء الرئيسية التي تتألف منها المدن الحديثة بل أن رقي المدن يقاس بعدد حدائقها واتساعها . فالحديقة للمدينة بمنزلة الرئة للجسم فهي متنفس المدينة الذي به تستعيض عن الهواء المسموم الفاسد بهواء نقي طاهر ينفخ الحياة في ابنائها ويجدد همتهم ونشاطهم



حديقة شونبرن

وبهذا الاعتبار قد شهد العصر الاخير حركة عظيمة في العالم المتمدن ترمي الى انشاء الحدائق العمومية وتوسيعها . وترجع هذه الحركة الى منتصف القرن الماضي فقلما كانت تعنى الحكومات بهذا الامر قبل ذلك التاريخ . على انه كان في معظم الاقطار المتمدنة احراج وبساتين وغابات شهيرة يتردد اليها الناس في بعض الاحيان ولكنها كانت في الغالب بعيدة عن المساكن والمجتمعات لان معظمها كان من هبات الطبيعة ولم يخطط لاستفادة الجماهير به

وليس بين ابناء مصر من يجهل نصيب هذا القطر من هذا القبيل بفضل ساكن الجنان المغفور له الخديوي اسماعيل فانه آلى على نفسه تحسين عاصمة ملكه لتصبح

شبيهة بعواصم أوربا الكبرى وقد توفق الى تحقيق رغبته فانشأ الحدائق في الازبكية والجيزة والجزيرة وها هي الى اليوم ناطقة بفضله العميم على هذه الديار

والتغيير الذي شهدته الدول الاوربية من هذا القبيل يرجع الى انتشار مبادئ الديمقراطية فيها وتعاظم شأن الجماهير والعامة . فلاجلهم أنشئت تلك الحدائق البديعة باشجارها وترعها وبحيراتها وزهورها وملاهيها ولاجلهم أنشئت ايضاً المصالح الحديثة المكلفة أمر العناية بتلك الحدائق وتنظيمها وتوسيعها

***

وأشهر المدن الاوربية في عدد حدائقها واتساعها باريس ولندن . ولا يخفى ان حكومة فرنسا بعد ان اصبحت جمهورية حولت القصور والحدائق التي انشأها ملوك فرنسا وامبراطرتها الى معاهد عمومية . وفي ضواحي باريس نحو عشرين متنزه يمكن الوصول اليها بسهولة نذكر منها : سان كلو وفيها أميال من الطرقات المتعرجة والسكك المظللة ، وفرسايل مقر البلاط البوربوني الشهير وفيها قصر فخم وحدائق متسعة مزخرفة اجمل زخرفة ، وسان جرمان ، وغابة فانسن وغيرها

على ان اجمل حديقة في باريس هي بلا ريب غابة بولونيا الشهيرة وتبلغ مساحتها نحو الفي فدان . وفي وسط باريس حدائق صغيرة كحديقة مونسو وحدائق التويلري

أما لندن ففيها ايضاً من الحدائق العمومية ما يحق به لها أن تفتخر . وتقدر مساحة الحدائق في داخل لندن بنحو جزء من ٢٥ من مساحتها . وأكبر هذه الحدائق ريجنتس بارك وتبلغ مساحتها ٤٥٠ فداناً . ولعل أشهر حدائق لندن هايد بارك فانها مجتمع اهالي لندن الاغنياء ومعرض « المودة » والازياء

وغربي هايد بارك حدائق كنسنجتن ومساحتها ٣٠٠ فدان وقد كانت فيما مضى تابعة لقصر كنسنجتن ثم منحت للشعب كغيرها من الحدائق الملكية (وفي مقدمتها حديقة سانت جيمس وهي أكثر الحدائق اللندنية زخرفة وجمالاً)

وفي لندن غير ما تقدم حدائق مختلفة نذكر منها بترسي بارك وفيكتوريا بارك وغيرهما مما يطول بنا ذكره

***

أما عواصم أوربا الاخرى ففيها حدائق شهيرة منها البراتر Prater في فينا

ومساحتها ٢٠٠٠ فدان وتمتاز بان جميع الطبقات تؤمها ويجري فيها سباق للخيل (كما في حديقة بولونيا ايضاً) . ومن الحدائق النمسوية الشهيرة حدائق شونبرن ولكسنبرج التابعة لاملاك العائلة الامبراطورية الخاصة وهي مباحة للجمهور

هذه أمثلة لاشهر الحدائق الاوربية ولولا ضيق المقام لاوردنا غيرها . والعبرة فيما تقدم باهتمام الحكومات والشعوب في أمر الصحة العامة وعنايتها بالحدائق العمومية التي هي متنفس المدن الكبيرة

مرثاة عائشة لابي بكر

لما توفي أبو بكر وقفت عائشة على قبره وقالت : نضر الله وجهك يا أبت وشكر لك صالح سعيك . فلقد كنت للدنيا مذلاً بادبارك عنها وللآخرة معزاً باقبالك عليها ولئن كان أجل الحوادث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك وأعظم المصائب بعده فقدك ان كتاب الله ليعد بحسن الصبر عنك حسن العوض منك وأنا أستنجز موعود الله تعالى بالصبر فيك واستقضيه بالاستغفار لك أما لئن كانوا قاموا بأمر الدنيا فلقد قمت بأمر الدين لما وهى شعبه وتفاقم صدعه ورجفت جوانبه . فعليك سلام الله توديع غير قالية لحياتك ولا زارية على القضاء فيك

اول كتاب صنف

في الفقه الاسلامي

رسالة واستفهام للدكتور ا. غريفيني
استاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة ميلان

هو مجموع الفقه تصنيف الامام الشهيد ابن الحسين زيد بن زين العابدين علي ابن الحسين بن علي بن أبي طالب الذي ظهر في أيام هشام بن عبد الملك في سنة ١٢٢ هجرية ودعى الى نفسه فرماه رجل من العراقيين بسهم فاصابه فمات وصلب بكناسة الكوفة ونقل رأسه الى البلاد وكان ذلك في صفر ١٢٢ . قال صاحبه وراويه أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي في خاتمة كتاب مجموع الفقه المذكور ما لفظه : « سمعت هذا الكتاب من زيد بن علي قال سمعناه من كتاب معه قد وطأه وجمعه فما بقي من أصحاب زيد ممن سمعه معي الا قُتل غيري ثم قال انه صحب زيد بن علي بالمدينة قبل قدومه الى الكوفة خمس سنين (١١٨ — ١٢٢ هـ) أقيم عنده كل سنة أشهراً كلما حججت لم أفارقه حتى قدم الى الكوفة حتى قُتل فما أخذت عنه حديثاً الا وقد سمعته مرة ومرتين وثلاثاً وأربعاً وخمساً واكثر من ذلك قال ما رأيت هاشمياً قط مثل زيد بن علي ولا أفصح منه ولا أزهد ولا أعلم ولا أورع ولا أبلغ في قول علي عليه السلام ولا أعرف باختلاف الناس ولا أشد حالاً ولا أقوم بحجة فلذلك اخترت صحبته على جميع الناس » والمجموع الزيدي هو مجموع مسائل جمعها لزيد راويه أبو خالد الواسطي والكتاب مشهور في بلاد الزيدية ومذكور عند أئمة أهل البيت مثل السيد أبي العباس الحسني والقاضي زيد بن محمد الكلاري والمهدي لدين الله أحمد بن يحيى وصاحب المنتزع المختار شرح الازهار في فقه الائمة الاطهار وغيرهم . وبالنظر الى وقت ظهوره لا يخفى انه من أهم النصوص التاريخية لمعرفة أول ما صنف في الفقه . وهو ستة أجزاء مشتملة على عدة كتب وأبواب منها كتاب الطهارة وكتاب الصلاة والزكاة والصيام والحج والبيوع والشهادات والنكاح والطلاق والحدود والديات والسير والفرائض والمواريث وكل كتاب يحتوي على أبواب وفي كل باب سؤالات وجوابات بين أبي خالد وزيد بن علي قال ابن حابس الصنعاني :

« والذي ينقل عنهم مذهب الزيدية في الفروع على أضرب ، منهم من ينص ويروي ولا يخرّج وهذا هو ضرب زيد بن علي ومنهم من يروي ولا ينصّ ولا يخرّج وذلك هو أبو خالد راوي المجموع »

أما النسخ الخطية فبقيت غير معروفة الى هذه السنين الاخيرة في الكتبخانة القديمة « الامبروسيانية » (Biblioteca Ambrosiana) في ميلان (ايطاليا) وقد كانت من ضمن كتب خطية نقلها من اليمن تاجر ايطالي نزيل صنعاء . والموجود منها الآن ١٢ نسخة منها نسختان كاملتان والباقية نسخ المجموع المختصر المحتوي على الاحاديث والاخبار فقط والمحذوف فيه فقه زيد بن علي ، وأجمع أصحاب الطبقات على ان أبا خالد جامع المجموعين الكبير والمختصر وانه اختصر الاول بعد موت زيد بن علي (٢ صفر ١٢٢) وهذا المختصر كتاب في الاخبار مبوّب كالكبير على أبواب الفقه يروي فيه زيد الاحاديث عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين ابن علي عن أبيه علي بن ابي طالب عن النبي صلم . فلما وجدنا هذين الكتابين في الكتبخانة الميلانية رأينا ان ننشر المجموع الكبير لانه من أجود الكتب في بابه وألزمها فائدة لطالب التاريخ والفقه القديم والكتاب الآن تحت الطبع مع مقدمة بقلم المصحح كاتب هذه الاسطر ومع الحواشي الاصلية ومقابلة الروايات وفهارس وغير ذلك مما يسمى عند المستشرقين « الاستعداد الاعتقادي » (apparato critico) وبحثنا - ومازلنا نبحث - عن أخبار زيد بن علي وأصحابه ورواته عند المتقدمين والمذاكرين من أصحاب الطبقات وجمعنا كل ذلك في أبواب المقدمة وربما توفقنا الى بيانه بوجه عام خدمة للعلم ونشر التاريخ وغاية المأمول أن يصادف اعتناؤنا هذا المرمى العلمي الذي قصدناه والنفع الادبي الذي أردناه بالنظر الى انتساب المجموع الى أول من صنف الفقه عند العرب . وهذه أهمية تاريخية وفقهية تجلى في أبهى منظر للباحث عن أخبار الاوائل والمنقب عن آثار الآباء فعسى ان يستحسن مقصودنا وان يستعدّ قارىء من قراء الهلال لاتمام جمعنا أخبار زيد بن علي . وهذا سؤالنا نرجو جوابه في باب الاقتراح

ذكر أبو عمر الكندي في كتاب أمراء مصر ان أبا الحكم بن أبي الابيض العنسي قدم الى مصر برأس زيد بن علي خطيباً يوم الاحد لعشر خلون من جمادى الاخرى سنة ١٢٢ واجتمع اليه الناس في المسجد وزيد هذا صاحب المشهد الذي

بين مصر العتيقة وبركة قارون (كذا ولعل الصواب بركة الفيل أو غيرها) بالقرب من جامع ابن طولون يقال ان رأسه مدفون به والله أعلم [١] أما مشهد جدته السيدة زينب فمشهور في العالم الاسلامي بأسره وكذلك يذكر مشهد أبيه علي زين العابدين الكائن في قديم الزمان على مسافة ٥٠٠ متر في الجهة الجنوبية الغربية من الكبش (ما بين جامع ابن طولون وجامع السيدة زينب) بالقرب من قنطرة عبد العزيز . فاما مشهد زيد بن علي فنشكر سلفاً كل من يبين لنا صحة انتسابه الى مصنف اول كتاب ألف بالعربية بعد الكتاب المبين [٢] وكل من يجد عليه كتابة أو تاريخاً (مثل تاريخ البناء أو غيره) وينقله لنا أو يبعث لنا تصويره نشكره أيضاً في مقدمتنا كما هي العادة عند أصحاب الكتب العلمية ليعرف القارىء انه لكل حديث إسناد

ناشر المجموع الزيدي ومحشيه
الدكتور ا . غريفيني
استاذ اللغة العربية وآدابها في جامعة ميلان

من كلام أبي بكر

صنائع المعروف تقي مصارع السوء

الموت أهون مما بعده أصعب مما قبله

ان الله قرن وعده بوعيد ليكون الانسان راغباً راهباً

ثلاث من كن فيه كن عليه : البغي والنكث والمكر

من كلام علي

رأي الشيخ خير من مشهد الغلام

الناس أعداء ما جهلوا

لا تخافن الا ذنبك ولا ترجون الا ربك

الناس من خوف الذل في الذل

---

(١) كذا قرأت لابن خلكان في كتابه وفيات الاعيان في ترجمة ابن بقية

(٢) اول كتاب بالعربية القرآن والثاني المجموع الزيدي والثالث تعريب كتاب كليلة ودمنة (راجع الهلال السنة ١٤ الوجه ٥٩٥)

رباعيات النشار

— ١ —

جناي لغيري ليس لي غير شوكه فلله قلبي كيف يهدأ ثائره
ولله قلبي كيف يخرج شطأه والمبغضيه نبته وأزاهره
عداتي عداتي جنبوني وجوهكم فحسب فؤادي منكمو ما يخامره
برغمي أن ابدي لكم كل معجز من القول لا يطوى مدى الدهر ناشره

— ٢ —

أذود العدا عني واخوف منهمو عليَّ الذي أعنى به واقاربه
فيا قوم لا يغرركمو لين ملمسي فشر العدا من ظن اني صاحبه
اخلاي بينوا فرَّق الله بيننا فكلكمو تسري اليَّ عقاربه
أخلاي لا والله ما انا منكمو فاني امرؤ لا يتقي الله عائبه

— ٣ —

بحسبي من الدنيا انفرادي وعزلتي اذا بان نادي الحي عني وسامره
فكائن ترى من مستعز بغيره يساوره من خوفهم ما يساوره
وكائن ترِى من مستبدٍ برأيه ترى عينه ما لا يرى من يناصره
وما الناس الا ما علمت فكلهم يسوءك ما يخفى وان سرَّ ظاهره

— ٤ —

فغني طيور النفس للنفس واصدحي فما تعدل الدنيا بندب قراد
كما يتغنى بلبل الفجر شاقه أزاهر في اعوادهن نواد
لنفسي لا للناس انبطت مشرعاً واوردت آمالي وهن صواد
فمن شاء أن يروي بشعري ظمأه فللناس مائي ان رضوه وزادي

— ٥ —

خذوها على العلات لا شعر صانع ولكن كما يملي عليَّ فؤادي
يرى النقد فيها كل ما لا يريده وابصر فيها ما حييت مرادي

هُمومي وآلامي بها قد رسمتها ونور مني فيها يضيءُ سوادي
اذا هي ارضتني فأهون بألسن تصول -واقلام عليَّ حداد

— ٦ —

ترون بعينيَّ الذي لا ترونه بأعينكم والغيب تدجو غياهبه
هتكت ستار الغيب بالظن فانجلى دجاه وأفشى سرهُ لي حاجبه
فهل تنكر الدنيا نبوة شاعر شهيد عليهِ علمه وتجاربه
سيعرفني من طهر الله قلبهُ فطابت مراميه وعفت رغائبه

عبد اللطيف النشار

فقر في وصف البلاغة

قال اعرابي : البلاغة التقرب من البعيد والتباعد من الكلفة والدلالة بقليل على كثير

قال عبد الحميد بن يحيى : البلاغة تقرير المعنى في الافهام من اقرب وجوه الكلام

قال بن المعتز : البلاغة البلوغ الى المعنى ولم يطل سفر الكلام

قال سهل بن هرون : البيان ترجمان العقول وروض القلوب

وقال : العقل رائد الروح والعلم رائد العقل والبيان ترجمان العلم

قال ابراهيم بن الامام : يكفي من البلاغة ان لا يؤتى السامع من سوء افهام الناطق ولا يؤتى الناطق من سوء فهم السامع

قال العتابي : البلاغة مد الكلام بمعانيه اذا قصر وحسن التأليف اذا طال

قال اعرابي : البلاغة ايجاز في غير عجز واطناب في غير خطل

وقيل لليوناني ما البلاغة . قال : تصحيح الاقسام واختيار الكلام

وقيل للرومي ما البلاغة . قال : حسن الاقتضاب عند البداهة والغرارة يوم الاطالة

وقيل للهندي ما البلاغة . قال : وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الاشارة

وقيل للفارسي ما البلاغة . قال : معرفة الفصل من الوصل

وقال علي بن عيسى الروماني : البلاغة ايصال المعنى الى القلب في حسن صورة من اللفظ

تقلبات « المودة »

وكيف تنشأ أحياناً عن بعض العاهات

المجانين يخترعون المودة والعقلاء يتبعونهم
(مثل فرنسي)

ما هي الاسباب الحقيقية التي تحدث ما نراه من التقلبات في الازياء وأشكالها المتغيرة على الدوام ؟ هذا سؤال لا تسهل الاجابة عنه فان من الصعب حصر العوامل المختلفة التي تعمل على تطور المودة . بل ان نفراً من الذين يكتفون بالنظرة السطحية قد أبوا نسبة ذلك التطور الى عوامل معلومة وتقييد « المودة » (الزي) بقوانين ثابتة لاعتقادهم انها لا تنشأ الا عن تلون الاهواء وتنقل الاذواق

فلسفة المودة

على ان ما نسميه « مودة » خاضع في الحقيقة لنواميس ثابتة أسوة بسائر الظواهر الاجتماعيــة . فالمودة تغيير وتبديل مستديمان في الانماط والازياء ولا يشترط فيها ان يكون التغيير أو التبديل مفيداً بل قد يكون مضراً . أي قد يقلع الناس عن الحسن طلباً للقبيح

ثم ان المودة تسير في دائرة وكثيراً ما تنتهي حيث تبتدىء

والغريب ان الجميع ينقادون في هذا التيار بل يكفي أن يتأمل احدنا في بعض « الازياء » التي كانت شائعة منذ بضع سنوات فيراها اليوم قبيحة الشكل – وقد كانت تعد حينئذٍ مثال الكمال

واذا بحثنا عن الباعث الاصلي على تقلبات المودة وجدناه في « حب الامتياز عن الغير والبروز عنهم » . هذا هو ايضاً السر الذي يجعل المتوحش والمتمدين على السواء يطلبان الزينة والزخرفة على أنواعها . وقد وجد السائحون الاولون ان سكان بعض الجزر كانوا يدفعون ثمناً غالياً لبعض الزخارف في حين انهم كانوا

يعرضون عن ادوات مفيدة لانهم لا يستطيعون أن يظهروا بها امام زملائهم ونظرائهم . كل ذلك يدلنا على ان الانسان مفطور على « كره المساواة »

أما انتشار المودة فانها تمرُّ في دورين : دور التقليد ودور التمييز . فالعامة يقلدون الخاصة ولكن هؤلاء يبحثون دائماً عما يميزهم عن العامة . فاذا وجدوا زيًّا جديداً تباهوا به الا ان العامة لا يلبثون أن يقتدوا بهم فيلجأون الى زيٍّ آخر وهلم جرًّا

ثم ان المودة خاضعة للاحوال الجوية فتختلف باختلاف المناطق والفصول

ومن تأمل ملابس الامم وجد أن الشعوب الضعيفة تقلد الشعوب القوية والشعوب المحكومة تقلد ملابس حكامها

وقد تتأثر المودة من الحوادث السياسية . فمن ذلك أن المدرعة الفرنسية بل بول Belle_Poule انتصرت في معركة بحرية سنة ١٧٧٨ فادى هذا الحادث الى اختراع زي للشعر أطلق عليه اسمها . فكان الشعر يمثل الامواج الهائجة وفوقه قبعة تمثل السفينة بقلاعها وحبالها ومدافعها ! وقس على ذلك امثلة كثيرة

كيف تنشأ المودة عن عاهة

ولعل اغرب غرائب المودة انها تنشأ احياناً عن عاهات طبيعية أو مكتسبة في الملوك والامراء فلا تلبث ان تنتشر بين جميع الطبقات لاقتداء الشعب برؤسائه

ومن اشهر القصص في هذا الباب قصة الملكة الانكليزية التي أصيبت بدمل تحت إبطها فكانت تضطر عند التسليم الى رفع كوعها لئلا يحتك ذراعها بالدمل فسرت هذه المودة بين الحاشية اولاً ثم عمت الشعب

وفي سنة ١٤٦١ أصيب الملك فيليب الفرنسي بمرض شديد فوصف له الاطباء حلق رأسه (ولم يكن حلق الرأس مألوفاً بين الرجال في ذلك الحين) فلما عادت اليه صحته أنف من منظر رأسه على تلك الصورة ولكي لا يكون مهزأة في نظر غيره اصدر امره الى جميع الاشراف أن يحلقوا رؤوسهم . فاطاع الامر نحو ٥٠٠ منهم

أما الباقون فلم يرضخوا لهذا الحكم القاسي فغضب الملك لذلك وارسل رسلاً خصوصيين الى اطراف مملكته فوضعهم بحلق رؤوس الاشراف الذين لم يطيعوا أمره

وكانت بنات الملك لويس التاسع ذات أقدام غليظة الحجم ولكي تخفيها اخترعت الأثواب الجرارة الاذيال فاصبحت « مودة » للحال

وكانت امرأة الملك فيليب الثاني صاحبة عنق مستطيل الى حد الاستهجان فاخترعت جهازات يغطى بها العنق ومؤخر الرأس كما تفعل الراهبات في هذه الايام

* * *

أجل . ما اكثر « المودات » التي لم تنشأ الا لتخفي عاهة جسدية . فمن أمثلة ذلك ـ غير ما ذكرنا ـ الاحذية المستطيلة الاطراف التي اخترعها احد الملوك ليخفي تضخم احدى قدميه

كذلك مودة الشعر الطويل المستعار التي كانت شائعة في زمن الملك لويس الرابع عشر فان مرجعها ان هذا الملك العظيم أراد بذلك اخفاء خنزيرة (دمل) كان مصاباً بها

ويقال ان احدى الاميرات الاسبانيات كانت ذات افخاذ ضخمة فاخترعت الأثواب ذات الاسلال او الجيوب . وهذه الاسلال تصنع من القماش وتركب على جانبي الخصر فيضئل بجنبها حجم الافخاذ . ومن هذا القبيل ايضاً الاكمام المقببة عند الكتف التي استعملت في القرن الرابع عشر في فرنسا . فقد كان منشأها ان بعض الامراء كان غير متناسب الكتفين فاراد ان يسترهما بتلك الاكمام

ومن أشهر الامثلة الداخلة في هذا الباب ان احدى المحظيات الفرنسيات الشهيرات المعروفة باسم لابل فرونيير La Beile Ferronnière كانت مصابة بحرق في وسط جبينها فاخفته بحجر ثمين ربطته بخيط حريري رفيع ملفوف حول رأسها

وفي زمن هنري الثاني أصيبت بعض الاميرات بسلع في اعناقهن فاستنبطن جهازاً كان الغرض منه اخفاء العنق . ويُقال ان استعمال عقود اللآلي ذات الصفوف المتتالية من اختراع ملكة كان عندها تضخم في عنقها

التسامح

بقلم انطون الجميّل (١)

للتساهل أسماء شتى ومترادفات عديدة في نفس لفظها بيان واف لحقيقة مدلولها وتعريف لما تنطوي عليه من المعاني : فهو التساهل من السهل ضد الوعر أو الصعب. وهو الملاينة من اللين ضد الصلابة . وهو المياسرة من اليسر ضد العسر . وهو التسامح من السماحة . وهو المصانعة والهوادة والرفق والاناة والاغضاء . ففي جميع هذه الالفاظ بالنسبة الى الغير معنى عدم التشديد في المعاملة والحكم وبالنسبة الى المرء نفسه ـ على ما ذكر علماء النفس عند العرب ـ معنى كظم الغيظ والاحتمال لما لا يراد . أو بعبارة أخرى التسامح هو تلك الفضيلة الاجتماعية التي تجعلنا نحتمل ونحترم عقائد الغير وآراءهم

ومن المعروف أن الناس ليسوا على رأي واحد ولا على عقيدة واحدة : فلكل منهم طريقة خاصة به في النظر الى الامور وتصور الاشياء والحكم عليها ، بل ان ما يرضي الواحد قد يسوء الآخر ، وما يستقبح اليوم قد يستملح غداً ، وما يحب هنا قد يكره هناك . قال الامام عليّ : « أن معروف زماننا هذا منكر زمان مضى ، ومنكر زماننا معروف زمان لم يأت » وقال لابروير La Bruyère الكاتب الاخلاقي الشهير « ما يعد حقيقة أمام جبال البيرينه يعد خطأ وراءها » . فلا يحق اذاً لاحد في معظم الاحوال أن يدعي احتكار الحقيقة وادراك كنه الامور دون سواه

فما دامت الحال كذلك أصبح التساهل أمراً واجباً . فقد يكون للواحد منا آراء دينية أو فلسفية أو سياسية أعز على قلبه من كل عزيز . بل قد يضحي في سبيلها بماله وحياته . فله أن يطالب بحرية الدفاع عنها والاحتجاج على كل من يمتهنها . وما دام له التمتع بهذا الحق فليس له أن يأباه على الغير

فاذا ما طلبنا من الغير تسامحاً تحتم علينا أن نكون متسامحين ، سنّة العدل والانصاف بين الناس . ولا يحق لنا أن نلاقي غير الشدة اذا كنا متشددين

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بانياب ويوطأ بمنسم

---

(١) من خطبة ألقيت في جمعية الاتحاد اللبناني في الاسكندرية في ٢ يونيو سنة ١٩١٨

ولا يقضي التسامح باحترام آراء الغير فقط ، بل يوجب غض الطرف عن هفواتهم والاغضاء عن سيئاتهم وعيوبهم

ذلك أن الانسان مجبولٌ من طينة النقص والضعف فانى له أن يدرك الكمال المطلق أو يبلغ المثال الاعلى من السجايا والطباع ؟ « من ذا الذي ترضي سجاياه كلها » مهما كبح من جماح شهواته وشدد في القبض على عنان اهوائه . فلو رجع كلٌ منا الى نفسه وناقشها الحساب الدقيق لوجد ذاته احوج الناس الى التساهل

ومع ذلك ومع وفرة ما رأينا للتساهل من الاسماء فما أقل المتساهلين ! ومع كثرة الادعاء بالتسامح ما اندر المتسامحين الحقيقيين ! كل ينادي بالتساهل وكل ينشد التسامح فيكلف الغير هذا الخلق ولا يكلف نفسه التحلي به

أتطلب صاحباً لا عيب فيه　　وأنت لكل ما تهوى ركوب ؟

واذا أنعمنا النظر في حالة البشر من حيث وجدوا ليعيشوا مجتمعين متآلفين لا منفردين متقاطعين نرى ان التسامح أشد الفضائل لزوماً وأوفرها فائدة ، بل هو شرط الاجتماع وإس الاتحاد وقوام التضامن ودعام الوفاق والسلام بين الافراد وبين الجماعات : فلا تحيا جمعية بلا تساهل ، ولا تعيش أسرة بلا تساهل ، ولا تدوم علاقة بين فردين اثنين فقط ـ ولو كانا أخوين ـ بلا تساهل . واذا نظر كل منا الى علاقته بجمعيته أو باسرته أو بصديقه أو أخيه يرى أن هذه العلاقة ما نشأت ولا ثبتت الا بالتسامح المتبادل . ولو زالت روح التسامح من بين الناس تقوض ركن الاجتماع وعفت معالم العمران وضاع معنى التضامن والائتلاف ، فعاش البشر أفراداً متقاربين جسماً متباعدين نفساً لا تقوم لهم مصلحة مشتركة كانت أو مستقلة . فبالتساهل قيام المصالح الفردية كالمصالح العامة . فكلما نمت روح التسامح في صدر الانسان زاد هناؤه وصفاؤه « فالرفق يمنٌ والاناة سعادة » وكلما سادت هذه الروح في بلاد أو طائفة أو جمعية أو أسرة ، توافرت فيها أسباب الرقي والفلاح واتسعت خطاها الى ادراك غاياتها سياسية كانت أو اجتماعية ، أدبية أو مادية

بل يا بُعد ما يكون ادراك هذه الغايات بغير تسامح ! واذا أدرك الانسان ما يريد بالتشديد فانما ذلك الى أجل وسرعان ما يبوء بالفشل

كان الاضطهاد نصيب من يخالف المجموع في عقيدته . وأي عقيدة لاقت

ما لاقته النصرانية من المقاومة ؟ فلم يزدها ذلك الا نمواً ورسوخاً حتى كان الشيوخ والعذارى يسيرون الى العذاب مؤثرين الموت على جحد عقيدتهم . بل ربما كان الاضطهاد من أعظم عوامل انتشار الاديان والافكار . وعدم الفائدة من الاضطهاد ولّد التساهل الديني الذي لخصه شاعر مصر بقوله :

الدين لله من شاء الاله هدى لكل نفس هوىً في الدين يعنيها

وفي حقيقة الامر ليس من اله أو انسان عاقل يرضى بانقياد أحدٍ له انقياداً قهرياً قائماً على الاكراه

كان السيد المسيح امام المتساهلين ونبراس المتسامحين فنهى عن كل عنف وشدة عامداً في تعاليمه الى الارشاد بالاقناع والاستمالة بالبرهان وعنه أخذ العلماء والفلاسفة أسمى مبادىء الرفق والتسامح : « من كان منكم بلا خطيئة فليبدأ ويرمها بحجر ! »

يقول الافرنج في أمثالهم « بدرهم عسل تمسك من الذباب أكثر مما تمسكه بقنطار خلّ » وقد دل الاستقراء ودلت حوادث التاريخ ، كما تدل اصول العلم البسيكولوجي على ان ما لا يدرك بالشدّة قد يدرك بالملاينة

تعرفون حكاية الريح والشمس وقد تراهنتا على أيهما تستطيع نزع الرداء عن كتف رجل كان مسافراً في الجبل : هبت الريح عاصفة هوجاء ، زمهرت وزمجرت ، وتسرّبت في طيات الرداء لتخلعه عن الرجل ، فما زاد الرجل الا تمسكاً بردائه حرصاً عليه ووقاية لنفسه ، حتى عجزت الريح عن مطلبها وذهب مجهودها في أدراجها . فقالت لها الشمس : « حسبك عناء ودعيني الآن أفعل ! » سكنت الريح وأرسلت الشمس أشعتها لطيفة منعشة ، فأمن الرجل شر الهواء وسرى الدفء في جسمه فعمد الى ردائه وخلعه عنه بيده . فقالت الشمس للريح : « ها قد أدركت باللين ما لم تدركيه بالعنف »

أجل قد يدرك بالرفق ما لا يدرك بالشدة . فالماء على لينه يقطع الحجر الصلد . ولكن ما لا يدرك بالاقناع هيهات ان يدرك بالقوة . فالقوة قد تمكن صاحبها من الاجساد ولكن أنّى لها ان تمكنه من النفوس ؟ والداء الكامن في العقول لا تستأصله القوة وقد يستأصله اللين . فالاوهام في الرؤوس كالمسامير : كلما ضربت عليها بعنف زدتها رسوخاً في موضعها واذا شئت نزعها لا بد من معالجتها برفق حتى

تمكن من رؤوسها فتجتذبها اليك وتقتلعها

كان معاوية مؤسس الدولة الاموية يقول: «عجبت لمن يطلب أمراً بالغلبة وهو يقدر عليه بالحجة، ولمن يطلبه بخرق وهو يقدر عليه برفق»

وقد كان معاوية هذا من أقدر الناس على ادراك أغراضه وقضاء حاجاته بالملاينة والمياسرة حتى استتب له أمر الخلافة والدولة بعد ان كثر منازعوه

ومن حكاياته في هذا الباب انه كان لعبد الله بن الزبير أرض وله عبيد يعملون فيها، والى جانبها أرض لمعاوية وفيها أيضاً عبيد يعملون. فدخل عبيد معاوية في أرض عبد الله، فكتب هذا كتاباً الى معاوية يقول فيه «أما بعد يا معاوية فان عبيدك قد دخلوا في أرضي فانههم عن ذلك والا كان لي ولك شأن والسلام» فلما وقف معاوية على كتاب ابن الزبير وقرأه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال له معاوية «ما ترى؟» فقال «أرى ان تبعث اليه جيشاً يكون أوله عنده وآخره عندك يأتونك برأسه» فقال معاوية «بل غير ذلك خير منه» ثم أخذ ورقة وكتب فيها جواب كتاب عبد الله يقول فيه «أما بعد فقد وقفت على كتاب ولد حواري وساءني ما ساءه والدنيا بأسرها هينة في جنب رضاه. نزلت لك عن أرضي فاضفها الى أرضك بما فيها من العبيد والاموال، والسلام» فلما وقف عبد الله بن الزبير على كتاب معاوية كتب اليه: «قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين أطال الله بقاءه ولا أعدمه الرأي الذي أحله من قريش هذا المحل والسلام» فلما وقف معاوية على كتاب عبد الله قرأه ودفع به الى ابنه يزيد. فلما قرأه تهلل وجهه وأسفر فقال له ابوه: «يا بنيّ من عفا ساد، ومن حلم عظم، ومن تجاوز استمال اليه القلوب. فاذا ابتليت بشيء من هذه الادواء فداوه بمثل هذا الداوء»

أما التسامح الفكري فلنا عنه مثال جميل في حكاية ملك الفرس سابور ابن أزدشير، وكان قد ظهر على عهده ماني الزنديق ودعا الناس الى مذهبه، فلما قبض عليه سابور اشار اليه نصحاء دولته بقتله فقال: «ان قتلته من غير أن أقطعه بالحجة قال الناس بقوله، ويقولون ملكٌ جبار قتل زاهداً. ولكني اناظره بالحجة فاذا غلبته قتلته» وهكذا فعل

أدعُ لكم أيها الاخوان النظر الى ما اعقبه تساهل معاوية من حمل احد العصاة على الاقرار له بالخلافة وفي ما انتجه تسامح سابور من القضاء على الزندقة في ايامه.

فابلوا بين هذه النتيجة التي أدركها هـذا وذاك وما كان قد حصل من فتنة وشرّ مستطير لولا تسامحهما

* * *

. . . ايها الاخوان ! قد أطلت التبيين والارشاد ، ومع ذلك لو اقتصرت على ما تقدم قد يُحمل كلامي على غير محمله فأرمى بما انا منه براء . فلا بد لي من بعض استدراكات تحلُّ الامور محلها راجياً ان تبدأوا بي باظهار تسامحكم وتساهلكم

إن تساهل الانسان مع الغير لايفيد بتاتاً تساهله مع نفسه وترك الحبل لها على الغارب تتطوّح في اهوائها : ذلك مذهب الاباحيين وليس من التساهل في شيء !

فلا يكون التساهل حقيقيًا الا اذا شددنا على نفسنا بما قد نتسامح به مع الغير : فاذا عذرت رفيقي لتقصيره في خدمة قومه وبلاده مثلاً يجب ان لا اعرف لنفسي عذراً في هذا التقصير . بل ان أشد الناس تسامحاً مع الغير كانوا اكثر الناس تشديداً على انفسهم فلم يغتفروا لها ذلة .

ولا يعني اللين والتساهل المحاباة والخداع :

كالصل يظهر ليناً عند ملمسه حتى يصادف في الاعضاء تمكينا

فان الصراحة أن يعتقد الانسان كل ما يقول لا ان يقول كل ما يعتقد

وقد ضلَّ ايضاً من توهم أن تجاوز المرء عن شؤونه يفيد اغضاءه عن حقوق الغير : فحقوق الغير مقدسة لا يجوز التسامح بها . فلكل منا ، اذا شاء ، أن يغضي عن بعض حقوقه ، ولكن ليس له ابداً أن يتساهل بحقوق صديقه او عشيرته او بلاده . قال رجل للمبرد « اسمعني رجل في نفسي (سوءا) فاحتملته ، واسمعني فيك فاحتملته » . فقال المبرّد : « احتمالك في نفسك حلم واحتمالك في صديقك غدر » ونزيد احتمالك في بلادك خيانة شنعاء لا تغتفر . فالتسامح اذن حيث يجب التشديد مضرٌ كالعنف حيث يجب اللين :

ووضع الندى في موضع السيف في العلى مضرٌ كوضع السيف في موضع الندى

وقد قال فارس بني عبس لعبلة :

اثني عليّ بما علمت فانني سمحٌ مخالقتي اذا لم أظلمِ

واذا ظُلمت فان حلمي باسل مـرٌ مذاقته كطعم العلقمِ

فالحلم لا ينفي البسالة . والتسامح لا ينفي المناضلة والجهاد دون المبدإ : فمن

الحماقة أن نتصور التسامح عنوان الضعف ودليل الجبن والاحجام ، بل هو فضيلة الانفس القوية الكبيرة ، فتراه اشد نمواً في صدور المتوقدين حماسةً لمبدإهم منه في صدور الفاترين : الرجل القوي في عقيدته المتمكن من فكرته الثابت في خطته أوفر تساهلاً من الرجل الضعيف الرأي المتزعزع الفكر الذي يحاول أن يستر ضعفه وتقلبه بتعصب أعمى وتشديد بلا معنى . يقول الفلاسفة ان ما جاوز حدًّا معلوماً لا يكون فضيلة : فالفضائل حدٌّ من قصَّر عنه لا يكون فاضلاً ، وكذلك من تعداه . فالافراط كالتفريط كلاهما غير محمود ، والفضيلة وسط بين رذيلتين . ولذلك قالوا « خير الامور الوسط وحب التناهي غلط » فالشجاعة فضيلة بين رذيلتي الجبن والتهور ، والكرم فضيلة بين البخل والتبذير ، والحياء وسط بين القحة والمهانة ، والوقار سجية بين الهزل والكبر

وكذلك التسامح . فهو اذا كان ينفي الصلابة والمشاكسة والمشادَّة لا يعني الضعف والاستسلام والتراخي . والا فان ما نسميه تسامحاً وتساهلا وأناة وهوادة وملاينة ، ينقلب رياء وملقاً ونفاقاً وتدليساً ومداهنة . وبالاختصار تصير تلك الفضيلة الحميدة التي أطريناها رذيلة ذميمة يجب ان نتجنبها . ومتى وصلت المجاملة بالانسان الى حد الخنوع والاستكانة فانها تعدل خيانته لنفسه

اغرب الجرائم التاريخية

سلسلة قصص واقعية سنبدأ بنشرها في الجزء الآتي

كل قصة قائمة بذاتها

لم ننشر في هذه السنة رواية في آخر الهلال كعادتنا كل سنة . على اننا قد آثرنا نشر هذه القصص التاريخية عوضاً عنها . فكل قصة منها بمنزلة رواية الا انها واقعية الحوادث والاشخاص وفيها عبر لكل متبصر في طبائع البشر واخلاقهم

نهضة الادب

في مصر

— ٣ —

تكلمت في القسم الاول من هـذا البحث عن انصراف الجمهور عن الادب وفي الثاني منه عن انحطاط فن النقد في نهضتنا الادبية وغرضي الان ان أتكلم عن عدم اشتغال كتابنا بالادب حباً فيـه وهو في اعتقادي أشـد أمراض تلك النهضة خطراً عليها

وأقصد بقولي حب الفن والاخلاص له ان يكون الفن في نظر المشتغل به شيئاً مقدساً هو غاية نفسه ، شيئاً أرفع من ان يستخدم في مطمع وأعز من ان يتخذ وسيلة لنوال مأرب ، فان اشتغل به فلخدمته وان خدم فلترقيته والرفع من شأنه وقيمته . وأرى ان من احترام الفن والاخلاص له ان لا يشتغل به الا القادر عليه الملم باصوله العالم بأسراره الحائز لما يتطلبه من المواهب والمعلومات . واذا نظرنا الى حالة الادب في مصر رأيناها لا تزال في دور الفوضى : فكل من نظم قصيدة أو كتب رسالة أو نشر مقالاً عد نفسه أديباً كبيراً وكاتباً عظيماً وساعده على اغتراره تساهل النقاد الذين لا يخلون عليـه بألقاب الشاعر العبقري والاجتماعي الكبير والاديب اللوذعي حتى ينتهي الكويتب المبتدىء أو الدخيل الجاهل الى أن يعز عليـه اذا عُدَّ الكبار من حملة الاقلام ان لا يكون اسمه أول القائمة . ولقد كان من تهاون حراس الادب ان أباحوا بابه لكل طارق ، وكان من غرور الطارقين انهـم لا يكادون يجتازون العتبة حتى يعتبروا أنفسهم من أصحاب الدار ذوي الحق فيها . وبهذه الكيفية أصبح الجمهور يكتب ولا يفيد بعـد ان كان يقرأ ويستفيد فتلاشى الجمهور القارىء وكثر الكاتبون وقل الكتاب

الادب فن ولكنه يشبه تلك الحرف التي لا بد لمحترفها من الخبرة والآلات ليعمل فيها عملاً ، ومثل الدخيل فيـه مثل الجاهل باحدى تلك الحرف الذي يتناول أدواتها ويعمل فيشوه المادة ويتلف الاداة . ومدعو الادب والدخلاء فيه كثيرون وستبقى النهضة بفضلهم تتخبط في ظلام الفوضى حتى يتاح لهم من النقاد من ينقدون

الفن من شر جهلهم فيسير به الادباء في طريق الرقي والنجاح

ومن عيوب ادبائنا التي تحملنا على الاعتقاد بانهم لا يشتغلون بالفن حباً فيه انهم يجهدون في ارضاء جمهورهم بأن لا يقدموا اليه الا ما يطيب له وما يجعله يقبل على كتاباتهم غير مراعين في عملهم هذا اذا كانوا به يخدمون الادب أو يسيئون اليه . وبعبارة اخرى انهم يجعلون الفن رهين اميال الجمهور واهوائه غير رامين الا الى كسب الشهرة والمال سواء اتفق هذا الغرض ومصلحة الفن أم لم يتفق

اني لا انكر على أحد ارضاءه انانيته ولا اشتغاله بكسب عيشه ، وانما انكر أن يضحى بالفن في سبيل الطمع او حب الذات

يعرف كثير من ادبائنا مواضع الجمال والكمال في فنهم ولكنهم يتجنبونها خشية ألاّ يفهمها الجمهور فيعرض عن مؤلفاتهم ، ويبحثون عما قد يروق لهذا الجمهور ويزفونه اليه وان لم يكن فيه من الفن الصحيح شيء ، ويعلمون ما يستطيعون به ترقية الفن ولكنهم يكتمونه في صدورهم خيفة أن يكون فيه ما ينفر قراءهم أوما لا يلائم ذوق هذه الفئة من الناس او تلك وتراهم يعمدون الى التصريح باشياء لا يعتقدونها او الى الدفاع عن آراء ومبادىء اذا فتشت عقولهم وقلوبهم لا تجد فيها منها أثراً

ولكم رأينا من كتابنا من اذا عربوا قصة او رواية تمثيلية حذفوا منها ما فيها من وصف المناظر الطبيعية والاماكن والاخلاق وتحليل العواطف وتصوير النفوس والاشخاص واخرجوها للناس كالهيكل العظمي لا لحم فيها ولا دم وذلك بدعوى أن الجمهور لم يألف بعد هذه الاشياء فاذا عرضت عليه فقد يصد عنها ولا يرضى بها

نعم ان الجمهور المصري لا يزال طفلاً لا يتهافت الا على ما يوافق عقله الصغير ولكن ليذكر الادباء انهم مربو هذا الطفل وان وظيفتهم انما هي تكوين عقله وتهذيب ذوقه وتربية شاعريته ، وان واجبهم انما هو تقويم معوجه وارشاده الى الطريق القويم ، وان الذمة في الفن تقضي بأن يجعل الفن فوق كل اعتبار وبأن يشتغل به حباً فيه لا جرياً وراء غاية أو طمعاً في مصلحة ، وان الاديب القادر هو الذي يعالج شعور الجمهور وعقله حتى ينهضه ويرفعه اليه لا الذي يتنزل من علياء الفن الى حضيض التبذل ليصفق له جمع كبير سواده الاعظم السذج والبسطاء .

فروع الادب كثيرة ومتنوعة وليس من الصواب في نهضة حديثة كنهضتنا أن يشتغل الاديب بكل تلك الفروع . ولكن استهانة كتابنا بفنهم تأبى عليهم الا أن

يزاولوا كل تلك الانواع معاً ولذلك فهم لا ينجحون في واحد منها

يقضي النظام الذي هو اساس النجاح أن يكون لكل فرع من فروع الادب فريق يخصص نفسه له ويقف مجهوده عليه ويعمل فيه حتى يصل به الى ما يمكن الوصول اليه من الكمال . فمن آنس في نفسه أهلية للشعر فليقل الشعر وليدع فيه ما استطاع الى الابداع سبيلا ، ولكن ليدع البحث في شؤون العمران الى علماء الاجتماع فهم اقدر منه عليه . ومن عهد في نفسه الكفاءة للتأليف القصصي فليفض على الناس من قصصه ما شاء ، وليترك التاريخ للمؤرخين فهم اولى به منه . ومن احب التأليف التمثيلي فليشغل المسارح برواياته وليتنحّ عن النقد للنقاد وعن الفلسفة للحكماء فذلك خير وأعود بالنفع . أما الانكباب على كل الانواع فصعب معه اتقان احدها وانه لخير للاديب أن يكون شاعراً مجيداً أو مؤرخاً عليماً او نقاداً خبيراً من أن يزاول ابواب الادب جميعها ولا ينجح في احد منها

وأقول لمن يعترضون على هذا بأن فولتير كان شاعراً وروائياً وفيلسوفاً ونقاداً ومؤرخاً وبأن مؤلفات الكثير من كتاب الغرب قد جمعت بين فروع شتى من الادب ـ أقول لهم : « انتظروا ريثما يأتي الزمن الذي نرى فيه منا أمثال فولتير أو غيره من كبار العقول ثم ننظر ما تقولون ولكن ما دمنا في مبدأ دور التكون العقلي ولم نقطع بعد أول مرحلة من مراحل الرقي فانفع لنا أن نسير في عملنا بنظام يصل بنا الى ما نبتغيه والا ضللنا سواء السبيل »

* * *

انصراف الجمهور عن الادب وانحطاط فن النقد وعدم اشتغال كتابنا بفنهم حباً فيه ، هذه هي امراض نهضتنا الادبية واسباب بطء سيرها نحو الكمال . فاذا نحن لم نعمل على مداواة تلك الامراض واستئصالها كان من العبث المطلق ـ كما قدمنا ـ أن نبتغي الوصول الى غايتنا من الادب أو ان يكون لنا أدب يربي النفوس ويهذب العواطف ويثقف العقول

حسن الشريف

باحثة البادية

بقلم الآنسة مي

[الهلال] في منتصف الشهر المنصرم انطفأ نور أضاء سماء مصر زمناً ، وانقطع صوت عذب طالما اهتزت له قلوب الراغبين في اصلاح حال المرأة الشرقية . فقد فقد العالم العربي نابغة من نابغاته النادرات عرفها القراء باسم « باحثة البادية » صاحبة « النسائيات » وهي كريمة حفني بك ناصف رجل العلم والادب . فلا غرابة أن يبكيها المصريون والمصريات ولا سيما من خبر بنفسه ماطبعت عليه من السجايا والخلال ككاتبة هذه المرثاة الجميلة

اكتب اسم باحثة البادية فيتمثل لناظري ذلك الثغر البسام وذلك الوجه ذو السمرة المصرية العذبة ، واسمع صوتها الرخيم مردداً كلمات حلوة اللفظ لطيفة المعنى . وأضع يدي على مجموعة « النسائيات » فاشعر بالحياة الفائضة على تلك الفصول وما هي الا توقد النفس المتوهجة بين صفحاتها . كل ما لباحثة البادية مملوء حياة مفيدة نافعة ، فكيف اصدق أن تلك الشعلة النادرة قد خمدت ، وأن ذلك الوجه الوضاح قد اختفى وراء وشاح الردى ؟

كانت عينا باحثة البادية مفعمتين ابتساماً كثغرها . ولكن اذا أمعن المرء النظر في أعماقها وجد بُعد الغور والكآبة المقيمة وراء الابتسام ، مما يُرى في اعين المفكرين وفي اعين المزمعين على الرحيل العاجل ، اولئك الذين لا تطول حياتهم اكثر من ورود الربيع فيذهبون تاركين الجو حولهم معطراً بعبير مآثرهم

* * *

ان لباحثة البادية مركزاً فريداً في الحركة الفكرية عندنا . بعد ان قام قاسم أمين يقول بتحرير المرأة وباعطائها مالها من حقوق أدبية واجتماعية ، قامت باحثة البادية تؤيد كلامه مظهرة أهلية المرأة وكرامتها ودرجة الارتقاء العليا التي يمكنها تسنمها . قامت هذه المرأة العبقرية ، ابنة الرجل العبقري ، تدرس احوال البيئة المصرية فكان لها من ذكائها الفطري مرشد أمين ، ومن احساسها العميق منبه مخلص ، ومن قلمها العربي الصميم أبلغ ترجمان وخير رسول . رأت حاجة قومها

الى الاصلاح فصاحت صيحة ما زال يرن صداها . وظلت تكتب وتخطب ناشدة الاصلاح . وهي المرأة المسلمة الوحيدة التي فعلت ذلك في وسط ما زال رجعياً في ميوله ، بشجاعة وكفاءة وتفوق لم ينل منها شيئاً انتقاد الناقدين وسخافة المتعصبين

كانت شديدة الحب لقومها ، شديدة الغيرة على وطنها ، شديدة التألم لما تراه من علامات التأخر والانحطاط في البيئة المصرية . ومجموع هذه العواطف من حب وغيرة وألم كان يخترق كل ما تكتبه كأنين متواصل ينقلب ساعة الوجع الشديد زئيراً او عويلاً . كذلك يتألم صاحب العقل والقلب الكبير كأنما هو يتألم عن امة باسرها

***

لما زارتنا للمرة الأخيرة كانت ترافقها صويحبة لها . فاخذت هذه تنقر على العود وأنشدت باحثة البادية بصوتها الشجي هذين البيتين من الموشح الاندلسي المشهور :

جادك الغيث اذا الغيث همى يا زمان الوصل بالاندلس
لم يكن وصلك الا حلما في الكرى أو خلسة المختلس

وكأنها كانت في تلك الساعة منبئة عن نفسها بأن وجودها بيننا ليس الا حلماً في الكرى أو خلسة المختلس ، وانها راحلة عما قريب في مقتبل العمر ونضارة الشباب !

ولكن موتها ليس فناء . ان امثال باحثة البادية محسنون للجمهور ، وهي محسنة للجنس النسائي خصوصاً في هذا العصر الذي تخطو فيه المرأة خطوتها الامامية في سبيل الارتقاء . نحن في حاجة شديدة الى نساء تتجلى فيهن عبقرية الرجال دون أن يفقدن صفاتهن النسائية الجميلة من لطف الاحساس وعذوبة الاخلاق ، والرقة والدعة والاستقامة والاخلاص . كذلك كانت باحثة البادية التي برزت شخصيتها فأعلت شأن بنات جنسها اذ ظهرت كاتبة كبيرة ومصلحة غيورة عاقلة ، وامرأة كريمة وفية ، وصديقة امينة . فشغلت في حياتنا الادبية وفي حياة المرأة الشرقية عموماً مركزاً سامياً جليلاً قلما يبلغه غيرها

***

فلئن بكيت اليوم الصديقة الصدوقة والثغر الحلو البسام فاني احيي المرأة الخالدة بمآثرها وأحني الرأس أمام المحسنة الغيورة . ان باحثة البادية لا تموت ولا يمكن ان تموت ، وستظل حسناتها باقية ما بقيت لغة القرآن . والشعلة التي توارت اليوم في ظلمة القبر هي هي التي تطل من سماء الخلود منيرة طريق الارتقاء للمعجبين بها الآسفين عليها

فالوداع ، أيتها الراحلة الكريمة ! لئن نزل البلى بيدك الرطبة فان الخلود نصيب ذكرك وفضلك ! سيري الى حيث لا حجاب ولا سفور ، حيث النور شامل والجمال مقيم ! هناك تحتاطين بامثالك من الارواح الكبيرة في دار هي مقر النبوغ والذكاء ، فانت حقيقة بسكناها وهي حقيقة بان تسكنيها

وأنا التي عرفتك وأحببتك ، مع الدموع التي أذرفها على ذكرك ، تريني جاثية أمام ضريح ضم جسمك الطاهر لاضع عند جوانبه باقة ازهار تعبر عن شكرنا لك . لكن الازهار تموت ، أما شكرنا فخالد كفضلك

مي

خواطر

الوراثة ذاكرة النوع

بعض الآلام تحدث لذة عظيمة ـ بار ولف

لا خوف على المرأة من الرجل الذي يتكلم وانما الخوف عليها من الرجل الذي يسكت ـ بار ولف

كثيراً ما يتفق ان كلامنا يجسم افكارنا في صور تعقب الندم

يخلق العلم من المعضلات اكثر مما يحل ـ غوستاف لوبون

الرجل الذي لا يحب الا نفسه لا يكره شيئاً مثل انفراده بنفسه ـ بسكال

تاريخ دمشق

لجرجي زيدان

يؤخذ مما جاء في التوراة ان دمشق من اقدم مدائن العالم . وقد عرفها الاشوريون والبابليون والمصريون والفرس وفتحها اليونان والرومان . ثم فتحها العرب في صدر الاسلام بقيادة ابي عبيدة وخالد بن الوليد . دخلها الاول صلحاً من جانب ودخلها الآخر عنوة من الجانب الآخر . ثم جعلها الامويون مقر خلفائهم وما زالت مبعث القوة ومجتمع العالم العربي نحو قرن . فلما انقضت دولة الامويين



الجامع الاموي

نقلت العاصمة الى بغداد وصارت دمشق امارة تابعة لها . ثم الحقت بالدولة الطولونية بمصر وعادت الى بغداد حتى فتحها السلجوقيون . وحاول الصليبيون فتحها مراراً ولم يفلحوا . ولما نبغ نور الدين زنكي جعلها مقر سلطنته في اواسط القرن السادس للهجرة فحصنها وعمرها وبنى فيها المساجد والمدارس . ثم صارت بعد قليل الى صلاح الدين الايوبي فجعلها قصبة ملكه ومات فيها وقبره يزار هناك . وفتحها المغول ثم عادت الى حوزة السلاطين المماليك وعني الملك الظاهر بيبرس باحيائها فاعاد بناء قلعتها . ثم نهبها رجال تيمورلنك وحملوا طائفة من صناعها الى سمرقند وغيرها . وفي سنة ١٥١٦ فتحها السلطان سليم فدخلت في حوزة العثمانيين من ذلك الحين

بلغت دمشق قمة مجدها في عهد الامويين . ودولتهم عربية خالصة فكان الشعراء

والأدباء يتوافدون اليها من كل صوب . وفيهم الفرزدق وجرير والأخطل والراعي وزياد الاعجم والطرماح وعمر بن أبي ربيعة وجميل بثينة ومجنون ليلى وكثير عزة والعرجي وأبو دهبل والاحوص وقيس بن ذريح وليلى الاخيلية . وفي أيام الامويين نقلت دواوين الدولة الاسلامية الى العربية وضربت النقود العربية وانتشرت اللغة العربية واعتزت الامة العربية . واصبح العرب في أيامهم مقدمين على سائر الامم لا يأنف الناس ان يدعوهم اسيادهم ويعدوا أنفسهم مواليهم . ولم ير العرب عزاً مثل عزهم في زمن بني أمية ومركز ذلك العز في دمشق

الجامع الاموي في دمشق

لابن جبير (زار دمشق سنة ٥٨٠)

هو من أشهر جوامع الاسلام حسناً واتقان بناء وغرابة صنعة واحتفال تنميق وتزيين ، وشهرته المتعارفة في ذلك تغني عن استغراق الوصف فيه . انتدب لبنائه الوليد بن عبد الملك ووجه الى ملك الروم بالقسطنطينية يأمره باشخاص اثني عشر الفاً من الصناع من بلاده وتقدم اليه بالوعيد في ذلك أن توقف عنه ، فامتثل امره مذعناً بعد مراسلة جرت بينهما في ذلك بما هو مذكور في كتب التواريخ فشرع في بنائه وبلغت الغاية في التأنق فيه وأنزلت جدرُه كلها بفصوص من الذهب المعروف بالفسيفساء وخلطت بها انواع من الاصبغة الغريبة قد مثلت اشجاراً وفرعت أغصاناً منظومة بالفصوص ببدائع الصنعة الانيقة المعجزة وصف كل واصف .. فجاء يغشي العيون وميضاً وبصيصاً . وكان مبلغ النفقة فيه أحد عشر الف دينار ومئتي الف دينار

طرابلس وقلعتها

لمصطفى صادق الرافعي

يصف موقعا بديعا قامت في سفحه مدينة طرابلس الشام موطن أسرته : وتظهر البلد للمشرف من هذا الموقع وقد انسحبت وراءها البساتين وجرى من خلفها البحر يرتجف وليس بينها وبين السماء في نظر العين الا أن تتخطاه :

يا صخرةً حملتنا في ذرى جبلٍ ... اليه معطفُ قلبي حين ينعطفُ

ان شبهوا بك قلباً قاسياً فانا ... اراكِ قلباً بنا من حبه شغف

كم في لياليك انفاسٌ يكاد بها ... قلبي ـ وقد ذكر الاحباب ـ يُختطف

آنست من مسّها في مهجتي سحراً ... مسّ اللحاظ تحيينا وتتصرف

كأن اضواءها في القلب من طرب ... مواقع الامل المظنون تنكشف

توافقت ومضت تهوي على عجل ... كالطير صفّ ولكن لم يكد يقف



قلعة طرابلس

***

اعليتنا الجوَّ نستجلي محاسنه ... كأننا لسماء الله نزدلف

نلوح في «عين» «راء» نحوك اطلعت ... «كهمزة» رفعتها فوقها «ألفُ»

نرى طرابلس تبدو كالحمامة في ... وكر لها اظهرته روضة أنفُ

والبحر يحكي ذراعاً للسماء به ... تزحزح الارض عنها فهو يرتجف

مناظر ما اختلفنا في محاسنها ... والحسن انواعه فيهنَّ مُختلف

فيا طرابلس حيتك المنى بلداً ... بي من هوى الحسن فيه فوق ما اصف

أحسّ بين ضلوعي كلما خطرت ... ذكراكِ أنَّ اليك القلب ينحرف

المناجاة

تعال في الروض نقطف زهوره العطرات
والبدر يلقي علينا أوراقه النضرات
تشف عما تغطيه من ثرى أو نبات
يا حبذا ورقات الضياء من ورقات
ترى الازاهر منها في الروض منتقيات
وسوف تلبس أحدا ها على الوجنات
هناك يحلو لعيني اطالة النظرات
هناك يبعث في القلب ميت الصبوات
هناك تعرف مثلي معاني النشوات
هناك ترشف مثلي من الهوى رشفات
نجني هناك واجني من الهوى ثمرات
ونرشف الحب رشفاً من أكؤس الكلمات
اذا سمعت شكاتي سمعت سحر الرقاة
فالسحر في زفراتي والسحر في عبراتي
تعال ننعم قليلا بلذة الخلوات
والنجم يرنو الينا من هذه الشرفات
غير ان يسترّ ما في الفؤاد بالبسمات
تعال ننعم قليلا في ظل هذي الحياة
لا تخجلن فما في الفؤا د من شبهات
فلذة العين والسمـ ـع أطيب اللذات
تعال فالليل ضاح الى ذرى الربوات
نطل منها على البـ ـحر هائج الموجات
همومه الموج تغلي في الصدر مصطخبات
كأنهن همومي تثور في نوراتي

سوانح من غرامي تمر في خطراتي
فأحيِ بالقرب نفساً مشوقة للنعاة
ولا يغرنك حسن يجري على ميقات
فسوف تصبح في التر ب اعظما نخرات
انظر الى البدر وانظر انظر الى المرآة
اي الجميلين ابهى يا غاية الغايات
ان شبه البدر يوماً بهذه الوجنات
فما له لفتات كهذه اللفتات
ولا له بسمات كهذه البسمات
ولا له نظرات كهذه النظرات
لكن حسنك فانٍ يعد بالسنوات
ان عشت تسعين عاماً فارقب نعي النعاة
اف للدهر غدور · اف للدهر عات
يعدنا للمنايا فحينا كالرفات
اذا بعثت بطرفي يرتد بالحسرات
ارى عظاماً ولحماً تسير مبتهجات
وسوف تصبح في التر ب مطعم الحشرات
هل كنت تجهل ان المنون لا ريب آت
الموت لا شك فيه فلنله قبل الممات
هذي جنود المنايا سريعة الخطوات
عزريل مني قريب يريد مني حياتي
يا حبذا الموت بين العناق والقبلات
يا حبذا الموت بين السلاف والطاسات
خذها هنيئاً وهات وغنِّ لي يا حياتي
وغنِّ لي من قريضي خمرية الابيات
يا حبذا نشوات القريض من نشوات
وما تنال اماني النفو س في الصحوات

يا عالماً ما رأينا به سوى المحزنات
انتبع القوم فيما قالوه من مضحكات
هذا الحرام حلال لنا فخذها وهات
دعنا نطر بجناح الطلا الى الذروات
الى النجوم اللواتي يجهلن معنى الممات
هناك نخلد فيها في عالم الخطرات
في عالم من معان خفية بينات
مع الملائك والجن في ذرى الجنات
هيهات تلك أمان للحب غير ثقات
هيهات تلك أمان جلبنها لي سقاتي
فلن افارق ارضي ولا الحبيب مؤات
يا غافلا عن هوى اليك أهدي شكاتي
فهل طربت لشعر يجري مع النسمات
الويل لي من اناس لم يغفروا هفواتي
أن كان حبي ذنباً فالشعر من حسناتي
او كان شعري ذنباً فالحب من حسناتي
بل انت تحسب هذي لي غاية السيئات
ويلي وويلي وويلي من شانئي ووشاتي
جهلتمو من خيالي بدائع الا يات
فخذ جناحي خيالي وطر الى النيرات
وانظر الى الناس تنظر حفائر الحشرات
بعض الانام ذباب والبعض كالحيات
وانت وحدك فيهم مبرأ من شيات
تعال نركب سفيناً من هذه الكاسات
فالخمر بحر عميق مأمونة الغرقات
هذا شراع خيالي بدافع النسمات
هذي مجاذيف فكري تدافع الموجات

هـذا رشـاش الاماني يجري على لهواتي
لقـد سكرنا فنمنـا على فراش النبات
قـد غرد الطـير فانهض واصدح مع الصادحات
وانت طـير صغير فاحـذر شرور البزاة
لم يقنعوا من جمال الجميـل بالنظرات
ولى الصباح بسكري واعقب الحسرات
فلا صديق وفيّ ولا حبيب مؤات
لم تجن ذنباً ولكن هواك شر الجناة
اليك طول حياتي عبادتي وصلاتي
اليك اشكو وادعو لو اسمعت دعواتي

عبد اللطيف النشار

كلمات لاناتول فرانس

لا تحكم على الانسان من عمل واحد يأتيه فانما تقف قيمته على مجموع أعماله وجملها

لا نجد في الكتب التي نطالعها غير أنفسنا

لا أجر للخير الا اتيانه ولا ثمن له غير عمله . فلنترك للنفوس الصغيرة خوف العقاب وأمل الثواب . . . ولنحب الفضيلة لاجل الفضيلة

قد يعرف الانسان أشياء كثيرة ولا يكون مع ذلك الا غبياً

ليس من شأن العلم أن يسر أو يسيء فانه خارج عن حيز العواطف البشرية فالعلم يعجز عن ابهاجنا وتعزيتنا وانما يقوم بهذه المهمة الشعر . ولذا فالبشر أحوج الى الشعر منهم الى العلم

لقد أصبح المال شريفاً بل هو قوام طبقة الخاصة في هذا العصر . فكأنما تألم نهم الامتيازات الماضية الا لتقيم مكانها هـذا الامتياز الذي هو بلا ريب أشدها جوراً واكثرها عسفاً وقحة

العلم معصوم عن الخطأ ولكن العلماء غير معصومين عنه

عجائب المخلوقات

حجر ثمين ذو حجم هائل

يرى القارئ في الصورة المنشورة هنا حجراً ضخماً قد لا يصدق انه حجر ثمين لعظم حجمه كما يتضح من مقارنته بجسم الحدث الجالس عليه . وهذا الحجر من نوع اليشب وهو يعرف بالفرنسية والانكليزية باسمي Nephrite و Jade . وقد



حجر اليشب الهائل

جاء في القاموس : « اليشب حجر قريب من الزبرجد لكنه اكثر شفافية وصفاء منه واجوده الرزين فالاخضر فلابيض (فارسي) » . ووزن هذا الحجر ٤٧١٠ ارطال والارجح انه لم يكتشف حجر من نوعه بحجمه وضخامته . طوله ٧ اقدام وعرضه قدمان وثخانته قدم . وقد عرض اخيراً في معرض التاريخ الطبيعي في نيويورك . واصله من مقلع في جوردانا موهل قرب برسلو بالمانيا

الحيوانات البائدة

وكيف انقرضت عن وجه الارض

ذكرنا غير مرة في هذا الباب خبر الحيوانات الهائلة التي كانت مسيطرة على وجه الكرة الارضية لضخامة حجمها وقوة بطشها ثم انقرضت وبادت فلم يبق منها الا آثار عظمية يكتشفها العلماء من حين الى آخر فيستخرجونها من مستودعاتها في الطبقات الارضية ويركبون هياكلها العظمية لتعرض في المتاحف

ان انقراض تلك المخلوقات الهائلة مما يحمل الانسان على التأمل والاعتبار. فكيف كان ذلك؟ وما كانت الاسباب التي أدت الى ملاشاة التيرانوزورس العظيم مثلاً وأقاربه من الحيوانات الآكلة للحوم؟

لقد حار العلماء زمناً في الاجابة عن هذا السؤال فذهبوا فيه مذاهب مختلفة. فنسب بعضهم ذلك الى تغير حالة الجو والحرارة فجأة على وجه الارض ـ وهو ما نفته المباحث العلمية الحديثة. ومنهم من قال ان تجمع جماعات من الحيوانات الشبيهة بالانسان وغيرها من ذوات الثدي هو الذي أدى الى انقراضها. ولكن هذه النظرية قد دحضت ايضاً فقد حسبوا ان قوة العض التي كانت للتيرانوزورس تعادل ٢٠٠ ضعف قوة العض لدى أعظم النموز وأشدها بطشاً بل الارجح ان تلك الحيوانات الضعيفة لم تجسر على الظهور أمام التيرانوزورس وأمثاله وانها كانت تلجأ الى الاشجار العالية تقضي فيها معظم وقتها

وقال آخرون ان تلك الحيوانات الهائلة التي تعيش من اكل اللحوم انقرضت من الجوع اذ لم يتيسر لها الفوز بفرائس تلتهمها وتتغذى بها. على ان المباحث الحديثة قد هدمت هذه النظرية كما هدمت النظريتين السالفتين اذ ثبت انه كان على وجه الارض من الحيوانات (وبعضها انقرض) ما يكفي التيرانوزورس وأشباهه طعاماً

فلذلك عمد العلماء اليوم الى نظرية جديدة تدعمها المباحث والمشاهدات العلمية ومؤداها ان العامل الوحيد في انقراض تلك المخلوقات انما كان فعل ميكروبات

مرضية حملتها بعض الحشرات فكانت تنقلها الى التيرانوزورس وأشباهه كما ينقل الملاريا نوع البعوض المسمى « انوفيلس » وكما تنقل مرض النوم الذبابة المعروفة باسم « تسي تسي »

فالفضل اذاً يرجع الى تلك الميكروبات في صيانة العالم والبشرية !

وقد أنبأنا العلم الحديث عن فتك ذبابة تسي تسي بقطعان بعض الحيوانات في افريقيا بل بقبائل بشرية كاملة . فمن المحتمل ان تكون هذه الذبابة (أو حشرة غيرها) قد فتكت بالتيرانوزورس . ومن المعلوم انها تفتك اليوم بالتمساح فتكا شديداً

ومن الادلة على صحة هذه النظرية انهم فحصوا بالميكروسكوب بعض تلك العظام المتحجرة فوجدوا فيها ميكروبات مرضية متحجرة أيضاً

ولكي ندرك بذاتنا ما كان لانقراض هذه الحشرات من الشأن في تغيير شكل المعيشة على وجه الارض لنتصور أنفسنا عائشين في عصر التيرانوزورس الذي كان رأسه على ارتفاع ١٩ قدماً من سطح الارض والذي كان يقطع النمر قطعتين بعضة من فكيه الهائلين . وقد كان ظهر التيرانوزورس مصفحاً بصفائح جلدية قوية لو صوبت اليها بندقية حديثة لم تنفذ فيها رصاصتها . وكان لهذا الحيوان عضة تعادل في قوتها ٢٠٠٠٠ ضعف عضة الانسان . وقد انقرض التيرانوزورس بعد ان سيطر على الارض نحو أربعة ملايين من السنوات انتهت منذ ثلاثة ملايين سنة !

خيط العنكبوت

اتدري ما النسبة بين ثخانة خيط العنكبوت وثخانة شعرة من شعر رأسك ؟

قال أحد العلماء : « خطر لي أن اقارن بين خيط عنكبوت كامل النمو وشعرة من ذقني فوضعتهما تحت الميكروسكوب فوجدت ان مئة خيط من خيط العنكبوت تعادل في ثخانتها شعرة واحدة . فاذا اعتبرنا ان الشعرة مستديرة الشكل تبين لنا انها تسع نحو ١٠٠٠٠ خيط . فتأمل ! »

العائلة والمنزل

معالجة الهموم

اذا عنينا بمعالجة همومنا وقينا أنفسنا شر ادواء كثيرة تنشأ عنها فلا ريب ان الهموم سموم — ليس بالمعنى المجازي فقط بل بالمعنى الحسي الحقيقي . فلننظر اذاً في الطرق التي من شأنها ملافاة هذا الداء فانه بلا ريب اشد الادواء انتشاراً بين الناس

على اننا حين نتدبر بواعث الهموم نرى انه تتعذر معالجتها جميعاً بنوع واحد من الوسائل . فان من يرجع همه الى خطر يهدد عملاً كرس له حياته قد لا ينفرج الا حين ينقضي ذلك الخطر . وبخلافه من كان همه ناجماً عن ضعف جسمه فانما يجب عليه اصلاح امره والعناية بصحته ولاسيما الامتناع عن تعاطي السموم المختلفة المنتشرة بين أهل هذا التمدن في شكل المشروبات الروحية والتبغ الخ . . . وعليه كذلك تعديل طعامه بحيث ينتظم عمل جهازه الهضمي . وبعبارة وجيزة يجب عليه الاقلاع عن المعيشة المسممة المتشعبة والاستعاضة عنها بالمعيشة البسيطة الهادئة

قال أحد مشاهير الاطباء : « ان اختباري الطويل يحملني على القول ان معظم حالات الهم والاغتمام ناجمة عن اسباب جسدية تتيسر ازالتها وأزالة تلك الحالات معها »

ولا ريب ان تبسيط المعيشة هو قوام كل علاج من هذا القبيل فلا بد من تبديل العادات التي الفها الانسان وتغيير الوسط الذي يعيش فيه والاناس الذين يختلط بهم الى آخر ما هنالك من الاعتبارات التي يستطيع كل تعيينها لنفسه

ومن أفعل العلاجات « للاهتمام » ترويض العقل والجسم . أما العقل فيمكن صرفه عن موضوع الهم بتوجيهه الى موضوع مفيد يشغله . وأما الجسم فيجدر لترويضه الالتجاء الى بعض ضروب التسلية كزراعة الحدائق وركوب القوارب والفنون

اليدوية المختلفة كالنجارة والحياكة وصنع السلال الخ .

وقد ثبت حديثاً نفع تلك الفنون في معالجة الهموم حتى لقد افتتحت معظم المعاهد التي تعنى بمعالجة الامراض العصبية فروعاً جهزتها بما يلزم لهذا الغرض

ومن النصائح المفيدة لصاحب الهم ان يكلف نفسه الهاء شخص آخر مصاب بمثل ما هو مصاب به . وللارادة في ذلك شأن كبير فعلى الانسان ان يعرف كيف يستخدمها لغرضه . كذلك الموسيقى ففيها غذاء للارواح وتسكين للاعصاب . ومثلها المحادثة واللعب وغير ذلك من الامور التي تساعد على الهاء المريض . ولعل الدين اعظم نفعاً من جميع تلك العلاجات فانه الملجأ الامين للنفوس القلقة المضطربة

منافع الحرب

قد يستهجن القارئ ان تكون الحرب قد أثرت تأثيراً حسناً في صحة المحايدين على العموم . فقد دلت الاحصاءات في البلاد المحايدة على تناقص بيّن في عدد الوفيات منذ نشوب الحرب . في البلاد الأسوجية هبط معدل الوفيات السنوية من ١٥،٧ وفاة في الالف الى ١٢،٦ فيكون مجموع من خلص من الموت في المليون نحو ٣١٠٠ نفس

وهذا النقص في الوفيات يرجع الى الحرب الحاضرة فانها قضت على كثير من أسباب الترف والتأنق المنتشرة في البلاد المتمدنة . فتأثير الحرب من هذا القبيل محمود العواقب

وقد لوحظ أثناء حصار باريس سنة ١٨٧٠ ان معدل الوفيات فيها بين الاطفال هبط هبوطاً محسوساً يرجع الى ان الامهات اضطررن الى ترضيع اولادهن من لبنهن لعدم تيسر اللبن البقري ولا يخفى ما في ذلك من اتقاء كثير من الامراض التي تنتشر بواسطة ذلك اللبن

وفي الحرب الحاضرة اضطرت البلاد السكندينافية الى مجاراة المحاربين في تعيين الجرايات لرعاياها والقضاء على كثير من اسباب الترف التي لا يعود منها غير

الضرر كالمشروبات الروحية والشاي والقهوة والدخان. ثم انها أجبرت رعاياها على اختلاف طبقاتهم على الصوم عن اللحوم في ايام معينة ونحو ذلك مما عاد بالفائدة الجمة

ولا يخفى ان كل وفاة في السنة يقابلها مرضان مستديمان. فيقابل خلاص ٣٠٠٠٠ نفس من الموت اقتصاد نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٢ يوم مرض (٣٦٥ × ٦٠،٠٠٠ = ٢١،٩٠٠،٠٠٠) تصرف في اعمال نافعة. ولما كانت قيمة الشخص الواحد تقدر من الوجهة الاقتصادية بنحو ٠٠٠ ٥ دولار ونفقات يوم من المرض بما لا يقل عن دولارين كان مجموع ما تقتصده اسوج بفضل الحرب نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠٠ دولار سنوياً

كم يجب أن ازن ؟

لا شك أن هناك علاقة بين طول الجسم ووزنه فلكل طول وزن يقابله على وجه العموم. وقد عثرنا في احدى المجلات على جدول يستدل به على الوزن الذي يجب ان يزنه الانسان الصحيح بالنسبة الى طوله وهاك هو :

للرجال		للنساء	
الطول	الوزن	الطول	الوزن
٦١ بوصة	١٣١ رطلا	٥٩ بوصة	١١٩ رطلا
٦٢ «	١٣٣ «	٦٠ «	١٢٢ «
٦٣ «	١٣٦ «	٦١ «	١٢٤ «
٦٤ «	١٤٠ «	٦٢ «	١٢٧ «
٦٥ «	١٤٣ «	٦٣ «	١٣١ «
٦٦ «	١٤٧ «	٦٤ «	١٣٤ «
٦٧ «	١٥٢ «	٦٥ «	١٣٩ «
٦٨ «	١٥٧ «	٦٦ «	١٤٣ «
٦٩ «	١٦٢ «	٦٧ «	١٤٧ «
٧٠ «	١٦٧ «	٦٨ «	١٥١ «
٧١ «	١٧٣ «	٦٩ «	١٥٥ «
٧٢ «	١٧٩ «	٧٠ «	١٥٩ «
٧٣ «	١٨٥ «		
٧٤ «	١٩٢ «		
٧٥ «	٢٠٠ «		

سموم التبغ

تنتسب شجرة التبغ الى فصيلة من النباتات السامة وليس النيكوتين سمها الوحيد ففيها سموم أخرى كثيرة اليك قائمة بأهمها (ونحن نبتلعها كلها في التدخين) :

بيريدين	بيكولين
امونيا	لتيدين
مثيلورين	كوليدين
الحامض البروسيك	برفولين
الكاربون المونوكسيد	كوريدين
سلفيد الهيدروجين	روبدين
الحامض الكربوليك	بيريدين
غاز مارش	بيرول

زهور مقدمة الى المرأة

المرأة أكمل ما في الخليقة — كونفوشيوس
النساء يعلمننا الادب والحشمة والكرامة — فولتير
ليس لروايات شكسبير ابطال بل بطلات — رسكن
كل ما فيَّ من صنع والدتي — جون كوينسي ادمس
لئن كانت المرأة هي التي أضاعت جنة عدن فهي وحدها تستطيع اعادتها الينا — هويتير
تجد امرأة عند منشأ كل عمل عظيم — لامارتين
ليس في العالم ما هو اجمل من استقبال المرأة المخلصة في محبتها
ليس في السماء ما هو أرق من قلب المرأة حين تدخله الرحمة — لوثر
أين الكاتب الذي يرينا جمالاً مثل الذي نراه في عين المرأة — شكسبير

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بالحرف أو بكلمة عند النشر

الكي

﴿ ادرادي كوستا . برازيل ﴾ يوسف راشد غانم

من مدة سنة أصيب احد الوطنيين هنا بداء السل وعالجه عدة اطباء بلا فائدة حتى قطع الامل من شفائه فاستعملت له الكي بين الاضلاع كما اطلعت عليه في احد كتب الطب (وهو الدر النفيس تأليف الدكتور سعيد سركيس) فشفي وهو الآن بتمام الصحة . فاذا كان للكي هذا التأثير فلمَ لا يستعمله الاطباء والا فكيف تعللون الحادث المذكور سالفاً ؟

﴿ الهلال ﴾ فائدة الكي التحويل في حالة الاحتقانات والالتهابات المزمنة على الخصوص . وهو كثير الاستعمال في التدرن الرئوي المزمن . وربما كان له فائدة في بعض الاحوال حيث يعسر الحكم فيما اذا كان التحسن أو توقف اعراض المرض ناتجاً عن استعماله أو عن المداراة و حسن الغذاء وطبيعة المرض نفسه . ولا تُجدي له البتة في معظم انواع التدرن الرئوي الاخرى

نمو الاسنان

﴿ النهود . السودان ﴾ رشيد مخائيل شامي

من المألوف المتعارف بين الناس ان أسنان الطفل تأخذ في الظهور منذ الشهر الخامس ويندر ان تظهر أسنانه في الرابع . ففي الاسبوع الماضي رزق أب سوري الجنس من امرأة سودانية الجنس طفلة بيضاء اللون متكاملة الاعضاء والشكل بيد انه

يوم ولادتهما وُجد في فمها سنان أماميان في الفك الاسفل وهما ظاهران تماماً . ولما كان هذا من الغرائب المجهولة التعليل عندنا جئنا نطلب رأيكم فيه

﴿ الهلال ﴾ نمو الاسنان في الطفل يكون كما ذكرتم . ولكن قد يتفق أن يولد الطفل وفي فمه سنان او اكثر . وليس لذلك تعليل سوى الشذوذ في سرعة النمو

جرثومة التناسل

﴿ كرولي . لويزيانا . الولايات المتحدة ﴾ خ . ا .

هل جرثومة التناسل موجودة في الرجل أم في المرأة وما سبب العقم ؟

﴿ الهلال ﴾ جرثومة التناسل تكوّن باجتماع جرثومتي الذكر والانثى واتحادهما فاذا مرضت احداهما أو فقدت لمرض ما حصل للعقم

مرض غريب

﴿ كيفون باشطو . البرازيل ﴾ فارس وانس

عرفت امرأة لها ولد صغير اذا نامت لا تفيق مهما صاح ولدها وبكى حتى تضطر الحال الى افاقتها بالعنف . وهي في صحة جيدة ولا تشكو ألماً فما سبب ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ يكاد يكون ذلك مرضاً وهو ناجم عن خمول في الاعصاب ودواؤه معاطاة المنبهات والمقويات بارشاد طبيب مع الرياضة والاكثار من التنبيه من وقت الى آخر

مدة الصوم

﴿ مصر ﴾ م . د

ما هي أقصى مدة يستطيع الانسان أن [illegible]

﴿ الهلال ﴾ كلما طالت مدة الصوم قلت [illegible]

ان يبلغ التضاؤل حداً يصبح فيه الى موت . وهذا الحد يختلف باختلاف حالة الجسم عند ابتداء الصوم فالحيوانات المدهنة تموت بعد فقد نصف وزنها الاصلي وقد تموت الحيوانات القليلة الدهن بعد فقد خمسي وزنها

فاذا طبقنا هذه القاعدة على البشر وجدنا ما يأتي : الرجل الذي يزن ١٥٠ رطلاً يموت حين يفقد ٦٠ رطلاً . على ان للسن تأثيراً كبيراً في ذلك فقد يموت الطفل في مدة ٣ أو ٤ أيام اذ يفقد ربع وزنه فقط . وقد يستطيع الرجل المستكمل النمو ان يصوم ستين يوماً ولا سيما اذا شرب شيئاً من الماء أثناء ذلك

چون بول

﴿ مصر ﴾ ومنه

ما اصل تسمية انكلترا باسم چون بول وما تاريخ ذلك ؟

﴿ الهلال ﴾ ترجع هذه التسمية الى مؤلف للدكتور چون اربثنوت الكاتب الانكليزي اسمه Law is a battomless pit ظهر سنة ١٧١٢ فقد وصف فيه شخصاً سماه چون بول جاء خير ممثل للشعب الانكليزي . ومن ذلك الحين عم استعمال هذه العبارة رمزاً عن انكلترا والشعب الانكليزي

المواضع الحساسة في الجسم

﴿ مصر ﴾ يوسف منصور

كيف نعلل وجود مواضع حساسة في الجسم عرضة « للدغدغة » وما فائدتها ؟

﴿ الهلال ﴾ لن تعليل ذلك من الوجهة الفلسفية هو ان تلك الحساسة ساعدت الحيوانات وافادتها في تنازع البقاء . فاحساس الدغدغة نوعان : فقد يتأتى عن حركة تماثل دبيب الحشرات على البشرة أو عن ضغط جهات معلومة كالآباط وسطح القدم . فالنوع الاول نشأ في زمن كانت الحشرات فيه خطراً على الجنس البشري فمن كان شديد الاحساس لدبيبها على جسمه تمكن من مقاومتها حالما تلمسه . أما النوع الآخر فيظهر ان تلك المواضع الحساسة هي التي يغلب أن تهاجمها الحيوانات في منازعاتها

كلمة « بوش »

﴿ مصر ﴾ . ومنه

ما اصل كلمة (بوش) Boche التي يطلقها الفرنسيون على الالمان ومتى استعملت

لاول مرة . وما معنى كلمات Bochonnerie و Bocherie و Bochie وغيرها التي اشتقت من كلة Boche

﴿ الهلال ﴾ ظهرت تلك الكلمة لاول مرة سنة ١٨٦٠ بين طبقات العمال في باريس ولم تكن لتطلق اذ ذاك على الالمان بل كانت تطلق على الرجل العديم الفائدة . وهي مختصر كلة Caboche الفرنسية ومعناها « رأس يابسة » . فلما نشبت بين فرنسا والمانيا حرب سنة ١٨٧٠ وقامت العداوة بين الشعبين اطلق الفرنسيون كلة (بوش) على اعدائهم لما ظهر لهم من عنادهم وبطئهم في الفهم . وقد اتخذت تلك الكلمة في هذه الحرب معنى قبيحاً على اثر تفظيع الالمان واصبحت مسبة وقد اشتقت منها كلمات عمَّ استعمالها بين الجنود هاك أهمها :

Bochie وهي تطلق على المانيا . Bocherie أي فظائع الالمان . Bochisme أي التمدن الالماني . Bochiser أي يتجسس . Bochonnerie أي الغازات السامة



خواطر

ليست الصداقة بين رجل وامرأة عاطفة طبيعية ولذا لا تتيسر الا باقتحام عقبات كثيرة والتغلب عليها بفضل استقامة القلب وقوة الارادة . وأعظم تلك العقبات وأخطرها الحب

عن كتاب « الصداقة الغرامية »

يطرح الكاتب أفكاره في العالم كالبذور فتنمو وفقاً للتربة التي تقع فيها

ادوار رود

من عرف كثيراً شك كثيراً — ميشله

كلما صغر القلب وسع حقداً — هوغو

لكي لا نتغير يجب ألا نفكر — رينان

كل خرافة تمثل أملاً — بلزاك

الجزء ٣ — الهلال — السنة ٢٧

أول ديسمبر (كانون الاول) سنة ١٩١٨ و٢٧ صفر سنة ١٣٣٧

نشوء الدول الدستورية [1]

وما يعترضها من الاخطار

لمؤسس الهلال

... والانتقال من الاستبداد الى الدستور لا يخلو من الخطر على كل حال. ولكن خطره يكون قليلاً كلما كان الانقلاب بطيئاً اذ تستعد له الامة بالتدريج . شأن كل انتقال اجتماعي مهما كان طفيفاً ...

فاحر بالانقلاب السياسي ان يلقى مقاومة كبرى لانه يقطع ارزاق كثيرين ويقف في سبيل كثيرين فهو لا يخلو من الخطر . ولذلك وجب على أصحابه أن يتيقظوا ويحتاطوا — وهاك أهم تلك الاخطار :

١ — نقمة أصحاب النظام القديم

للدول في الحكم الاستبدادي تأثير كبير على الامة الداخلة في سلطانها فتتكيف أحوالها الاجتماعية والسياسية والدينية على ما يلائم تلك الدولة . ولذلك قالوا « الناس على دين ملوكهم » وهو طبيعي في الحكم المطلق اذ تكون ارادة الملك شريعة المملكة فتتجه أفكار الامة ومساعيها الى ارضاء من يقيمهم ذلك الملك نواباً عنه في الحكومة وهؤلاء يعملون ما يرضي ملكهم . وتتسلسل الاغراض والمساعي سلاسل مترابطة الحلقات تتجه الى نقطة واحدة يوجهون اليها مطامعهم ويلتمسون منها أرزاقهم ويتفاوت نفوذهم فيهم بتفاوت مواهبهم وعقولهم . فاذا توالت الاجيال على هذه الحال أصبح المحيطون بالعرش نخبة الاذكياء وأهل الدهاء . واذا رأوا في الملك

(١) الهلال سنة ٢١ صفحة ٥٢٣ — ٥٢٧

ضعفاً اغتنموا ضعفه لابتزاز الاموال وسايروه وداجوه واستعانوا على ذلك بالاعوان وغيرهم . ويحيط بالعرش أيضاً دائرة أخرى من رؤساء الدين يؤيدون عرشه ويستمدون سطوته ويؤيدون الحكم الاستبدادي لانه يشبه سلطة الخالق

ويلحق بهاتين الدائرتين من المقربين دوائر أخرى يحيط أفراد كل منها بكبير من المقربين يرتزقون بما يرضيه . وتحوم حول هؤلاء طبقات أخرى لمثل هذا السبب حتى يتصل ذلك بالتجار والصناع والباعة والادباء . وبتوالي الاجيال يألفون النظام الاستبدادي ويتعودونه ويصبرون على سيئاته الا اذا كانت فاحشة لا تحتمل. وفي كل حال لا يتصدى لقلب هذا النظام غالباً الا الذين نالهم منه ضرر فيرون في قلبه نفعاً . ويتذرعون الى الاجتماع عليه باسم الوطن أو الامة أو الحق أو جامعة أخرى ويجعلون أساس اجتماعهم اصلاح الدولة وقلب الحكومة الاستبدادية . وقد يكون فيهم من يطلب الدستور انتصاراً للحق فقط ولكنهم قليلون

فاذا تأتى لهم ذلك وأعلنوا حرية الافراد ونقلوا السيادة الى الامة أصبح الملك وأعوانه وسائر رجال النظام القديم عرضة للاحتقار أو المصادرة أو القتل وقد ذهبت أسباب رزقهم وضاع نفوذهم . فهم أعداء للنظام الجديد لا يدخرون وسعاً في تقبيحه والسعي في هدمه اما عن اقتناع أو نقمة . وتختلف مساعيهم باختلاف أحوال تلك الامة وعلائقها السياسية مع الدول الاخرى . وقد يقودهم اليأس الى تحريض بعض الدول على اغتنام تضعضع حال هذه الدولة في أول الانقلاب للاستيلاء عليها كلها أو بعضها . كما فعل بعض النبلاء الفرنساويين الذين أضرت الثورة بنفوذهم فنزحوا الى المانيا وشرعوا يستنهضون حكوماتها ويزينون لها ارسال الوفود الى فرنسا لانقاذ لويس السادس عشر من أسر الباريزيين وهم يعلمون أنهم يعرضون بلادهم بذلك الى سيطرة الاجانب . وقد يتحينون الفرص ويفسدون بين أصحاب الانقلاب أنفسهم بالنعرات الدينية او الجنسية . وفي التاريخ الحديث شواهد كثيرة من هذا القبيل

ولذلك جرت عادة زعماء الانقلابات السياسية أن يقيدوا الالسنة ويغلوا الاقلام ويكموا الافواه ويجردوا السيوف باعلان الاحكام العرفية أو العسكرية حتى تستقر السكينة وتتوطد دعائم الدستور . وقد يمضي على هذه الفترة عدة اعوام تجري الدماء في أثنائها أنهاراً بلا شفقة ولا حساب . وانما يراد تأييد النظام الجديد وهو لا يؤيد بغير السيف . هكذا فعل الفرنساويون في ثوراتهم المتوالية فلم يستثنوا ملكاً ولا

أميراً ولا كاهناً وقف في سبيل نظامهم . وقد يرتكبون في سبيل ذلك مظالم كثيرة لكنها في نظرهم خير من الرجوع الى النظام القديم

٢ ـ عدم استعداد الامة لذلك الانقلاب

من قواعد الاجتماع أن انتقال الامة من نظام الى نظام أو عادة الى عادة أو عقيدة الى عقيدة لا يثبت إن لم يكن تدريجيًّا لان الناس اعداء لكل جديد . وخصوصاً اذا كان ذلك الانتقال يمس مصالحهم اليومية ويدخل في اسباب رزقهم أو يتعلق براحتهم ولو كانوا هم الساعين فيه والمطالبين به كما فعلت الامة الفرنساوية فانها لم توفق الى توطيد دعائم الدستور الا بعد ثورات متوالية تعودت الامة فيها النظام الجديد وهلك في سبيل ذلك الوف من الناس

فالانتقال من نظام الى نظام لا يثبت الا بالتدرج مع ملاحظة حال الامة . وهي ترى الحكم الاستبدادي أقرب الى طبائع البشر وتميل من فطرتها الى المحافظة على القديم . فانتقالها دفعة واحدة من الاستبداد الى الدستور كانتقال اهل البلاد الحارة الى الاقاليم الباردة بحجة ان الطقس البارد انفع للصحة وادعى الى النشاط . ولكنك اذا فعلت ذلك عرضت اولئك الاقوام لامراض كثيرة . واذا لم يكن بدٌّ من نقلهم فيجب ان يتم تدريجاً في أجيال متوالية . فلا تنقل السوداني الى انكلترا دفعة واحدة بل تنقله الى صعيد مصر وتنقل اولاده الى مصر واولادهم الى اسبانيا واحفادهم الى فرنسا . وهكذا جيلاً بعد جيل حتى تتعود اجسادهم البرد

وهكذا حدث في انتقال امم اوربا من الاستبداد الى الدستور فانهم مشوا اليه خطوة خطوة فاعطوا الامة حقوقها رويداً رويداً حتى صارت الحكومة النيابية كما هي الآن . ولا يزال بين دول اوربا تفاوت في دساتيرها من هذا القبيل . ولعلّ دستور انكلترا اوسعها كلها ولم يصل الى ماهو عليه الا بعشرات من السنين . ولو جاءها في اول سعيها الى الحرية كما هو الآن لقضى عليها او كلفها اضعاف ما انفقته في سبيله من الارواح والاموال . ولكنها فطرت على التأني والنظر في العواقب حتى كانت تصبر عشرات من السنين على الاصلاح الطفيف قبل الوصول اليه . واما الفرنساويون فانهم تعجلوا الاصلاح بالقوة فسفكوا في سبيله الدماء

فاصبح العقلاء من طلاب الدستور يلاحظون حال الامة ويعطونها من الحرية على قدر استعدادها كما فعل ميكادو اليابان في دستوره فانه حفظ لنفسه حقوقاً تساعد

على حفظ الموازنة بينه وبين الامة . ولذلك خفنا على الصين لما انقلبت الى جمهورية ولا نزال نخشى عليها كما بينا ذلك في مكان آخر . ولهذا السبب خفنا على الدستور العثماني لما أعلن لانه من اوسع الدساتير نيابة لم تصل انكلترا الى مثله الاّ بالاجيال المتوالية . . .

٣ ـ تنازع اهل الدولة على الاجتزاء من ذلك الانقلاب

طبيعي ان يجتمع القوم في طلب أمر لهم فيه مصلحة مشتركة وان قلت اسباب الاجتماع بينهم فان المصلحة تدفعهم الى الاجتماع باوهن الاسباب كما فعل البلقانيون في حربهم الاخيرة وهم اعداء فيما بينهم تجمعهم المصلحة لمحاربة عدوهم المشترك (العثمانيون) فاذا فرغوا من الحرب عادوا الى ما بينهم من اسباب التفريق

والمجتمعون للمطالبة بالحكم الدستوري اذا وفقوا الى قلب الحكومة وانشأوا دولة دستورية تنازعوا على الانتفاع من النظام الجديد فيعودون الى ما كان بينهم من الفروق الجنسية أو الدينية فتقوم الشحناء بينهم وقد يوقد نارها بعض الدهاة من اصحاب النظام القديم بالدسائس ونحوها ولا يعدمون وسيلة لاثارة الضغائن بين العناصر أو المذاهب . وقد وقع مثل ذلك في ممالك اوروبا باواسط القرن الماضي يوم تقررت السلطة للامة بالدستور فاخذت كل امة تفكر في جنس من يتولى حكومتها لانها ترى لها الحق ان لا تخضع لدولة غريبة عنها . ونشأت بسبب ذلك الجامعات الجنسية اللاتينية والجرمانية والسلافية وغيرها . وكانت هذه الروح من جملة ما بعث الولايات البلقانية على الخروج من حوزة الدولة العثمانية واستعانت على ذلك بما يجمعها بدول اوربا من الجنسيات كما فعلت السرب والبلغار واليونان . وكما يخشى ان يفعل المجر وبوهيميا وكرواسيا ودلماتيا للخروج من سيطرة النمسا اذا حدث فيها انقلاب أو رزحت تحت حرب أو لسبب آخر . . .

والخطر من الانقسامات الجنسية او الدينية يكون اشد وطأة اذا كانت الدول التي احرزت الدستور مؤلفة من عناصر مختلفة او مذاهب متفرقة فان التنازع يقوم بين تلك العناصر اوالمذاهب على الاستئثار بالسلطة . . .

جرجي زيدان

الدستور الالماني

تاريخه في العصر الحديث

انهدم صرح الاوتوقراطيـة الالمانية والعالم ذاهل ينظر الى عظم الانقلاب وهو لا يكاد يصدق ما يرى ! الامبراطور معتقل في هولندا ، الثورة منتشرة في البلاد الالمانية ، ملوك المانيا وأمراؤها يغادرون قصورهم الواحد بعـد الآخر ، الجنود والعمال يستلمون زمام الحكم . . . أفي حلم نحن أم في يقظة ؟

وتلك الانقاض التي قامت عليها الامبراطورية الالمانية ماذا يكون من أمرها ؟ ما الذي يستقر عليه الشعب الالماني الذي يغلي اليوم كالقدر ؟ وما يكون شكل حكومته ـ أو حكوماته ؟ وتلك الاقطار التي كانت امبراطورية النمسا والمجر ما الذي يخرج منها ؟ وهل يعود فيها النظام الى نصابه ؟ وكيف ؟ ومتى ؟

هذه المشاكل قد تولد من الشدة اكثر مما ولدته الحرب العظمى وقد يشتغل العالم في حلها اكثر مما اشتغل في التخلص من نير العسكرية في السنوات الاربع الماضية . ولعل جمعية الامم التي قر الرأي على انشائها تسهل هذه المهمة الشاقة

ويجدر بنا الآن ان ننظر الى تاريخ الدستور الالماني في العصر الحديث وما كان عليه عند نشوب الحرب ليتبين القراء مبلغ الانقلاب الحادث في تلك البلاد

لقد طرأ على المانيا ثلاث انقلابات دستورية في القرن التاسـع عشر . ففي سنة ١٨١٥ أي على اثر سقوط نابوليون تكوّن « الاتحاد الجرماني » الذي انحل سنة ١٨٦٦ ليقوم مقامه « اتحاد المانيا الشمالية » وهـذا أيضاً انحل في سنة ١٨٧١ واستبدل بالامبراطورية الالمانية المعهودة . وسنذكر كلمة وجيزة عن كل من هـذه الاطوار الثلاثة

الاتحاد الجرماني المكون سنة ١٨١٥

كان الاتحاد الجرماني الذي أنشأته معاهدات سنة ١٨١٥ مؤلفاً من ٣٩ دولة مستقلة وهي : امبراطورية واحدة (هي النمسا) و٥ ممـالك و٧ غراندوقيات و١٠ دوقيات و١١ امارة و٤ مدن حرة

على ان بعض تلك الدول لم تدخل في ذلك « الاتحاد » الا باعتبار قسم من ممتلكاتها. فبلاد المجر والولايات الايتالية التابعة لامبراطور النمسا كانت خارجة عن ذلك الاتحاد. كذلك هولندا لم تكن عضواً فيه الا فيما يخص مقاطعتي لكسمبورغ ولمبورغ. وقد ظلت انكلترا عضواً فيه الى سنة ١٨٣٧ عن ولاية هانوفر، والدانمارك الى سنة ١٨٦٤ عن دوقية الالب ومقاطعتي شلسويج وهولشتين. وقد كانت الرئاسة في يد النمسا بصورة مستديمة

وكان يمثل هـذا « الاتحاد » مجلس يلتئم في مدينة فرنكفرت عدد أعضائه ١٧ عضواً تعينهم الحكومات المتحدة. فكان لكل من الدول الكبيرة عضو ينوب عنها. أما الدول الصغيرة الداخلة في « الاتحاد » فكانت تعين معاً أعضاء يمثل كل واحد عدداً منها

ولم يكن هذا المجلس شبيهاً بالمجالس النيابية بل كان مجلس سفراء مفوضين من الحكومات التي انتدبتهم

وكانت القرارات التي يقرها المجلس اجبارية يطالب كل عضو في « الاتحاد » بتنفيذها في بلاده

على انه كان لكل من الدول المتحدة مع ذلك استقلال تام. فكان لها ان تعبيء جيشاً وان تعين لها سفراء لدى الممالك الاجنبية ولكن لم يؤذن لها ان تمضي معاهدات تخالف عقد الاتحاد أو تهدد كيانه

وقد تزعزعت اركان ذلك الاتحاد أثر هبوب عاصفة الحرية على أوربا في سنة ١٨٤٨ وخرجت منه الدانمارك أثر حربها مع بروسيا والنمسا (سنة ١٨٦٤) وهي الحرب التي انتهت بسلخ دوقية الالب ومقاطعتي شلسويج وهولشتين من ارضها. وفي سنة ١٨٦٦ حل نهائياً بعد انكسار الجيوش النمسوية في معركة سادوا. وتم ذلك في مؤتمر براغ في ٢٤ أغسطس سنة ١٨٦٦

اتحاد المانيا الشمالية

وقام على انقاض الاتحاد الجرماني اتحاد المانيـا الشمالية الذي ضم جميع الدول الواقعة شمالي نهر الماين تحت سيطرة بروسيا. وقد كانت روابط هـذا الاتحاد أوثق من روابط الاتحاد الجرماني المتقدم ذكره

وكان محوره مجلسان :

اولاً المجلس الاتحادي وهو شبيه بمجلس الاتحاد الجرماني المتقدم من حيث كونه مجلس سفراء اكثر منه مجلس نواب . وكان أعضاؤه ٤٣ عضواً ١٧ منهم يمثلون بروسيا

ثانياً الريخستاغ وهو مجلس نيابي ينتخبه الاهالي باغلبية الاصوات

وكانت رئاسة الاتحاد في يد بروسيا كما كان لها ايضاً أن تمثله فيما يتعلق بالشؤون الخارجية

أما الدول التي كانت واقعة جنوبي الماين (وهي هيس وبادن وورتمبرغ وبافاريا) فقد ظلت حرة مستقلة في الظاهر ولكن سيادتها كانت وهمية في الواقع اذ ان بروسيا حملتها على امضاء معاهدة هجومية دفاعية جعلت جيوشها رهن أمرها

الامبراطورية الالمانية

أعلنت الامبراطورية الالمانية أثر حرب سنة ١٨٧٠ ونصب غليوم الاول امبراطوراً المانياً في فرسايل في ١٨ يناير سنة ١٨٧١ . ومن ذلك الحين توطدت سيطرة بروسيا على سائر الممالك والامارات الالمانية

وقد فرغ من سن دستور الامبراطورية الالمانية في ١٦ ابريل سنة ١٨٧١ وهذا الدستور يتناول الامور الآتية : (١) الاراضي الداخلة ضمن الاتحاد (٢) رئاسة الاتحاد (٣) مستشار الامبراطورية (٤) المجلس الاتحادي (٥) الريخستاغ

١ — الاراضي الداخلة في الاتحاد

يدخل في الاتحاد بموجب الدستور الالماني جميع الدول الالمانية وولاية الزاس لورين . وقد كان لهذه الولاية التي ضمتها المانيا مركز خاص بين الولايات الالمانية فلم تكن بمنزلة دولة مستقلة بل عدت أرضاً امبراطورية . . . . عليها حاكم يعينه الامبراطور . وقد كان لها نواب في مجلس الريخستاغ ولكنها لم تمثل في المجلس الاتحادي . على أن الحكومة الالمانية رفعت مكانتها قبيل الحرب الى مصاف الولايات الالمانية فاعطتها شيئاً من الاستقلال الداخلي ومنحتها ثلاثة اصوات في المجلس

الاتحادي وأصبح لها مجلسان تشريعيان ينتخب أحدهما بالتصويت العام والآخر يعين اعضاءه الامبراطور الذي بقي محافظاً ايضاً على حق تعيين حاكم الولاية

٢ ـ رئاسة الاتحاد

رئاسة الاتحاد حق لملك بروسيا الذي يلقب « الامبراطور الالماني » Deutscher Kaiser وهذا الحق ينتقل مع التاج البروسي وفقاً لدستور مملكة بروسيا

والامبراطور يمثل الامبراطورية في علاقاتها الخارجية ويعين السفراء لدى الدول الاخرى ويستقبل السفراء الاجانب ويعقد وحده الاتفاقات مع الدول الا في احوال خاصة تقتضي موافقة المجلس الاتحادي . وله أن يعلن الحرب اذا كانت حرباً دفاعية. وهو الذي يصدر القوانين في الامبراطورية ويسهر على تنفيذها

٣ ـ المستشار الامبراطوري

المستشار هو يد الامبراطور اليمنى ومساعده الاول وله سلطة واسعة : فهو رئيس المجلس الاتحادي ورئيس مجلس وزراء بروسيا . وهو يمضي جميع أعمال الامبراطور ويحمل مسؤوليتها التامة

٤ ـ المجلس الاتحادي

يسمى المجلس الاتحادي « بندسرات » ورئيسه كما ذكرنا المستشار وهو مؤلف من مندوبين تعينهم الحكومات الالمانية المتحدة . ولكل من هذه الحكومات صوت واحد على الاقل ولبعضها صوتان او اكثر . فلبروسيا مثلاً ١٧ صوتاً ولبافاريا ٦ اصوات ومجموع الاصوات ٦١

أما اختصاصات هذا المجلس فكثيرة

(١) فهو اولاً مجلس تشريعي عال يشترك مع مجلس الريخستاغ في وضع القوانين

(٢) وهو ثانياً مجلس شورى للحكومة له أن يعلن الحرب وينظر في تنفيذ القوانين الخ . . .

(٣) وهو ثالثاً محكمة عليا تنظر فيما يقع من المشاكل بين الدول المتحدة

٥ ـ الريخستاغ

هو مجلس نيابي تشريعي مؤلف من نواب ينتخبهم الاهالي بالتصويت العام بمعدل نائب عن كل ١٠٠٠٠٠ نفس . وكان عدد النواب في الواقع ٣٩٧ عضواً منهم ٢٣٦ عن بروسيا

الدول التي تؤلف الامبراطورية الالمانية

رأينا اتماماً للفائدة ان نأتي على ذكر الممالك والامارات التي تؤلف الامبراطورية الالمانية فقد رددت الجرائد ذكرها غير مرة في هذه الايام . وبجانب كل منها عدد سكانها حسب احصاء سنة ١٩١٠

		الممالك	
بروسيا	٤٠ ١٦٥ ٢١٩	سكسونيا	٤ ٨٠٦ ٦٦١
بافاريا	٦ ٨٨٧ ٢٩١	ورتمبرج	٢ ٤٣٧ ٥٧٤
		الامارات	
سكس كوبرغ غوتا	٢٥٧ ١٧٧	بادن	٢ ١٤٢ ٨٣٣
سكس التنبرج	٢١٦ ١٢٨	مكلنبرج شفرين	٦٣٩ ٩٥٨
لب	١٥٠ ٩٣٧	هيس	١ ٢٨٢ ٥٥١
فلدك	٦١ ٧٠٧	الدنبرج	٤٨٣ ٠٤٢
شفارزبرج رودلستاد	١٠٠ ٧٠٢	برنزويك	٤٩٤ ٣٣٩
شفارزبرج سندرسهوزن	٨٩ ٩١٧	غرندوقية سكسونيا	٤١٧ ١٤٩
ربس الصغرى	١٥٢ ٧٥٢	مكلنبرج ستريلتز	١٠٦ ٤٤٢
شمبرج ليب	٤٦ ٦٥٢	سكس مينجن	٢٧٨ ٧٦٢
ربس الكبرى	٧٢ ٧٦٩	انالت	٣٣١ ١٢٨
		المدن الحرة	
همبرج	١ ٠١٤ ٦٦٤	بريمن	٢٩٩ ٥٢٦
لوبك	١١٦ ٥٩٩		
الزاس لورين	١ ٨٧٤ ٠١٤		
		المجموع	٦٤ ٩٢٥ ٩٩٣

التشيك والسلوفاك

تاريخهم القديم والحديث

ان الاعمال الباهرة التي قام بها التشيك والسلوفاك في السنتين الاخيرتين والروح الوطنية السامية التي أظهروها منذ نشوب الحرب قد لفتت انظار العالم اليهم وذكّرت بما كان لهم من المفاخر فيما مضى من الزمن . فان هذا الشعب عريق في المدنية وقد



الاستاذ توماس ماساريك

رئيس المجلس الوطني التشيكي السلوفاكي

حفظ له التاريخ صفحات مجيدة رأينا من الملائم نشرها اليوم بعد ان طويت دهوراً ليعلم القارئ حقيقة تلك الامة التي حافظت على روحها القومية رغم صروف الزمان والتي جددت بافعالها عهد عزها وسؤددها

وقد اعترفت دول الحلفاء جميعاً بهذا الشعب وعدته مستقلاً . وقد جاء في البلاغ الذي اصدرته الحكومة الانكليزية في هذا الشأن ما يأتي :

« ما برح الشعب التشيكي السلوفاكي منذ نشوب الحرب يقاوم العدو المشترك بكل وسيلة في طاقته

« فقد ألف التشيك والسلوفاك جيشاً عظيماً يحارب في ثلاثة ميادين ويسعى في روسيا وسيبيريا لمقاومة الغزو الالماني . فنظراً الى ما يبذله هـذا الجيش لنيل الاستقلال تعد بريطانيا العظمى التشيك والسلوفاك أمة محالفة وتعترف بوحدة



فلاح وفلاحة من السلوفك

الجيوش التشيكية السلوفاكية الثلاثة وتعتبرها جيشاً واحداً محالفاً ومحارباً بصورة قانونية ضد النمسا والمجر وضد المانيا

« وبريطانيا العظمى تعترف ايضاً بحق المجلس الوطني التشيكي السلوفاكي ـ بصفته المرجع الاعلى للمصالح الوطنية التشيكية السلوفاكية والممثل الآن لحكومة التشيك والسلوفاك المقبلة ـ في أن تكون له السلطة التامة على ذلك الجيش المحالف المحارب »

أما المجلس الوطني المشار اليـه في البلاغ المتقدم فقد انتخب الاستاذ توماس

مساريك رئيساً له وهو مقيم الآن في واشنطن عاصمة الولايات المتحدة ويتوسم فيه عارفوه أعظم خير لبلاده

***

قال الرئيس ولسن في كتابه الشهير عن « الدولة »[1] عند الكلام على التشيك ما يأتي : « ان مرور الزمان وانكسار الآمال لم يستطيعا حمل التشيك على الانضمام الى النمسا فان أنفتهم القومية وذكرى تاريخهم المجيد يجعلانهم دائماً على اختلاف مع الالمان القاطنين في بلادهم ومع الحكومة القائمة على رؤوسهم . وأقل ما يطلبونه استقلال اداري يشابه استقلال هنغاريا »

هذا ما قاله الرئيس ولسن في كتابه المتقدم ذكره الذي صدرت طبعته الاخيرة في سنة ١٩١١ . أما الآن فقد طلب لهم الاستقلال القومي التام بعد ما أظهره التشيك من البسالة والاخلاص . ومن يراجع تاريخ هذا الشعب منذ أقدم الازمنة الى الوقت الحاضر يتضح له أن معظم ذلك التاريخ مشغول بنزاع طويل بينه وبين الشعب الالماني المجاور له من الشرق والغرب والجنوب الذي ما برح يسعى لاستلابه حريته واستقلاله

والتشيك هم أقرب الشعوب السلافية الى جهة الغرب ويرجح أن اسمهم مشتق من اسم أحد رؤسائهم السالفين ومعظمهم يقطنون مقاطعة بوهيميا وعاصمتها براغ . واسم بوهيميا يرجع الى « بوبي » وهو اسم شعب قطن تلك الجهات في العصور الغابرة ومن تلك الكلمة أيضاً اشتقت كلمة بافاريا

ولقد وهبت الطبيعة بلاد بوهيميا ثروة طبيعية تغبطها بها معظم الممالك الاوربية فارضها خصبة وجوها جيد وجبالها كثيرة المناجم وهي مركز اوربا الجغرافي اذ يتساوى بعدها عن البحر البلطيكي والبحر الادرياتيكي والبحر الشمالي . ومع أنها محاطة بالجبال فالوصول اليها سهل بفضل وادي الدانوب ووادي الالب اللذين يقطعانها

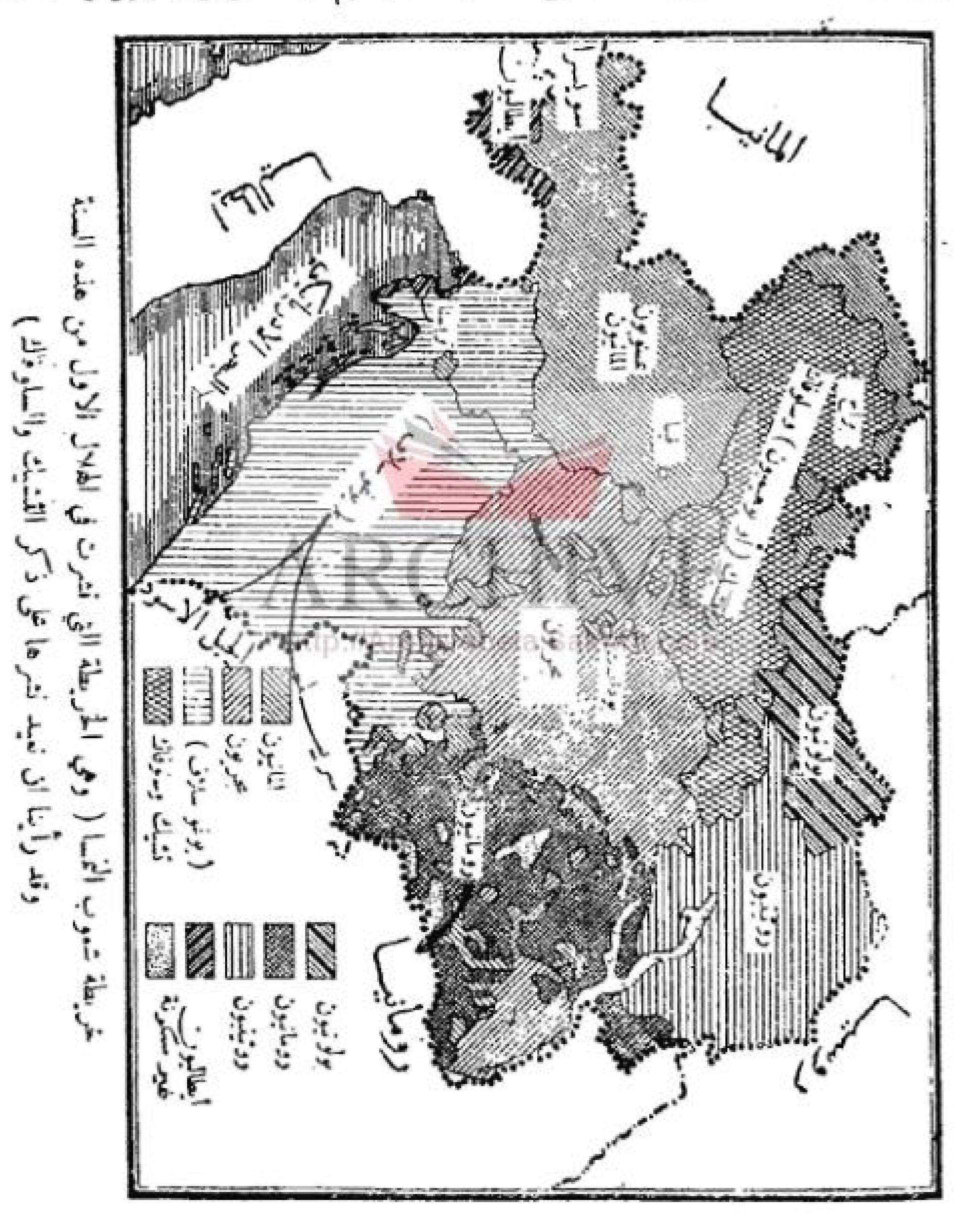
والتشيك يقطنون فضلاً عن بوهيميا مقاطعة مورافيا والاقسام المجاورة لها من سيليزيا . أما السلوفاك الذين لا يميزهم عن التشيك غير اختلافات لغوية طفيفة فينتشرون في شمالي بلاد المجر

The State, by Woodrow Wilson. (١)

ويقدر عدد التشيك بنحو ٧ ملايين والسلوفاك بمليونين

* * *

يبدأ تاريخ التشيك في القرن السابع للميلاد . وقد كانوا في ذلك الزمن قبائل تعيش من الزراعة وتربية المواشي ونظام حكومتهم يكاد يكون جمهورياً . فقد



خريطة شعوب النمسا (وهي الخريطة التي نشرت في الهلال الاول من هذه السنة وقد رأينا ان نعيد نشرها على ذكر التشيك والسلوفاك)

كانوا ينتخبون رئيسهم بواسطة مجلس يمثل طبقات الشعب المختلفة . على ان هذا المنصب تحول فيما بعد الى منصب ملكي وراثي ومع ذلك لم يكن بد من موافقة المجلس الوطني عند ارتقاء الملك للعرش

وفي القرن التاسع تنصر التشيك على الطقس السلافي فكان ذلك منبتاً للشقاق بينهم وبين رومة . ثم ان القبائل التشيكية المختلفة اتحدت تحت لواء عائلة بريمسل الملكية التي ابتدأت بيطلتهم الشهيرة ليبوسا وتوارث أفرادها الملك حتى أوائل القرن الرابع عشر

وقد نال التشيك في هـذه المدة مقاماً رفيعاً بين الشعوب الاوربيـة وحكموا مقاطعات مختلفة من بلاد النمسا والمجر الحاضرة وغيرها من البلاد المجاورة . ومعظم تاريخهم في ذلك الزمن مشغول بمنازعاتهم مع الالمان أعدائهم الالدودين . وقد اضطروا



ساعة فلكية قديمة في مدينة براغ قائمة من سنة ١٤٩٠

غير مرة الى الخضوع لهم ولكنهم مع ذلك ما برحوا محافظين على روحهم الوطنية وكانوا ينتهزون كل فرصة تسنح لهم للقيام على مقتضى حريتهم واعلان استقلالهم عنهم . وقد بلغوا قمة مجدهم في النصف الثاني من القرن الثالث عشر في عهد أوتاكار الثاني الذي امتد ملكه من سكسونيا الى البحر الادرياتيكي وأصبحت فينا العاصمة الثانيـة لمملكته . ولكن الدهر لم يلبث ان انقلب عليه اذ اتحدت عليـه الامارات الالمانية وكسرت جيوشه ومات هو صريعاً في الحرب . وفي سنة ١٣٠٦ قتل آخر

ملك بوهيمي وبدأ اذ ذاك عهد منازعات طويلة على الملك كانت مع الزمن السبب الاول في سقوط بوهيميا .

على ان الله قيض لبوهيميا ملكاً عظيماً انتعشت في عهده البلاد واستعادت مكانتها الرفيعة . وهو شارل الرابع الذي حكم من سنة ١٣٤٧ الى ١٣٧٨ وفي السنة الثانية من ارتقائه العرش أسست جامعة براغ الشهيرة في تاريخ أوربا العلمي والتي كانت من أعظم معاهد العلم في القارة الاوربية . ثم ان الملك شارل انتخب امبراطوراً رومانياً (أي رأس الامبراطورية الرومانية المقدسة وهي مجموعة ممالك وأمارات متحدة كان لها شأن عظيم في القرون الوسطى) وأصبحت بوهيميا أول الدول قوة وثروة ورقياً وحضارة

غير ان خليفة شارل كان ضعيفاً فعادت بوهيميا الى مشاكلها مع أعدائها القدماء . وفي هذه الاثناء قام زعيم ديني عظيم اسمه يوحنا هس التف حوله الناس ولكن رومة عادته وحرمته من الكنيسة وفي سنة ١٤١٥ أحرق فمات شهيداً . وقد كان لذلك الحادث أثر عظيم في النفوس فنشبت من جرائه حروب عرفت باسم الحروب الهسية التي قاوم فيها البوهيميون أعداءهم أشد مقاومة مدة ١٥ سنة . فقد كانت الجيوش المعادية تفد الى بلادهم من رومة والمانيا والنمسا وهنغاريا فيضمحل الجيش تلو الجيش من دون ان ينال منهم مأرباً

على أن زمن الشؤم نزل ببوهيميا في القرن السادس عشر . في ذلك العهد خافت دول أوربا شر الاتراك العثمانيين . وفي سنة ١٥٢٦ قتل لدويك ملك بوهيميا وهو يحاربهم ولما لم يكن له وارث قرر المجلس البوهيمي في براغ ان يولي عرش بوهيميا زوج ابنة الملك المقتول فرديناند الهبسبرغي أرشيدوق النمسا . وقد انضمت هنغاريا أيضاً تحت لواء فرديناند . ومن ذلك الحين بدأ تكوّن الامبراطورية النمسوية

على ان فرديناند كان عاتياً فظلم واضطهد وتحكم مع ان العرش قدم له باختيار المجلس البوهيمي . وكان بين خلفائه فرديناند الثاني الذي فاقه ظلماً . ولكن الشعب ثار عليه بعد جلوسه على العرش بسنة (١٦١٨) ثم خلعه . فادى ذلك الى حرب مع النمسا فاستعانت هذه باسبانيا وكسرت الجيش البوهيمي شر كسرة بقرب براغ في سنة ١٦٢٠

وقد ذاقت بوهيميا على أثر ذلك من صنوف الاضطهاد ما لم يذقه شعب من الشعوب وظل تاريخها من ذلك الحين مجموعة مظالم دينية وسياسية رزح الشعب تحتها زمناً طويلاً

ولكن رقدته لم تدم فلم يلبث التشيك ان استيقظوا وانتعشوا وكثرت بينهم المدارس والجامعات والصحف وقام فيهم الكتاب والادباء والمصلحون والكل يد واحدة وروح واحدة في طلب الاستقلال حتى كانت هذه الحرب فما برحوا يتحينون الفرص حتى أتيح لهم ان يحققوا حلمهم العزيز

حكم مأثورة

ان المرء لا ينال ما يحب حتى يصبر على كثير مما يكره

ان في ذهاب الذاهبين لعبرة للقوم الغابرين

انما يعرف الفضل لاهل الفضل ذوو الفضل (حديث)

انما لك من مالك ما امضيته في حياتك

انما تأكل ما تشتهي والذي لا تشتهيه يأكلك

انما الناس رجلان شامت بنكبة أو حاسد بنعمة

انما يختبر ذو البأس عند اللقاء وذو الامانة عند الاخذ والعطاء والاهل عند الفاقة والاخوان عند النوائب

ان قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر

ان اردت ان تصل الى ذروة المجد فعليك بحفظ العهد

ما ودك من اهمل ودك ولا احبك من ابغض حبك

ما اطال عبد الامل الا اساء العمل

ما مات من احيا علماً ولا افتقر من ملك فهماً

ما انصفك من كلفك اجلاله ومنعك ماله

لا يغلبن جهل غيرك بك علمك بنفسك

لا تطمع في كل ما تسمع

لورد نورثكليف

اعظم اصحاب الصحف والمجلات في العالم

جاء في التلغرافات الاخيرة خبر استعفاء لورد نورثكليف من منصب مدير نشر الدعوة في بلاد الاعداء على اثر عقد الهدنة . وقد قبل رئيس الوزارة الانكليزية استعفاءه وأعرب له عن امتنانه وشكره على خدماته الجليلة ومما قاله له « لقد أتيح لي أن أقف على بينات عديدة تثبت نجاحك في العمل الثمين الذي عملته ومقدار تأثيره في اسقاط العدو واضعاف قوته في النمسا وفي المانيا »

ويتنافس المستر لويد جورج ولورد نورثكليف في أيهما يكرهه الالمان اكثر . ولعل كفة لورد نورثكليف ترجح لانه كان في الحقيقة عدو المانيا اللدود وله الفضل الاكبر في ايقاظ انكلترا وحملها على بذل غاية جهدها في سبيل النصر حتى لقد سماه الالمان حاكم بلاد الانكليز الحقيقي . وقد انتقد الوزراء السابقين أمرَّ الانتقاد وكان له الفضل الاكبر في تعيين المستر لويد جورج مديراً للذخائر ثم رئيساً للوزارة ولم يكن يخشى مقاومة الرأي العام ورغم انقلابه عليه في احوال مختلفة حتى أن بعض الانكليز المتحمسين كانوا يحرقون نسخ جرائده علناً على مدخل بورصة لندن

ويسمى لورد نورثكليف رجل « التخيلات » ولكن تخيلاته ليست من الطراز العقيم الذي لا يجاوز عالم الاوهام بل هي من الطراز المنتج للاعمال المعظيمة والمشاريع المفيدة . فانما الرجل العظيم هو ذاك الذي يعرف أن يوفق بين خياله وعمله

وُلد لورد نورثكليف (واسمه الاصلي الفرد هارمزورث) في ارلندا في سنة ١٨٦٥ وقد أعده والده لمهنة المحاماة ولكنه كان منذ حداثته شغفاً بالصحافة . وما لبث أن قصد مدينة لندن ليدخل العالم الصحافي وهو لم يجاوز السادسة عشرة من عمره . وكان ذلك سنة ١٨٨١ ·

أما اليوم — في سنة ١٩١٨ — فقد أصبح ذلك الشاب أعظم اصحاب الجرائد والمجلات في العالم على الاطلاق وله من النفوذ في شؤون بلاده ما لا يجاريه فيه غير رئيس الوزارة فضلاً عما له من التأثير في السياسة الدولية بصفته مالكاً لاعظم

جريدة انكليزية بل شيخة الصحافة السياسية في العالم نعني بها جريدة التيمس الغنية عن كل وصف

وقد سئل لورد نورثكليف في سنة ١٨٩٩ — وكان اسمه اذ ذاك الفرد هارمزورث — عن قواعد النجاح الاساسية فاجاب بما يلي :

« احصر قواك واعمل باجتهاد
قم بتجارب جديدة
لا تخش ان تظهر بما تستدعيه آراؤك من الجرأة
عيّن الطريق الذي تريد اتباعه ولا تحد عنه
هذا كلّ ما يلزم للنجاح ! »

قلنا ان لورد نورثكليف كان ممقوتاً لدى فريق من أبناء وطنه في أول الحرب فاصبح بعد زمن قليل وجميع الطبقات تثني عليه لما كان له من الفضل في مضاعفة مجهود انكلترا ومستعمراتها

ولم تكن هذه المرة الاولى التي سخط فيها الشعب الانكليزي — أو فريق منه — على ذلك الرجل فانه ما برح منذ احترافه الصحافة وهو يأتي من الاعمال ويبدي من الآراء ما يقيم البلاد الانكليزية ويقعدها . فمن أمثلة ذلك انه لما كان في كندا في سنة ١٩٠٩ نشرت الصحف محادثة له أعلن فيها ان المانيا التي تدعي صداقة انكلترا انما تسعى لشهر الحرب عليها . فهاج الرأي العام واتهمه الكثيرون بالخيانة والتحريض على تعكير جو السياسة الى غير ذلك من التهم

ومن آرائه التي كان لها وقع عظيم في حينها تحذيره الشعب الانكليزي من مناطيد تسبلن التي أخذت المانيا في بنائها بدعوى انه يمكن استعمالها يوماً ما لمهاجمة انكلترا من الهواء . وقد طلب اذ ذاك من الحكومة ان تعين مبلغاً عظيماً من المال لانشاء أسطول هوائي يقي البلاد شر تلك المناطيد .

وللفرد هارمزورث الفضل الاكبر في تعميم الصحافة والادب بين جميع الطبقات باصدار المطبوعات الرخيصة الثمن التي يستطيع كل قارىء شراءها . فبعد ان خبر عالم الصحافة زمناً في وظائف مختلفة رأى ان يصدر جريدة أسبوعية تامة المباحث جذابة المواضيع سماها « انسرز Answers » وكان اذ ذاك في الحادية

والعشرين من عمره . فتنبأ له الكثيرون بالافلاس والخراب لخروجه عن الاساليب المألوفة في عالم الصحافة ولكنه بعد سنوات قليلة باع تلك الجريدة الى شركة بقيمة تعادل ١٢٠٠٠٠ جنيه

ثم أن الفرد هرمزورث رأى ان يترك الصحافة الدورية ليدخل الصحافة اليومية فانشأ جريدة الديلي مايل الشهيرة التي امتازت عن الجرائد المعهودة بميزات كثيرة أهمها الترتيب وحسن التنظيم والاختصار . وبدلاً من ان ينقد محرريه ثمناً معلوماً عن السطر أو العامود كما كان المألوف رأى ان يدفع لهم اجورهم بالنسبة الى مقدرتهم على الاختصار والايضاح وتقديم المواضيع في اساليب جذابة قريبة الى اذواق الجمهور . ومن عاداته انه لم يكن يستخدم من عمره دون ٢١ سنة الا فيما ندر. ولم تمض ثلاث سنوات على الديلي مايل حتى فاق انتشارها جميع الجرائد الانكليزية . ومن اساليبه الغريبة أنه قبل ان ينشر بين الجمهور نسخة واحدة من الديلي مايل ظل يصدرها بانتظام مدة ثلاثة اشهر ولكن من غير أن تتسرب النسخ الى خارج الادارة . فكان يجتمع مع محرريه كل يوم ويتناقشون في مواد كل عدد ويعدلونها شيئاً فشيئاً حتى قر الرأي على نشر الجريدة بين الجمهور

وقد تم حلم الفرد هرمزورث حين تمكن من شراء جريدة التيمس اذ اصبح يملك أشد الوسائل تأثيراً في الجمهور الانكليزي والحكومة الانكليزية

وهو كثيراً ما يكتب بنفسه مقالاته الافتتاحية وفي بعض الاحيان يملي مقالتين أو اكثر على كاتبي اسراره

أقوال في الحكمة

من تفرد بالعلم لم توحشه خلوة ومن تسلى بالكتب لم تفته سلوة

الحكمة شجرة تنبت في القلب وتثمر في اللسان

كلمة حكمة من اخيك خير لك من مال يعطيك لان المال يطغيك والكلمة من الحكمة تهديك

من اتخذ الحكمة لجاماً اتخذه الناس اماماً (بقراط)

نظرية جمعية الامم

تأهب العالم لها وامكان تنفيذها

تطور الحرب

شبت الحرب لغرض وانتهت وهي لغرض آخر . شبت الحرب وهي حرب فتح ، حرب تنازع واقتتال على أرض الله وملكه ، وجهاد في سبيل السؤدد والسيطرة على الارزاق . وانتهت الحرب وهي حرب مبادىء أدبية وقواعد اجتماعية وسنن انسانية . فحصحص الحق وزهق الباطل أن الباطل كان زهوقا

أجل ان المبادىء التي حارب الحلفاء لاجلها مبادىء حق وقواعد خير للجنس البشري فانتصر لها العالم كله وقام برمته ضد وحش الجشع وأسد اغتصاب السيادة فصُرع الاسد والبغي مصرعه وخيم

تراءت لنا حرباً وماهي بحرب . ان هي الا ثورة الامم جمعاء توطئة لانقلاب اجتماعي عظيم أو مقدمة لتأسيس ديموقراطية أممية . وما حدث انقلاب في التاريخ الا مهدت الثورة اليه السبيل . ولا يمكن بناء الجديد الا بهدم القديم

يخرج العالم كله من هذه الحرب خروج المحموم من حمى ملوعة وهو يعلل النفس بالعافية بعد النقه . أجل يخرج العالم من جهاد منهك في مصارعة بقايا الاستبداد ومقاتلة السلطات الفردية الاوتوقراطية وهو مملوء الصدر آمالاً بالحرية والاخاء والمساواة — بالديموقراطيــة — ليس بالديموقراطيــة الشعبية فقط بل بالديموقراطية الدولية ايضاً

فالحرب كانت أعظم كارثة نزلت على البشرية وأهول ويل أصاب الهيئة الاجتماعية . بيد أنها كانت كارثة لا بد منها لنفض الانسانية بقايا الاستبداد عن عاتقها . فقد تنظفت أوربا بل سائر البلاد المتمدنة من الحكم الاوتوقراطي — نقول تنظفت على يقين أن الاحكام الاوتوقراطية والمطلقة لن تعود ان شاء الله الى عناصر روسيا والعنصر الجرماني وسائر عناصر البلقان وتركيا وسائر الامم الاسيوية

فاذا كان هذا الانقلاب مفضياً الى بسط ظل الديموقراطية حتى يعم معظم أمم العالم فلا بدع ان تسمى هذه الحرب ثورة الامم ولا سيما ان معظم الامم اشتركت فيها

واذا تمّ لسائر الامم ان تمتع بنعمة الديموقراطية كما تدل الحوادث الجارية الآن فكأنها تهيأ لديموقراطية أخرى اجمالية ـ ديموقراطية دولية . وهي الحلم الذي كان مفكرو الاعصر الاخيرة يحلمونه وأساطين الساسة الآن يحاولون ان يحققوه فيما يسمونه « جمعية الامم »

الاوتوقراطية الدولية

كانت الامم في أزمنة التاريخ الاولى قليلة العلائق فيما بينها لصعوبة الانتقال وقلة وسائل الاتصال وقلما كانت تحتك بعضها ببعض الا في حرب للغزو ولجباية الاتاوات . فكانت الامم كافراد جماعة لا نظام لها ولا قوانين . وقلما كانت الامم تتعاقد بعقود وتتقيد بعهود الى ان ظهرت الدولة الرومانية وبسطت ظل سيادتها على جانب عظيم من المعمور حول البحر المتوسط فجعلت نفسها الحاكم المسيطر على سائر الامم ردحاً من الزمان . وبعد ذلك صارت هذه السيادة تتداولها الامم تارة فرادى وأخرى جماعات الى ان أصبحت في القرن الاخير في يد بعض دول أوربا فكانت هذه تتصرف بشؤون سائر الامم التصرف الذي يمكنها الاتفاق عليه أجلاً لا حدود له الا ما يجد من الحوادث السياسية والمنازعات الدولية

فترى ان جميع الدول صغيرة وكبيرة كانت في الاعصر الاخيرة خاضعة لحكم دولي أوتوقراطي أي ان بعض الدول القوية كانت تتنازع السيادة على سائر دول العالم . وقد شبت هذه الحرب تنازعاً لهذه السيادة . ولكنها انتهت والحمد لله بقلب أوتوقراطية الدول وبالعزم على انشاء ديموقراطية دولية . وما « جمعية الامم » المراد انشاؤها الآن الا شكل جمهورية دولية يكون فيها لجميع الامم مندوبون يقررون معاً مصير كل أمة ويحلون مشاكل الامم الحاضرة ويقضون في كل مشكلة دولية تنشأ في المستقبل . ولا يبقى ثمت لدولة قوية أو لبعض الدول أن تسيطر على سائر الامم وتتصرف بشؤونها ومصالحها كما تشاء وكما توحي اليها أغراضها وتمليه عليها مطامعها . ولما كانت معظم الامم قد أصبحت جمهوريات وكلها صارت ديموقراطية الاحكام فجدير بجمعية الامم ان تسمى « جمهورية الجمهوريات »

تحقيق النظرية

على ان كثيرين ممن يفكرون في الامر ضعيفو الامل بتحقيق فكرة « جمعية الامم » وبعضهم يحسبون تحقيقها امراً مستحيلاً . وهم يعدونها نظرية ممكنة عقلاً ومستحيلة أو متعذرة فعلا مستندين في ذلك الى النظرية الشائعة وهي أن التنازع المبني على قاعدة الطمع غريزة من الغرائز الملازمة للاحياء افراداً وجماعات . ولا يمكن التوفيق بين ديموقراطية الدول وهذه الغريزة ولا سيما لان الدول تتفاوت كثيراً في ضخامتها وقواها ورقيها . فلا يعقل أن تتنازل اعظمهن عن مقامها وعن قوتها لكي تصف نفسها الى جنب أمة ضعيفة — الى غير ذلك من أمثال هذا الاعتراض

فرداً على هذا الاعتراض أقول

أما ان الديموقراطية الدولية لم تزل الى الآن نظرية فلا ينفي امكان تحول هذه النظارية الى عملية محققة . فان معظم الحقائق العملية كانت نظرية في بدء الامر ثم صارت عملية محققة . ترى شواهد كثيرة على هذا القول في الامور العلمية ولا مجال لسرد شيء منها هنا . وحسبنا الاستشهاد بالديموقراطية الشعبية فانها كانت في الازمنة الغابرة نظرية في آراء بعض العلماء والفلاسفة ثم أصبحت امراً واقعيًا . بل ان الدول الديموقراطية كانت في العهد الاخير أمتن بنية واوفر نجاحاً وارقى مدنية من سائر الدول الاريستوقراطية أو الاوتوقراطية أو الملكية المطلقة . وثبت أن الحكم الجمهوري أي الديموقراطي البحت أرسخ بناء لان أساسه حق افراد الامة في تدبير شؤونهم بمطلق حريتهم وهو حق طبيعي كما لا يخفى

فاذا كانت نظرية الجمهورية الشعبية قد صارت حقيقة راهنة فلا بدع أن تصير نظرية « الجمهورية الدولية » حقيقة كذلك أيضاً

وقبل البحث في امكان تحقيق « الجمهورية الدولية » نبحث في النظرية نفسها . وتوطئة لذلك نبحث في نظرية نشوء الديموقراطية الشعبية ثم نقيس عليها نشوء الديموقراطية الدولية

اركان الديموقراطية

ينشأ الحكم الديموقراطي الشعبي ويستتب متى توفرت في الشعب الواحد أحوال خاصة هي اركان الديموقراطية . واليك أهمها

اولا أن يكون افراد الشعب في مستوى واحد في المعرفة والعادات والاخلاق بحيث يشعر كل فرد أنه لا مزية لواحد على آخر في الحقوق والواجبات . وحينئذٍ يسقط اعتبار الارستوقراطية أي تعظيم عامة الشعب لسيد (أو اسياد) وخضوعهم له وشعورهم بالعبودية له وعزيته عليهم كأنه من طينة غير طينتهم واستعلاء ذلك السيد على سائر القوم وشعوره بحق السيادة عليهم والاستعباد لهم

ثانياً لا يكفي أن يكون افراد الشعب في مستوى واحد فقط في تلك المذكورات بل يجب أن يكونوا ايضاً مسبوكين في قالب واحد منها بحيث تكون تصوراتهم وآدابهم وأميالهم متشابهة لكي يتسنى تفاهمهم وتوافقهم

ثالثاً يجب أن تكون وحدانية الشعب قد نضجت تمام النضج بحيث يكاد يستحيل حلها وتفكيكها الا بهلاك قومية الشعب وتلاشيها . وانما تنضج هذه الوحدانية كلما اشتبكت مصالح القوم وتوقف بعضها على بعض وأصبحت كل فئة عنصراً ضرورياً لحياة المجموع وأصبح كل فرد جوهراً حيويًّا في كل فئة . وانما تشتبك المصالح متى توزعت الاعمال واختصت كل فئة من الشعب بنوع منها واختص كل فرد بنوع أخص ايضاً . وانما تتوزع الاعمال متى تعددت مطالب الحياة وتكاثرت الحاجيات وعمَّ التأنق في المعيشة كل فئات الامة بحيث يحتاج كل فرد من افرادها الى عمل كل عامل فيها . في هذه الحالة يرتبط افراد الشعب بعضهم ببعض ارتباطاً لا انفكاك له الا بفناء ذاتية الشعب واضمحلال قوميته . وهذا هو معنى وحدانية الشعب أي صيرورة الشعب كجسم واحد قائم بذاته متعدد الاعضاء وأعضاؤه مختلفة الوظائف وكلها تعمل لاجل حياة المجموع وسلامته وبقائه ـ تتضح لك حقيقة وحدانية الشعب حين تضرب فئة من فئات القوم عن العمل . فان جميع حركات الشعب تشلّ حينئذٍ حتى اذا طال هذا الاضراب اعتلت الامة وكادت تحتضر

فمتى استتبت الامة على هذه الاحوال الرئيسية الثلاثة اصبحت ديموقراطية الطبع والمزاج وصارت صالحة للحكم الذاتي ولم تعد تطيق السلطة الفردية حتى اذا كانت السلطة الفردية لم تزل مستمسكة بها انتفضت الامة حيناً بعد آخر حتى ترمي عنها تلك السلطة . وما الثورة الا انتفاض الامة لهذا الغرض

اركان الديموقراطية الدولية

رأيت فيما تقدم ان اركان الديموقراطية وحدانية الشعب وتشابه افراده واستواؤه في خواص الاجتماعية . فلكي تستتب الديموقراطية بين الدول جمعاء كما استتبت بين افراد الامة الواحدة يجب أن تكون لمجموعة الدول هذه الاركان الثلاثة . فهل استوفت هذه الاركان ؟

أما الركن الاول وهو استواء أفراد المجموع في خواص الاجتماعيــة أي في المعرفة والعادات والاخلاق فيكاد يكون مستوفىً في جميع أمم أوربا وأميركا وبعض أمم آسيا وأفريقيا . ولسهولة التعبير نعبر عن خواص الاجتماعية الدولية باللفظة اللائقة لها وهي المدنية . ولاقل تأمل تجد أن هــذه الامم متقاربة جداً في درجة المدنية . وتفاوتها في درجات المدنية اقل جداً من تفاوت افراد أي شعب راقٍ في درجات خواصه الاجتماعية . فقلما تجد أمة من هذه الامم تستطيع أن تفخر كثيراً على غيرها في درجة مدنيتها

وأما الركن الثاني وهو تشابه الامم في التصورات والآداب والاميال لانسباكها في قالب واحد من المعرفة والاخلاق والعادات فيكاد يكون مستوفىً في مجموعة الامم اكثر من الركن الاول

ولما كان العلم جزءاً من اللاهوت (الثيولوجيا) كانت الامم تتباين في المعرفة كثيراً . ولكن لما استقل العلم وأصبحت نواته الحقيقة المجردة عن الميثولوجيا أصبحت المعرفة واحدة عنـد جميع الامم المتمدنة — واحدة بكلياتها وجزئياتها ومجملاتها وتفصيلاتها . والمبادئ العلمية والفلسفية التي ثبتت صحتها انبثت في كل أمة تطلب علماً . ولذلك يمكنك أن تقول أن جميع الامم أصبحت مشتركة في روح واحدة من المعرفة . ولا يخفى أن المعرفة أساس الاخلاق والعادات أيضاً . فاذا تأملت أخلاق الامم المتمدنة وجدتها متشابهة معظم التشابه أو كله في كلياتها . تأمل آدابها المختلفة وشرائعها وأساليبها في المعاملات وأزياءها تجدها متشابهة تشابهاً بيناً . أجل ان بينها اختلافاً ظاهراً في تفاصيل آدابها وشرائعها وأخلاقها . ولكنه اختلاف لا بد منه كما أنه لا بد من تباين بيّن بين أفراد الشعب الواحد . فحسبنا التشابه في الكليات ولا عبرة في التباين في الجزئيات

واذا أضفت الى ذلك أن جميع الامم المتمدنة قد أصبحت الان ديموقراطية بكل معنى الكلمة وصار معظمها جمهوريات بحتة أدركت قيمة تشابهها في أمر جوهري جداً وهو ادارة شؤونها بانفسها . ولا يخفى ما في تعميم الديموقراطية الشعبية من الاستعداد والتأهب للديموقراطية الدولية

كانت أوتوقراطية بعض الدول الضخمة كروسيا والمانيا والنمسا حائلا عظيما دون تحقيق هذه الامنية . والان قد زال هذا الحائل . فاذا لم يكن من فائدة للحرب المنقضية الآن غير هدم آخر معاقل الاستبداد وبقايا العروش الاوتوقراطية فكفى بها فائدة

الركن الثالث هو أهم أركان الديموقراطية كما رأيت ونعني به وحدانية الامم أو توحدها . ولا مشاحة في انه يتراءى أغرب النظريات الاجتماعية . ولكن كل مفكر اجتماعي يرى ان العالم متجه الى الوحدة في كل شيء — الى الوحدة المركبة لا البسيطة . فالشعب الواحد وحدة مؤلفة من عناصر أو أمم عنصرية . والامة وحدة مؤلفة من قبائل . والقبيلة وحدة مؤلفة من عيلات . والعيلة وحدة مؤلفة من أفراد . اذاً لا يستحيل تألف الامم المتشابهة المستوية في خواصها في وحدة دولية أو أممية . أجل ان الاربطة التي تربط الامم بعضها ببعض تكون أقل من الاربطة التي تربط عناصر الامة الواحدة كما أن الاربطة التي تربط العناصر في الامة الواحدة أقل من الاربطة التي تربط الافراد في عنصر واحد . ذلك لانه واضح ان جامعة المجموع تنقص كلما اتسعت دائرته وتعددت أجزاؤه

بقي ان نعلم هل تهيأت الامم لهذه الوحدانية ؟ وهل استوفت جميع وسائل توحدها ؟ وقد فهمنا ان أهم الوسائل لنضج وحدانية الامة الواحدة هو اشتباك مصالح أفرادها وتوقف بعضها على بعض . فهل أصبحت الامم مشتبكة المصالح بحيث تتوقف حياة بعضها على بعض ؟ لا مشاحة في ذلك . والنهاية التي انتهت بها الحرب أخيراً جاءت أصدق برهان على هذه الحقيقة . فان المانيا التي كانت محصورة حصراً بحرياً كادت تهلك اقتصادياً حتى اضطرت ان تخضع لشروط مذلة تفادياً للهلاك الحقيقي . فهي احتاجت المواد الغذائية والمواد الخام من سائر العالم واحتاجت أيضاً سوقاً لمصنوعاتها (لو بقي لشعبها وقت للصناعة) . وقس على المانيا أية دولة . فما من أمة تستغني عن سائر العالم استغناء مطلقاً وتبقى معه متمتعة بجميع ملذاتها .

ذلك لان كل اقليم مختص بنوع أو أنواع من الحاصلات التي لا يستفيد أهله منها كلها الا اذا أنفذها الى أسواقها . كما ان كل اقليم مفتقر الى كثير من حاصلات غيره . فاشتباك الامم في المصالح المختلفة يكاد يكون أشد من اشتباك الافراد في أمة واحدة

فالامم اذاً مرتبطة بعضها ببعض ارتباطاً محتوماً لا انفكاك لها منه فهي متحدة بحكم الطبع . بيد ان اتحادها غير مقيد بنظام تام نافذ وهذا هو سر ما نراه من فوضاها الدائمة التي تؤول الى الحرب حيناً بعد آخر . وأما ما نراه من القوانين والمعاهدات الدولية فما هو الا محاولة التملص من هذه الفوضى . ولكن هذه القوانين والمعاهدات لم تنقذ العالم من الحروب لانها مجردة من قوة عليا منفذة لها . ولم يكن لها من تأثير الا بقدر ما للدول المتعهدة بتنفيذها من شرف الكلمة

فترى مما تقدم بيانه أن أمم العالم متأهبة للاتحاد معاً في نظام ديموقراطي نافذ. وهو مهمة مؤتمر السلم العام المنتظر والامل معقود بناصيته بنجاحه ان شاء الله . وفي العدد القادم بحث آخر من وجهات أخرى في هذا الموضوع

نقولا الحداد

وصايا

اذا اردت ان تعلم قدر نعمة الله عليك فغمض عينيك

اذا رمت اذى غيرك فتصور اذاه لك

اذا التبست عليك المصادر ففوض الامر الى القادر

اذا هرب الزاهد من الناس فاطلبه واذا طلبهم فاهرب منه

اذا وجدت ما فاتك لا تأسف على ما فاتك

اذا قلت لصديقك قم فقال الى اين فليس بصديق

اذا جلست في مجلس ولم تكن المحدث والمحدَّث فقم

اذا دخل احدكم بيتاً فليجلس حيث اجلسه اهله

اذا علمت فلا تذكر من دونك من الجهال واذكر من فوقك من العلماء

العالم المقبل ومشاكله

خواطر للدكتور غوستاف لوبون

من كتابه « أمس وغداً »(١)

الحرب الاوربية بدء دور من تلك الادوار التاريخية التي تبدل فيها الشعوب تصوراتها وأمانيها وقوتها كما حدث في عهدي الاصلاح الديني والثورة الفرنسية

* * *

انما تبدو النتائج الخطيرة التي تحدثها الحرب على اثر عقد الصلح فتتناول منازعات اقتصادية وصناعية واجتماعية ستقلب مستقبل الشعوب

* * *

لعل النتائج المادية التي احدثتها الحرب قريبة من النتائج المعنوية . ومن التغيير الذي يلحق بالعالم الخارجي عنا لا يلبث ان يكون فينا عالماً داخلياً جديداً

* * *

يحتمل ألّا تتغير الحدود الجغرافية في اوربا كثيراً بعد الحرب ولكن حدودها النفسانية سوف تتغير تغيراً لا يستهان به

* * *

قد تختم المجازر البشرية في الغد حين يثبت بالاختبار ان السيطرة العسكرية على شعب أجنبي أمر يكلف ثمناً غالياً ولا يجدي منفعة

* * *

يظهر ان أصحاب العبقرية كثيراً ما يقومون في أزمنة الحرب . فالعصر الذي قام فيه روفائيل وميكالانجلو وغليليو وكوبرنيك هو العصر الذي كان العالم فيه مسرحاً لافظع المنازعات . ولا يخفى ان ديكارت ألف رسالته الشهيرة في « الاسلوب »

---

(١) Hier & Demain par le Dr. G. Le Bon

وهو في معسكر . كأن الحرب تنبه جميع القوى . ولا ريب انه لولا الحرب الحالية لما رأينا جانباً عظيماً من ظواهر الرقي العلمي والصناعي التي ابتدعتها

* * *

لم ينل المانيا التي أملت ان تسيطر على أسواق جديدة من جراء الحرب الا فقدان الاسواق التي كانت مسيطرة عليها وخصوصاً في الشرق . ولا ريب ان اليابان هي اول مستفيد من هذه الحرب

* * *

الحوادث وحدها تستطيع ان تقنع الشعب الالماني بقيمة النظريات التي جهر بها فلاسفتهم

* * *

لا ريب في انه سيكون للزراعة بعد الحرب شأن يفوق شأن الصناعة . فقد استنفدت الجيوش العظيمة ما كان لدى المحاربين من الحبوب واللحوم وستضطر الشعوب من جراء ذلك الى طلب القوت من الزراعة . وسيؤدي ذلك الى ارتفاع الاسعار ارتفاعاً هائلاً حتى تستنبط موارد جديدة للمواد الغذائية . وقد سيتحتم على الشعوب ان تنصرف الى استثمار اراضيها ومستعمراتها بالزراعة

* * *

كانت الزراعة في بعض الاقطار — كانكلترا مثلاً — مهملة كل الاهمال ولكن خطر المجاعة الذي هدد البلاد على اثر الحرب اقتضت جعل الزراعة في مقدمة المهام الوطنية . وسوف يكون ذلك شأن كل دولة تروم المحافظة على استقلالها المالي

* * *

اذا عدنا بافكارنا الى نصف قرن مضى ظهر لنا ان الامة القائمة على الزراعة الجيدة والصناعة المتوسطة تعيش ارغد اكثر من الامة التي انصرفت الى الصناعة . ولا ريب انه سيكون بين نتائج الحرب انصراف الناس انصرافاً عظيماً عن العمل في المصانع الى حراثة الارض

* * *

ان فقر الطبقات المتوسطة الناجم عن الحرب سيحرم الشعوب من عامل كان له قسط وافر في حفظ التوازن

* * *

ستولد عقائد سياسية جديدة بعد الحرب في اقوام جديدة . ولكنها ستصادم عقائد قديمة جداً لا يسهل اقتلاعها . ولذا ستنشأ منازعات شديدة من جراء ذلك

* * *

ان مشاكل الحقب التي تعقب الحرب مشبعة بالغوامض كما كانت مشاكل التي تقدم الحرب . ومن الخطأ ان لا يعمل على حلها غير محترفي السياسة

* * *

ان الخطر المعضل في نظر الحكومات المقبلة حفظ الموازنة بين مصالح متنافرة في الطبقات الاجتماعية المختلفة بحيث لا تطغى ارجحية احدها على غيرها ويكون لجميعها منفعة عامة

* * *

ينقسم تاريخ الشرائع من وجهة فلسفية الى ثلاثة ادوار متعاقبة . اولاً الشريعة الحيوانية وهي التي تسري في عالم الحيوان وفي علاقات الانسان مع الحيوانات وبعضها وحيث الحق للاقوى . ثانياً الشريعة الداخلية للجماعات وترتكز على خضوع الفرد لسلطة الجماعة من حيث مصلحتها العامة . ثالثاً الشريعة الخارجية للجماعات او الشريعة الدولية . وهي التي ما زالت الى اليوم خاضعة لقانون القوة الجبرية . ومن المتوقع ان الحين الذي تجعل فيه مرجعاً على وجه الحزم القوة

* * *

لا تستطيع القوة ان تضعف الفكرة طويلاً لان الفكرة المضغوطة لا تلبث ان تنبت منها قوة عظيمة

* * *

لا غنى للحق الذي يريد أن يكون نافذاً من دعامة القوة الجبرية

* * *

إذا انتصرت القوة لا بالأسلحة المادية فهي إذ تثبت أن [illegible] عاجزة كالحق الذي لا تدعمه القوة

* * *

المحكومون يؤخذون بالقوة [illegible] ويحكمهم [illegible] ضعفاء لا يعتبرون [illegible] بحقوقهم

* * *

[illegible]

* * *

[illegible]

* * *

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

موقف [illegible] المعاهدات

[illegible] المعاهدات [illegible]

في كل من [illegible]

وبعد فترة من [illegible]

وفي فرنسا [illegible] المصادقة على المعاهدات [illegible] من حقوق رئيس

الجمهورية بمقتضى الدستور [illegible] ١٨٧٥ [illegible]

[illegible] المعاهدات [illegible]

[illegible]

تطوّر العلم

وكيف بلغ شكله الحديث

غرضنا من هذه المقالة ان ننظر في تطور العلوم فنبين المعاني المختلفة التي تقلبت عليها كلمة « العلم » منذ أقدم الازمنة الى هذا العصر وكيف انها لم تستقر على معناها الحالي الصحيح الا منذ بضعة قرون . ويلحق تطور العلوم تطور الفكر البشري في نظره الى الكون وتعليله لظواهره وحوادثه مما يجعل بحثنا جليل الفائدة عظيم الاهمية

فمن الثابت المقرر ان العلم الصحيح المبني على المشاهدة والاستقراء لم يكن قط منتشراً في عصر من العصور انتشاره في هذا العصر وعلى شكله الحالي من التهذيب والارتقاء . ثم ان أسلوبه الصحيح المعروف بالاسلوب العلمي (Methode Scienti-fique) قد تمكن من النفوس بفضل التعليم حتى لزم العقل في جوهره فاصبح الناس اذا عرضت لهم مسألة ساروا في حلها على موجب ذلك الاسلوب فينكشف لهم الغامض من الامور ويجلى لهم الصواب

تلك خواصُّ للعلم الحديث ميزته عن العلم القديم تمييزاً تاماً بحيث يجوز القول بان علم نيوتن وباكون وبستور وداروين وغيرهم من علماء العصر الحديث غير علم ارسطو وابن سيناء وأشباههما من علماء العصر القديم

والآن نبدأ بحثنا في تاريخ « العلم » فندرس تطوره على ممر الاجيال درساً فلسفياً مبتدئين باول عهده حين بدأ الانسان يتأمل في الكون ويعلل حوادثه الى العصر الحالي

علم الاقدمين

لم يكن العلم في باديء الامر منفصلاً عن الدين والفلسفة بل لم يعرفه الاقدمون على مانعهدهُ من معناه اليوم (وهو مجموعة اختبارات ومعارف يُتوصل اليها بالمشاهدة والاستقراء) فان البحث في المادة وخواصها وعناصرها كان في ذلك العهد من شأن الفلسفة النظرية وكانت جميع المذاهب من هذا القبيل نظريات وهمية ارتآها بعض المفكرين وأيدها رجال الدين ولم يعتمدوا فيها على الواقع

ثم ان جميع المعارف البشرية لذلك العهد كانت متمازجة تدخل كلها تحت كلمة « حكمة » فكان حكيم القوم كاهنهم وعالمهم وفيلسوفهم وشاعرهم وهلم جراً . وكان معظم الحكماء من الكهنة وهم اذ ذاك أصحاب النفوذ والسلطة القابضون على زمام الامور يسنون الشرائع والقوانين والناس يسيرون خلفهم كالاغنام يذهبون مذهبهم بلا روية ولا تبصرة فلا يعارضون لهم أمراً ولا يخالفون رأياً . واذا لم يشأ أحد الانقياد لهم والتسليم بخزعبلاتهم أو اذا رأى رأياً لم يره قبله هؤلاء النافذون فقل قد قضي عليه لانهم لا يزالون يضطهدونه ويثيرون عليه العامة حتى يقع صريعاً تحت أقدامهم كما جرى لكثير من فطاحل الفلاسفة القدماء

بقي العلم كذلك ممزوجاً بالفلسفة النظرية الى عهد ارسطو العالم والفيلسوف الشهير ومن ثمت جعل يتميز عنها حتى اعترف له أخيراً بكيان مستقل . ولكنه بقي في الحقيقة تحت سلطة الفلسفة وما فتىء فلسفة . وقد أحسنوا بتسميته الفلسفة الطبيعية لان أسلوبه ما زال فلسفياً نظرياً وان يكن قد انحصر مجاله في الطبيعة وظواهر المادة مما يقع تحت الحس . فقد كانت مبادئه في الغالب نظرية لا يعول فيها على التجارب الا فيما ندر . وعلى كل حال فان التجارب كانت تعد ثانوية بالنسبة الى النظريات وربما كذبوا التجارب الحسية محافظة على نظرية أو عقيدة . وأبلغ مثال على ذلك ما نال غليلو وكوبرنيك وغيرهما من مؤسسي العلم الحديث من الاضطهاد لاكتشافهم مبادىء وحقائق لم يألفها القوم ورجال الدين

تعاقبت القرون والاجيال والاسلوب العلمي باق على حاله من الفساد والنقص فلم يتغير تغيراً جوهرياً ولا ارتقى ارتقاء جديراً بالذكر

اعتبر مثلاً علم الكيمياء فقد كان مدار البحث فيه قائماً على أساس نظري لم تثبته التجارب ولم يؤيده الاختبار وانما توصلوا اليه بسلسلة براهين وأدلة كلامية اعتمدوا فيها على قواعد المنطق . فقد حدده ابن خلدون بانه « علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الفضة والذهب بالصناعة » وهو ما يدعونه اليوم (Alchimie) وقد اصبح من قبيل الخزعبلات . فقد افترضوا فيه وجود تلك المادة التي اذا اتحدت ببعض المعادن تكون منها فضة او ذهب . ولكن أنى لهم أن يجزموا بوجودها ؟ هل دلتهم التجارب أو ارشدهم الاختبار ؟ ولو اكتفوا بالافتراض الموقت لتحقيق صحة النظرية أو فسادها على نحو ما يجري اليوم في الافتراضات العلمية hypothèse

ما ضلوا السبيل . والغريب في أمرهم انهم قبل أن يظفروا بتلك المادة او بما يحمل على افتراضها كانوا على يقين من وجودها لان البراهين المنطقية والفلسفية كانت في نظرهم كافية للجزم بذلك الوجود وقاعدة ثابتة لذلك اليقين بدليل أنهم شادوا على يقينهم علماً مستقلا سمي علم الكيمياء واستنفد بعضهم العمر في البحث عن تلك الضالة المنشودة التي دعوها حجر الفلاسفة !

ومثل ذلك كان شأن أطبائهم في موضوع اطالة الحياة فقد بذلوا جهدهم في استنباط اكسير الحياة الذي جزموا بوجوده . ثم ان مدار البحث في التشخيص والعلاج كان مبنياً على نظريات الاخلاط والامزجة والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة ونحو ذلك فكانوا يعللون بها كل الحوادث التي تقع لهم ولا يلاقون صعوبة ولا اشكالا . وهناك أمثلة عديدة تخرج الافاضة فيها عن غرضنا كنظرية العناصر الاربعة الماء والنار والهواء والتراب التي كانوا يردون اليها جميع الاجسام من جوامد وسوائل وغازات

بقي كذلك حال العلم الى عهد قريب والناس مستغرقون في المباحث النظرية العقيمة ومعرضون عن النظر في العالم الحي وسننه فتعددت المذاهب وتحزب لكل رأي فريق من الائمة المنطقيين - وما اكثرهم في ذلك الوقت - وجعلوا ينصرونه بكتاباتهم ويدعمونه بالبراهين والاقيسة النظرية ويستشهدون في كل فرصة بكتب الاقدمين ولا سيما بارسطو المعلم الاول [1] وربما استنفدوا العمر وسودوا المجلدات في جدال أو مشاحنة على مسألة نعدها اليوم من الترهات التي لا تستحق النظر

نشوء العلم الحديث

على أنه طرأ على العلم منذ بضعة قرون انقلاب عظيم تغير به شكله تغيراً كلياً .

---

(١) ويسمى شيخ الفلاسفة ورئيسهم . احاط بعلوم عصره وترك فيها كتباً هي عبارة عن انسيكلوبيديا وقد سارت البشرية اجيالا عديدة على كتبه وبقيت تشتغل بها وتنقلها الى الامات حتى اصبح تدريسها من ضروريات التعليم . وقد كان من شدة تمكنها في العقل البشري انه ما كان احد يتجاسر ان يتخطاها . وقد بقي كبلر خمس عشرة سنة يرى ان الحركة الاهليلجية للكواكب هي الصواب ولا يتجاسر ان يصرح بها احتراماً لحركة ارسطو المستديرة . ويحكى ان راهباً اكتشف نجماً جديداً فذهب الى رئيسه يخبره بما اكتشف فمهله رئيسه ريثما يراجع مؤلفات ارسطو في هذا الشأن ولما لم يجد فيه لهذا النجم ذكراً اقبل عليه يخطئه ويحظره من المجاهرة برأيه !

ابتدأ ذلك الانقلاب حين أخذ الناس يفهمون معنى العلم الحقيقي اذ تبين لهم فساد أسلوبهم النظري الذي جروا عليه منذ القدم فنبذوه نبذ النواة ولجأوا الى الاسلوب العلمي الصحيح المبني على المشاهدة والاستقراء وهو الاسلوب الحالي الذي به أتيح للعلم أن يتقدم هذا التقدم العجيب في قرون قليلة

تمَّ ذلك الانقلاب العظيم على يد رجلين من عظماء الرجال اولهما فرنسيس باكون (١٥٦١ — ١٦٢٦) ويلقب «ابو العلم الحديث» وهو صاحب طريقة الاستقراء القائل باولية العلوم الطبيعية المبنية على المشاهدة والاستقراء على العلوم النظرية كعلوم الجدل والكلام والمنطق وامثالها

وثانيهما ديكارت الفيلسوف الفرنسي الشهير ويلقب «أبو الفلسفة الحديثة» وهو الذي اوحى لمن اتى بعده تطبيق الاسلوب العلمي على العلوم التي كانت لعهده نظرية فلسفية كعلم النفس والاجتماع وغيرها

فبعد أن كان الانسان ينظر في الوجود المطلق من حيث هو وجود مطلق وفي المادة من حيث جوهرها وكنهها فيستنفد قواه ويستفرغ وقته لاكتشاف امر هذا الجوهر وحقيقة هذا الوجود مما لا يعود عليه بفائدة عملية أقلع عن البحث في مثل هذه المواضيع التي لم تزده الا حيرة وارتباكاً وجعل ينظر في المادة من حيث هي جسم محسوس يقع تحت الحس له نواميس وسنن طبيعية ازلية لا من حيث مصيرها أو جوهرها. وبعبارة أخرى فقد اقلع عن النظر فيما وراء الحس الى ما يقع تحته وفيما فوق الطبيعة الى ما يقع فيها

فتلاشت علوم ما وراء الطبيعة وكل علم يبحث في موضوع لا يقع تحت الحس والاختبار كالالهيات وعلم الكلام وعلم المنطق وهلم جرًّا في حين عظم شأن العلوم التي تبحث فيما يقع تحت الحس وارتقت ارتقاء عجيباً في قرون قليلة كالعلوم الطبيعية على اختلاف انواعها حتى ان علم النفس ذاته رضخ للاسلوب العلمي الحديث ولم يعد مبنيًّا على الفلسفة النظرية كما كان

فاصبح العالم من علمائنا اذا بحث في موضوع من المواضيع جعل دأبه اكتشاف الواقع قبل كل شيء فينبذ كل رأي أو عقيدة قد يميل اليها بفعل العادات والتقاليد أو بدافع المآرب والاغراض ويكتفي بالافتراض المؤقت ليعين به وجهة تجاربه العلمية .

فاذا التجارب ايدت افتراضه قبله وسلم به ووضعه في قالب نهائي . وأما اذا نقضته أو خالفته نبذه جانباً ولجأ الى سواه . هذه هي الروح العلمية الصحيحة التي عمت جميع البشر وتمكنت من نفوسهم حتى اصبحوا يعتمدونها في جميع احوالهم

فقد صار الناس لا يسلمون الا بما تؤيده البراهين البينة وتثبته الادلة الحسية حتى لقد ذهب البعض الى انكار كل ما لا يقع تحت الحس وقالوا « لا وجود حيث لا محسوس » وقد أصاب من سمى العصر الحاضر عصر الجحود فان أهله لا يصدقون الا حسهم ولا يسلمون بغير ما يشاهدون أو يلمسون أو يسمعون . ولا ريب ان طلب توما من المسيح ان يلمس موضع الجرح في جنبه ما كان ليعد مدعاة للدهشة لو ان الحضور كانوا من أهل هذا العصر بل ربما سبقوه اليه

* * *

على هذا الاساس قام العلم الحديث . وبهذا العلم وبفضل انتشاره وتعميمه عمت المعرفة الصحيحة بين الناس فاستنارت الاذهان وانقشعت غياهب الظلمات عن العقول وتبددت الاوهام التي استحكمت من النفوس أجيالاً وقامت مقامها الحقائق البينات على أساس صحيح وتطورت البشرية في زمن وجيز تطوراً سار بها شوطاً بعيداً في سبيل الرقي والكمال شكري زيدان

كلمات مختارة

تتزوج المرأة لتدخل العالم أما الرجل فيتزوج ليهجره ـ تاين

الاشتراكية هي النصرانية مجردة عن الهها ـ فاكه

في كل منا شخصان : الممثل والمشاهد ـ سينكيويكز

قلما تعبأ المرأة بما يصنع لاجلها ولكنها تعبأ كل العبأ بما لا يصنع ـ كورتلين

في كل منا عالم صبياني تستظهره السعادة ـ رود

لم ينفعني عقلي الا ليهدي جنوني ـ بورجه

الحروب المقدّسة

التي خاضتها الولايات المتحدة

في يوم من سنة ١٨٣٠ وقف شاب طويل القامة في رفاص نهري يرقب منظراً مؤلماً : كان أمامه عبد آبق مكبل بالقيود وحوله رجال يضربونه بالسياط ضربات شديدة ويذيقونه من العذاب صنوفاً وليس من يرق لذله أو يشفق عليه . وقد كان القانون المدني اذ ذاك يبيح للمالك التصرف بعبده كما يبيح له التصرف في ما يملكه من الماشية والطيور

وقف ذلك الشاب يفكر . . . ويفكر . . . ويفكر . . .

وظلت أصداء تلك السياط تتجاوب وتتوالى في ذهنه الى سنة ١٨٦٠ حين بلغ سن الكهولة وطبقت شهرته الخافقين اذ انتخب رئيساً على الولايات المتحدة . ذلك الرجل هو الرئيس ابراهيم لنكلن الشهير

فماذا نتج عن تلك النظرة : اولاً في تاريخ حياته ؟ ثانياً في تاريخ الولايات المتحدة ؟ ثالثاً في تاريخ العالم ؟

ان عظام النتائج في الدنيا تنشأ عن عوامل خفية زهيدة تتزايد وتتعاظم الى ان ينفجر ثائر بركانها . ذلك ما حدث في نفس ابراهيم لنكلن . فقد انشأ فيه ذلك المنظر عزماً راسخاً على تحرير العبيد . فحالما استتب له الامر ابرز مشروعه الى حيز الظهور . ومع ان الامر ختم بمقتله فقد فاز ومات ظافراً — شأن كل عظيم في التاريخ يختم فوزه بدمه

اميركا بلد العجائب والغرائب . ولم يكن حالها في هذه القضية شاذاً عنه في غيرها . فقد تحملت أعباء حرب اهلية فظيعة مدة اربع سنوات أريق في خلالها دم خمسمائة الف من نخبة شبانها وأنفق من الذهب الرنان ما يقدر بالقناطير المقنطرة ولكنها خرجت منها مرفوعة الرأس وضّاحة الجبين . ولماذا ؟ لانها خاضت غمار حرب مقدسة وفازت بامنيتها ألا وهي « تحرير العبيد » واثبات حق « المساواة البشرية »

* * *

اعتاد الكتاب ان يسموا الحروب الدينية حروباً مقدسة كحروب اليهود في

فلسطين ، والحروب الصليبيـة في الشرق ، وحرب الاصلاح في الغرب ، وحروب القتوحات العربية وغيرها . والحروب تكون مقدسة في الحقيقة متى كان الاخلاص رائدها والمبـدأ الادبي اساسها . على ان الاختبار قد اثبت ان الاغراض النفسانية تفسد اقدس الاعمال وتستتر تحت اشرف الادعاءات . فكثيراً ما كانت الحروب المقدسة ستاراً لطيفاً لمطامع النفسانيين

***

كانت انفعالات لنكلن تتزايد وتتعاظم على ممر السنين الى ان اتيح لها الانفجار واحداث ذلك الانقلاب الاجتماعي العظيم في تاريخ اميركا

على ان الحقيقة التي نروم ان ندونها هنـا هي ان لنكلن لم يكن العامل الاوحد لمثار هذه الحوادث وان ذلك الشعور الانساني لم يحصر في نفسه بل كان متصلاً بدائرة واسعة من الشعب الاميركي . وسواء نظر لنكلن الى ذلك العبد المظلوم أم لم ينظر فقد كان مبدأ تحرير العبيد قد اتخذ له دائرة واسعة في الاجتماع الاميركي وفي غيره . فلم يكن لنكلن منشأ ذلك الشعور بل مظهره أو أحد مظاهره . انما اتخذ صفة الزعامة نظراً لمركزه المدني

فماذا جنت اميركا من ذلك المشروع ؟

أسفك الدم وخسارة المال ؟

ليست هذه كل النتائج . فلقد فازت اميركا بتقرير المبدإ الاجتماعي العظيم « ان البشر اخوة متساوون في الحقوق والامتيازات » فلا سعادة للانسانيـة دون تقرير هذا المبدأ . ولا عظمة للانسانية دون نفوذه وسيادته

***

واذا رمنا تجلية الحقيقة بابهى مجاليها قلنا ان ذلك الشعور الانساني ـ الحرية ـ لم يكن محصوراً في عصر لنكلن ولم يختص بمسألة العبيد . انما هو نزعة الاميركين عموماً وقد اتخذ له مظاهر مجيـدة كما يتبـين من اربع حروب خاضت الولايات المتحدة غمارها :

الاولى : حرب الاستقلال ضد انكلترا وبطلها جورج واشنطن الشهير من سنة ١٧٧٦ الى سنة ١٧٨٣

الثانية : الحرب الاهلية وبطلها ابراهيم لنكلن من سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٨٦٤

الثالثة : الحرب الاسبانية أو حرب كوبا وبطلها الرئيس ما كنلي سنة ١٨٩٨
والرابعة : الحرب الحاضرة ضد المانيا وبطلها الدكتور ولسن الرئيس الحالي

* * *

ويجدر بنا الآن ان نرسل رائد النظر في كل من هذه الحروب الاربع قبل الكلام في فلسفة الحرب المقدسة

في سنة ١٧٧٦ كان الامر قد استتب لانكلترا بانتزاع كندا وانكلترا الجديدة من فرنسا والانفراد في الامر في كل القارة الاميركية عدا المكسيك

وبناء على وفرة المغارم التي أذنت حكومة جورج الثالث بالقائها على كواهل أبناء المستعمرة الجديدة . وبناء على ما في نفوس أولئك الابناء من الشمم والحرص على الحقوق جهروا بخلع نير انكلترا والمناداة بالاستقلال . وتبع تلك الدعوى سكان ١٣ ولاية على الاتلانتيك الغربي كان عدد سكانها يومئذ نحو ثلاثة ملايين . تلك كانت جرثومة جمهورية الولايات المتحدة العظيمة التي ينوف عدد اهليها اليوم على المئة مليون نفس

وقد قرر معتمدو تلك الولايات الجهاد في سبيل الحرية . وسلموا القيادة العامة للجنرال جورج واشنطن الذي اختاروه رئيساً اولاً حين نالوا استقلالهم

* * *

قد يقال أن حرب الاستقلال حرب نفسانية ـ أو على الاقل نفعية ـ رمت بها اميركا الى دفع المغارم الانكليزية

فنجيب على ذلك أنه لا ريب في أن نيل الحرية من أعظم الاغراض الاجتماعية والجهاد في سبيلها من أقدس المشاريع وأعظمها خطورة

على ان أنصار الحرية ليسوا بنفسانيين . انما النفسانيون هم الذين يبيعون المنافع القومية باغراض شخصية . فلو كان زعماء الاميركين نفسانيين لكان أمامهم مجال فسيح لتحقيق المطامع في حكومة الملك جورج الثالث من رواتب ووظائف وسامات وغير ذلك . ولكنهم انما قاموا يعلنون أميال الامة الاميركية . والامة لا تجود بمالها وتحرص على عرضها الا اذا كانت راقية نبيلة . والامم الدنيئة لا غيرة عندها ولا اجماع على المطالب السامية والاغراض الشريفة . فان الامراض الاجتماعية الفاشية في الامم المنحطة تحول دون اجماع كلمتها وتأييدها للمبادئ السامية

فجورج واشنطن لم يكن نفسانياً في مناوأة انكلترا بل كان وطنياً انسانياً . ولم تكن البلاد الاميركية اكثر نفسانية من جورج واشنطن لانه كما يكون الزعيم هكذا يكون الشعب . فالامة كانت ممثلة في واشنطن وهو كان مظهراً حقيقياً لتلك الامة الكريمة

وقد اتخذ الشعب الاميركي شعاراً له في طلاب الحرية هذه العبارة « الحرية تراد لذاتها لا لمنافعها »

فالامم تطلب الحرية لانها ارتقت لا لترتقي بها

ان من يراجع حرب الاستقلال التي استمرَّت زهاء سبع سنوات . ويقف على ما أتته الامة الاميركية من الاعمال في غضونها يتبين له تقدير تلك الامة للحرية . فقد نشبت بين الفريقين نحو ٤٢ معركة فاز الانكليز في ثلاث وعشرين منها والاميركيون في ١٩ . على أن المعركة الفاصلة التي ثار نقيعها في ربيع سنة ١٧٨٣ كانت من حظ الاميركيين فقد خرج واشنطن في شهر مارس من مشتاه في وادي نهر الاوهايو يقود جيشاً فقيراً ضعيف الاجسام — لا العزائم — يجر سمالا بالية ولكنه يحمل بين جنبيه نفوساً كبيرة . بهذا الجيش فاز وأيد مطلب الامة الكريمة العزيزة : الحرية الحرية

وبعد مرور سبع وسبعين سنة على ذلك أعلنت الولايات الشمالية الحرب على الولايات الجنوبية . وهي الحرب « الاهلية » أو حرب « العبيد »

واستمرَّت تلك الحرب زهاء أربع سنين من سنة ١٨٦٠ الى سنة ١٨٦٤ تخضبت في أثنائها سهول أميركا وجبالها بدماء أنجب ابنائها وزهرات حياتها . وأنفقت القناطير المقنطرة من الاموال

ولماذا ؟ ليس دفاعاً عن حريتها بل عن حرية العبيد . ليس ضد انكلترا بل ضد الاميركيين أنفسهم

فاذا كان الحامل لهم على محاربة الانكليز سنة ١٧٧٦ عاملا نفعياً نفسانياً . فما الذي حملهم على الحرب الاهلية ؟

ان الحرب الاهلية هي حرب خاسرة من الوجهة المادية على كل حال . فلا يثار نقيعها لسبب مادي بل لغرض أدبي

فالدافع للاميركيين الى حرب العبيد سنة ١٨٦٠ هو نفس العامل الذي أقامهم سنة ١٧٧٦ . هو المبدأ الانساني الاجتماعي العظيم : « تقديس الحرية » — ليست

حريتهم أو حرية سواهم بل الحرية ؟

فدفاع الاميركيين انما كان عن مبدأ سام لا عن شعب أو دولة . وغرضهم في حربهم الاولى والثانية هو تأييد مبدأ الحرية . لاجل هذا المبدأ أراق الاميركيون دماءهم اولا وثانياً

***

ولاجل نفس المبدإ والغرض هبوا سنة ١٨٩٨ يناقشون دولة الاستعمار والفتوحات الحساب ، تلك الدولة التي خلدت لها ذكراً مجيداً وكانت الشمس لا تغيب عن املاكها ، دولة فرديناند وايزابل ، دولة اسبانيا التي كانت بواخرها تجوب الاقطار وبوارجها تشق البحار شرقاً وغرباً شمالا وجنوباً

هذه الدولة طفح كيل مظالمها وتفاقم الخطب على رعاياها في بحر الاتلانتيك فهض الاميركيون وخلعوا نيرها واستقلوا في البرازيل وأخواتها . ولكن بعض جزر الانتيل وارخبيل فيلبين بقيت تحت حكمها ونيران الثورات لا تخمد فيها . الى أن كانت سنة ١٨٩٨ ، واشتد الخطب على الكوبيين . فثارت جرائد أميركا تدافع عنهم وتؤنب حكومتها على قعودها عن نصرتهم وانصافهم . ثم كان ما كان من اغراق البارجة هافانا الاميركية في أسكلة كوبا وأعلنت الولايات المتحدة الحرب على اسبانيا . فظهرت عليها وانتزعت منها سان دومنكو وكوبا . وارسلت أسطولا الى الفيلبين بقيادة الاميرال دوي (الذي مات أخيراً) فاجهز على الاسطول الاسباني وانتهت الحرب بفوز الاميركيين

وبعد نهاية الحرب واستتباب الامن في كوبا سنوا لها قانوناً وشكلوا لها حكومة رضاها وبرحها الجيش والاهلون يذرفون الدمع السخين على فراقه

بذلك تتضح النظرية التي أمامنا كل الايضاح وهي : ان الحامل للاميركيين على ركوب ذلك المركب الخشن لم يكن الطمع الاشعبي بل المبدأ القديم القويم : الانتصار للحرية . فقد عز على الاميركيين ان يسام الخسف شعب ضعيف في جوارهم . فهبوا لنصرته من ظالميه ولما دحروا الظالمين غادروا المظلوم وهو في أحسن حال وأهنأ بال

***

بناء على ما تقرر وحرصاً على نصرة المبدإ الاجتماعي العظيم الذي هو « حرية الامم » أعلن الدكتور ولسن رئيس الولايات المتحدة عزم الامة الاميركية على خوض غمار الحرب ضد المانيا . وقال في خطابه الشهير انه لا يجهل ما تجره تلك الحرب على اميركا من الخسارة المزدوجة في المال والرجال وانه لا يرمي ولا ترمي أمته الى مطمع أو منفعة مادية ـ لا الى غرامة حربية ولا الى ضم بلاد أو نشر سيطرة او نحو ذلك . انما رأوا أنفسهم مضطرين الى تضحية راحتهم لاجل الشرف . قال والشرف خير من الراحة على كل حال

فما معنى ذلك بالكلام البسيط ؟

اليك هو : فطر الاميركي على احترام المرأة ورعاية الضعيف . كما فطر على حب الحرية والانتصاف للمظلوم

وفي أثناء الحرب الحالية طفح كيل الفظائع الالمانية وتحاملها على النساء والقاصرين تحت اسم الحرب

خذ مثالا لذلك اغراق الباخرة لوزيتانيا الشهيرة في مايو سنة ١٩١٥ . فقد غرق بها ما يزيد على ١٥٠٠ نفس اكثرهم نسوة وأطفال لا دخل لهم في الحرب ولا معرفة بها . فقد وقف الاميركي أمام لوزيتانيا وقفة ابراهيم لنكلن سنة ١٨٣٠ أمام ذلك العبد المغلول الموثق ورأى المرأة ـ وهي موضع احترامه ـ ترفع طفلها باليد الواحدة الى فوق رأسها اشفاقاً عليه ان يموت غرقاً وتستصرخ الحمية والاحسان باليد الاخرى

للاميركي بصيرة وللاميركي قلب

وقف تجاه المرأة وطفلها ورآهما يغرقان بغير ما ذنب جنوا . ثم رأى البحارة الالمان يكشرون عن أسنانهم أمام ذلك المشهد المفجع هزءا واستخفافاً . ورأى الحكومة الالمانية تمدحهم وتكافئهم على حسن صنعهم . ورأى الجرائد الالمانية تفاخر بعملهم . فاثرت تلك الرؤية في قلب الاميركي وحملته على مخاطبة أخيه الالماني بالتي هي أحسن . فاخذ هذا يعتذر له ويعلله بالمواعيد العرقوبية . الى ان كانت السنة الماضية وأبلغ الالمان الدول المحايدة انهم سيطلقون لغواصاتهم العنان ولا يرعون لاحد عهداً فرأى الاميركي ما رآه لنكلن ـ ان لا ندحة عن أحد أمرين ـ اما خوض الحرب أو ضياع الشرف

وعلى المنكر ان يبين السبب الذي حدا بالاميركين الى نزوعهم الى الحرب

فان قال انهم خدعوا فليعلم ان الامة الاميركية ليست ممن يخدع

وان قال انهم طمعوا فواضح ان الحياد أربح وأريح لهم على كل حال . فلو كان الطمع رائدهم لطمعوا في الحياد

وان قال انهم تهوروا . فليست الامة الاميركية أمة طائشة حتى يصح تعليل عملها بالتهور

فكيف تقلب رأي المنكر لا تجد له منصرفاً الا جهة واحدة وهي :

ان الامة الاميركية خاضت غمار الحرب عن اخلاص وغرضها فيه تأييد حرية الشعب وصد الاستبداد والاستعباد . فالشرف رائدها والاخلاص قانونها

فحرب الاميركين مقدسة

وليس دخولهم في هذه الحرب بالبدعة المحدثة انما هو مبدؤهم القديم الذي نشأوا عليه وتوارثه خلفهم عن سلفهم

***

لقد فهم القارئ مرادنا بالحرب المقدسة . وعرف انها نزعة شريفة لا ترمي الى جر مغنم ولا الى دفع مغرم ولا يداخلها الحقد وحب الانتقام انما هي نتاج مبدأ انساني في النفوس الحرة الكريمة . بقي ان نقول كلمتين في هذا الباب :

الاولى ان هذه النزعة لا يخلو منها انسان على سطح الغبراء انما تتفاوت النفوس فيها قوة وضعفاً بالنسبة الى التربية الاخلاقية . كل عاقل يشعر في نفسه بكراهية الظلم والنفرة من الظالمين والعطف على المظلوم . في هذه العاطفة يتساوى العقلاء طراً . على ان مفعول ذلك يختلف فيهم باختلاف استعدادهم . فبعضهم لا يحمل نفسه تبعة ذلك الشعور وسر ذلك فيه صغر النفس . وبعضهم يقدم رجلا ويؤخر أخرى لجبنه وقلة اخلاصه . وبعضهم يحمل نفسه شيئاً من المشقة الى درجة محدودة فاذا تعداها الامر انسحب بنظام . وبعضهم يرمي بنفسه الى التهلكة انتصاراً للمظلوم والحامل له على ذلك المروءة والحزم وهو كل الشرف

الثانية ان الامة لا تجمع على خدمة هذا المبدإ الانساني عفواً . بل ان ذلك نتيجة تربية وتمرين ان لم نقل استعداد فطري خاص

لا يهون على الام ان تقدم فلذة كبدها الى فم المدفع لاجل مظلوم حقير أو

منكوب بعيد ما لم تكن لها في نفسها من المبادئ والعوامل ما يزعزع الجبال ويهزأ بالاهوال

فانتصار الدولة الاميركية للحلفاء مع علمها العلم اليقين ان حيادها انفع لها من مظاهر الارتقاء الاجتماعي الذي تقضر السنة المنكرين عن العبث به

وهبني قلت هذا الصبح ليل أيعمى العالمون عن الضياء

حنا خباز

الى الجنرال اللنبي

نظم الاديب صاحب الامضاء قصيدة سماها « الدرر الحسان في سمط مديح الجنرال اللنبي فاتح فلسطين وسوريا ولبنان » فرأينا ان ننتخب منها الابيات التالية :

يا آل سوريا الاشاوس هللوا	فالمنقذون الى حماكم أقبلوا
يتسابقون الى الطعان وسيفهم	برقاب ظلام العباد موكَّل
ساروا وجيش الترك يجمع جمعه	ويجول في عرض البلاد ويقتل
ملكوا مرابطه المنيعة عنوة	وقضوا عليه ومزقوه وجندلوا
فوق البطاح وفي الوهاد رجاله	وبكل ارض في البلاد توغلوا
تخذ الأُلى فروا الخنادق معقلاً	وتحصنوا فيها ولم يتحولوا
فاتتهم زبرُ الحديد بنارها	فتنافروا إرباً ولم يتمهلوا
والخيل تسبح في النجيع كأنها الـ	خيلان تقتحم الخطوط وتصهلُ
والسيف يحصد هام كلّ مقاومٍ	فكأنه يوم الكريهة منجلُ
وفوارس الهيجاء تدفع بعضها	فتحل في قلب العدوّ وتنزلُ
والرعد يقصف من بطون مدافع	فيهزّ كل محصّن ويقلقلُ
ويصب من حمم الهلاك قنابلا	مثل الصواعق خرَّ منها المعقلُ
والجوّ اقتم والرصاص كأنه	مزنٌ باكباد الكماة يغلغلُ
والقرمُ يزأرُ طامعاً بعدوه	والموت يضحك والفناء يجلجلُ
والرمح آيَ الفتح يكتب شامخاً	والسيف أيَ الحمد بات يرتلُ

نجيب كنعان .

امراض الاجتماع المزمنة

وانجع الطرق لمعالجتها

ان تشبيه المجتمع البشري بجسم حي يسهل علينا فهم أمور كثيرة تتعلق بالحياة الاجتماعيـة . فالمقابلة تستجلي الاشياء وتوضحها في الذهن. على انه ينبغي لهذا التشبيه ألا يجاوز حداً معلوماً . فقد تطرف بعض علماء الاجتماع السالفين في هـذا المعنى (ومنهم سبنسر الا انه عدّل رأيه فيما بعـد) واسترسلوا في بيان أوجـه الشبه بين الجماعة والجسم الحي واستنتجوا من ذلك التشبيه نتائج كثيرة بل كادوا يبنون علم الاجتماع كله على هـذا الاساس . وقد قر الرأي الآن بعد البحث والتمحيص على انكار كثير من القضايا التي توصلوا اليها عن هذا الطريق اذ وجدوا لها لا تنطبق على الواقع فضلاً عن كونها تضل طالب علم الاجتماع عن المنهج العلمي القويم

ومع ذلك لا غنى لعلماء الاجتماع عن الاعتماد على هـذه التشبيهات . وما دام غرضها مقصوراً على ايضاح المسائل الغامضة فلا ضرر منها على شرط ألا يبرح ذلك من ذهن القارىء

فاذا شبهنا المجتمع البشري بجسم ظهر لنا في مقدمة أوجـه الشبه بين الجهتين انهما معرضان لامراض مختلفة تصيب بعض الاعضاء مباشرة ولـكنها تؤثر حتما في بقية الجسم . فلئن كانت بعض أمراض الاجتماع محصورة في طبقات معلومة فان ضررها يتناول جميع الطبقات . ومن ظن نفسه بعيداً عن التأثر بها كان واهماً مخدوعاً . فليس من يستطيع التجرد عن تأثير الوسط الذي يعيش فيـه . فاننا انمـا نعيش في جو معنوي نتنشق عناصره على الدوام ـ وما تلك العناصر الا الاحوال الاجتماعية التي تحيط بنا والتي لها القسط الاعظم في تكوين كل فرد منا . فان بين الفرد وبيئته روابط متينة ـ وان تكن غير محسوسة ـ تستولي على شخصيته وتكيفها في أغلب الاحوال وفقاً لمقتضاها

على ان المدنية الغربيـة أنمت في العصر الاخير روح الفردية وقوت نزعة الاستقلال الشخصي وجعلت همّها المطالبة بحقوق الافراد واستخلاصها من سلطة الجماعات باعتبار أن الحكومة انما جعلت لخدمة الفرد ـ وبعبارة أخرى ان مجرى التطور الاجتماعي في القرنين الاخيرين كان يرمي الى بيان شأن الفرد ومكانته والخطر الذي ينجم عن مس حريته وحقوقه

هذه هي الآراء التي كانت شائعة الى زمن قريب . ولـكن فلاسفة الاجتماع الحديثين يقاومون هذه الروح . وقد لخص الفيلسوف فوييليه Fouillée الفرنسي نظرهم في هـذا الموضوع بقوله : « ان الخطر الذي ينبغي للدول الديموقراطيـة توقيه قبل كل خطر آخر هو استبدال الروح الاجتماعية بروح فردية لا هم لها الا المصلحة الذاتية وتحول الجماعات الى أفراد مستقلين لا يعنون بالواجبات والروابط الاجتماعية »

ولو طبقت النظريات الفردية تطبيقاً تاماً لأدت الى ملاشاة الجماعات والدول ولذا نجد اليوم في جميع الاقطار الغربيـة رجوعاً عن تلك الآراء المتطرفة ونزوعاً الى آراء الفلاسفة اليونانيين فيما يخص علاقة الفرد بالحكومة مع بعض التعديل . وهم يقررون اليوم ان واجب الفرد خدمة الدولة التي ينتمي اليها وان يحيـا ويموت لاجلها اذا اقتضت الحال ذلك كما ان واجب الدولة حمايته وانماء شخصيته

ممـا تقدم يتضح لنا السبب الذي من اجله عظم شأن المباحث الاجتماعية الحديثة وانصرف العلمـاء الى درس امراض الاجتماع وطرق علاجها . فقد ثبت ما بين الفرد والمجتمع من الروابط الوثيقة التي تجعله يتأثر من بيئته حتماً مهما يكن مفطوراً عليه من حب الاستقلال . ولم يعرف التاريخ زمناً اهتم فيه الناس باصلاح أمر الناس مثل هذا الزمن . فقد جمع الباحثون معلومات كثيرة عن امراض الاجتماع وكتبوا الكتب الطويلة في هـذا الشأن ـ كل ذلك يؤمل بقدوم يوم ليس ببعيد تحل فيـه هذه المشاكل . اذ ليس في طبيعة الانسان ولا في طبيعة الاجتماع ما يحتم وجود تلك الامراض التي ما برحت تنخر عظام البشرية منذ اقدم الازمنة

ولعل الوقت الحاضر شديد الملاءمة لبحث هذا الموضوع فقد دخل البشر عهد

ترميم واصلاح فلا غنى لهم عن النظر في اسباب الامراض الفاشية بينهم ودرس اعراضها وطرق علاجها

على أنه يجدر التمييز بين امراض الاجتماع الحادة وامراض الاجتماع المزمنة . ففي النوع الاول تدخل الحروب والثورات . وفي النوع الثاني الذي هو غرض هذه المقالة تدخل عدة أحوال مرضية كادت تتأصل في البشر مع مرور الزمن وأهمها ثلاثة :

اولاً الفقر

ثانياً الاجترام والرذيلة

ثالثاً الطفيلية الاجتماعية واستعباد الضعفاء

وسنذكر كلمة وجيزة عن كل من هذه العلل الثلاثة

١ — الفقر

يحسن بنا الابتداء بالفقر فانه في مقدمة امراض الاجتماع وهو منبع شرور كثيرة بين الناس

لا يخفى ان النظام الاقتصادي الحاضر يوجد على الدوام طبقة من البشر المهزولين المعوزين الذين يتألمون تألماً جسمياً وعقلياً ويعجزون عن ان يعيشوا عيشة صحية مفيدة لافتقارهم الى ضروريات الحياة

وقليلون هم الذين يدركون مبلغ انتشار هذا الداء . ولما كانت الاحصاءات ناقصة في البلاد الشرقية فاننا نكتفي في هذا المقام بالكلام عن البلاد الانكليزية ويمكن اتخاذها مثلاً لسواها من البلاد الاوربية

يؤخذ من اوثق المصادر في هذا الشأن أن نسبة الفقراء من الاهلين في مدن انكلترا يتراوح بين ١٠ و ١٢ في المئة وقد حسبت لجنة كلفت درس هذا الموضوع أن عدد الذين يحتاجون الى الاعانة الرسمية من الكنائس في السنة يزيد على المليونين وتقدر النفقة على ذلك في بريطانيا العظمى وحدها باكثر من ١٦ مليون جنيه . أي انه يلحق الفرد نحو ٥ شلنات ونصف شلن وهو مبلغ يعادل ما يلحق الفرد

من نفقات التعليم . فتأمل ! على انه ينفق في سبيل الاحسان عدا ذلك ما لا يقل عن تسعة ملايين جنيه

ثم اذا قدرنا عدد الفقراء في انكلترا بثلاثة أو اربعة ملايين فانما نعني الذين هم في حالة فقر مدقع فهناك طبقة كبيرة من الناس على حدود الفقر تعيش على الدوام بين الفاقة وخوف الفاقة . وعدد هذه الطبقة يجاوز ١٢ مليوناً : فكأن ربع الشعب الانكليزي لا ينال قسطه من لذات الحياة ولا يستطيع التمتع بما في العالم من الخيرات والنعم المادية والمعنوية

ويلحق الفقر كما قلنا شرور ومفاسد ورذائل كثيرة لا حاجة بنا الى الافاضة في بيانها فليس بيننا من لم يرَ بعينه تأثير الفقر في العقول والاخلاق والاجسام

٢— الاجرام والرذائل

لقد انتشرت الجرائم انتشاراً عجيباً مع تقدم المدنية كما انتشر الفسق والشر رغم مساعي الحكومة والتربية والدين والفلسفة . فان عدد المجرمين يبلغ المليون في انكلترا كل سنة بوجه التقريب . ونصف هذا العدد على اقل تقدير لا يلبث أن يعود الى شروره ومساوئه بين الناس بالرغم من القوانين الجنائية والسجون

ويقدر المستهلك من المشروبات الروحية في انكلترا بنحو ١٦١ مليون جنيه في السنة

هذه ارقام تعين على فهم خطورة الحالة ولولا ضيق المقام لاوردنا أمثلة أخرى كثيرة في هذا الشأن وأبنا بالتفصيل تأثير الشرور والرذائل المختلفة في البشر

٣— الطفيلية الاجتماعية واستعباد الضعفاء

لا يخفى ان بين المخلوقات الحية ــ نباتات وحيوانات ــ انواعاً تعيش عالة على غيرها وهي الانواع الطفيلية على اختلافها ولا محل هنا الى الافاضة في بيانها انما غرضنا أن نشير الى أن في البشر ايضاً طبقة تقابل هذه الانواع . ولا تشمل هذه الطبقة الفقراء والمجرمين والمتشردين فقط بل تشمل ايضاً الاغنياء والكسالى الذين

لا يعملون عملاً مفيداً من الوجهة الاجتماعية . فقد خلق الانسان ليعمل . وكل من لا يعمل - مهما تكن حالته ومهما يكن مقامه - طفيلي في الواقع . لانه انما يعيش من عمل غيره بدون أن يزيد شيئاً على مجموع الاعمال التي هي قوام الحياة البشرية سواء كان ذلك في باب الصناعة أو التجارة أو الفنون أو العلوم أو الآداب أو الدين أو غير ذلك

ثم ان هناك طبقة أخرى مستعبدة تعمل اكثر مما يقتضيه العدل والانصاف . وهي في الغالب تعمل اعمالاً جسدية لا تبقي لها مجالاً لمشاركة الانسانية بلذاتها العقلية والروحية فضلا عما تحدثه من النحول والهزال والمرض الى آخر ما هناك من المصائب . وقد كان البشر يعدون طبقة العمال آلات لاحداث الثروة بقطع النظر عن شخصيتهم المعنوية . ولكن البشرية متحولة بالتدريج عن هذا النظر . وما الحركة الاشتراكية التي عمت جميع الاقطار والشعوب الا ثورة على تلك الحالة الجائرة ترمي في جوهرها الى الغاء الفروق بين الطبقات البشرية بحيث يتساوى الجميع في الحقوق والواجبات ولا يعود ثمت امتياز لاحد - اللهم الا لاقدر الناس على خدمة الناس

* * *

هذه نظرة اجمالية في امراض البشر الرئيسية . ومجال البحث واسع يستغرق المجلدات الضخمة وانما غرضنا الاشارة بالاجمال الى العلل المتأصلة في الاجتماع البشري حتى تتضح لنا ضرورة البحث عن العلاجات الشافية أو - على الاقل - عن الادوية التي من شأنها تخفيف هذه الحالة موقتاً ريثما يتيسر شفاؤها تماماً

ولو تأمل الانسان في الاضاعة الهائلة التي تلحق البشرية من الوجهتين الجسدية والروحية هاله عظم الخسارة واتضح له ان تلك الاضاعة حجر عثرة في سبيل التقدم البشري

العلاجات غير المفيدة

أما وقد شخصنا المرض فلننظر الان في طرق علاجه الشائعة الى هذا اليوم

تتلخص العلاجات التي استخدمها البشر من هذا القبيل في كلمتين : الارهاب والاعانة ـ الارهاب لمقاومة الرذائل والجرائم والاعانة لتحسين حال المعوزين والمحتاجين . ومن تبصر في هاتين الوسيلتين وجد انهما عجزتا كل العجز عن بلوغ الغرض المطلوب

فقد ثبت اليوم ان الارهاب ـ وان يكن له بعض التأثير في منع الجرائم ـ فان فائدته أقل بكثير مما كان يظن فقد حسبوا ان ٧٠ في المئة من المسجونين هم ممن سجنوا قبلاً مرة أو غير مرة مما يدل على ان العقاب لا يصيب جذور الداء . قال الاستاذ لاكسان Lacassagne الفرنسي « اذا دخل الرجل مرتين أو ثلاث مرات سجون باريس لا يعود ثمت أمل من اصلاحه بل يكون بمثابة عضو فاسد في الجسم الاجتماعي »

ففشل نظام العقاب بيننا يرجع الى كونه يرمي أولا الى المعاقبة لا الى الاصلاح . وقد ثبت اليوم ان السجن كثيراً ما يغلظ أخلاق المجرم ويزيده فساداً على فساده بحيث اذا خرج من السجن زاد الخوف منه . على ان الدول المتمدنة قد تنبهت الى هذا الضرر وأخذت في اصلاح طرق العقاب كما لا يخفى . ولكن ذلك لا يقتلع الجرائم من جذورها فان معالجة بعض المصابين بداء من الادواء لا يترتب عليها قتل جراثيم ذلك الداء وتوقيف عملها الخبيث . قال أحد الكاتبين في هذا الشأن : « لا تمكن ازالة الجرائم بمعاقبتها ولا باصلاح مرتكبيها كما انه لا تمكن ازالة وباء من الاوبئة بمعالجة بعض المصابين به وشفائهم منه . فالاجرام نتيجة عوامل اجتماعية وهو لا يزول الا بازالة تلك العوامل » ومثل البشر في ذلك كمثل الذي يخشى على منزله من تدفق الماء فيه فيعمد الى تفريغه بالقساطل شيئاً فشيئاً بدلاً من سد ماسورة الماء

ويقال نحو ذلك في طرق الاعانة المألوفة بين الناس فقد تفيد في تخفيف وطأة الحالة موقتاً ولكنها لا تصيب مكمن الداء ومستقره في الاجتماع البشري . فان ملايين الجنيهات التي تنفق كل سنة في هذا السبيل تستنفد من غير ان يقل عدد الفقراء . بل انه يزيد في كثير من الاحوال

ولا ريب ان الاحسان في غير محله مضر بل هو في نفسه داء تجب محاربته . وكلمة احسان واسعة المعنى فهي لا تعني بذل دريهمات من المال لاعانة متسول يمد اليك يده وانما الاحسان الحقيقي يكون ببذل الوقت والخدمة والفكر

ومن أحسن ما كتب في موضوع الاحسان رسالة للمستر كارنجي المثري الشهير عن طرق انفاق المال قال : « أول ما ينبغي الانتباه اليه في الاحسان ان يؤدي الى مساعدة المحسن اليهم على تحسين أحوالهم بانفسهم »

فما تقدم نرى أن العلاجين الرئيسيين اللذين استخدما الى هذا اليوم لا يفيان بالغرض المطلوب . ويترتب علينا اذاً أن نبحث عن الطرق التي من شأنها استئصال الداء من جذوره . ولا بد لنا قبل ذلك من استبانة هذه الجذور ومعرفة الاحوال التي تنشأ عنها تلك الامراض . وهو ما سنشرع فيه في مقالة تالية ان شاء الله

تحديدات للبلاغة

أبلغ الكلام ما حسن إيجازه وقلّ مجازه وكثر أعجازه وتناسبت صدوره واعجازه

أبلغ الكلام ما يؤنس مسمعه ويونس مضيعه

البليغ ما يجني من الالفاظ أنوارها ومن المعاني ثمارها

ليست البلاغة أن يطال عنان القلم أو سنانه أو يبسط رهان القول وميدانه بل هي أن يبلغ أمد المراد بالفاظ اعيان ومعان افراد من حيث لا تزيد على الحاجة ولا اخلال يفضي الى الفاقة

البلاغة ميدان لا يقطع الا بسوابق الاذهان ولا يسلك الا ببصائر البيان

الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فسلوه . ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك غافل فنبهوه . ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فعلموه . ورجل لايدري ولا يدري أنه لايدري فذلك جاهل فارفضوه

اغرب الجرائم التاريخية

﴿ الهلال ﴾ وعدنا القراء في الجزء الماضي بنشر سلسلة مقالات تحوي تفاصيل أشهر الجرائم الواقعية . وها نحن نبدأ اليوم بقضية ماري لا فارج التي كان لها شأن عظيم واشتغل بها الجمهور الاوربي زمناً طويلاً . وفي هذه القصة وامثالها عبر للمتبصر في أخلاق البشر فضلاً عن كونها لذيذة ماتعة في حد ذاتها

قضية ماري لا فارج

— ١ —

وصل شارل لافارج وعروسته البارزية الى قصر جلاندير . فدخلت العروسة الى مخدعها الجديد لكي تبدل ثوب السفر بثوبها الانيق وتخرج لاستقبال اقاربها الجدد واصدقاء زوجها وجيرانه الذين كانوا ينتظرونها في رحبة الدار لكي يهنئوها

مضت برهة غيرقصيرة والعروسة لم تبدُ حتى كاد المنتظرون يملون الانتظار لولا ان ام العريس واخته كانتا تجاملانهم وتتلطفان معهم

أما شارل فكان في رواق القصر يتمشى وقد قلق لتأخر زوجته فكان كل هنيهة بعد أخرى يحرك مزلاج باب المخدع تعجيلاً لها . ولما ضاق ذرعه ونفد صبره حرك المزلاج بعنف وقال غاضباً : « ماري . ماري . افتحي الباب . ما معناك في ايصادك الباب واحتباسك في مخدعك . اعلمي اني زوجك وان لي الحق ان آمرك ان تفتحي الباب »

ثم تمشى مرة أخرى في الرواق وهو يتميز غيظاً وعاد الى باب المخدع وقال هامساً : « ماري . بربك افتحي الباب . ان امي واختي لا تحسنان الظن لقاء هذا التصرف المستهجن . هذا اذا ضربنا صفحاً عن الآخرين . بالطبع لا تقصدين ان تقفلي الباب دوني وتدعيني خارجاً وأنا زوجك المحب المخلص »

وبالرغم من هذا التضرع لم ينل شارل جواباً بيد انه سمع لغط اثنتين في الغرفة هما العروسة ووصيفتها التي كانت مرافقة لها من باريس في مدة ايام العسل . واستأنف شارل التمشي وهو يكاد يفقد صوابه الى ان بدت امه في رأس السلم الموصل الى الرواق وقالت : « لله . ما معنى هذا الابطاء يا شارل »

— لا أدري يا أماه . اظن ان ماري تعبة جداً

— مهما يكن الامر يا بني فعلى ماري أن تجالد ما استطاعت . فان جميع المنتظرين في رحبة الدار من جيران واصدقاء مستغربون تأخرها

ثم انقلبت مدام لافارج الام نازلة في السلم وهي لا تكاد تستطيع كظم غيظها . أما شارل فعاد ثانية الى الباب وحرك مزلاجه وهمس بالحاح : « بربكِ افتكري في الموقف الحرج الذي وضعتني فيه . فبالله اخرجي من مخدعكِ واسلكي سلوك امرأة عاقلة »

عند ذلك رأى ورقة قد بدت من تحت الباب فانحنى وأخذها ونظر فيها بضعة اسطر كانت اول ما كتبته له زوجته في حياته لان مدة خطبته كانت قصيرة ولم يتح له ان كاتب خطيبته . فمشى الى مؤخر الرواق وهو يقرأ مضطرباً :

« شارل . لست ألومك ، ولا اريد ان اقول شيئاً ضدك ، وجل ما ارجوه هو ان تسمح لي ان اهجرك ، ان زواجنا كان خطأ فاضحاً ، واللوم عليَّ وحدي . أراني مضطرة أن أعترف لك اعترافاً مخجلاً

« رحماك يا شارل . اني أحب شخصاً غيرك . وهذا الحبيب كان يتتبعنا مدة رحلتنا في ايام العسل . آه يا شارل صفحاً وعفواً . وقد اجتمعت به سراً اذ كنت انسل من المخدع حين كنت مستغرقاً في نومك . اني خجلة جداً

« اما وقد عرفت هذا يا شارل فلا اظنك تريد ان ابقى معك . لا اطلب ان ترد لي ثروتي . اني اوقع على أية وثيقة تريدها واقسم اني لن ازعجك بعد الآن

« يا شارل أضرع اليك جاثية عند قدميك ان تكون رحيماً لي . فانسَ ماري التي أثمت لك »

ما كفى شارل تضرم حنقه على زوجته لاحتباسها في غرفتها والجمع ينتظرها بل ازداد ضرامه بما اذكته الغيرة في صدره اذ علم انها تحب آخر سواه وهو كان متيماً بها . واول خاطر خطر له هو ان يكسر الباب ويهجم عليها ويقتلها . بيد انه تذكر أن جميع الاصحاب والجيرة منتظرون فاضمحلت فكرة ارتكاب الجناية من باله وتجلد ونزل الى صحن الدار وانفرد بامه واطلعها على كتابة ماري

أما امه فمع شدة امتعاضها من كنتها ملكت روعها وقالت لابنها باسمة : « ما من كلمة من هذا الكلام صادقة . ان زوجتك استنبطت هذه الحكاية الملفقة لكي

تغضبك عسى أن تطلق سبيلها . ولا بدع أنها ترغب في ان تعود الى ذويها في باريس. أما ان لها حبيباً كان يتبعكما وقد اجتمعت به فليس صحيحاً اللهم اذا كنت صادقاً فيما قلتهُ لي عن سروركما في مدة أيام العسل الاربعة . فدعني اسوي الامر معها يا ابني. اذهب اليها مع عمك واشينك صديقنا القديمين ونحاول ان نردها الى رشدها وصوابها »

فأذعن شارل وهو لا يزال يائساً . وكان يتمنى ان يصدق ظن امه ولو تنازل عن كل ما يملك

ثم صعدت مدام لا فارج الام يصحبها العم والاشبين وشارل أيضاً . وجعلت تخاطب كنتها من وراء الباب وتناقشها بلطف الى ان فتحت ماري الباب فانسل الثلاثة الى المخدع وبقي شارل خارجاً . وكان المخدع كسائر غرف القصر قديم البناء وازي لا ينتظر أن يعجب عروساً قدمت حديثاً من باريس . وكانت عينا ماري مغرورقتين. فاستلمت مدام لافارج زمام الحديث وقالت بكل لطف وتؤدة : « أحقيق يا ماري انك كتبت تلك الرسالة القاسية لابني المسكين شارل وهل يمكن انك تكتبينها ؟ »

فاجابت ماري بحني رأسها . فاستأنفت الام كلامها قائلة :

ـ أجل يا عزيزتي . لقد أسأت اساءة عظمى لشخص يحبك حباً كالعبادة . ولولاي لكان شارل قد رمى نفسه الآن في بركة الحديقة . انه يحبك يا ماري. ألا تدرين انه يحبك ؟

فحنت ماري رأسها أيضاً والدموع تترقرق من مقلتيها

فتابعت مدام لا فارج الحديث قائلة : « أعلم جيداً ان ما كتبته في هذه الرسالة الجنونية محض اختلاق . قولي الصدق يا عزيزتي انك اختلقت هذه الحكاية عن حبيب آخر لك لكي تقتلي حب شارل لك ولكي يدعك تعودين الى باريس. أرى ان قصر جلاندير لا يعجبك لانه ليس كما كنت تنتظرين . أجل ـ ولماذا اكتم الحقيقة ـ انك لا تريدين ان تسكني معي ومع أخت زوجك . ولكني معلقة بشارل فلا أضحي بسعادته . واذا كانت سعادته تقتضي ان أنفصل عنكما فانفصل وأسكن مكاناً آخر . وجل ما أبتغيه منك يا حبيبتي هو ان تجربي ان تسكني معي

وهنا كان صوت الحماة خافتاً وماري قد أخذت تشعر بالخجل من نفسها . ثم استمرت مدام لا فارج في حديثها متلطفة : « أود ان أخبرك اننا احسن حالا مما

موظاهر فينا في هذا المنزل القديم الاعزل . فابقي فيه وتصرفي تصرف المرأة العاقلة وسيكون لك من الفلوس كل ما تحتاجين لاصلاح هذا القصر وجعله لائقاً لك . اني أرى القصر كما هو حسناً ولائقاً . ولكن شارل أخبرني انك خبت فيه ظناً وقلت انه قديم الزي عديم الاناقة . فجمليه كما تشائين »

فازدادت ماري خجلاً كما ازدادت مدام لا فارج عزة وأنفة وهي تقول : « قولي الحق يا ماري واعترفي انك اخترعت هذه الحكاية اختراعاً وانه لم يكن لك حبيب قط لا قبل زواجك ولا بعده »

فحنت ماري راسها موافقة على هذا القول . وكأن اشيين شارل لم يعتبر الحادث الا مزاحاً أو دعابة . فقهقه عند ذلك وقال : « يا شقية . هل تعنين انك اختلقت هذه الحكاية لكي تعودي الى باريس حيث لاتكونين هناك آنسة ولا زوجة ولا أرملة »

فاطرقت ماري باسمة . وقالت حماتها : « اذاً . لا نتكلم بعد بهذا الموضوع . هلمي ننزل الى صحن الدار وأنا ادبر الامر مع شارل . وسترين اني لا أدعه يضاجرك أو يزعجك

ثم خرج الاربعة وماري قد تحولت من فتاة حمقاء مضطربة المزاج الى عروس حسناء سمحة الخلق لطيفة الطبع

— ٢ —

لقد حان ان يعلم القارىء من كان هذان الزوجان الجديدان اللذان أصبحت شؤونهما الخصوصية أحدوثة الجمهور ليس في فرنسا فقط بل في انكلترا والمانيا أيضاً

أما ماري فهي ابنة الكولونل كابل أحد ضباط الحرس الذين كانوا في مكانة مكرمة عند نابوليون الكبير . هذه المرأة التي تخلد ذكرها في سجل المحاكم الجنائية الفرنسية كان يمكنها لو فسح الله باجل أبيها ان يخلد اسمها في التاريخ بين أسماء النساء الفرنسيات الزاهرات اللواتي لعبن أدواراً خطيرة الشأن في الحياة الاجتماعية لعهدهن

وكانت من جهة أمها حفيدة لمدام ده جنليس ودوق اورليانس الذي عرف في التاريخ بلقب « فيليب ايجالتيه » كان ذلك معروفاً جيداً في باريس لعهد زواج ماري ولسوء حظ ماري كابل ان أباها توفي اذ كانت طفلة . وامها تزوجت ثانية . فتبنتها عمتها مدام جارات التي كان زوجها مدير بنك فرنسا

وكانت عمتها عطوفة عليها جداً ومخورة بها ومع ذلك كانت صبوة ماري قليلة الائتناس اذ لم يتسنَّ لها الا صداقة ترب واحدة لعبت دوراً هائلاً في حياتها الزوجية القصيرة

هـذه الصديقة هي المدموازل ده نيكولاي من الاسرات الفرنساوية النبيلة. وكانت عمة ماري مشجعة لصداقة الفتاتين ولذلك كانتا تحبان الواحدة الاخرى حباً جماً كاختين

وكانت ماري وصديقتها مدموازل ده نيكولاي تذهبان وحدهما الى الكنيسة كعادة سائر الفتيات الرفيعات النسب . ولما كانت الطبيعة البشرية في فرنسا كما هي في سائر بلاد العالم انقادت الفتاتان الى مغازلة أول فتى رأتاه في الكنيسة وهو نصف اسباني مولداً يدعى فلافه

وبحسب قول ماري كابل أخيراً ان هـذا الفتى لم يكن عاشقاً لها بل لصديقتها ماري ده نيكولاي . وانما كانت ماري كابل تلعب دور الوسيطة بينهما وانما كان دوراً خطير المغبة ـ كانت تنقل رسائلهما السرية

على ان هـذه المغازلة لم تفض الى تحقيق حلم فلافه في بضعة الاشهر التي عرفهما فيها . وما بلغت ماري ده نيكولاي التاسعة عشرة حتى تزوجت المركيز ده ليوتو أحد النبلاء الفرنسيين المثرين . وأما فلافه فلم يبق له في ذهن صديقته الا ذكرى مخجلة . ولكن مدام ده ليوتو كانت حتى وفاتها تقسم انه ما من واحدة منهما اجتمعت به على حدة

أما ماري كابل فبعد زواج صديقتها ماري ده نيكولاي اصبحت خلواً من صديقة فعاشت مع عمتها عيشة هادئة في باريس حيث حام حولها عشاق كثيرون طلبوا يدها لانها لم تكن آية في الجمال فقط بل كان لها بائنة تناهز المئة الف فرنك

على انها لم تشأ أن تعطي يدها اعتباطاً فبقيت آنسة الى أن بلغت الثالثة والعشرين. وفي ذات يوم استدعاها عمها الى مكتبه وأخبرها انه علم ان فتى مثرياً من الريف يدعى شارل لافارج أتى الى باريس يبحث عن عروس . فاذا صحَّ ما يقال عنه كان خير زوج لها

وكان شارل في الثامنة والعشرين من عمره وأحد افراد أسرة نبيلة وذا تجارة في الحديد وأشغاله موفقة . وله قصر يدعى قصر جلاندير في مقاطعة لاكوراز .

وهو يبتغي زوجة ذكية متأدبة متعلمة تشاركه حياة الوحدة في بلده معظم فصول السنة

فآنست ماري ميلاً لفتى هذه خواصه وصفاته ورضيت أن تستقبله وكانت نتيجة المقابلة أن الفتى وقع لاول نظرة أسير حب للفتاة الباريسية البارعة الجمال الحادة الذكاء

وأما ماري فرأته ساذجاً ورأت ان خصاله وآدابه ناقصة أناقة ولباقة تعهدهما في الذين اعتادت الامتزاج بهم . في حين ان شارل لافارج صرح بافتتانه بها . على أن ذويها سرُّوا جداً بما علموه عن أحوال الفتى وتحققوا صحته ممن يثقون بهم . وما لبثت ماري ان اقتنعت ان شارل الساذج ينطوي على اخلاق كريمة وسجايا حميدة وان حبه لها لا بد أن يبتدع حبها له

وقد أبلغت ماري أن عليها أن تساكن حماتها وأخت زوجها المزوجة قسماً من كل سنة فلم تتقبض لهذا البلاغ لانه مألوف في أرياف فرنسا ان الزوجة تعيش مع أهل زوجها . ولذلك لم تعارض هذا الشرط . وما هي الا ايام حتى زفت ماري الى شارل في حفلة باهرة حضرها كثير من علية القوم في باريس . وكان من مزايا تلك الحفلة أن ماري فرقت الفلوس التي اهداها اليها عمها يوم زواجها على الاصدقاء الذين قارنتهم . وعلى أثر عقد القران ذهب العروسان متنقلين بضعة ايام العسل من مكان الى آخر ووجهتهما قصر جلاندير

وأما ماذا حدث في أثناء هذه السياحة القصيرة ـ الايام الاولى التي تنشأ فيها علائق الزوجية وتعرف فيها كمية وكيفية نسبة المرأة الى زوجها ـ فالشهادة التي شهدتها ماري بعدئذٍ صريحة بان شارل لافارج ما لبث ان تحوَّل من عاشق الى زوج . ولما استوثق من زوجته الجميلة صار يبدو بالوانه الحقيقية . أي انه ظهر خشناً جافاً مستبداً في أموره

وعلى ذلك لم تشك ماري من لؤم فيه . ولكنها قالت انها في مدة أيام العسل اتضحت عيناها ورأت انها قد تزوجت رجلاً مختلفاً عنها في الذوق لا يحب المطالعة ولا يميل الى الموسيقى ولا يعبأ بغير الشغل

زد على ذلك أن هذه الفتاة الخيالية رأت قصر جلاندير منزلها الجديد يختلف

كل الاختلاف عما كانت عائلتها تتوهمه وتوهمها فيه . فلم يكن قصراً بكل معنى الكلمة. بل كان منزلاً قديماً أقم خلواً من الذوق والاناقة والزخرفة تلتف به وتظله الاشجار يختلف كل الاختلاف عما وصفه صاحبه ولا سيما في ترتيبه الداخلي

وعلم ماري أن زوجها غشها بهذا الاسلوب الدنيء أثر فيها تأثيراً شديداً. وبحسب نظريات العلم الطبي الحديث لا نستغرب أن يفضي فشل ماري وخيبتها الى ثورة عصبها بحيث تصبح في الحال هستيرية المزاج . ولما تراءى لها أن حماتها وأخت زوجها قابلتاها ببرود أسرعت الى المخدع المعد لها وأوصدت بابها محتبسة في المكان الذي قيل لها أنه خصيص بها . وثم حدث الحادث الذي كان فاتحة الشر وعلة المصيبة

وانه ليستحيل الاستعلام عن حقيقة ما جرى بعد ذلك الحادث الغريب لان جميع الذين شهدوا بعدئذ تضاربت اقوالهم واختلفت رواياتهم

ولكن ما لا ريب فيه أن ماري لافارج اصطلحت مع زوجها صلحاً حقيقياً بفضل سياسة حماتها وحسن تعقلها واقنعته أنها لم تكن ذات عاشق في حياتها الماضية التي كانت فيها منصونة عام التصون تحت حماية عمتها وحراستها

ولم يقتصر الصلح على الظواهر ولا قصرت ماري توددها على زوجها فقط بل صادقت عماله ولاطفت جيرانه واصدقاءه . وبذلت جهدها في أن تسر أمه ايضاً . مع ان هذا الامر كان من أشق الامور عليها لان مدام لافارج أصبحت في الحال شديدة الغيرة والحسد بسبب ما كان يبديه ابنها الوحيد من الحب لزوجته وكانت تتداخل في شؤون الزوجين كلما تسنى لها التداخل

وبناء على رغبة شارل سلمت أمه أمر تدبير المنزل وسياسته وتدريب الخدم الى ماري . فاثار هذا الامر الحقد في قلب مدام لافارج الام ولا سيما لما كانت تراه من مخالفة تدبير ماري لتدبيرها

ذلك ان ماري ودت أن يكون كل ترتيب عصرياً على الاسلوب التمدني . فقد كرهت إيلام الولائم الكبيرة التي يتعاطاها أهل الريف والتي تشتمل على ١٥ الى ٢٠ نوعاً من الطعام بحيث يبقى المدعوون لدى المائدة من ٣ الى ٥ ساعات . وكانت ماري تحتم أن يبقى غطاء المائدة وسائر اقمشتها نظيفة خالية من البقع . وقد أفهمت الطباخ ان جدول الطعام يجب أن يحتوي على انواع قليلة ولكن يجب أن تكون الانواع كلها ومطبوخة طبخاً متقناً

وأما من قبيل علائق ماري مع زوجها فقد أجمع معظم الذين عرفوهما على أن الرجل لا يواظب على ملازمة زوجته ويرغب في تلبية كل رغبة لها اذا كانت هي غير مرضية له كل الارضاء . وتصرفٌ كهذا من قبيل الزوج يمكن أن يوجد في الاشعار أو الروايات ولكنه لا يوجد في الحياة الحقيقية

وكان شارل لا فارج رجلا حاد المزاج قليل السلطة على لسانه ولكنه لما كانت الايام تمر كان يزداد تعلقاً بامرأته . وكان اذا غاب عن المنزل بضعة ايام في شغله يكتب الى زوجته رسائل غرام وغزل . ومع انه كان شديد الاحترام والاعتبار لامه . كما يفعل سائر الفرنسيين الصالحين فقد ولى زوجته السلطة المطلقة على المنزل حتى على بعض الامور التي كانت أمه تظنها من خصائصها

وكان شارل وماري في نظر جيرانهما وأصدقائهما نموذج الازواج . وبحسن تدبير ماري أصبح قصر جلانديه منزلا تطيب الاقامة فيه

— ٣ —

وفي ذات يوم اتفق شارل لافارج وزوجته على ان يذهب شارل الى باريس لعقد قرض بغية توسيع دائرة شغله . ولكن شارل لم يطلع زوجته ولا أمه على ما بلغت اليه حالته المالية من التضعضع وانه بقطع النظر عن حاجته الى المال للعمل الجديد يحتاج الى المال لسد النقص الذي مني به موقفه المالي

وهنا سنحت فرصة حسنة جداً لماري اذا شاءت ان تنتهزها للذهاب الى باريس ورؤية ذويها وأصدقائها ولكنها لم تفه بكلمة من هذا القبيل بل سلكت مسلك المرأة العاقلة وقالت لزوجها: « ستكون في شغل شاغل فالافضل ان أبقى أنا هنا أهتم بشؤون البيت وسائر الاشغال اللازمة لتحسين مركزنا . فاذهب أنت يا عزيزي شارل الى باريس . وأنا أفعل كل ما في وسعي لمساعدتك فاعطيك توصيات لجميع أصدقاء عائلتي لكي يساعدوك »

على ان ماري استهجنت أمراً وامتعضت له وهو اصرار زوجها على اصطحاب المسيو دنس ناظر أشغاله . وكان لهذا الرجل نفوذ وتأثير شديدان على شارل وكان بينهما معاملات مالية سرية لم تكن ماري تدري من أمرها شيئاً . ولم يكن أحد يشك ان دنس هذا لعب دوراً خطيراً في هذه المأساة المحزنة . وبحسب رأي محام الماني كتب كتاباً خاصاً بهذه القضية ان دنس لا ماري كان يجب ان يقف في موقف المتهم

وقبل أن يبرح لافارج وناظر اشغاله الى باريس مرضت ماري فلازمها زوجها ممرضاً لها . ولما تعافت فاجأته بخبر غير منتظر وهو انها تأثرت جداً من عنايته بها ومما بدا من حبه الصادق لها فكتبت وصيتها بان يرث بعدها كل ما تملكه ويتمتع به مدة حياته . واذا لم يرزقا ولداً فهذه الثروة تنتقل بعده الى ذوي قرباها . فتأثر لافارج من عملها هذا الذي كان برهاناً صادقاً على حب زوجته فقابلها بمثله وكتب وصيته موصياً بثروته كلها لها

أما ماري فارسلت وصية زوجها الى محامٍ في باريس وابقت وصيتها عندها . فاستغرب الناس عملها هذا ولكنها عللته بعدئذ بقولها ان حماتها وأخت زوجها اعتادتا أن تبحثا دائماً في اوراقها وانهما كانتا تتمعضان من كل ماتقرآنه في الرسائل التي ترد اليها

واخيراً ذهب شارل لافارج الى باريس وفي الحال جعل يبادل زوجته الرسائل الرقيقة اللطيفة . وكانت ماري بارعة في الانشاء كبراعتها في الجمال فكانت تصف في رسائلها وصفاً مؤثراً وحشتها التي كانت تجدها في غياب زوجها . وكذلك شارل قابلها بالمثل وأخبرها تفاصيل ما أوجب سفره الى باريس . والحقيقة انه لم يكتب لها كل شيء . وهو ودنس قضيا أشغالاً مالية خصوصية مختلفة لم تعلم الا بعدئذ

ولما مضى على شارل في باريس شهر حدث حادث غريب كان له شأن عظيم بعدئذ عند الجمهور ولا سيما عند القضاة والمحلفين

وتحرير الخبر : أن قصر جلاندير كان مسرحاً للفئران منذ قديم الزمان كسائر منازل الارياف القديمة . ولذلك اوعزت ماري الى احد خدمها أن يشتري لها مقداراً من الزرنيخ لكي تسمَّ به الفئران . وعلى أثر هذا الحادث كتبت ماري لزوجها أنها مرسلة له علبة تحتوي على نوع من الكعك مصنوع في المنزل وعلى صورة لها صورتها احدى الجارات

وقد عرفت مدام لافارج الام بمهارتها في خبز الكعك ولا سيما الكعك الصغير المبسوس بالقشدة

وقد اقترحت ماري في كتابها على زوجها ان يأكل واحدة من هذه الكعكات الساعة الثانية عشرة في ليلة معينة لانها هي ستأكل واحدة في ذلك الموعد عينه . ورجته ألاَّ يخبر أحداً عن اقتراحها هذا

وصلت العلبة في حينها الى باريس ولكن شارل لم يفتحها بنفسه بل كلف أحد

خدم الفندق ان يفتحها ففتحها الخادم وهو ولافارج رأيا ان العلبة لا تشتمل الا على كعكة واحدة كبيرة . فقطع لا فارج قطعة منها وأكلها قائلاً : « ان زوجتي ارسلت اليّ هذه »

ففي تلك الليلة مرض شارل مرضاً شديداً كما ثبت ذلك من سجل الفندق لانه بقي في اليوم التالي في سريره وكان الخادم يأتيه بطعام مريض

وكانت بقية الكعكة متروكة في دُرْج حتى بعد عودة لافارج الى باريس فاتفق ان أحد الخدم عثر عليها فأكل قطعة منها فاصيب بنفس الاعراض التي أصيب بها لافارج

وبعد ذلك كانت ماري تبدي قلقاً على صحة زوجها . وقالت ان وهماً سطا على عقلها انها ستكون أرملة ولهذا كانت بائسة ومكتئبة . ولكن لم يثبت هذا الامر اذ ليس عليه دليل الا شهادة حماتها التي اعتقدت بعدئذ ان كنتها سممت ابنها

وأما شارل فحالما تعافى عاد الى قصر جلانديه يصحبه ناظر اشغاله دنس . وفي طريقهما عرجا الى محام أقرض لافارج الف جنيه ذهباً . ولكن هذا الامر كان مكتوماً عن ماري وحماتها

والآن بلغنا الى رواية المأساة الحقيقية وموعدنا بها العدد القادم ان شاء الله

حكم

لا يرد القضاء الا الدعاء

لا يزيد في العمر الا البر

لا حليم الا ذو تجربة

لا فقر أشد من الجهل ولا مال اعون من العقل ولا وحدة اوحش من العجب ولا مظاهرة أوثق من المشاورة

لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له

لا يغني حذر عن قدر

لا ينبغي لمؤمن أن يذل نفسه

لا ترج السلامة لنفسك حتى يسلم الناس منك (حديث)

نابوليون والصحافة

عنايته بها وتعويله عليها

قال أحدهم انه لو لم يكن نابوليون قائداً عظيماً لكان كاتباً بارعاً . قد يكون في هذا القول شيء من المغالاة ولكن فيه أيضاً جانباً عظيماً من الحقيقة . فان لمنشورات نابوليون مقاماً خاصاً في الاداب الفرنسية . ولا غرابة في ذلك فان الرجل العظيم



بونابرت في مصر

ـ مهما يكن اتجاه عظمته ـ يحوي العامل الرئيسي الذي يكوّن الكاتب ألا وهو « الفكرة » أو الروح

وقد كان نابوليون في مقدمة الذين أدركوا مقام الصحافة ونفوذها فاستخدمها لاغراضه في أدوار حياته المختلفة . ولكنه لم يتردد ـ حين خاف وطأتها ـ عن مراقبتها أشد المراقبة والتضييق عليها بجميع الوسائل التي كانت في يده

أطلقت حرية النشر في زمن الثورة الفرنسية فكان نابوليون من الذين استفادوا من ذلك . وأول عهده في الادب أنه في سنة ١٧٩٣ (وكان اذ ذاك في رتبة كابتن

وعمره ٢٤ سنة) وزع بنفسه بين الضباط والجنود رسالة صغيرة كان قد طبعها وعنوانها « عشاء بوكير » Le Souper de Beaucaire سرد فيهما ما دار بينه وبين بعض الاهلين من الحديث عن المسائل الجارية والاحوال السياسية . ووضع ذلك في قالب جذاب يغبطه به امهر الصحافيين اليوم . وكان غرضه صيانة الجمهورية الوليدة التي كان من اشد انصارها . وقد قررت الحكومة طبع تلك الرسالة على حسابها وتوزيعها بين جميع الطبقات مجاناً

وبعد ذلك بثلاث سنوات فكر في انشاء جريدة تنشر آراءه بين الجمهور . ولكنه قبل ان يخرج فكرته هذه الى حيز العمل شرع في نشر رسائل عمومية موجهة الى حكومة الديركتوار . فكان يطبعها بالالوف ويوزعها بين الجنود والضباط

وأخيراً أنشأ صحيفة سماها « بريد جيش ايتاليا » Le Courrier de l'Armée d'Italie وقد كان رئيس تحريرها المسمى جوليان يكتب بايعاز بونابرت وبناء على مذكراته وتعليماته . على ان ذلك لم يكف بونابرت فبعد بضعة أسابيع أنشأ صحيفة أخرى سماها « فرنسا كما يراها جيش ايتاليا » (الذي كان يقوده هو) La France vue de l'Armée d'Italie وقد استفاد بونابرت من هاتين الصحيفتين اعلاناً عظيماً عن نفسه واستخدمهما في محاربة الصحافة الملكية والحزب الملكي

ولما كان في مصر أنشأ جريدتين احداهما Le Courrier d'Egypte والاخرى La Décade Egyptienne

على ان بونابرت بعد ان استتب له الامر أصبح أشد المقاومين للصحافة خوفاً من نفوذها وسلطانها . فاخذ في أقفال الصحيفة بعد الصحيفة حتى لم يبق في أوائل سنة ١٨٠٠ الا ١٣ صحيفة رضيت بالمراقبة الشديدة التي أقامها عليها

وكان يعنى عناية خاصة بالصحف الانكليزية والالمانية التي كانت تترجم له كل يوم . فان تهجماتها عليه كانت تؤثر في نفسه أشد تأثير ولكي يستطيع الرد عليها استولى على جريدة « المونيتور » Le Moniteur التي تأسست سنة ١٧٨٩ . وقد كانت هذه الجريدة قسمين قسماً رسمياً يدرج المنشورات والقرارات الحكومية وقسماً سياسياً يحرر في مكتب نابوليون الخاص . وقد كان نابوليون يطلع بذاته على المسودات المطبوعة كل يوم

قال نابوليون عن هـذه الصحيفة وهو في جزيرة القديسة هيلانة « ليس فيها حرف يجب عليّ محوه بل أنها ستظل دائماً مبرري كلما احتجت الى مبرر » وكانت معظم هذه الجريدة تبحث في مسائل السياسة الخارجية

ولما رأى أنه يتعذر عليه كتابة كل ما يدور في خلده في جريدة « المونيتور » التي كانت لها صفة رسمية أنشأ جريدة نصف أسبوعية سماها Le Bulletin des Armées ثم جريدة L'Argus التي ادعى أنها لسان حال الجمهوريين الانكليز المقيمين في فرنسا وقصده من ذلك ايقاع الخلل في السياسة الداخلية الانكليزية

وزاد تشديد نابوليون على الصحافة مع استئثاره بالحكم فانه لم يشأ أن يُسمع صوت في البلاد غير صوته . وما برح بعد تتويجه امبراطوراً كما كان وهو قنصل أول يطلع على المقالات التي تنشر في « المونيتور » ويحور فيها بل كثيراً ما كان عليها أو يعطي التعليمات بشأنها

وقد الغى عدة جرائد اكليريكية واستبدلها بجريدة واحدة سماها Journal des Curés

واذ كان في ميلان عين مراقباً خاصاً « لجورنال الديبا » الشهير وفرض على اصحابه دفع أجرة ذلك المراقب

وبلغ نجاح نابوليون في الصحافة أن مترنيخ الوزير النمسوي قال « أن محادثة الملك لرعيته مباشرة أمر مستجد في التاريخ . وقد افتتح نابوليون هـذه الطريقة واستفاد منهـا فوائد عظيمة » وقد شاء أن يجاريه بانشاء صحيفة تكون لسان حال الدول المتحالفة ضد نابوليون ولـكنه لم يفلح

خواطر

ليست الموسيقى في جوهرها الا الحب والبرهـان على ذلك انك لا تستلذها الا اذا شاركك في التمتع بها شخص آخر رومان رولان

المتشائم الحقيقي ليس الا ضعيفاً عاجزاً زولا

لنعمل كما لو كان حلم اليوم سيتحقق غداً فوجيه

لا تقس فضيلة الرجل بما يجهد نفسه لعمله بل بما يعمله في حالته الاعتيادية بسكال

عجائب المخلوقات

فأر السم

نوع جديد من التصفيح في عالم الحيوانات

ليس من يجهل أن الطبيعة قد جهزت بعض انواع الحيوانات بصفائح تقيها شر الاعداء والطوارئ . على ان اشكال التصفيح متنوعة تتناول جهازات مختلفة — ففي



فأر السم
وفي الدائرة اهاليا الساحر الافريقي وهو واقف على ظهر الفأر

في السمك تتخذ شكل الاسفاط المعروفة عند العامة باسم قشر السمك . اما السلاحف فتحتمي في بيوتها المعهودة التي تحملها أينما ذهبت . ولبعض الحيوانات كالدلدل والقنفذ وغيرها اشواك مختلفة الحجم والشكل

وبين الحيوانات المنقرضة نوع كان مدرعاً بدرع زردي . فقد كانت بشرته محشاة بعظام صغيرة تقيه عضات حيوان اكبر منه كان يطارده مطاردة دائمة

على أن نوع التصفيح أو التدريع الذي نحن بصدده اليوم يختلف عن تلك الانواع المتقدمة . وقد اكتشفه اخيراً عالمان من العلماء الاميركيين في أثناء رحلة الى اواسط افريقيا . واليك تفصيل ذلك :

أوفد المستر لانج والمستر شابين الاميركيان الى جهات الكونغو ليجمعا نماذج من الحيوانات التي تعيش فيها بقصد ارسالها الى معرض العلوم الطبيعية في نيويورك . وبينما هما ذات يوم في احدى رحلاتهم بصرا بجماعة من الوطنيين محيطين بعبد اسود . فلما تبينا العبد عرفا انه ساحر القرية . ثم أن ذلك العبد اخذ يقوم بحركات بهلوانية ويبدي اشارات غريبة والقوم حوله يرقبون حركاته واشاراته فلم يتمالك الاميركيان عن الاقتراب منهم لمعرفة الداعي الى هذا الاجتماع . وهاك ما رأياه :

كان الساحر يسرد ما لاحد الحيوانات من المزايا العجيبة مدعياً انه اذا اتخذ احد الناس تميمة له من بعض اعضائه اصبح في مأمن من كل شر ولم تصبه السهام ولا الحراب . ثم اخرج من كيسه حيواناً عرف الاميركيان أنه نوع من الفأر المسمى فأر السم Musaraigne ووضعه على الارض ووضع فوقه للحال احدى قدميه ثم رفع قدمه الاخرى (كما ترى في الشكل المنشور في الصفحة السابقة) بحيث أصبح ثقل جسمه (الذي لا يقل عن ٨٠ كيلوغراماً) على ظهر ذلك الفأر . وأخذ يتكلم ويصيح وبعد دقائق قليلة استخرج الفأر من تحت قدمه . وكان الناس يظنونه قد قضي عليه فاذا هو لم يتأثر أقل تأثير من تلك التجربة

ولكي يثبت مزية هذا الفأر على سواه استخرج من كيسه فأراً آخر وفعل به مثل ما فعل بالاول فلم يكد يضع قدمه عليه حتى سحقه

ولم يكن عالمانا ليقتنعا بوجود قوة سحرية في فأر السم . فارادا أن يبحثا عن سر مقاومة ذلك الفأر وكانا قد لحظا ان الساحر وضع قدمه على ظهره ولم يضعها على رأسه ورقبته

فشرعا في العمل استجلاء لذلك السر فاتيا بفأر من النوع الذي استخدمه الساحر واخذا في تشريحه تشريحاً في غاية الدقة لعلهما يجدان في تركيبه ما يعينهما على فهم مزية هذا الفأر الغريبة في بابها

قضيا زمناً وهما يشرحان الفار الى ان بلغا السلسلة الفقرية فادركا ان كل السر في تركيب تلك السلسلة . فان عظام هذا الفأر بوجه الاجمال أقوى وأمتن من عظام الانواع الاخرى التي من جنسه وحجمه انما مزيته الكبرى ترجع الى تركيب سلسلتــه الفقرية . فالفقرات فيها عريضة متينة تغطي قسما كبيراً من الظهر كأنها قبة مستطيلة تحمي الاعضاء التي تحتها من كل طارىء

وقد حار العلماء الطبيعيون في تعليل هذا النوع من التصفيح الذي لم يعهد قبلاً في عالم الحيوانات . اذ لا يخفى ان العلماء عنـد ما يجدون خاصة كهذه لا يلبثون ان يجثوا عن السبب الذي من أجله نشأت تلك الخاصة . وهم يعتمدون في ذلك على مذهب النشؤ والارتقاء الذي يعلل هـذه الظواهر بنظرية الانتخاب الطبيعي - أي ان الطبيعة تنمي في الانواع الصفات التي تعينها على البقاء

فلماذا أنمت الطبيعة مزية الفأر الذي نحن بصدده على هذه الصورة ؟ وما هي الاحوال التي ساعدت على نمو تلك الصفة وبروزها ؟

جرب أحد علماء الحيوان تعليل ذلك بقوله ان هذا الفأر يعيش في دهاليز يحفرها تحت الارض . ولما كانت الارض في تلك الجهات مؤلفة من طينة سريعة التفتت وكانت الامطار تنهار عليها في فصل الشتاء فتعرض دهاليز الفار للسحق والدمار لم يبق من هذا النوع على ممر الاجيال الا الافراد الذين مكنهم تركيبهم التشريحي من مقاومة تلك الطوارىء فنمت هذه الصفة بالتدريج الى ان بلغت شكلها الحالي الذي وجدت فيه

الاوكابي

حيوان غريب الشكل

ذكرنا في المقالة السابقة خبر الرحلة العلمية التي قام بهـا بعض الاميركيين الى جهات الكونغو . ومن الامثلة التي أتت بها هذه الرحلة نوع من الحيوانات القاطنة تلك الجهات يسمى الاوكابي . والانموذج المصور هنا صغير السن وقد كان لاحقاً بوالدته حـين تمـكن أعضاء الرحلة من اصطياده ولم يبد مقاومة حينئذٍ ولـكنه مات بعد اسبوعين

وأول انسان أبيض البشرة رأى حيواناً من هذا النوع في موطنه الطبيعي كان السر هاري جونستون المندوب الانكليزي الخاص في أوغندا . فقد وصفه بالتفصيل واليك بعض ما قاله عنه :

« ان ألوان هذا الحيوان تحمل على الدهشة والاستهجان فان فكيه وخدوده صفراء اللون ضاربة الى البياض بخلاف العنق القاتم اللون . أما الجبهة فشديدة الحمرة



الاوكابي

ومثلها الاذنان مع شيء من السواد . . . ثم ان بقيـة الجسم مؤلف من الوان مختلفة متمازجة . . . . »

والخلاصة ان تلون هذا الحيوان يجعله أميناً من أنظار الحيوانات التي تضمر له الشر فان تلك الالوان تندمج كل الاندماج مع البيئة التي يعيش فيهـا الاوكابي فلا يظهر فيها قط . وهذا مثال من توافق ألوان الحيوانات مع بيئاتها

المارشال فوش

اعظم قائد ابرزته اعظم حرب بشرية



المسيو بوانكاره يقدم عصا المارشالية الى المارشال فوش

خير ما نفتتح به هذا الجزء من الهلال ترجمة المارشال فوش الذي خلد اسمه في صفحات التاريخ بما ناله من الفوز الباهر — ذلك الفوز الذي انقذ البشرية من خطر العبودية ووطد اركان الحرية والمساواة بين الامم والشعوب . اجل انه أعظم قائد ابرزته هذه الحرب التي هي بلا ريب اعظم حرب عرفتها الانسانية . وسيذكر

اسمه بجانب اسماء هانيبال وقيصر ونابوليون واشباههم الا انه يمتاز عنهم جميعاً بكونه أوقف مواهبه الحربية لخدمة العالم ولم يجعل العالم خادماً لمطامعه الحربية - كما كان الامر فيما مضى

ولا تقتصر عظمة المارشال فوش على البراعة الفائقة التي ابداها في خططه الحربية بل ان عظمته الحقيقية ترجع الى المبادئ الفنية التي قررها في مؤلفاته والتي كان يلقيها على تلاميذه في المدرسة الحربية بعد توليه رئاسة تلك المدرسة فان روحه وتعاليمه كانت رائد الضباط ، كباراً وصغاراً ، الذين كان عليهم المعول الاكبر في احراز النصر . فلئن كان لفوش القائد فضل كبير على العالم فانما الفضل الاكبر يرجع الى فوش الملقن والمعلم

ومن الاتفاقات الغريبة ان اسم فوش Foch مشتق في الاصل من كلمة Focus اللاتينية أي النار . ولفظ فوش يستعمل الى اليوم بهذا المعنى في بعض اللهجات الشائعة في جنوبي فرنسا . فكأن اسمه رمز عن الشعلة المتأججة في صدره - شعلة النبوغ والعبقرية

* * *

وُلد المارشال فوش في بلدة تارب من جنوبي فرنسا في ٢ اكتوبر سنة ١٨٥١ وكأن تلك الجهة من فرنسا - جهة جبال البيرينيه - قد تعهدت بتقديم كبار القواد لفرنسا فقد ولد فيها نفر من أشهر القواد الفرنسيين ويكفيها فخراً انها انجبت أعظم قائدين في هذه الحرب وهما المارشال جوفر والمارشال فوش

على ان موطن العائلة الحقيقي ليس بلدة تارب بل بلدة فالنتين القريبة منها . في سنة ١٧٨٠ بنى فيها جد المارشال فوش منزلاً للعائلة لا يزال قائماً وفيه تسكن اليوم شقيقته التي تكبره سناً . وقد كان فردينان فوش يتردد في حداثته كثيراً على منزل جده حيث كان يقضي ايام الاعياد والاجازات المدرسية . وعلى مقربة من المنزل ضريح يضم رفات افراد العائلة ومن عادات المارشال فوش انه يزور ذلك الضريح كل سنة وبذا يحفظ صلته باحبائه الذين برحوا هذا العالم

والمارشال فوش اليوم أخت اسمها أوجيني تسكن فالتين كما ذكرنا وشقيقان أحدهما جبريل المحامي في تارب والآخر جرمان وهو من أعضاء الرهبنة اليسوعية وأصغر اعضاء الاسرة سناً. يليه في السن فردينان (المارشال) ثم جبريل ثم أوجيني وهي البكر.

وقد كان والد المارشال عند ولادته سكرتيراً عاماً للمقاطعة . وكانت أمه ابنة ضابط من ضباط نابوليون . ويقال ان المارشال في طفولته كان كثير الحركة رديء السلوك ولكن يؤخذ من مراجعة سجلات مدرسة تارب ان سلوكه ما لبث ان تحسن مع تقدمه في الصفوف حتى أنه لما بلغ الصف الرابع كانت علاماته من افضل العلامات بل ان أستاذه في الرياضيات وصفه اذ ذاك بقوله : « له عقل هندسي وفيه استعداد ليكون يوماً من البارعين في الرياضيات الحربية »

وقد تنقل المارشال فوش في مدارس شتى مع تنقل والده في الوظائف الادارية فبعد تارب ذهب الى رودز فبولينيان فسانت ايتان . وقد تمت معظم تربيته في مدارس اليسوعيين

واخيراً في سنة ١٨٦٩ دخل كلية سان كليمان المشهورة في ذلك الحين بتأهيل الشبان لدخول مدرسة الرياضيات الحربية Ecole polytechnique ولا يزال رفاق المارشال فوش في تلك المدرسة يذكرون اخلاقه وقتئذٍ وهو في الثامنة عشرة من عمره . فقد كان يجمع بين الصفات المتناقضة في الظاهر مثل الحزم واللين ومثل الحدة والرزانة . وكثيراً ما كان يمشي ورأسه منحنٍ نحو الارض . وفي سنة ١٨٧١ دخل مدرسة الرياضيات الحربية وبعد سنة ونصف سنة أتم الدروس اللازمة فيها. ثم دخل المدرسة الحربية من سنة ١٨٨٥ الى ١٨٨٧ اذ أتم دراسته فيها وكان الرابع في صفه

وقد تقدم المارشال فوش ببطء في مراتب الجيش فانه لم يحز رتبة كولونيل الا في الثالثة والخمسين من عمره ولم يسلم قيادة جيش الا في سن ٦١ سنة

وقد علم فوش في المدرسة الحربية بصفة مساعد أستاذ من سنة ١٨٩٥

سنة ١٩٠١ ثم بصفة أستاذ التاريخ الحربي والخطط الحربية واخيراً عين رئيساً لتلك المدرسة من سنة ١٩٠٧ الى ١٩١١

* * *

وعلى ذكر تعيينه رئيساً للمدرسة الحربية يجدر بنا أن نشير الى أن كليمنسو الذي كان اذ ذاك رئيس الوزارة توسم فيه الخير لبلاده فاستدعاه اليه حين خلا منصب رئاسة المدرسة الحربية وعرضه عليه فشكره فوش وقال له :

— ولكنك لا تجهل يا حضرة الرئيس ان أحد اخوتي يسوعي (وقد كان كليمنسو من أشد المقاومين لنفوذ الرهبنات في فرنسا)

فاجابه كليمنسو على الفور :

— اني اعلم ذلك واهزأ به . فانما عليك أن تخرج ضباطاً صالحين ـ هذا هو الامر الذي يهمنا

ويمتاز المارشال فوش بصفتين اهلتاه لذلك المنصب الخطير وهما انه يطالع كثيراً يلاحظ كثيراً . أما المطالعة فقد قرأ كل ما له علاقة بالفنون الحربية ولا سيما كتب الالمان . وأما الملاحظة فانه يعنى باقل الدقائق واتفه التفاصيل . يحكى عنه أنه بعد معركة المارن شهد فرقة من المدفعية تمر امامه فرأى خيلاً غير منتظمة السراج فاستدعى الضابط ولفت نظره الى ذلك فاعتذر هذا بان رجاله لم يستريحوا منذ بضعة ايام وفي ذلك ما يشفع باهمالهم الطفيف فما كان من فوش الا ان اجابه : « انك لفي خطأ . فبالمحافظة على جميع القوانين يتم النظام الذي سوف ينيلنا النصر »

* * *

وقد كان المارشال فوش عند ابتداء الحرب قائداً للفرقة العشرين . وقد تقلب بعد ذلك في مناصب مختلفة فعين قائداً للجيش التاسع ثم مساعداً للقائد العام ثم قائداً لمجموعة جيوش ثم عضواً في مجلس الحلفاء الحربي ثم رئيساً لاركان الحرب واخيراً عين قائداً عاماً لجيوش الحلفاء . وقد قام في هذه المناصب جميعاً بخدم جزيلة انالته رتباً وسامات مختلفة

وقد امتاز فوش على الخصوص في ثلاثة مواقف :

الاول في معركة المارن الاولى فان الجيش الالماني لما بوغت بالجيش الفرنسي السادس القادم على يساره من جهة باريس لم يرَ له مناصاً الا بمهاجمة الجيش التاسع الذي كان تحت قيادة فوش ولكن فوش بعد ان تلقى هجمة الالمان كر عليهم واجبرهم على التقهقر . وقد كان ذلك التقهقر اول صدمة لقيها الجيش الالماني

الثاني في معركة الايزر اذ هجم الالمان هجوماً عنيفاً بقصد الوصول الى كاليه فصدهم فوش وقد كان لديه خمس فرق اربع منها فرنسية وواحدة انكليزية مع بقية الجيش البلجيكي يقابلها من الفرق الالمانية ما يتراوح بين ١٢ و ١٥ فرقة . وقد كان موقف الحلفاء من احرج المواقف ومع ذلك لم يتخلوا عن مواقعهم وقد تيسر لهم ذلك بفضل حكمة قائدهم فوش

أما الموقف الثالث فما هو الا موقف الحلفاء على أثر هجمات الالمان الاخيرة التي كان اولها هجوم ٢١ مارس الماضي . ففي ٢٤ مارس اذ كان الخطر عظيماً على جيوش الحلفاء — بعد ان تمكن الالمان من فتح ثغرة في الخط الانكليزي — عقد مجلس ضم المسيو بوانكاره والمسيو كليمنسو ولورد ملنر والسر دوجلاس هايج والجنرال فوش والجنرال بيتان . فبعد المداولة تقرر تكليف الجنرال فوش أمر التوفيق بين الاعمال الحربية . وللحال قبل السر دوجلاس هايج — حباً بالمصلحة العامة — أن يطيع أوامر قائد فرنسي كما قبل الجنرال بيتان أن يتلقى التعليمات ممن كان بالامس دونه في الرتبة

وبعد انتهاء تلك الجلسة خرج الحاضرون الى الحديقة وكان الجنرال فوش سائراً امام الجميع وعلى جانبيه الجنرالان بيتان وهايج يليهم المسيو بوانكاره والمسيو كليمنسو . وبينما هم يمشون وقف فوش بغتة وأخذ يرسم على الرمل خطوطاً وهو يشرح لزميليه كيف ينوي توقيف الهجوم الالماني ثم وضع يده على كتف الجنرال هايج والتفت الى المسيو بوانكاره والمسيو كليمنسو وقال لهما : « سوف نظفر بهم »

ولم يكن فوش ممن يخلفون الوعود فقد ظفر بهم بالفعل وكسرهم شر كسرة

تكريم العلماء والادباء

في العالم العربي قديماً وحديثاً

تكريم النابغين ، واجلال رجال العلم والادب ، أحياء كانوا أو أمواتاً ، سنة ليست جديدة في الشرق كما قد يظن بل هي عادة متأصلة في نفوس العرب في جاهليتهم واسلامهم ، في تمدينهم وقبل تحضرهم . وقد أذكرنا احتفال العلماء وأهل الفضل بتأبين المرحومة ملك ناصف (باحثة البادية) في أول هذا الشهر بما كان يجري من أمثاله عندهم فاردنا ان نبين ذلك وعلى الاخص في عهد الحضارة الاسلامية أيام كانت الامة تكرم العلماء والادباء كيف كانت تجلهم واغنهم ، ونبدأ ذلك بكلمة عن التكريم في الجاهلية

التكريم في الجاهلية

كان للعرب في الجاهلية غير مؤتمر واكادمية للتفاخر وتكريم النابغين منهم . فكانوا يجتمعون في عكاظ أو سوق مجنة أو سوق ذي المجاز أو البيت الحرام موضع حجهم ، فكان أدباؤهم وهم ذوو الرئاسة والمكانة فيهم يتنافسون بالادب والحكم ويقفون بهذه الاسواق لانشاد الشعر والقاء الخطب حتى يعترف لهم بالنبوغ والتبرز فيكرموا . وكيفية التكريم عندهم انهم اذا اجتمعوا بسوق عكاظ ضربت قبة لاكبر الشعراء في عصره تكريماً له كما فعلوا بالنابغة الذبياني الذي سمي أشعر العرب فجلس في القبة وجاءته الشعراء كما جاءه حسان مثلاً وعرضوا عليه أنفس أشعارهم وقام الحارث بن حلزة يتبختر بين الجموع تبختر الجاهلية ويقول :

آذنتنا ببينها اسماء ... رب ثاو يمل منه الثواء

بعد عهد لنا ببرقة شما ... ء فأدنى ديارها الخلصاء

ومن انواع التكريم في الجاهلية والاسلام مسح وجه الفرس السابق ومسح وجه فارسه . قال صاحب شفاء الغليل « انهم كانوا يمسحون وجه السابق من خيول

الحلبة تكريماً وربما مسحوا وجه فارسه » . ولقد صارت جملة « مسح الوجه » مرادفة لكلمة تكريم لانهم تجوزوا بالمعنى الاصلي عن كونه كريماً في حلبة المجد مبرزاً على أقرانه حائزاً قصبات السبق في ميدان المكارم ومضمار الكمال كما قال جرير :

اذا شئتم أن تمسحوا وجه سابق جواد فمدوا في الرهان عنانيا

وقال ابن عبد ربه :

واذا جياد الشعر طاولها المدى وتقطعت في شأوها المبهور
خلوا عناني في الرهان أو امسحوا عني بغرة أبلق مشهور

التكريم في الاسلام

أما في الاسلام فلم يكن احتفاؤهم وتكريمهم مقصوراً على الشعراء والادباء فقط بل تجاوزوه الى العلماء والفضلاء فكانوا يقيمون الاحتفالات الحافلة لتكريمهم في حياتهم وتأبينهم بعد موتهم . وتغالوا في ذلك حتى أقاموا الحفلات عند الانتهاء من درس وختم الكتب الهامة التي كانوا يدرسونها في معاهدهم الدينية والعلمية ، فكان المتعلم اذا ختم القرآن أو انتهى من درس كتاب معتبر في الحديث أو الفقه كصحيح البخاري أو صحيح مسلم أو الموطأ للامام مالك ونحوه احتفل به احتفالاً شائقاً يحضره كثير من رجال الفضل والادب فتلقى فيه الخطب والقصائد وتكثر فيه المذاكرة

وقد دون التاريخ من أمثال حفلات التأبين والتكريم شيئاً كثيراً وحفظ لنا ما لا يحصى من الخطب والاشعار التي قيلت في هذه الاحتفالات بل ان كتب الفقه نفسها قد أثبتت وجود ذلك فقد عدّ الفقهاء في كتبهم تأبين الميت ورثاءه وذكر محاسنه قبل الدفن وبعده من البدع واستدلوا على ذلك بما روي من الآثار المعروفة في كتب السنة . وهذا يدل على ان القرون المتقدمة كان فيها كل ذلك والا فما كان لتنبيههم هذا معنى

هذا وتكريم الاحياء للاحياء ــ وهو المقصود من هذه الكلمة ــ كان شائعاً

عندهم شيوعاً عظيماً وما ذلك الا لتقديرهم العلم حق قدره واجلالهم له في شخص أهله فكانوا يتحينون الفرص والمناسبات للاحتفاء بهم حتى انهم كانوا يقيمون حفلات التكريم عند ظهور كتاب فريد أو مؤلف هام فيحتفل به أفاضل العصر احتفالاً يردد ذكره الامصار المتنائيـة والاقطار البعيدة . فكما احتفل اهل هذه النهضة منذ سنوات بالبستاني عند ظهور الياذته العربية في لوكندة شبرد و بشكري غانم عند تمثيـل رواية عنـترة بالفرنسية كما سيأتي ـ وقد ظُن ان ذلك غاية ما استحدث من ضروب التكريم ـ كذلك كان في عهد الحضارة العربية . فمن ذلك الاحتفال بالعلامة ابن حجر عند فراغه من تأليف كتابه « فتح الباري في شرح البخاري » فقد احتفل به احتفالاً شائقاً حضره من العلماء وافاضل الادباء الذين حفظ التاريخ أسماءهم ثمانون بل نيفوا على ذلك أما علماء الطبقة الثانية وغيرهم من الادباء والوجهاء وما دونهم فاولئك لا يبلغهم الحصر. وقد نظم الادباء والشعراء القصائد العامرة في هذا الاحتفال للتنويه بفضل المحتفل به . فمن ذلك قصيدة للشهاب المنوفي مطلعها :

تمنعت بدموع الصب في حجب فانظر لشمس الضحى في حلة السحب

ومنها :

شرحت صدر البخاري مثل جامعه فراح ينشد هـذا منتهى الطلب

هـذا وحقك عام الفتح حج به لبيت فضلك وفد العلم عن رغب

وقول الصلاح الاسيوطي من قصيدة :

كم للبخاري من شرح وليس كما قد جاء شرحك في فضل وتتميم

وقول البرهان البقاعي صاحب التفسير المعروف من قصيدة :

بابي الخدود نواضراً حسناتها كنواظر الغزلان في الدينار

قصدت يكون المسك حسن ختامها فتعلمت من ختم فتح الباري

وهناك قصائد عديدة في هذا التكريم لجماعة من العلماء كشمس الدين الدجوي والخطيب برهان الدين المليجي ومحب الدين البكري وشرف الدين الطنوبي وشمس

الدين النواجي ذكر بعضها المقتبس (سنة ١ ص ٣٤٤) وعنه أخذنا بعض ما تقدم ولما فرّق مؤلفه (وهو المحتفل به) صرر فضة ومجامع حلوى انشد الدجوي :

بفتح الباري انشرح البخاري واحمد ختمهُ بالفضل جامع
أدار دراهماً صرراً فانثني وحلوى فيهِ تأخذ بالمجامع

ومن حفلات التكريم في الاسلام الشبيهة بما تقدم ايضاً ما اتى به الجبرتي في تاريخه من الاحتفال بتكريم صاحب « تاج العروس » المشهور ، وذلك انه لما اكمل اللغوي الشهير السيد مرتضى الزبيدي قاموسه تاج العروس سنة ١١٨٨ احتفل بالتنويه بهذا المؤلف البديع احتفالاً حضره علماء ذلك العصر وكبار ادبائه منهم الشيخ علي الصعيدي والدوذير والعيدروس والاجهوري والامير الكبير وعبادة العدوي وابو الانوار السادات وغيرهم كثير كما فصله الجبرتي

هذا وهنالك أمثلة عديدة من انواع التكريم في عصور الحضارة الاسلامية ، اذ لكل عصر صبغة خاصة وأساليب مختلفة ومهما تباينت الاساليب والنظم فالجوهر والقصد واحد وهو تكريم الرجال النافعين اجلالاً وتشجيعاً لهم واعترافاً بفضلهم وتقديراً لعلمهم وخدماتهم حتى يكون ذلك قدوة ومثالاً لغيرهم . ونجتزئ بما تقدم عن الاسهاب بذكر امثلة اخرى اذ ان المقام يضيق عن ذلك

تكريم الادباء والعلماء في العصر الحاضر

اما في هذا العصر فاول حفلة عقدت في هذا السبيل هي حفلة سليمان البستاني عند ظهور الياذته العربية عقدت في فندق شبرد سنة ١٩٠٤ . تليها حفلة عقدت لتكريم شكري غانم سنة ١٩٠٦ على اثر تمثيل رواية عنترة بالفرنسية بحضور ناظر المعارف وقنصل فرنسا . ثم عقدت حفلة ثالثة لتكريم حافظ بك ابراهيم الشاعر الشهير سنة ١٩٠٨ لانهُ احسن الظن بالسوريين بما نظمه فيهم . ثم حفلة تكريم لحافظ بك ايضاً بمناسبة الانعام عليه بالرتبة الثانية حضرها العلماء والوجهاء في قاعة الكونتنتال وتصدر الحفلة وزير المعارف يومئذ احمد حشمت باشا . وفي ابريل

سنة ١٩١٣ عقدت الحفلة التكريمية الخامسة في الجامعة المصرية لتكريم خليل مطران بمناسبة الانعام عليه بالوسام المجيدي الثالث . وفي ٢٧ يونيو سنة ١٩١٣ احتفل رجال العلم والقضاء بتكريم المرحوم احمد فتحي زغلول باشا في دار الجامعة المصرية اعترافاً بخدمته العلم وهي الحفلة التكريمية السادسة من نوعها اشترك فيها نخبة العلماء ورجال القضاء . وبعدها بسنة تماماً في يونيو سنة ١٩١٤ أقيمت الحفلة التكريمية السابعة في شبرد لتكريم واصف بك غالي لمحاضرته الثمينة التي القاها في باريس عن العرب وكتابه الجليل في شعرهم ورقيهم وتفوقهم فكانت حفلة ادبية زاهرة تبارى فيها كبار الشعراء والخطباء بما القوه من القصائد العامرة والخطب النفيسة نقتطف منها ما قيل في التكريم . فما قاله اسماعيل باشا صبري في تكريمه :

أي صوت حيَّتهُ بالامـ ـس باريس مقرّ العلوم والعلماء
يا سجل الخلود افسح مجالاً لاسمه في صحيفة الفضلاء
ان من طيب الثناء لزهراً تجتنيه مسامع الاكفاء

ومما قاله شوقي بك في التكريم :

غالِ في قيمة ابن بطرس غالي علم الله ليس في الحق غالي
نحتفي بالاديب والحق يقضي وجلال الاخلاق والاعمال
يظهر المدح رونق الرجل الما جد كالسيف يزدهي بالصقال
رب مدح أذاع في الناس فضلاً وأتاهم بقدوة ومثال
انما يقدر الكرام كريمٌ ويقيمُ الرجال وزن الرجالِ
واذا عظَّم البلاد بنوها انزلتهم منازل الاجلال

﴿ تكريم النساء ﴾ وكل هذه الحفلات كما قلنا هي من قبيل تكريم الاحياء للاحياء . وهي غير حفلات تأبين الاموات التي لا تعدُّ لكثرتها عندنا ، وكان أهمها : تأبين فقيد الادب البارودي وفقيد العلم الشيخ محمد عبده وغيرهما . الا ان هذين الضربين من التكريم والتأبين قاصران في عهد نهضتنا هذه على الرجال . أما تكريم فضليات النساء وتأبينهن واحتفال كبار الرجال من العلماء والعظماء والادباء

بتأبين ذات خدر فان مصر لم تشهده من قرون قبل تأبين المرحومة ملك ناصف. فهو اول عمل من نوعه من بين الاعمال الجليلة لهذا العصر الحديث وروح جديدة وبدعة حسنة. وهـذا الضرب من تكريم الرجل للمرأة لا بد ان يشعرها بمنزلتها ويغري الكثير من فضليات النساء على التحلي بفضيلتي العلم والعمل حتى يكن قدوة لامثالهن ولقد قال احد الخطباء في هذا التأبين: «ابلغوا النساء أيها السادة الكرام اننا نكرم النساء العالمات كما نكرم أعاظم الرجال»

امنية من اماني التكريم

نأتي في نهاية هـذه الكلمة على أمنية طالما ارتاحت لها النفوس الكبيرة وأطالت الجرائد والمجلات ذكرها والمطالبة بها وهي تخصيص مكان أثري لانشاء مدفن عظيم يجمع رفات العظماء وكبار الرجال فيدفن فيه العلماء وأفاضل الادباء وكبار الكتاب والشعراء ومن أحسن خدمة الامة وأسدى للوطن خدمات صادقة من السلاطين والوزراء والمصلحين والسياسيين وغيرهم من المشاهير كبانثيون روما وباريس: فبانثيون روما هو الكنيسة الوحيدة الباقية من عهـد رومية القديمة وكان يشترط على كل شيخ في مجلس الشيوخ (في القرن الثامن للميلاد) من جملة ما ينبغي الاحتفاظ به كنيسة البانثيون وكان يدفن بها بعض قديسيهم وأعاظم رجال الدين. والذي يعجب له انك ترى فيها الى جانب أضرحة رفائيل وانيبال كاراشي المصورين العظيمين وغيرهما من كبار المصورين والنقاشين والمهندسين ضريح الملك فيكتور عمانوئيل المدعو ابا الوطن لانه قام بالوحدة الايطالية وخلف لذريته من بعده التاج الايطالي وضريح ابنه الملك همبرت الاول

أما البانثيون بباريس فقد أقامه الفرنسيون في أوائل القرن الماضي على مثال بانثيون روما لتدفن فيه رفات العظماء في العلم والسياسة. فمتى يا ترى تتحقق هذه الامنية ويقوم فينا من الاعاظم من يكونون في عقولهم واعمالهم على مستوى أولئك العظماء الذين انشأوا هذه المدافن في حياتهم وجمعت رفاتهم بعد مماتهم لتقوم مدنيتنا على احسن الدعائم كما قامت المدنيات الاوربية

ع . عبادة

نظرية جمعية الامم

والصدمات التي تتلقاها

نعود الى الحلم اللذيذ الذي أصبح المجتمع الانساني بعد خمود ثورته الهائلة وهو يحلمه . أجل انه حلم ألذ من حلم الطفلة بالدمية وحلم الفقير بالثروة وحلم العاشق بالحبيبة ، حلم هجعة الماضي بيقظة المستقبل ، حلم العالم الفزع من فظائع الحروب بالامن في عهد سلم طويل الامد ، حلم علماء السياسة والاجتماع بانعقاد « جمعية الامم »

النظرية بدعة

ان فكرة « جمعية الامم » ـ وقد فهم جمهور القراء والمطالعين والمتمدنين معنى جمعية الامم ـ غريبة بازاء المألوف من النظامات البشرية الغابرة والحاضرة . فقد مرّ على المدنية لا أقل من ستة آلاف سنة والامم منفصلة متباينة متنافرة لا يهدأ ثأرها الا بعد إعياء من حرب أو حروب ولكن تتأهب لحرب أو حروب . والقول بامكان اتفاقها في « جمعية » على نظام عام يزع الامة المعتدية ويردع الامة القترية وينصف الامة المعتدى عليها ويضمن العدالة بين جميع الامم ويكفل الحق لهن ويقضي بالواجب على كل منهن ويصون ميزان السلم والامن مستوياً ـ القول بالاتفاق على هذا النظام يتراءى لمن ألف فوضى الامم الماضية بدعة مستهجنة

أجل انه بدعةٌ . وكل نظام مستحدث نقض نظاماً متقادم العهد كان عند أهل النظام القديم بدعة

لو كان العالم منذ القديم المجهول الى الحاضر المعلوم سائراً على وتيرة واحدة من النظامات الاجتماعية وغيرها لكان كل جديد مخالف للقديم بدعة شاذة لا تثبت فترة من الزمن . ولكن التاريخ الوثيق يثبت لنا أن كل نظام كان يتطور متحولاً من حال الى حال ومتغيراً من شكل الى شكل حسب مقتضى الحال ، ويؤكد لنا أن النظامات الاجتماعية والسياسية القديمة لم يبقَ منها الا آثارها ، وأن النظامات

الحاضرة لم يكن منها في الماضي الا نواتها أو جراثيمها . واذا كانت نظامات الطبيعة نفسها ـ النظامات التي يقال أنها ثابتة (وما هي ثابتة الا بالنظر الى الزمن المحدود الذي يتحرك فيه العقل البشري) غير ثابتة بل هي متغيرة في وسط الزمن السرمدي ـ فأحر بالنظامات الاجتماعية ان تتغير. اذاً ليست كل بدعة شذوذاً . بل ان كثيراً من البدع اصبح ايماناً وعقيدة

صدمة الطمع للنظرية

ان الصدمة الشديدة التي تصدم هذه الفكرة ـ فكرة جمعية الامم ـ هي نظرية « ان الطمع غريزة في الاحياء عموماً ومن جملتها الانسان » ولذلك يقول جاحدو الفكرة « انه ما دام الطمع غريزة في قلوب البشر فلا رجاء في اتفاق الامم على ذلك النظام العام الذي يضمهن جمعاء وينصف بينهن . ازل الطمع من القلوب يصبح العالم كله إخوة وثمت لا تبقى حاجة لنظام البتة ـ فهل يمكن ان تزال غريزة الطمع ؟ »

هذا القول كله صحيح الا قضية واحدة يتضمنها أو تستنتج منه . وهي « ان الغريزة لا تتغير » والحقيقة ان الغرائز كشكل حادث كوني قابلة للتغير . الزحافات في البر تسلسلت من اسماك البحر ، وطيور الهواء تسلسلت من دبابات الارض ، وغرائز هذه تختلف عن غرائز تلك . وبالاختصار يقال ان درس عالمي الحيوان والنبات يرينا بأجلى بيان تطور الغرائز وتحولها من حال الى أخرى أو بعبارة أخرى يرينا نشوء غرائز جديدة وتلاشي غرائز قديمة . والغرائز الانسانية خاضعة كغيرها لناموس التطور . ومن أمثلة ذلك ان الرحمة غريزة في انسان اليوم المتمدن والقسوة غريزة في متوحشي الازمنة القديمة وبقاياهم ، وآداب المتمدنين كلها بدع عند الهمج وغرائز عند اهلها

تطور الغرائز

وهنا يقول المتشائم جاحد فكرة جمعية الامم : « اذاً فلننتظر الى أن تزول غريزة الطمع من الانسان وتحل محلها غرائز القناعة والعدالة والانصاف وثم تصبح فكرة جمعية الامم ممكنة البروز الى حيز الفعل . فلننتظر هذا التطور المنتظر-

تطور غريزة الجشع وتحولها الى غريزة الرضى بالحق وحده »

فاجيب : أن الغريزة ناشئة حادثة لا أصلية ثابتة . الغريزة بنت العادة ، والعادة بنت التكرار والمزاولة والمواظبة ، والتكرار تقضي به احوال البيئة ، والبيئة متغيرة . فكل تغير في الطبيعة يفضي الى التغير في الحي ، في الانسان ، في الاجتماع . وبالعكس كل تغير بشري انما هو نتيجة تغير في البيئة أو سائر الاحوال الزمانية والمكانية

الحيّ - والانسان على الخصوص - يكيّف نفسه حسب مقتضيات بيئته أي حسب الاحوال المحيطة به مكانية وزمانية . وحفظ بقائه أو الحرص على كيانه يضطره الى هذا التكييف غير مختار . لانه اذا لم يضحّ بشيء من هنائه ولم يكلف نفسه مشقة هذا التكييف أصبح عرضة للفناء والانقراض . وهذا التكييف يقضي عليه بتغيير شيء من طبائعه وتطوير بعض غرائزه بالرغم منه

وعلى ذلك كل نظام اجتماعي قد قضت به الاحوال فنشأ وتجسّم وتفرع متطوراً حسب مقتضيات هذه الاحوال . فاذا كان بقاء أمة او حفظ كيانها أو سعادتها وهناؤها أو أي مصلحة لها تقضي بنظام ما انساقت الى تقليد هذا النظام ولو كان معاكساً لغريزة فيها وقاهراً لسابقة لها ومقاوماً لطبع من طباعها

النظام مقاوم لغريزة الطمع وغيرها

ولذلك تجد أن معظم النظامات الاجتماعية منافية لغرائز البشر . مثال ذلك : القوي ميال الى اهتضام حق الضعيف وهذا الميل غريزة فيه ولكن مصلحة الجماعة اقتضت أن يكون ثمت قانون يردع القوي عن اهتضام الضعيف . فرضخ القوي مع الضعيف لهذا القانون رغبة في سلامة المجموع الذي هو جزء منه لكي يضمن لنفسه السلامة أيضاً

وهكذا اذا تحريت في جميع القوانين والنظامات وجدتها مناقضة ومقاومة لغرائز وأميال في الانسان وقاهرة لها . ازل القانون تظهر الغرائز والاميال والاهواء . وحيث لا غريزة متجاوزة من فرد الى فرد - أو بعبارة أخرى حيث لا غريزة في فرد تدفعه الى أذى فرد آخر - فلا موجب لقانون ولا داعي لنظام . ان القانون عدو الغرائز ، عدو الاهواء والاميال ، أو بعبارة أفصح عدو ما يسمونه رذائل

غريزية . القانون والنظام وُجدا لكي يقتلا الغريزة الضارة بالغير ويلاشيا ما يسمونه رذيلة . القانون والنظام يسبقان تهيئة الطبع للبيئة ويعدّان السبيل لتكييف الانسان نفسه للاحوال المستجدة التي قضت عليه بمقاومة غرائزه . القانون والنظام سابقان لتطور الغريزة ـ غريزة الطمع وغيرها

وبعد هذا البيان يتضح للمتأمل كل الاتضاح أن فكرة جمعية الامم لا تحقق كنتيجة لتلاشي الطمع من قلوب البشر بل أن غريزة الطمع تتلاشى كنتيجة لتحقيق هذه الفكرة . ليس من الضروري أن تستأصل غريزة الطمع من جذورها بل يكفي أن يتلاشى الطمع تدريجاً بقوة النظام والقانون وحينئذ يقل الخطر من بقاء غريزته في النفوس . فاذا لا تقل : « أزل الطمع من القلوب فيتيسر تنفيذ فكرة « جمعية الامم » . بل قل « ألّف جمعية الامم لمقاومة أفعال غريزة الطمع ومع التمادي تتلاشى الغريزة نفسها ـ نشأت الشريعة لمقاومة الطبيعة ولم تكن الطبيعة لتنشىء الشريعة »

الانسان المتمدن بين القانون والنظام

مع ذلك أرى القارىء يتململ ويقول : « لم تزل الفكرة (فكرة جمعية الامم) نظرية صعبة التنفيذ لاني لا أقدر ان أتصوّر أن الطمع تلاشى من الامم فاتفقت الامم على تسليم سلاحها « لجمعية الامم » ورضخت لهذه الجمعية . لانه ما دام هناك أمم اقوى من أمم فلا تعف الامة القوية عن الطمع في الامة الضعيفة ولا ترمي سلاحها كبرهان على هذه العفة . ولذلك لا أرى ان النظام أو القانون يكفي لاستئصال غريزة الطمع أو لردع هذه العاطفة وكبح جماحها » . وربما خطر لقائل هذا القول ولغيره أن الوسيلة الوحيدة لكبح جماح الطمع والتخفيف من غلواء الجشع البشري وملاشاته تدريجاً انما هي التربية الصحيحة الصادقة المبنية على مبادىء الفضيلة

أني معك . ان التربية الصحيحة الصادقة هي الكفيل بمقاومة غريزة الطمع وقهرها وملاشاتها . ولكن لا تنس امراً وهو أن التربية اذا لم تكن مقرونة بالعقاب في هذه الدنيا على مخالفة مبادىء الفضيلة وبالتهديد بهذا العقاب قلَّ تأثيرها جداً . وكل قانون اجتماعي مدني أو أدبي منفّذ بقوة السلطة المسيطرة انما هو عامل فعَّال من عوامل التربية النافعة ، بل هو العامل الاول والافعل . ولا تربية مؤثرة وناجعة في

اصلاح الاخلاق (الاصلاح الذي هو في عرفنا تكيف الطبع بمقتضى الاحوال) الا تربية القوانين النافذة ـ اي فعل هذه القوانين في تعديل الاخلاق وتطويرها

لا تستهجن هذا القول

ان الانسان المتمدن لهو ابن القوانين والنظامات المدنية الفروعة المنفذة بالقوة . وما هو ابن « التعاليم » . واذا كنت ترى فضيلة في الانسان يبدو بها عفواً من غير أن يضطره القانون الى التخلق بها فاعلم انه قد اكتسب هذه الخصلة مبدئياً من جراء تأثير القانون المنفذ ـ ان لم يكن قد اكتسبها بنفسه فقد اكتسبها بالوراثة . والاصل في غرسها فيه هو تأثير القانون النافذ فيه وفي اسلافه من قبله

الانسان أمر ألاَّ يسرق وإلا عوقب فصار يمتنع عن السرقة حتى ولو تسنت له ـ صار يمتنع عنها مخافة العقاب . ثم زاول الامتناع عنها . ولما تكرر هـذا الامتناع صار عادة فيه . فاصبحت العفة عنده ملكة وأصبح يأنف السرقة ولو كان في مأمن من الرقيب أو الشاهد العدل . فمصدر غرس هذه الفضيلة فيه انما هو القانون المهدد بالعقاب . فاذا كانت فضائل الانسان نتيجة فاعلية القوانين المنفذة فيه فاحر بان يكون ارتداعه عن الطمع في غيره نتيجة فعل هذه القوانين وان كان الطمع لم يزل من قلبه

القانون والنظام اصل والتربية التعليمية فرع

أجل أن التربية التعليمية في البيت والمدرسة والمعبد لازمة ومفيدة ولكنها غير كافية ولا بد معها من تربية القانون المدني المنفذ بالقوة . وما التربية المنزلية والمدرسية الا ملحقة بالتربية القانونية المرغمة

ولو كانت التعاليم بالمبادئ القومية في البيت والمدرسة والمعبد كافية وحدها لتقويم الجنس البشري وتطوير غرائزه الوحشية لكانت الوف السنين التي مرت على البشرية كافية لجعل الانسان الحاً اوضياً في صلاحه

ان التعاليم السامية التي كرز بها رجال الدين وعلم بها الفلاسفة والحكماء وقدستها الامم المتمدنة واجمعت امم الارض على صحتها وتربى بموجبها جميع اهل اوروبا والامم المتمدنة — ان هذه التعاليم والمبادئ السامية لم تستطع أن تردع فئات من الامم التي اشتبكت في هذه الحرب في عصر المدنية هذا عن ارتكاب أفظع الفظائع

واجترام اشنع الجرائم حين تخلّى النظام عن مقامه ونزل القانون عن كرسي سلطانه

وقد اثبتت لنا حوادث التاريخ القديمة والحديثة المتعددة انه حينما كان النظام يتقلقل والقانون يتزعزع لاي سبب (ولا سيما حين يحون الوقت لتطور في النظام لان كل تطور يقضي بالاضطراب والتقلقل) كان سواد الناس يدوسون الفضيلة ويمزقون حرمة الاديان وينفضون عنهم ثوب التعاليم الصالحة وينغمسون في حمأة الرذيلة ويتمادون في ارتكاب المنكرات ويأتون من الفظائع ماتأتيه الوحوش الضارية. فلا الدين ولا الاداب ولا خوف يوم الحساب الاخير ولا التربية التعليمية كانت تستطيع ان تعصمهم عن اتيان الشرور . واما النظام الزمني والقانون القاضي بالعقاب الدنيوي هما اللذان كانا يزعانهم عن ارتكاب الشر أو عن ارتكاب معظم الشر

وليس ذلك فقط بل أن كثيرين من الناس اومن فئات الناس كانوا في كل زمان وفي هذا الزمان أيضاً يتذرعون بدعوى التدين والتمسك بالفضيلة للاستبداد واهتضام الحقوق والاغتيال والانتقام الى غير ذلك من المعاصي . وفي التاريخ الوف من الشواهد على استخدام اسم الدين لكثير من الرذائل والتواري وراء ستار الفضيلة لارتكاب الآثام

فاذاً التربية الدينية وبث المبادئ الصالحة لا يكفيان بل لا تأثير كافياً لهما في وضع الحق في مقامه ورد الامن الى نصابه . واما التأثير الاول بل التأثير الوحيد لحفظ الامن وتأييد الحق (بقدر الامكان) للنظام والقانون النافذين . فوظيفة التربية التعليم ، ووظيفة النظام التنفيذ . التربية ترشد وتعلم وتدل على الصالح والصواب . والنظام يرغم على ملازمة الحق ومجانبة الباطل . يلزم بالعدل ويردع عن الحيف والجور — التربية فلسفة والنظام عمل

فاذاً نظام جمعية الامم لازم لمقاومة مطامع الامم وهو الكفيل بهذه المقاومة . واشتداد مطامع الامم بعضها ببعض هو السبب الكافي للاسراع بتنظيم جمعية الامم . ولولا احتدام المطامع لما كانت ثمت حاجة لهذه الجمعية . واما الاتكال على التربية وحدها في ردع مطامع الامم فقد ثبت مما تقدم انه لايقضي لبانة وان كان لازماً وواجباً كممهد السبيل لتنظيم الجمعية

وأما كيف يمكن عقد الجمعية مع وجود المطامع المقاومة له فله بحث خاص سيختم به هذا الموضوع الخطير . فليتوقعه القارئ في حينه

صدمة عدم تبادل الثقة

بقيت صدمة أخرى عنيفة تصدم فكرة جمعية الامم تخطر على بال كل مفكر في الامر وهي فقدان الثقة المتبادلة بين الامم وسوء الظن المتبادل بينهن جمعاء

أي إن المفكر في الامر يقول : « سلمنا ان جميع الامم أصبحت مقتنعة تمام الاقتناع (ولا سيما في أثناء هذه الحرب) بان الوسيلة الوحيدة لحفظ السلم وتلافي الحروب ولضمانة حقوق كل أمة انما هي هذه الجمعية التي تسيطر على سائر الامم سيطرة نافذة – سلمنا بذلك وجميع الامم مقتنعة بصحة هذه النظرية . ولكن دون تحقيق هذه النظرية عدم ثقة الدولة الواحدة بالاخرى وتخوف كل منهن من غدر الاخرى وايجاس كل واحدة من خيانة غيرها وشرها . هذا اذا اغضينا النظر عن مسألة الطمع وفرضنا ان كل واحدة منهن اصبحت تعتقد ان كبح جماح طمعها اضمن لسلامتها وسلامة مجموع الامم من التمادي في التسليح والتأهب للحرب بغية احراز مطامعها – فما الوسيلة لتأييد الثقة المتبادلة بين الامم وازالة هذا التخوف والايجاس من صدر كل منهن حتى يتسنى لهن الاتفاق على عقد الجمعية والرضوخ لها »

لقد انتهى المجال المعين لهذا المقال في الهلال فوعدنا بالبحث في هذه النقطة وفي غيرها من نقط هذا الموضوع في العدد القادم ان شاء الله

من ادب العرب

قال حكيم لحكيم : ما السؤدد . فقال اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة . قال فما الشرف فقال كف الاذى وبذل الندى . قال فما الثناء فقال استعمال الادب ورعاية الحسب . قال فما المجد فقال احتمال المغارم وابتناء المكارم . قال فما المروءة فقال عرفان الحق وتعاهد الصنيعة . قال فما السماحة فقال حب السائل وبذل النائل . قال فما الكرم فقال صدق الاخاء في الشدة والرخاء

قال بعضهم : لا خير في قول الا بفعل ولا في مال الا بجود ولا في صدق الا بوفاء ولا في فقه الا في ورع ولا في صدقة الا بنية

اغرب صفحات التاريخ الاسلامي

صور من حياة المسلمين ابان تمدينهم

[الهلال] نشرنا في السنة الماضية نبذاً طريفة تحت هذا العنوان لحضرة الاديب صاحب التوقيع ، وقد راقت القراء كما اعربت عن ذلك رسائلهم الينا ، لهذا سنستمر على نشر نبذ اخرى في هذا الباب من حين الى آخر

العرب واسنان الذهب

قد يُظن اليوم أن تركيب الاسنان الذهبية من مستحدثات المدنية الغربية في هذا العصر ولكن التاريخ ينبئ بعكس ذلك اذ يخبرنا أن العرب قد استعملوا الاسنان الذهبية في اقدم عصور حضارتهم ـ ولا جديد تحت الشمس ـ فقد روى ابن عبد ربه في العقد الفريد ان أمير المؤمنين عثمان بن عفان حينما كبر وتقدم في السن شد أسنانه بالذهب وقال غيره انه وضع سناً من ذهب . وروى الجاحظ في كتابه البيان والتبيين عن أبي الحسن المدائني : ان عبد الملك بن مروان لما شدّ اسنانه بالذهب قال : « لولا المنابر والنساء ما باليت متى سقطت [1] »

ومعلوم أن تركيب السن من ذهب أو شد الاسنان بالذهب يستدعي مهارة بالصناعة وعلم عظيم بها . وقد كان ذلك في عصور تمدينهم الاولى فكيف بهم حينما تقدموا في المدنية فان التاريخ مشحون بالامثلة العديدة على ذلك وقد اكتفينا منها بهذين المثلين لغرابتهما ولكونهما حجة لمن يتأثم فعل ذلك ، ولقد رأيت في بعض الكتب أنه يُحل استعمال الذهب والفضة في ثلاث : السن والمصحف والسيف

استعادة العرب الشيء بالتصفيق

من عادات العرب استعادة الشيء اذا استحسن كما يقول الافرنج Bis أي « اعد » . ومنها التصفيق بالايدي كما هو شائع اليوم بين المتحضرين ، فقد روى

(١) البيان والتبيين ج ١ ص ٢٤

صاحب يتيمة الدهر : ان أبي محمد الخازن كان ماثلاً بين يدي الصاحب بن عباد ينشده قصيدة له فكان الصاحب مقبلاً عليه بجامعه حسن الاصغاء الى انشاده مستعيداً اكثر ابياته مظهراً من الاعجاب به والاهتزاز له ما يعجب الحاضرين فلما وصل في انشاده الى نصفها زحف عن دسته طرباً وجعل يحرك رأسه مستحسناً فلما بلغ الى آخرها استعاده الصاحب وصفق بيديه [1] . وروى ابن الخطيب ان الوليد الاندلسي لما حج عرج في منصرفه على مصر لقي بها أبا الطيب المتنبي فأطالا في الحديث ملياً ، ثم قال المتنبي « ألا تنشدني شيئاً لمليح الاندلس ؟ » يعني ابن عبد ربه (صاحب العقد الفريد) فانشده الوليد شيئاً من شعره فصفق له واستعاده ثم قال « يا بن عبد ربه لقد تأتيك العراق حبواً »

المائدة عند العرب

كان طول المائدة عندهم ٥٠ ذراعاً وكانوا يرتبون المقاعد عليها بالنسبة لمكانة الاشخاص وقربهم وبعدهم من كبير القوم الذي كان يترأس المائدة كما عند الافرنج اليوم وقد بين ذلك صاحب معجم الادباء [2]

و « تقديم ورقة الطعام » قبل الاكل (Menu) كان معروفاً عندهم ايضاً فقد روى الابشيهي في المستطرف ان الامام الشافعي رضي الله عنه كان نازلاً عند الزعفراني ببغداد فكان الزعفراني يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويدفعها للجارية فتقدمها قبل الاكل للشافعي وكانوا يسمون ذلك (خريطة الطعام) ليطلع على اسماء ما هنالك من اصنافه . وقد حدث يوماً ان الشافعي أخذ هذه الخريطة من يد الجارية وألحق فيها لوناً آخر فعرف ذلك الزعفراني فاعتق الجارية سروراً بذلك [3]

ومثل ذلك ما هو مذكور في العقد الفريد عن قصة عبد الأعلى بن عبد الله

(١) يتيمة الدهر ج ٣ ص ٣٥ (٢) معجم الادباء ج ٢ ص ٣٠٦
(٣) المستطرف ج ١ ص ١٤٩

وذلك ان بلال بن أبي بردة وهو أمير على البصرة سأل الجارود أحد جلساء عبد الأعلى فقال له ما يفعل هذا الشيخ معكم اذا قدم الطعام فقال اذا أتينا وحضر وقت الاكل دعى بمائدة وتقدم الى جواريه وأمهات أولاده ان لا تلفظ واحدة منهن اذا وضعت مائدته ثم يدعو القائم على الطعام فيمثل بين يديه قائماً فيسأله عما عنده فيسمي له انواع الطعام ويعدد له ما عنده من الالوان واحداً فواحداً ليحبس كل رجل نفسه ويمسك عما يشتهي

الموسيقى على المائدة

بل ان خلفاء الاسلام وملوك العرب وأمراءهم كانوا يفضلون سماع آلات الطرب وهم جالسون على موائد الطعام ولا يأكلون الا على سماع ملذ ، وهذه هي الطريقة المتبعة لدى الملوك والامراء في أوربا الآن بل في الفنادق والنزل الكبيرة في العالم فانهم لا يهملون قط في أوقات الطعام سماع الانغام المطربة والالحان العذبة الشجية التي تقوم بها الجوقات الموسيقية (orchestres)

الموسيقى بعد الصلاة

والاغرب من هذا كله ما كان شائعاً في عهد حضارة الفاطميين في القاهرة من سماع الموسيقى والطبول والابواق (اوركستر) بعد الصلاة ,فقد كان اذا أذن بالعشاء داخل القاعة بقصر الخليفة « وصلى الامام الراتب بها من المقيمين من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير اذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق وتوابعهما من عدة وافرة بطريقة مستحسنة ساعة زمنية »[1] وهذا يشبه تماماً ما نراه الآن في الكنائس والفنادق الافرنجية

بل ان عادة ضرب الطبول والابواق في وقت كل صلاة على أبواب الامراء والملوك كان شائعاً قبل الفاطميين في عهد الاخشيديين فقد ذكر المقريزي ان

(١) المقريزي ٢٧ و ٢٨ ج ٢

كافور الاخشيد لما خرج لاسترداد دمشق « ضرب الدباديب وهي الطبول على باب مضربه في وقت كل صلاة » وفي أيام السلم « صارت الطبول تضرب على بابه خمس مرات (اوقات الصلاة) في اليوم والليلة وعدتها مائة طبلة من نحاس [1] » وهكذا كان للموسيقى عندهم شأن كبير شأنها الآن

التفنن في مجالس الشراب

ساقية تحمل الكؤوس

ومن أبلغ ما يدل على تفنن العرب في الترف والتنعم وما وصلوا اليه من الحضارة وصف مجلس عجيب من مجالس الشراب عندهم لم نر مثله عند أمة غيرهم وهذا المجلس كان يحتوي على ساقية ماء جميلة مستديرة في بيستان زاه زاهر والندامى على جوانب الساقية متقابلون على مقاعد فخمة بحيث يضع ساقيهم لمن أراد ان يسقيه منهم في مائها جاماً أو كأساً مضمنة خمراً ويقول « كأسك يا أبا فلان » فيجري بها الماء الى يده دون ان تسكب فيتناولها و يشرب ما فيها و يرسلها في الماء الى ذلك فتعود الى يد الساقي من ناحية أخرى باحكام غريب ونظام هندسي مدهش ، وقد وصف هذا المجلس الشاعر الفحل أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الصقلي (المتوفى سنة ٥٢٧ ﻫ) بقطعة شعرية تجلت فيها مهارته في التعبير عن معانيه بألفاظ فخمة وانصرافه في التشبيه والغوص على المعاني الغريبة ومطلعها :

وساقية تسقي الندامى بمدها	كؤوساً من الصهباء طاغية السكر
يعوم فيها كل جام كأنما	تضمن روح الشمس في جسد البدر
اذا قصدت منا نديماً زجاجة	تناولها رفقاً بأنمله العشر
فيشرب منها سكرة عنبية	تنوم عين الصحو منه وما يدري
ويرسلها في مائها فيعيدها	الى راحتي ساقٍ على حكمه تجري [2]

---

(١) المقريزي ٢٧ و٢٨ ج ٢ (٢) ديوان ابن حمديس الصقلي ص ١٦٣ طبع رومة سنة ١٨٩٧

احواض لشرب الدواب

ان الناظر الى ما تبذله الحكومات في هذا العصر من العناية والرفق بالحيوان الاعجم وانشاء الاحواض المائية لشرب هذه الدواب رفقاً بها في الميادين والامكنة المتسعة من كل عاصمة وبلدة كبيرة مع العناية بنظافتها وتجديد ملئها وعملها من الرخام وغيره — ان الناظر الى هذا قد يعجب بهذه العناية ويغتبط (وعلى الاخص الشرقي) بهذه الاعمال الجليلة في بلاده ولا يشك في انها من آثار المدنية الاوربية التي أخذناها وحرصنا عليها . ولكن قد يزداد عجبه واغتباطه حين يعلم ان هذا ليس بجديد في بلاده بل هو من آثار حضارتنا وكان شائعاً في اكثر العواصم العربية في الشرق والاندلس وصقلية كبغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة وغرناطة وغيرها . وردد ذكر ذلك غير واحد من مؤرخي هذه البلاد كصاحب نفح الطيب مؤرخ الاندلس ومدنها والمقريزي مؤرخ مصر والقاهرة وابن عساكر ومن نقل عنه من مؤرخي دمشق الخ . والذى يهمنا الآن هو بيان ذلك عن القاهرة فقد روى المقريزي في عدة مواضع عند كلامه على خطط القاهرة ورحابها انه كان بها أحواض لشرب الدواب كما هو الآن بالميادين العمومية ، فمنها ما ذكره عند كلامه على رحبة قراسنقر فقد قال : « وهذه الرحبة تجاه دار الامير قراسنقر وبها الان حوض تشرب منه الدواب »[1] وذكر مثل هذا في مواضع أخرى وكان يهتم بانشاء هذه الاحواض الافراد والحكومات على السواء .

الكلاب والكنس والرش والاضاءة

ولا يستغرب القارىء وجود ذلك عند العرب . فقد كان عندهم من النظم الاجتماعية والاساليب والرسوم العمرانية ما يشابه احدث الطرق والاساليب المتبعة الآن . فقد تنبه العرب الى خطر الكلاب الضالة في المدن فامر الحجاج بتسميمها وابادتها من واسط وتابعه على ذلك غيره من ولاة الامصار كما تعمل الحكومة اليوم ، وكان لاتقاء الحريق وانارة المدن وكنسها ورشها وخفارتها من الرسوم مفروضاً

(١) المقريزي ج ٢ ص ٥١

على الجميع ولا يلغى الا بإذن مكتوب من السلطان يقرأ على الناس ، فمن رسوم ارباب الحوانيت لاتقاء الحريق أن يعدوا عند كل حانوت زيراً مملوءاً بالماء مخافة أن يحدث الحريق في مكان فيطفأ بسرعة ، ويلزم صاحب كل حانوت للانارة أن يعلق على حانوته قنديلاً طول الليل بسرج الى الصباح . أما الكنس والرش والخفارة فيقام طائفة من العمال يكنسون الازبال والاتربة ونحوها من الطرق ويرشون الماء كل يوم ويجعل طول الليل عددٌ من الخفراء في كل جهة يطوفون بها لحراسة الحوانيت وغيرها . أما اصطلاح الشوارع فيتعاهد كل قليل بقطع ما عساه تربى من الاوساخ في الطرقات حتى لاتعلو الشوارع[1] . وكانت تصدر بذلك المراسيم من الخلفاء فتنفذ بكل دقة واهتمام . فمن ذلك ما للعزيز بالله والحاكم بامر الله من خلفاء الفاطميين من الاوامر بنصب ازيار الماء مملوءة ماء على الحوانيت ووقود المصابيح على الدور وفي الاسواق وايقاد القناديل في سائر البلد على المحال والمساكن والسكك الشارعة . وقد باشر الخلفاء بانفسهم تنفيذ اوامرهم هذه فلازم بعضهم الركوب في الليل الى كل موضع وشارع وزقاق « وقد تناظر الناس لذلك في الوقيد واستكثروا منه في الشوارع والازقة وزينت القياسر والاسواق بانواع الزينة . وصار الناس في القاهرة ومصر طول الليل في بيع وشراء واكثروا ايضاً من وقود الشموع العظيمة الخ[2] »

الدور والمساكن العربية سبع طبقات

ناهيك بما بلغته المدن الاخرى غير القاهرة من النظام والعمران فكان فيها ما يشابه ذلك واكثر فقد بلغ من عمران المدن الاسلامية وتزاحم الناس فيها ان الفسطاط (وقد كانت في أول حضارة العرب) جعلت المنازل فيها طبقات عديدة « فكانت مساكن أهلها خمس طبقات وستاً وسبعاً وربما سكن في الدار الواحدة المائتان من الناس »[3] وهذا لم يخرج عن أحدث العمارات في القاهرة

وقس على ذلك القول فيما كانت عليه سائر المدن من أحدث الانظمة المعروفة الان في عهد ذلك التمدن العجيب

عبد الفتاح عباده

---

(١) و (٢) المقريزي ج ٢ ص ١٠٧ و ١٠١ (٣) الخطط ج ١ ص ٣٣٤

الفجالة قديماً وحديثاً

[الهلال] ليس بين قراء الهلال في القطر المصري وفي خارج القطر المصري من لا يعرف اسم حي الفجالة الذي تنقلت فيه ادارة الهلال غير مرة قبل انتقالها الى مكانها الحالي والذي تصدر منه معظم الصحف والمجلات العربية . وقد ألقى حضرة توفيق افندي حبيب الخيري محاضرة في نادي اتحاد الشبان المسيحيين عن الفجالة قديماً وحديثاً فلخصنا منها ما يأتي :

الفجالة قديماً

كانت هذه البقعة لاربعة آلاف سنة قبل المسيح يغمرها النيل كما يغمر القسم الغربي من مدينة القاهرة ثم أخذ الماء ينحسر شيئاً فشيئاً حتى صار شاطىء النيل حيث يمر الآن ترام المترو أو شريط السكة الحديدية . وكان في مكان جامع اولاد عنان وميدان باب الحديد قرية تعرف باسم دُنين جرت فيها اول موقعة بين المسلمين والروم بمصر ثم أطلق على هذه القرية اسم المقس أو المكس وقيل انها سميت المقسم لان الفاتحين المسلمين قسموا فيها الغنائم عندما استولوا على مصر

وكان الامير أبو بكر محمد بن طغج بن جف الاخشيد (وهو رأس الدولة الاخشيدية تولى أمر مصر سنة ٩٣٥) أول من عمر الفجالة فانشأ فيها بستاناً كبيراً وجعل له أبواباً من حديد وكان ينزل به ويقيم فيه الايام واهتم بشأنه من بعده ابناه الاميران أبو القاسم وأبو الحسن علي

وفي أيام الفاطميين بلغ أول عمران القاهرة مدينة المطرية وآخره دير الطين (بين مصر القديمة وحلوان) فلا يزال السائر بين قصور عامرة وجنات زاهرة والنيل عن يمينه والجبل عن شماله . وكانت بقعة الفجالة الحاضرة درة عقد هذه المدينة الرائعة الجمال بما فيها من بساتين الخلفاء وما على جانبيها من مياه النيل وارض البعل

واتخذ الخلفاء الفاطميون الفجالة مقراً للهو فبنوا فيها المناظر وغرسوا البساتين . ومن أهم مناظرهم منظرة اللؤلؤة التي بناها العزيز بالله ثاني خلفاء الفاطميين (تولى سنة ٩٧٥ م وتوفي ٩٩٦) وكانت قصراً من أحسن القصور وأعظمها زخرفاً — ولما تولى الحاكم بامر الله (ثالث الخلفاء الفاطميين) أمر بهدم اللؤلؤة فهدمت وابلح انقاضها فنهبت كلها ثم قبض على كل من وجد عنده شيء من ذلك ثم جددها الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم وفيها توفي الآمر باحكام الله والحافظ لدين الله

والفائز وحملوا الى القصر الكبير في السراديب . ولما قتل العبيد الآمر باحكام الله على مقربة من حلوان نقلوه في سفينة الى قصر اللؤلؤة ففاضت نفسه قبل وصوله اليها

ومن جملة مناظرهم منظرة المقس وكانت معدة لنزول الخليفة عند تجهيز الاسطول . ومنها منظرة التاج وكانت واقعة في بستان التاج ومنها منظرة الغزالة بجوار منظرة اللؤلؤة

ولم يكن الفاطميون يقصدون الفجالة للنزهة والرياضة فقط بل كانوا يأتونها لعرض الاسطول وخروجه من دار الصناعة التي انشأها المعز لدين الله في المقس (حيث محطة القاهرة الآن) وأنشأ فيها ٦٠٠ مركب لم ير مثلها في البحر على مينا . ولم تكن دار الصناعة قاصرة على اعمال الاسطول بل كانت تجهز فيها أيضاً السفن التجارية التي تحمل الاقوات والناس بطريق النيل

وكان الخلفاء الفاطميون يأتون من القصرين (بجوار الازهر) الى مناظر الفجالة في سراديب بنوها تحت الارض حتى لا يراهم أحد . ومن عاداتهم انهم كانوا يسيرون فيها راكبين حمراً قصيرة يشدها لهم النساء . وفي أحد هذه السراديب اختفى المعز لدين الله (رأس الدولة الفاطمية) اربعة اشهر

وفي سنة ١٠٥٨ استولى ابو الحارث البساسيري على بغداد وبعث الى القاهرة عمامة القائم بامر الله الخليفة العباسي وثيابه وشباكه الذي كان اذا جلس يستند اليه وغير ذلك فاحتفل الخليفة المستنصر بالله (خامس الخلفاء الفاطميين) بهذه التحف ووقفت تحت قصره امرأة مرجلة تدعى نسب وأنشدته مع طائفتها قصيدة مدح وتهنئة فاعجب بها المستنصر وقال لها تمني فسألت أن تقطع الارض المجاورة للمقس فاقطعها هذه الارض وسميت ارض الطبالة وهي بحسب تخطيط المقريزي وعلي باشا مبارك الفجالة الجديدة والفجالة القديمة حتى منتصف شارع الظاهر ويدخل فيها شارع حبيب چلبي

وبينما كانت الفجالة وقصورها تفقد بهجتها في ايام العاضد لدين الله (آخر الخلفاء الفاطميين تولى سنة ١١٦٠ ـ ١١٧١) فكر صلاح الدين الايوبي في بناء سور للقاهرة وعهد في ذلك الى الطواشي بهاء الدين قراقوش فزاد في سور القاهرة القديمة القطعة الممتدة من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر وكانت لهذا السور ابراج والى جانبه خندق

ومن مآثر الايوبيين في الفجالة باب الحديد الذي يسمى باسمه الآن ميدان محطة مصر وقد انشيء في ايام صلاح الدين وقت بناء السور وهدم بامر محمد علي باشا سنة ١٨٤٧

ومن المواضع التي اشتهرت بالفجالة في أيام المماليك منشاة المهراني وكان يقطنها نحو اربعين من أمراء الدولة وفي احدى حاراتها المسماة زقاق القناديل ولد ابن نباتة المصري الشاعر المشهور صاحب القصيدة التي مطلعها

هناء محا ذاك العزاء المقدما فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام في ثغور مدامع شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

وكان يسير بمحاذاة النيل في ارض الفجالة الخليج الذي انشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ١٢٩٣ ليوصل به ما يحتاج اليه في عمارته التي أنشأها في جهة سرياقوس

وكانت في الفجالة بركة تدعى بطن البقرة تجاه قصر اللؤلؤة وكان في موضعها بستان أمر بازالته الظاهر بن الحاكم بامر الله وأنشأ موضعه هذه البركة

وهناك بركة أخرى كانت واقعة في الجهة الشرقية اسمها بركة الرطلي نسبة الى الشيخ خليل الرطلي وقد بقيت آثارها الى مفتتح عهد الخديوي اسماعيل فردمت من اطلال كوم الريش وهو ضاحية كانت من اجمل منتزهات القاهرة يسكنها الاعيان والامراء ويقيم بها نحو ٨٠٠ من الجند السلطاني

الفجالة بين القديم والحديث

ولما احتل الفرنسيون مصر كانت الفجالة ارضاً زراعية ما عدا القسم الشرقي منها الموصل الى جهة باب الشعرية وقد ذكر العلامة جومار من اسماء حارات هذا القسم ومعاهده سبيل العدوي وقنطرة الخروبي ودرب الطشطوشي ودرب الفجالة وجامع البكرية ودرب الطنبلي

وذكر الشيخ الجبرتي أنه حدثت بين الفرنسيين والعثمانيين عدة مواقع في اول شارع الفجالة من جهة المحطة ثم عني الفرنسيون بتنظيم شارع في الفجالة يمتد من

قنطرة باب الحديد الى باب العدوي وبنوا على آثار سور قراقوش الذي هدموه سوراً لا تزال آثاره باقية بين شارع الفجالة وباب البحر . ومن آثارهم في هذه الضاحية برج لا يزال يسمى به شارع البرج (عند مدخل الظاهر)

وفي ايام محمد علي باشا مؤسس العائلة السلطانية كانت الفجالة ارضاً زراعية لايستطيع أحد اجتيازها بعد الغروب . فلما اتخذ عباس باشا الاول حي العباسية مقراً له كثر عدد قاصديها عن طريق الفجالة وزاد عمرانها انشاء السكة الحديدية وقرب المحطة اليها

وكان اول من انشأ داراً في الفجالة تادرس افندي عريان وممن عاصروه في سكنى الفجالة جاد افندي شيحا وبلغت مساحة الارض التي امتلكها اولاد جاد شيحا وهم دميان بك جاد وميخائيل بك جاد وواصف افندي جاد اربعة افدنة واقعة في اول شارع الفجالة

ثم تكاثر عدد الاقباط الذين بنوا في هذه الضاحية ومنهم وهبه بك الجيزاوي باشكاتب المالية وميخائيل افندي عبد السيد منشيء جريدة الوطن ومقار باشا عبد الشهيد العضو في مجلس شورى القوانين وغيرهم

وممن راقتهم الفجالة وسكنوها قبل الاحتلال الانكليزي المهندس العالم الشهير لينان باشا دي بلفون المعروف باسم لينان باشا الفرنساوي وهو صاحب المآثر الخالدة في هندسة القناطر الخيرية وانشاء قنال السويس ومد أنابيب المياه في القاهرة وانشاء كوبري قصر النيل وميناء الاسكندرية وغير ذلك من اصلاحات الري التي تمت من ايام محمد علي حتى آخر ايام اسماعيل . وقد توفي في سنة ١٨٨٣ وتوجد باسمه جزيرة في بحيرة فيكتوريا نيانزا

ولما تم تنظيم الفجالة وتقسيم ارض بركة الرطلي سميت شوارعها وحاراتها باسماء أقدم من انشأوا فيها عمارات أو سكنوها قبل غيرهم . ثم غيرت مصلحة التنظيم هذه الاسماء في سنة ١٩١١ باسماء أثرية قديمة منها السلطان شعبان وسراج الدين وبستان الكافوري ومنظرة اللؤلؤة وحارة نسب وحارة أبا الحارث والوزير الصاحب

ولا تدل لوحات مصلحة التنظيم التي وضعت في هذه الشوارع دلالة يقينية على الاماكن التي وضعت فيها لانه يعسر تصور اجتماع الخليج الناصري وبركة بطن البقرة وبستان المهامزي ومنظرة اللؤلؤة في مساحة لا تزيد على عشرة أفدنة بل

المقصود من هذه اللوحات هو الذكرى والاشارة الى قرب الاماكن المشار اليها من الفجالة أو متاخمتها لها

الفجالة حديثاً

وفي سنة ١٨٦٥ اشترى الخواجه حبيب سكاكيني (الان سعادة حبيب سكاكيني باشا) تل العقارب وهو مرتفع من الارض كان واقعاً شمالي السور الفاصل بين الفجالة وباب البحر ورفع أتربته وردم بها الجهة الواقعة في اول الشرابية حيث الان مخازن السكة الحديدية ثم قسَّم ارض التل وشرع في بيعها فلما أتمَّ هذه المهمة رأت الحكومة ادخال شارع الفجالة في التنظيم وقررت أن يكون عرض الشارع ثمانية أمتار ولكن الخواجه حبيب سكاكيني أدرك أن مستقبل الفجالة سيكون زاهراً وسعى الى مقابلة الخديوي اسماعيل باشا وأقنعه بجعل عرض الشارع عشرين متراً فتمَّ له ما اراد

ويبلغ طول شارع الفجالة من اول شارع الزعفراني الى باب الحديد ١١٥٠ متراً وينقسم الى ثلاثة اقسام:

القسم الاول — سكة الفجالة وعرضها ٨ أمتار تقريباً وتبتدىء من شارع الزعفراني عند تراموي الخليج وتنتهي عند نقطة مقابلة لميدان بركة الرطلي وهذه السكة هي التي كانت معروفة في ايام الفرنسيين وأطلق عليها اسم الفجالة لتوصيلها الى الاراضي التي كانت تزرع فجلاً

القسم الثاني — الفجالة القديمة وتبتدىء من آخر سكة الفجالة وتنتهي عند شارع البرج وعرضها ١٢ متراً ويمر بها ترام السكاكيني وبيوتها كبيرة ولا تزال فيها عمارات متهدمة. وفي هذا القسم مدرسة الاميركان للبنات والروم الكاثوليك للصبيان وكنيستا الكلدان الكاثوليك والاقباط الكاثوليك

القسم الثالث — الفجالة الجديدة وتبتدىء من مدخل شارع البرج حتى باب الحديد ويبلغ عرض الشارع ٢٠ متراً وتمر فيه قطارات تراموي العباسية والسكاكيني ومصر الجديدة. ويمتاز هذا القسم على سابقيه بفخامة مبانيه واتساع الشوارع المتفرعة منه وازدحامه بالقهوات الكبرى والمكاتب والصيدليات والمطابع ومكاتب المحامين وعيادات الاطباء. وكان لاكثر بيوته حدائق غناء فحولها اصحابها الى دكاكين للانتفاع من أجورها

وكما امتاز مدخل الفجالة قديماً بدار الصناعة وبساتين الخلفاء ومناظرهم فان هذه البقعة قد امتازت حديثاً على بقية أحياء العاصمة بامور لم تجتمع في حي واحد وهي :

اولا مجتمع كنائس الطوائف المسيحية الثلاث

ثانياً ملتقى الاقباط والسوريين المشتغلين بالاصلاح الطائفي والخيري وأوسع مجال لمنتدياتهم وجمعياتهم

ثالثاً أهم مركز للمدارس المسيحية المختلفة

رابعاً مركز عظيم للنهضة الادبية ومسكن كثيرين من الادباء والمشتغلين بصناعة العلم

خامساً مركز قهوات وأندية عامة للادباء واهل الفضل

ففي الفجالة كاتدرائية الروم الكاثوليك ودارهم البطريركية وكنيسة الاقباط الارثوذكس وكنيسة الاقباط الكاثوليك وكنيسة اليسوعيين وكنيسة السريان الكاثوليك وكنيسة الكلدان الكاثوليك وقد شرع الانجيليون في انشاء كنيسة لهم امام مدرسة الآباء اليسوعيين

وتضم الفجالة معظم جمعيات الاقباط والمعاهد التابعة لها ففيها الجمعية الخيرية القبطية ومستشفاها ومشغلها وجمعية التوفيق ومدارسها المجانية ونادي اتحاد الشبان المسيحيين وجمعية أصدقاء الكتاب المقدس وبيوت الطلبة ومجتمع الاصلاح القبطي. وللسوريين في الفجالة عدة جمعيات منها جمعية يد المساعدة للسيدات السوريات وجمعية الاتحاد اللبناني وجمعية الاسعاف للسيدات السوريات والنادي الكاثوليكي للشبية السورية والمستوصف الشرقي لجمعية الروم الكاثوليك (ويبلغ عدد المترددين عليه في السنة نحو ١٢٠٠٠)

وفي الفجالة مدرسة العائلة المقدسة للاباء اليسوعيين ومدارس جمعية التوفيق للصبيان والبنات والصنائع ومدرسة البنات القبطية والمدرسة البطريركية للروم الكاثوليك وكلية دي لاسال للفرير وغيرها

وفي الفجالة معظم ادارات ومطابع الجرائد والمجلات التي تنشر في القاهرة وأشهر المطابع التي تطبع الكتب الحديثة في الادب والتاريخ والفكاهة . وفي هذه البقعة قضى المرحوم جرجي زيدان صاحب الهلال ربع قرن متنقلا بمطبعته وعائلته

من دار الى أخرى وتحت سمائها كتب ٢٢ مجلداً من الهلال وعشرات من الروايات وكتب العلم والادب

وامتازت قهوات الفجالة بمن يجلس فيها من كبار الادباء والمؤلفين . ففي قهوة غنطوس مصوبع كان يجلس الشيخ إبراهيم اليازجي وابن اخته الشيخ نجيب الحداد وسليمان البستاني . وفيها وضع نظام جنازة اليازجي وبدأت الدعوة لترشيح البستاني للنيابة عن ولاية بيروت . وقد اجتمع بها أيضاً تلاميذ الاكليريكية القبطية للمذاكرة في أمر اعتصابهم .

وفي قهوة الشانزليزه غرف خاصة كان يجلس فيها المرحوم صاحب الهلال مع جماعة من اهل الفضل والادب منهم سليمان البستاني والشيخ ابرهيم اليازجي وسليم سركيس وسليم بك باخوس وعزيز بك أبوشعر ونعوم بك شقير وغيرهم . وفي هذه القهوة احتفل في السنة الماضية بتأبين اقلاديوس بك لبيب محيي اللغة القبطية

توفيق حبيب

في الفخر

انا وان احسابنا كرمت   لسنا على الاحساب نتكل
نبني كما كانت أوائلنا   تبني ونفعل مثل ما فعلوا!

اذا جمع الفتى حسباً وديناً   فلا تقول به أبداً قرينا

ما بقومي شرفت بل شرفوا بي   وبنفسي فخرت لا بجدودي

ان الفتى من يقول ها انا ذا   ليس الفتى من يقول كان ابي

قال المأمون لرجل يفخر بنسبه انت عظامي لا عصامي ـ وقد عبر الشاعر هذا المعنى في البيت التالي :

اذا ما الحي عاش بعظم ميت   فذاك العظم حي وهو ميت

حفلة راس العام الجديد

والبسترينة وصباحية الخير

﴿ رأس العام الجديد ﴾ لا خفاء ان مسئلة الازمنة والاوقات التاريخية استرعت خواطر المولعين بهذا البحث واستغرقت زمناً طويلاً من مباحثهم . بيد انهم لم يتوصلوا بذلك الى نتيجة يبنى عليها حكم عام . فمعلوم ان رأس العام الجديد كان يقع في أول آذار (مارس) ثم صار أول ايلول (سبتمبر) و بعد ذلك أول يوم من كانون الثاني (يناير) . وفي أيام شارلمان كان رأس السنة عيد الميلاد وهكذا اعتبره الغاليون و بعضهم مَنْ حسبه عيد الصعود وغيرهم عيد الفصح الى ان حتم الملك قيصر بجعله أول كانون الثاني (يناير) و بقي كذلك الى يومنا هذا . واليك اما كتبه في هذا المعنى أحد أدباء عصرنا : « ان الرومانيين كانوا قبل يوليوس قيصر يقسمون سنتهم الى عشرة أشهر ذات ٣٠٢ يوم . فلما ملك قيصر زاد عليها شهرين كان أولها كانون الثاني وجعل أول العام في غرته وسماه يناير باسم احد آلهة الرومان المسمى جانوس . وكان هذا الاله يعد كاله البوابين ويكرم في مقدمات الامور واسمه يدل على ذلك . والروبان يدعون أول الشيء ومدخله جانوا (janua باب) . فارادوا من ثم أن يتخذوا هذا الاله لمفتتح سنتهم . فلما جاءت النصرانية حافظت على عوائد الرومان المدنية ولم تغير فيها شيئاً . بل وجد النصارى داعياً خصوصياً للمحافظة على هذه العادة وهو وقوع عيد ختانة الرب في ذلك اليوم »

﴿ أسماء اليوم الاول من كانون الثاني ﴾ ان مسيحيي الشرق الناطقين بالضاد لا بل بالحاء والعين يعرفون أول كانون الثاني برأس العام الجديد ورأس السنة والبسترينة وصباحية الخير وكلها اصطلاحات لمسمى واحد استعمل بعضها على طريقة الاستعارة والمجاز . على اننا نستصوب تسمية « رأس العام الجديد » فهي أقرب الى المعنى من سواها ولا محل هنا لدعم ذلك بالبرهان . أما كلمة « بسترينة » فهي حديثة الاصل والا كتتاب بين السوريين غير انها غريبة المبنى

والمعنى وبعبارة أخرى دخيلة لا أثر لها في اللغة العربية . فصيغتها الاصلية «سترينا» strena في اللاتينية ومنها اللفظة الافرنسية القديمة estreine والحديثة étrenne وهي تدل على هدية رأس العام الجديد ومن ثم تشير الى كل هدية وتدل مجازاً على حفلة رأس العام الجديد . ومعلوم ان عادة استخدام البسترينة قديمة يرد تاريخها الى ما قبل المسيح . ويقال ان ملك السابيين تاتيوس هو أول من استخدمها ولم يكن نصيبها باقل عند الرومانيين واليونانيين خاصتهم وعامتهم ومع تراخي الايام أدخلت في الكنيسة المسيحية . فالامبراطور اغسطوس استعمل البسترينة وكبَّر امرها . غير ان سلفه تيباريوس امر بالغائها لغايات في النفس بخلاف ما فعله سلفه كاليغولا الذي استرجعها من عالم الاهمال والنسيان وعزَّز استعمالها . اما الامبراطور كلوديوس فعمل على ابطالها . ومهما يكن من الامر فهذه العادة بقيت منتشرة الى يومنا هذا وهو مما يدل على تأصلها في افئدة القوم واحترامهم اياها . ويجدر بالذكر ان هدايا رأس السنة étrennes كانت في أول الامر مقتصرة على الاغصان التي كان القوم يقطعها من غابة الهة القوة المعروفة عند الرومانيين بسترينوا Strenua ومن ثم اضافوا اليها هدايا من التين والتمر والعسل يرمزون بها الى ان ايام سنتهم الجديدة حلوة ولذيذة كهذه الهدايا . ولما لم يقفوا عندذلك ابدلوا هذه الهدايا البسيطة بأنواع من مصنوعات الفضة والذهب الى ما هنالك من التفنن في امر الهدايا والتحف . اما تسمية البسترينة « بصباحيّة الخير » فذلك لانه من ابتدر الآخر الى السلام في صباح العام الجديد ودعا له بالخير يحق له بعض المجازاة على صنيعه هذا

﴿ استخدام المقامرة في رأس العام الجديد ﴾ المقامرة معروفة منذ الازمنة القديمة ومنها الميسر والازلام في الجاهلية وكانوا يحسبونها من مفاخرهم ويطنبون في مدحها بسائق ابيائهم وربما اقتبسوا هذه العادة عن الفرس واهل الصين . وقد اشتهر أمر المقامرة بين جميع الأمم وتفننوا فيها طرق متعددة لايكاد بعضها يتميزعن فنون الجنون الا بالنزر القليل . فرحم الله نفس القائل « ان جنون

المقامرين فنوناً وقصصهم عجائب غرائب وهم منتشرون في كل زمان مقذوفون بكل لسان محكوم عليهم في الشرائع والاديان وهم مع ذلك لا يرعون ذمة انسان »

اما استخدام المقامرة في رأس العام الجديد واستباحتها فهو مما لم يتسنَّ للباحثين معرفته . ونرجح أن هذه العادة قديمة وربما قُصد بها استطلاع بخت الناس ونصيبهم لان المقامرة كما هو مشهور مبنية على عوامل البخت وفواعل « النصيب » . ويروى عن القديس باسيليوس الكبير (ولد في قيسارية كبادوكيا سنة ٤١٦ وتوفي سنة ٤٧٩) انه كان اباً حنوناً لاهل الفاقة وراعياً شفوقاً لهم فكان يعولهم من وطأة فقرهم ببعض الدريهمات ضمن ارغفة من الخبز . وليس لدينا بينة تثبت ان دريهمات المقامرة كان يُرمز بها الى دريهمات هذا القديس انما اوردنا هذا التقليد طمعاً بالافادة . ومما يجمل ذكره ان اليونانيين الى يومنا هذا يصنعون بمناسبة حلول اول العام الجديد نوعاً من الحلوى اشبه بارغفة الخبز الضخمة ويضعون فيها بعض الدراهم . فهذه الارغفة يقسمها ربُّ البيت او من كان في محله ويوزعها بين اعضاء عيلته والحضور عشية حفلة اول العام الجديد . ومن البديهي عندهم ان من كانت قطعته تشتمل على هذا الدرهم يكون حسن البخت في بحر السنة المقبلة عليه كأن حظوظ الانسان مرتهنة بمثل تلك الترهات ومتوقفة على مثل هذه الخزعبلات والخرافات . ومهما يكن من الامر فالمقامرة تهدد الهيئة الاجتماعية كل يوم بمساوئها . وحبذا لو اقتصر المقامر على استخدام الميسر (المقامرة) مرة في كل سنة

نجيب ميخائيل ساعاتي

د . ل .

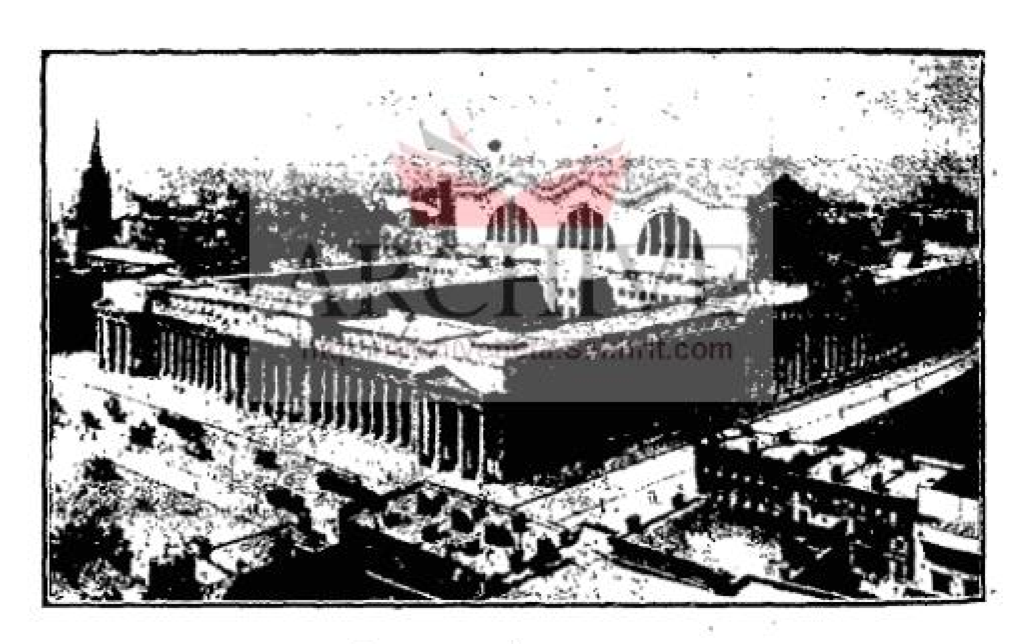
نيويورك

مجموعة عظائم الدنيا وعجائبها

العجيب عند اهله اعجب عند الغريب

نيويورك عجيبة دائماً عند ساكنيها فما قولك بها عند القادم الجديد اليها

في هذه المدينة الحديثة العظيمة كل عظيم فخيم وكل قوي شديد وكل متحرك سريع وكل فن جميل وكل عديد وفير



محطة بنسلفانيا الجميلة في نيويورك

فهي بوفرة ما فيها من عظائم الامور وعجائبها متحف المدنية الحاضرة الذي لا يضاهى

وهي بعظم ما فيها من القوة وسرعة الحركة ـ الحركة في كل شيء ـ تعد نقطة دائرة العالم الاجتماعي الارضي كله

وهي بحسن اتساقها وجمال معالمها وأساليب الحركة فيها تعد نموذج المدنية الحاضرة والمقبلة

كل هذا القول الاجمالي فيها لا يبين عظمتها الحقيقية لانه لا يصور للذهن والخيال الحقائق النسبية . ولذلك نعمد الى الوصف بالاقيسة والمقادير والى التعبير بالارقام تلخيصاً عن المجلة الجغرافية الاميركية التي وقفت جزءاً منها على وصف هذه الحاضرة العظمى واعتماداً على أقوال من قطن فيها

نيويورك مستطيلة الشكل لانه يحدها من الغرب نهر الهدسن ، ومن الشرق النهر الشرقي (وما هو بنهر وانما جزيرة لونغ ايلند التي تفصل نيويورك عن الاتلانتيك جعلت المضيق الذي بينهما شبه نهر) ، ومن الجنوب مياه الاتلانتيك . وفي لونغ ايلند قسم من نيويورك يدعى بروكلن . فاذاً ترى أن نيويورك كشبه جزيرة محاطة بالمياه من كل جانب . فما قولك أن كل الشواطىء المحيطة بها مرافىء للسفن التي تصلها بجميع موانىء العالم (اللهم الا قسم من الشاطىء الغربي جُعل متنزهاً) . تصوّر المسافة بين الاسكندرية ودمياط مرافىء متجاورة . هكذا مسافة المرافىء المحيطة بنيويورك

ولذلك يقدّر ان الصادرات التي تصدر من نيويورك وحدها تساوي صادرات ثلاث قارات آسيا وأفريقيا وأوستراليا

ان نظام توزيع المياه فيها يكفي لسقي العالم كله . وحياض المياه تروي عطاش العالم سنة ونيفاً . ونظام النقل الكهربائي - أي الترامات والسكك الحديدية الكهربائية التي فيها - تنقل في العام من الركاب مضاعف ما تنقله السكك الحديدية الاميركية كلها . وفي اميركا من السكك الحديدية ما يقارب السكك الحديدية في كل العالم

في نيويورك من جميع السلالات البشرية والجنسيات تقريباً . ففيها من الارلنديين اكثر مما في دوبلن عاصمة أرلندا ، ومن التليان اكثر مما في روما ، ومن الالمان اكثر مما في ليبزك وفرنكفورت معاً ، ومن الروسيين اكثر مما في

ريجا ودفنسك . واذا رام الاميركيون الاصليون ان يبرحوا نيويورك فلا يقل احتشادها بالسكان قلة تنزل من مقام ضخامتها . فان عدد المهاجرين الى نيويورك يساوي تقريباً عدد سكان باريس وفيلادلفيا معاً ويربو على عدد سكان شيكاغو وبرلين



احدى العمارات الهائلة في نيويورك

ما نيويورك الا شلال عظيم من البشرية يتدفق كل يوم الى اوقيانوس التعيش والكسب . اذا وقفت عند تقاطع الشارع الثاني والاربعين والافنيو (الشارع الطويل العريض) الخامس ترى كل اميركي ساع الى الرزق يمر من هناك . بل قف عند محطة السكك الحديدية التي تعبر على جسر (كبري) بروكلن من نيويورك الى بروكلن ترى نهراً من البشر يتدفق بلا انقطاع . يقال ان جسر بروكلن ينهد تحت نصف مليون من البشر يمرون عليه كل يوم ذهاباً واياباً . وليس هذا

الجسر العظيم وحده فان هناك ثلاثة جسور (كباري) مثله تصل بين شطري المدينة فضلاً عن سكك حديد تسير في انفاق تحت النهر تصل بينهما أيضاً . وفضلاً عن البواخر (الرفاصات) التي تصل بينهما أيضاً . واذا التفت الى نهر الهدسن وجدته مغطى بالرفاصات التي تصل بين نيويورك ونيوآرك التي تواجهها في الشاطىء الآخر فضلاً عن سلاسل المدن المتصلة . واذا خرجت من نيويورك الى أي جهة لا تدري متى انتهيت منها ودخلت في غيرها من المدن لان المعمور حول نيويورك على مسافات تتراوح بين دلتا مصر وصعيدها مكتظة بالمدن بحيث ان الابنية متصلة بعضها ببعض وخطوط الترام تصل بينها فتقدر ان تسافر من نيويورك حتى بوسطن وأبعد من بوسطن بالترام اذا شئت ـ فتصور انك تسافر من الاسكندرية الى الفيوم بالترام!

يصل الى محطات سكك الحديد في نيويورك قطار كل ٥٢ ثانية . ويقلع منها باخرة كل ٤٠ دقيقة . ويولد طفل كل ٦ دقائق . ويحدث زواج كل ١٣ دقيقة ووفاة كل ١٤ دقيقة . وتشاد بناية كل ٥١ دقيقة . وتشب حريقة كل ٣٠ دقيقة . وكل يوم يستوطن فيها نحو ٣٥٠ شخصاً . وينشأ فيها كل يوم ١٠٠ تلفون

في القسم الاول من نيويورك الابنية الشامخة التي هي أول ما يستقبله القادم من عبر الاتلانتيكي والتي يقف الانسان بينها دهشاً ذاهلاً . في هذا القسم الاول الذي يدعى منهتان من السكان ما يربو على سكان ولاية بل ما يربو على سكان مصر والاسكندرية وطنطا ولا سيما في النهار لان معظم الاشغال تقضى فيه . فتأمل ما أشد الزحام هناك وما أشد الخطر على الحياة من الامراض المعفنة وسائر الامراض الميكروبية . ومع ذلك ترى ان ادارة الصحة تعمل على الدوام بلا انقطاع وبلا تقصير لاجل حفظ صحة الجمهور ووقاية الانام من الامراض المحلية والوافدة

وادارة الصحة توجه عناية خاصة للمحافظة على صحة الاطفال والحرص على نموهم . ومن جملة أعمالها من هذا القبيل انها تتسيطر على تموين المدينة باللبن التي المعقم الغني بالمواد المغذية . فهناك تشرب اللبن وتسقيه لاطفالك مطمئناً وواثقاً من عدم غشه ومن خلوه من الميكروبات

وربما كانت نيويورك العظيمة بالحركة المالية والاقتصادية مفعمة بمفاسد اهل المال وأصحاب الاعمال . فترى القيامة فيها قائمة على الدوام في سبيل احتياز الريال بالحرام أو بالحلال . ولكن هذا الفوران المالي الهائل فيها ليس الا زبداً يعلو سطح الماء الصافي . فان تحت ذلك الزبد الاقتصادي الكثيف بحراً من زلال التهذيب والتعليم والتربية على القواعد القويمة الحقة . لان نظام التعليم فيها أصح وأفيد نظام



احد الشوارع المزدحمة في نيويورك

في كل العالم : فالمدارس الاولية تعد الاحداث من صبيان و بنات على السواء حتى الثالثة عشر من العمر الى المدارس العالية المتنوعة حتى متى فرغ الصبي أو الفتاة من المدرسة الاولى وجد أمامه طرقاً عديدة الى قمم النجاح ــ وجد أمامه المدارس العلمية والفنية والصناعية والعملية على اختلاف انواعها . وله ان يختار الطريق الذي يرغب فيه ــ الطريق الى الطب ، المحاماة ، الهندسة ، الميكانيكيات ، التجارة ، الى ما لا نهاية له من فنون الاميركيين و بدائعهم التي لا ينقضي عجب العالم من واحدة منها حتى تأتي بعجب آخر

وربما عُدّت نيويورك أعظم بيئة تعليمية تهذيبية في كل العالم . فحيثما التفت تجد مستودعاً للصحف والمجلات ونحوها فضلاً عن الباعة الذين يطوفون بها . وأينما سكنت كانت مكتبة من مكاتبها العمومية للمطالعة واستعارة الكتب لا تبعد عنك اكثر من ميل . واذا شئت أن تسمع خطاباً في نادٍ أدبي أو علمي أمكنك أن تسهر كل ليلة في نادٍ على مدى الشهر . واذا شئت أن تدرس في ليلك بعد انتهاء شغلك فرعاً من الفروع العلمية أو الفنية تيسر لك ذلك

فتحت نهضة الاعمال تجد نهضة المعارف

نعود الى وصف الحركة في نيويورك — الحركة التي تعبر عن عظمة هذه المدينة . قلنا ان نيويورك الام الاصلية (احترازاً من توهم بروكلن معها) مستطيلة جداً وضيقة جداً فربما كان طولها نحو ٢٥ كيلو متراً أو أزيد وعرضها يتراوح بين ٢ الى ٥ كيلومترات . ومعظم الاشغال في الثلث الاول منها . وهذا يستلزم نقل جانب عظيم من سكانها صباح مساء من سائر اطرافها ومن بروكلن ومن نيوآرك المقابلة لها عبر الهدسن

تصوَّر مليوني نسمة على الاقل تتحرك كل يوم بسرعة صباحاً مجيئاً ومساء عودة فماذا يكون نظام النقل في هذه المدينة العظمى

الترام الذي يسير في وسط الشوارع لا يكفي لنقل عُشر ذلك العدد ولا ينقلك من طرف المدينة الى طرفها باقل من ٣ ساعات . اذاً نظام الترام الاعتيادي لا يصلح الا لنقل العدد القليل من الناس مسافات قصيرة . ولذلك لجيء الى نظامين آخرين للنقل الاول السكك الحديدية الكهربائية المرتفعة على صقالات فوق الشوارع . والثاني السكك الحديدية الكهربائية التي تسير في انفاق تحت الارض . وكلا النظامين يصلحان لنقل الجم الغفير من الناس بسرعة السكك الحديدية (الاكسبرسات)

أما السكك الحديدية المرتفعة على صقالات فوق الشوارع فمنها خمس خطوط تظلل خمس شوارع على طول المدينة تقريباً وفي كل خط زوجان للذهاب والاياب . وفي بعضها ثلاثة ازواج أحدها الاكسبرس (المستعجل الذي لا يقف الا على محطات قليلة)

وأما السكك الحديدية النفقية (تحت الارض) فلها خط يبتدئ من اول المدينة وبعد مسافة يتفرع الى جهات مختلفة ثم ان هذا الخط نفسه يتصل بخط آخر يمر تحت الماء حتى يدخل الى بروكلن ويتفرع فيها ايضاً

واذا كان عدد سكان بروكلن وحدها يتجاوز المليونين فضلاً عن سكان سلاسل القرى الممتدة على جزيرة لونغ ايلند المقابلة لنيويورك ـ واذا كان جانب عظيم من هؤلاء السكان يذهبون الى نيويورك كل يوم ويعودون منها فأي نظام للنقل يقوم بهذه المهمة ؟

ذلك ما استلزم بناء ٤ جسور (كباري) بين نيويورك والجزيرة المذكورة كلفت بلدية نيويورك ١٠٠ مليون ريال . وطول هذه الكباري معاً ٦ اميال أي ان طول بعضها ميلين وطول غيره ميل او اكثر . ومن مزايا هذه الكباري التي تعد من اعجب عجائب العالم ان كلاً منها ممتد من شاطئ الى آخر من غير ركائز تحته في الماء تسنده . ومع ذلك نرى السكك الحديدية والترامات والاوتوموبيلات والناس تسير عليه متواصلة بلا انقطاع وتمر من تحته اعظم الدردنوطات . فتصور اذاً طوله وعرضه وارتفاعه . لم يستغرق بناء أعظم جسر من هذه الجسور اكثر من عام . فتلك الجسور الهائلة المعلقة في الهواء اينع ثمرة من ثمار العلم الاميركي . وفي النية مضاعفة هذه النظامات النقلية تحت الارض وفوقها في مدة عشرين سنة بل أقل

هذا من حيث الاتصال بجزيرة لونغ ايلند . وأما من حيث الاتصال بالشاطئ الآخر من نهر الهدسن (وعرض هذا النهر هناك يربو على ٣ اضعاف عرض النيل اذا لم تقل ٤ اضعاف) . على ذلك الشاطئ مدينة نيوآرك وغيرها من المدن المجاورة (في ولاية بنسلفانيا) وكثير من سكان هذه المدن يأتون كل يوم الى نيويورك لاشغالهم أو لقضاء اشغال . فما الذي ينقلهم ؟ نعم ان هناك عدداً عديداً من الرفاصات ولكنها لا تكفي ولا هي سريعة . فلذلك حُفرت ٤ انفاق تحت ماء الهدسن لهذا الغرض تنساب فيها السكك الحديدية الكهربائية تباعاً سراعاً بلا

انقطاع بين عبري النهر – ذلك عدا عن نفقين آخرين لسكة حديد بنسلفانيا العظيمة التي تصل نيويورك بجميع السكك الحديدية في الولايات المتحدة كلها فضلاً عن كندا والمكسيك واميركا الوسطى الخ

ليس من العدل ان نتجاوز عن ذكر سكة حديد بنسلفانيا ولها في نيويورك أعظم الاعمال وأعجبها وأغربها . ان هذه السكة كانت تطمع ان تدخل الى نيويورك فكانت تصل الى شط الهدسن ثم تنقل ركابها على رفاصات . وأخيراً رأت ان الرفاصات لا تقضي لباناتها وهي لها كل هنيهة قطر – فاضطرت ان تتغلغل تحت نهر الهدسن في النفقين المذكورين آنفاً الى محطة في قلب نيويورك تعد أعظم وأضخم وأوسع محطة في العالم بلا جدال . ثم رأت ان تصل الى لونغ ايلند شرقاً فتغلغلت تحت النهر الشرقي في نفق آخر . ثم رأت ان تصل بسكك حديد نيو انجلد فرأت النهر الشرقي أمامها فقطعته على جسر (كبري) يعد أعظم جسر في العالم . وقد أنفقت الشركة على بنائه ٢٧ مليون ريال

هذا قليل من كثير من عظائم نيويورك وهي احدى مدن الولايات المتحدة . فان اتسع المجال لذكر شيء آخر من تلك المظائم فلا نضن به على القراء . والغرض الاساسي من نشر هذه الحقائق تقديم مثل من الامثلة الصادقة على رقي البلاد كنتيجة حتمية لانتشار العلم والمعارف . فلا شبهة ان الامة المقصّرة في المعرفة تقصر في السير في سبيل النجاح . والوقت وقت كفاح في سبيل التعيش والاسترزاق والتمتع باطايب الحياة – كفاح لا يفوز فيه الا من تسلح بسلاح العلم . والامة العارية من هذا السلاح انما هي تحت خطر الانقراض في هذا الكفاح

ولعل القارىء يظن ان عظمة اميركا محصورة في هذه المدينة العظيمة بمعنى انه اذا أزيلت نيويورك فقدت اميركا عظمتها . فهذا الظن اثم . ان في الولايات المتحدة ألوف نيويوركات وفي كل مدينة عظائم كعظائم نيويورك . وانما نيويورك أعظمهن . فلندهش ولنعتبر !

اغرب الجرائم التاريخية

قضية ماري لافارج (تتمة)

[الهلال] في قصة ماري لافارج التي روينا قسماً منها في العدد الماضي من الهلال بلغنا الى المأساة الحقيقية وهي القسم الثاني من الحكاية — القسم الذي بقي ولا يزال لغزاً متعذر الحل

لما عاد شارل لافارج الى قصر لاجلانديركانت علته سيئة . اجل انه سرَّ جداً بلقاء زوجته بيد انه لم يتمالك ان لجأ الى سريره في الحال ابتغاء للراحة . وماري نفسها قدمت له العشاء فتعشى في سريره وهي اشتركت معه في عشائه

وما انتهى شارل من تناول العشاء حتى اشتدت علته وكانت الاعراض التي ظهرت فيه غريبة حتى انها فسرت بعدئذ باعراض تسمم لانها كانت حرارة شديدة في البلعوم ومغصاً شديداً في المعدة وشعوراً بالبرد في الاطراف

وقد تذمر كثيراً من حركة الفئران في المنزل فاضطرت زوجته ان تشتري ثانيةً شيئاً من الزرنيخ لتسميم الفئران . وفي هذه المرة كلفت دنس ناظر الاشغال ان يشتريه

وقد مرت ايام عصيبة على قصر لاجلاندير فان شارل بقي مريضاً يعاني آلام المرض فلا يأكل الا قليلا وطعامه اغذية سائلة كانت ماري تطبخها وتقدمها اليه بنفسها وكانت ملازمة له معظم الاوقات لانه لم يكن يطيق فراقها

وكانت مدام برون الصديقة الحميمة لام شارل واخته تتردد الى المنزل كثيراً حتى ان ترددها جعل رواية مرض شارل معقدة بعدئذ . والظاهر انها كانت جاسوسة من قبل الام والاخت فكانت تراقب ماري جيداً وماري لم تشتبه بها . وقد شهدت هذه الجاسوسة بعدئذ انها كانت ترى ماري تضع في كاس الغذاء الذي تقدمه لزوجها مسحوقاً ابيض

وكانت حالة شارل تزداد خطراً يوماً بعد يوم الى ان ارتاعت زوجته اخيراً وتوسلت الى الطبيب المحلي الذي كان يعالجه ان يستدعي طبيباً آخر معه لاستشارته في امره . وقد ثبت بعدئذ ان ماري لافارج كانت اشد رغبة من حماتها في استدعاء

الطبيب الآخر بل كانت تود استدعاء ابرع طبيب في تلك الناحية . ولكن مدام لافارج الحماة عارضت في ذلك بدعوى انها اختصمت مع ذلك الطبيب مرة فلا تريد ان يستدعى

لا يمكن ان يقال انه حتى ذلك الحين لم يشتبه أحد أو طبيب آل لافارج على الاقل بان مرض شارل كان نتيجة تسمم . على ان الدكتور اخبر ماري ان شارل كان معرضاً لنوب المغص المعدي منذ صغره

وان كان للذين يحيطون بشارل لافارج وجه للظن في ذلك الحين بان زوجته سممته كانوا بلا شك خلوًا من عواطف الانسانية لانهم لم يفعلوا شيئاً لمنع اتمام هذه الجناية . ولكن وان كانوا بعدئذ قد شهدوا انهم اشتبهوا بماري في حين الشبهة فنحن لا نعتد بشهادتهم ولا نعتقد انهم كانوا في ريبة الا في العهد الاخير حين كان الرجل يحتضر

ولا ندري ما الذي حمل الام على التثبت بهذه الشبهة . فاما انها تنبهت الى الامر بعدئذ بناء على ملاحظة من مدام برون أو ان الجاني نفسه وجَّه فكرها الى الشبهة بماري أو ان ملاحظة من الدكتور ايقظت ظنها . ومهما يكن الامر فان مدام لافارج الام اقتنعت اخيراً ان كنتها التي تتظاهر بحب زوجها والتعلق به قد سممته

وأما الزرنيخ الذي استحضره دنس الناظر بناء على امر ماري فقد جعل في معجون ومن الغريب انه لم يكن ذات تأثير على الفئران . ولذلك استحصلت ماري ثالثة على سم من احدى المدن المجاورة اذ كتبت لاحد الصيادلة كتاباً ودياً اخبرته فيه الغرض الذي لاجله تطلب السم . وكان الصيدلي يعرفها شخصياً ولهذا أرسل اليها قدراً كبيراً من الزرنيخ

ثم ساءت حال شارل لافارج جداً فاستدعت زوجته طبيباً ثانياً بالرغم من ارادة امه واخته . على ان مدام لافارج الام اختارت طبيباً فتى بدل الطبيب المشهور الذي كانت ماري تبتغيه . وما جاء هذا الطبيب الجديد حتى اسرت مدام لافارج الام اليه شبهتها بتسمم ابنها من يد زوجته تدريجاً

والظاهر ان هذا الطبيب الجديد اعتقد في الحال بصحة هذه الشبهة التي لم تزل في حكم الشك من غير ان يدقق في الفحص ليتأكد الامر . ومن غير ان يتفق مع

زميله كما هو الواجب والمألوف بين الاطباء ابلغ شارل وهو في حالة الاحتضار انه على وشك مفارقة الدنيا وان زوجته التي يثق بها هي سبب موته

كيف تلقى لافارج المنكود الحظ هذا الخبر المخيف ؟ فقد أثبت الطبيب بعدئذ ان شارل تلقى الخبر بكل تؤدة وهدوء واخبر عما اعتراه وهو في باريس حين اكل الكعك الذي ارسلته اليه زوجته

على ان هناك ادلة واضحة على ان شارل بقي حتى بعد ان اعلن له الطبيب اشتباه امه بزوجته يعامل زوجته ماري كما كان يعاملها سابقاً — بقي يخاطبها خطاب المحب لحبيبه وبقي لا يأذن لها ان تفارقه وبقي لا يقبل طعاماً الا من يدها

ولكن أخت شارل شهدت شهادة تناقض ذلك . وسنرى كيف تقارن هذه الشهادة بشهادات الاشخاص الاخرين الذين كانوا في المنزل مدة أيام المأساة

كانت ساعات ذلك الرجل التعس تمضي سراعاً الى ان جاءت الساعة الاخيرة حين اجتمعت حوله زوجته وامه واخته وسائر اقاربه وجثوا حوله ينتظرون مفارقة روحه لجسده . ففي لحظة لا ينتظرونها صرخ الرجل بامه الناحبة الى جانبه قائلاً : « بالله عني . أنت التي اذبتني » . فتلاشت قواها حتى اضطر الباقون أن يسندوها وهي تخرج من الغرفة وتبعها الجميع الا زوجته واخته . وأما ماذا حدث بعدئذ . فقد وصفته الاخت . فان لافارج صرخ : « أريد ان اشرب » . فاسرعت ماري وأتته بماء . ففتح عينه وابتسم ابتسامة مخيفة ورفع يده عن شفتيه الكاس التي قدمتها اليه زوجته — هذا ما قالته أخته

والغريب ان ماري تركت الغرفة قبيل وفاة زوجها ببضع دقائق . فلم تحضر مفارقته لهذا العالم

— ٤ —

وما فارق شارل الروح حتى حدث في قصر لاجلاندير حادث غريب يدل على انه كان مدبراً من قبل

ذلك انه احتيل على الارملة المسكينة وهي في ابان نحيبها ونفجعها ان تنتقل من الغرفة التي كانت فيها الى غرفة أخرى حيث اوصد الباب دونها . وثم دخلت مدام لافارج الثاكل وابنتها الى غرفة ماري وفتحتا خزائنها عنوة وجعلتا تبحثان فيها عن شيء يثبت ان ماري سممت زوجها . ومع انهما لم تجدا شيئاً بقيت ماري سجينة في

الغرفة الاخرى عدة ساعات الى ان تسنى لهما وللدكتور ان يبلغوا أقرب وكيل نيابة لهم عن شبهتهم بالجناية

فاسرع وكيل النيابة الى قصر جلاندير وسلم باتهام ماري قبل ان يتيسر له برهان على اجرامها . وما وجدت تلك المرأة التعسة الحزينة نفسها الا متهمة وبالفعل حكم عليها بعدئذ بتعمد القتل قبل ان يتسنى لها ان تدافع عن نفسها وقبل ان تبلغ امرها الى ذويها في باريس

وفي الوقت نفسه فحص الطبيبان الجثة فحصاً غير دقيق ولم يكن في وسعهما ان يقررا انهما اكتشفا في الجثة أثراً للسم . وقد زعزعت نتيجة فحص الجثة الشبهة عن ماري بل زعزعت اعتقاد مدام لافارج باجرام كنتها فاتت هذه واستغفرت ماري بكل تواضع وماري التي كتبت قصتها في السجن وهي تتوقع الحكم بتهمتها صرحت بانها سامحت حماتها ووعدت أن تبقى في قصر جلاندير وتعيش معها كابنتها

ولما استوثقت ماري من براءتها كتبت الى ذوي قرباها ولكنها لم تخبرهم الا عن موت زوجها . وطلبت اليهم ان يرسلوا اليها محامياً بارعاً من باريس ذلك لانها كانت قد سمعت في حين احتضار زوجها ان حالته المالية كانت مزعزعة . ومن هذه الرسالة يستفاد ان ماري لم تكن تعبأ كثيراً بالتهمة التي وجهت اليها . وكانت ماري في الرابعة والعشرين من العمر وقد اعتادت ان تلقى تودداً وحباً من كل من كان حولها وقد تراءى لها ان سبب اشتباه حماتها بها هو شدة حزنها وأساها

على ان المحكمة لم تكتف بفحص الطبيبين للجثة فامرت بفحصها ثانية باكثر عناية وتدقيق

وفي ذات مساء اذ كانت ماري وحدها في غرفتها دخل عليها رجل من الجيران وهو ممن كانوا مفتتنين بجمالها وأوعز اليها مضطرباً ان تفر من البلاد اذا كانت حكيمة وحريصة . وقال لها : — « عندي مركبة مشدودة الى زوج من الخيل السريعة وعندي جواز سفر استصدرته لزوجتي وهو يصلح لك فاتوسل اليك ان تبرحي فرنسا حالا ولا تنتظري التحقيق الذي يجرونه بشأن موت زوجك . واذكري ان احد المحامين قال مرة : « اذا اتهمت بسرقة قبة كنيسة سيدتنا نوتردام (التي تستحيل سرقتها) فاني افر غير منتظر نتيجة التحقيق »

وقد اتضح ان ماري رفضت هذه النصيحة بانفة وأخبرت ذلك الجار انها ليست

بخائفة لانها بريئة ولا وجه ضدها للخوف بان تضطهد ثانية

وفي الوقت نفسه كان البوليس باذلاً كل جهد في التحقيق عما يختص بالرجل الذي مات وبعلائقه الماضية مع زوجته الخ . على ان المحقق الذي حقق اولا على اثر موت شارل جاء ثانية الى قصر جلاندير وجعل يحقق مع ماري ويستجوبها على غير انتظار منها ومن غير ان تبدو له ادلة أخرى توجب هذه المفاجأة

وقد استجوب هذا الرجل القضائي جميع الذين كانوا في المنزل ساعة الوفاة من مدام برون التي شهدت شهادة سيئة جداً ضد ماري ، والناظر دنس الذي يظهر انه كان يكرهها دائماً ، وخادمتها وبنت مربيتها التي صحبتها من باريس والتي كانت بدموع حارة تبذل جهدها في تبرئة سيدتها ، وحماتها التي عادت تعتقد ان ماري سممت زوجها . وقد استمر استجواب ماري وحدها ثلاث ساعات . واخيراً استنتج المحقق أن ماري سممت زوجها فعلاً مع انه لم يستطع ان يعلل عملها هذا بسوى عدم حبها لزوجها . ثم امضى على الامر بالقبض عليها وأذن لها ان تصطحب خادمتها معها الى السجن . ثم اخذها بنفس مركبتها الى سجنها

— ٥ —

ولما وصلت ماري لافارج الى بريف البلدة الجميلة التي حدث فيها الفصل الثاني من المأساة تلقت اهانة مرة جداً فان جميع اهالي البلدة عن بكرة ابيهم قابلوا هذه الحسناء بالويل والثبور والسخط والتعيير وهم يعتقدون انها مجرمة خائنة

وفي الوقت نفسه استقبل اهل ماري وذووها واصحابها وسائر المعجبين بجمالها في باريس خبر القبض عليها بالاستغراب والدهشة . ولم يسعهم تصور ان الفتاة الجميلة الوديعة التي يفخرون بها والتي حضروا حفلة قرانها منذ عام كانت مزجوجة في السجن بتهمة القتل المخجلة

فنشطوا في الحال بكل اقدام وجرأة وانعطاف للاخذ بناصرها وأقاموا محامياً مشهوراً من محامي باريس يتولى الدفاع عنها . ولسوء الحظ ان المحامي الذي قصدوا اليه كان بالفعل مشغولاً جداً لا يستطيع ان يتولى الدفاع عن تهمة بقتل في ولاية بعيدة

على أن ماري خطرلها حينئذ انها في أوائل ايام زواجها تعرفت بفتى محام يدعى لاشو في الثانية والعشرين من عمره فكتبت اليه الكتاب التالي الرقيق :

عن سجن بريف

سيدي

حين كنت سعيدة وفرحة وغير مكترثة بشيء سمعت دفاعك عن امرأة مسكينة متهمة بالسرقة وقد أثر دفاعك في نفسي حتى ذرفت الدموع . والان وانا تعسة بائسة استجير بك . أني اقاسي العذاب تحت اعباء تهمة مروعة كاذبة . دعني ابتسم ثانية وأملأ نوراً العينين اللتين ذرفتا دمعاً مدراراً في الايام الاخيرة .

ماري لافارج

أما لاشو وهو مملوء نشاطاً وخيالاً وكرم اخلاق فلم يتردد في تلبية الدعوة فوافى الى بريف على الاثر . وكان لاشو الطامع بان يكون له في المحاماة شهرة كشهرة كولريدج أو منزلة كمنزلة السير شارل روسل الانكليزي يعتقد أن ماري لافارج بريئة . وما لبث ان اصبح هذا الفتى مفتوناً بحب هذه الحسناء . وقد نُشرت بعض الرسائل التي دارت بينهما وكلها مؤثرة تدل على أن رباط الحب صار شديداً بينهما في وقت قصير . ولم يكن ثمت شك بان لاشو كان ينوي أن يتزوج المرأة لو استطاع تبرئتها واطلاق سراحها . ولهذا كان هذا المحامي الفتى يشتغل في قضيتها ما لم يشتغله محام قبله لموكله . ولم تعرض لمحام قضية شاقة كهذه القضية

وما وافى لاشو لدرس القضية حتى ظهرت تهمة أخرى على المرأة المنكودة الحظ . فان المدعي العمومي (أو وكيل النيابة) تلقى كتاباً بامضاء مركيز ده ليوتو يرجو فيه المركيز منه أن يفتش قصر لاجلاندير تفتيشاً دقيقاً لان عنده أسباب تحمله على الظن أن فيه حلية من الالماس تخص زوجته التي كانت وهي مدموزال نيكولاي صديقة حميمة لماري وأن ماري سرقتها في اثناء زيارتها لهما على أثر زواجهما

على ان لاشو واقارب ماري تلقوا خبر هذه التهمة الجديدة بالهزء وعدم الاكتراث ولم يخبروا ماري بشأنها . ولكن لسوء الحظ ان الذين فتشوا القصر وجدوا الحلية في صندوق ملابس ماري . فاستغرب ذووها ومحاميها الامر وارتاعوا لظهور هذه التهمة الجديدة وكاد يقينهم ببراءتها يتزعزع ولذلك اخبروها بالتهمة وباكتشاف الحلية في صندوق ملابسها . وكان استغرابهم أشد حين تلقت ماري الخبر ببرود ومن غير خجل وقالت مبتسمة ابتسامة ردت الى وجهها الصبوح ما كُسف من جماله :—

« لا بأس في ذلك . ان المركيزة ليوتو تعرف كل شيء عن سر هذه الحلية وهي

بلا شك ستراني بريئة من تهمة السرقة . ولقد اخطأ زوجها خطأ فاضحاً بابلاغه الخبر الى وكيل النيابة من غير أن يستشيرها »

فقال لاشو : — « لاريب إنك تطلعيني على الحقيقة قبل أن تشرحها صديقتك »

فاجابت مصرة على الكتمان : — « كلا لا أقدر ان أقول الحقيقة لاحد حتى ولا لك ايها المحامي الكريم لان سر هذه الحلية الالماسية بيني وبين ماري نيكولاي . وجل ما استطيع ان افعله هو ان أعطيك كتاباً الى صديقتي وارجو منها ان تبلغك الحقيقة »

ولما لم يكن ثمت ما يقنعها بالعدول عن هذا الرأي اضطر لاشو المحامي ان يسافر الى باريس — وكان السفر حينذاك اشق منه الان — وقصد الى المركيزة ليوتو التي كانت في عهد العذروية كاخت لماري لافارج

على ان المركيزة لم تكن راغبة في ان تستقبل محامي صديقتها القديمة . ولكن لاشو لم يعدم وسيلة لمقابلتها واطلاعها على كتاب ماري الذي توسلت فيه اليها ان تطلعه على الحقيقة عن سر الحلية الالماسية كما تعلمها

ان هذا المحامي القروي الفتى الذي لم يكن بعد قد عرف في عالم المحاماة كان نشيطاً ومجتهداً وذا مقدرة ومعرفة واسعة وقد بذل جهده حتى قابل المركيزة وجهاً لوجه وحاول ان يحملها على اطلاعه على الحقيقة مقنعاً اياها بان الامر يهمه شخصياً لانه يحب ماري لافارج ويود ان يبرئها من التهمة الفظيعة المخجلة الى ان قال لها : — « أتوسل اليك يا سيدتي ان تخبريني الحقيقة حتى ولو كانت تكلفك شيئاً من عزة النفس »

فاجابته وهي ترد اليه كتاب ماري : — « لا أدري ماذا تريد ان أقوله لك . لم أقدر ان أفهم ماذا تعني ماري المسكينة بلفظة « سر » لانه ليس في المسألة سر . ان حليتي اختفت ومع اني لم اشتبه بماري فان زوجي وسائر اسرته كانوا مقتنعين انها هي التي أخذتها . وأما انا فاعتقد ان خادماً سرقها »

والى الان لم يعرف أن كانت المركيزة روت الحقيقة او بعض الحقيقة أو خلاف الحقيقة للمحامي بعد ان خرجت من هذه المعمعة منتصرة . واما لاشو فعاد الى برف مخيباً يائساً ينقل الخبر السيء . عند ذلك اطلعت ماري لافارج محاميها على سر الحلية

وكانت القضية بسيطة وقد ايدتها ماري ببعض رسائل كانت عندها . وهي رسائل فليكس فلافه العشقية التي كتبها الى نيكولاي يوم كانت ماري وسيطة بينهما وهي لا تدري ما تجره اليها هذه الوساطة الخرقاء من المصائب عليها

وقد قالت ماري لا فارج ان المسألة لم تنته عند هذه الرسائل الغرامية . فان فلافه كان لذلك العهد قد برح الى الجزائر وأقام فيها وخطر له ان « ينصب » على مدام ليوتو فتهددها بفضح علائقه معها . ولكي تكم هذه المركيزة فمه أودعت حلاها عند صديقتها ماري لافارج وأوعزت اليها ان تبيعها وتدفع ثمنها الى فلافه «النصاب»

عند ذلك كان يمكن اثبات الحقيقة بشأن علاقة فلافه مع المركيزة ولو اقتضى الامر تأجيل قضية ماري لافارج بعض اسابيع أو أشهر . ولكن بالرغم من بذل المحامي لاشو جهده في استدعاء فلافه الى المحكمة لتأدية شهادته فان فلافه بقي في الجزائر ولم يمكن الحصول على امر باستقدامه لهذا الغرض

وأما المركيزة فصرحت بان عشق فلافه ـ ان كان ثمت عشق ـ كان موجهاً الى ماري كابل (لافارج) نفسها لا اليها

ان مسألة حلى المركيزة التي لا تعد ذات شأن خطير بالنسبة الى تهمة ماري لم تكن الا « جملة معترضة » في سياق قضية القتل ومع ذلك جاءت مقوية للتهمة . ومع انه كان ممكناً ان تكون ماري لافارج لصة من غير ان تكون قاتلة فان كثيرين من الناس كانوا يظنون أنها اذا كانت تستطيع ان تبرئ نفسها من التهمة الواحدة تستطيع ان تبرئ نفسها من التهمة الاخرى

عند ذلك كانت فرنسا كلها أو على الاقل دوائر فرنسا الاجتماعية منقسمة الى حزبين حزب مع ماري وآخر ضدها . ولما كانت المركيزة ليوتو على جانب من الجمال والبهاء وكان لها أصدقاء عديدون معجبون بها فضلا عن أقرباء كثيرين كان هؤلاء بالطبع من جانبها ضد ماري لافارج وكانوا يبرئون تلك من تهمة العشق لفلافه . وكانوا يقولون قول الظافر المنتصر على خصمه أنه ليس في وسع ماري لافارج أن تبدي رسالة بامضاء المركيزة يوم كانت باسم ماري نيكولاي ورد فيها اسم فلافه أو أشير اليه باشارة

ومن نكد مدام لافارج ونكاية بذويها والمعضدين لها قدمت تهمة اللصوصية على تهمة القتل وجعلت قضية مستقلة . وهكذا احتدم النزاع بين مرأتين : المركيزة

لاجل شرفها وماري لافارج لاجل حياتها

وبعد ان استشار لاشو الثقات في القانون قرر ان لا تقف ماري موقف الاتهام في القضية الاولى . وهكذا مع ان ماري لافارج كانت مضطرة ان تحضر في المحكمة رفضت أن تقف في موقف الدفاع . وأما المركيزة ليوتو فحضرت يصحبها زوجها وأبوها وأخوها ووقفت في موقف الدفاع . وفيما كانت ماري لافارج في ثوب حداد مقشعرة والدموع مدرارة من عينيها كانت صديقتها الحميمة قديماً تقسم أغلظ الايامين أن المتهمة لم تقتصر على سرقة حلاها فقط بل انها لفقت قصة شائنة لشرفها بغية أن تظفر بما سرقته

وكانت نتيجة المحاكمة في القضية الاولى ان المحكمة قررت اجرام ماري وحكمت عليها بالسجن سنتين . فاستأنف لاشو ولم يكن ثمت اقل من ثلاث محاكمات متصلة بقضية سر الحلى

في ذلك الحين كان الرأي العام قد تيقظ ليس في فرنسا فقط بل في اوربا كلها . ففي بريف نفسها وفي جوار لاجلاندير انقلب انقلاباً فجائياً مع ماري حتى انها تلقت في سجنها لا أقل من ستة آلاف رسالة انعطاف . ويقال انها ردت على كل من هذه الرسائل رداً لطيفاً

وبقطع النظر عن اعتلال صحتها كانت دائماً على استعداد لتلبية الاستجواب والتحقيق بمقتضى قانون العقوبات وكانت دائماً تتصرف تصرف البريئة فكانت تهان ويساء اليها وأحياناً تقحم ولكنها لم تستسلم لليأس قط

— ٦ —

وأخيراً بعد عام من وفاة شارل لافارج عرضت قضية تهمة ماري بتسميم زوجها في محكمة تول Tulle فهرع الناس من جميع أنحاء اوربا لحضور المحاكمة كما فعلوا بعد حين لحضور محاكمة دريفوس

وقد دافع عن ماري لافارج ثلاثة محامين . وكان من جملتهم لاشو الذي لم يكن الى ذلك العهد قد اشتهر بيد انه برهن على انه استاذ الاخرين لما بدا من فصاحته وقوة حجته في الدفاع عن حياة المرأة التي أحبها

وحين كان لاشو يلقي دفاعه المشهور عن مدام لافارج كان في الثالثة والعشرين فقط . وكثيرون من الحاضرين في المحكمة كانوا يعلمون بحبه للمرأة التي يدافع عنها .

على ان ما يستلفت نظر القارئ في اول الدفاعات الثلاثة الخطيرة الشأن التي اشتهرت في عالم المحاماة انما هو البرهان المنطقي الساطع لا الفصاحة المثيرة للعواطف وهي الفصاحة التي اشتهر بها لاشو بعدئذ . فان الفتى كان شديد الثقة ببراءة صديقته فلم يحاول ان يؤثر على عواطف المحلفين اكثر من تأثيره على عقولهم . فان من يقرأ دفاعه يشعر ان ماري كابل – كما كان يدعوها دائماً – كانت في نظره بريئة تمام البراءة من التهمة وانه يستحيل ألا تعم هذه الحقيقة يقين الجمهور

وانما مرة واحدة وهي في آخر دفاعه اظهر شيئاً من العواطف اذ قال : –

« ان مرافعتنا هذه تقضي بالتأثير مع أني لا ادافع عن شخصي . على أني شديد التأثر من هذه الكارثة . وقد فحصت ضميري وقلبي وعقلي حتى وثقت من براءة ماري كابل وتطوعي للمدافعة عنها بقدر نكد طالعها »

استغرقت المحاكمة سبعة عشر يوماً . وما فتحت الجلسة لاول مرة حتى اتضح للمدافعين الثلاثة عن ماري لافارج فضلاً عن سائر الحاضرين والحاضرات العديدين والعديدات الذين كانوا يسمعون المرافعات بكل اهتمام ان المحكمة كانت مقتنعة تمام الاقتناع بان المتهمة مجرمة . والحق يقال انه لم يسمع قط ان المحكمة في أي بلاد متمدنة تبذل جهدها في اثبات جناية متهم بالرغم من توفر الادلة لمصلحته كما حدث في قضية ماري لافارج

وكان بالطبع اول فرع من فروع القضية « هل مات شارل لافارج مسموماً » على ان هذا الفرع أغفل في إبان ثوران الافكار بسبب قضية الحلية

ويذكر القارئ ان الطبيبين اللذين شرَّحا الجثة لاول مرة تشريحاً غير دقيق لم يجدا أثراً للسم فاستغربا الامر . ولهذا أمرت المحكمة ثانية بان يتولى اختبار بقايا الميت طبيبان آخران من أشهر علماء الطب في باريس لتحقق ان كان فيها مادة سامة . وكانت النتيجة ان احدهما الدكتور ديبوترين المشهور صرح انه لم يستطع ان يجد أثراً للزرنيخ في بقايا الجثة

وعند ذلك اعتقدت ماري لافارج انها نجت من التهمة وكان في المحكمة منظر غريب فان جمهور الحضور هللوا ، ولاشو جنَّ من الفرح ، وماري لافارج أغمي عليها من شدة التأثر

ولكن عذابها لم ينته بعد . ذلك لان قاضي المحكمة أمر بكل برود

بالكيماوي اورفيلا الذي اتقن اختبار الزرنيخ حسب طريقة مارش ان يستدعى لاجراء عملية التحليل في هذه القضية

فجاء اورفيلا وبدلا من أن يصطحب معه كيماويين من علماء الكيمياء حسبما طلب منه اصطحب فتى من تلامذته . وقيل انه قبل ان يشرع في التحليل قال لاحد اصدقائه : « اني واثق اني سأجد زرنيخاً في جثة شارل لافارج »

وكانت قضية لافارج اول القضايا الجنائية في تاريخ القضاء التي أجريت فيها طريقة مارش لاختبار الزرنيخ . على ان التحليلين الاولين اثبتا عدم وجود زرنيخ ولكن التحليل الثالث أظهر آثاراً للزرنيخ ضعيفة

انقضى ليل بين هذه الامتحانات الكيماوية . وحينما جيء بمدام لافارج الى المحكمة بعد تلك الليلة لاحظ الذين رأوها في المحكمة ان شعرها الحالك الذي كان من جملة عناصر جمالها أصبح موخطاً بالبياض

ثم نهض أورفيلا وأعلن بصوت محزن أنه وجد الزرنيخ في بقايا جثة المتوفي واذكر المحكمة بانه في بعض الاحوال لا يبقى من هذا السم المدسوس بمقدار اكثر من الجرعة المعتادة (أي المقدار القاتل) الا آثار قليلة جداً في الجسم

عند ذلك حاول المدافعون عبثاً أن يبرهنوا أنه وان كان لافارج قد مات مسموماً فليس ثمت ما يبرهن على أن زوجته جرعته السم . ولكنهم لم يقدروا أن يقولوا حينئذٍ ما يقال الان من أنه في جسم كل انسان آثار قليلة من الزرنيخ (تتطرق الى جسمه مع الغذاء لان الزرنيخ أشيع العناصر في ما بين المركبات أي أنه يوجد في كل شيء بمقادير قليلة جداً لا تكاد تظهر الا لادق الامتحانات الكيماوية) ولكنهم أشاروا الى حرج مركز شارل لافارج قبل موته . أفلا يمكن أن يكون هو الذي سمم نفسه . ثم تساءلوا عما ذا جرى بالالف جنيه التي قبضها في أثناء عودته من باريس الى قصره والتي اختفت على أثر موته . أفلا يمكن أن يكون قد سممه من سرق تلك الالف من الجنيهات التي لم يوقف على اثرها بالرغم من البحث الدقيق عنها

على اننا الان نعلم ان المحامين كانوا يعتقدون أن دنس الناظر الذي بعد ان شهد اردأ شهادة ضد سيدته برح منزله الى الابد كان الجاني الحقيقي

وكان آخر منظر من مناظر هذه المأساة شديد التأثير على الجمهور . فان ماري

لافارج لم يحكم عليها بالموت وحده بل بالعقاب البربري الذي لم يكن قد الغي حينئذ من فرنسا وهو التشهير بالطريقة المسماة « بلوري » Pillory وهي أن يوضع رأس المجرم ويداه في ثقوب خشبة وتحرك للتعذيب والاهانة

على أن هذا الحكم المريع لم يخبل عقل المرأة المحكوم عليها فانها لما سمعته وقفت وقالت: « يا قوم اني بريئة »

— ٧ —

عند ذلك احتجت كل فرنسا على هذا الحكم الفظيع . وقد سرى همس في كل اقطار فرنسا كالبرق أنه اذا كان الحكم ينفذ فان ألوفاً من الرجال والنساء من كل طبقة يتطوعون لانقاذ المرأة . ولعل هذا الهمس كان السبب في أن ماري لافارج أعفيت من الموت والتشهير وبعد مدة عدل هذا الحكم بحكم آخر وهو السجن المؤبد

أما أصدقاء ماري الاخصاء وجميع المنعطفين عليها ممن تجهلهم بقوا أمناء لها مدة سجنها . ناهيك عن أن لطفها الجذاب تسلط على مدير السجن فأذن لها بان تكاتب الكثيرين من كل طبقة وفئة من الناس من نساء ورجال ومعظمهم ممن تجهلهم وكلهم كانوا يبدون انعطافاً غريباً لها . وقد نشر قسم من رسائلها مؤخراً وهي تبرهن على أنها ورثت هبة جدتها مدام جنلس الانشائية . وكتبت في سجنها مذكراتها وأهمها كتاب « ساعات السجين » وهو كتاب ديني مؤثر جداً ولم يطبع الا بعد موتها

وبعد صبر اثنتي عشرة سنة كانت في غضونها سقيمة عليلة عفي عنها بسبب مساعي لاشو محاميها وعاشقها الذي أصبح بعد ذلك شهيراً جداً ولم يعد في وسع حكومة فرنسا أن تخيب رجاءه

ولكن لما حان زمن العفو لم تكن ماري لافارج في حالة صحية تمكنها من الانتفاع من حريتها فان العالم الذي وجدت نفسها فيه لم يعد يعرفها فقد أصبحت لنساء جيلها ورجاله خيالاً طالما اعتركت حوله شبيبتهم

فاخذها أقاربها الى منزه حيث قضت خمسة أشهر ثم ماتت

وقيل أنه في غضون سجن مدام لافارج كان دنس ـ الذي اعتقد اثنان من القضائيين الالمان اللذين كتبا مجلداً ضخماً عن هذه القضية أنه هو القاتل ـ يرى احياناً على ما يقال هائماً في جوار السجن

أما فليكس فلافه الذي كان في وسعه أن يكشف الحقيقة بكلمة منه فكان في

مستشفى المجانين في نفس السنة التي ماتت فيها ماري لافارج ولكن لم يكن ذلك قبل ان عرف الاستاذ لاشو حقيقة غريبة . فقد ظهر أنه حينما كانت مدام ده ليوتو عرضة لتهديد فلافه حسب قول ماري لافارج ورد الى ضابط فرنساوي يسمى باسم فلافه ايضاً ويقطن في الجزائر علبة من باريس لا يعلم شيئاً عن مرسلها . ولكنه بعد التحقيق علم أن العلبة مرسلة الى شخص آخر غيره فخولها اليه من غير أن يفتحها

ولما علم لاشو بذلك حاول أن يستصدر امراً بتجديد النظر في القضية . ولكنه عجز ـ كما كان ينتظر ـ عن أن يقنع محكمة الاستئناف بان براءة المتهمة من التهمة الصغرى قد يبرئها من التهمة الكبرى التي حوكمت لاجلها وحكم عليها فيها . ولكن هذه الحكاية ان كانت صحيحة تثبت أن ماري لافارج كانت شهيدة لا قاتلة

بقي أمر ادعى الى الاستغراب وهو أن هذه القضية بقيت حديث الدوائر القانونية مدة طويلة وكان الرأي الغالب انه ليس أن ماري لافارج كانت بريئة بل ان شارل لافارج لم يمت مسمماً بل أنه مات موتاً طبيعياً

وأما الاستاذ لاشو فقد عمّر طويلا ولم ينس ماري لافارج بل بقي يزور قبرها نحو اربعين سنة وكانت صورتها معلقة فوق مكتبه . وبقي حتى اواخر ايامه ما من موضوع يذكي نار فصاحته وبلاغته كموضوع براءة المرأة التي ماتت منذ عهد طويل وبقي تذكارها يتجدد في مخيلته كل حين

خواطر

في نفوسنا نزعات مجهولة تستظهرها الايام ـ بوردو

يجب ان نعيش كما نفكر والا اضطررنا عاجلا أو آجلا ان نفكر كما نعيش ـ بورجه

اذا أردت ان تصدق الكلام عن الحب يجب الا تحب ـ كرواسه

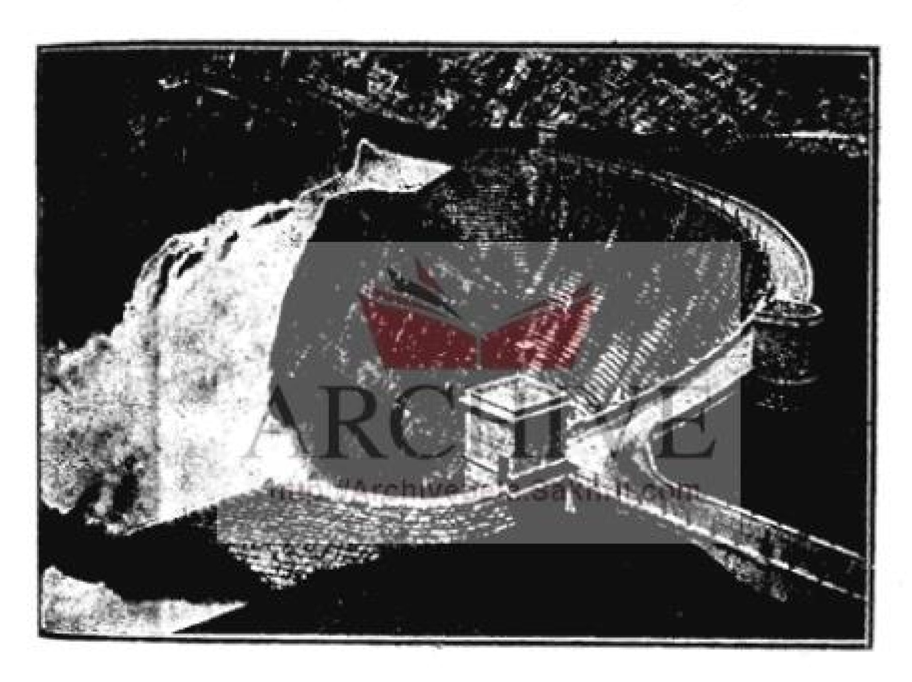
من القوانين المثبتة ان مواهبنا المهملة لا تلبث ان تثأر لنفسها وتزيد انتصارها بقدر توهمنا اننا قد سيطرنا عليها ـ بورجه

ليست التعزية ازالة الالم بل حمل صاحبه على مقاومته ـ مترلنك

مثال من عظائم اميركا

اعظم مشروع ري في العالم

من يزر الولايات المتحدة الاميركية تؤثر فيه ثلاث أمور فيها لاول وهلة وهي: « القوة والضخامة والسرعة » فان كل شيء فيها ضخم جسم وكل حركة فيها سريعة وكل عمل فيها يتم بقوة هائلة



خزان روزفلت في ولاية اريزونا
وهو مثال من الاعمال العظيمة التي استدعاها ري الاراضي القاحلة في اميركا

مشروع الري الذي شمل القسم الغربي منها وقد انجز في أوائل هذا القرن خير نموذج لهذه المزايا الثلاث التي امتازت بها الولايات المتحدة الاميركية على سائر ممالك العالم منذ انبثاق فجر المدنية الى هذا اليوم

البقعة الواقعة بين وادي المسيسبي والاوقيانوس الباسيفيكي كانت تعد في نظر الاميركيين صحراء لقلة المعمور منها ولكنها ليست صحراء رملية بالمعنى الذي نعرفه نحن

ان هذه البقعة تشتمل على الولايات التالية : اريزونا ، نيومكسيكو ، كاليفورنيا ، اوريجون ، واشنطون ، نافادا ، يوتاه ، ايداهو ، مونتانا ، كولورادو ، كانساس ، نبراسكا ، نورث دا كوتا ، سوث دا كوتا ، اوكلاهوما ، وايومن ، وهذه الولايات الست عشرة تشغل خمسي مساحة الولايات المتحدة ما عدا الاسكا . وتساوي مساحتها مساحة كل اوربا بلا استثناء واليابان . وعدد سكانها ١٦٤٢٣٦٢٥ وهذا العدد لا يساوي $\frac{1}{12}$ من عدد سكان اوربا واليابان أي انه في امكان هذه الولايات ان تسع ١٢ ضعف عدد سكانها اذا عمرت

ان هذه البقعة العظيمة مشتملة على أراضٍ ذات نوعين النوع الواحد قاحل أي لا نبت فيه والنوع الاخر نصف قاحل أي ان فيه نباتات ومزروعات ولكن الري الصناعي معدوم . على ان فيه جبالاً متفاوتة في الارتفاع وأحراجاً وغابات وانهراً وجداول . بيد انه يحتاج الى يد الصناعة لتعميره

فلذلك رأى أهل هذه الولايات ان توجه عناية خاصة لاصلاح تلك الاراضي الشاسعة وتوفير وسائل الري فيها . فهيأوا مشروعاً خطيراً لهذا الغرض وقدموه الى الكونكرس (مجلس الامة) منذ عهد طويل فبقي الكونكرس مدة طويلة يناقش فيه ويسوفه الى ان قرره في ١٧ يونيو سنة ١٩٠٣ . ومن غرائب اقدام الامة الاميركية ان ذلك المجلس قرر في العام عينه مشروع قناة بناما وهو أعظم مشروع من هذا القبيل أنشيء في العالم كما لا يخفى

ولما شرع في العمل لم تقف عقبة في سبيل همة الاميركيين وفن الهندسة عندهم فجعل المقاولون يحتفرون الاقنية من الانهر ويبنون السدود فيها حتى أصبحت المياه جارية في جميع الاراضي وأصبحت جميع الاراضي تنال قسطها من المياه ولم تبق أرض صالحة للزراعة فقيرة الى ري . وفي كثير من الاماكن احتفروا الانفاق في الجبال والمرتفعات لكي تتسرب المياه فيها الى الاودية والسهول

وأهم ما يذكر من أعمال هذا المشروع سد اوروك في ولاية ايداهو وسد الفنت بت في ولاية نيومكسيكو وسد روزفلت في ولاية اريزونا وسد اشونسون

و باثفيندر في ولاية وايومن ونفق جنيسون في كولورادو

وقد فرغ المهندسون حديثاً من انشاء سد أو حوض الفنت بت العظيم في نيومكسيكو فهو أوسع وأضخم حوض يسع من الماء ما يغمر ٢٦٢٧٧٠٠ فدان على علو قدم فتأمل . فمتى أريد ماء هـذا الحوض للري أطلق الى نهر ريو جراند وتسرب في الاقنية الى الاراضي

ولا يسعنا في هذا المقام وصف كل عمل من هذه الاعمال العظيمة لان الوصف يستغرق مجلداً وانما نكتفي بالقول ان كل قسم من هذا العمل انما هو عمل عظيم تعجز عنه أمة غير الامة الاميركية . وقد انجزت هذه الاعمال الهائلة في نحو ١٥ عاماً وأصبحت تلك الاراضي القاحلة مروجاً خضراء وأنشئت فيها المدن وتشعبت فيها السكك الحديدية وتمهدت طرق المركبات بين المزارع . ومع ذلك تبقى أراض واسعة في حاجة الى الزراع والعمال

لقد انجز الى الآن ١٦ حوضاً وقناة من الاحواض والاقنية العظيمة ما عدا الفروع الصغيرة الجديدة وطول مجموع الاقنية نحو ١٠ آلاف ميل ومعظمها تجري فيها معظم مياه الانهر . ناهيك عن ٧٠ ميلاً من الانفاق معظمها في الجبال . وقد انفق في سبيل هذه الاعمال ١٢٠ مليون ريال يدفعها الزراع في مدة ٢٠ سنة . وتقدر الاراضي التي عمرت بنحو مليون فدان . وتقدر غلالها بنحو ٨٠ مليون ريال ولم يزل في عزم الحكومة ان تنجز في المستقبل القريب نحو ٢٦ مشروعاً من امثال المشروعات المتقدم ذكرها ويؤمل ان يُعمَّر بواسطتها نحو ٣١١٨٠٠٠ فدان

في سنة ١٩١٧ كانت المياه التي اصبحت تحت ادارة مصلحة الري كافية لري مليون و٢٠٠ الف فدان وينتظر انها ستكفي مليوناً و٨٠٠ الف فدان . وتقدر قيمة الاراضي التي عمرت بنحو ٣٠٠ الف ريال . وقد زيدت ايرادات البلاد بسببها نحو ١٠٠ مليون ريال سنوياً

وقد سهلت الحكومة للناس قنية الاراضي أو « العزب » بحيث تدفع اثمانها اقساطاً في مدة عشرين سنة فالأمر يحتاج الى همة الزراع ونشاطهم واختبارهم فقط

وقد وزعت الحكومة مبالغ طائلة على زراع مختلفين . ولا فرق بين ان يكون الزراع وطنيين أو أجانب فان البلاد معروضة لاي من شاء من سكان الكرة الارضية ان يكون عاملاً نشيطاً

في الولايات المتحدة نحو ١٥٠٠ مليون فدان منها نحو ٢٨٠ مليون فدان ملك الحكومة وهي معروضة للعطاء . ان دخل الحكومة من الاراضي التي تمنحها للزراع يصرف على مشاريع الري ما عدا خمسة بالمئة منها تذهب الى خزينة البلاد

ثم ان الحكومة تشترط على كل من يشتري ارضاً ان يشتغل فيها وتمنع استعمال الاراضي للتجارة والمضاربة . فهي كريمة في عطاء الاراضي ولكنها غير مبذرة

خواطر

الغناء الطبيعي عند جميع الامم ذو انغام محزنة حتى في حين يعبر عن الفرح كأن قلبنا آلة ناقصة التركيب او هو عود فاقد بعض اوتاره بحيث يضطر الى التعبير عن هزات الفرح بالحان جعلت للتنهدات — شاتوبريان

اذا لم تستطع ان تجعل حياتك موافقة لاحلامك فاجعل احلامك موافقة لحياتك — ولف

اي الشيئين اهون يا ترى : ان يتمادى الانسان في ضلاله لانه ظن خيراً او ان يسيء الظن خشية ان يضلل — مورجر

حتى عند حلول المصيبة تجد في طبيعة الانسان حباً للظهور يجعله ان يقول : « انظروا كيف اتألم » — اوجين سو

ليس مايجمع البشر مثل اشتراكهم في البغض — باريس

كل مايعزلنا عن غيرنا يعظمنا . فانما العظمة في الاعتزال

من قص غرامه فقد منه شيئاً — بوردو

امراض الاجتماع المزمنة

وانجع الطرق لمعالجتها — ٢

شخصنا في المقالة السابقة امراض الاجتماع المزمنة وذكرنا العلاجات التي استخدمها الناس فيما مضى لشفائها وبينا عجز تلك العلاجات عن بلوغ الغرض المطلوب . وسنأتي في هذه المقالة على الاسباب الرئيسية التي عنها تنشأ تلك الامراض حتى اذا ما عرفنا حقيقتها تيسر الوصول اليها واستئصالها من جذورها

وليس من السهل استكشاف تلك الاسباب وتحليلها . وما ذلك الا لتعقد الظواهر الاجتماعية وتشبكها وصعوبة التمييز فيها بين العوامل البعيدة والعوامل القريبة . على انه يمكن رد جميع الاسباب التي تنشأ عنها الامراض الاجتماعية الى ثلاثة اصول وهي:

١ً الوراثة الفاسدة

٢ً البيئة الفاسدة

٣ً التربية الفاسدة

وسنذكر كلمة وجيزة على كل من تلك الاسباب الرئيسية ونبين شأنها في الاجتماع وقسطها في احداث الامراض الاجتماعية

١ — الوراثة الفاسدة

يتناول فعل الوراثة جسم الانسان وعقله معاً . أي ان صفات الآباء تنتقل الى الابناء بطبيعتها . على ان التسليم بتوارث الصفات العقلية والمعنوية أمر حديث العهد. فقد سلم الناس بتوارث الصفات الجسمانية لانها واضحة ظاهرة يسهل التحقق من أمرها أما المواهب والسجايا والاخلاق فلم يسلم الا اخيراً بانتقالها من جيل الى جيل والفضل في ذلك يرجع الى العلم الحديث وبراهينه البينة . قال سر فرنسيس غالتن في هذا الشأن : « كان الرأي الشائع أن العقل البشري مستقل عن سنن الطبيعة وان في استطاعته اتيان أي عمل تضطره اليه الارادة ... بل ان المفكرين والمتبصرين من اهل القرون الماضية ما كانوا ليعتقدوا بقصور المواهب العقلية عن مجاوزة الحدود التي تعينها لها الوراثة كما هو الحال في المواهب الجسمانية . . . »

قال الاستاذ هورن الاميركي : « لم يجيء الطفل الذكي ذكياً بطريق الصدفة كذلك الطفل الكسول والطفل الضعيف والعصبي والمجتهد والمستقيم الخ . . . فان هذه وغيرها من الاخلاق التي تكوّن شخصية الطفل ليست الا من ثمار الوراثة المعنوية الناشئة عن صفات معينة ورثها الجهاز العصبي »

وقد درس العلامة ريبو في كتابه عن « الوراثة » توارث الصفات النفسية من غريزة وخيال وذاكرة وارادة ومقدرة الخ ... مما يطول بنا سرده . وخلاصة ذلك ان الانسان يولد وفيه طبائع محدودة لا يستطيع تحويرها وتغييرها الا في مجال ضيق . قال غوته الشاعر الشهير : « كلما كبر الانسان عظم في عينيه شأن المواهب الفطرية لانه يتعذر اكتسابها فيما بعد وتثبيتها في الخلق »

فمن ذلك يتبين لنا شأن الوراثة الفاسدة التي ينالها فريق كبير من البشر . فمن كان هذا نصيبه من والديه واسلافه فهو مظلوم منذ ساعة ولادته . لا سبيل الى انكار هذه الحقيقة اليوم فقد اثبتها العلم الحديث وليس ثمت ادنى ريب في ان فريقاً عظيماً من الناس يولدون وقد كتب لهم الشقاء والتعاسة في هذا العالم . ويدخل في ذلك جيوش العميان والصم والبكم والمجاذيب والمعتوهين والمصابين بامراض موروثة الخ . .

ومن اشهر الامثلة على تأثير الوراثة ما جاء في تقرير اصدرته لجنة سجون نيويورك في سنة ١٨٧٧ عن أسرة جوك . فقد استقصى احدهم خبرها فرجع بها الى سنة ١٧٢٠ اذ تزوج احد المتشردين امرأة لا تفوقه قيمة فولدا اولاداً وهؤلاء ولدوا اولاداً حتى بلغ عدد نسلهم سنة ١٨٧٧ نحو ١٢٠٠ وقد مات منهم في سن الطفولة نحو ٣٠٠ وأصبح ٤٠٠ منهم لصوصاً و ١٣٠ مجرمين و ٣١٠ متشردين . وقد حسبوا انهم كلفوا حكومة ولاية نيويورك نحو ربع مليون جنيه

٢ — البيئة الفاسدة

اذا كانت الوراثة تنقل المواهب الاساسية في خلق الانسان فالبيئة تعين الوجهة التي تتخذها تلك المواهب والصور التي تتجلى فيها . والبيئة تشمل المحيط المادي والمحيط المعنوي . فلكليهما أثر عظيم في تكوين الانسان لانه لا يفتأ يتكيف وفقاً لمقتضاها . ولا يؤخذ من ذلك ان الانسان أسير البيئة وانه لا يستطيع الخروج عن احكامها ولو كان الامر كذلك لما طرأ اضأل تغيير على الحياة البشرية اذ يسكب جميع الناس

في قوالب متشابهة فيخرجون كالآلات المتحركة العادمة الذاتية . أن الفرد يستطيع في كثير من الاحيان مقاومة حكم البيئة بل قد يحوّل فيها ويبدل اذا كان من اصحاب الشخصيات القوية البارزة

وقد كان الانسان في اول العمران خاضعاً للمحيط المادي ولكنه مع تقدمه وارتقائه أذله واخضعه واصبح معظم تأثره ناشئاً عن المحيط المعنوي الاجتماعي

ولا ريب في ان ضغط البيئة يسبب كثيراً من امراض الاجتماع بل معظمها. فالفاقة مثلا تنشأ غالباً عن الاحوال الاقتصادية العامة التي لا طاقة للفرد على تبديلها. جاء في تقرير قدمته لجنة رسمية كلفت امر البحث في الفاقة واسبابها في انكلترا ما يأتي : « ... ان الجانب الاعظم من الفاقة المنتشرة بين الطبقات السفلى هو النتيجة المباشرة المحتمة لاحوال البيئة الاجتماعية وفي الامكان تخفيف وطأتها اذا عولجت في الوقت الملائم وتيسر اصلاح تلك البيئة »

وخلاصة ذلك أن الفقر المستولي على فريق كبير من الناس ليس من مقتضيات الاحوال الطبيعية التي لا مناص من حكمها . وانما هو نتيجة نقص في نظاماتنا الاجتماعية والاقتصادية ، في نظام الصناعة والتجارة والتربية وغيرها . وبعبارة اخرى انها نتيجة ضغط البيئة الاجتماعية في مظاهرها المختلفة

وقد زاد اثر هذا الضغط في العصور الحديثة بسبب اتساع المدن وازدحام الناس فيها . فقد تهافت اهل الارياف في القرن الاخير خصوصاً تهافتاً عظيماً على سكنى المدن . فمنذ قرن كان سكان المدن في انكلترا لا يزيد على ١٧ في المئة من مجموع السكان فاصبحوا منذ نصف قرن نحو ٥٠ في المئة ثم اصبحوا اخيراً ٧٥ في المئة . ولتقاطر الناس على المدن نتائج اجتماعية خطيرة من الوجهتين الجسدية والمعنوية. قال الاستاذ اوشيا : « حين يدرس الانسان مدنية اوربا الحاضرة لا يجد فيها أمة توصلت الى استكشاف الطرق التي من شأنها المحافظة على نشاط سكان المدن من اهلها جسدياً ومعنوياً . فان الجسم والعقل البشريين قد جعلا لينموا على مقربة من الطبيعة وجميع الادلة تشير الى انهما لا ينالان تمام نموهما مع ضغط المدن واضطراباتها »

ومن الثابت عند علماء الاجتماع الآن أن الاحياء التي تقطن فيها الطبقات السفلى والمنازل المشحونة بالسكان الخالية من اسباب الصحة والراحة انما هي منشأ الهزال والضعف ومنبت المفاسد والشرور الاجتماعية على انواعها

فليتصور القارىء حالة الطفل الذي ينشأ في وسط من تلك الاوساط الملوثة بالادران المادية والمعنوية . انه يرضع الشر منذ الساعة التي يرى فيها النور ويتنشق مجبراً ذلك الجو العاطل الفاسد . فكيف يرجى منه نفع لنفسه او لغيره ؟ ان ذلك الطفل في الحقيقة بمنزلة المحكوم عليه بالاعدام منذ ولادته

* * *

وتجدر بنا هنا الاشارة الى الجدال الذي احتدم طويلا بين المفكرين عن ايهما افعل في خلق الانسان وراثته أو بيئته : منذ بضعة عقود كان الرأي الغالب بين العلماء يقول بتفوق الوراثة من هذا القبيل . ومع ان المقام لايسمح ببيان الحجج التي يتذرع بها كل فريق نكتفي الان بالاشارة الى أن تأثير الوراثة في نظر احدث الباحثين أقل مما كان يظن — وذلك يتناول الوراثة الجسدية والوراثة المعنوية . فمن الجهة الجسدية يقال بوجه الاجمال ان معظم العلل التي تنتاب الجسم مكتسبة من البيئة ويقدر عدد الذين يولدون اصحاء باكثر من ٨٠ في المئة . وعلى كل حال أن الطفل عند ولادته يكون لينا مرناً في جسمه وعقله فلا يلبث أن يقع تحت سلطة الوسط الذي يكتنفه فتنطبع فيه آثاره . ومن ابلغ الادلة على شدة تأثير الوسط في الخلق ان الذين يولدون من أحط الوالدين وفي اردإ الاحوال اذا انتزعوا من وسطهم حال ولادتهم وتربوا في وسط صحي تقي يصبحون في الغالب من افضل الناس . والتجارب التي أقيمت من هذا القبيل صريحة الدلالة على ذلك

وعلى كل حال لا يؤخذ من كلامنا هذا ان الوراثة عادمة الشأن بل يجب الالتفات اليها اولاً لانها بمنزلة رأس المال الذي تستثمره البيئة والتربية

٣ — التربية القاصرة

ليست التربية الا عاملا من عوامل البيئة الاجتماعية فهي تدخل في الباب السابق ولكننا قد رأينا ان نفرد لها باباً خاصاً نظراً لعظم شأنها وشدة تأثيرها في حياة الانسان

يرى أبصر الباحثين في الشؤون التهذيبية ان التربية لم تتقدم تقدماً موازياً لتقدم العمران من الاوجه الاخرى مع انها قد خطت خطوات تذكر في سبيل الاصلاح . وأهم التهم الموجهة الى التربية المدرسية اليوم هي أنها مقصورة في الغالب على استظهار

الكتب فضلا عن كونها لا تؤهل الحدث للعمل والانتاج بل كثيراً ما تعد غاية في حد ذاتها مع أنها ليست في جوهرها الا استعداداً للحياة الاقتصادية والاجتماعية

ان العامل الاكبر في ما نراه من الفشل في الحياة يرجع الى العجز عن اتيان اعمال نافعة مفيدة . وقد جاء في تقرير بهذا الشأن ان ٥٠ في المئة من حوادث الفقر المدقع في المدن ناشئة عن عجز اصحابها عن الحصول على وظائف يعملون فيها لا عن مرض فيهم أو نقص في خلقهم . فكثيرون هم الاحداث الذين ينشأون ولا يدربون على مهنة يحترفونها في حياتهم فاذا ما بلغوا اشدهم أصبحوا ولا قيمة لهم الا بمنزلة الايادي العاملة او الآلات الميكانيكية . هذا هو السبب الاساسي للحالة السيئة التي وقعت فيها طبقات العمال في العالم المتمدن ولا سيما على أثر الانقلاب الصناعي الذي احدثته الاختراعات الميكانيكية الحديثة

وبوجه الاجمال يقال ان ذلك الانقلاب أضر بحالة الاحداث فان انتقالهم من الريف والخلاء الى المدن المزدحمة قد حرمهم من وسائل العمل واللعب التي كانت متوافرة لديهم والتي كانت تعينهم على المعيشة الصحية جسداً وعقلا

ومستقر الضعف في النظام التعليمي الحاضر هو انه يعجز في كثير من الاحيان عن اعداد الطفل للعمل المفيد في المجتمع العمراني . قال كارليل منذ نحو خمسين سنة: « ليس لمدارسنا غرض واضح الا تعليم الطفل كيف يتكلم وكيف يعبر عن افكاره باللسان والقلم . على ان ذلك ليس الغرض المطلوب في عصرنا هذا فانما يحتاج الطفل في المقام الاول الى التدرب على العمل والاحداث والانتاج . . . » وقال برجسن الفيلسوف الفرنسي الشهير : « انما نفكر لكي نعمل . فقد سكبت عقولنا في قالب العمل وما التفكير الا ترفهاً في حين ان العمل حاجة ضرورية »

يجب على المدرسة أن تبين للحدث الفائدة الحسية المترتبة على التعليم الذي يناله فيها فلا تكتفي بان تعده بفائدة مقبلة في يوم من الايام . وبعبارة أخرى يجب أن يشعر الحدث أن تعليمه يتناول عملاً مفيداً ذا غاية معينة في الحياة

ومن جهة أخرى ينبغي ان تنمي التربية في الحدث شخصيته ومواهبه الفطرية فبتهذيب شخصيته وباستجلاء مواهبه الكامنة يستطيع ان يكون عضواً عاملا في المجتمع العمراني . والذي نشاهده في أغلب الاحيان هو ان التربية تقتل شخصية الحدث وتميت مواهبه الفطرية

وفي مقدمة الاصلاحات التي يجب على المدرسة اعتمادها امر التربية الجسدية فالارتباط متين بين العقل والجسد — امتن بكثير مما يظن غالباً . ولا ريب ان اعظم رأس مال لدى الامة انما هو صحة اهلها ولله در من قال : «الصحة العمومية ثروة عمومية» . فعلى المدرسة أن تعنى بتلك الثروة حتى تنتج اقصى ما تستطيع انتاجه وانما يكون ذلك برعاية الطفل منذ نعومة اظفاره والاهتمام بصحته حتى اذا ما غادر المدرسة لدخول العالم كان مسلحاً بجسم قويم صحيح . ولا ريب ان المدارس متأخرة من هذا القبيل وكثيراً ما تحول دون نمو الجسم الصحي المتوازن . وقد حسبوا ان نحو ٦٥ أو ٧٠ في المئة من التلاميذ الذين يغادرون المدارس الابتدائية في انكلترا يتشوه نموهم بوجه من الوجوه

* * *

في المقالة الاولى شخصنا اهم الامراض الاجتماعية وفي هذه المقالة بحثنا عن اسبابها الرئيسية . بقي ان ننظر في العلاجات الملائمة لها وهو ما سنبينه في الجزء القادم ان شاء الله

خطرات في الاحسان

لكرنجي المثري الاميركي الشهير

خير طرق الاحسان هي تلك التي ينجم عنها خير حقيقي فتنفع المجتمع وتساعد على تحسين الصحة وانتشار الفضيلة . ولكنها لا تدخل عادة فيما يسمى عند الجمهور «عمل الخير» . وما الخير الحقيقي في اعتقادي الا بذل الخدمة والوقت والمال بالنظر الى حالة المحتاجين الى الاسعاف وفتح ابواب العمل والرقي امامهم

حسن أن نبني المستشفيات ولكن لماذا لا نبحث اولا عن طرق استئصال المرض ؟ على ان اقامة المستشفيات امر صادر عن العواطف والبحث في منشأ الامراض يرجع الى العقل والانسان اقرب الى التأثر عن طريق عواطفه منه عن طريق عقله . ومع ذلك يجب أن ندرس الاحسان درساً علمياً فلا نكتفي فيه بوحي عواطفنا

الشيء المفيد حقيقة للانسان لا يكون الا من عمله فيجب ان نعينه ليعمل بنفسه

ايها المحتكر

نظمت في العهد البائد عهد الاستبداد والاستعباد ، وكانت قد انشبت المجاعة مخالبها في افئدة الفقراء ، وعضت بانيابها على متنفسات الضعفاء وما من مجير أو مشفق اللهم الا متلهف لا يجدي تلهفه ومستنجد يذهب استنجاده ادراج الرياح . وهيهات هيهات أن تندى صفاة أغنياء بخلاء تهافتوا على حشد الاموال واطلقوا لنفوسهم اعنة الهوى فضُرب على اسماعهم فهم لا يسمعون وختم على أبصارهم وبصائرهم فهم لا يبصرون ولا يعون . بل هيهات هيهات ان تجد الرحمة سبيلا الى قلوب حكام غاشمين شعروا بقرب زوال الملك فباتوا كلما لاحت لهم نهزة اقتحموها وكلما سنحت فرصة اغتنموها لا يمنعهم تقى ولا يردعهم نهى . ولعمري لو لم تهرع جيوش الحلفاء وتنقذ المظلوم من أبراثن الظالم والمحكوم من عسف الحاكم لما بقي في هذه الديار ديّار ولا نافخ نار

أي ساكن القصر المنيف مختال في حلل الشفوف
المتعالي متغطرساً صهوات أجياد الطروف (١)
الراكب العربات تجري الوخد مخترق الصفوف
فتثير خلفك عثيراً يدمي خياشيم الانوف
مغناك شيد من الجماجم واطّلى بدم الضعيف
ونسجت أغشية القلوب على القطائف والسجوف
وسبكت من حدق العيون شنوف لابسة الشنوف
أتذيل دمعك اذ ترى الجزار يفتك بالخروف
وبكل يوم تستبيح دماء عشرات الالوف ؟
فلأنت أفتك بالانام من المنايا والحتوف

***

خل التسكع في الضلال وعج على النهج الحنيف
يكفي احتكارك كل انواع الترفه والصنوف
فلم احتبست عن الفقير مرافق العيش الاسيف

(١) طروف جمع طرف وهو الكريم من الخيل

أقاطع الأيام بالاترا ح والبال الكسيف
أطفاله من حوله تحكي تصاوير الكهوف
والام من فرط الطوى والحزن كالطيف المطيف
لم تبق ايدي النائبا ت لهم سوى رمق طفيف
ابداً يلوح لهم ملا ك الموت كالشبح المخيف

***

هيجي براكين الردى بل انت يا امواه طوفي
بل أنت يا ارض اخسفي وإدي الخلائق بالخسوف
فالشر قد ملأ الثرى والخير قطع بالسيوف

***

أي جامع الوفر الكثير م وحاشد المال الكثيف
تحتال في سلب النفو س وتستطار على الرغيف
اسلافك ابتزوا التلا د وانت مبتز الطريف
ماذا أدخرت ليوم تلقي م المال عادية الصروف
وليوم تدهى شمس تيه ك واغترارك بالكسوف
وليوم يهمي الطرف والاسـنان تمنى بالصريف
يا حبذا يوم به يعلو الوضيع على الشريف
ويهب اهل البؤس فيه مثل آساد الغريف (١)

***

فتأهبوا اهل المظا لم ان ذاك اليوم موفي

الكلية الاميركية بيروت ابراهيم دادا

(١) الغريف الغابة

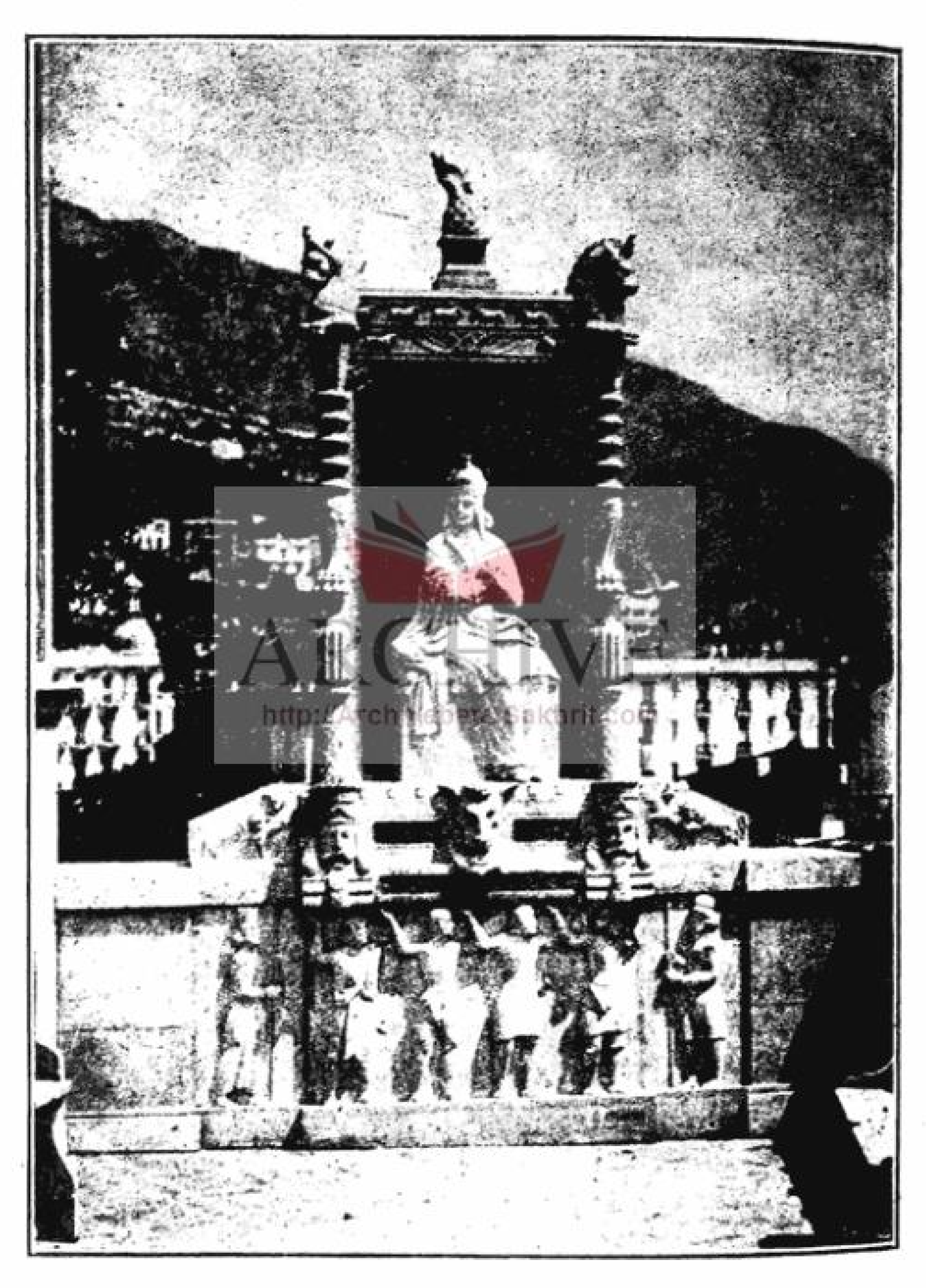
صفحة

من آثار الشرق في الغرب

لاثنين من ملوك ايران ميزات غريبة على سواهما فقد اتفقا في ان والديهما كانا يمقتانهما حتى رغبا في قتلهما ولكن المقادير الالهية حالت دون ذلك حتى حصلا على الملك وهاك شرح حالهما وكيف امتلكا آسيا وأفريقيا وجزءاً من أوربا :

ذكر هيرودوتس (Herodotus) المؤرخ الشهير المتوفى سنة ٤٢٥ ق م وكان معاصراً لملوك كيان الايرانيين وسافر مراراً الى الايران ما يأتي : كان كيخسرو (Cyrus) حفيد قمبيز فاتح مصر وأمه فرنكيس (Mandane) بنت افراسياب (Aslyage) ملك توران (Mede) . ثم ان افراسياب قتل أباه لغاية في نفسه وأمر بيران (Harpagus) الوزير ان يرقب ميلاد ابنته الحامل حتى اذا ما وضعت قتل الولد لان المنجمين أخبروه انه يولد ولد من نسله ونسل ايراني يحكم العالم كله . فلما ولد الولد أخذه بيران وسلمه لراع كي يقتله فاتفق ان زوجة الراعي ولدت في ذلك اليوم ومات طفلها فحزنت الام وأخذت تندب حظها فرأى الراعي ان يعطي الولد (المطلوب قتله) لزوجته ويقدم الى الوزير ابنه الميت . ففرحت الام زوجة الراعي وعنيت بتربيته حتى بلغ الرابعة عشرة وكان يشتغل برعاية الخرفان وكان اذا عاد من المرعى ليلاً يلعب مع الاطفال لعبة الملك والرعايا وكان يجعل نفسه في اللعب الملك وسائر الاطفال رعيته وجنوده . وحدث يوماً ان أحد الاطفال وكان ابن أحد كبار دولة افراسياب لم يطع أوامر الملك في اللعب فامر ان يضرب فضرب ضرباً مؤلماً فشكا الولد لابيه وقال هذا لافراسياب بانه يوجد شاب بهذه الاوصاف متكامل صفات الشجاعة والفروسية فخاف الملك وأخبر وزيره وسأل من يكون هذا الولد ومن والده . ولما طلب الوزير الراعي وسأله وهدده ان لم يقل الحقيقة اعترف الراعي بانه ذلك الولد الذي طلب منه قتله فاستولى الرعب على الوزير بيران وطلب ان يرى الشاب . فلما رآه الوزير ورأى ما هو عليه من صفات

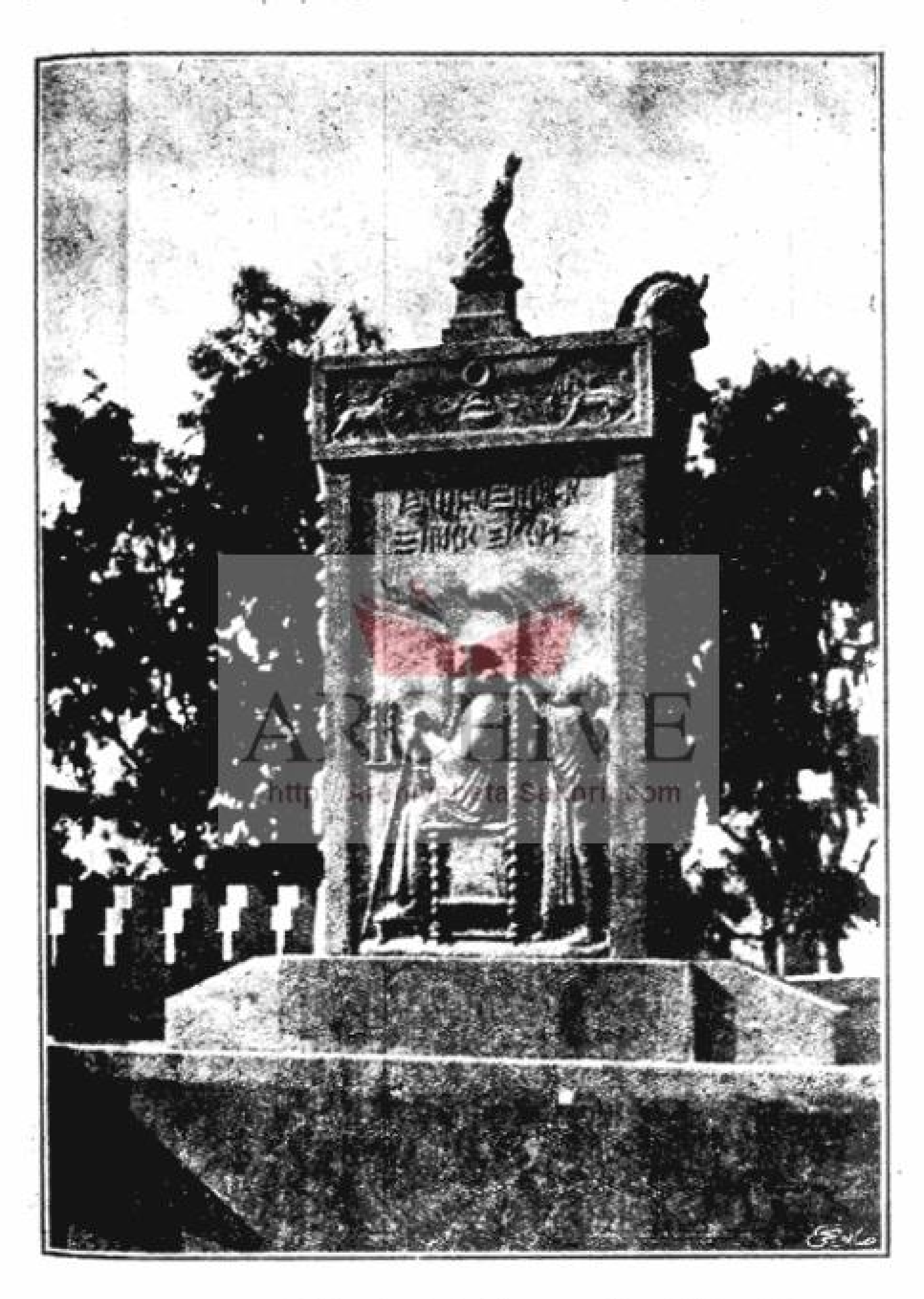
الشجاعة والفروسية احتال حيلة وعلّم الشاب انه اذا ما دخل على الملك وكلمه أجابه



احد التمثالين الذين أقامهما في موناكو البرنس ارفع الدولة للملك كيخسرو الفارسي

بما يخالف السؤال حتى يظنه أبله لا يفهم شيئاً فتنجو حياة الشاب وحياة الوزير .

فلما مثل الشاب بين يدي الملك افراسياب وعمل بما علّم قال الملك نحمد الله ان



تمثال دارا الذي اقامه في موناكو البرنس ارفع الدولة في سنة ١٩١٨

كان هـذا من نسلنا فانه أبله لا يخشى منه في المستقبل وأمر الوزير ان يعطيه

لامه فرنكيس . فلما أتى الولد الى أمه ومكث عندها زماناً ثم هربا معاً الى ايران واستقبله جده قمبيز وعينه ولياً لعهده ولما مات قمبيز بعد فترة من الزمن صعد على عرش السلطنة . وأول عمل عمله انه جهز جيشاً جراراً واستولى على توران وقتل افراسياب جده ثم جهز جيشاً وذهب الى الصين ثم اتى الى البحر الابيض المتوسط ودخل الدانوب ووصل حتى متسكارلو ولا تزال آثاره باقية في متسكارلو ويعترف بذلك المؤرخون الحاليون

والملك الثاني الذي يشبه هذا هو دارا Darius الاول وهو أيضاً مات أبوه اذ كانت أمه حاملاً . وقد دامت أمه هماي في ان يكون ملكاً فوضعته عند ولادته في صندوق ومعه مقدار عظيم من المجوهرات ورمته في البحر فوقع في يد صياد وبعد مدة قصيرة لا تتجاوز خمس عشرة سنة ظهرت آثاره وعلم انه من أبناء الملوك فطلبته أمه وسلمته الملك وقد استولى أيضاً على آسيا حتى وصل الى أوربا وبلغ متسكارلو

* * *

وقد علم أخيراً حضرة الوطني الغيور البرنس ارفع الدولة مرزا رضا خان دانش أمير نويان سفير دولة ايران العلية بالاستانة سابقاً بمآثر هذين الملكين التي جمعها من أوثق المصادر وكبار علماء الآثار فنصب لهما ثلاثة تماثيل عظيمة في قطعة من الارض اشتراها لذلك اثنان للملك كيخسرو وواحد للملك دارا . وشيد قصراً فخماً سماه « قصر دانشكاه » ونقش على الحجارة أوصاف الملوك وأعمالهم بالخط الفارسي والاوربي . وقد نشرنا هنا صورة تمثالين من التماثيل الثلاثة مع الفذلكة المتقدمة لتثبت فيها صفحة من آثار الشرق في البلاد الغربية

الحاج م . عبد المحمد ايراني
مدير « چهره نما » الفارسية

الدكتور اخنوخ فانوس

١٨٥٦ — ١٩١٨

فقدت الديار المصرية في الشهر الماضي ركناً من اركان نهضتها الحديثة وعاملا كبيراً في حياتها الادبية والاجتماعية بفقد المرحوم الدكتور اخنوخ فانوس فقد بكاه كل من عرف اجتهاده ونشاطه واخلاصه في عمله اسكنه الله فسيح جنانه



الدكتور اخنوخ فانوس

نشأ الفقيد من أسرة كريمة المحتد في ابنوب وكان ميلاده في سنة ١٨٥٦ وفي السابعة من عمره أدخله والده مدرسة أسيوط الانجيلية فاظهر من دلائل النجابة والذكاء ما حملهما على ارساله الى مصر ليتمم علومه الابتدائية بمدرسة الاميركان الكبرى بالقاهرة . ولما أتمها بنجاح كبير يبشر بمستقبل باهر سافر في سنة ١٨٧٠ وهو ابن ١٤ سنة الى كلية بيروت الاميركية مع بعض اقاربه من أبناء اعيان اسيوط فقضى بها الزمن المقرر للدراسة ونال شهادة بكلوريوس علوم . وقد

ظهرت موهبته الخطابية في تلك الكلية فكان موضع اعجاب اساتذته ورفقائه وخصوصاً لما اتصف به من الاستقامة الشخصية في ابان تلمذته . وعاد الى اسيوط فاشتغل بالتجارة لان نفسه كانت مطبوعة منذ حداثته على حب الاعمال الحرة والاستقلال الذاتي . وحدثت في سنة ١٨٧٨ مجاعة في ذلك الاقليم بسبب نقص الفيضان وعدم التمكن من زراعة الاراضي فاستخدم موهبته لاول مرة وصار يخطب في القوم ويحضهم على جمع الاموال للمنكوبين بالمجاعة فأثرت خطبه تأثيراً عظيماً في القلوب وجمع مبلغاً كبيراً لاسعافهم

وكان صاحب الترجمة قد ذاق طعم العلم والرقي ورأى ان الوسط الذي يعيش فيه محروم من هذه النعمة فانشأ في أبنوب مدرستين على نفقته الخاصة احداهما للبنين والاخرى للبنات . وظل طول حياته يساعد بكل قواه على نشر التعليم لانه كان يعرف أن سعادة مصر وارتقاء المصريين موقوفان على الاغتراف من مناهل العلم

وفي سنة ١٨٨٣ أنشئت المحاكم الاهلية بعد الغاء المجالس القديمة وتقدم كثيرون للاشتغال بالمحاماة امامها . وكان الفقيد أفضل أولئك المتقدمين لانه من جهة رزق موهبة الخطابة وهي اداة المحاماة الاولى ومن جهة ثانية كان حاصلا على قسط وافر من العلم يضاف الى ذلك أنه كان شريف المبدأ صادق القول ميالا الى نصرة المظلوم فبرع في المحاماة براعة تامة . وظل محترفاً هذه الحرفة الى يوم مرضه

وفي سنة ١٩٠٣ انتخبته الطائفة الانجيلية وكيلا لها في مصر والسودان ورئيساً لمجلسها الملي لما عهدته في شخصه من الكفاءة والاقتدار والنزاهة والميل الى الخدمة العامة فحقق آمال الطائفة فيه كل المدة التي قضاها في هذا المركز ولم تنته مدة وكالته الا في هذا العام . وكان قبل ذلك قد ناب عن الطائفة في لجنة قانون القرعة العسكرية بوزارة الحربية فقام بواجبه فيها حق القيام

وفي ٢٢ يونيو سنة ١٩١١ منحته كلية بيروت لقب دكتور في الشريعة لنبوغه في القانون

وكان الفقيد كما قدمنا خطيباً قديراً ليس من حيث احاطته باصول فن الخطابة فقط بل من حيث مقدرته على التأثير واجتذاب القلوب واستهواء الاسماع لامن حيث ما عرف عنه من الصراحة والشجاعة في تقرير الحق وهدم الباطل . وكان فوق ذلك كاتباً بليغاً وشاعراً سليم الذوق . ونذكر له من المقالات والخطب

والقصائد التي طبعت ونشرتها الصحف والمجلات ما يأتي :

الآداب الصحيحة مفتاح السعادة والفلاح في العالم . الى متى نحن تائهون . الاعتدال . أي الجامعات اولى بالسياسة الوطنية . الاقباط وكيف يكون اصلاح شؤونهم . تهنئة الاقباط للاحرار العثمانيين . عظة القبور (شعر) . القضاء والقدر (شعر) . المعابد والعبادة الحقيقية . الواجب . مشروع تأسيس الحزب المصري . الارجوزة المصرية . الوطنية والدين . بطرس باشا غالي والاقباط . كيف تسترد مصر مجدها القديم الخ .

وكان الدكتور اخنوخ فانوس وطنياً صميماً يحب الخير للمصريين اجمعين . وشعاره « مصريون قبل كل شيء » . توفي في اسيوط يوم ٥ دسمبر سنة ١٩١٨ وشيعت جنازته في اليوم التالي فسار وراءه ألوف المشيعين وقد أبنه كثيرون من الخطباء والوعاظ وأظهروا ما كان له من المكانة العالية في النفوس

دمعة على « باحثة البادية »

ما متاع الحياة الا خيال ومصير الانام الا زوال
وخبال في العقل ان يتمادى في أمان بلوغهن محال
ليست الدار للبقاء ولكن خدعتنا بزهوها الآمال
فنسينا انا حصيد المنايا ومشينا بزائل نختال

* * *

أين خلابة النهى بنت حفني أين ذات اليقين فيما يقال
أين شخص البيان والحذق والنفا ثة السحر وهو منه حلال
أين ذات الحجا (وباحثة البا دية) الفيلسوفة المخضال
خطفتها يد المنون ومات بها أمان ذيولهن طوال
لم تهب حارس الكناس من الاسـد ولم يوه بطشها رئبال
ففقدت نحبها أديبة مصر وذوى روض فكرها المحلال

* * *

لهف نفسي على النجابة تقضي وغضيض الشباب كيف يغال

وعلى زهرة العقائل أمست | وعليها جلامد ورمال
وعلى أفضل النساء جناناً | ولساناً له الفناء عقال
لم يشأ ذلك اللسان سكوتاً | حينما كان يستطاع المقال
يوم كانت خطيبة العصر تبدو | في نواد يحفها أجلال
في جموع جميعهن سكون | حيث أنت الحراك والاعمال
حيث تنساب من ثناياك ابحا | ث لطاف يجري بها سلسال
كنظام من اللآلىء أهوى | درة بعد درة ينثال
وقلوب الاولى حواليك صرعى | بين لفظ مضى ولفظ يقال

* * *

قد ملكت النهى فسميت ملكاً | ومليك النهى هو الفعال
بنت خير القضاة بالامس عدلا | وبهاء وهمة لا تنال
ومربي رجال عصرك في مصـ | ـر وباني القريض وهو خيال
والاديب الذي اليه تناهى | علم أم اللغات والدا عضال
هل شجاك الذي علمت عن الوا | لد واستنهضتك تلك الخلال
فتخذت الجهاد في العلم شكلا | وأبوك الذي يعزى مثال
ودرست النساء عادا وزيا | فتهيا لقوليك المجال
وحملت البنان ينفث سحراً | ومن السحر سائغ وحلال
تجرى في (الحجاب) يبحث لما | كثر القيل في الورى والقال
لم يهب جانب القطاحل يوماً | أو ينهه عن النزال نزال
قد تمشى على النهى لك في المر | أة بين الشعوب حكم فصال

* * *

هكذا هكذا الحياة وإلا | فهي موت وشقوة وضلال
لم تجدها مع العفاف أناث | أو تنلها مع الشباب رجال

محمد امين جمال الدين
طالب بمعهد الاسكندرية

العائلة والمنزل

الانفلونزا أو الحمى الاسبانية

ولماذا اصبحت شديدة الفتك ؟

نشرنا في الهلال الماضي نبذة وجيزة عن هذه العلة الفتاكة التي اصبح خطرها على العالم اعظم من خطر الحرب . فانه يؤخذ من الاحصاءات الواردة عن انتشارها في البلاد الاوربية والاميركية ان فتكها يقدر ببضعة اضعاف فتك الحرب التي خلص العالم من شرها اخيراً وكأنه لم ينج منها الا ليقع في ما هو شر منها وانكى

وقد ذكرنا ان هذا الوبأ ليس بجديد على البشرية فقد انتشر غير مرة في اقطار مختلفة وكان الناس في كل مرة يسمونه باسم جديد لجهلهم حقيقته . وقد جاء في مقالة نشرتها مجلة الجمعية الطبية الاميركية (وهي من أوثق المصادر التي يعتمد على آرائها) ان هذا الوباء لا يزال الى هذا اليوم من المعضلات التي لم يتوصل العلم الى حلها حلا مرضياً

وكلمة انفلونزا الشائعة اليوم للدلالة على هذا الوباء هي كلمة ايتالية Influenza يقابلها في الفرنسية والانكليزية Influence ومعناها « تأثير » كأن تلك النزلة الوافدة ليست الا تأثيراً غامضاً من التأثيرات التي تنتاب البشر

وعلى أثر انتشار هذا الوباء في اوربا سنة ١٨٩٠ اكتشف بفيفر Pfeiffer باشلس الانفلونزا في بصاق المصابين به . وقد ظُن اذ ذاك ان هذا الاكتشاف كافٍ لتعليل الانفلونزا . على انهم وجدوا بعدئذ ان ذلك الباشلس نفسه يوجد في جميع حوادث السعال الديكي والحمى القرمزية والحصبة والسل والنزلة الشعبية المزمنة . ومن جهة اخرى وجدوا حوادث « انفلونزا » خفيفة من دون ان يقفوا فيها على أثر لذلك الباشلس . وقد لقحوا به بعض الحيوانات فلم تعز

تلك التجارب عن نتائج حاسمة . وخلاصة ما تقدم ان العامل الحقيقي في الانفلونزا لا يزال مجهولاً

اما اعراض الحمى الاسبانيـة فهي غالباً على ماجاء في « مجلة الجمعية الطبية الامريكية » : قشعريرة فجائية ، صداع شديد ، آلام في الظهر وسائر الجسم ، انزعاج عام ، تورد في الوجه ، ألم في الحلق ، وحرارة تتراوح بين ١٠١ و ١٠٤ درجة حرارة في مقياس فارنهيت مع نبض ميال الى البطء »

وقد اطلعنا في الجريدة « العلمية الاميركية » على مقال لعالم بكتريولوجي بحث فيه عن السبب الذي من اجله تكون الانفلونزا في بعض الاحيان خفيفة وفي احيان أخرى تكون فتاكة بالشكل الذي نراه فيها اليوم . قال الكاتب :

لا تزال اسباب هذا الاختلاف غامضة . على ان هناك عوامل معلومة ينبغي اعتبارها . فان الامراض الجرثوميـة بوجه الاجمال لا تنشأ عن تسرب الجراثيم الى الجسم البشري فقط بل عن نموها وتناسلها فيه . فكأن العدوى نتيجة عاملين : (١) قوة الميكروبات الهجومية (٢) قوة الجسم الدفاعية . فاذا اعتمدنا هـذا الاساس لبحثنا أي اعتبرنا ان العدوى نتيجة نزاع بين قوتين حيويتين متضادتين وهما الميكروب الهاجم والجسم المدافع وجدنا ان هناك عوامل مختلفة ، بعضها واضح مثبت والبعض الاخر يفتقر الى الاثبات والايضاح ، تتعين من مجموعها نتيجة تلك المعركة . ولننظر الآن في تلك العوامل باعتبار الفريقين المتنازعين :

(١) مقاومة الجسم — تختلف الاجناس بل الافراد أيضاً في قوة مقاومتها لميكروب معلوم . فالزنجي مثلاً أشـد تعرضاً للسل من ابيض البشرة كما أن بين افراد عائلة واحدة معرضة لمرض معين قد يُصاب البعض وينجو البعض الآخر . ثم يظهر أن المنـاعة نتيجة توافق عوامل دقيقة مختلفة بعضها يتغير ويتطور بطبيعتـه والبعض الآخر يمكن تغييره والتأثير فيه بوسائل قريبة المنال . فالجوع مثلاً أو التعب أو التقلب الفجائي في الطقس قد يكفي لجعل الرجل ذي المناعة الطبيعيـة العظيمة شديد التعرض لالتقاط العدوى . ومن أشهر الامثلة على ذلك تجربة باستور التي بها

جعل الدجاجة الشديدة المناعة بطبيعتها عرضة للجمرة بمجرد تبريد جسمها في الماء

(٢) هجوم الميكروب — كما أن مناعة الجسم تتغير بفعل عوامل طبيعية أو بشرية كذلك قوة الميكروبات الهجومية ومقدرتها على استيطان الجسم واتلافه تتغير وفقاً لعوامل مختلفة . فالميكروبات تختلف قوة مهاجمتها للبشر باختلاف اجناسها . ثم ان ميكروبات الجنس الواحد تختلف في قوة مهاجمتها — كأن بين الميكروبات أمماً وشعوباً تتفاوت فيما بينها كما تتفاوت الامم والشعوب البشرية . وقد ثبت اليوم انه يمكن زيادة فتك الميكروب وفعله في الجسم بوسائل صناعية كما يمكن تخفيضه . ومعظم الميكروبات تضعف اذا نمت في خارج الجسم لمدة طويلة . وبعكس ذلك نجد ان ميكروبات كثيرة تزداد قوة وفتكاً مع انتقالها من جسم الى جسم

واذا طبقنا ما تقدم على وباء الانفلوانزا المنتشر اليوم أمكننا أن نقدم النظرية التالية : ان هذا الوباء انتشر في أوربا وقد أصيب به عدد من الاهلين يتراوح بين ٣٠ و٤٠ في المئة . ولا ريب أن الحرب كانت من العوامل المساعدة لانتشاره فانها فضلاً عن قلة الاطعمة والاجهاد الجسدي حملت الناس على الاحتشاد والاجتماع في أمكنة ضيقة كالمعسكرات والمصانع الحربية الخ . . . فاذا فرضنا أن بعض الاجسام المهزولة الضعيفة بسبب الحرب كانت منبتاً صالحاً لنمو الميكروبات التي تحدث الانفلوانزا فقد سهل انتشارها بعد ذلك في الاماكن التي يحتشد فيها الناس على اختلاف طبقاتهم واغراضهم . وبانتقالها من جسم الى جسم زادت شدة وفتكاً كما ذكرنا

⁂

هذا ويجدر بنا في الختام نقل النشرة التي أصدرتها مصلحة الصحة لاجتناب الانفلوانزا ليمكن مراجعتها عند الاقتضاء وقد جاء في مقدمتها — وجدير بنا ان نعتبر هذا القول ونعمل به — ان هذا الوباء لا يمكن تخفيف وطأته الا بمعاونة كل فرد من الافراد في اتخاذ طرق الوقاية المؤدية الى هذا الغرض . وهاك ارشاداتها :

(ا) احتياطات لاتقاء العدوى بهذا المرض

لايبرح عن الاذهان أن هـذا المرض الشديد العدوى جداً ينتقل في غالب الاحوال الى الشخص السليم باستنشاقه شيئاً من الذرَّات الملوَّثة التي تنتشر في الهواء من أنف او حلق او رئتي الشخص المصاب متى كان بالقرب منـه وعلى الخصوص عند مايتكلم أو يسعل او يعطس . وبناء عليه فكل من يصاب في منزله بهذا المرض يجب عزله في ذات المنزل في غرفة او غرف منفصلة عن باقي أهل المنزل

ولما كان الهواء المتجدد بكثرة يقلل العدوى بهذا المرض ويقتل جراثيمه وجب ابقاء جميع المنازل طلقة الهواء ومتوفرة فيها شروط التهوية ليلاً ونهاراً على الدوام .

ومما ينبغي تجنبه بقدر الامكان الركوب في مركبات الترام والقطارات الغاصة بالركاب وتجنب كل ازدحام في الاماكن المغلقة وابقاء الشبابيك في مركبات الترام وفي القطارات مفتوحة فتحاً كافياً لاجل التهوية

ومن الضروري في المنزل الذي يعزل فيه مصاب او مصابون بهـذا المرض أن تكون باقي غرفه الموجود فيها اشخاص غير مصابين في حالة تهوية تامة ومستمرة .

واذا قصد أحد البيات في أحدى اللوكاندات المعدّة للنوم يجب ان يطلب عند حضوره اعداد ناموسية تكون مغسولة حديثاً

(ب) الاحتياطات التي تتخذ عند الاصابة بالمرض

يظهر هذا المرض بألم في الرأس والحلق والافراز من الانف والسعال وآلام في اجزاء الجسم والحمى

١ ـ يجب عزل جميع الذين يصابون به بقدر الامكان في منازلهم

٢ ـ هذا المرض غير خطر في الغالب مالم تحدث فيه مضاعفات رئوية وأفضل الوسائل لمنع هذه المضاعفات هي ان يأوى المصاب الى فراشه عنـد اصابته في الحال مهما تكن الاعراض خفيفة وأن يبقى في فراشه حتى تزول الحمى او يسمح له الطبيب المعالج بالقيـام

٣ ـ على أقرباء المصاب ان يحصلوا بواسطة الطبيب المعالج او من اقرب مكتب صحة على النشرة المشتملة على بيان تفصيلي للاحتياطات التي يجب اتخاذها

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء. فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاعداد الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز عن اسم السائل باحرف أو بكلمة عند النشر

كلمة پهلوان

﴿ القاهرة ﴾ ع . م .

نرجو ان تفيدونا عن اصل كلمة « پهلوان » المستعملة عند العامة وعن أي اللغات اشتقت وهل هذه الكلمة قديمة العهد

﴿ الهلال ﴾ هذه الكلمة فارسية الاصل وهي قديمة العهد معروفة في اكثر الممالك الشرقية ، اشتقت عن الفارسية من كلمة پهلوية وهي اسم اللغة الفارسية القديمة . وپهلوية أو فهلوية نسبة الى پهله أو فهله وهي البقعة التي فيها همذان واصفهان واذربيجان والري ومياه نهاوند وغيرها من هذا الاقليم الفارسي (انظر كتاب انتشار الخط العربي) . واشتقاق كلمة پهلوان هذه غريب في بابه فقد كانوا ينسبونها الى (پهلو) بلفظ (پهلوى) وهو الرجل الحماسي الشجاع الباسل أو المقدام ثم تصرفوا فيها الى اللاعبين بالالعاب الجمبازية حتى ان اللغة الپهلوية نفسها قد فسر معناها بلغة المتقاتلين والشجعان كما جاء في جغرافية ملطبرون وغيرها . والقواميس الفارسية وتابعتها معاجم المستشرقين تفسر هذا الاسم بالمعاني المتقدمة قال دربلو: « Pahalavan ou Pahlevan » معناها في اللغة الفارسية الرجل الشجاع الباسل فهي عندهم وكلمة البطل « Héro » عندنا بمعنى واحد . أما Pahalavan Gehan فهو أشجع رجل في عصره . وكلمة پهلوان تستعمل في الشرق في غير فارس بنفس المعنى المتقدم فهي كذلك باللغة التركية والكردية والهندستانية الخ ... وقد رأينا في كتاب الالفاظ الفارسية المعربة للسيد الديشير صفحة ٢٩ ان كلمة البهلول في اللغة العربية هي

تعريب كلمة بهلوان قال: « البهلول » الضحاك والسيد الجامع لكل خير تعريب بهلوان ومنه بهلوان بالتركية والكردية

وقد صارت كلمة البهلوان كلقب لاسماء الاعلام في فارس وغيرها فقد ذكر ابن بطوطه في رحلته اسماء كثيرة على هذا الشكل منها ما ذكره في صفحة ١٥١ ج ١ وهو « أمير الركب البهلوان محمد الحويج » هذا ما عثرنا عليه من تخريج كلمة بهلوان

ع٠ع٠

العقل البشري

﴿ ومنه ﴾ ألا تعتقدون ان العقل البشري قد ارتقى ونحن منذ بضعة آلاف من السنين الى هذا اليوم ؟

﴿ الهلال ﴾ اذا نظرنا الى مقدار المعلومات البشرية في العلوم والفنون والآداب رأينا أن اهل هذا العصر يفوقون الاقدمين بمراحل ولكننا اذا اعتبرنا جودة الانتاج البشري ونوعه تعذر علينا أن نرى تقدماً يذكر هذا اذا لم نقل أن هناك تأخراً. وأما زيادة مقدار المعلومات البشرية فنتيجة تقدم فن الطباعة واحكام المواصلات بين البشر والرقي الصناعي نوجه الاجمال

رأس بعلبك

﴿ ايتا جاهي . برازيل ﴾ سليم سمعان

ارجو أن تفيدونا بما تعلمونه عن تاريخ قرية رأس بعلبك الواقعة بين بعلبك وحمص على مسافة لا تتجاوز ساعة ونصف ساعة من نبع نهر العاصي

﴿ الهلال ﴾ رأس بعلبك قرية واقعة في سفح رأس الجبل الشرقي « انتيليبان » على نحو نصف ساعة من خط السكة الحديدية الممتدة بين رياق في الجنوب وحلب في الشمال وهي على مسافة ٧٣ كيلومتراً من الاولى و١٦ كيلومتراً من محطة اللبوة. وتعلو عن سطح البحر ٨١٠ امتار واكثر سكانها روم كاثوليك

كانت رأس بعلبك تعرف في عهد الرومان باسم كونا وهي فيما يقال مدينة شرا القديمة وكانت مركز أسقفية وقد شهد اساقفتها مجمع نيقيا والمجمع الخلقيدوني .

والظاهر أنها كانت مدينة حصينة بدليل ما يرى فيها الى اليوم من آثار الابنية الضخمة والحصون المنيعة منها آثار كنيستين عظيمتين وقناة رومانية متهدمة

جبل اراراط

﴿ بوكارامنجا كولومبيا ﴾ نخله لحود صافي

بينما كنت اطالع في كتاب الدر المنظوم للمثلث الرحمات البطريرك بولس مسعد وقع نظري على كلام عن جبل اراراط يؤخذ منه ان هناك في الحقيقة جبلين بهذا الاسم ارتفاع احدهما عن سطح البحر ١٧٣٠٠٠ قدم وارتفاع الاخر ١٤٥٠٠٠. وقد اطلعت في قاموس فرنسي على ان ارتفاع الجبل المذكور ٥٢١١ متراً فايهما نصدق والفرق عظيم بين التقديرين ؟

﴿ الهلال ﴾ الخطأ في التقدير الاول ولعله أضيف صفر الى العدد الصحيح سهواً فان ارتفاع هذا الجبل كما ورد في دائرة المعارف البريطانية نحو ١٧٠٠٠ قدم وهو ما يعادل تقريباً التقدير الذي نقلتموه بالامتار عن القاموس الفرنسي . ويطلق اسم جبل اراراط على أعلى قمة من سلسلة الجبال الارمنية وهو الجبل المشار اليه فيما تقدم

عمر الخليقة

﴿ كيراباد . الهند ﴾ محمد نصرت محيي الدين مولوي

اتفقت الكتب التاريخية التي يعتمد عليها على ان الخليقة بدأت منذ نحو ستة أو سبعة آلاف سنة ولكن المباحث الجيولوجية تقول خلاف ذلك فما رأيكم في هذا الامر

﴿ الهلال ﴾ لا ريب اليوم في أن الخليقة بدأت منذ آلاف آلاف السنين والبراهين التي تثبت ذلك كثيرة ليس هذا محل الافاضة فيها انما نقول عنها أنها براهين علمية مثبتة بقدر ما يستطاع اثبات الحقائق العلمية . أما ما جاء في الكتب المقدسة فيمكن تأويله تأويلات مختلفة ولم تكتب الكتب الدينية ليرجع اليها في العلوم الطبيعية ونحوها

العلم والمال وأيهما أفضل

﴿ مامو . غينه الفرنسية ﴾ ملحم مخول

كثيراً ما يدور الحديث في مجتمعاتنا على ايهما افضل وأولى بالتحصيل العلم أو المال فتتضارب الاراء في هذا الشأن من غير جدوى . . . اما انا فارى افضلية المال مع احترامي العظيم للعلم والعلماء لاني أرى انه لا يمكن الحصول على العلم بدون مال وقد رأينا ان نستفتيكم في هذا الامر فما رايكم فيه ؟

﴿ الهلال ﴾ قد يكون الفقر حائلاً دون تحصيل العلم احياناً كما ان الجهل قد يحول دون تحصيل المال ايضاً في بعض الاحوال . ولكننا اذا نظرنا الى المسألة نظراً عاماً واعتبرنا شأن كل من العلم والمال في الهيئة الاجتماعية بوجه الاجمال رأينا ان قيمة العلم تفوق قيمة المال بمراحل بل رأينا ان العلم هو اعظم ثروة لدى البشر فليست الثروة الحقيقية النقود أو الدراهم كما يظن العامة بل الاعمال والمرافق التي يستفيد منها البشر بوجه من الوجوه . وبهذا الاعتبار يظهر تفوق العلم بلا جدال

ملافاة الصواعق

﴿ القلابات . السودان ﴾ محمد صالح جبريل

ان الجهات التي تنقلت فيها من هذه البلاد كثيرة الصواعق فاذا سقطت الصاعقة على منزل أو كوخ اصبح كوماً من الرماد واصبح اهله جثثاً باردة . فهل من طريقة ناجعة لملافاة شر هذه الصواعق ؟

﴿ الهلال ﴾ يستعمل اهالي اوربا جهازات مختلفة تحمي من الصواعق توضع على المنازل المراد حمايتها وهي انواع مختلفة ويمنعنا ضيق المقام عن بيان مبادئها وخواصها ومن الميسور الحصول عليها من المصانع الاوربية

اسرة هوهنزلرن

وتقلب الدهر عليها

لقد قضت هذه الحرب على ثلاث من اعظم الاسرات المالكة التي عرفها التاريخ وهي : أسرة رومانوف وأسرة هابسبرج وأسرة هوهنزلرن . ولعل ادعى هذه الانقلابات للدهشة والتعجب سقوط الاسرة الهوهنزلرنية التي بلغت من القوة والنفوذ ما جعلها تتمادى في غطرستها واحتيالها الى ان افاقت ذات يوم والشعب الالماني ثائر عليها بعد ان اخلفت وعودها له وخيبت آماله فيها . والعالم بأسره اليوم يترقب مصير غليوم الثاني آخر تلك السلالة التي جرّت على البشر من البلايا ما يجعل اسمها ممقوتاً على مر الدهور

على ان مثيري هذه الحرب ـ وان استحقوا اللعنة من اجل المصائب التي انزلوها على وجه الارض ـ قد افادوا البشرية من حيث لم يريدوا اذ ايقظوا الشعوب من رقادها وعلموها أنه لا سعادة لها الا اذا تولت بنفسها جميع امورها

* * *

ليس غرضنا من هذه المقالة سرد تاريخ أسرة هوهنزلرن بالتفصيل بل ذكر أهم الاطوار التي تقلبت عليها تلك الاسرة منذ اقدم الازمنة الى هذا اليوم مستعينين في ذلك بالخرائط التالية التي توضح في الذهن مبلغ انقلاب الحال على تلك الاسرة

واسم هوهنزلرن مأخوذ من اسم القصر الذي نشأت فيه تلك الاسرة وهو واقع على مقربة من هيهنجن في المقاطعة البروسية المسماة باسم هوهنزلرن وهي ملاصقة لمملكتي بادن وورتمبرغ الالمانيتين . وقد بني هذا القصر في القرن التاسع للميلاد ثم تهدم سنة ١٤٢٣ وأعيد بناؤه سنة ١٤٥٤ وقد حوصر غير مرة في أثناء حرب الثلاثين سنة الى ان تدمر ولم يبق منه الا آثار خربة . واخيراً عني بامره فريدريك غليوم ملك بروسيا وامر سنة ١٨٥٠ بتشييده على طراز قصور القرن الرابع عشر

* * *

واول اعضاء الاسرة الهوهنزلرنية المذكورين في التاريخ هما بركهارد ووزيل اللذين ورد ذكرهما في اواسط القرن الحادي عشر . على ان وزيل هذا لم يترك نسلا

فالاسرة الهوهنزلرنية الحالية على فروعها تنسب الى بركهارد المتقدم ذكره

ولم يكن لهذه الاسرة في اول امرها شأن يذكر في تاريخ اوربا بل كانت واحدة من الاسر الالمانية الكثيرة التي حكمت على مقاطعات مختلفة . ويبدأ تاريخ ارتقائها الحقيقي في سنة ١٤١٥ اذ عين الامبراطور سيجسموند الالماني (حكم من سنة ١٤١٠ الى ١٤٣٧) الكونت فريدريك هوهنزلرن اميراً على براندنبرغ وجعله من « المنتخبين السبعة » (١)

والخريطة الاولى المنشورة هنا تبين ممتلكات الاسرة الهوهنزلرنية سنة ١٤٧٧ وقد كانت اذ ذاك بقعة من الارض تحيط بمدينة برلين



ش ١ : ممتلكات آل هوهنزلرن سنة ١٤٧٧

وفي اوائل القرن السادس عشر انتخب الاشراف التوتونيون الذين كانوا يملكون مقاطعة بروسيا الكبيرة الممتدة على شواطئ البلطيك احد افراد الاسرة الهوهنزلرنية رئيساً عليهم وكان اسمه البرخت . ولما لم يكن لهذا الامير نسل ورثه آل هوهنزلرن واضيفت بروسيا الى ممتلكاتهم

وبينما كانت حرب الثلاثين سنة مستعرة في اوربا ظهر على عرش بروسيا فريدريك ولم وهو في الحقيقة منشىء عظمة بروسيا وكان بدء حكمه سنة ١٦٤٠ وقد توفي سنة ١٦٨٨ بعد ان وسع ممتلكاته كثيراً . وهو الذي انشأ اول جيش دائم في اوربا الوسطى (وعدده ٣٨٠٠٠) وكان عدد رعاياه عند وفاته مليون ونصف مليون

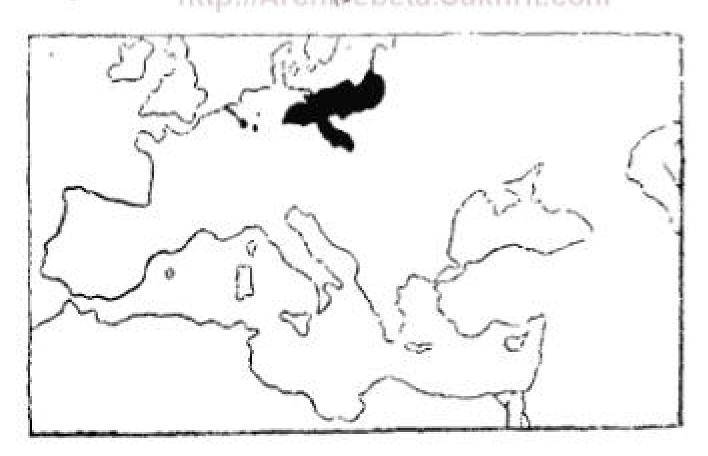
(١) هم سبعة زعماء كان ينتخبهم الشعب الالماني لينظروا في شؤونه ويختاروا من يحكمه. وقد بدأ هذا النظام في المانيا في اواخر القرن الثالث عشر

وخلفه ابنه فريدريك الاول الذي توج ملكاً في كونغسبرغ في ١٨ يناير سنة ١٧٠١ وحكم حتى سنة ١٧١٣ . وخلف هذا فريدريك وليم الاول حتى سنة ١٧٤٠ ولما توفي خلف لابنه المعروف بفريدريك الثاني (الكبير) ملكا بلغت مساحته ٤٧٧٧٠ ميلاً مربعاً وسكانه مليونين ونصف مليون نفس (انظر الخريطة الثانية)



ش ٢ : بروسيا سنة ١٧٤٠

وفي الخريطة الثالثة بيان لممتلكات بروسيا في آخر عهد فريدريك الكبير (توفي سنة ١٧٨٦) فقد ضاعف هذا الملك العظيم ميراث اجداده ولما توفي كانت مساحة



ش ٣ : بروسيا سنة ١٧٨٦

بروسيا والبلاد التابعة لها ٧٤٣٤٠ ميلاً مربعاً وأهلها خمسة ملايين ونصف مليون نفس

واتسعت بروسيا في عهد فريدريك وليم الثاني (حكم من ١٧٨٦ —

١٧٩٧) . ولكن نابوليون انتزع نصف الاملاك البروسية تقريباً في عهد فريدريك وليم الثالث (١٧٩٧ — ١٨٤٠) الا ان مؤتمر فينا اعاد هذه الاملاك الى اسرة هوهنزلرن بل أضاف اليها مقاطعات أخرى فبلغت مساحة املاك بروسيا ٨٢٠ ١٠٦ ميلا مربعاً . وقد كانت اذ ذاك مقسومة الى قسمين بعيدين الواحد عن الاخر (انظر الخريطة الرابعة)



ش ٤ : بروسيا بعد مؤتمر فينا سنة ١٨١٥

وقد التأم هذان القسمان واصبحا قطراً واحداً اثر حرب سنة ١٨٦٦ مع النمسا اذ بلغت مساحة بروسيا ٤٦٣ ١٣٤ ميلا مربعاً وسكانها ٤٣٦ ٧٦٩ ٢٢ نفساً

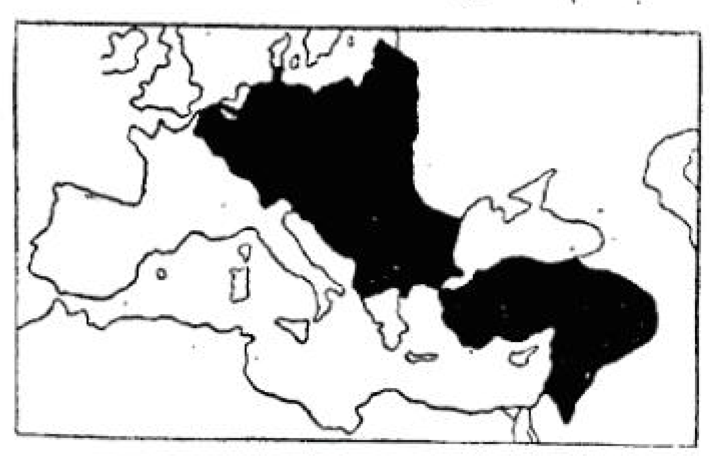


ش ٥ : المانيا بعد حرب سنة ١٨٧٠

وعلى اثر الحرب البروسية الفرنسية سنة ١٨٧٠ و ١٨٧١ تكونت الامبراطورية الالمانية التي عرفناها عند نشوب الحرب وقد توج وليم الاول امبراطوراً المانياً في

فرسايل في سنة ١٨٧١ (أنظر خريطة ٥)

وفي الخريطة الاخيرة بيان ما بلغته المانيا من النفوذ والسيطرة في اثناء الحرب الاورية فقد كانت تحكم في الواقع المانيا والنمسا وبلغاريا وتركيا



ش ٦ : امتداد نفوذ المانيا في اثناء الحرب

واذا أردنا ان نضيف خريطة سابعة الى هذه الخرائط الست وضعنا في وسطها علامة استفهام كبيرة لان مستقبل آل هوهنزلرن لم يبت فيه بعد

وهاك قائمة بملوك بروسيا ابتداء من فريدريك الاول . وبجانب كل ملك سنة ارتقائه العرش :

فريدريك الاول	١٧٠١
فريدريك وليم الاول	١٧١٣
فريدريك الثاني (الكبير)	١٧٤٠
فريدريك وليم الثاني	١٧٨٦
فريدريك وليم الثالث	١٧٩٧
فريدريك وليم الرابع	١٨٤٠
وليم الاول	١٨٦١
فريدريك الثالث (حكم من ٩ مارس الى ١٥ يونيو)	١٨٨٨
وليم الثاني	١٨٨٨

بحث

في صنائع الاسلام الراقية

[الهلال] قد استعار كاتب هذه المقالة امضاء « مستهل » وهو من اوثق الباحثين في مدنية العرب وآثارهم وقد طالع في سبيل هذا المبحث عدة كتب بلغات مختلفة ولا ريب عندنا ان القراء سيقدرونه حق قدره

كان العرب قبل الاسلام يعرفون التصوير والتمثيل ، يشهد على ذلك ما جاء في الحديث النبوي : « رأيت الجنة والنار ممثلين في قبلة الجدار » أي مصورتين او مثالهما . ويشهد عليه الاصنام والاوثان التي كانت في الكعبة وعددها يفوق الثلثمائة . فلما جاء الاسلام حُرّم التصوير والتمثيل ، فكسرت الاصنام ومزقت الصور اينما كانت وفقاً لهذا الحديث : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب او صورة » . وفي حديث آخر : « لا تمثلوا بنامية الله » أي لا تشبهوا بخلقه وتصوروا مثل تصويره . وقيل هو من المثلة والاشهر الاول وعليه المعوَّل . فلما أخذ المسلمون بالتوغل في العمران وارادوا ان يزينوا بيوتهم ودورهم وقصورهم بضروب التصاوير عدلوا عنها واختاروا لهم زخارف اشتهرت عند الافرنج باسم « النقوش العربية » لا لانهم اخترعوها ، بل لانهم اكثروا من استعمالهم لها ولان اهل الغرب تلقوها عنهم . وهي نقوش هندسية يزينون بها الآيات او الاحاديث او الحِكم التي يكتبونها أو يحفرونها على تلك المعاهد . وتمثل تلك الزخارف رسوماً هندسية او انواعاً من الازهار والاثمار والاوراق هي الى الخيال اقرب منها الى الحقيقة ، اذ لم يقصدوا بها الا مجرد الزينة ليحسنوا بها الكتابة فتزداد بها حسناً ورواء . ومن حسن ما عنوا به من هذا القبيل ما زينوا به القصور التي شيدت في الاندلس في عهد الخلفاء الامويين

على ان الشيعة لم يحرّموا التصوير والتماثيل لانهم لم يروا في القرآن آيةً تدل على تحريمه الا انهم حرموا صنع التماثيل لقربها من هيئة الاصنام والاوثان . ولهذا نرى كثيراً من الكتب المصورة وفيها مثل الانسان والحيوان والنبات . وهذا لم يتخذوه قبل يوم أو يومين بل جاء ذلك عندهم منذ سابق العهد . فقد كان المتوكل

قد بنى قصراً بسامرَّا سماه المختار « وكانت فيه صور عجيبة من جملتها صورة بيعة فيها رهبان واحسنها صورة شهَّار البيعة وقد قال الواثق واصفاً القصر والصورة :

ما رأينا كبهجة المختار لا ولا مثل صورة الشهَّار »

(هذا الكلام مأخوذ عن معجم البلدان لياقوت الحموي في مادة المختار) والظاهر أن المتوكل بنى هذا القصر قبل أن يلي الخلافة . لان الواثق أخاه وليها قبله فيكون قد ذهب اليه بعد بناء المتوكل له وفي عهد خلافة اخيه الواثق . ومن الغريب أن المتوكل كان سنّياً صرفاً وعدواً أزرق للشيعة فلا نعلم كيف رضي بان تصور تصاوير في قصره . وعلى كل حال فان الدكتور هوتسفلد اكتشف في سامرَّا عدة تصاوير في قصور العباسيين قبل نحو ثماني سنوات مما حمل العلماء المستشرقين على القول أن العباسيين كانوا قد تساهلوا في هذا الباب وكان الخلفاء قبل ذلك العهد مخالفين لهذا التسامح والتجوّز

الزخارف العربية

اما اصل هذه الزخارف المشهورة بالزخارف العربية فهو الهند . فقد قال هيرودوتس واسترابون واريانس وجماعة من قدماء المؤرخين ان الهنود كانوا يصطنعون منذ عهد عهيد ثياباً يطبعون عليها تصاوير زاهية الالوان لا تنفض (لا تحرد) ، وتلك التصاوير تمثل ازهاراً وانبتة وحيوانات ونقوشاً مختلفة . وكانت تلك الثياب (الاقمشة) تباع في الديار المصرية واليونانية قبل ان يفتح الاسكندر الكبير فتوحاته الشهيرة فتنقل الى اليونان اسرار صنعها . وكان البطالسة أقاموا في الاسكندرية معامل كان فيها مهرة العملة من اليونان يرشدون المصريين الى تقليد تلك الثياب الهندية . وكانوا ينقشون عليها على ما قال كلوديانس : « وحوشاً مختلفة الاشكال وسلاحف طائرة ونسوراً ذات قرون وصور بشر منصلة بصدف الحلزون » . وقد اخذ المصريون ايضاً في ذات العهد عن الفرس والبابليين صنع الطنافس والبُسط التي كان قد أُغرم بها اليونان في زمن ارسطوطاليس الذي قال عنها انها كانت مرغوبة لحسن الوانها الزاهية وغرابة نقشها واتقان صنعها . ولعل رؤية الثياب الشرقية هي التي هدت اليونان الى معرفة الزخارف العربية من شماريخ وتعاريج واوراق زينوا بها بعض ابنيتهم ومن جملتها

رأس البناء المعروف عندهم بما معناه : « مِصْبَاح ديمستينس » لكنه لا ينكر ان الرومان لم يأخذوا ذوق هذه الرسوم الا من ديار مصر حتى بلغت عندهم (أي عند الرومان) الشَّأْوَ الابعد ولقد أشار فتروفس (١) الى هذه الرسوم كأنها حديثة في عهده . ومع ما كتب هذا الناقد من الكلام اللاذع بشأن اولئك الذين أحدثوا اموراً في الريازة الرومانية ، بقي معاصروه محافظين على ما أدخلوه في بلادهم من تلك النقوش والتزيينات وظلوا يزخرفون بها مصانعهم ومعاهدهم بل مدافنهم نفسها ولا ترى ثمّ الا تصاوير ومنحوتات تمثل لك مناظر ابنية خيالية ونقوشاً تشتبك فيها الابنية الوهمية والحيوانات الوحشية واطفالا تلعب بضروب من عنقاء مغرب وغيرها كالسباع التي لا حقيقة لها . وترى بينها ايضاً اثماراً وحيوانات صيدٍ وازهاراً وأدوات لهو وتخاريم الى غيرها . وأغلب هذه المرسومات تشف عن تقليد مأخوذ عن الشرق مثل النباتات والحيوانات المقدسة المصرية والهندية وبجانبها مصانع بناؤها فارسي الطرز أو بابليّه . أما الرموز التي تشير اليها تلك المصوّرات فان الرومان ما كانوا يفقهون لها فكانوا يتخذون « الطرز المصري » طرزاً صناعياً لا غير ، كما يقلد اليوم الافرنج « الطرز الصيني او الياباني » وهم لا يفهمون ما تنطوي عليه من المغازي والمعاني والاشارات الدقيقة . ولقد اكتشف الباحثون منذ نحو قرنين كثيراً من هذه التصاوير العربية في بومباي وهركلانم وقد رسمت قبل الاسلام بنحو خمسمائة وخمسين سنة . فوجودها قبل الحضارة العربية دليل واضح على ان ابناء يعرب لم يخترعوا تلك النقوش بل أخذوها عن المصريين أوالهنود كما تقدمت اليه الاشارة وبهذا القدر كفاية في هذا الصدد

النقش

أما النقش أي التصوير بالالوان فان العرب كانوا يعرفونه أيضاً قبل الاسلام على ما أورده ابن الكلبي في تاريخ مكة ، واصفاً ما كان في الكعبة من النقوش المختلفة . وأما بعد الاسلام فقد حرم كما حرّم كل تصوير وتمثيل (٢) . وقد ذكر العلامة

(١) فتروفس راز روماني طوى بساط ايامه في المائة السابقة للميلاد . وقد ألف كتاباً في الريازة في نحو سنة ٨٨ ق . م . واهداه الى اوغسطس قيصر

(٢) النقش ليس بمحرم اذا لم يكن صورة حيوان

مرادجادُصَّوْن انه كان منقوشاً على ابواب جامع عبد الملك في القدس صورة النبي القرشي وكان داخل ذلك الجامع مزيناً بنقوش تمثل الجنة والنار . ولا جرم ان ناقشي تلك الصور كانوا الروم ، الا انه اشتهر بين العرب ايضاً نقاشون عديدون وصوروا الانبياء والخلفاء وكبار القواد ومشاهير الرجال والشعراء النوابغ حتى ان معامل القلمون بجوار دمشق ومعامل دابق بجوار حلب ومعامل البهنسي في الصعيد الادنى كانت تصور تلك النقوش على الثياب التي كانت تنسج فيها . ومن جملة ما كانوا يصورونه على تلك الثياب الحفلات والاعياد والتصيد . وقد نبغ في القرن العاشر المسيح (أي القرن الرابع للهجرة) نقاشون تعقد عليهم الخناصر من جملتهم : عبد العزيز البصري وقصير العراقي وابو بكر محمد بن حسن ومحمد بن المبارك الصوري ومحمد بن محمد وغيرهم كثيرون . وفي ذلك العهد أيضاً كان فريق من العرب يزوقون ويحلون نفائس الكتب بنقوش زاهية الالوان لا تقل حسناً عما كان ينقشه الغربيون من الدمى ويزينون بها أسفارهم الثمينة . وقد ذكر التاريخ دار تصوير ونقش في سمرقند أنشأها تيمورلنك نفسه . وأحسن ما كان من تلك الصور ما كانت من قلم عبد علي البغدادي . ويحفظ اليوم العلماء وأهل الفن المغرمون بالنفائس الشرقية تصاوير ونقوشاً عديدة وقد وضعوا كتباً جليلة في وضعها وذكر محاسنها ومساوئها وقد نقلوها بالتصوير الشمسي وهذه الكتب هي أشهر من ان تذكر وهي تباع في أسواق ديار الافرنج فليس ادنى شبهة في ان كثيرين من المسلمين أولعوا بالنقش والتصوير وأبقوا لهم ذكراً لا يمحى

الريازة

الريازة العربية ويسميها بعضهم الريازة الاسلامية ويسميها الاندلسيون الريازة المغربية هي فن البناية العربية الحادثة بعد الهجرة . وقد ظهرت مبزتها في العهد العباسي ، ثم زادت رونقاً في زمن عبد الرحمن الاموي الاندلسي في الابنية التي رفعها في قرطبة فانه جلب من القسطنطينية رزاةً مهرة وارسل قسطنطين قيصر الروم يومئذ الى الخليفة المذكور بمائة وخمسين عموداً من الرخام النادر لقصر الزهراء والزهراء كانت حظية الخليفة . وقد لاحظ احد علماء الفرنسويين (وهو المسيو جيرودي برانجي) انه كان ببلاد الاندلس ثلاثة أعصر متعاقبة : عصر يبتدىء من

القرن الثامن وينتهي في القرن العاشر ومزيته تقليد الابنية الرومانية تقليداً حذو القذة بالقذة . وكان رزانه البناؤون الذين كانوا في ديار الشام ومصر والعراق الذين بقوا على حب الخلافة الاموية فغادروا من اجلها بلاد الشرق الى بلاد الاندلس وكان الروح العربي قد تجلى في اصحابه كل التجلي . « وكان أعظم فرحهم ، على ما قاله المسيو رينو ، أن يكثروا من الاشياء التي كانت قد أثرت على انظارهم في وطنهم الذي نشأوا فيه » . واراد الخليفة عبد الرحمن الذي خط بيده رسم جامع قرطبة أن يكون جامعه شبيهاً بالجامع الذي شيده اهل بيته في دمشق الفيحاء وأن يفوق زخرفه وبهاؤه زخرف وبهاء الجامع الذي كان يقيمه العباسيون آنئذ في بغداد دار السلام . وقد وصف أوسابيوس القيصريّ في كتابه : « ترجمة فلسطين » الابنية التي شادها هذا القيصر وكان فيها افنية واسعة واروقة عالية وشاذروانات تقذف مياهها الى بُعد شاسع ومقاصير حسنة الهندام معدة لايواء القسوس وخدم الدين . فلا جرم ان هذه المصانع كانت أمثلة لما بني من الجوامع في ديار الشام وفلسطين ومصر على ما لاحظه رزاة العصر النوابغ من اهل الغرب بعد ان قابلوا ابنية بابنية ولا سيما لانهم يعلمون اعمار تلك الابنية وما سبق احدها الآخر . ففي الجوامع التي عمرت في تلك الازمان تكثر القسافس[١] البوزنطية . وفي سنة ٩٦٥ م كانت الزخارف اليونانية الغنية بنقوشها وانواع زينها لا ترضي اصحاب الفن لميل أنفسهم الى ما هو أرق منها واوقع في النفس . فاخذوا يبحثون عن زخارف زاهية وشرعوا يكثرون من دقائقها فاصبح شكل العقود غزير التخاريم والمنعرجات المختلفة كما يشاهد هذا الامر في قرطبة في مسجد (كابلة) فلافشيوسا الذي أنشئ في خلافة الحاكم سنة ٩٦٥ م وهذا هو العصر الثاني من عصور الريازة العربية . أما عصرها الثالث فهو الذي حدث بعد سقوط خلافة قرطبة وذلك ان عرب الاندلس دانوا للمسلمين الافريقيين فانحط شيئاً فشيئاً الروح العربي فنشأ في الصنائع والفنون الراقية مزية جديدة سماها احد المحدثين من اصحاب الفن هو العلامة جيرودي برانجي « الريازة الاسلامية المغربية أو الافريقية » . اذ ترى في تلك البناية قيام العقد اليوناني الثقيل الساذج بجنب عقد يضيّ الشكل كثير الرشاقة

(١) القسافس جمع فسيفساء وهي حصى صغيرة ملونة اذا وضعت احداها بجانب اختها بمقدار عدد معلوم ينشأ منها تصاوير ونقوش مختلفة

أو قليلها على ما يبدو لك ذلك في مختلف الابنية . ويتلو التزيين البوزنطي المنتظم التخريمات والتزويقات الغريبة الاشكال التي سماها العلماء « بالزخارف العربية » كما أسلفنا الكلام عنها . وأبدلت فسافيس الزجاج والرخام بفسافس الكاشاني (أو الكاشي) الزاهية الالوان على اشكال وصور بديعة أدخلها الفن الجديد طبقاً لاوضاع هندسية متقنة كل الاتقان . ويشاهد أيضاً على جدران الابنية تزيينات من الستوق مفرغة افراغاً حسناً وهي اذا جاورت بقية اجزاء التزويقات والتحسينات تفعل فعلاً عجيباً في الرائي . وزمن هذا العصر الذي هو ازهى عصور الريازة الاسلامية هو المائة الثانية عشرة في عهد دولة الموحدين الذين كان يمتد صولجان ملكهم من بلاد الاندلس الى القسم الشمالي الشرقي من افريقية . وأجمل أمثلة هذه البناية ترى في إشبيلية وكانت يومئذ حاضرة دولة الموحدين فمن هذه الابنية « الجيرلدة » وبقايا الجامع الذي حوّل كنيسة وهي قائمة الى يومنا هذا وبعض جهات من (القصر) فهذه الابنية على اختلافها شيدت في خلافة المنصور . ومما ميز هذا العصر عن اخويه المذكورين الكتابات والمقام الرفيع الذي صار لها في ذلك الاوان اذ اتخذت بمنزلة زينة زينت بها العمارات على اختلاف غاياتها مراراً من اتخاذ الصور عليها . الا ان الكتابات في نظر رواة الافرنج ليست الا بمنزلة الامور الثانوية لا غير . ثم انتقلت هذه الحالة الى حالة أخرى أرقى منها الا أنها كانت آخر رمق تلك الدولة وكانت غرناطة مباءة هذا الرقي . وأغلب الامثلة التي يشار اليها بالبنان انشئت في (الحمراء) قال المسيو رينو الذي استشهدنا بكلامه غير مرة: اذا كانت الابنية هي لسان حال الامم وتنطق باخلاقهم وعاداتهم وعمرانهم فليس من بناء ينطق بتلك الامور كلها مثل (الحمراء) . فانك ترى فيها عنوان أمة تحب الفراغ وتعشق اللهو وتغرم بالانس وتتفرغ للملاهي على ما كانت عليها في ذلك الزمن

هذا وخارج الابنية الاسلامية ساذج يكاد يكون عارياً من الزينة وليس فيه من النوافذ الا الشيء اليسير وهذه النوافذ مسدودة بالمشربيات التي يسميها العراقيون المشبكات وهي تنم عن أن من يجلس وراءها يحب التطلع على الناس بدون أن يشرف عليه أحد . وهو امر معروف في المتحضرين من العرب وقد اشتهر بذلك نساؤهم خاصة لوجود دار خاصة بهن تسمى (الحرم) . ولهذا لم يكن يومئذ في غرناطة من المباني العمومية سوى المساجد والمدارس والحمامات . وفي هذه المعالم

قسها لا ترى في ظاهرها الزينة والبهرجة والزخارف بل تراها في داخلها فقط ، بخلاف ما يشاهد في الابنية اليونانية والرومانية فان الزينة كانت ترى على الخارج وفي الداخل معاً ، لكن العرب اعتبروا ظاهر البناء بمنزلة القشرة للثمرة ، فلا اعتداد بالقشرة اذا كانت الثمرة حسنة

أما دور خواص المسلمين في الاندلس فانها تشبه الدور التي ترى في يومنا هذا على سواحل أفريقية ، فانك ترى مدخلها مشروعاً على الطريق ولا تصل ساحة الدار الا من بعد أن تمر بدهليز (يسميه العراقيون المجاز والرومان آتريوم) وفي فناء الدار يكون غالباً شاذروان (يسميه أهل الشام نوفرة أو فسقية) وحوله صفوف من أشجار النارنج والبرتقال وحول الفناء رواق مفتوح (واسم الرواق عند العراقيين الطارمة) بعواميد لطيفة دقيقة ومن هذا الرواق تصير الى الحجر أو الغرف المنظمة حول الشاذروان . واذا فحصنا البناية العربية في بلاد الشام ومصر حيث لم يتبدل فيها الا ما رقاه الفن نرى فيها فروقاً تميزها عن بناية عرب الاندلس وريازة مغاربة أفريقية ، فجوامع ديار مصر مثلاً تدل على معرفة واغلة في فن تعادل الاجسام واختيار المواد اللازمة للبناء . أما تزيينهم للابنية واتخاذ الكتابات المزخرفة فالظاهر أن ليس في مصر القاهرة معهد يفوق أو يجاري الحمراء في الاندلس

ما تقدم بسطه هو نظر عام في أبنية المسلمين في ديار الغرب . أما في الشرق فان الريازة الفارسية أثرت كل التأثير على الريازة الاسلامية بل اكثر مما أثرت عليها الريازة الرومية ، ففي البناية الفارسية من الاشكال المتلاعبة ما أنشأ في نفوس العرب المشارقة طرزاً خاصاً بهم يمتزج فيه الطرز الرومي بالطرز الفارسي . فاكتظت في الجوامع القبب البيضية والمخروطة على حد ما كان يرى في مصانع الفرس والهنود القديمة . وقد اقتبسها من الشرق بناة الروس ورزانهم ، فازدانت المآذن باحواض مسننة وشرافها نائتة وداخلة على طبق ما يرى اليوم في بعض الابنية القديمة في ديار فارس وامتدت قسي الفتحات على شكل عقد مبالغ فيه وارتفعت بيضية الشكل حادتها وازدانت بتقاطيع وزاويق عديدة تميز بينها تلك القبيبات المعلقة كأنها أنصاف أجراس مستديرة وتكاد تتذبذب في الهواء لما فيها من حسن اسلوب الوضع ورشاقة الاشكال وهي التي سماها الاسبانيون : « مدياس نارنخاس » أي انصاف النارنجات

وقد اتخذ العرب في ابنيتهم الحجارة المنحوتة والاشكنج [1] وربما ناوبوا بين طبقة من هذا وطبقة من تلك أو بين طبقة من الحجارة وطبقة من الملاط ، لكنهم اتخذوا بمهارة ما سموه « التعبئة » وهي ضرب من الملاط ممزوج بحصى كانوا يفرغونه بين الالواح الراكبة نحن الحائط الذي يريدون بناءه . فاذا صلبت تلك « التعبئة » يغشونها بطلاء رقيق يدفع عنه الرطوبة . أما الابنية المستديرة فقد ندر وجودها عند مسلمي العرب . وكانت ابراجهم مربعة كما تشاهد في ميادين آرل في فرنسا وكانت بعض الاحيان مثمنة الزوايا . أما اذا أردت ان تشاهد أمثلة بناء الفن العربي فعليك ببلاد الاندلس وافريقية وسورية وصقلية وفي بعض مدن جنوبي فرنسة

وأما البناية في العراق فهي على طرزين : طرز سبق الاسلام وطرز عقبه . فالطرز السابق الاسلام كان يقرب من الطرز الفارسي الساساني مع شيء من الطرز الرومي وكان أغلب بناته العرب النصارى فكانوا يعنون بتشييد الحصون والقصور والبيع والاديرة . ولم يبق في ديارنا من تلك الابنية الا ما يسمى اليوم بالاخيضر بقرب شفاثا أو بجوار النجف . وما الاخيضر على رأي بعضهم الا تصحيف الاكيدر اي قصر الاكيدر وهو صاحب القصر وبانيه . ويوافق هذا الرأي ان محله يوافق كل الموافقة ما وصفه ياقوت عن قصر ومنازل في دومة الحيرة وهي غير دومة الجندل وكلاهما للاكيدر وهذا بعض ما قاله الحموي : « فاما دومة (الجندل) فعليها سور يتحصن به . وفي داخل السور حصن منيع يقال له « مارد » وهو حصن اكيدر الملك بن عبد الملك السكوني الكندي . . . وكان نصرانياً . . . ونقض اكيدر الصلح . . . فاجلاه عمر رضه من دومة في من أجلي من مخالفي دين الاسلام الى الحيرة فنزل في موضع منها قرب عين التمر وبنى به منازل وسماها دومة وقيل دوماء باسم حصنه بوادي القرى فهو قائم يعرف الا انه خراب » اه . قلنا وهذا القصر قائم الى يومنا هذا وقد وصفه المسيو لويس ماسينيون الفرنسوي في رحلته ووصفته أيضاً أحسن وصف الخاتون الكريمة « المس جرترود لوثيان بل »

---

(١) الاشكنج كلمة معروفة عند العراقيين ويراد بها صغار الحجارة تتخذ حشواً في البناء وهي لا توجد في معاجم اللغة مع انها قديمة وقد ذكرها الجاحظ في كتاب البخلاء (ص ١٢١) اذ يقول : « وما كان من اشكنج فهو مجموع للبناء » اه . والكلمة فارسية الاصل وهي فيها بهذا المعنى

الشهيرة في بلادنا وقد فصلت هذا الوصف في كتابها الموسوم : « من مراد الى مراد » وذكرت عنه فوائد جزيلة وصورته على اختلاف جوانبه وحجره فجاء التصوير أحسن مثال له ولمن يريد ان يشاهده بدون ان يذهب اليه . فعلى من يريد الوقوف على كل ذلك أن يراجع الكتاب المذكور . ومن القصور السابقة للاسلام الخورنق والسدير وهما اطلال باقية في جوار النجف ايضاً . وهناك غيرها من القصور كبارق وسنداد والحاريّ وكان هذا من ابدع ما بني . وقد نقل المسعودي في مروج الذهب : « أن بعض ملوك الحيرة من النعمانية من بني نصر احدث بنياناً في دار قراره وهي الحيرة على صورة (جيش) الحرب وهيئته للهجته بها وميله نحوها ، لئلا يغيب عنه ذكرها في سائر احواله فكان الرواق مجلس الملك وهو الصدر ، والكمان ميمنة وميسرة ويكون في البيتين اللذين هما الكمان من يقرب منه من خواصه وفي اليمين منها خزانة الكسوة ، وفي الشمال ما احتيج اليه من الشراب : والرواق قد عمّ فضاؤه الصدر والكمين والابواب الثلاثة على الرواق . فسمي هذا البنيان الى هذا الوقت « بالحيريّ بكمين اضافة الى الحيرة » اه المقصود من ايراده . قلنا : وسمى بعضهم هذا النوع من البناء السدلي والسدير كما أشار اليه لغويو العرب

وأما الاديرة التي بنتها العرب قبل الاسلام فكثيرة ذكر شيئاً منها ياقوت في معجمه وخصّ منها بالتفصيل دير هند الصغرى ودير هند الكبرى . ونحن نذكر هنا بعض ما قاله عن دير هند الكبرى . قال : « وهو ايضاً بالحيرة (كدير هند الصغرى) بنته هند أم عمرو بن هند وهي هند بنت الحارث بن عمرو بن حُجر آكل المرار الكندي . وكان في صدره مكتوب : « بنت هذه البيعة هند بنت الحارث بن عمرو بن حجر الملكة بنت الاملاك وأم الملك عمر بن المنذر أمة المسيح وأم عبده وبنت عبيده في مُلك مَلك الاملاك خسرو انو شروان في زمن مارافريم الاسقف . فالاله الذي بنت له هذا الدير يغفر خطيئتها ويترحم عليها وعلى ولدها ويقبل بها وبقومها الى امانة الحق ويكون الله معها ومع ولدها الدهر الداهر »

ومن الاديرة القديمة الشهيرة دير العاقول قال عنه ياقوت : « هو دير عظيم شبه بالحصن المنيع وعليه سور عظيم عال محكم البناء وفيه مائة قلاية لرهبانه وهم يتبايعون هذه القلالي بينهم من الف دينار الى مائتي دينار وحول كل قلاية بستان

فيه من جميع الثمار وتباع غلة البستان منها من مائتي دينار الى خمسين ديناراً وفي وسطه نهر جارٍ » اهـ

هذا وصف شيء من ابنية العرب قبل الاسلام . وأما بعد الاسلام فان طرز البناء اصبح مركباً من الطرز الفارسي والطرز الرومي على ما أسلفنا القول . وقد بنى العباسيون في العراق ابنية كثيرة كان اغلبها جوامع وقصوراً وفي نحو آخر خلافتهم عنوا باقامة المدارس . وقصورهم كانت كثيرة وكان اكثرها في بغداد وفي سامرّا فمنها القصر الحسني والخُلد والتاج والثريا وقصر السلام والقصر الابيض والرقة والحيّز والعروس والمختار والوحيد والجعفري المحدث والغريب والشيدان والبرج والصبح والمليح وقصر بستان الايتاخية والتل والجوسق دبركوارا ويروى بركوان وهو خطأ والقلائد والفرد ويروى الغرد وهو خطأ والماحوزة ويروى الماجوزة وهو خطأ وهو القصر بالمتوكلية ايضاً والبهو واللؤلؤة والجعفري والمعشوق وهذا وحده موجود منه شيء في سامرّا . وأما من قصور العباسيين في بغداد فانه لا يوجد سوى بقايا من قصر على دجلة يقال انه بقايا التاج وهو ما يرى في القلعة الحالية التي كانت في عهد الاتراك « الطوبخانة » ففيها من المحاسن وآيات الزخرف ما يدل على أن رزاة ذلك العهد بلغوا أبعد الشأو في فنهم . ومادة البناء هي الآجر أو الطاباق قد احسنوا شيّه ونقشه وزخرفه حتى اذا وضعت الآجرة بجانب الآجرة الاخرى اختها الى أختها نشأ من مجموعها جميعاً نقوش وزخارف عربية تأخذ بمجامع القلوب وتسكر الالباب وقد صورها أحد مهندسي الفرنسويين وهو المسيو فيوله فكتب عنها رسالة وصف فيها ما لتلك البدائع من الروائع واطنب في الكلام عن صانعيها

ومما صبر على أنياب الزمان بعض ردهات وأبهاء المدرسة المستنصرية وهي التي اتخذت مخزناً للمكس (الكمرك) في عهد الترك . وقد أخذت هذه البقايا تتداعى لان التوزانيين لم يعتنوا بترميم ما كان يخرب منها . وقد صور المسيو فيوله المذكور عدة أقسام من هذا البناء الفخم الضخم ونشرها أيضاً مكس فان برشم والالمانيان ساره وهرتسفلد والمسيو لويس ماسينيون . وقد قرئ على باب الحائط الذي يجاوز المكس الكتابة الآتية : « قد انشأ هذا المحل رغبة في ان الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً وطلباً للفوز بجنات الفردوس التي أعدها للذين آمنوا وعملوا

الصالحات نزلاً وأمر أن تجعل مدرسة للفقهاء على المذاهب الاربعة سيدنا ومولانا امام المسلمين وخليفة رب العالمين ابو جعفر المنصور المستنصر بالله امير المؤمنين شيد الله معالم الدين بخلود سلطانه وأحيا قلوب أهل العلم بتضاعيف نعمه واحسانه وذلك في سنة ثلاثين وستمائة وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله » وقد وصف المسيو فيوله المذكور رسم هذه المدرسة في القديم وكيفية تقسيم ردهاتها فلا حاجة الى اعادة كلامه هنا لضيق مجال مقالنا هذا

ومما بقي الى يومنا هذا منارة سوق الغزل وكانت تسمى قبل نحو نصف قرن « منارة جامع الخلفاء » الا ان متولي الاوقاف بنوا بجانبها سوقاً يباع فيها الغزل فعرفت السوق بسوق الغزل عند العوام وبها اشتهرت المنارة . ولا جرم ان هذه المئذنة كانت في جامع كبير بسعته المحلة التي بنيت في موضعه . ولا يعرف على التحقيق بانيها اذ الآراء متضاربة فيه الا انها تتفق على كونها من بناء العباسيين الاولين . وقد حاول العجم في سنة ١٠٤٨ هـ (١٦٣٨ م) هدمها قبل أن تسقط المدينة بيد السلطان مراد الرابع باطلاق المدافع عليها فلم ينجحوا في سعيهم الذميم انما توصلوا الى كشط الجانب الغربي منها كما يرى ذلك الى يومنا هذا . ولما دخل الانكليز بغداد ورأوا ضعف أسسها اذ كان العوام تعبث بها دائماً أصلحوها كما يجب حفظاً لهذا الأثر الجليل ـ هذا أهم ما يقال مما بقي من مصانع الخلفاء العباسيين في عهدنا هذا

بغداد « مستهل »

اقوال في الثقلاء

كان حماد بن سلمة اذا رأى من يستثقله قال : ربنا اكشف عنا العذاب انا مؤمنون

قال أحدهم يصف ثقيلاً :

انت يا هذا ثقيل وثقيل وثقيل
انت في المنظر انسا ن وفي الميزان فيل

وقال آخر في ثلاثة ابيات :

يامن تبرمت الدنيا بطلعته كما تبرمت الاجفان بالرمد
يمشي على الارض مختالاً فاحسبه لبغض طلعته يمشي على كبدي
لو ان في الارض جزءاً من سماجته لم يقدم الموت اشفاقاً على احد

التطوُّرات الفجائية

في المجتمع البشري[١]

الجماعات البشرية في تطور مستديم يقتضيه التطور المتواصل الذي يفعل في بيئاتها. فان الاحوال التي تكتنف البشر لا تفتأ تتحول على الدوام (كما يحدث على اثر زيادة السكان في جهة معلومة وعلى اثر استيطان قوم لقطر جديد او تعرفهم على حضارة اجنبية او على اثر اختراع عظيم او اكتشاف ذي شأن او نحو ذلك) فيؤثر ذلك التحول حتماً في الروابط التي تربطهم والعلاقات التي تجمع بينهم، ويتطلب منهم أن يتكيفوا وفقاً للاحوال المستجدة حولهم. وكلما ارتقى البشر كان تطورهم اسرع تواتراً واوسع نطاقاً

ثم إن الانسان مع تقدم علومه ومعارفه لم يكتفِ بالتطور الطبيعي البطيء الذي يتناول جميع الكائنات الحية بل اخذ يعجل ذلك التطور بتدبيراته ومشاريعه ونظاماته وقوانينه وبعبارة اخرى لم يعد الانسان عبداً خاضعاً لسنن الكون الشاملة بل شرع في كثير من الاحيان يعدل في تلك السنن ويوجهها وفقاً لمراده وغايته

فكان التطور البشري الاعتيادي نوعان:

١ً نوع طبيعي محتم لا دخل فيه لسعي الانسان Unconscious change

٢ً نوع ارادي مقصود يقف على سعي الانسان وجهده Conscious change

على ان كلا هذين النوعين لا يخرجان عن كونهما اعتياديين مألوفين متواصلين في عملهما. فهناك تطورات عميقة غير اعتيادية سميناها فجائية تفعل في الجماعات البشرية من حين الى آخر - كالانقلابات والثورات - فتتناول نظم الاجتماع الجوهرية وتبدلها من اساساتها في فترات وجيزة من الزمن. ومن تبصر في احوال اوربا الحاضرة ولا سيما الاقطار الشرقية منها وجد امثلة كثيرة لتلك التطورات. وذلك يجعل لهذا

(١) كان اكثر اعتمادنا في كتابة هذه المقالة على كتاب « توطئة البسيكولوجيا الاجتماعية » تأليف الاستاذ شارل الوود الاميركي. وهاك اسمه الانكليزي:
Ch. Ellwood: An Introduction to Social Psychology

البحث شأناً خاصاً اذ يمكن القارئ من تطبيق المبادئ المشروحة فيه على الحوادث الجارية التي يطالع اخبارها كل يوم

والسبب الاول في حدوث هذا التحول الفجائي هو ان الجماعات البشرية تفقد مرونتها في بعض الاحيان فتعجز عن مجاراة الاحوال المتجددة حولها اذ يشمل نظمها وعاداتها واطوارها جمود يحول دون تكيفها بمقتضى تلك الاحوال . فاذا اتسعت شقة الخلاف بين حالتها الجامدة والحالة المتقلبة حولها تحتم حدوث انقلاب يرمي الى اعادة التوافق المفقود بين الجهتين

الجمود الاجتماعي

فالجمود الاجتماعي اذاً هو منبت ذلك التطور الفجائي والباعث على حدوثه . فلنرَ الآن ما هي اسباب هذا الجمود وكيف يستولي على الجماعات والشعوب

يمكننا الاجابة عن هذا السؤال اجمالا بقولنا ان هذا الجمود يحدث من جراء عرقلة النمو الطبيعي في النظم الاجتماعية وعجز الجماعات عن مجاراة بيئاتها المتقلبة على الدوام . فالحيلولة دون توافق الجماعة وبيئتها أو اعاقة ذلك التوافق بصورة من الصور - إما بالتضييق على حرية الفكر والقول أو بحظر الانتقاد السياسي أو بضغط الرأي العام أو منع الشعب من اختيار المسالك الملائمة له - كل ذلك من شأنه توقيف النمو في جسم الجماعة أو تحويله الى غير مجراه الطبيعي

ويتم ذلك في معظم الاحيان عن يد اصحاب السلطة . فقد يحملهم قصر نظرهم على عرقلة الحياة الاجتماعية فيضيقون على الناس ويقيدون عقولهم والسنتهم خوفاً على سلطتهم ان تمس وهم لا يدرون أنهم بذلك انما يقضون عليها بانفسهم ويمهدون السبيل لحدوث انقلاب فجائي يستظهر القوى المضغوطة في الشعب ويجر الوبال عليهم وعلى خلفائهم . واصحاب السلطة بوجه الاجمال يكرهون كل نظام جديد ويخشون كل فكرة جديدة

وقد يساعد الدين والتربية على احداث هذا الجمود فانهما كثيراً ما يخدمان اصحاب السلطة بتمسكهما بالقديم ودعمهما الحالة الراهنة . ثم ان بعض الشعوب ميالة بفطرتها الى التمسك بالتقاليد أو قد يكون ذلك الميل منحصراً في طبقة مخصوصة من الشعب تقوى على سائر الطبقات وتحكم عليها - فهذه الاسباب وسواها مما يضيق

المقام عن الافاضة فيه من شأنها عرقلة النمو الاجتماعي الطبيعي وهي تأول حتماً الى حدوث كارثة فجائية قد تتخذ احدى صورتين :

أما استعباد أجنبي   أو ثوران داخلي

فلسفة الثورات

رأينا كيف يترتب على الجمود الاجتماعي انهيار النظام القديم ليقوم مقامه نظام أكثر ملاءمة للحالة المستجدة . على أن دور الانتقال بين النظامين كثير العقبات والمشاكل ولا سيما اذا كان القوم قد فقدوا مرونتهم المعنوية ومقدرتهم على التكيف والتطور . ولذا قد يستغرق استتباب النظام الجديد زمناً طويلا تسود في اثنائه حالة فوضى وغموض من جراء تنازع الطبقات المختلفة على الرئاسة وسعي كل منها للقبض على زمام الاحكام

ومجموع العوامل التي تعمل على مقاومة النظام القديم تكوّن حزب المعارضة أو حزب الثورة . وهذا الحزب يتألف في الغالب من الاشخاص الذين أثر فيهم تقلب البيئة وتطور الاحوال الاقتصادية أو بعبارة أخرى انه يتألف من الذين لا يوافق مصلحتهم بقاء النظام القديم على حاله

وقد تمتد روح الثورة من هؤلاء الى سواهم بفعل التقليد أو الاستهواء على شرط ألا تكون مصالحهم موقوفة على بقاء النظام القديم - ليس فقط مصالحهم المادية بل المصالح المعنوية ايضاً كالعقائد والآراء ونحو ذلك مما يتمسك به الانسان احياناً أكثر من تمسكه بالماديات

واذا كان اصحاب السلطة عقلاء استطاعوا قمع الثورة في مهدها بالتساهل مع الحزب المقاوم ومنحه مطالبه أي انه يمكنهم تلافي الثورة بتوفيقهم من تلقاء أنفسهم بين مصالح الشعب ومقتضيات البيئة المستجدة وبذا يسكتون المتضررين من الرعية ويحدثون انقلاباً اجتماعياً سلمياً . على انه اذا لم تف الاصلاحات التي اقدموا عليها بالغرض المطلوب يحتم اذ ذاك حدوث ثورة اجتماعية جبرية تتنازع فيها الطبقات على السلطة ولا سيما السلطتين السياسية والاقتصادية . ومع ان هذه الثورات تسمى « سياسية » فانها في الحقيقة مظهر من مظاهر التطور الاجتماعي الشامل الذي تتقلب فيها الجماعات البشرية كلها

الفوضى وحكم الجموع

كثيراً ما يأول كره الناس للحكم القديم الى التطرف في نقض مبادئه ونظاماته من دون ان يستعاض عنها بما يقوم مقامها فتنشأ عن ذلك حالة فوضى يتخللها مشاحنات ومجادلات لا نهاية لها . فان الجدال السياسي مفيد حين يرمي الى البناء والترميم ولكنه في تلك الاحوال لا يؤدي الا الى التهديم والتخريب

وينجم عن هجمات الحزب الثائر اذا كان قوياً سقوط النظام القديم سقوطاً عنيفاً تاماً . ولكن ذلك الحزب حين ينجح في مسعاه لا يلبث ان يقع في حالة ارتباك شديدة فان أعضاءه لم يجتمعوا على الغالب الا لكرههم النظام القديم وقلما يكون بينهم فيما سوى ذلك رابطة اصلاحية أو اتفاق على المبادئ

هذا هو السبب في سيادة الفوضى والابهام ولا سيما اذا تم انهيار النظام القديم بعنف وسرعة . ويفقد الناس اذ ذاك العادات الاجتماعية التي اكتسبوها من ذلك النظام وتنفرط الروابط التي كانت تربطهم وتحفظ كيانهم القومي

وحين يفقد الانسان عادة اكتسبها مع الزمن يرجع بطبيعته الى وحي فطرته الاولية وغرائزه الحيوانية وهو ما يحدث في الجماعات ايضاً حين تفقد نظاماتها الاجتماعية التي ارتكزت عليها زمناً فانها لا تلبث ان ترجع الى حالة همجية أو شبه حيوانية تسود فيها الطبائع والسلائق التي كانت رائد البشرية الحيوانية . وما ذلك الا لان القتال الذي هو من آصل الغرائز في الانسان لا يلبث ان يهيج الغرائز الاولية الاخرى المرتبطة به

فما تقدم ندرك كيف تنشأ الجرائم والفظائع المختلفة التي تحدث في اثناء الثورات : فكأن الانسان في تلك الازمنة ــ بفقدان العادات النظامية التي اكسبنا اياه التمدن ــ يعود الى حالته البربرية الهمجية

في تلك الاحوال يسهل تكون الجماهير والجموع وهي كما لا يخفى عرضة للتأثر والانفعال والاستهواء من اتفه الاسباب فاذا تكونت وقويت عدت كل عمل جائزاً لها . فتغتصب السلطة وتتحكم في العباد ولا سيما في من يعترضها ولا تضع حداً لاستبدادها . وتاريخ الثورات ممتلئ بالشواهد على ذلك مما ليس هذا مقام تفصيله

طول عهد الثورة

يختلف طول المدة التي تستغرقها الثورة بحسب اعتبارات كثيرة . فمن ذلك انه اذا كان لحزب الثورة برنامج واضح للعمل والاصلاح وكان الناس على شيء من الاستنارة والتعقل امكن اعادة النظام في مدة غير طويلة . على ان الحالة في معظم الاحيان بخلاف ذلك اذ لا يجمع اعضاء الحزب الثوري الا نقمتهم على النظام القديم. فاذا سقط ذلك النظام وقع الخلاف فيما بينهم وسادت الفوضى فيدخل القوم اذ ذاك في حالة « الثورة المزمنة » كما يسميها علماء الاجتماع

ولا خروج من هذه الحالة الا بظهور رجل عظيم يلتف الجميع حول شخصيته الجذابة ويسلمون اليه امرهم . اما اذا لم يظهر ذلك الرجل فلا مناص من تدخل الشعوب الاجنبية وتحكمها في الحالة

الحركات المضادة للثورات

رأينا بعض الصعوبات التي تعترض تغيير النظام الاجتماعي واستبدال حكم بحكم. ومن ثم يسهل علينا فهم الحركات الرجعية التي تحدث في كثير من الاحيان على اثر الثورات . وقد تنجح تلك الحركات اذا طال عهد الثورة وسئم الناس الفوضى فيسهل عليهم اذ ذاك الرجوع الى النظام القديم الذي ألفوه

على ان التاريخ يدلنا على ان تلك الحركات الرجعيـة ـ حتى في حين تنجح وتستولي على الحكم ـ لا تدوم طويلاً اذ لا يلبث الشعب أن يشعر بالعلل التي حملته على الثورة اولاً ـ اللهم الا اذا استدرك الامر ارباب النظام القديم ووفقوا من تلقاء أنفسهم بين المصالح المتنافرة

توقي الثورات

من كل ما تقدم نستخلص ان الثورات لا تحدث في جماعة حائزة على المرونة اللازمة للتكيف وفقاً لمقتضيات البيئة المتغيرة على الدوام . وتحفظ هذه المرونة بواسطة حرية الجدال وحرية الفكر وحرية الانتقاد وكل ما من شأنه تثقيف الرأي العام وانارته . وخطر الثورات كما رأينا ينشأ غالباً عن استئثار الطبقة الحاكمة بالسلطة فعلى هذه الطبقة معظم التبعة في ما يقع من الاختلال الاجتماعي . ولو تبصر الحكام في

امر الرعية وسنوا القوانين اللازمة لمجاراة الاحوال العمرانية امكنهم ان يتلافوا تلك الكوارث الاجتماعية اذ يحدثون بسعيهم « انقلابات سلمية » بدلاً من الانقلابات القهرية التي ينشأ عنها ما لا يعوض من اضاعة القوى والاموال والنفوس

وتاريخ الشعب الانكليزي في العصور الحديثة خير مثال يقدم لصحة ذلك فقد حدثت ثورتان في انكلترا في القرن السابع عشر وثارت عليها مستعمراتها في القرن الثامن عشر لعجز اصحاب السلطة فيها عن اتيان الاصلاحات التي اقتضتها الاحوال . على انها بعد ذلك (أي من اواخر القرن الثامن عشر الى هذا اليوم) لم تشهد ثورات جديرة بالذكر في حين لم تنج منها دولة من الدول الاوربية . بل ان هذه الفترة من الزمن كانت اكثر الفترات ثوراناً في العالم المتمدن ومع ذلك نجت انكلترا من هذا الشر بفضل تبصر حكامها وبعد نظرهم وتلافيهم للكوارث الاجتماعية قبل نزولها بسن القوانين والشرائع التي اقتضاها تطور العالم السريع في العصر الحديث

انقراض المدنية

لا يسع المتبصر في تاريخ الامم الغابرة الا التحير عند تعليل انقراض المدنيات السالفة . فقد حدث غير مرة ان البشر بعد ان ازهرت علومهم وفنونهم وآدابهم رجعوا القهقرى وانحطت جميع احوالهم . ومن امثلة ذلك ما حدث في الاجيال الوسطى . فقد تأخر البشر فيها تأخراً عظيماً وضاعت ثمار المدنيتين اليونانية والرومانية حتى قيل انه لم يعد في الامكان استخراج مساحة المثلث

ورب معترض يقول انه لا خوف اليوم من حدوث ذلك لان انقراض المدنيات السابقة انما ترتب على اكتساح شعوب بربرية للاقطار المتحضرة وهو ما لا يخشى حدوثه الآن بعد ان عمت المدنية جميع الاقطار او كادت . فالجواب على ذلك هو ان غزو الشعوب الاجنبية ليس وحده سبب انقراض المدنيات الغابرة بل هناك عوامل داخلية لا تقل عنه شأناً . فمن المثبت لدينا ان الانحطاط الاجتماعي في جميع الحوادث التي بلغنا خبرها نشأ في داخل الشعوب اولاً قبل أن يستولي عليها العدو الاجنبي . فاختلال النظام وتلوث الآداب وتنافر المصالح والطبقات — تلك هي الاسباب الممهدة لانقراض الشعوب واندثار المدنيات

تكوين جمعية الامم

تذليل العقبات

[الهلال] بعد ان بين الكاتب في الجزء الماضي الصدمات التي تتلقاها جمعية الامم والعقبات التي تعترض تكوينها شرع في هذه المقالة يبحث عن الطرق التي من شأنها تجنب تلك الصدمات وتذليل تلك العقبات

الف مليون قلب تخفق الآن خفوق قلب العاشق المتوقع قدوم حبيبته ـ تخفق متوقعة تحقيق النظام الجديد الذي يضمن السلم في المستقبل ضمانة حقيقية تطمئن لها النفوس في صدورها وتهدأ الخواطر في ألبابها وتأمن بها اطفال اليوم فواجع الغد

الجندي يتشوف الى هذا النظام الجديد ـ يتشوف من مربضه وهو يقول: لاجل هذا حاربت

والعامل يتطلع الى قرارات الساسة بشأن هذا النظام الجديد وهو يقول: لاجل هذا اشتغلت ـ اشتغلت في عهد السلم حتى تكدست الثروة من تعبي وعرق جبيني في المعمل والبنك والمخزن ودار الصنعة ومخزن الذخيرة والثكنة الخ. لكي تنفق في سبيل النصر في الحرب. واشتغلت في المعمل والحقل مدة الحرب لكي اعول الجندي المحارب. فاعني بعد الان ان اشتغل لكي اعيش شبعاناً مكسواً دافئاً آمناً وأشتهي ان أتمتع ولو قليلا

والمرأة تتلهف توقاً الى هذا النظام الجديد وهي تقول: لاجل هذا ترملت وثكلت ثم اشتغلت وتعبت فاود أن يستريح جسدي ويتعزى فؤادي وتطمئن نفسي آمنة مخاوف المستقبل لكي استأنف عملي في اعداد رجال الغد

والغلام الذي لم يصح من غفلة العدم الغابر الا وهو يرى ويلات الوجود الحاضر يقول: رباه! ماذا أثمت وانا لا أعرف الاثم بعد حتى يستقبلني وانا ابن الزمان هول الجوع الكافر وفظاعة الدم المسفوك ورهبة نيران القتال وذعر الفرار من غضب الثورة البشرية. رحماك رباه. انقلني الى عالم السلام والا فاغتفر لي ان ألعن ابويَّ اللذين جاءا بي من سكينة العدم الى اضطراب الوجود

كل هذه القلوب الان خوافق توقاً الى النظام الجديد

ليكن هذا النظام ما يكون

العالم يريد نظاماً يضمن السلام على قاعدة العدل بحيث يكون كل فرد متمتعاً وكل جماعة راضية

. أما عبدة المال فيقولون يجب ان يضمن النظام الجديد للامم الغالبة حق التمتع بغنائم النصر — يقولون هذا القول لان لهم من وراء هذا النظام كوى تتدفق منها الاموال الى خزائنهم

وأما وارثو طبيعة النهم والشراهة من سلفهم الحيوان الاعجم فيقولون ان ناموسي « تنازع البقاء » و « بقاء الانسب » سنة في الاجتماع البشري كما هما سنة في العجماوات وسائر الاحياء . والسنة حق لا ينقض . وعلى هذه السنة يحق للامة القوية أن تستعبد الامة الضعيفة . فلا فائدة من محاولة تغيير النظام المألوف لانه مؤسس على نواميس طبيعية

وأما المفكرون الاجتماعيون فيقولون ان كل شر في العالم الاجتماعي انما هو مرض فيه . وعلينا تشخيص هذا المرض والبحث عن علاجه الناجع — ان كل وبال يحدث في العالم ينذر بوجود عيب في نظامه . فعلينا ان نبحث عن هذا العيب ونتلافاه

الحروب أعظم ويلات الاجتماع وأهولها وأفظعها فاين العيب في النظام — العيب الذي أفضى الى الحروب ؟

احتكاك المصالح بخلق الشريعة

لا مناص من الحروب ما دامت الامم وهي مشتبكة المصالح لم تزل في فوضى وليس لها نظام نافذ

نحن نعلم من مجرى التاريخ انه حيث احتك اثنان أو أكثر في مصلحة لا يؤمن تطاير شرر الخصام من جراء هذا الاحتكاك الا اذا تقيد المحتكون بشروط عادلة توقف كل فرد عند حده . وليس ذلك فقط بل ان هذه الشروط يجب ان تكون نافذة أو منفذة بالقوة والا فلا تأثير لها ولا فائدة منها البتة ولا تقي من شر اختصام المحتكين

ولذلك حيث يكون الفرد وحده معتزلاً ولا منازع له وليس أمامه الا الطبيعة يستدر منها رزقه فلا حاجة الى قانون . هناك يتمتع الانسان بمطلق الحرية بقدر

ما تستطيع قوته الجسدية ان تنفذ من مطالب ارادته

ولكن حيث اجتمع اثنان أو اكثر لمصلحة مشتركة أو لمصالح محتكة نشأن شروط بينهم حتماً والا شب القتال بينهم . تلك الشروط مهما كانت بسيطة وساذجة انما هي قانون أو جرثومة قانون

ما عاشت جماعة تحت السماء بلا تنازع بين أفرادها الا كان لها قانون. ولو بسيط جداً وكان ذلك القانون عادلاً بين أفرادها وملائماً لهم ومرضياً لكل منهم على التساوي

ليس ذلك فقط بل كان ذلك القانون منفذاً بالقوة

ففي أوائل عهد تكوّن الجماعة كان رب العيلة أو زعيم العشيرة صاحب السلطة المنفذة ينفذ الشروط أو القانون بقوة ساعده وبقوة ارادته ومتى لزم الامر فبقوة دهائه أيضاً . واذا لم يحسن التنفيذ أو لم يستطعه قام زعيم غيره وتولى السلطة بدله. واذا تعدد الزعماء وكثر المتمردون أرشدتهم الحكمة الى « الشورى » وهي نواة الديموقراطية . منذ أسباط بني اسرائيل الاثني عشر بل من قبل ذلك العهد نشأت جرثومة الديموقراطية

حكم الامم كحكم الافراد في الشرعية

بعد ان استتبت نظامات الجماعات ـ الامم ـ وتوطدت حتى أمن القتال بين أحزابها وعصاباتها وأصبح القانون قوة حقيقية تقطع شأفة الشر وتضع الامن في نصابه ـ بعد ان بلغت الامم الى هذا الدور من الارتباط المتين الوثيق أصبحت كل أمة وحدةً قائمة بذاتها متميزة بجميع خواصها عن غيرها . وفي هذه الحال أصبحت (كالفرد في الجماعة) ذات دائرة محدودة من الحق والواجب بازاء غيرها من الامم

ففي هذه الحالة يكون حكم الامة بين مجموعة الامم كحكم الفرد في الجماعة

ولما كانت الامم محتكة في المصالح كاحتكاك الافراد في الجماعة بل أشد لم يبق بد أولا من نشوء شروط عادلة بينها تحسم كل خلاف وتتلافى كل خصام وقتال . وثانياً لا بد من قوة لتنفيذ هذه الشروط

أما الشروط فقد عقد كثير منها بين الامم المتقدمة وعقد اكثر بين الامم المتأخرة حتى تكونت منها القوانين الدولية الضافية . وما من أمة الا تقيدت بعهود مع أمة

أخرى . وما من مصلحة مشتركة بين أمتين أو أكثر الا عقدت بعقود بينها

أجل جرت الامم في معاملاتها بعضها مع بعض مجرى الافراد من حيث العقود والاتفاقات . وتبادلت المنافع وتقايضت الحاصلات والموارد وتساومت في الاعمال والاموال بشروط مكتوبة ومسجلة كما يفعل سائر الافراد - كل ذلك يدلك على ان الامة الواحدة في كل معاملة أصبحت بمثابة الفرد وحكمها في المساومة حكم الفرد

اذاً القوانين التي لا بد منها في حالة نشوء العلائق بين الامم تلافياً لاقتداح شرر الشر من احتكاكها وجدت منذ القديم - منذ صار لكل أمة كيان قائم بذاته وصار بين الامم علائق متبادلة - فاين القوة المنفذة هذه القوانين

شريعة بلا تنفيذ

الى هنا كان حكم الامم في الاجتماع كحكم الافراد في جماعة - ولكن أي جماعة ؟ - جماعة جمعية اختيارية ينتظم فيها أفراد متعهدون ان ينفذوا قوانينها من تلقاء أنفسهم من غير اكراه أو اجبار . ولكن اذا رام فرد من أفرادها ان يعصى قانون الجمعية فليس من يردعه عن العصيان

الى هذا اليوم كانت الامم ذات قوانين ومعاهدات وعقود مختلفة ربما كان معظمها عادلا وضامناً للسلم فيما بينهن . ولكن الى الآن لم يكن وراء هذه القوانين والعهود قوة منفذة - قوة حق - قوة انصاف - قوة غير مداجية ولا محابية

بلى كان وراء كل معاهدة بين دولتين او اكثر قوة منفذة لتلك المعاهدة وهي قوة أقدرهن وأشدهن فتنفذ متى كان لها في التنفيذ مصلحة وتغضي متى كان لها في الاغضاء مصلحة أيضاً . ومتى أحرجت أو أتخمت نقضت ذلك العهد وعدته قصاصة ورق

اذاً لا شأن للقوانين ولا قيمة للمعاهدات اذا لم تكن ثمت قوة مستقلة من ورائها تنفذها

فشأن الدول المتعاهدة على هذا النحو شأن افراد الامة الواحدة التي تعاهد افرادها على نظام حكم فتولاه فرد قوي واستبد به

لم تدر هذه الحال في تاريخ الامم . فقد كانت احدى دول اشور وبابل في عهد

من العهود مسيطرة على سائر امم المشرق من بلاد فارس حتى أثيوبيا . وكانت الدولة الرومانية في ابان عزها وسؤددها مسيطرة على دول اوربا وغربي آسيا حتى مصر – تقضي بينهن كما تشاء

معنى التوازن الدولي

على ان هذه الحال تفضي اخيراً بحكم ناموس الجهاد لاجل الحياة الى تألب الدول الضعيفة عند سنوح الفرصة لمناهضة الدول القوية وتفادي استبدادها . وتألب الدول على هذا النحو يأول أيضاً الى انقسامهن الى احزاب متحالفة

هذا هو منشأ التحالف الدولي . وما التحالفات بالحقيقة الا انقسام الدول الى أحزاب كانقسام الافراد في الامة الواحدة الى أحزاب يناهض بعضها بعضاً في الامور التي لم تزل موضوع الخلاف ولم يستتب لها نظام بعد

ولهذا كانت دول اوربا في العصور الحديثة ولا سيما القرن الاخير حزبين أو اكثر يقف بعضها بازاء بعض وقوفاً يسمونه « التوازن الدولي » أي ان الاحزاب الدولية متعادلة في القوة . ولذلك كانوا يتفاءلون بهذا التعادل خيراً بمعنى انه يضمن السلم العام

والحقيقة ان ما كانوا يسمونه توازناً دولياً لم يكن كذلك بالفعل في حين من الاحيان قط بل بالعكس كان الميزان الدولي مضطرباً على الدوام وكانت بعض الدول أو بعض أحزاب الدول تقبض على زمام السيطرة حيناً من الزمان وتملي على غيرها من الدول ما تشاؤه من الاتفاقات والمعاهدات . حتى اذا رجحت كفة الحزب الآخر استلم زمام هذه السيطرة وهكذا دواليك . الى ان يشتد الاحتكاك ويورى الزناد فيتطاير شرر الحرب . لذلك كان العالم مهدداً بحرب على الدوام

من أقرب الشواهد على أن السيطرة الدولية كانت تنحصر في يد دولة أو محالفة ، نهاية حرب تركيا واليونان . فبعد ان دوخ ادهم باشا شمالي بلاد اليونان قضي على تركيا أن تسحب جنودها – وليس ذلك فقط بل ان تتنازل عن تساليا غنيمة لليونان

وربما وجدت في التاريخ ولا سيما الحديث كثيراً من أمثلة هذا الشاهد لاجل القبض على هذه السيطرة اضرمت المانيا الحرب الحاضرة طامعة بالنصر

التام . ونتيجة النصر لها السؤدد على العالم كله طبعاً وتدربيه حسب مشيئتها ولمصلحتها حتماً

وحاصل ما تقدم أن الدول لم تزل حتى الان كالقبائل المتبدية التي لا نظام لها ولا قانون محترم ولم تزل السيطرة بينهنَّ تتنقل بين الدول القوية منهنَّ كما تتنقل الزعامة في القبائل بين أقوى رجالها

وكل ما رأيناه ونراه من القوانين الدولية لم يكن الا تجربة (بروفه) للقانون الدولي المقبل . أو هي نواة هذا القانون

كلا ما هي نواة هذا القانون بل هي جرثومته فقط . لان تلك القوانين الدولية الماضية لا تصلح قط للنظام الجديد وما هي الا مجموعة معاهدات فيما يختص بالشؤون الحربية

النظامات القديمة على الحروب

اذاً ليس في النظامات الماضية نظام قط يكفل السلم للعالم أمداً لا طويلاً ولا قصيراً ـ لا يكفله باسلوب استبدادي كما يكفل الحاكم الصارم الامن في مملكته بصرامته . ولا يكفله باسلوب عادل كما تكفل الحكومة العادلة الامن والحق بين رعاياها ـ فلا يكفله باسلوب استبدادي لما اتضح آنفاً من ان السيطرة الدولية لا يمكن ان تنحصر في يد دولة أو حزب من الدول أجلا يتسنى فيه للدولة المسيطرة ان تنظم الامور حسب رأيها ومصلحتها مهما اقتضت هذه المصلحة . بل ان هذه السيطرة متنقلة حيناً بعد آخر بين أيدي الدول . وبين هذا التنقل اضطراب دولي وقلاقل أممية مستمرة

ولا يكفله باسلوب عادل لان الدول وهي لم تزل غير مخضعة لسلطة عليا مستقلة نافذة ترغمهنَّ على الجري على العدل لم تزل أيضاً جارية كلها على مبدأ التنازع وتسويغ التهام بعضها حقوق بعض بحجة طبيعية هذا الناموس . فلا ينتظر ان يكون في النظام السابق (الذي يسمونه نظام التوازن الدولي وما هو الا نظام التنافس أو التناظر الدولي) نظام يعدل بين الامم . وما دامت الامم تتسابق في حلبات الاستعمار والاستدرار من حيازات الاتجار ونحو ذلك فلا يمكن ان يكون بين نظاماتها نظام يعدل بين الامم جمعاء

لم يبق بد من تغيير النظام القديم

لذلك أصبحت الامم كلها الآن – وعامتها تفهم الحقائق كخاصتها – مقتنعة تمام الاقتناع بامرين :

الاول انه ليس في اسلوب النظامات الماضية ما يقي الناس شر الحروب . فاذا عادت سياسة الدول في المستقبل كما كانت في الماضي بقي العالم مهدداً بحروب أشد هولاً من الحرب الاخيرة

الثاني ان الحرب الحاضرة اثبتت كما أثبتت الحروب السابقة ايضاً ان الحرب على الاطلاق لا تفيد الغالب (مهما كانت نتيجتها) فائدة تساوي خسارته فيها . فهي مقامرة تختلف عن كل المقامرات بان كلا الغالب والمغلوب فيها خاسران . او هي مضاربة غير رابحة البتة

وبالجملة يقال ان تهور الامم في حرب أخرى كهذه الحرب انما هو جنون مطبق أو انه لا ينطبق على مدنية العصر الحاضر

ناهيك عن ان طبقة العامة من عمال وغير عمال اصبحت تفهم ثلاثة أمور فهماً جيداً : الاول ان نكبات الحرب (مهما كانت نتيجة الحرب) واقعة على رأسها لا محالة . فمنها الجنود ومنها العمال اللازمون لعيالة الجنود وتموينهم وتسليحهم وفوق ذلك عليها من نفقات الحرب ما على الخاصة بل ازيد يدفعون بعضها ضرائب حرب وبعضها فروق اسعار في شراء الحاجيات

الثاني ان هذه الطبقة لا تجني شيئاً من نتائج الحرب فعليها الغرم ولغيرها الغنم ان كان ثمت غنم

الثالث ان هذه الطبقة أصبحت في هذا العصر ذات نفوذ كبير فلم تعد كما كانت في الماضي ترضخ صاغرة أو جاهلة

اذاً أصبحت الامم كلها امام أمر واحد لا خيار لها فيه وهو تغيير النظامات السابقة بنظام يقيها شرور الحروب ما امكنت الوقاية . فما هو هذا النظام ؟

معنى جمعية الامم

وقد رأينا فيما تقدم أن النظامات الماضية كلها على اختلاف أنواعها كانت مؤسسة على مبدإ التنازع واعطاء الحق للقوة فكانت علة الشرور . فتغيير النظام يقتضي تغيير

المبدإ - يقتضي الهدم حتى الاساس . يقتضي ازالة مبدإ التنازع . لان الامم التي كانت متنازعة أصبحت متساوية في المدنيــة ومتعادلة في الكفاءة ومتشابهة في الصفات فضلاً عن أنها متشبعة بالفكرة الديموقراطية . فلم يعد يصلح لها نظام الا اذا كان مؤسساً على مبدإ الديموقراطية . وقد اتضح هذا المبدأ جيداً للعقل الاجتماعي وتحدد معناه وهو خضوع الجماعة كلها لسلطة تستمد قوتها من نفس الجماعة كلها لا من فريق أو فرد منها . في هذه الحالة ينتفي التحاسد ويتقي تسيد جماعة على أخرى . وما جمعية الامم بالمعنى الذي يقترحه ولسن الآن الا سيطرة نواب الامم على مصالح الامم وسلطتها مستمدة من الامم نفسها جمعاء . هذا هو النظام الذي اذا تم وتنفذ يبطل كل شكوى لامة ويزيل كل خطر من تفوق أمة ويقي الامم الضعيفة من أطماع الامم القوية - وبالاجمال ينفي الخطر أو معظم الخطر من الحروب

أجل ان فكرة جمعية الامم ليست جديدة وما هي بنت فكر الدكتور ولسن . قد خطرت لكثيرين من المفكرين قبله وكتب فيها الاجتماعيون وحاول بعض الساسة ابرازها الى حيز الفعل . وانما لولسن فضل عظيم جداً في انه اقترحها في الوقت الملائم وفي الاحوال المساعدة لتنفيذها وقرن اقتراحه بالنفوذ الممكن لتأييده . ومن حسن الحظ ان معظم الدول أو كلها تحبذ اقتراحه وترغب فيــه لان الامم ولا سيما مفكريها أصبحت متشربة هذه الفكرة ومقتنعة بافضلية هذا النظام الجديد على كل نظام سابق له

عقبات تكوين الجمعية

وانما بقيت العقبة الكبرى لتنفيذ هذا النظام وهي كيفية تكوين هذه الجمعية في حين وجود اعتبارات عديدة تحول دونه أهمها : —

أولاً ان الدول متفاوتة في القوة والضخامة . فكيف يمكن ان تتساوى في نظام - كيف يمكن اقناع القوية منهن بان ترضى بمساواة الضعيفة منهنَّ في الحقوق

ثانياً ان الدول متفاوتة في قيمة التسليح ولم تزل حتى الآن كل واحدة منهن توجس من غدر الاخرى فكيف يمكن ان تطرح كل واحدة سلاحها أو معظم سلاحها وتسلمه الى جمعية مندوبي الامم وتصبح تحت رحمة هؤلاء المندوبين . فقد

يتفق ان تغبن في حال من الاحوال ولا يبقى لها قبل على درء هـذا الغبن . وكيف تضمن أن تكون هذه الجمعية نزيهة دائماً وقد أثبت التاريخ ان كثيراً من الحكومات كانت فاسدة وكان رعاياها يسامون تحت استبدادها مدة من الزمان

ثالثاً ان لبعض الدول أو لمعظمهن علائق مع أمم أخرى قد لا تتفق مع روح النظام الجديد فكيف يمكن تدبير هذه العلائق مع احترام النظام الجديد

تذليل العقبات

هب ان جمعية الامم تألفت من مندوبين أو نواب عن الدول على نسبة ضخامة كل منهن أو قوتها

في هذه الحالة تكون اضخمهن واقواهن اكثرهن نفوذاً في الجمعية بالنسبة الى كل واحدة منهن على حدة . ولكن لا تكون اكثر نفوذاً من مجموعهن . فاذا اتفقن جميعاً في قضية من القضايا ضدها تغلبن عليها

فلنفرض انها لهذا السبب تأبى ان تكون في جمعية الامم بل تأبى ان تتألف هذه الجمعية على الاطلاق

ولنفرض ايضاً ان أقوى الدول شعرت في حالة عدم وجود جمعية الامم ان عدة من الدول تألبن حتى تفوقن عليها فماذا تفعل

بالطبع تبذل جهدها ان تجذب اليها بعض الدول الأخرى بوسيلة التحالف أو باية وسيلة أخرى لكي تتفادى تفوق تلك الدول عليها — كما كان يحدث في الماضي وهو ما كانوا يسمونه سياسة التوازن الدولي

فماذا يمنع هذه الدولة ان تفعل نفس هذا الفعل في جمعية الامم نفسها أي ان يتفق مندوبوها مع مندوبي دول أخرى بحيث يكون لهم جميعاً الكلمة العليا . لا أظن ان ما تستطيع ان تفعله اية دولة من هذا القبيل في حالة عدم وجود الجمعية تعجز عن فعله في الجمعية نفسها

اذاً يتضح من ذلك ان مشروع الجمعيـة الاممية ليس مشروعاً مخيفاً تنفر منه أقوى الدول فضلاً عن أضعفهن

ولكنك تقول لي : اذا كانت الدولة الاقوى نفوذاً تبقى في جمعية الامم أقوى نفوذاً أيضاً كما كانت قبلاً وتبقى خطراً على السلم فما الفائدة من جمعية الامم

أقول تبقى جمعيـة الامم بالرغم من تفوق بعض الدول فيها على بعض أفيد

من النظام القديم وأضمن للسلم للاعتبارات التالية

أولاً ان مجرد تكون الجمعية هو الخطوة الاولى في النظام الجديد . ولا بد من مثل هذه الخطوة الاولى في كل مشروع ولا سيما في هذا المشروع الخطير لانها الاساس الذي يبنى عليه البناء الكبير مع الزمان . فاذا لم تكن الجمعية خالية من تفوق بعض أعضائها على بعض فلا بأس . لانه لا ينتظر من أي نظام جديد ان يكون كاملاً . بل ان أتم الحكومات ديموقراطية يوجد فيها مثل هذا التفاوت بين الاحزاب . فاعتبر مندوبي الدول المتفوقين في الجمعية الحزب المتفوق فيها (وهو امر لا بد منه في أي جمعية نظامية وفي أي حكومة ديموقراطية) فقد يأتي يوم يتفوق فيه الحزب الاخر أو ان ينفرط عقد الاحزاب وتتألف الاحزاب من جديد يكون فيها المغلوب غالباً والضعيف قوياً . الى ان تتوازن قوات الامم في الجمعية اخيراً وتتساوى فيها الحقوق ويقوم العدل مقام الاجحاف

ثانياً ان جمعية الامم بالرغم مما فيها من تفوق بعض الدول على بعض تكون نظاماً قانونياً شرعياً اذا احترم في حال لا بد ان يحترم في سائر الاحوال . فالدول المتفوقة التي تكسب قضاياها بواسطة قانونية الجمعية وشرعيتها لا تجسر ان تعصى أحكام الجمعية في القضايا التي تخسرها . ولكن اذا لم يكن ثمت جمعية أمم تعهدت كل الدول على احترام قوانينها فلا تستحي الدول القوية ان تفعل ما تشاء من مقتضيات مطامعها كلما سنحت لها الفرصة

ثالثاً اذا كانت بعض الدول تعصى أحكام جمعية الامم فيما لا يلائم مطامعها عدت متمردة وكان على سائر الدول الاخرى ان ترغمها على الطاعة بمقتضى العهد المقدس الذي تتعهده كل دولة للجمعية . وحينئذ لا ترى الدولة التي تلبي طلب الجمعية لمقاتلة الدولة المتمردة انها مفترية أو معتدية بل تعتبر انها تقوم بواجب عليها . الامر الذي تتنكص عنه كثير من الدول في حالة عدم وجود الجمعية الاممية

وهنا تقول لي : اذاً لا يمكن جمعية الامم ان تحسم الحروب . فلا يستحيل ان تعصى بعض الدول القوية أحكام الجمعية الاممية غير الملائمة لها وتنكث عهدها بدعوى انها مغبونة وتمالك مطمعها بالقوة وحينئذ تشتبك بحرب مع سائر الامم مستعينة بالدول المحازبة لها

أقول أجل ان ذلك ممكن جداً كما هو ممكن في كل أمة يتمرد فيها حزب

ويحاول ان يقلب الحكومة بالقوة وحينئذ يقبض الحزب الغالب على زمام الحكم حتى متى استتب حكمه اعتبر شرعياً . فاذا حدث مثل ذلك في تاريخ جمعية الامم فلا يقوض أركانها ولا يكون عيباً دائماً فيها ولا يكون أشر من توالي الحروب التي تكون كنتيجة لازمة للنظام القديم . على انه كما تقدمت الهيئة الاجتماعية الى الامام تعودت هذا النظام الجديد وألفته حتى تندر فيه الثورة أخيراً كما تندر الآن في الممالك المتمدنة الراقية

ثم ان الثورة الاممية التي تشب بسبب توتر الخلاف بين أعضاء جمعية الامم تختلف عن الحروب الماضية اختلافاً جوهرياً فالحروب الماضية كانت حروب فتح وغنم وأما الحرب الاممية فتكون في سبيل تأييد جمعية الامم نفسها وحماية قوانينها . ولا يخفى ما في ذلك من تبرير حرب هذه نتيجتها كتبرير تجريد الحكومة حملة لقمع ثورة فريق من رعاياها

اذا كنا لا نقبل جمعية الامم الا على شرط ان تجعل الارض سماء والناس ملائكة من أول يوم في عمرها كنا متعنتين لا نريد ان نسير في سبيل النجاح على سنة التطور نقولا الحداد

اقوال في طبقات الرجال

قال الحسن : الرجال ثلاثة فرجل كالغذاء لا يستغنى عنه ورجل كالدواء لا يحتاج اليه الا حيناً بعد حين ورجل كالداء لا يحتاج اليه ابداً

قال مطارف بن عبد الله بن الشخير : الناس ثلاثة ناس ونسناس وناس غمسوا في ماء الناس

قالت الحكماء : الاخوان ثلاثة فاخ يخلص لك وده ويبذل لك رفده وأخ ذو نية يقتصر بك على حسن نيته دون رفده ومعونته وأخ يتملق لك بلسانه ويتشاغل عنك بشأنه ويوسعك في كذبه وايمانه

غليوم الثاني

آخر امبراطور الماني

أما وقد غادر غليوم الثاني مسرح السياسة الدولية — بعد ان لعب عليه دوراً من أخطر الادوار التاريخية بايقاده جذوة الحرب العالمية الهائلة، وأصبح الآن



غليوم الثاني بلباسه المدني

« الكونت ولهم هوهنزلرن » نزيل هولندا حيث يدون مذكراته — وكان منذ بضعة أشهر الامبراطور الالماني العظيم صاحب الجلالة والسلطان الحاكم على اكثر من سبعين مليوناً من الانفس، أما وقد تم هذا الانقلاب العظيم الذي لم يكن ليخطر ببال أحد فانه جدير بنا ان ندرس شخصية ذلك الرجل عسى ان نتبين أطواره وأخلاقه

ونطلع على صفحة لا تزال غامضة من صفحات التاريخ العصري . وقد كان جل اعتمادنا في كتابة هذه الترجمة على دائرة المعارف البريطانية المطبوعة سنة ١٩١١ أي قبل نشوب الحرب أيام لم يكن بين الشعبين الانكليزي والالماني حزازات تحمل على تشويه الحقيقة

ولد فريدريك ولهلم فكتور البرت المعروف في العالم باسم غليوم أو ولهلم الثاني في مدينة برلين في ٢٧ يناير سنة ١٨٥٩ . (فيكون عمره الآن ٦٠ سنة تماماً) وهو بكر الامبراطور فريدريك الثالث من أمه الاميرة فكتوريا الانكليزية

ولما كان عمره عشرة أيام تعين صف ضابط في فرقة الحرس الاولى . ومن سبتمبر سنة ١٨٧٤ الى يناير سنة ١٨٧٧ دخل جمنازيوم (مدرسة) كاسل ثم درس في جامعة بون وانصرف بعد ذلك مدة من الزمن الى واجباته العسكرية . وفي سنة ١٨٨٥ عين كولونيلا في « هوسار الحرس » وقد تأثر تأثيراً عظيماً من الوسط العسكري الذي نشأ فيه واذا نجد آراءه — في ميلها الى الاثرة والاستبداد — أقرب الى آراء جده غليوم وآراء بسمارك منها الى آراء والده الامبراطور فريدريك الثالث (الذي لم يتولَّ الحكم الا أشهراً قليلة) . على انه لم يدخل ميدان السياسة في ولاية عهده الى ان توفي جده ثم توفي والده بعد ذلك بقليل فاصبح (في ١٥ يونيو سنة ١٨٨٨) تاسع ملك بروسي وثالث امبراطور الماني

وليس الغرض من هذه المقالة سرد الحوادث السياسية التي شغلت سني حكمه بل درس شخصيته والدور الذي لعبه على مسرح السياسة الدولية : كان أول عمل رسمي أتاه غليوم الثاني خطبة وجهها الى الجيش والاسطول ثم أعقبها بخطبة للشعب . وفي تقديم الجيش والاسطول على الشعب رمز عن روح غليوم . ولطالما ردد ان ركن عرشه انما هو الجيش . ومن أقواله : « بفضل الجندي والجيش — لا بفضل الاغلبية البرلمانية — تكونت الامبراطورية الالمانية . ان ثقتي موضوعة في الجيش وحده »

وقد أظهر من أول أمره عزمه على ان يكون مستشار نفسه . ومن ثم نشأ الخلاف الشهير بينه وبين بسمارك الذي أدى الى استعفاء هذا الاخير من منصبه

أما من حيث السياسة الخارجية فقد وثق عرى الاتفاق مع النمسا وايطاليا عملا بوصية جده ثم سعى لتحسين علاقات المانيا مع روسيا ولكنه لم يفلح في ذلك . وقد

بذل جهده كذلك في أول الامر لِيُنسي فرنسا الجرح الذي أصابها عن يد غليوم الاول وبسمارك

وفي خريف سنة ١٨٨٨ زار بلاطات الملوك والامراء الداخلين في الامبراطورية الالمانية ثم زار بلاطي النمسا وايتاليا . ولما حصل في روما زار البابا ليون الثالث عشر (وقد كرر هذه الزيارة في سنتي ١٨٩٥ و١٩٠٣) . وفي سنة ١٨٨٩ زار أثينا بمناسبة زواج شقيقته بقسطنطين ملك اليونان المخلوع . ومنها رحل الى الاستانة .



امبراطورة المانيا

وتلك كانت أول مرة ينزل فيها أحد ملوك النصرانية الكبار ضيفاً على سلطان تركيا . وقد كانت هذه الزيارة بدء عهد جديد في سياسة الشرق الادنى . ومن ذلك الزمن عنيت المانيا بتوسيع نفوذها في السلطنة العثمانية وقد عد عمل غليوم هذا خروجاً عن سياسة بسمارك الذي لم يشأ ان تتورط المانيا في السياسة العالمية . وبالفعل ما فتئت المانيا بعدئذ تُسمع صوتها في جميع المشاكل التي قامت بين الدول . وفي سنة ١٨٩٨ زار غليوم الاستانة للمرة الثانية . وقد وقعت هذه الزيارة على أثر المذابح الارمنية ومع ذلك لم يحجم غليوم عن خطب مودة عبد الحميد رغم ما في سلوكه هذا من المناقضة

لدعواه المتكررة بانه زعيم النصرانية . ومن الاستانة توجه الى فلسطين حيث زار الاماكن المقدسة

وعند ارتقائه العرش كان في برلين حركة عداء نحو الانكليز وقد اشيع اذ ذاك انه كان يعضد تلك الحركة ولكنه ما لبث ان أزال سوء الفهم بزيارته البلاد الانكليزية سنة ١٨٨٩ وكان في السنوات الست التالية يزور الملكة فيكتوريا مرة كل سنة . وكانت العلاقات السياسية بين المملكتين في هذه الاثناء على احسن ما يرام. على ان اندفاع المانيا في سبيل الاستعمار بعد سنة ١٨٩٥ ومنافستها للتجارة الانكليزية وبناء الاسطول الالماني ـ كل ذلك افضى الى فتور العلاقات بين الفريقين . ثم حدث أمر التلغراف الذي أرسله الى رئيس الترنسفال البويري يهنئه فيه لتمكنه من اعادة السلم والمحافظة على استقلال بلاده « من غير الاستعانة باحدى الدول الموالية له » . فعظم الجفاء بين انكلترا والمانيا من جراء هذه الرسالة الغريبة في بابها . ولم يزر انكلترا بعدئذ الا في سنة ١٩٠١ لحضور جنازة الملكة فيكتوريا . وفي تلك السنة منح لورد روبرتس وسام النسر الاسود وهو أعظم الاوسمة البروسية قيمة وقد جرّ عليه عمله هذا لوم الكثيرين من ابناء وطنه

وكان همه الاول انشاء الاسطول الالماني وقد بذل كل ما في وسعه للترغيب في هذا المشروع . ومن أقواله في هذا الصدد : « ان مستقبلنا على الماء » وأرسل يوماً تلغرافاً الى شقيقه يقول فيه : « لن أستريح الا حين أرفع أسطولي الى المرتبة التي بلغها جيشي » ومع ان غرض تلك الحركة لم يكن الا منافسة الاسطول البريطاني فان غليوم ما برح يدعي ان غرضه المحافظة على السلم ومن أقواله : « كل مدرعة المانية تنزل الى البحر بمثابة ضمانة جديدة للسلم على الارض » . وقال في مفاوضة نشرتها الديلي تلغراف في ٢٨ اكتوبر سنة ١٩٠٨ ان عواطفه نحو انكلترا حبية ودية وانه كاد ينفر منه شعبه بسبب صداقته لها . وأشار الى احجامه عن التداخل في حرب الترنسفال رغم سعي فرنسا وروسيا في هذا السبيل ثم أضاف الى ذلك: « ولكن على المانيا ان تتأهب لما يحتمل حدوثه في الشرق » مشيراً بذلك الى الخطر الاصفر . وكان قد أبدى تخوفه من هذا الخطر غير مرة وأشار الى اتحاد الدول الاوربية لملاقاته . وقد دهش العالم باسره على أثر نشر هذه المفاوضة واحتج الريخستاغ وقامت الصحافة الالمانية تلوم الامبراطور على تورطه في المسائل السياسية حتى

اضطر المستشار الى وعد النواب بان الامبراطور لن يعود الى مثل ذلك . وفي الواقع انقضت سنتان والامبراطور محافظ على وعده واذا بخطبة القاها في كونغسبرغ في ٢٥ اغسطس سنة ١٩١٠ قال فيها : « اني أعد نفسي اداة الله فاسير في سبيلي غير ملتفت الى الآراء والاقوال الجارية »

وما برح الامبراطور غليوم يصرح بانه قد استلم عرشه من الله وانه لا يعترف بسواه مرجعاً له أو بسلطة غيره يحاسب أمامها . ولطالما سمى الله « حليفنا الالهي »



الخطر الاصفر (من تصوير غليوم الثاني)
يمثل المانيا وهي تدعو الامم الاوربية الى الاتحاد لمقاومة الجنس الاصفر

ونحو ذلك من العبارات التي كان يدهش لها العالم المتمدن ويتعجب لصدورها من امبراطور دولة متمدنة في القرن العشرين

* * *

وليس ادل على اخلاق الامبراطور من الاطلاع على اقواله . وفيما يلي بعض تلك الاقوال وقد انتخبت من خطبه الكثيرة :

اني عدو الحرب لكن لا يتلافى خطر الحرب الا بالتأهب التام

اعلم تمام العلم ان الرأي العام ولا سيما في بعض الممالك يمثلني من محبي الحرب ذوي المطامع الأشعبية . أبعدني الله عن ذلك الجنون

انه لا يبرح عن ذهني مطلقاً ان عيون أجدادي تراقب اعمالي من العالم الآخر واني في يوم من الايام المقبلة سأقدم لهم حساباً عما أتاه الجيش من الفخر والشرف

اعتقد انني بمساعدة الله قد ضمنت السلم الدولي في المستقبل سنين كثيرة (سنة ١٨٨٩)

اني معجب كل الاعجاب بالجيش الانكليزي واذا شك أحد في قوته فاني اول من يشهد لهُ بالنشاط والثبات

يجب ان نوجه افكارنا الى البحار فانها تمثل لنا اللانهاية وينبغي لنا أن لا نعتبرها فواصل بين الدول بل روابط تربطها بعضها ببعض

ان اتحادنا مع النمسا أمر مشهور واني ادعمه باخلاص ليس لانه اتفق حصوله بل لاني أرى في تلك المحالفة الدفاعية أساس التوازن الدولي في اوربا فضلاً عن كونها ميراثاً لنا من التاريخ الجرماني

لا يوجد كتاب في المباحث الحديثة لم يصدر في لغتنا ولا اكتشاف في العلم لم نكن اول العاملين به . ومن بعدنا تجيء الدول الاخرى في هذا المضمار — هذه هي العظمة العالمية التي تطمح اليها الروح الالمانية

ان سعادة طبقة العمال من أهم شواغلي

لم يصدر عن لسان انسان كلام يجوز تشبيهه بكلام المسيح

ان أرقى واجب على الحكومة ان تحمي الطبقات الضعيفة وتساعدها على تحسين أحوالها مادياً وأدبياً لا سيما اذا كان التنازع شديداً بين الطبقات المؤلفة للامة

ان أسرتي من قديم الزمن كانت صديقة العمال

اذا شاءت الاقدار ان يعمل الاسطولان الانكليزي والالماني جنباً الى جنب ضد عدو واحد فان كلمة نلسن « ان انكلترا تنتظر ان يقوم كل رجل بالواجب عليه » يسمع صداها في قلب الاسطول الالماني

ليس الاسطول الانكليزي مثالا فقط للاسطول الالماني بل ان ابطاله الخالدين هم أيضاً أمثلة يقتدي بها قواد أسطولنا وضباطه

ان غاية التهذيب ولا سيما التربية العسكرية هي تهذيب الاخلاق على أساس

الموازنة بين تربية الجسد وتربية العقل وتربية النفس ويجب ان لا يقوى فرع من هذه الفروع على غيره

ان الجيش الذي على رأسه الامبراطور هو وحده يقدر على حفظ سلامة المملكة وراحة الدول

اني اعتقد ان المدارس والجامعات قد أنتجت أكثر مما نحتاج اليه من الرجال المتهذبين تهذيباً راقياً

أحب ان أنبه الاذهان على الخصوص الى تعليم اللغة الانكليزية في مدارسنا لما أصبح لها من الاهمية

ان حب العلم الذي هو فطري في جميع ملوك بروسيا يعمل في صدري ايضاً

الحزن المشترك نصف الحزن

يتوقف السلم الاوربي على حفظ العلائق الودية بين المانيا وانكلترا

لا يبرح عن ذهني أبداً قول سلفي فريدريك المظيم « ان الملك هو اول خادم للدولة »

وهاك بعض أقواله في اثناء الحرب :

وجهوا كل مهارتكم وكل شجاعتكم اولاً الى ابادة الانكليز الخائنين وسحق الجيش الحقير الذي يقوده الجنرال فرنش (الامر الصادر الى الجيش في ١٩ اغسطس سنة ١٩١٤)

لم يكن ثمت بد من انتهاك حرمة البلجيك لاسباب عسكرية (تلغراف الى الرئيس ولسن صورته عند المستر جيرارد السفير الاميركي في برلين سابقاً)

تذكروا ان الشعب الالماني هو الشعب الذي اختاره الله وعليَّ بصفة كوني الامبراطور الالماني نزلت روح الله فانا سيفه وسلاحه ووكيله . الويل للعاصين والموت للجبناء والعاطلين (أمر للجيش الالماني الشرقي في ١٣ سبتمبر سنة ١٩١٤)

لم يعد ثمت قانون دولي (للمستر جيرارد السفير الاميركي)

يا سوريا !...

مناجاة

نظم وتوقيع *

ارنست نعمة الله بك

— ١ —

يا سُورِيَا ! دارَ الهدى والأنبيا يا سُورِيَا ! أرضَ الفِدى والمرسلين
يا سوريا ! مهدَ السلام والنُّهى يا سوريا ! عَقْدَ صِلات العالمين
سيدةَ البحر أيا فينيقيا أعلامُ أبناكِ منار الاقدمين
خلّفتِ للعصور مجداً خالداً هلاَّ يعيدُ الدهرُ عهدَ الاولين

* * *

يا بلبلَ الاوطانْ غرِّدْ على الاغصانْ :

« عهد الجفا عفا والصفا حانْ »

« قد زالت الاحزانْ »

دوى صدى الافراحْ طيرُ الاراكِ صاحْ :

« أبشروا بالهنا فالعنا راحْ »

« فجر الخلاص لاحْ »

---

* وهي موقعة على نغمة الانشودة الاسبانية « La Paloma » المعروفة بالفرنسية باسم « La Colombe » وستظهر قريباً ملحنة على النغم العربي بايقاع أحد كبار رجال الفن في الموسيقى الشرقية

— ٢ —

يا سوريا ! أرضَ الجمال والبهاءْ | ياسوريا ! أرضَ الشعور والحنينْ
ياسوريا ! ماذا اعترى ذاك السناء | ياسوريا ! هل في الحشا داء دفين
يا منشداً ذكر الديار والاسى | هل لي أرى جمع الاحبا آمنين
يا مالكي ربوع قلبي ارسلوا | طيَّ الأثير نسمة تشفي الحزين

يا بلبل الاوطان . . . الخ

— ٣ —

يا سوريا ! كم من شقاء وبلاءْ | يا سوريا ! كم من بكاء وأنين
يا سوريا ! رحماكِ أرضَ الشهداء | يا سوريا ! هل ذا جزاء المخلصين
كم بدد الظلمُ القوى طول المدى | كم دكَّ من صرح وأفنى من بنين
ما دام في القلوب عزم صادق | تحيا النفوس بالثبات واليقين

يا بلبل الاوطان . . . الخ

— ٤ —

يا سوريا ! قد حان ميعاد الوفا | يا سوريا ! روحُ الولا فيكِ كمين
يا سوريا ! ما الحرُّ الا مَن وفى | يا سوريا ! حفظ العهود فرض دين
هبُّوا بني قومي وصوغوا كلكم | عقود مدح وثنا للمنقذين
واقروا السلام فالحقول أخصبت | من الرُّفات ودما المستشهدين

يا بلبل الاوطان . . . الخ

* * *

يا سوريا ! أنتِ كمصرَ درةٌ | يا سوريا ! مصرُ لكِ جار امين
يا سوريا ! أنتِ لمصرَ غرةٌ | يا سوريا ! لشرقنا مصرُ جبين
يا منهلَ الاحسان يا قطرَ الندى | شكراً لك يامصرُ دارَ الاكرمين
فؤادك طمى كنيلٍ فائض | بالجود والنُّعمى وبالفضل المبين

يا بلبل الاوطان . . . الخ

اللغة العربية

وكيف كان انتشارها

تمهيد

من الموضوعات الغامضة التي يشتاق كل قارئ وباحث لاستطلاع حقيقتها واستجلاء غامضها وخفي سرها موضوع انتشار اللغة العربية وكيفية ذيوعها ورسوخ قدمها في البلاد التي فتحها العرب وسبب بقائها في بعض هذه البلاد وذهابها من البعض الآخر. فان نسب هذا السبب الى الفتح عدّ خطأ تاريخيًا لا يتسامح فيه أقل ملم بالتاريخ فان نصيب بلاد الفرس مثلا من الفتح الاسلامي كان كنصيب مصر وسوريا وبلاد المغرب تماماً مع ان هذه بقيت فيها اللغة العربية حتى الآن وتلك ذهبت عنها منذ قرون وأجيال. ثم ان فارس أقرب الى جزيرة العرب مهد اللغة والدين من هذه البلاد وهي فوق هذا من أشد الامم تمسكا بالدين، فلمَ لم تنتشر فيها اللغة العربية كما انتشرت في زميلاتها؟

وان قيل أن السبب دين فقط قلنا اذا كان الامر كذلك فلمَ لم تنتشر بين الترك والفرس وغيرهم من الامم الاسلامية التي حافظت على لغاتها ولم تأخذ العربية لغة تتفاهم بها وتستعملها كما هي في البلاد العربية التي استعربت اممها؟ وبالاجمال فما هي العوامل والاسباب التي ساعدت على انتشار اللغة العربية في العالم العربي وعدم بقائها في العالم الاسلامي

هذا ما نريد بيانه فيما يأتي:

اسباب انتشار اللغة العربية ابان الفتوحات

وتغلبها على اللغات الاخرى

كان الاسلام من اكبر العوامل وأهم الاسباب في نشر اللغة العربية بين الامم، وذلك أن العرب لما حملوا على العالم بدينهم ولغتهم كان الشرق يحكمه دولتان عظيمتان الفرس في بلاد فارس والعراق وديانتهم الزرادشتية ولغتهم الفارسية، والروم في الشام ومصر والمغرب وديانتهم النصرانية على اختلاف مذاهبها، فكانت لغة أهل

مصر القبطية ، ولغة أهل النوبة النوبية (البربرية) ، ولغات أهل الشام وما بين النهرين السريانية والكلدانية والنبطية والآرامية . وكانت اللغة اليونانيـة تشرف عليها لانها لغة الخاصة ورجال الدولة وبعض رجال الدين ، فكانت اليونانية واللاتينية اللغتين الرسميتين في تلك البلدان

فلما فتح العرب هاتين المملكتين في بضع عشرة سنة أقاموا في ضواحي مدنها أقامة المحتلين وتركوا كل امة على مذهبها ولسانها ، فابقوا الدواوين أولاً في كل مملكة بلسان أهلها . فكانت دواوين مصر تكتب باللغة القبطية ودواوين سوريا باليونانية ، وفارس بالفارسية ، ثم حولوها كلها بعد ذلك الى العربية حينما أفضى الملك الى بني أمية ، وكأنهم أدركوا علاقة الدولة باللغة وانها لا تتأيد الا بها ، فعمدوا الى تعميم لسانهم [1] فلم يمض القرن الاول للهجرة حتى صارت تكتب كلها بالعربية فاضطر اهل البلاد الى تعلم لغة اهل الدولة تسهيلا لقضاء مصالحهم كما اضطر من اسلم منهم الى تعلمها لانها لغة الدين ، فبعد ان كان الفارسي في فارس والقبطي بمصر يخاطب حكومتـه بالفارسية والقبطية ويرفع ظلامته بلسانه أصبح لا يقبل منه اي الناس الا باللسان العربي وكذلك كان الرومي والسرياني في الشام وغيرهما في البلاد الاخرى

ولما قامت الدولة العباسية واشتغل خلفاؤها بالعلم ونقله الى العربية زادت رغبة الناس في هذه اللغة وزادت هي رسوخاً وانتشاراً لانها جمعت بين نفوذ الدولة وفائدة العلم فضلاً عن أنها لغة الدين

فكان مجمل اسباب انتشار اللغة العربية ثلاثة :

أولاً : انها لغة الدين (لغة القرآن والحديث وسائر كتب الدين)

ثانياً : لغة الحكومة الرسمية

ثالثاً : لغة العلم

فلم تمض بضعة قرون حتى تغلبت العربية على لغات اهل البلاد المفتوحة وتغلب العنصر العربي على عناصرهم وأخذت في الانتشار الى ان ملأت الخافقين

(١) لانهم (أي العرب) لم يرضوا ان يتعلموا لغات البلاد التي افتتحوها وكانوا يحتقرونها ويسمونها اللغات الاعجمية فوجب هجرها ، واعتبر ذلك من نهي الخليفة عمر فقد قال « انها خب » أي مكر وخديعة

اسباب رسوخ العربية في العالم العربي

وعدم بقائها في غيره

هذه كانت أسباب انتشار اللغة العربية ، وهذا كان مبلغ شيوعها حتى عمّت البلدان المفتتحة وذاعت في الاقطار المتنائية في كل بقعة وصل اليها الاسلام ، ثمّ تقلّص ظلها واقتصر انتشارها واستعمالها على بلاد دون أخرى فبقيت في بلدان العالم العربي بعد أن غالبت لغاته حتى غلبتها وقامت على أرماسها ثم ذهبت من بلدان العالم الاسلامي ولم تقو على أماتة لغاته والحلول محلها على حين ان الاقطار الشرقية التي تدين الآن بالدين الاسلامي دخل أكثرها تحت حكم العرب في أزمنة متقاربة كما بينا ؟ لِمَ قويت مثلا على اللغة القبطية في مصر فحلت محلها ولم تقو على اللغة الفارسية في فارس مع أن فتح مصر وفارس كان في زمن خليفة واحد وكان نصيبهما من الفتح العربي والاختلاط بالعرب واحداً ؟

السبب في ذلك أن تغلب العرب على هذه الامم اختلف سرعة وبقاء بتفاوت تلك الامم قوة وضعفاً . فالامم التي استعربت لم يكن لها عند الفتح دولة تحفظ جامعتها ولا مدنية تحافظ على لغتها ولذلك اندمجت هذه الامم الضعيفة في الدولة السائدة ونسيت لغاتها وعناصرها وأجناسها وصارت عرباً باللغة والعادات والاخلاق فضلا عن الدين ، وترى ذلك على الخصوص ظاهراً كل الظهور في الامم الذليلة التي توالت القرون على رضوخها للسلطة الاجنبية كالسريان والروم في الشام والعراق ، والاقباط في مصر ، والمغاربة في تونس والجزائر . فمصر والشام والمغرب كانت عند الفتح العربي ولايات تابعة للدولة الرومية في السياسة والمدنية ، والعراق كانت تابعة لدولة الفرس ، وقد توالت عليها كلها القرون الطويلة وهي راضخة لنير الدول المختلفة التي استولت عليها ، ولذلك ذهبت لغات هذه البلاد وعاداتها عند ما فتحها العرب وسرعان ما صار أهلها عرباً عنصراً ولساناً وهم في الاصل اخلاط من امم شتى فضلا عمّا اضيف اليهم بعد ذلك من جالية الاتراك والارمن والجركس والاكراد وغيرهم فاضاعوا جنسياتهم باهمال لغتهم . وبالاجمال ان الولايات التي كانت تحكمها دول أجنبية سهل اندماج أهلها في الفاتحين من العرب فاستعربوا وهم الانباط واليهود واليونان والاقباط والبربر وصارت لغتهم عربية وجنسيتهم عربية

ذهاب اللغات السامية امامها

هذا هو السبب العام في بقاء اللغة العربية في بلدان العالم العربي وتغلبها على لغاته . أضف اليه ملاحظة أخرى يشهد التاريخ بصحتها ، وأنها سهلت مع السبب الاول على العربية مهمتها . وذلك أن اللغة العربية لم تنتشر فيما تقدم من البلاد الا لان اهلها ايضاً مع استعمار بلادهم كانوا يتكلمون بلغات سامية تشبه العربية بل هي من اخواتها ، كالسريانية والكلدانية والفينيقية والنبطية والعبرانية وغيرها من اللغات السامية [1] فسهل على أهلها تعلم العربية لقربها من لغاتهم ولم يروا فيها الغرابة التي يجدها الهندي والفارسي في تعلمها . ولذلك لم تنتشر في غير هذه البلاد . ألا ترى مثلاً بلاد الاندلس التي حكمها العرب نيفاً وثمانمائة سنة فان أهلها الاصليين حافظوا على لغتهم اللاتينية أو فرع منها ولم يأخذوا من العربية الا بعض مفردات ، وكذا اهل صقلية والهند وفارس فان العربية مع أنها عمت القوم فيها حيناً لم تلبث ان غابت عنهم لتباين لغات أهلها . والامر بخلاف ذلك في سوريا والعراق فان اللغة العربية اضحت اللغة الشائعة عند الخاصة والعامة بعد مئتي سنة فقط اللهم الا بعض الاماكن المعتزلة أو الجبلية كمشارف لبنان مثلا حيث دامت السريانية قروناً عديدة ثم غابت فلو كانت لغة اهل سوريا هي اليونانية لما غلبت عليها العربية لتباين اللغتين والفرق العظيم بينهما

سبب ذهاب اللغة القبطية

ورب معترض على صحة الملاحظة المتقدمة بقوله : لمَ انتشرت اللغة العربية في مصر مع أن القبطية ليست من اللغات السامية ؟ فنجيبه بان السبب الاول المتقدم هو العامل الوحيد في ذلك فقد اصاب القبطية ما اصاب اللغات القديمة التي تألقت أنوارها في غابر الازمان فنمت وزهت حيناً ثم تضاءل ضوؤها وانطفأ سراجها فاندثرت على حد قول الشاعر :

هي اللغات ترى في سيرها غيراً تبدو فتذكو لحين ثم تنكسف
كالنبت يبدو ضئيلاً ثم يعقبه زهرٌ وطيب ثمار ثم ينقصف

(١) انظر مقالتنا عن تأثير اللغة العربية في لغات الشرق المنشورة في الهلال ج ٥ سنة ٢٣

وما كان سبب اندثارها الآ ذلة أهلها ورضوخهم لغيرهم فضاعت لغتهم لضياع مدنيتهم وذهبت جامعتهم لذهاب دولتهم ، فان العرب لما فتحوا مصر تحت قيادة عمرو بن العاص وجدوا أن اليونانية قد أصابت القبطية بجرح بليغ فسلطوا عليها لغتهم وهي في عزها وتمام نموها فلم تلبث أن اجهزت على الجريح حتى مات . وقد اضطر الاقباط الى درس العربية اما جبراً لمطاوعة الولاة واما طوعاً واختياراً لرغبتهم في معاملة العرب ومتاجرتهم أو طمعاً في مشاركتهم باعمال الدواوين والمراتب العليا التي تحصلوا عليها بعد ذلك . ولعلَّ كثيرين منهم أسرعوا الى تعلم العربية بغضاً للدولة البيزنطية الحاكمة عليهم سابقاً بصلف وتجبر فما مرَّت ردهة من الزمان حتى شاعت العربية بين خاصة المصريين وعامتهم

سبب بقاء اللغات الاخرى

وكل ما تقدم من الامم السابقة على عكس الاقوام الذين دخلوا في سلطة العرب وهم أهل دولة وتمدن فانهم حافظوا على ألسنتهم واستبقوا جنسياتهم كامة الفرس في الشرق والاسبان في الغرب وغيرهم

وهذه سنَّة من سنن الطبيعة فان من أسباب بقاء اللغات ونشرها احتوائها على العلم والفلسفة والدين مع وجود دولة ومدنية تحافظ عليها . وفي التاريخ امثلة عديدة على ذلك فاليونان لما نهضوا وفتحوا فتوحاتهم الكبيرة لم يبق لجامعتهم أثر حين ذهبت دولتهم الا حيثما نشروا لغتهم وكان من أسباب نشرها وبقائها احتواؤها على الدين والعلم والفلسفة فلما حملت الدولة الرومانية على الشرق وفتحت مصر وسوريا والمغرب لم تقوَ على محو اللغة اليونانية منها لرسوخها في أهلها بالعلم والدين

فبلاد الفرس لما فتحها العرب كانت دولة قائمة في الشرق كما كانت دولة الروم في الغرب ، ومع أن العرب بعد فتحها بقليل ، نقلوا كرسي الخلافة من الشام الى العراق المجاور لها — بل هو معدود منها اذ كانت المدائن عاصمة الاكاسرة قريبة من بغداد وقد لبثت الخلافة ببغداد كل مدة الدولة العباسية — فان الفرس قد ظلوا محافظين على لغتهم لانهم كانوا دولة لها مدنية مستقلة . ولهذا نرى الاقطار التي كانت بمنزلة الولايات والتي كانت بعيدة عن مقر الخلافة كمصر والشام وطرابلس وتونس والجزائر وغيرها من بلاد المغرب قد اصبحت لغاتها كلها عربية ونرى فارس التي

كانت الخلافة بارضها ما زالت فارسية الى الآن . فالفرس اختلطوا بالعرب اختلاطاً عظيماً وخدموا في مصالح حكومتهم وتدينوا بدينهم لكنهم لم ينخرطوا في جنسيتهم لانهم حافظوا على لغتهم بعد ان كانت اللغة العربية في الاربعة القرون الاولى للهجرة منتشرة في بلادهم بين الحكام وهي اللغة الرسمية لتلك البلاد وكادت تقضي على اللغة الفارسية حتى كان القرن الرابع فابتدأت هذه بالحياة وهبت تطارد العربية من بلادها وتم ذلك سريعاً حتى ان المتنبي لما زار بلاد فارس في القرن الرابع للهجرة قال :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها سليمان لسار بترجمان

فالفرس لم يندمجوا في جنسية العرب كغيرهم من اهل الولايات الضعيفة بل فاخروهم باصلهم وفاضلوهم بجنسيتهم وآدابهم وحضارتهم ، و « الشعوبية » التي اوجدوا منهبها اكبر دليل على ذلك ، ولهذا حافظوا على لغتهم رغم مايقتضيه تدينهم بالاسلام من اتخاذ العربية لغة لهم . على انهم كتبوا لغتهم باحرف عربية واقتبسوا عدداً كبيراً من الالفاظ العربية (راجع كتاب انتشار الخط العربي) أما لغتهم فظلت فارسية حتى سنحت لهم الفرصة فعادوا الى الاستقلال وأنشأوا الدول . فترى انهم لم يحفظوا لسانهم صدفة بل جاهدوا في سبيل حفظه جهاداً حسناً وقد كانت أحوال السياسة تقتضي ضياعه ، فكانوا يعظمون شأنه لدى أبنائهم ويوصونهم بتعلمه وحفظ آدابه لانه لسان أمة حية كانت عند ظهور الاسلام صاحبة دولة وعلم

وكذلك الاسبان فقد حافظوا على لسانهم ودينهم . فبعد ان رضخوا لدولة العرب بضعة قرون كما تقدم نهضوا وليس في لغتهم من آثار ذلك الفتح الا بعض الالفاظ فعادوا الى الاستقلال ، ونحو ذلك القول في الهنود وسائر الشعوب أمثالهم ممن كانوا اهل دولة ومدنية ، على ان هناك أقواماً خضعوا لدولة العرب ولم تذهب جنسياتهم مع انهم لم يكونوا أهل دولة وانما نجوا من ذلك ببعدهم عن مركز السيادة وقلة احتكاكهم واختلاطهم بالعرب كالأتراك والتتار والكرج وأهل النوبة وغيرهم . فان احتفاظهم بجنسهم وعناصرهم حفظ ألسنتهم

هذه هي الاسباب التي قويت بها اللغة العربية على لغات العالم العربي حتى تعربت هذه الاقطار ولم تقو بها على لغات العالم الاسلامي فبقيت لغاته . على ان اللغة العربية

تستعمل بجانب هذه اللغات في المعاملات الدينية ، فهي لغة المسلمين في جميع البلدان الاسلامية ، لغة العلم عندهم والدين ، فلا يبرّز في علومه من لم يتعلمها ولا يفهم الكتاب والسنّة من لم يحكم بيانها . فهم على اختلاف لغاتهم يطلعون بها على جميع العلوم الاسلامية والآداب الدينية

الخاتمة

فترى من كل ما تقدم ان السبب في بقاء اللغات وذهابها يرجع الى قوة الامم وضعفها ، فبقاؤها يستلزم أن تكون الامة قوية ذات دولة ومدنية تحافظ على لغتها من غارات الفاتحين والمتغلبين وتيار ألسنتهم ولغاتهم ، كما ان ذهابها يرجع الى ضعف الامة ورضوخها للنير الاجنبي زمناً طويلاً فاذا خلت الامة من دولة ومدنية تحافظ على لغتها فسرعان ما تندمج في غيرها من الفاتحين . والخلاصة ان الامة التي حافظت على لسانها حافظت على جنسيتها واستبقت لاعقابها ذريعة للاستقلال عند سنوح الفرص حتى بعد دخولها في دور الشيخوخة كاليونان مثلاً فان دولتهم شاخت وتولاها العجز فدخلت في سلطة الروم قروناً عديدة وغزاها برابرة الشمال وغيرهم من امم اوربا ثم فتحها الاتراك وحكموها مدة طويلة . فاستقلت ثانية في أوائل القرن الماضي فاعادت دولتها القديمة ، وما كانت تستطيع ذلك لولا جامعة اللغة ولو أضاعتها لضاع العنصر اليوناني وانخرط في الاتراك كما أصاب كثيرين من اخوانهم في آسيا الصغرى

فالدولة تتأيد بنشر لسانها وآدابها وعلومها بين رعاياها واذا استطاعت ادخالهم في دينها كان ذلك أدعى الى جمع كلمتهم في مصلحتها

ع . عبادة

اين السعادة

لقد ثبت ان عوامل الوقاية مستقرة في داخل الجسم وانما يجب المحافظة عليها وتقويتها . كذلك عوامل الشقاء والسعادة كامنة في الناس انفسهم وانما الواجب علينا ان نعينهم على معرفتها وتدبرها — كرنجي

الجمعيات السرية الايطالية

مرض اجتماعي وعلاجه

في الهيئة الاجتماعية كما في الجسم البشري امراض جرثومية أي انها تنجم عن مثل ميكروبات أو جراثيم . وميكروبات الهيئة الاجتماعية العناصر الشريرة التي فيها . وتأثير هذه الامراض في الجسم الاجتماعي يتوقف على حيوية جراثيمها المرضية

اجل ان المجرمين في الهيئة الاجتماعية هم اسباب ادوائها المؤلمة . واذا كان هؤلاء المجرمون هيئات منظمة كانت تلك الادواء اشد إيلاماً وخطراً على حياة الهيئة الاجتماعية

ان دائرة البوليس في شمالي اوربا وغربيها وفي اميركا والشرق ايضاً متى كانت تحقق في جناية لا تجد أمامها الا جانياً أو من يشاركه في الجناية معه . ولكنها في ايطاليا وما حولها من الممالك تجد أمامها جمعية سرية منظمة ولا تدري كيف تتوصل الى الجاني الحقيقي الا ببذل الجهد الجهيد

وليس هناك جمعية واحدة فقط من هذا القبيل بل عدة جمعيات أهمها اثنتان : جمعية كامورا Camorra ومركزها في نابولي . وجمعية مافيا Mafia ومركزها في سيسيليا . ومن الجمعيات غير المنظمة « الكف السوداء » . وهناك جمعيات أخرى صغيرة كجمعية باراباس . وجمعية تابستي . وجمعية بولي . وجمعية مغناتشيا . وجمعية مالافيتا

وقد بحث كثيرون في شؤون هذه الجمعيات الأثيمة ولكن قلما سلم بحث فيها من التخريف المزوَّق . وأقرب المباحث الى الحقيقة بحث لومبروزو العالم الاجتماعي الشهير صاحب المباحث الجليلة في الجرائم والمجرمين

جمعية كامورا

أنشأ هذه الجمعية في اول الامر عصابة من المجرمين . وعلى الشخص الذي يرغب الانتظام بسلك هذه الجمعية ان يجتاز الامتحانات التي يمتحن بها . ويجب ان يبرهن على لياقته لعضوية الجمعية بان يجترم جريمة قتل واحدة على الاقل . وبعد أن يقضي

بضع سنين كرفيق لبعض الاعضاء يقبل في العضوية . وبعد ذلك لا يبقى في وسعه ان ينفصل عن الجمعية . أما غاية الجمعية فالشر . وهي فوضوية المبدإ لا تعترف بسلطة حكومة نظامية . ويجتمع اعضاء الجمعية في مجلس عمومي في المسائل الخطيرة . ولهذه الجمعيـة السيطرة على بعض بيوت القمار في نابولي وعلى بعض نقابات الصناع الاخرى . وارباح الجمعية تقسم بين اعضائها بحسب المبدإ الاشتراكي . وعلى اعضائها ان ينفذوا أحكامها مهما كان دون تنفيذها من الاخطار والا تعرضوا للعقاب أو القصاص بالموت

ويقول اوتولونجي الذي بحث في شؤون هذه الجمعية انها مقسومة الى قسمين كبيرين كامورا العليا وكامورا السفلى . وكل من هذين القسمين منقسم الى أقسام صغرى

جمعية مافيا

أما جمعية مافيا السيسلية فتشبه كل الشبه جمعية كامورا التي في نابولي . ولكنها أكثر دعوى منها ويتفاخر أعضاؤها بعضويتهم فيها . على ان دعواها بالتدخل في الشؤون السياسية وان لها سيطرة حكيمة غير منظورة على الحكومة فدعوى باطلة . والحقيقة أنها تبيع نفوذها لمن يدفع ثمنه . وهي تشتغل في حوادث الانتقام وفي حوادث اللصوصية والقمار والقرصنة والغزو . وقد تدعي أنها تستعمل نفوذها في أعيان سيسليا وانها لهذا تعد سلطة حاكمة غير منظورة . والحقيقة أنها حصلت على نفوذها من الرعب الذي تلقيه في قلوب الناس

وهي تنفذ أحكامها بلا رحمة ولا تساهل البتة بل بشدة لا تقاوم . ولما قتل بانكارو في فيتوريو كتب أعضاؤها على جدران المنازل (خفية طبعاً) هذا الانذار « الذين يبقون صامتين يكافأون . والذين يتكلمون يموتون »

وأعضاء هذه الجمعيات يقرنون مطالبهم بتهديد من يطمعون في ماله بان يرسموا على بابه صليباً أحمر أو ان يطلقوا رصاصة على جداره . ولا يخفى ما في هذا التهديد من القاء الذعر في قلب الساذج

الكف السوداء

أما « الكف السوداء » المسماة بلغتهم « مانونيرا » فما هي بالحقيقة جمعية

نظامية كجمعيتي كامورا ومافيا وانما هي طريقة للسلب أو الاغتصاب قهراً أو بالتهديد . فقد يجري على هذه الطريقة فرد طلياني أو عصابة من الطليان وربما اشترك مع الطليان أشخاص آخرون من جنسية أخرى . وهذه العصابات تجتمع وتحل بلا نظام ولا موعد بل بحسب الظروف المكانية والزمانية . ولا تظهر هذه العصابات في ما حول البحر المتوسط فقط بل في سائر أوربا وجمهوريات أميركا أيضاً .

دواء الداء

ولما كانت ايطاليا مصدر هذه الجمعيات والعصابات الشريرة كانت الحكومة الايطالية تجد نفسها لقاء داء في جسم الامة يحتاج الى علاج ناجع

ولهذا يعد نظام البوليس الايطالي أكثر وثوقاً من سائر نظامات أوربا . فانه لما كان على سلطة البوليس ان تشتغل في التحقيق في القضية الواحدة في جميع انحاء المملكة كان لا بد من حصر سلطة البوليس في مركز واحد وتفريعها الى جميع ولايات ايطاليا الـ ٦٩ وهذه القوة المتفرعة من المركز كلها محصورة في يد وزير الداخلية الذي يعين بنفسه مدير البوليس لكل ولاية .

أما نواة قوة البوليس فهي فرقة القرابينياري وهي قوة عسكرية تحت سلطة العرش رأساً مؤلفة من كتيبة موزعة في كل ايطاليا . ويضاف اليها أيضاً حرس المدينة التابع لوزارة الحربية

وللقرابينياري سلطة البوليس في كل ايطاليا وله حق التحقيق حتى في أحقر القرى . فالنظام متين وثيق ليس له مثيل في كل أوربا . ولولا كونه كذلك ما استطاع ان يكبح جماح هذه العصابات الشريرة الخطيرة ويرد كيدها في نحرها ويقي الآمنين ذعرها ورعبها

ثم ان البوليس السري كابيتو نجح بعض النجاح في تشتيت شمل جمعية كامورا وفضح أسرارها ومكن الحكومة من سحقها . فانه انتظم في سلك الجمعية من غير ان يوجس أعضاؤها منه وحضر الجلسة السرية المشهورة التي حكم المجلس فيها بقتل كوكولو وزوجته لانهما خانا عهد الجمعية . وانعقدت جلسة الجمعية في غرفة سرية تحت كنيسة القديس جيوفانيو . وكان رئيس الجلسة حينئذ جنتير ده مزنيس وهو رجل معروف في الدوائر العالية في روما وذو مكانة سامية

رموز العصابات الشريرة

في ذات يوم وجد في حديقة مونت كارلو جثة رجل قد أصيب برصاصة والى جانبه مسدس قد أفرغت احدى عيونه . وظهر من أحواله انه من كبراء الناس وظن انه انتحر كعادة الذين يفشلون في المقامرة . ولما فحصت جثته وجد في ذراعه وشم حديث الصنع يمثل برجاً فوق قوس بوابة . فلما بلغ الخبر الى الحكومة الايطالية اجابت ان هذا الوشم هو رمز جمعية كامورا وهو الاشارة التي ترسمها على أذرعة الخونة الذين تقتلهم الجمعية بموجب حكم يصدر من مجلسها الرئيسي في نابولي . وقد أضافت الى جوابها هذا ملاحظة جديرة بالاعتبار وهي ان المقامر يندر جداً ان ينتحر لانه مهما خسر في القمار يبقى عنده أمل بالربح . وانما ينتحر المفلس أو اليائس أو المجرم ونحو هؤلاء . ولذلك لا تعتقد ان الرجل انتحر بل ان جمعية كامورا اغتالته لسبب من الاسباب

العصابات الفرنساوية

وقد جرت الحكومة الفرنسية على قاعدة الحكومة الايطالية فى سحق الجمعيات السرية الشريرة وأهمها عصبة نرفي (Nervi) فى مرسيليا وعصبة الاوباش (Apaches) فى باريس . على أن العصابات الفرنسية أقل متانة ونظامها أقل احكاماً من الجمعيات الايطالية . ومن رموز عصبة نرفي وشم صغير في زاوية العين اليسرى . وكان اكتشاف البوليس لمعنى هـذا الرمز المفتاح الوحيد للاهتداء الى أعضاء الجمعية المذكورة

وأما أوباش باريس فاقل خطراً من سائر العصابات السرية في كل العالم حتى تكاد عصاباتهم تكون خلواً من رباط يربط أعضاؤها . وانما من خصائصها ان أعضاءها يدخلون فيها وهم أحداث في سن العاشرة أو الثانية عشرة . وهم في باريس منقسمون الى عدة دوائر صغيرة

وقد حدث مرة خصام بين بعض هذه الدوائر في باريس قضى على الجمعية برمتها تقريباً . وسبب ذلك ان فتاة جميلة كانت خطيبة زعيم الدائرة المسماة مندا Manda فاختطفها زعيم الدائرة المسماة لكا Lecca فثار أوباش تلك على أوباش هذه وجرت معركة بين الفريقين افضت الى فضح امرهم والاطلاع على جميع أحوالهم ورموزهم

واشاراتهم . ومن ذلك فهم البوليس ضعف هذه الجمعية وانها ليست الا جماعات شريرة متفرقة في المدينة تربطها روابط ضعيفة وان بعضها أقوى من بعض

بعض حيل الخطف عند الاوباش الباريسيين

العادة ان لا يحمل اعضاء هذه الجمعيات سلاحاً لئلا يمسكهم البوليس وان خطر لاحدهم ان يتسلح فيضع مسدساً في قبعته أو تحت صدرته . والغالب انه اذا اضطر الى استعمال السلاح تصحبه امرأة من اعضاء عصابته وتعطيه المسدس في حين اجراء العمل حتى متى أطلق الرصاص رده اليها بسرعة وهي تخفيه في فرو يديها أو في صدرها وهو ينسل بسرعة ويختفي . واذا امسك كان بلا سلاح

وكثيراً ما يتدرع الوبش بدرع من الجلد ضمن كمه فلا يظهر للرائي . وفي الدرع كثير من المسامير الناتئة رؤوسها حتى اذا جاء البوليس ليقبض على ذراعه تجرحت كفه فيفلته مرغماً وذاك يغنم الفرصة للفرار

ولاشخاص هذه العصابات حيل مختلفة للخطف والسلب والاغتصاب لا تقع تحت حصر وكل يوم لهم اختراع حديث بهذا الشأن

سبب العلة الاساسي

قلنا ان هذه العصابات ليست الا ميكروبات مرضية في جسم الهيئة الاجتماعية . ولكن هذه الميكروبات تختلف عن المشهور من الميكروبات الحقيقية التي تعل الجسم البشري . ووجه الاختلاف ان الميكروبات الاجتماعية المرضية انما هي افراد من الهيئة الاجتماعية نفسها لا دخيلة عليها . اما الميكروبات المرضية التي تعل جسم الانسان فدخيلة أجنبية

وانما يقال ان ميكروب السرطان يتولد من جسم الانسان نفسه بسبب تقهقر في نموخلياته . وكذلك كريات الدم البيضاء التي هي الجيش المدافع في الانسان تنقلب في بعض الاحوال كادمان المسكر مثلا الى جيش متمرد يغزو الخلايات الحيوية في الانسان

فلا بدع ان يكون في جسم الهيئة الاجتماعية افراد منه ينقلبون اعداء له في احوال تقابل الاحوال التي تدعو الى تمرد الكريات البيضاء . وليس هنا محل لتفصيل هذه المقابلة

وانما يقال بالاختصار ان النظامات السياسية والاقتصادية العسوفة التي قضت بتطرف كل من حالتي الاثراء والفقر بحيث يجتمع في الهيئة الاجتماعية غنى طبقة باهظ وفقر طبقة أخرى مدقع ـ هذه النظامات نفسها افضت الى تنظم فئة من الطبقة الفقيرة في جمعيات اجرامية تنخر جسم الاجتماع كما ينخره السوس

لا ترى شخصاً ميسوراً يحرز الثروة بسهولة يندفع في الجرائم لاجل الحصول على الرزق وأما الفقير المعدم يجنح الى الاجرام متى ضاق ذرعه عن تحصيل الرزق وشعر انه لا ينال بلغة العيش الا اذا رضي ان يكون عبداً لسواه . فمعالجة هذا الداء الاجتماعي بقوة البوليس وصرامة القضاء انما هي علاج يسكن الآلام ولكن لا يستأصل الداء . ولا يقطع شأفة هذا المرض المزمن في الاجتماع الا اصلاح احوال العمال . وهو ما ينتظر ان يتم في ازمة العالم الحاضرة



اصل الاسماء

سئل علي بن ابي طالب : لماذا سميت السماء سماء والدنيا دنيا والآخرة آخرة وآدم آدم وحواء حواء الخ

قال سميت السماء سماء لانها وسم الماء يعني الماء

وانما سميت الدنيا دنيا لانها ادنى من كل شيء

وسميت الآخرة آخرة لان فيها الجزاء والثواب

وسمي آدم آدم لانه خلق من اديم الارض

وسميت حواء حواء لانها خلقت من الحيوان

اياك والسكنى مع ذوي الشحناء

اياك والنمائم فانها تزرع الضغائن وتورث المحائن

اياك ومشاورة شاب يعجب برأيه او كبير قد أخذ الدهر من عقله كما أخذ من جسمه

اياك وكل جليس لا يفيدك علماً ولا تصيب منه خيراً

اغرب الجرائم التاريخية

قتل لاجل ضمانة الحياة

[الهلال] هذه هي القصة الثانية من سلسلة الجرائم التاريخية الغريبة التي وعدنا بنشرها . وهي تنتهي في هذا الجزء وستتبعها بسواها

— ١ —

حصل ادموند ده لابوميراي على دبلوم طبيب في الرابعة والعشرين من عمره وهو وحيد لابويه فسُرّا به أعظم سرور — وكان ابوه قبله طبيباً في الريف — وارتأيا ان يبدأ حياته العملية في باريس

وكان ادموند جذّاب المظهر جداً . فهو طويل القامة جميل الطلعة صبوح المحيا لطيف المعشر حرُّ الضمير . وقد اكرمه اصدقاء ابيه في باريس وعرّفوه على كثير من الاسرات في تلك العاصمة الجميلة . فكان الحظ يخدم ادموند من كل قبيل

في الشهر الثالث لوجود الدكتور الفتى في باريس دخل عليه احد زملائه الذي كان صديقه في المدرسة وقال له : — حبذا لو كنت تنوب عني في عيادة مريض اعالجه لاني مضطر أن ابرح باريس الليلة . وهذا المريض مسكين يرثى له . اسمه لويس ده باور . وهو وزوجته كلاهما رسامان مصوران . والزوجة جميلة لطيفة

فلبى الدكتور ادموند ده لابوميراي اقتراح صديقه بكل سرور وذهب لعيادة المصور باور . ولسوء الحظ وجده في حالة النزع فعامله بكل لطف وكرم . واظهر للزوجة التعسة واولادها الثلاثة كل حنو ورقة وشفقة . ولما مات ذلك العليل المحتضر تبرع ادموند بنفقات الجنازة من جيبه لان حالة تلك العائلة المالية كانت دون ما تستطيع من احتمال تلك النفقة

ولا يخفى ان مثل هذه الحالة تقضي بحكم الطبع الى تمكن العلائق . ولذلك تردد الدكتور الى منزل تلك الارملة المسكينة وما عتم ان بسط الله الحب جناحيه عليهما

وكانت سيرافين ده باور اكبر سناً من الدكتور ادموند ده لابوميراي . كانت في الثلاثين من عمرها . وبحسب العادة الجارية في باريس لم يكن ينتظر ان يؤول حبهما

الى زواج بل بقيا حبيبين سريين مدة ثلاث سنين كان الدكتور يدفع في اثنائها نفقات حبيبته واولادها

واخيراً ملّ الدكتور عشرة هذه الحبيبة واستنكف هذه الحالة التي كان فيها . فني ذات يوم ودّع تلك المرأة وداعاً ابدياً وتركها مكسورة الخاطر عليلة الفؤاد

وعكف ادموند بعد ذلك على عمله طامعاً في الشهرة الواسعة الى أن نال مكانة عالية في عالم الطبابة وصار ابواه يبحثان عن زوجة لائقة له . على انه ما لبث ان صادف ذات يوم في الاومنيبوس فتاة رائعة الجمال جالسة بازائه الى جنب أمها فافتتن بها وما رأى نفسه الا متتبعاً لها حتى بلغت مع أمها الى منزلهما . وهناك استقصى عن اصلهما وفصلهما وعلم انهما من أسرة دوبيزي فبذل جهده حتى تعرف بالاسرة

وما هي الا ايام معدودة حتى اعلن الدكتور لابوميراي حبه للفتاة وطلب يدها كزوجة له . أما مدام دوبيزي فرفضت الطلب في اول الامر على حد ما تفعله كل امرأة فرنساوية في سنها وفي زمانها بغية أن تستزيد حب الفتى والفتاة . وبقيت مصرة على الرفض الى أن مرضت الفتاة بحب ادموند مرضاً لا برء لها منه الا بالزواج . فرضيت الام وتزوج العروسان في حفلة شائقة حضرها جم من الاصدقاء لان ادموند اصبح لذلك العهد معروفاً في الاسرات الباريسية وكان معلوماً انه وافر الكسب وان لزوجته بائنة وافرة ايضاً

على أن ادموند لم يكن بالحقيقة في سعة وبحبوحة وهناء كما تراءى للقوم . وكان يقامر كما يفعل كثير من الباريسيين بل كان يضارب في البورصة أيضاً . على انه كان يكظم همومه وغمومه الناشئة من هاتين الموبقتين ولذلك لم يكن في باريس في عهد الامبراطورية الثانية أحد أسعد حالاً وأهنأ بالاً من ادموند لابوميراي في الظاهر

وفي السنة الثانية لزواجه رزق طفلة . وبعد بضعة أيام من ولادة الطفلة زار ذينك الزوجين صديق ودود وقال في خلال حديثه للدكتور: — لماذا لا تؤمن على حياة ابنتك . لانك اذا كنت تدفع كل سنة مقداراً قليلاً من المال في مدة اثنتي عشرة سنة مثلاً يكون عندك مبلغ من المال كاف لتعليم الفتاة وتأهيلها لمستقبل مجيد

فوقع هذا الرأي في نفس الدكتور موقعاً حسناً وقبل النصيحة شاكراً وما لبث ان استدعى مندوباً من قبل احدى الشركات وانجز عملية التأمين على ابنته

واستمر الدكتور في حياته اليومية كالعادة فهو في الظاهر ناجح وسعيد وذو بال

وفي الباطن مهموم بامور مالية . على ان موت حماته فرَّج كربه من هذا القبيل فان مدام دوبيزي ماتت فجأة وهي في زيارة ابنتها وبالطبع تركت ارثها لابنتها

— ٢ —

نأتي الآن الى الفصل الثاني من المأساة فنجد أنفسنا في منزل حقير قديم في أحد أحياء باريس القديمة يشتمل على ثلاث غرف تقطن فيها سيرافين ده باور وقد تجاوزت سن الاربعين وهي تعيش من التصوير

وقد كانت أفقر من ان تستطيع ان تضع أولادها الثلاثة في المدرسة وأصبحت الحياة لها جهاداً شاقاً لقاء البخت السيء . ومرَّ عليها بضع سنين لم تسمع شيئاً عن ادموند بوميراي الفتى اللطيف الجميل الذي كان قد منحها ثلاثاً من أسعد سني حياته ولكنها ما زالت تجد في نفسها منزلاً لحبه ولم تنس لطفه وطيبة قلبه وتعلقه بها في ذلك الحين

وفيما كانت جالسة لدى الموقد تستدفئ على نار خامدة — لان الوقيد غال وليس معها نفقة وقيد النهار بطوله ولهذا كانت ترسل أولادها الى الجيران الكرماء لكي يتدفئوا على نارهم — ان سمعت وقع أقدام لم تألف سمعه ثم تلاه قرع على الباب فاسرعت وفتحت فاذا حبيبها القديم الدكتور ادموند يحييها فهلع فؤادها فرحاً ورحبت به قائلة :— لا تخلع معطفك لان غرفتي باردة

ولكنه خلع المعطف المبطن بالفراء وتناول يديها النحيفتين بيديه وقال :— لا يجوز ان نستأنف دور الحب لاني ذو زوجة الآن يا سيرافين . على اني رأيت من الواجب ان أزورك وأرى كيف حالك وان كانت ثمت حاجة لك أستطيع قضاءها فاقضيها

أما سيرافين المسكينة وهي في ابان شقائها وفاقتها فتلقت هذه العواطف الرقيقة بدموع مدرارة

كان في وسعه طبعاً ان يقضي لها حاجات عديدة ، وان تكن تكره ان تلتمس حاجة منه أو من سواه . وأهم حاجاتها تدبير أمر أولادها الذين تود أن يتسنى لها ارسالهم الى المدرسة على الاقل . ولكن ليس عندها ما يعولهم . وفوق ذلك كانت في قلق شديد على صحة احدى بناتها

فلما أطلع ادموند على تلك الاحوال قال :— اني أعالج الفتاة وأشفيها

فاسرعت سيرافين وأتت بالفتاة من عند الجيرة ففحصها ادموند بعناية وبذل جهده في اقناع الام ان الفتاة سليمة الجسم وجل ما في أمرها حاجتها الى الغذاء الجيد . وقال : — لكِ ان تعتمدي عليَّ في ذلك

وكانت سيرافين تشعر بالسعادة كلما اكثر صديقها القديم من تسآلها

ثم سألها : — كيف حال أختك مدام ريتر . ألا تسعفك ؟

فهزت سيرافين رأسها وقالت : — كلا . انها تعطف عليَّ قليلاً جداً . ولا أراها الا نادراً . ومع انها أقل شقاء مني فما هي في حال تقدرها على اسعافي

فاجاب مفكراً : — وا أسفاه

ثم أدنى كرسيه من كرسيها وهامسها قائلاً : — سمعاً سيرافين . لقد افتكرت بطريقة تضمن ليس مستقبلك فقط بل مستقبل أولادك أيضاً . ولكن قبل ان أخبرك مشروعي يجب ان أحذرك من ان تفوهي بكلمة لاحد عما سأقوله لك لئلا تفسدي المشروع ويقع بسبب ذلك أذى عليَّ وعليك . فنجاح الامر يتوقف على صمتك المطلق

فقالت : — وهل يحتمل اني أبوح بسر بيننا . هل بحت بشيء من أحوال صداقتنا القديمة

— لا . واني أشكر لك ذلك . اني أثق بك وسترين اني واثق فتفهمي الآن جيداً ما سأقوله لك

ثم نهض وفتح الباب ليرى ان كان ثمت أحد يسمع ثم أقفله وعاد وجلس وقال : — أول ما يجب ان نفعله هو أن نؤمن على حياتك . ما أنت فوق الاربعين سنة بكثير وصحتك جيدة فيمكن التأمين على حياتك بمبلغ كبير

فدهشت المرأة لهذا الاقتراح وقالت : — ولكن ليس عندي فلس واحد فكيف أدفع الاقساط السنوية . أتمنى لو كان في وسعي ان أؤمن على حياتي بمبلغ خمسة آلاف فرنك

— خمسة آلاف فرنك ؟ يالله . بل أود ان أؤمن على حياتك بخمس مئة الف فرنك

فازدادت المرأة دهشة . فقال : — أنا أدفع الاقساط لان حالي الآن حسنة وفي وسعي ان أفعل ذلك . ومع ذلك فلا يستمر الدفع طويلاً

فنظرت فيه مستغربة وضحكت ضحكة وجل . فقال : — لا أعني انك تموتين

عاجلاً . لا . لا تموتين . بل أثق انك تعيشين طويلاً لان بنيتك قوية . فاعارته المرأة أذناً صاغية لتعلم ماذا يكون من اقتراحه الغريب هـذا فقال : — بعد ان تدفع قسطاً أو اثنين يجب أن تتظاهري انك مريضة مرضاً خطراً ، مرضاً ينذر بقرب أجلك . وحينئذ يجب عليك بناء على شروط شركة التأمين ان تنذري الشركة بشدة مرضك حتى متى شعرت الشركة بخطر مرضك تعرض عليك ان تفتدي المبلغ الخطير الذي يستحقه أولادك بعد موتك بان تتفق معك اتفاقاً آخر وهو ان تعرض عليك راتباً سنوياً تتقاضينه مدة حياتك وقيمة الراتب تتوقف على نوع مرضك ولا أظنها تقل عن ٤ أو ٥ آلاف فرنك . وفي وسعي ان أجعلك في حالة مرض خطير بالظاهر ولكن من غير ان يكون عليك خطر البتة

بالطبع لو كانت مدام باور شريفة النفس لرفضت هـذا الاقتراح الدنيء . ولـكن الفقر المدقع والفاقة الشديدة ، الجوع ، العري ، مطاليب الاولاد ، كل ذلك يحول النفس الشريفة الى نفس دنيئة . وقد آلت على نفسها ارتكاب هذه الدناءة بقولها لنفسها ان الناس دائماً يسرقون الحكومة ويغشونها وشركة التأمين قوية كقوة الحكومة فلا تفلس بسرقة كهذه . ولما كانت ذات ثقة عظمى بادموند الذي اختبرته جيداً وتأثرت من لطفه وطيب قلبه وشفقته عليها وعلى أولادها لم تتردد في قبول اقتراحه

— ٣ —

وما هي الا بضعة ايام حتى أنجزت عملية هذا التأمين بكل بساطة وبالسر ومن غير ضوضاء ولم يظهر الدكتور فيها الا بصفة ضامن لان القسط كان ٨٠٠ جنيه كل سنة . وكان وكيل شركات التأمين قد وزع هذا التأمين الكبير على ٨ شركات لان عادة شركات التأمين أن تتعاون في المبالغ الكبيرة لكيلا تحمل الخطر شركة واحدة

أما ادموند فلما تم الامر كما اقترح جعل يفكر في طريقة يضمن بها ان يكون التأمين في آخر الامر آيلاً له . ولم يكن هذا الامر سهلاً لانه كان يود ان يبقى كل شيء مكتوماً . وكان يعلم جيداً ان مدام ريتر اخت سيرافين يحق لها ان تتولى أمر المبلغ فيما اذا ماتت اختها

فذهب الى محام مشهور واخبره انه يوم كان صديقاً أو رفيقاً للارملة مدام باور كان يقرضها نقوداً حتى صار له مبلغ وافر عندها وهي لا قبل لها على الدفع فخطر له ان يستوفي المبلغ باسلوب التأمين على حياتها وانه قد فاوضها في الامر فقبلت .

وطلب الى المحامي ان يبقى الامر مكتوماً لئلا تعلم به زوجته التي يحبها فتستاء جداً

ولم يخبر ادموند المحامي ان دين المرأة له يبلغ ٥٠٠ الف فرنك بل ١٠٠ الف فرنك فقط . ومع ذلك رأى المحامي ان هذا المبلغ كبير ولكنه لم يستغرب ان ينفق فتى جاهل في ابان الحب على حبيبته مبلغاً باهظاً كهذا . فحرر وثيقة تقضي بتحويل المبلغ للدكتور في حالة استحقاقه . فاخذ الدكتور الوثيقة الى مكتبه وبيضها بحروفها ولم يغير فيها سوى رقم واحد وهو رقم ٥٠٠٠٠٠ بدل ١٠٠٠٠٠ فرنك وقد وافقت مدام ده باور على هذه الوثيقة . وزاد على ذلك انه أخذ منها وصية تمنحه فيها حق الاستيلاء على كل ما تملك من هذا التأمين لكي ينفق على اولادها

— ٤ —

مضى نحو اربعة أشهر على سيرافين وهي في حال أهنأ وأسعد جداً من قبل فلم تعد تشتغل ولم تعد هي واولادها في حاجة لان صديقها الدكتور كان يدفع لها كل شهر جعلاً وقد شفي ابنها ايضاً . على أنه قلما كان يزورها

وفي ذات يوم زارها وقال لها :— ان زوجتي اليوم في الريف وعندي فراغ ساعة اقضيها عندك لنبحث في المسألة التي اتفقنا عليها وهي ان تتظاهري انك مريضة

فضحكت وقالت :— ولكن قد تفتضح المسألة اذا جاءت عاجلة هكذا ولا سيما لاني شاعرة أني أحسن صحة من قبل

— ولكن اذا نجحنا لا تقولين اننا عجلنا . فالافضل ان تلازمي مخدعك وان تستدعي طبيباً والافضل ان يكون الطبيب غريباً عنك جداً . وأما المرض الذي تدعينه . . .

وهنا تردد . فقالت :— هل ادعي اني وقعت على السلم . ولا يخفى عليك ان السلم كثيرة الانحدار

فوافقها على هذه الحيلة

في تلك الليلة سمع الجيران وقع شيء على السلم وفي الصباح لم يستغربوا اذ علموا ان مدام باور وقعت عن السلم ولازمت مخدعها . ولم تحسن حالها فاستدعت جارتها طبيباً كانت تعرفه فجاء ولم يشك بصحة حكاية سيرافين عن وقوعها فعالج صدمة عصبية وكسراً في أحد اعضائها لم يكن له وجود البتة

وطالت حالة سيرافين اياماً حتى تحير الطبيب بامرها . على ان جميع الاطباء

يعلمون ان الصدمات العصبية تتخذ اشكالا محيرة . وأخيراً بلغ الخبر الى اختها مدام ريتر فعادتها وقالت : — سمعت انه حدث لك حادث ولكني أراك بخير كانك لم تصابي باذى

فقالت سيرافين : — أحقيق ما تقولين . قد لا اكون عليلة كما يتراءى لي

— ماذا استطيع ان افعل لاجلك يا اختاه . انت تعلمين اني لا املك كثيراً من المال بيد أني افضل ان أحرم نفسي شيئاً على ان أراك تعسة

فابتسمت سيرافين وقالت : — حبذا انك تكتمين سراً

— بالطبع اكتم السر الذي يهمك كتمانه

وهنا اسرّت مدام باور الحكاية كلها لاختها . فلم تستهجن مدام ريتر المشروع بل سرت من امل النتيجة منه وخرجت واعدة اختها ألاّ تبوح بالسر

— ٥ —

قضت مدام باور شهراً في سريرها حتى ملت هذه الحال الى ان جاء ادموند وقال لها : — أظن انه حان الوقت لابلاغ وكيل شركات التأمين الذي تمت العملية على يده انك مريضة . والارجح أن يوعز الى طبيب الشركات أن يأتي ليفحصك فلا يحسن أن يأتي ويراك بخير . ولهذا اقترح ان اعطيك دواء يجعلك مريضة جداً برهة قصيرة ثم تعودين الى حالك الاولى بعد ٢٤ ساعة . ولكن يجب أن تتحملي في مدة فعل الدواء ما ترينه في نفسك من الاعتلال

فرضيت باقتراحه . وابلغت وكيل شركات التأمين خبر مرضها واخذت الدواء الذي أعده لها ادموند . على أن وكيل الشركات كان راضياً بتقرير الطبيب الذي كان يعالجها . وما خطر لها أن الشركات لا ترسل من قبلها طبيباً خاصاً في مثل هذه الاحوال لئلا يستاء المؤمَّن على حياته ولا سيما اذا كان التأمين مبلغاً كبيراً . ولهذا كانت تتوقع بفروغ صبر قدوم طبيب الشركات وهي تقاسي من فعل الدواء . وشقّ عليها أن تنقضي مدة هذه المقاساة والطبيب لا يأتي . وأخيراً وردت اليها رسالة من ادموند يخبرها انه سيقضي المساء عندها فسرّت جداً وارسلت احدى جاراتها لتشتري لها صباغاً احمر تتبرج به استعداداً لاستقبال حبيب لم يقض معها مساء منذ عهد طويل . وقد جاء ادموند الساعة السادسة وتعشى عندها ولم يخرج حتى العاشرة . وفي تلك الليلة اشتد الاعتلال على سيرافين جداً حتى جزع اولادها اشفاقاً

عليها واسرعوا واستدعوا الجيران وخالتهم مدام ريتر

على أن سيرافين كانت شجاعة جداً فكانت حالتها خطرة حتى الموت ولكنها لم تخف ولم تشك . بل كانت تقول لاختها :— لا بأس من كل هذا . فاعلمي أني أتحمل هذا الالم الآن ثمناً لما سأناله في المستقبل من الجعل السنوي الذي لا يقل عن ٥٠٠٠ فرنك . فافكري كم اكون سعيدة في المستقبل . فلا بأس أن أتحمل الالم الآن

مضى النهار ولم تحسن حالة سيرافين . فذهبت الجارة الى الطبيب الذي كان يعالجها واستدعته ولكنها لغباوتها اخبرته أن سيرافين اهرقت الدواء الذي وصفه لها ولم تأخذ منه شيئاً . فغضب الطبيب وسخط وأبى أن يعودها وقال :— لا داء فيها . أنها غبية جاهلة هستيرية المزاج ليس الا

وفي المساء جاء الدكتور أدموند وفحصها ثم جرعها مزيداً من الدواء وخرج قائلاً أنه مضطر أن يعود سريعاً الى زوجته التي كانت في الريف على مقربة من باريس

ثم اشتدت الحال على مدام باور ولكنها بقيت قوية الروح — لشدة ثقتها بادموند — واخيراً ازدادت حالها سوءاً جداً حتى انها لم تعد تحتمل الآلام ورضيت أن يعودها أي طبيب

فاستدعت الجارة لها طبيباً آخر لم يعرف شيئاً عن حالها الماضية . ولما فحصها شخص مرضها الكوليرا ووصف لها دواء هذا الداء . وكانت الكوليرا قد ظهرت في باريس مدة الصيف والخريف فلم يستغرب الطبيب أصابتها بها

ولكن سيرافين ضحكت من قول الطبيب في سرها وفي ابان عذابها وقالت لابنتها الكبرى أن دواء هذا الطبيب لا يفيدها شيئاً . على ان الطبيب وقد رأى أن حالها خطرة جداً عادها في اليوم التالي فاذا هي في حال النزع . وما مضى على عناء ادموند عندها ثلاثون ساعة حتى ذهبت روحها الى الابدية

في ذلك المساء جاء ادموند وفيما هو صاعد في السلم تلقى الخبر المحزن من اولادها التعساء فدخل الى الغرفة وتأمل الجثة هنيهة . ثم خرج وقال لاحد الجيران لا ريب ان الدكتور الذي رآها اخيراً مصيب بقوله ان مرضها كان الكوليرا . وقد دفع الطبيب الذي عالجها اخيراً شهادة الوفاة مقرراً انها ماتت بالكوليرا

في تلك الليلة كتب ادموند الى وكيل شركات التأمين يبلغه ان مدام باور ماتت

وان معه منها وصية بأن يدفع مبلغ التأمين له باعتبار أنه وصي على اولادها وان له عليها ديناً

فاعترفت الشركات بدعواه وبالوصية . ومدام ريتر شكرت له العطف الذي بدا منه لاختها . ولكن لم يذكر لها كلمة عن الدين الذي يدعي انه له على أختها ولا عن كيفية تسديد هذا الدين

وقبل أن تدفع الشركات المبلغ للدكتور ادموند وردت الى دائرة بوليس باريس رسالة بلا امضاء ان موت مدام باور محفوف بأسرار غريبة وانه يجدر بالبوليس أن يبحث في المسألة من الوجهة المالية

مضت ١٤ يوماً ولم تحول العشرون الف جنيه الى حساب الدكتور ادموند ده لابوميراي فكاتب الشركات مراراً بشأن هذا التأخير . وفيما كان جالساً الى مائدة الطعام لدى زوجته قرع جرس الباب فنظرت زوجته اليه لانها تعودت ان تراه قلقاً كلما قرع الباب كأنه يتوقع زائراً غير كريم . ثم وافت الخادمة ودفعت اليه بطاقة قائلة أن المسيو يريد مقابلة جنابكم

فتناول أدموند البطاقة ونهض قائلاً لزوجته : « سأعود في خمس دقائق ياعزيزتي » . ثم قرأ في البطاقة أسماً لا يعرف عنه شيئاً وانما قرأ تحته « دائرة البوليس السري » . فدخل الى غرفته الخاصة حيث كان الرجل ينتظره فانحنى له هذا بكل احترام وقال : — لقد جئت اليك يا دكتور لكي أخاطبك بشأن احدى علىلاتك في الماضي مدام دي باور

فتلقى ادموند كلام الرجل بكل برود كأن علاقة الامر به ضعيفة جداً . واخبره هذا ان دائرة البوليس السري تلقت رسالة بلا امضاء بشأن موت المرأة فامرت باستخراج جثتها وفحصها . وثبت من الفحص ان المرأة ماتت بفعل سم نباتي يدعى دبجيتالس وهو سم يختفي من الجسم بعد وقت غير طويل . وان البوليس فحص أوراق المتوفاة فوجد بينها اوراقاً تثبت انها كانت مؤمنة على حياتها بمبلغ عظيم جداً وان شركات التأمين أنبأت دائرة البوليس ان المبلغ محول للدكتور بوميراي . وهذا هو سران مدير البوليس ارسل مندوباً الى الدكتور ليسأل كيف تسنى لامرأة فقيرة جداً كسيرافين ان تؤمن على حياتها بمبلغ جسيم وكيف امكنها ان تدفع القسط الاول

فرد ادموند على هذه الاسئلة بكل رزانة وصراحة مخبراً مندوب البوليس حكايته مع مدام ده باور بالتفصيل مغفلاً منها بالطبع كل ما يستفاد منه خداع شركات التأمين والحيلة المدبرة . وأما من حيث جسامة المبلغ فقال انه ليس له دين على مدام باور سوى ٢٠ الف فرنك وأما الباقي فلاولادها وهو وصي عليهم بموجب وصية امهم ثم استخرج من مكتبه الرسائل القديمة التي كانت مدام باور ترسلها اليه والتحارير الاخيرة التي تثبت دينه عليها ولكن ليس في تحرير منها ذكر لقيمة الدين

ولما خرج المندوب شاكراً للدكتور لطفه عاد ادموند الى زوجته ولاحظ من خلال نوافذ المنزل انه أصبح تحت مراقبة رجال البوليس السريين الحائمين في الشارع حول منزله

ولما طال غيابه مع مندوب البوليس رأى ان يخبر زوجته الحكاية تفادياً لظنها فروى لها ما رواه لذلك الرجل فوقعت هذه الاخبار عليها وقوع الصاعقة ولا سيما اذ علمت ان زوجها أصبح تحت شبهة ارتكاب القتل ولكنها تجلدت وسلكت سلوك الرصين الحازم وكانت تعتقد ان زوجها بريء من تلك الشبهة التي أفضى اليها طيش أيام الصبي

— ٧ —

في اليوم التالي ألقي القبض على الدكتور ادموند فأسرع أصدقاؤه وذووه الى الاهتمام بامره وفي الحال انتدب أبوه المحامي لاشو (الذي عرفه القراء في قصة ماري لا فارج) ولا يخفى ان شكل القضية ومركز المتهم يفضيان الى لغط الرأي العام فما عتمت القضية ان أصبحت حديث أهل فرنسا كلها

وكان أحد أصدقاء الامبراطورة أوجيني من زبائن الدكتور بوميراي وممن يثقون كل الثقة بسلامة نيته وبراءته . ولذلك كان يعتقد انه لو حكم عليه بالموت فالامبراطور يحول الحكم الى السجن المؤبد

وفي أثناء التحقيق ومراجعة حياة الدكتور ورد ذكر موت حماته الفجائي في منزله . فاتهمه النائب العمومي بقتل حماته أيضاً

وجرت المحاكمة في قصر العدلية الفخم الذي دمره العامة بعدئذ في الثورة الثانية وحضرها جمهور الموظفين فكان معظم الرأي العام منعطفاً على المتهم . وقد أذن لزوجته ان تحضر المحاكمة أيضاً فكانت متجلدة لقاء عظم النكبة

وكان أهم الشهود مدام ريتر أخت المتوفاة فروت الحديث الذي روته لها اختها عن اتفاقها مع الدكتور كما عرفه القارئ ـ نقلته كلمة فكلمة

ثم شهد الدكتور الذي فحص الجثة واكتشف فيها آثار السم النباتي

وكان « الدفاع » قد جاء بقائمة أسماء مشاهير باريس الذين شهدوا بسمو اخلاق المتهم . وليس ذلك فقط بل جاء بكثير من زبائن الدكتور الفقراء ليشهدوا بما يعلمونه من اخلاقه الرضية وكرمه وفضله فكانوا يشهدون وهم يبكون تأثراً عليه

وكان قسم كبير من المحاكمة مشغولاً بقضية الشبهة بموت حماة المتهم الفجائي في منزله . ولكن التهمة في هذه القضية لم تجاوز حد الترجيح والشبهة

واخيراً جاء دور المحامي للدفاع . وكان لاشو قد اخذ شهرته العظمى وأصبح معدوداً في مقدمة كبار المحامين . وقيل ان الامبراطورة اوجيني ترجته أن يبذل كل جهده في الدفاع عن المتهم لانها تعتقد انه بريء

وكان وكيل النيابة اوسكار ده فاليه قد رافع ضد المتهم بكل ابتدال ومن غير تحامل حتى كان السامع يشعر انه بالرغم من اعتقاده باجرام المتهم كان يود أن يخلصه من المجزرة (جيلوتين)

ولذلك لم يكن لاشو يخاف من مناظره هذا وانما كان يحسب حساباً لبعض النقط الصريحة في القضية ضد المتهم . ولذلك وجه كل اهتمامه في الدفاع اليها فضلاً عن انه بذل جهده في تصوير موكله في صورة جذابة لعواطف الجمهور ومؤثرة على افكارهم .

صور لاشو طبيباً رؤوفاً حنوناً كريم الاخلاق عطوفاً على المرضى الفقراء اكثر منه على الاغنياء واستشهد بشهادات الشهود العديدين من هذا القبيل . ثم روى كيفية وقوع الدكتور بحب فتاة لطيفة جميلة لاول نظرة وكيف ان ثروتها القليلة كانت افعل ما فيها من الجاذبية له . ثم وصف زواجهما السعيد الذي كان نموذج الزيجات الى أن تطرق الى موقف الزوجة الهائل

ثم وجه الانظار الى التهمة الثانية وابان أن وكيل النيابة عجز عن ان يثبت ان حماة المتهم ماتت مسممة وتلاعب جداً في هذه النقطة حتى توهم الذين سمعوا المرافعة أن هذه التهمة هي الوحيدة الموجهة ضد المتهم

واخيراً وجد لاشو نفسه مضطراً أن يهاجم التهمة الرئيسية وهي موت مدام باور وكان القاضي والمحلفون حتى ذلك الحين لم يبلغوا الى ما يسمى في فرنسا « نظام الدفاع »

فحاول المحامي أن يبرهن أن المتهم في أيام عزوبته أعطى تلك الارملة مقداراً كبيراً من المال وأنه لما رزق طفلة شعر ان من واجباته أن يسترد ذلك المال بأية الوسائل

وقد سلم لاشو بان موكله لم يكن شريف القصد في الطريقة التي اتخذها لتحصيل المال وأنه رام ان يخدع شركات التأمين اولاً لكي يضمن اعانته لصديقته القديمة واولادها وثانياً لكي يتسنى له أن يستوفي دينه . ثم حلل جميع التقولات والاراجيف التي راجت حول موت مدام ده باور و برهن ان المرأة كانت في حالة صحية سيئة حتى قبل ان يمثل دور خداع الشركات . وأخيراً اجمل المحامي المشهور دفاعه الطويل بالكلمات القليلة التالية :

« القتل لم يثبت فيستحيل أيها السادة ان تحملوا ضمائركم بحكم يمكن ان تندموا عليه كل حياتكم . اجل ان هذا الرجل لم يكن شريف القصد ولكن ذلك لا يثبت انه قاتل . والنيابة لم تقدر أن تثبت ان المتهم اتى بالسم أو جرعه لمدام ده باور »

وكان لدفاع الاستاذ لاشو تأثير عظيم على القاضي ولكن المحلفين مع أنهم برأوا المتهم من قتل حماته وجدوه مجرماً من غير ظروف مخففة في التهمة الثانية

ولذلك حكم على ادموند ده لابوميراي بالموت بناء على شهادة مدام ريتز التي روت ما أسرته اليها أختها مدام ده باور حرفاً بحرف

مع ذلك بقيت الامبراطورة اوجيني معتقدة ببراءة المحكوم عليه . وباحث الاستاذ لاشو في المسألة بحثاً مستفيضاً واستقبلت زوجة المحكوم عليه البائسة استقبالاً خاصاً . ثم اقنعت الامبراطور ان ادموند بوميراي حكم عليه بناء على أدلة غير وثيقة

ولكن جرى همس في الدوائر العالية أنه اذا تداخل الامبراطور في المسألة ورام تعديل الحكم فكبار موظفي الحقانية كلهم يستعفون

وهكذا دفع ادموند ده بوميراي عشيق سيرافين ده باور ثمن جريمته . وعند تنفيذ الحكم عليه دفع للقسيس الذي رافقه ساعة استعداده للموت خصلة من شعره لكي يسلمها الى زوجته وابنته . وقبل أن ينزل نصل الجزرة على عنقه صاح باعلى صوته : « اخبر ابويّ وزوجتي المحبوبة وابنتي أني اموت بريئاً فريسة خطأ القضاء » انتهى

رثاء الحبيب

كيف اسلوكِ يا شريكة عمري ... والليالي تزيد ناري استعارا
ربَّ عينٍ بكتكِ يوماً وعيني ... كل يوم تبكيك ليلاً نهارا
انتِ يا عين أصل كل هناء ... وشقاء قد حرت فيكِ وحارا . .
ايهِ اديل ما عهدت ملاكاً ... تخذ الترب مضجعاً والقفارا
لا ولا كوكباً بدا في سماء ... قد جلتها ايدي الصفا فتوارى
كنت أخشى عليكِ لمسَ حرير ... ونسيماً سرى وطيفاً زارا
أين ذاك العفاف يصبغ خديك ... م حياءً بما يحاكي النضارا
أين ذاك الحنان غادرت خلاً ... ما تعودت هجره وصغارا
كنتِ ترعينهم فامسوا ولا راعٍ ... م يهمون يا اديل حيارى
وتركت الام الحزينة والاخو ... م والاهل عنوة والديارا
هل من العدل كسر غصن ولم تنضج ... م يد الله بعد منه الثمارا
أم من العدل ان امّا عليها ... واجب الامهات تلقى الدمارا
ان عبداً خلقته يا الهي ... لو قضى ما قضيته قبل جارا
ايهِ اديل ما المزار بعيد ... فسنلقاكِ ان تطيقي اصطبارا
الف عام في عين ربك تحكي ... يوم امس فلن تطيلي انتظارا
انما وجهك الصبوح لعمري ... آنس الدهر عابساً فتوارى
فاذكرينا في عالم الغيب انّا ... قد ذكرناكِ في الحياة مرارا
واذكري ودنا وعهد التداني ... يا لعهد قد كان حلواً قصارا . .
واقبلي ادمع الوداع وان ... م اصلتك ناراً لا بدَّ تطفئ نارا

مصر ... ابراهيم زيدان

الخريف

في القلب يا أُسيّ نبض عنيف ... كأنما تضرب فيه الدفوف

ورقص الهم باحشائه ... على اناشيد بنات الحتوف

ياحادي الآمال رفقاً بها ... لا تعجل المبهور منها الزفيف

ويا بنات الشوق لا تعبثي ... بمهجة مخلوقة من شفوف

يا رقة أورثنيها الهوى ... حملتني ما لا يطيق الالوف

القلب كالزهرة في ضعفها ... يهزه مر النسيم الخفيف

***

مشيت في ظل ظليل وريف ... أمتع العين بمرأى الخريف

فجددت روعته لوعة ... مخوفة كان جلاها المصيف

للصيف حسن مفرح مبهج ... وللشتاء القمر حسن مخوف

وروضة ترقص ازهارها ... على صدى الريح وصوت الحفيف

وقفت فيها مصغياً واجماً ... لله ما اروع هذا الوقوف

يرف قلبي كلما اقبلت ... خفاقة للزهر منها رفيف

ويخضل القلب كازهارها ... تساقط المسكوب فيها الطفيف

كانما القلب بها زهرة ... ضعيفة فوق رقيق ضعيف

تكاد ان تهتك استارها ... زوافر الحب وريح الخريف

اسكندرية ... عبد اللطيف النشار

تصحيح الخطأ

وقع خطأن مطبعيين في قصيدة الجمال الحي المنشورة في هلال دبسمبر الماضي وهما :

(١) كما رأيتك وردت خطأ لما رأيتك (السطر ٣ صفحة ٢٦)

(٢) لا ضير ان سلب « « لا خير في (السطر ١٦ صفحة ٢٦)

امراض الاجتماع المزمنة

وانجع الطرق لمعالجتها — ٣

عرفنا الادواء الاجتماعية (في المقالة الاولى) وعرفنا أسبابها (في المقالة الثانية) بقي ان ننظر في انجع الطرق لمعالجتها . وقد ذكرنا أن العلاجات التي تشفي الحوادث الفردية لا تفي بالغرض المطلوب فانما يجب الوصول الى جذور تلك الامراض ومستقرها في المجتمع البشري

ومن الامور الثابتة ان الانسان يستطيع تحسين احواله . ففي امكانه تعديل احكام الطبيعة حين تجور عليه كما انه في امكانه ايضاً اصلاح البيئة التي يعيش فيها والتي يتنشق جوها على الدوام . فهو لا يكتفي بتطبيب الطبيعة لادوائه الاجتماعية — كما انه لا يكتفي بتطبيبها لادوائه الجسمانية — بل يعتمد على نظامات وقوانين وتدبيرات يرمي بها الى تحسين حاله

وتقسم طرق الاصلاح الاجتماعي الى ثلاثة أقسام رئيسية :

(١) الاصلاح العمراني (كاصلاح قوانين الزواج والطلاق الخ .)

(٢) الاصلاح الاقتصادي (كاصلاح نظام الصناعة والزراعة والتجارة الخ .)

(٣) الاصلاح التهذيبي

وكان جل اهتمام الساسة فيما مضى محصوراً في القسمين الاولين . ومع ما للاصلاحات العمرانية والاقتصادية من الشأن في نظر الاجتماعيين فانهم يعولون الآن على التربية والتهذيب في تحسين حال البشر اكثر من تعويلهم على سائر الوسائل

وسنرى فيما يلي طرق الاصلاح التي يجب على التربية — بالمعنى الواسع — ان تنهجها :

اولاً من حيث تأثيرها في الوراثة . ثانياً من حيث تأثيرها في البيئة

١ — التربية والوراثة

لقد ثبت اليوم ان في استطاعة التهذيب اصلاح كثير من الفاسد الذي تنقله الوراثة . فالوراثة تعين حدود المواهب التي يتلقاها الفرد عند ولادته : فالبعض يولدون بمواهب

كثيرة والبعض يولدون بمواهب قليلة . وما وظيفة التربية الا استكشاف تلك المواهب ـ كثيرة كانت او قليلة ـ وانماؤها واستخدامها في افضل السبل . وليس في امكانها احداث مواهب جديدة

وقد ارتكبت التربية فيما مضى خطأين جسيمين من هذا القبيل :

أولهما أنها حاولت في الغالب انماء مواهب لم تضع الطبيعة بذورها في الطفل في حين انها لا تقدر ان تغير شيئاً في تكوين دماغه . ولذا يتعذر عليها استخراج رجل الفن مثلا ممن لم تهبه الطبيعة خيالا واحساساً . وان من الخطأ العظيم تصور المساواة الفطرية بين الاطفال ساعة ولادتهم فان كلا منهم يولد وقد تعينت له حدود لا يستطيع مجاوزتها وعبثاً يذهب كل مسعى خارج تلك الحدود

أما الخطأ الثاني فهو انها كانت ترمي ايضاً الى تخريج تلاميذ متشابهين في الصفات كأنهم مسبوكون في قالب واحد . فقد كانت تضع نصب أعينهم انموذجاً أعلى تحثهم على تقليده وتصوره في حين ان الطبيعة لم تجعلهم ليكونوا صوراً متماثلة بل قدرت لكل واحد منهم وجهة تنمو فيها مواهبه الفطرية ولا تنمو في سواها

ويجدر بنا في هذا المقام الاجابة عن هذا السؤال وهو : أيهما أحق بالتعهد والانماء في الحدث مواهبه الضعيفة أو مواهبه القوية ؟ أي هل نسعى لتقوية الضعيف منها حتى يعادل القوي فتتوازن الشخصية ام نتصرف الى تقوية القوي حتى ينبغ الشخص فيها ويبرز على سواه ؟

يقال بالاجمال رداً على هذا السؤال أن التربية ـ مع سعيها الى توازن المواهب بقدر الامكان ـ ينبغي أن تعنى عناية خاصة بتقوية القوي منها . فبذلك يستطيع الفرد أن يقدم أقصى خدمة للهيئة الاجتماعية

* * *

فرضنا في كل ما تقدم اننا واقفون على ما في الطفل من الخلال والسجايا والاخلاق . على ان المربين قلما يعنون في الواقع بهذا الامر مع انه أساس التربية الصحيحة : فاول واجب على المربي ان يتبين طبائع الطفل ومواهبه فيعامله وفقاً لما يعلمه من ذلك . هذه هي الوجهة التي اتخذتها الحركة الاصلاحية الحديثة في التربية ـ وجهة تخصيص طرق التربية لتلائم كل طفل على حدة فتستخرج منه أقصى ما يمكن استخراجه . وهو ما يسمى عند الافرنج Individualisation de l'éducation

وخلاصة ما تقدم انه ينبغي للتربية ان توافق الطفل لا للطفل ان يوافق التربية

بقي ان نجيب على سؤال خطير وهو هل ما تصلحه التربية في طبيعة الانسان وما تعدله في أخلاقه ينقل الى أولاده أم يجب اعادة الكرة في كل جيل ؟ ليس هذا السؤال في الحقيقة الا جزءاً من سؤال طالما تجادل فيه العلماء وتضاربت آراؤهم فيه وهو : هل تنتقل الصفات المكتسبة بالوراثة أم لا ؟

لا يسعنا خوض هذا الموضوع الخطير في مجالنا الضيق وانما نكتفي بايراد خلاصة الرأي الغالب في هذا الشأن وهو أن الصفات المكتسبة في أثناء حياة الانسان لا تنتقل بالوراثة ما عدا الصفات التي تؤثر في قواه الحيوية (على ان هذا الشذوذ نفسه لا يزال موضوع جدال) . فعلى التربية اذاً أن تطبع الصفات الطيبة في كل جيل بالتتابع

٢ — التربية والبيئة

. لابد للانسان الذي يبغي ان يعيش في بيئة معلومة من تكييف نفسه وفقاً لهذه البيئة . تلك وظيفة التربية على الخصوص . فأنما غرضها الاول تأهيل الطفل ليعيش في الوسط الذي نشأ فيه

على أن المدرسة كثيراً ما تعجز عن تأدية هذا الواجب فتملأ رأس التلميذ بمعلومات شتى قد تفيد وقد لا تفيد ويفوتها أن تنمي شخصيته المعنوية في حين ان على هذه الشخصية المعول الاكبر في النجاح . فليست غاية التربية تأهيل الطفل لبيئة معلومة بل تأهيله لكل بيئة قد يتقلب فيها . وقد علمنا ان الاحوال التي تكتنف الانسان تتغير على الدوام فعليه أن يتأهب لما يتوقع حدوثه من ذلك حتى لا يؤخذ على غرة فيفشل في جهاد الحياة . وقد اتضح ان كثيراً من الفشل يرجع الى عجز الافراد عن مجاراة البيئة المتقلبة حولهم

وخلاصة ذلك أنه يجب على المدرسة ان تعنى باجابة مطالب المحيط الذي سيعيش فيه الطفل ولا بد لها في ذلك من الالتفات الى الوجهة العملية قبل كل شيء بحيث لا يغادرها الشاب الا وقد استعد لعمل اجتماعي معلوم يفيد به ويستفيد . ولا يؤخذ من ذلك أنه يجب تدريب الطفل على احدى الحرف منذ نعومة اظفاره فلا بد من تلقينه أولاً المبادئ العامة التي لا غنى له عنها بتعليمه القراءة والكتابة والحساب واللغة

والجغرافيا والتاريخ . فتلك المواد هي أساس التعليم وبها يجب الابتداء الى ان يبلغ الطفل الثانية عشرة من عمره . اذ ذاك ينبغي اعداد ذهنه لاحدى دوائر الحياة العملية اما التجارة او الصناعة او الزراعة (وللبنات التدبير المنزلي) ـ الى الرابعة عشرة من عمره اذ ينصرف الى الحرفة التي تشغل حياته

لعلنا اكثرنا الكلام فيما تقدم عن تكييف الانسان وفقاً لمحيطه واغفلنا تكييف المحيط وفقاً للانسان . فان الجهتين تتبادلان التأثير على الدوام . فكما ان الانسان يتأثر من بيئته ويكيف نفسه وفقاً لمقتضياتها . كذلك البيئة تتأثر من عمل الانسان وتدبيراته وتنظيماته . وكلما تقدم الانسان زادت سلطته على بيئته . وانما يقوم بهذه الوظيفة نفر النابغين أصحاب الشخصيات القوية . وعلى التربية أن تكثر من هؤلاء بقدر المستطاع . فبتكييف الانسان وفقاً لبيئته يحفظ كيان المجتمع العمراني ولكن بتكييف البيئة وفقاً للانسان يتقدم هذا المجتمع في سبيل الرقي والكمال

***

والخلاصة من كل ذلك ان التربية هي أهم عوامل الاصلاح الاجتماعي وعليها المعول الاكبر في تحسين حال الجنس البشري ولكن لا بد من تعديل اساليبها واغراضها الحاضرة ولا سيما في الاقطار الشرقية التي لا تزال متخلفة عن العالم المتمدن . فعلينا نحن الشرقيين ـ في فجر هذا العهد الجديد ـ ان نصرف اهتمامنا الى امر التربية ونعدل في نظاماتها حتى يتيسر لنا ان نجاري العالم في تطوره الحاضر والمستقبل

قال بعض العلماء : اذا ابتليت فثق بالله ولا تجزع واذا عوفيت فاشكر الله ولا تقطع واذا وقف بك امر فلا تيأس ولا تطمع وفوض امرك الى الله فنعم الملجأ ونعم المرجع فاذا فعلت فقد فزت بخير الدارين اجمع . قال الشاعر :

اذا ابتليت فثق بالله وارض به	ان الذي يكشف البلوى هو الله
اذا قضى الله فاستسلم لقدرته	ما لامرئ حيلة فيما قضى الله
اليأس يقطع احياناً بصاحبه	لا تيأس فنعم القادر الله

في ضيافة روزفلت

حديث صحافي مع روزفلت قبيل وفاته

[الهلال] كان لوفاة الرئيس روزفلت وقع شديد في العالم أجمع لما له من المكانة السامية ليس في بلاده فقط بل في سائر الاقطار . فقد كان صاحب شخصية بارزة تستدعي الالتفات فاما أن تجتذب اليها أو ان تنفر منها . وهو يمتاز عن غيره من كبار الرجال بكثرة المهام التي شغلت حياته فانه لم يقصر اهتمامه على عالم السياسة بل جاوزه الى عالم الادب وعلم السياحة والصيد وغير ذلك . وقد كان في اول امره محامياً ثم دخل السلك الاداري الى ان ابلغ أعلى درجاته اذ انتخب نائباً لرئيس الولايات المتحدة ثم رئيساً لها

وهو الرئيس السادس والعشرون من رؤساء تلك الجمهورية العظيمة . ولد في مدينة نيويورك في ٢٧ اكتوبر سنة ١٨٥٨ وتخرج في جامعتي هارفرد وكولومبيا . وفي سنة ١٨٨١ انتخب عضواً في مجلس ولاية نيويورك وبقي فيه الى سنة ١٨٨٤ . وتقلب في وظائف ادارية مختلفة وعين عضواً في لجان كثيرة الى ان شغل سنة ١٨٩٧ وظيفة مساعد وزير البحرية حيث أدخل اصلاحات كثيرة . وقد امتاز في الحرب الاسبانية الاميركية سنة ١٨٩٨ ورقي الى رتبة كولونيل . وفي ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٩٨ انتخب حاكماً لمدينة نيويورك ثم انتخب نائب رئيس الولايات المتحدة في سنة ١٩٠٠ وانتخب رئيساً اذ ذاك وليم ماكنلي . ولكن هذا الاخير لم يلبث ان قتل رمياً بالرصاص فقام روزفلت مقامه اثناء المدة الباقية وقد أظهر براعة عظيمة في منصبه فلما جاء زمن الانتخابات التالية انتخب رئيساً في ٨ نوفمبر سنة ١٩٠٨ وحصل في انتخابه هذا على أعظم أغلبية نالها رئيس قبله

ومن مآثره معاهدة الصلح بين روسيا واليابان الممضاة في بور تسموث في ٥ سبتمبر سنة ١٩٠٥

وقد اطلعنا أخيراً على حديث دار بين الرئيس روزفلت وصحافي زاره قبيل وفاته فآثرنا نقل أهم ما جاء فيه :

.... بعد أن انتهينا من الغداء قام الرئيس روزفلت وأمسك بيدي فقادني الى إحدى زوايا الغرفة واوقفني أمام صورة لم تكن ظاهرة كل الظهور فقرأت بصعوبة ماكان مكتوباً تحتها واذا به « فريدريك الكبير يسلم الاعلام الى جيوشه »

ثم ضحك الرئيس ضحكة طويلة وقال :

— انظر جيداً .... هذه الصورة هدية من امبراطور المانيا حين كان يرسل اليّ الهدايا وحين كنا نتبادل غير الشتم . فقد ارسل اليّ هذه الصورة قائلاً انها تمثل موقفاً مجيداً لاحد اجداده ... قال « أحد اجداده » مع انه ليس من يجهل أن

فريدريك الكبير لم يترك اولاداً . . . وكان ينبغي لي أن اصدر حكمي عليه من تلك الساعة ولكن ذلك تسنى لي فيما بعد . فقد عرفته حين كنت في بوتسدام أثناء حديث طويل اذ قال لي : «ليس لمن كان امبراطوراً أن يربي له اصدقاء . وانما عليه أن يحتاط بمن يسهل غشهم والتغرير بهم » فهذه الجملة جديرة حقاً بفريدريك وانها لكافية في وصف اخلاق الرجل

قال روزفلت ذلك واندفع في حديثه وتحول فجأة من السكون الذي كان ملازماً له أثناء الطعام الى الحدة والحماس . فانه لم ينبث ببنت شفة طول مدة جلوسنا على



روزفلت في موقف الخطابة

المائدة . ومع انه لم يرد مرة ذكر كونتن روزفلت (وهو أحد أنجال الكولونيل وقد توفي أخيراً في الحرب) ـ عملاً بالقاعدة الاميركية التي تحظر ذكر الاموات ـ شعرنا جميعاً بوقار وخشوع مخيمين علينا كان روح ذلك الجندي الباسل كانت هائمة فوق رؤوسنا . . . واني فيما يخصني لم يفارق بصري العلم العائلي المعلق على النافذة والنجوم الاربعة المطرزة عليه ـ وقد كانت ثلاثة منها زرقاء وواحدة فضية [١]

. . . ثم أخذ الكولونيل يسرد صفحة خطيرة الشأن من تاريخ هذه الحرب السياسي فقال :

---

(١) تعلق كل عائلة اميركية علماً تطرز عليه نجوماً زرقاء اللون على عدد افرادها المجندين واذا مات أحدهم استبدلت النجمة الزرقاء بنجمة فضية اللون

— في ٦ اغسطس سنة ١٩١٤ جاء لزيارتي في هـذه القاعة أحد موظفي سفارة المانيا في واشنطن وقال لي حرفياً : « اني آت من قبل صاحب الجلالة الامبراطورية . فقد نشبت الحرب والمانيا تعتمد الآن على أصدقائها . ويؤمل جلالته انه يجوز له عدكم من هؤلاء الاصدقاء . فان جلالته لم ينس الروابط الودية التي ما برحت تربطه بكم ويرجو ألا تكونوا من جهتكم قد نسيتم الاستقبال الذي جرى لكم حين نزلتم في بوتسدام » . أما أنا فسمعت هـذا الحديث بدون أدنى اشارة واكتفيت بقولي : « قدم شكري الى صاحب الجلالة الامبراطورية لايفادكم الي وبلغه عن لساني انه مصيب في اعتماده على أمانة ذاكرتي . فكما انني لم أنس كيف استقبلني الامبراطور في بوتسدام وبرلين كذلك لا أستطيع ان أنسى كيف استقبلني الملك البرت في بروكسل » . وللحال قام الموظف ثم سلم وخرج

عندئذ القى أحد الحاضرين على الكولونيل هذا السؤال :

— اذكر يا حضرة الكولونيل انكم وقعتم في مشاكل خطيرة مع المانيا في عهد رئاستكم

فاجاب روزفلت : — أجل . فقد أوشكت الحرب ان تنشب بيننا . وقد كان في ذلك الحادث درس مفيد . فان الحرب لا تنشب على من لا يخشاها . . . كان ذلك في السنة الاولى لرئاستي اذ طمعت المانيا في بلاد فنزويلا وأوشكت ان تحولها الى مستعمرة المانية فلم أرَ بداً من المداخلة وفي ذات يوم استدعيت سفير المانيا فجأة ـ وكان وزير الخارجية قد أرسل عدة مذكرات سامية الى الحكومة الالمانية ـ وقلت له في الحال :

— قد طال أمر مسئلة فنزويلا ولن أسمح بدوام هـذه الحال وتعريض تلك البلاد للخطر . وقد بلغني ان لكم أسطولاً حربياً مرابطاً في تلك الجهات . فهل لك ان تقدم لي الايضاحات الكافية عن كل ذلك في الحال ؟

فاجاب السفير انه لا يستطيع ان يأخذ على عهدته خوض موضوع خطير كهذا . فاجبته لساعته :

— حسن جداً ! فبما انك لا تستطيع مباحثتي في هذا الموضوع أرجو ان تبلغ حكومتك انه لا بد من طرح هذه المسألة على مجلس تحكيم في طرف عشرة ايام والا اضطررت الى ارسال الاميرال ديوي الى هناك

— ولكن كيف يكون ذلك يا حضرة الرئيس ! انني لا أستطيع تبليغ حكومتي مثل هذه الرسالة . لا ريب انك ساه عن معناها

— ألملك تتصور ان معناها الحرب ؟

— كلا يا حضرة الرئيس اني لم أقل ذلك

— أما اذا كنت تتصور ان هذه الرسالة قد تؤدي الى الحرب فاعلم أيضاً انكم قد اخترتم المكان الذي تعجزون فيه عن منازلتنا

وعلى ذلك انسحب السفير ورجع اليّ بعد ثمانية أيام فسألته هل بلغ رسالتي الى حكومته وما كان جوابها فقال انه لم يجسر على تبليغ تلك الرسالة

فقلت : — حسن ! سأصدر أمري الى الاميرال ديوي كي يعبي أسطوله في مدة ٤٨ ساعة

فلم يتمالك السفير عن التعجب وقال :

— ان هذا القول وخيم العاقبة يا حضرة الرئيس

— هذا حقيق ! فانه سيكون وخيماً على بلادكم

وبعد هذا الحديث باثنين وثلاثين ساعة عاد السفير وهو يبتسم ابتسامة طويلة ثم قال انه تلقى تعليمات صريحة من حكومته كي يعرض الخلاف على مجلس تحكيمي. على ان ذلك السفير لم يصدق انني فعلت ما هددته به بل ظن ان قولي كان من قبيل المناورات السياسية . ولكي يتثبت من ظنه هذا قابل يوماً الاميرال ديوي وسأله هل أصدرت اليه الامر بالسفر في ظرف ساعتين

فاجاب ديوي : — كلا لم يأمرني بذلك

فابتسم السفير وقال : — انني كنت أوقن ذلك . ان روزفلت لم يصدقني القول

فاستوقفه الاميرال وقال : — كلا انه لم يأمرني بالسفر في ظرف ساعتين بل أمرني بالسفر في ظرف دقيقتين !

مؤتمر فينا

اعظم المؤتمرات الماضية

خمس مؤتمرات عظيمة اجتمعت - قبل اجتماع المؤتمر الحاضر - لتعديل خريطة العالم وهي :

(١) مؤتمر وستفاليا سنة ١٦٤٨

(٢) مؤتمر اوترخت سنة ١٧١٣

(٣) مؤتمر فينا سنة ١٨١٥ .

(٤) مؤتمر باريس سنة ١٨٦٥

(٥) مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨

في مؤتمر وستفاليا صُفّيت حسابات الدول الاوربية بعد حرب الثلاثين سنة وأقرت الحرية الدينية في اوربا . وفي مؤتمر اوترخت اتسعت مستعمرات انكلترا وتوطدت سلطتها العالمية . أما مؤتمر فينا فقد اجتمع على أثر سقوط نابوليون وقسم أوربا وفقاً لمصالح الاسر الحاكمة لا وفقاً لمصالح الشعوب المحكومة . وأما مؤتمرا باريس وبرلين فقد كان جل همهما حل المسألة الشرقية : ففي الاول تولت هذه المهمة فرنسا وانكلترا على الخصوص . وفي الثاني تولتها المانيا والنمسا . وقد فشل هذان المؤتمران في غرضهما كما دل التاريخ على ذلك فيما بعد

على ان مؤتمر فينا اعظم تلك المؤتمرات شأناً واشبهها بالمؤتمر الحالي من حيث خطورة المسائل المطروحة عليه وعدد الدول المشتركة فيه وبحثه عن وسيلة تضمن السلام بين الشعوب . ولذا رأينا ان نصف ذلك المؤتمر الخطير وما جرى فيه من المداولات بين كبار رجال السياسة في تلك الايام . وبالمقارنة ندرك الفرق بين الاغراض والوسائل التي اعتمدها مؤتمر فينا والاغراض والوسائل التي يعتمدها المؤتمر الحالي . والعالم بأسره اليوم شاخص الى باريس يترقب كل كلمة تصدر منها وامنيته الكبرى ألا يعيد التاريخ نفسه فلا يترك هذا المؤتمر ما تركه مؤتمر فينا من بذور الشقاق وبواعث الحروب

٭٭٭

آل الى سقوط نابوليون تحالف اربع دول عليه وهي انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا . فقد عقدت هذه الدول في ١٠ مارس سنة ١٨١٤ محالفة شومون وتعهدت جميعاً ألا تحل تحالفها هذا بعد عقد الصلح . فلما كسر نابوليون امضت فرنسا معاهدة باريس الاولى (٣٠ مايو سنة ١٨١٤) وبها رجعت الى حدودها الاصلية كما كانت سنة ١٧٩٢ وتنزلت عن جميع البلدان التي استولى عليها نابوليون . وقد عهد بامر مصير تلك الاقطار الى مؤتمر يعقد في فينا تدعى اليه النمسا واسبانيا وفرنسا وبريطانيا العظمى والبورتغال وبروسيا وروسيا واسوج

على ان الدول الاربع الكبرى المتقدم ذكرها — وهي انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا — اتفقت سراً قبل انتئام المؤتمر على اقتسام تلك الاقطار بينها . ولولا دهاء البرنس تاليران (المندوب الفرنسي) لفازت ببغيتها . وسنرى ما كان من حذق هذا السياسي العظيم والدور الخطير الذي لعبه في ذلك المؤتمر

أما ممثلو الدول العظمى فقد كانوا البرنس مترنيخ عن النمسا ، الكونت نسلرود عن روسيا ، البرنس تاليران عن فرنسا ، البرنس هاردنبرج عن بروسيا ، لورد كسلريغ عن انكلترا ، المركيز لابرادور عن اسبانيا ، الكونت بالملا عن البورتغال ، الكونت لوينهيم عن أسوج . وقد كان مع هؤلاء المندوبين الكبار مندوبون ثانويون كثيرون يضيق المقام عن سردهم ولذا نقتصر على ذكر اقطاب المؤتمر الذين كان لهم اليد الطولى في اعماله وقراراته

وفي مقدمة هؤلاء الاقطاب البرنس تاليران الداهية الشهير . ذهب تاليران الى فينا وهو يوجس شراً من تواطؤ الدول الاربع واستئثارها بالامر . وكان يبلغ اذ ذاك ستين سنة من العمر قضاها في اختبار الناس واعترك الدهر وتقلب اثناءها في مناصب كثيرة (كان اسقفاً ثم عضواً في حكومة الدركتوار ثم وزيراً لنابوليون فوزيراً للويس الثامن عشر الخ) واشترك في اهم المداولات السياسية التي جرت في ايامه — أي من عهد الملكية فعهد الثورة فعهد الامبراطورية الى عهد الملكية الثانية . وكان لتاليران عناية خاصة بمظهره الخارجي فقد كان يقضي ساعات في اصلاح هندامه وترتيب ثيابه وتزيين نفسه

وكان يشعر بتفوقه على زملائه وهو على يقين من أنه لن يجد له سيداً بين أولئك الساسة الذين تتلاعب بهم اغراضهم ومطامعهم واهواؤهم . فكان يغتنم

الفرص الملائمة لمصلحة بلاده بل كان يخلق تلك الفرص بالقاء بذور الشقاق بين المندوبين وتضخيم الفروق القائمة بينهم

ولم يكن مترنيخ النمسوي خصماً يستهان به . ولولا ضعفه من جهة النساء لكان اكثر قيمة في ميدان السياسة . ولكن « المرأة كانت دائماً في طريقه » كما قال أحد القريبين اليه . على أنه كان جميلاً جذاباً ممشوق القوام نبيل المظهر . فلا غرابة في استمالة الجنس اللطيف اليه . وقد كان يعرف سلطانه بل كان مغروراً بمواهبه ولا سيما لنجاحه في أسقاط نابوليون . ولذا كان عظيم الثقة بنفسه وبآرائه بل كان يعد نفسه معصوماً عن الخطأ ويعد منصبه السياسي أثبت من كل منصب . ونظراً لاجتماع المؤتمر في النمسا انتخب مترنيخ رئيساً له جرياً على العادة المألوفة . وكان يتبع مترنيخ سكرتير داهية اسمه جنتز عين سكرتيراً للمؤتمر وكان يلقب تهكماً « سكرتير أوربا العام »

أما لورد كاسلريج مندوب انكلترا فكان انكليزي الطبع بكل معنى الكلمة فقد كان بطيئاً في حركاته رزيناً في أقواله بعيداً عن الجلبة والضوضاء . على أنه لم يحرم نفسه الملذات وانما كان يقبل عليها بسكون . وقد امتاز بكرهه لنابوليون وكاد لا يميز في ذلك بين نابوليون وفرنسا

وأما بروسيا فقد كان يمثلها البرنس هاردنبرج وهو خير مثال للحزب العسكري الالماني في ضخامته وكبريائه وعناده . وكان مبدأه اذ ذاك أن القوة هي الحق . وكان شديد الصمم حتى اضطر أن يجلب معه مساعداً يعينه على فهم ما يجري في المؤتمر . وحدث يوماً ان تاليران بصر بهاردنبرج ومعه مساعده فسأل عن وظيفة المساعد فقيل له : « أنه يقوم لرئيسه مقام الاذن » فاجاب للفور وهو يقرع رجله الخشبية على الارض (وكان اعرج وسمي لذلك « الشيطان الاعرج ») : « لو علمت بان العاهات تبيح حضور المؤتمر لاستصحبت معي بعض الاصدقاء »

بقي أن نقول كلمة عن ممثل روسيا الكونت نسلرود . فقد كان هذا السياسي حاذقاً عالماً صاحب مطامع كثيرة . على أنه مع ذلك كان ينزوي خلف سيده القيصر اسكندر . وقد كان شديد الانتباه لكل ما يقال وما يجري حوله وغرضه من ذلك تدوين مذكرات سياسية تاريخية عن الحوادث التي شهدها

هؤلاء كانوا أهم السفراء . وانا نضرب صفحاً عن الباقين لضيق المقام . ولا بد لنا من الاشارة الى الملوك الذين كانوا في فينا في ذاك الوقت . واولهم القيصر

اسكندر الذي كان يطمع في أن يكون سيد اوربا كلها . وقد كان جميل الوجه لطيف المنظر يحب اللهو والمسرات . فكثيرات كن معشوقاته في فينا وفي ضواحي فينا . وكان البوليس النمسوي يتتبع خطواته ويقدم كل مساء تقريراً الى امبراطور النمسا عن سلوكه الشخصي . وقد قام بين القيصر اسكندر ومترنيخ تنافس مزدوج : في السياسة وفي الغرام - حتى اوشك الامر بهما ان يفضي الى البراز

أما امبراطور النمسا فقد كان على شيء من الفلسفة وكان يفتخر باجتماع اقطاب العالم في بلاطه . وكان اعوانه يقولون له « ان مؤتمر فينا سيخلد ذكر الامبراطور فرنسيس الاول ووزيره مترنيخ » ولم يكن فرنسيس كثير المداخلة شخصياً في الشؤون السياسية بل كانت لذته الكبرى تلاوة التقارير التي كان يقدمها له البوليس النمسوي عن اعمال المجتمعين في فينا وحركاتهم وقصصهم الغرامية الخ . . . وكان ينفق اموالاً باهظة للقيام بواجب الضيافة

وبجانب هذين الملكين يجدر بنا ان نذكر ملك بروسيا الذي كان يحب الملاهي والنساء ، وملك ورتمبرغ الذي اشتهر بشهيته العظيمة للطعام

وكانت النساء كثيرات في فينا أثناء عقد المؤتمر من ملكات واميرات وشريفات . وقد كان لهن ايد خفية في الكثير من اعماله وقراراته . بل ان فينا في ذلك العهد كانت أشبه بمسرح كبير اجتمع عليه اعظم الرجال وشهيرات النساء للهو والتسلية

وخلاصة القول ان مؤتمر فينا كان منبت حقارات وصغائر كثيرة فقد كان همّ المندوبين اشباع مطامعهم الشخصية والنظر الى مصالحهم الخصوصية . أما مصالح اوربا والعالم اجمع فقد جعلت في المقام الاخير ولا سيما مصالح الشعوب الضعيفة

* * *

قلنا ان تاليران عرف كيف يستفيد من تنافر المصالح والاغراض في ذلك المؤتمر . فقد وقف موقف المدافع عن الحق . وفي حين كان الملوك متفقين على اقتسام اوربا قام بينهم ينصر الضعيف والمهضوم الحقوق وبدأ بقوله « ان فرنسا لا تطلب شيئاً حتى ولا قرية واحدة » ومن أقواله للقيصر « الحق أولاً ثم المصالح والاغراض » . وكانت نتيجة موقفه هذا انه استمال اليه جميع الدول الصغيرة ومنع الدول الكبرى من البت وحدها في شؤون اوربا . بل انه لم يلبث ان فرق بين الدول الاربع . فقد كان الاتفاق مبرماً بين القيصر اسكندر والملك فريدريك غليوم البروسي على ان

تضم روسيا اليها دوقية فرسوفيا (وهي حصة بروسيا من قسمة بولونيا) وان تستعيض بروسيا من ذلك بضم مملكة ساكس اليها لمعاقبة ملكها الذي بقي مخلصاً لنابوليون . ولم يكن هذا الاتفاق في مصلحة انكلترا والنمسا : فان انكلترا كرهت ان ترى روسيا متوغلة في اوربا كما ان النمسا خشيت من نفوذ بروسيا وانتفاف املاكها حولها . وأوشك هذا الاختلاف ان يؤدي الى الحرب بين الفريقين . ولما كانت قواهما متكافئة سعى كل منهما لاستمالة فرنسا اليه وبذلك أصبح تاليران حكماً بينهم فرفض مساعي القيصر لاستمالته وانحاز الى انكلترا والنمسا . ففي ٣ يناير سنة ١٨١٥ عقدتا اتفاقاً سرياً مع فرنسا انضمت اليه فيما بعد جميع الدول الصغيرة

وفيما كان المؤتمر منعقداً والحفلات متواصلة حدث حادث خطير القى الرعب في قلوب الجميع وهو ان نابوليون الذي كان قد اعتزل الملك وانزوى في جزيرة البا لم يلبث ان عاد الى فرنسا وتولى الحكم فيها . فعجل المندوبون اعمالهم ولم يلبثوا ان اوقفوا مجتمعاتهم ومسامراتهم وملاهيهم وعم الجميع شعور خوف ووجس من عاقبة الحال . وعندئذ نسي مترنيخ والقيصر اسكندر ما كان بينهما من الضغائن واتحدا على العدو المشترك الذي طالما خشيا صولته . ثم ان تاليران أصبح اذ ذاك مشبوهاً فيه واتهم بالاتفاق مع سيده القديم رغم احتجاجه الشديد على عمل نابوليون وطلبه محاكمته كمجرم . وبقي زمناً في فينا تحت المراقبة ولم يؤذن له بمغادرتها الا بعد انقضاء العاصفة

على ان مؤتمر فينا لم يكن مؤتمراً بالمعنى الحقيقي فان اعضاءه لم يجتمعوا اجتماعاً عاماً لحل المشاكل المعروضة عليهم بل كان العمل كله موكلاً الى لجان فرعية جمعت قراراتها المختلفة في النهاية وسميت معاً « الوثيقة النهائية لمؤتمر فينا » (٩ يونيو سنة ١٨١٥) وانحصر عمل الدول الصغيرة في الموافقة على تلك القرارات

ولم يحقق مؤتمر فينا الآمال التي كانت معلقة عليه فقد كان وسيلة لاشباع مطامع الاقوياء من دم الضعفاء . وبذا املنا في اول هذه المقالة الا يعيد التاريخ نفسه في المؤتمر الحالي باذن الله

الحالة الاقتصادية

بعد الحرب

أهم ما يتساءله عامة الناس المتعيشون من كدهم وجدهم وعرق جبينهم كيف تكون الحالة الاقتصادية بعد الحرب ؟

وتحت هذا السؤال تنطوي بعض أسئلة أهمها :

١ الى متى يدوم هذا الغلاء في الحاجيات والى أي حد تهبط الاسعار

٢ هل تروج حركة الاعمال بحيث يجد كل ساع ومجتهد مسترزقه بسهولة وينال اجره مساوياً لتعبه وعنائه

٣ ماذا تكون درجة هناء المعيشة بعد الحرب ؟ هل تعود الى سابق عهدها أو هل تبقى أحط مما كانت عليه أو هل تفوق ما كانت عليه ؟

ولا يخفى ان البحث في هذه الاسئلة يمس أسئلة اجتماعية اقتصادية أخرى أهمها :

١ كيف توفى ديون الحرب المرتفعة

٢ ماذا يكون مستقبل العمال ؟ هل يكونون أسعد حالاً أو اتعس ؟

٣ ماذا يكون شأن الاشتراكية ؟ هل تخطو خطوة الى الامام أو تبقى على حالها أو تعود الى الوراء ؟

سنحاول في هذه المقالة أن نلم بجميع هذه الاسئلة ونحن معترفون اننا قد نخطئ في كثير من هذه المباحث كما اننا نؤمل ان نصيب في كثير منها

ولا يخفى على القارئ ان البحث في هذه المواضيع يمس أيضاً جمعية الامم التي هي أساس الصلح بين الجانبين المتحاربين وقاعدة سلم العالم في المستقبل . على اننا نضرب صفحاً عن البحث في جمعية الامم في هذا الجزء لان امرها بين ايدي ساطين ساسة العالم الآن وسيصدر نتيجة عملهم فيها اصبح على الابواب

هل الحرب بعد ؟

ان عنواننا « الحالة الاقتصادية بعد الحرب » فهل الحرب بعد ؟ ومتى يكون هذا البعد ؟

تمثل عملاً ذا قيمة . والعمل ذو القيمة هو ما ينتج مصنوعاً أو حاصلاً نافعاً يسد حاجة من حاجات البشر . وما دام النظام السياسي المعترف بقيمة النقود المعدنية والورقية وسائر الاوراق المالية نافذاً فتلك الاوراق المالية والنقود تحفظ قيمتها . والا فتسقط قيمتها بقدر ما يضعف ذلك النظام حتى تكاد تنزل إلى الصفر كما حدث للروبل الروسي مثلاً اخيراً . وأما قيمة العمل فلا تتأثر من الطوارئ السياسية المختلفة تأثراً محطاً من قيمتها بل بالعكس تتأثر تأثراً يرفع قيمتها . ولذلك نرى أن قيمة عمل العامل تزيد كلما هبطت قيمة النقد ولا سيما النقد الورقي

فعندك اربع صور لقيمة النفع : (١) قوة العامل (٢) نتيجة عمله من مصنوع أو حاصل غلة (٣) النقد الذهبي (٤) الاوراق المالية على اختلاف انواعها . في حالة استتباب النظام تكون هذه الصور القيمية متكافئة كقولك (تقريباً) ان عمل عشرة فعلة في يوم في مصر مثلاً يساوي عمل موظف في اليوم (ماهيته ٣٠ جنيهاً في الشهر) ويساوي ربع اردب قمح (الآن) ويساوي جنيهاً ذهباً (أو ٨ جرامات من الذهب الخالص) وعشر سند بنك عقاري وهلم جرا

هذا في حالة استتباب النظام . وأما في حالة اضطرابه فتتزعزع هذه المكافأة أي تزعزع ولا يبقى مرجع للقاعدة القيمة الا قيمة قوة العامل أو قيمة ما يعمله وهو المصنوعات والحاصلات

فاذاً نفقات الحرب لا تقاس بالنقود مطلقاً بل بقيمة العمل . هذه هي القاعدة الاقتصادية الثابتة

قيمة نفقات الحرب

فالذي انفق فعلاً في هذه الحرب انما هو قسم كبير من البضائع والحاصلات التي كانت مكدسة في اسواق العالم قبل الحرب وقسم كبير من البضائع والحاصلات التي انتجتها أيدي العمال وادارتهم وافكارهم بكل اجتهاد ونشاط في مدة الحرب ايضاً

ولا يمكن تقدير هذه النفقة (بحسب قيمة العمل) بالضبط حتى ولا بالتقريب القريب ايضاً لما اعتور الاسواق على اختلاف انواعها من تزعزع التكافؤ المشار اليه آنفاً — التكافؤ بين صور قيمة النفع

فقد تجاوزت نفقات الحرب الستين أو السبعين الف مليون جنيه بحسب قيمة

الجنيه النقدي كما قرأنا مراراً في اخبار الحرب من قبيل نفقاتها . فهل حقيق أن هذه الحرب ابتلعت من قيمة العمل البشري ما يساوي هذه المبالغ الطائلة ؟ نعم ابتلعتها اذا حسبنا قيمة العمل في مدة الحرب . ولكن اذا حسبنا قيمة العمل قبل الحرب (أي اذا رجعنا الى نسبة التكافؤ المشار اليه آنفاً قبل الحرب) وجدنا أن الحرب لم تبتلع من قيمة العمل اكثر من نصف تلك الالوف من الملايين ولعلنا اذا دققنا في الحساب وجدنا أنها لم تبتلع الثلث . ذلك لان البضائع والحاصلات القديمة قبل الحرب والناتجة مدة الحرب زادت اسعارها بالاجمال ضعفين أو ثلاثة أضعاف عما كانت عليه قبلاً . فقد كان الجندي الانكليزي أو الاميركي في مدة الحرب يكلف حكومته جنيهاً في اليوم . فلو بقي ذلك التكافؤ الذي كان قبل الحرب كما كان (أي لو بقيت الاسعار على حالها) لكان ذلك الجندي لا يكلف حكومته اكثر من ثلث الجنيه

وبناء على ما تقدم لا يجوز أن تقاس قيمة نفقات الحرب بالنقود مطلقاً بل تقاس بقيمة عمل العمال . ولهذا قد يصعب تقدير هذه القيمة الا اذا حسبنا قوى الجنود والعمال الذين اشتغلوا للحرب فقط . وهؤلاء يصعب تقدير قيمة عملهم (أو بالاحرى قيمة عطلتهم عن عملهم السلمي) لان فيهم العالم والمخترع والمتفنن والاداري فضلاً عن الفاعل . وقيمة اعمال اولئك متفاوتة جداً كما لا يخفى

على أنه مهما كانت قيمة تلك النفقة فهو معلوم جيداً أنها ذهبت في الهواء سدى بلا فائدة للمجتمع البشري ـ بل بالعكس اضرّت اذ أزهقت ملايين من ارواح العاملين وخربت كثيراً من اعمالهم السابقة فضلاً عن اعمالهم مدة الحرب

والذي كان مدّخراً من البضائع والحاصلات قبل الحرب سدّ ما نقص من عمل الجنود وعمال الحرب . ولم يكف ذلك المدّخر بل أضيف اليه ايضاً ما كان يزيد من عمل العمال على الضروري من حاجات معيشتهم

انحطاط درجة المعيشة مدة الحرب

ولذلك انحطت درجة المعيشة في مدة الحرب في معظم الممالك تقريباً ولا سيما في البلاد المحاربة . والسبب [illegible] من انحطاط [illegible] هو [illegible] الاحرار اضطروا بسبب [illegible] ان يحرموا انفسهم كثيراً من ملذاتهم بل اضطروا في بعض الاحوال ان يحرموا انفسهم من بعض ضروراتهم وحاجاتهم

مثال ذلك في مصر بلغت الاسعار بالاجمال ثلاثة اضعافها في زمن السلم مع ان الارباح بالاجمال لم تتضاعف اكثر من نصف ضعف . ولكن هب انها تضاعفت ضعفاً كاملاً كما يزعم بعض الناس تبقَ النفقة المعتادة راجحة على الدخل نحو ثلثها ولذلك لا بد من الاقتصاد ثلث المعيشة لكي يستوي الدخل والنفقة وهذا هو معنى انحطاط المعيشة (١)

ففي بلاد الحلفاء انحطت درجة المعيشة الثلث على الاقل وربما انحطت في بعضها او في بعض الاحوال والاحيان النصف . مع ان القوى التي بذلت في العمل زادت . فان النساء اللواتي لم يشتغلن في غير منازلهن قبل الحرب اضطررن ان ينبنَ مناب كثير من الرجال في المصانع والمعامل والحقول حتى المكاتب والادارات ايضاً

وفي بلاد الاعداء انحطت درجة المعيشة النصف على الاقل وفي بعضها كبعض جهات النمسا والبلقان وتركيا انحطت اكثر من النصف وفي سوريا وارمينيا انحطت الى حد المجاعة المهلكة كما ثبت اخيراً

طبعاً . لا بد من انحطاط المعيشة مع بقاء معدل البذل في العمل بل مع ازدياد البذل في العمل والا فلا يمكن انفاق تلك النفقات الباهظة على الحرب . لان الذهب والورق لا يغذيان الجندي ولا يسلحانه وما هما الا وسيلة للمعاملة فقط . واما الذي يغذيه ويسلحه هو عمل العامل بعضه العمل المدخر من قبل في الاسواق وبعضه العمل الذي كان جارياً مدة الحرب وبعضه العمل في المستقبل

معنى قروض الحرب وكيف تسوى

ولما كانت معظم ديون الحرب او قروضها اهلية وكانت القروض الخارجية قليلة الا في البلاد الضعيفة حالتها الاقتصادية — كتركيا — كانت الديون تسوى في كل بلاد بين اهلها

فمعنى الدين في كل مملكة ان الذي دفع من ثروته في قروض الحرب اصبح

(١) ربما لاح لبعض الناس خلاف هذه الحقيقة اذ يخبر من التقارير الآتية (كتقارير مصرف وغيره) ان يدل على ان الفلاح المصري وفى معظم ديونه في مدة الحرب . نعم ان [illegible] من ديونهم [illegible] لا [illegible] [illegible] الا [illegible] في [illegible] السكان فصدق عليهم النظرية السابقة — نظرية انحطاط المعيشة بسبب الغلاء

ذا حق ان يستوفي من مجموع الامة حاصل عمل يساوي ذلك الدين . فالغني المتمول دائن والعامل الذي يحصل رزقه بتعبه مدين وهذه هي الحقيقة الراهنة

هنا بلغنا الى السؤال الخطير : كيف تسوَّى تلك الديون الباهظة

بالطبع لا حلَّ لهذه العقدة الا بجباية الضرائب لاستهلاك الديون . ولا بدع ان تختلف الدول في كيفية ضرب هذه الضرائب وانما النتيجة واحدة كما سترى

واليك اشكال الضرائب الرئيسية :

اولاً الضريبة على الايراد كما هي في انكلترا من قبل الحرب . فقد تضاعف. وقد تجري عليها البلاد التي لم تجر عليها من قبل

ثانياً ضرب المكوس على الكماليات كالاشربة الروحية ونحوها والملاهي

ثالثاً الجمارك

رابعاً بيع الحكومات بعض موجوداتها كسفن ونحوها

خامساً زيادة الانتفاع من مصالح الحكومة التجارية كالسكك الحديدية والتلغراف ونحوها

وهنالك مكوس مختلفة لا تخرج عن كونها ضرائب كغيرها

على من يقع عبء الضرائب

ولا يخفى ان ضرب الضرائب يفضي حتماً الى رفع اسعار الشيء الذي تقع الضريبة عليه . فالتاجر يرفع اسعاره ما استطاع لكي يستطيع ان يقابل الضريبة على ايراده من غير ان يقل ايراده عن المعتاد ان استطاع او ان يقل قليلاً لا كثيراً. وصاحب المعمل يحذو حذوه للغرض نفسه وصاحب العقار يفعل كذلك ايضاً والعامل يطلب مزيد اجرة للغرض نفسه وهلم جراً . وهكذا تجد ان الضريبة ستجبى اخيراً من المستهلك لا من المنتج (٢) — من الشاري لا من البائع — وهكذ

---

(١) المستهلك هو ما يبتاع الشيء او يستأجره لكي ينتفع به او يستعمله . والمنتج هو الذي يعمل ذلك الشيء او يكون ذا يد في عمله

(٢) وقد ضربت هذه الضريبة في اميركا لجباية نحو ٦٩ بالمئة ممن يكون دخله مليون ريال فما فوق او أقل من ذلك ممن دخله أقل . ويقدر ما يجمع من هذه الضريبة في السنة نحو ٢١٢٣ مليون ريال . ويقدر مجموع الضرائب نحو ٦٠٧٠ مليون ريال . في سنين قبل تشترك اميركا في قتال الحرب

تجبي تلك الاموال الباهظة من جمهور الشعب بلا استثناء لان كل فرد مستهلك وأنما اكثرهم استهلاكاً اكثرهم دفعاً لتلك الضريبة

وذلك يستلزم أن الناس يضطرون بحكم الضرورة هذه أن يظلوا عائشين أحط درجة من درجة معيشتهم السابقة الى أن تستهلك تلك القروض كلها . أي انهم يتعبون كثيراً ويتنعمون قليلاً . وأما درجة المعيشة فتتعين بنسبة تقسيط الاستهلاك للديون . فان تقسطت تلك القروض الى أجل طويل كانت درجة المعيشة أقل انحطاطاً منها فيما لو تقسطت الى اجل قصير

والعامل البسيط يحمل من القشف وشظف العيش اكثر من المتمول وذوي الارباح الوافرة لانه مهما زيدت اجرته اليومية فنفقاته تكون أزيد

على هذا النحو تسدد ديون الامم المحاربة وربما كانت الامم المكسورة أشدهن ضنكاً بحكم الطبع

تأثر الاجانب من الضرائب

ولكن مهلاً ان الامم التي تحملت أعباء الحرب الثقيلة لن تحملها وحدها بل ستشترك معها فيها سائر الامم حتماً رغبت او لم ترض . واليك البيان :

خذ انكلترا وفرنسا مثلاً فان الشرق كله لا غنى له عن مصنوعاتهما وكثير من حاصلاتهما . ولا يخفى أنه ما من مصنوع أو حاصل يسلم من ضريبة حرب أو تأثير ضريبة حرب عليه . ولهذا ستكون اسعار هاتين الدولتين بل اسعار كل واردات اوربا الينا غالية وستبقى غالية ضعفي ثمنها قبل الحرب أو ثلاثة اضعافه . وبهذه الوسيلة ستحمل الامم التي كانت محايدة جانباً من اعباء الحرب . فترى مما تقدم ان وقع هذه الضرائب على العالم كله كوقع الحصاة في البركة تنتشر عنه موجة الى كل اطرافها . ان هذه الحرب حرب العالم والعالم كله سيتحمل خسارتها بلا محالة

ان الاوقيانوس الاقتصادي اضطرب وهاج في مكان ولكن لججه انتشرت الى كل مكان . ولا يستوي سطح ذلك الاوقيانوس الا متى سكن الاضطراب

الغلاء المستقبل

وهنا بلغنا الى السؤالين الاول والثالث من طائفتي الاسئلة في استهلال هذه المقالة الاول سؤال الغلاء . والجواب عليه بناء على ما تقدم أن الغلاء سينحط تدريجاً

في نحو عام أو عامين ولكنه مهما انحط لا يقل عن ضعفي السعر الذي كان قبل الحرب وربما بقي في بعض الحاجيات ثلاثة اضعاف : اولا لان ضرائب الحرب ملقاة على عاتق تلك الحاجيات وثانياً لان العامل استحق اجرة قد تكون مضاعفة أو ضعفاً ونصف ضعف على الاقل والزائد في اجرته يحصل من زيادة ثمن ما يصنعه طبعاً

درجة المعيشة

السؤال الثالث درجة هناء المعيشة في كل العالم أو في معظم الممالك . والجواب عليه انه لا بد من انحطاط هذه الدرجة عنها قبل الحرب بسبب هذا الغلاء وبسبب أن قيمة العمل مهما زادت لا تسد الحاجة التي افضت الى ذلك الانحطاط . ولا تعود درجة الهناء الى حالها الاولى الا متى خفت اعباء الديون واستتب النظام الاقتصادي في العالم بحيث تروج حركة الاعمال وتتسهل سبل المعاملات جيداً .

بالطبع لهذه النظرية استثناء يذكر وهو أن المتمولين الوافري الارباح أقدر من سواهم على التمتع مهما ارتفعت الاسعار ولهذا لا يضطرون الى اختزال درجة هنائهم . وربما توفق كثيرون في اعمالهم ووفرت مكاسبهم فيكون حظهم كحظ المتمولين

رواج حركة الاعمال

في السؤال الثاني وهو رواج حركة الاعمال . والجواب عليه بناء على ما تقدم بيانه أن رواج الحركة يكاد يكون في حكم المؤكد اولاً لان الاسواق تكاد تكون خالية من البضائع والحاصلات فالطلب كثير والعرض قليل وهذه الحال تثير حركة الاعمال . وثانياً لان المتمولين الذين سيدفعون معظم الضرائب مباشرة مضطرون أن يثمروا اموالهم . ثالثاً أن الحكومات التي خرجت من هذه الحروب منهوكة القوى مضطرة أن تمد يدها لتنشيط حركة الاعمال لكي يتسنى لها أن تسوي مسألة القروض الحربية . رابعاً أن خسائر الحرب الجسدية انقصت الايدي العاملة فقل تزاحم العمال في ابواب الاعمال . ولذلك يحتمل جداً أن تكون حركة الاعمال في المستقبل اروج منها قبل الحرب . الا اذا بدا ما لم يكن في الحسبان من العراقيل السياسية وغيرها مما يطيل أجل تعاسة البشر ردحاً من الزمان

مستقبل العمال

أما ماذا يكون مستقبل العمال فالراجح أنه سيكون أفضل منه قبلاً لاعتبارات اجتماعية خطيرة الشأن

ان العامل مهما كانت جنسيته ومهما كان ساذجاً لا يجهل الحقائق الراهنة التالية وهي : أولاً ان اعباء هذه الحروب كلها وقعت على عاتقه فهو الذي تعرض لاخطار الحرب الهائلة وهو الذي قاسى اهوالها وسفك دمه فيها وهو الذي اشتغل بجد ونشاط في المعامل والمصانع والحقول لاجلها وهو الذي يدفع الآن نفقاتها . ثانياً أنه عاد كما كان قبل الحرب يشتغل كل نهاره بعناء وشقاء لكي يحرز نفقة ذلك النهار على نفسه وعيلته وان المتمول عاد ايضاً كما كان قبلاً يتنعم ويتلذذ ويغنم . ثالثاً انه يعلم بما توحيه اليه النظامات الحاضرة أنه انسان حر وما هو عبد لغيره - يعلم هذه الحقائق جيداً ولذلك يقول في نفسه : « اذا عدت الى الحال التي كنت فيها قبل الحرب فماذا انتفعت اذاً من الضحايا التي نحرتها في الحرب ولاجل الحرب . فاذا لم تحسن حالي فالافضل ان أكون فوضوياً وما الفوضوية باشر من الحرب »

هذه الفكرة تجول في نفس كل عامل . وما سرت فكرة واحدة في جمهور الا جمعت أفراده وربطتهم بعضهم ببعض . ولذلك سنتوقع سلسلة اعتصابات متوالية منذ الآن الى ان تجاب كل مطالب العمال العادلة . ولا تخفى علينا مطالب العمال العادلة وهي مهما اختلفت صورها تنحصر في مطلبين رئيسيين : الأول زيادة الأجور والثاني انقاص ساعات العمل وكلا المطلبين يؤولان الى نتيجة واحدة وهي اقلال شقاء العامل في العمل واكثار تنعمه أو بعبارة أخرى رفع درجة معيشته عن معدلها السابق

نظريات العمال

ان العامل وهو يرى بينه وبين المتمول أو صاحب العمل بوناً عظيماً في درجة المعيشة (كما ان بينهما بوناً في درجة الكد والتعب) يجد نفسه ذا حق عظيم في طلباته . ولذلك تسوغ له نفسه كل وسيلة لنيل هذه الطلبات . وما دام النظام نافذاً ولا بد من نفاذه حرصاً على الامن العام وتحايداً للفوضى التي تعم اضرارها الجمهور

لا يلجأ الا الى الوسيلة المشروعة وهي الاعتصاب والاضراب عن العمل وهي أقل ضرراً وخطراً من الفوضى

ثم ان تخفيف شقاء العامل وزيادة تمتعه لا يقللان شيئاً من نعيم المتمول أو صاحب العمل لان لهذا من الارباح والمكاسب ما يربو جداً على ما يقتضيه تنعمه وتلذذه من النفقة . وهذا سر تجمع الثروات الطائلة وادخارها الى حد أن يتحير ذووها في كيفية انفاقها حتى اذا ملوا الادخار واتخمت نفوسهم الطموعة من المال بذروا معظم اموالهم في المشروعات الخيرية كما فعل ركفلر وكرنجي اخيراً . على ان امثال هذين قليلون بالنسبة الى جمهور المتمولين الذين ابتلوا بداء الادخار لمجرد حب الادخار وسدا لشهوة المال

ولذلك ترى حجة العامل قوية فهو يقول : « اذا كان النظام الحالي يؤذن بان اشقى انا واتعب لاجل اشباع شهوة غيري من المال فما أنا بالحقيقة الا عبد رقيق لذلك المتمول . وما يمني به النظام من منح حريتي لي ليس الا افكاً وبهتاناً » . واذا قلت له أن المال المدخر يجود به اهله أخيراً لعمل الخير لجمهور العامة من مدارس ومكاتب ومستشفيات وملاجىء فيصيبه منه شيء قال لك : « ان هذه الاعمال الخيرية لم تخفف شيئاً من شقائي . فلا كان ذلك النظام القاضي بتسخيري لغيري لكي أشقى انا ويجمع ذاك ولا كانت هذه الاعمال الخيرية التي يجود بها غيري بعد أن يبتزها من تعبي . واذا كنت أنا قليل الشقاء والتعب ووفير التنعم والتلذذ لا أبقى في حاجة الى احسان محسن يحسن عليّ من ماله الذي ادّخره من عرق جبيني ولم يتعب هو فيه مثقال ذرة »

ولقائل أن يقول : اذا زيدت أجرة العامل وقلت ساعات عمله اضطر صاحب العمل أن يرفع أسعار بضاعته أو اشيائه . وحينئذ يضطر العامل أن يدفع تلك الزيادة من الاجرة في فروق الاسعار فكأنه لم يستفد شيئاً منه

نقول نعم أنه يدفع فروق الاسعار من زيادة أجرته ولكن لا يدفعها كلها وحده بل يشاركه فيها المتمول وصاحب العمل لان هذا مستهلك مثله بل هو اكثر استهلاكاً لانه كثير البذخ

على أن زيادة اجرة العامل وتقليل ساعات عمله لا يقتصران على رفع درجة معيشته فقط بل أن أحدهما أي تقليل ساعات العمل يقلل التزاحم على ابواب العمل

فلا يبقى بعض عمال مضطرين الى قبول الاجر القليل بغية الحصول على عمل يسترزقون منه

كل هذه الاعتبارات تجول الآن في صدور العمال كما كانت تجول من قبل أيضاً ولكنهم الآن وقد خرجوا من الحرب وهم أشد تألماً من الماضي من سوء حالهم أصبحوا أشد تضامناً . أصبحت قضيتهم تياراً هائلاً لا تستطيع ان تقف أمامه مطامع المتمولين وأصحاب الاعمال . ولا يرى هؤلاء بداً من ارضائهم بكل ما هو حق لهم تفادياً لثوراتهم – تفادياً للبلشفيهم

ولذلك نرى الآن بوادر هذا التيار في انكلترا حيث يطلب العمال ان تكون ساعات العمل ٤٠ ساعة في الاسبوع بعد ان كانت تتراوح بين الخمسين والخمسة والستين

وسنرى هذا التيار يهب في سائر ممالك أوربا ولا سيما في المانيا بعد ان يرتاح الالمان من مهمة انقلابهم السياسي الداخلي الذي هو شغلهم الشاغل الآن وقد ألهاهم عن كل شاغل آخر حتى عن نتيجة الحرب لهم . ذلك لأن العامل الالماني كان تحت ضغط الاستبداد العسكري من أشق عمال الامم الاوربية وأنكدهم حظاً وكان يتعب اكثر من كل عامل أوربي ويتم أقل . ولهذا كان في وسع المانيا ان تناظر سائر الدول في رخص الاسعار . أما الآن وقد أطلق العامل الالماني من عقال الاستبداد العسكري فصار في وسعه ان يرفع عقيرته في قضيته

شأن الاشتراكية في المستقبل

أما شأن الاشتراكية فمرتبط جداً بقضية العمال بل ان قضية العمال تعد فرعاً ثانوياً في مسألة الاشتراكية أو هي تمهيد لتحفز الاشتراكية في المستقبل القريب . وكل ما تقدم من الاعتبارات في قضية العمال انما هو جانب صغير من الاعتبارات التي يتقدم بها شأن الاشتراكية

ان حركة العمال الآن ليست الا لاجل تسوية وقتية لمطالبهم . ولكن التسوية الكبرى ستكون في تشييد بنيان الاشتراكية

ان الحركة الاشتراكية لا تنجح الا اذا مشت في الطريق السياسي . فهي مسألة سياسية أولاً واقتصادية أخيراً . الوسيلة اليها سياسية والغاية المقصودة منها اقتصادية .

الاشتراكيون وهم معظم العمال يفهمون هـذه الحقائق وقد رسبت أخيراً في خضم أفكارهم وآرائهم المتجهة . فهم يسعون الى تقوية أحزابهم في مجالس النواب حتى متى صارت الاكثرية لهم وانصبغت حكوماتهم بالصبغة الاشتراكية شرعوا يبنون بناء اشتراكيتهم الوطيد

كان من تأثيرات هـذه الحرب وثوب الاحزاب الاشتراكية من أوكار القول الى مضمار العمل . ففي المانيا التي كانت تعد عاصمة اشتراكية العالم بدأت تتكون الجمهورية الاشتراكية . وفي انكلترا وفرنسا وغيرهما مدت الاشتراكية أصابعها الى الوزارات . وسترى في الحكومات الجديدة ضلعاً كبيراً للاشتراكية

والمؤتمر الاشتراكي الاممي المنعقد الآن في برن في سويسرا يدل على ان الاشتراكية أصبحت حركة خطيرة الشأن في العالم الاوربي

فلذلك ينتظر ان يكون شأن الاشتراكية في المستقبل القريب عظيماً . وسنعود الى البحث في شؤونها حين تدعو أخبارها اليه

نقولا الحداد

أغنية

ليس الهوى صلة تقطعها	بالصد والهجران والعذل
ان الهوى في القلب يعمره	كالنور يغمر ظلمة المقل
يا من يظن الحب طوع يدي	الحب مثل الخوف والامل
أألام ان أبصرت ما وقعت	عيني عليه فكيف لومك لي
ام ساءكم اني ذكرتكمو	ذكر المراض فواتك العلل
انت الذي اورثتني حرقاً	ومنعت ما ارجو من البلل
لا تغضبن فلو قدرت على	حجبه دفعت الحب بالحيل
هيهات ما للحب منصرف	عني ولا لي عنك من بدل
اني احبك فارع لي ذممي	وانشق نسيم الحب من قبلي
أبكي وانت منعم جذل	لا تسترقك ادمع الرجل
واهاً لمذرة ان جبهمو	لاقى قلوباً حية الشعل
لكن قلبك بارد شبم	قد اتاجته خواطر الجذل

الاسكندرية — عبد اللطيف النشار

الكتابة المجهرية (١)

أمثلة من دقة الخط وطول أناة رجاله

الكتابة عمل يصدر عن الفكر على طريقة مألوفة تصير بالحذق والمزاولة ملكة نفسانية تخرج بها النتائج الفكرية من القوة الى العمل . والحذق يصدر عن العقل والعمل عن اليدين ولا بد ان تتوسطهما الارادة ولذلك خصت الكتابة بالحيوان العاقل . وذكر ابن خلدون الخط في عداد الصنائع الانسانية حيث قال ان « الكتابة من خواص الانسان التي يتميز بها عن الحيوان »

وتاريخ الكتابة يتصل بعصر التمدن فهذه بعد ان قطعت أدواراً وتطورت أشكالاً بلغت الحالة الحاضرة وأعني بها صورة الخط التي تكتب بها الان حروف الهجاء . وقد تقدمت هذه الصورة طريقة الكتابة الفكرية التي سبقتها ايضاً الطريقة الرمزية مما لا محل لتفصيله . بيد ان الانسان لم يقف عند ذلك فأخذ يتفنن في أمر الكتابة على مناح متعددة . ومن قبيل ذلك نعد دقائق الكتابة التي يمكن ان ندعوها بالكتابات المصغرة أو المجهرية نظراً لصغرها ودقتها بحيث لا تستجليها العين الا بالعدسية . وهذه الكتابات نادرة الوجود مستعصية الاقتناء ونحن ذاكرون بعضها مما وفقنا الى معرفته وهو :

قيل ان أحد الناس أهدى الى المسيو جوريان دلاحرافيار رئيس ندوة العلوم الفرنسية حبة حنطة قد كتب عليها جملة تشتمل على مئتين وواحد وعشرين حرفاً

وروي عن أحدهم انه كتب بيتين من الشعر باحرف مذهبة وكانت هذه الكتابة من الصغر بحيث أنها توضع في قشرة حبة حنطة

وجاء عن راهب بولوني في القرن السابع عشر انه نسخ الياذة هوميروس أبي القريض اليوناني بتمامها على درج من الورق اذا أدرج على نفسه أمكن وضعه في قشرة جوزة . وقد وردت مثل هذه الرواية في الجزء السابع من موسوعات (دائرة معارف) غايوس بلينيوس (Gaius Plinius Secundus) ذكرها على لسان

(١) سميناها الكتابة المجهرية نسبة الى المجهر وهو آلة تكبير الاشياء الصغيرة ويسمونها ميكرسكوب

خطيب الرومان المصقع شيشرون (i er.) . ولما كان كثيرون من المتأخرين قد ارتابوا بصحة هذه الرواية - لان الالياذة تحتوي على ١٥٦٢٤ بيتاً - أثبت صحتها أحد أدباء الافرنسيس أمام ملكة البولونيين ماري لنسينكه متخذاً لذلك ورقة شفافة طولها عشر أصابع بعرض ثماني مثلها وكان مكتوب على كل من صفحتيها ٧٨١٢ بيتاً فيكون مجموع عددها على الصفحتين معاً كل أبيات الالياذة وهذه الورقة كانت من الدقة والرقة بحيث يمكن وضعها في قشرة جوزة

ويذكر ان رجلاً اسرائيلياً متفنناً في الكتابة كتب على ورقة طولها نحو تسع عشرة أصبعاً بعرض ست عشرة بعض الاشعار التالية من العهد القديم بلغات مختلفة (ا) سفر راعوث في اللغة الجرمانية (ب) الجامعة في العبرانية (ج) نشيد الاناشيد في اللاتينية (د) استير في السريانية ثم (هـ) تثنية الاشتراع في الافرنسية . وهذه الكتابة الثمينة تشاهد الى عهدنا هذا في مكتبة ڤينا الامبراطورية وهي من الدلالة والوضوح بحيث تستجليها العين بدون عدسية

وفي القرن السادس عشر نسخ أحد متوحدي الايطاليين انجيل يوحنا (ص ١٣ ع ٣ - ١٧) على ورقة بقطع الدرخم (نوع من النقود اليونانية يعادل الفرنك) فلفت اليه انظار البابا اقليمس السابع والامبراطور شارل . ويقال أن معلم شارل التاسع وهنري الثالث المشهور بجودة الخط (كاليغرافيا) كتب القطعة المذكورة من هذا الانجيل على ورقة بقطع الظفر الصغير

وروي عن الانكليزي جون بيلد (J. Beeld) انه سنة ١٨٢١ خط على صفيحة بحجم الديدراخم (نوع من النقود اليونانية أيضاً كالفرنكين) الصلاة الربانية ودستور الايمان والمزمورين ١٠٠ و ١٣٤ ومن الوصايا العشر سادسها وسابعها وثامنها . وقد ذيل ذلك باسمه وتاريخ كتابته لهذا الاثر الجليل

ومن غريب ما يذكر ان غيرهم كتب المزامير ودستور الايمان والصلاة الربانية على شكل يمثل رأس ملك انكلترا شارل الاول . وهذه الكتابة الشبيهة بالخطوط الهندسية المتقنة الوضع والدلالة توجد في مدرسة القديس يوحنا (St John) في مدينة اكسفورد

وقد كتبتُ ذلك على أثر ما قرأتهُ في جريدة « المقطم » الغراء في هذا الشأن (عدد ٩٠٧٨ في ٢٣ يناير سنة ١٩١٩) نقلاً عن جريدة السودان واذكرهُ هنا

تخليداً لذكر كاتبه الاديب وهاك فحواه بالحرف :

« اهدى اديب لبناني هو نسيب افندي سعيد زين الدين مكارم الى رئاسة جمعية الصليب الاحمر الاميركية اعترافاً بفضلها واحسانها الى السوريين في مدة الحرب وبعدها حبة قمح كتب عليها آية الشكر الآتية بخط دقيق جميل :

« آية البر في آية البر — مقدمة الى رئاسة جمعية الصليب الاحمر الاميركية شكراً لاحسانها العظيم على سورية في حرب العالم الهائلة التي نشبت سنة ١٩١٤ »

وهذه الكتابة كما ترى تشتمل على ١١٠ حروف واربعة اعداد . ولا ريب ان صغر هذه الكتابات تدل على دقة كاتبيها وطول أناتهم وباعهم في امر الكتابة والتفنن فيها

اسكندرية

نجيب ميخائيل ساعاتي ـ د . ل .

السعي والنجاح

رماني بما فيه من الضعف حاسدي ... وقال « جزوع اثقلته الرغائب »
نعم اثقلتني غير ان تجلدي ... بشير بادراك الذي انا طالب
رغائب لا تسمو لها نفس صاغر ... يدافع عنها ربها ويحارب
فلا ترم بالضعف المغالب دهره ... ودونك فانظر اي خصم يغالب
وما كل باغ ادرك النجح قادر ... ولا كل مزوي عن السؤل خائب
وما فضل مزهو بادراك سؤله ... اذا صغرت آماله والمطالب
اغرك ان ادركت ما كنت تبتغي ... وما دون ما ترجوه يا غر حاجب
فؤادي فؤادي ليس ممن يغره ... زخارف دنيا كلهن كواذب
ولو كان يرضى بالقليل لناله ... ولم تدم اظفار له ومخالب
ولم يسر في ليل مخوف من المنى ... تعادي المنايا حوله والمعاطب
على قدر مجهود الفتى شرف الفتى ... وليست على قدر النجاح المراتب
فان مت دون النجح فالموت عاذر ... وان عشت لم تقطع رجائي المصائب

الاسكندرية

عبد اللطيف النشار

المستعمرات الالمانية

قيمتها السياسية والاقتصادية

في مقدمة المسائل التي عني مؤتمر الصلح بحلها مسئلة المستعمرات الالمانية . ولا يخفى أن المانيا دخلت سلك الاستعمار متأخرة عن سواها من الدول فكان نصيبها أقل من نصيب الدول العريقة في الاستعمار . على ان الجهات التي استعمرتها قيمة من عدة وجوه كما يتضح من هذا البيان الموجز

وسندرس هنا مستعمرات المانيا في أفريقيا اولاً ثم مستعمراتها في الاوقيانوس الباسيفيكي

المستعمرات الالمانية في افريقيا

لالمانيا في أفريقيا اربع مستعمرات وهي :

المستعمرة	مساحتها بالكيلومترات المربعة	عدد سكانها
مستعمرة توغو	٨٧ ٠٠٠	١ ٠٣٢ ٠٠٠
« كمرون	٧٦٥ ٠٠٠	٢ ٥٤٠ ٠٠٠
« أفريقيا الشرقية الالمانية	٩٩٥ ٠٠٠	٧ ٦٦٠ ٠٠٠
« أفريقيا الجنوبية الغربية الالمانية	٨٣٥ ٠٠٠	٩٥ ٠٠٠

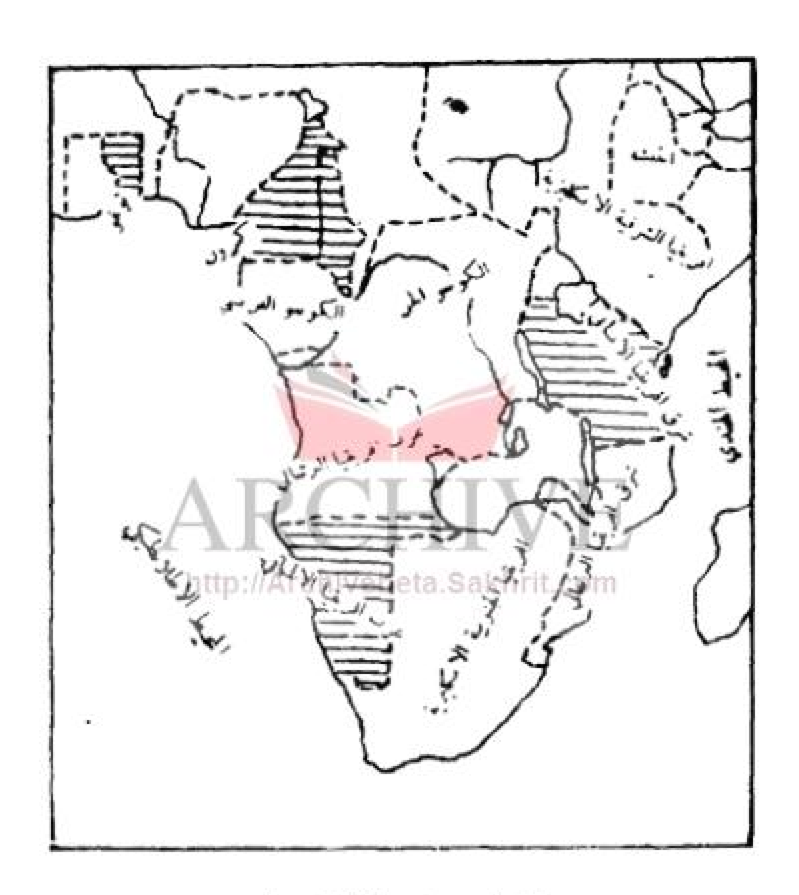
﴿ قيمتها الاقتصادية ﴾ أهم حاصلات مستعمرات توغو وكمرون وأفريقيا الشرقية الالمانية هي : الكاكاو والسكر والكاوتشوك وزيت النخل وزيت جوز الهند والقطن في الجهات الحارة منها ، والحبوب والقهوة والتبغ والمواشي (وصوفها وجلدها) في الجهات المعتدلة الجو . وقد كانت هذه المستعمرات تصدر الى المانيا كل سنة ما قيمته ٨٠ مليون فرنك تقريباً

أما مستعمرة أفريقيا الجنوبية الغربية فان جزءاً كبيراً منها قاحلٌ لا قيمة له من الوجهة الاقتصادية ولكن فيها مناجم الماس والنحاس والرصاص وكان معدل الصادر منها يقدر بنحو ٤٠ مليون فرنك

فاذا استعادت المانيا تلك المستعمرات حصلت على جانب من المواد الاولية التي

تحتاج اليها واستغنت بالتدريج عما كانت تستورده من تلك المواد قبل الحرب من مستعمرات الدول المتحالفة

﴿ قيمتها السياسية ﴾ ان المستعمرات الاربع المتقدمة منفصلة الواحدة عن الاخرى وهي ملاصقة لمستعمرات فرنسة وانكلترة وبورتغالية وبلجيكية . وقدكانت السياسة الالمانية ترمي الى :



خريطة المستعمرات الالمانية في افريقيا

اولاً ـ انشاء سكك حديدية تصل الى داخل القارة الافريقية فتناظر السكك الانكلزية والبلجيكية في نقل حاصلات تلك الجهات والمتاجرة بها

ثانياً ـ أن تتوغل بقدر امكانها في داخل القارة الافريقية كما فعلت بموجب الاتفاق الذي عقدته مع فرنسا في ٤ نوفمبر سنة ١٩١١ وغرضها التحفز للاستيلاء على مستعمرات بلجيكا والبورتغال حالما يتاح لها ذلك

ثالثاً – أن تقوي مركزها على الاوقيانوس الهندي لتضعف سلطة الانكليز في الهند وتهدد الطريق الموصلة اليها

وخلاصة ذلك ان المانيا كانت ترمي الي انشاء سلطنة افريقية متوسطة سماها كتابها السياسيون « ميتل افريكا » أسوة بما رموا اليه من انشاء سلطنة أوربية واسعة باسم « ميتل أوربا » أي أوربا الوسطى تجمع المانيا والنمسا وبعض دول البلقان وتركيا

مستعمرات المانيا في الاوقيانوس الباسيفيكي

كانت مساحة المستعمرات الالمانية في الاوقيانوس الباسيفيكي ٢٤٥٠٠٠ كيلومتر مربع وعدد سكانها ٨٣١٠٠٠ نفس وهي :

اولاً – في الصين : مستعمرة كياوتشيو وعاصمتها تسين تاو

ثانياً – في جزر المحيط : قسم من جزيرة غينه الجديدة (والقسمان الآخران لانكلترا وهولاندا) ، أرخبيل بسمارك ، بعض جزر سالومون (البعض الآخر لانكلترا) ، بعض جزر ساموا (البعض الآخر للولايات المتحدة) ، جزر ماريان ، جزر كارولين ، جزر مارشال ، جزر أخرى صغيرة مشتتة

﴿ قيمتها الاقتصادية ﴾ كانت مستعمرة كياوتشيو مستودعاً تجارياً وقد عنيت المانيا باصلاح عاصمتها تسين تاو (١٩٥٠٠٠ نفس) وجعلت ميناءها من أفضل المواني القائمة على الاوقيانوس الباسيفيكي . وكانت تجارتها تقدر بنحو ٢٥٠ مليون فرنك في السنة . أما الجزر المتقدمة فعلى قسمين :

(١) قسم كثير الخصب صالح لزراعة القطن والكاوتشوك وقصب السكر والقهوة والشاي وجوز الهند (كغينه الجديدة وجزر بسمارك وسالومون وساموا) وحاصلاتها السنوية نحو ٢٢ مليون فرنك

(٢) وقسم غير صالح للزراعة (كجزر ماريان وكارولين ومارشال وغيرها) ولكن هذا القسم كان ذا قيمة للسفن التجارية التي كانت ترسو في محطاته التجارية

﴿ قيمتها السياسية ﴾ لم تكتف المانيا بتحصين كياوتشيو بل جعلت جزرها بمنزلة محطات بحرية تحمي خطوط الملاحة التي كانت تتبعها سفنها للاتجار مع تلك الجهات . وكانت المانيا تعتمد على تلك المستعمرات لتوطيد سياستها العالمية Weltpolitik التي كانت ترمي الى السيطرة على جميع الشعوب والاسواق

الطفلان

خليل مطران

اعدت في هذه الايام النظر على أوراقي ـ فعل كل كاتب حيناً بعدحين ـ فوجدت بينها قصيدة أثرت فيَّ رؤيتها تأثير حزن : قصيدة تمثيلية من الضرب الذي يقوله قائل واحد ويدعونه بالمونولوج . اقترحها عليَّ منذ سنين صديقي الخالد الاثر في احياء التمثيل العربي المرحوم الشيخ سلامه حجازي وكانت له عندي كرامة وفوق الكرامة محبة . فخرجت معه عن معصيتي لكل داع قبله وأجبته الى ما أراد آخذاً الحكاية عنه ناسجاً بردها على التفصيل الذي فصّله

أخذ رحمه الله تلك المنظومة ليستظهرها ثم عاقته عنها العلة التي فاجأته غير انه ما لبث وقد قلَّ ما تعافى الى ان حان أجله ـ ان استظهرها بقوة تلك الارادة التي لا تكون الا في كبار المجاهدين دون الحياة والقاها قراءة وترتيلا

هذه قصة تلك القصيدة واني لحزين ان اسكت الله صوت مرتلها الفريد الذي مات بموته الاناشيد

مضت أيام بعد مراجعتي لتلك القصيدة واتفق لي في بعض خطراتي ان مررت بمشرب قهوة كان من مألوفي ان اجالس فيه المرحوم الشيخ فاتخذت كرسياً في معهدنا بذلك المكان وتذكرت ما كان فاستعدت بفكري القصيدة يوم فرغت من نظمها وقراءتي اياها للشيخ في ذلك الموضع والناس جموع جموع من كل جانب يأنسون ويؤنسون . فاستوحشت لتبدل ذلك الماضي بالحال وانقضاء تلك الحال واثار شجني ما وجدتني فيه من السكون . ثم عاودني تذكار تلك الايام المباركة التي بدأت فيها الحركة الفكرية الحاضرة في مصر وكان من اعظم مظاهرها وابهج مناظرها تحاشر الناس زرافات ووحداناً على ابواب الشيخ يطلبون الاوراق من النهار ليلجوا دار تمثيله في الليل . وشجاني على الخصوص ما خطر ببالي من ان هذا الشرق لم يزل مصاباً بدائه القديم بل دائه العقام : داء الحاجة الى الفرد في كل شيء والاتكال على الفرد في كل حال بحيث ان الفرد اذا اصيب اصيب به مجد وفقد بفقده علم أو فن وكانت النازلة من وراء ذلك على الامة والوطن

ثم أني اسف اكبر من ان نبيت وفي مصر مجتمع عربي حفيل ثم نصبح وذلك المجتمع أثر بعد عين فتقفل داره ويقفر جواره وتخلو دائرة المكان كلها من اناسها وانيها دفعة واحدة . ذلك والامل منشود والعوض غير موجود وقادة الرأي في البلد ناظرون ولكنهم على عهدهم من الجمود

اخلد على مصر ان تكون مبعث تذكار ومشهد آثار

فالحادثان المتقدمان هما اللذان حملاني على نشر تلك المنظومة مقدماً لها بهذه الكلمات التي اقصد بها تذكير الناسين أو المتناسين ما يجب عليهم للبلاد من جهة التمثيل ونهضته فيها وايفاء حق من المدح لرجل وقف حياته على هذا الفن فبلغ به نهاية المستطاع من الرقي في وقته وعلمنا كيف يتسنى بلوغ اصعب المطالب مع المثابرة والاخلاص

أما القصيدة فهي التالية :

لعب الطفلان حتى تعبا   فاستقرا بعد جهد مجهد

نامت الطفلة نوماً طيبا   في سرير ذهبي العمد

مكتسٍ خزاً موشى عجبا   زينت أطرافه بالقدد

تنجلي من كسرها ريّا الصبى   درة نامية في جسد

ذات وجه كالصباح المسفر   نظمت منه الثنايا في ابتسام

ثغرها مرتجف كالوتر   هزّه الايقاع في شدو منام

* * *

وعلى مقربة طفل صغير   عسجدي الشعر وضاح الجبين

مهده مضجع مسكين فقير   خُشُبٌ كُدْرٌ تسوء الناظرين

لا عماد لا غطاء من حرير   لا فراش فيه يعلى فيلين

ذاك طفل تخذوه كالاجير   يشغل الطفلة عنهم آمنين

آمنوا لكن حكم القدر   طالما جاء على غير المرام

ومن المستهزلات الصغر   راع اقواماً باحداث جسام

* * *

مرّ حين والصغيران على ما وصفنا من وداد وصفاء
كلما شبّا عن الطوق حلا لهما ذاك التصابي والولاء
وكثيراً ما جرى ان مثّلا عُرساً جامع اسباب الهناء
مزجا النفسين فيه قُبَلا عن هوىً عفّ نقيّ واخاء

ولقد قال لها في سمر ابواها للتلهي بالكلام
من تريدين اليف العمر فشارت بيد نحو الغلام

* * *

هكذا ظلّ الاليفان وطاب لهما العيش رغيداً مونقا
انما لما علت شمس الشباب تركا لهو الصبى والنزقا
ضربت بينهما شبهَ الحجاب عفّةُ البنت وقلّ الملتقى
وانقضى عهد التصابي والتصاب وقضى الاهلون ان يفترقا

جاء يستأذنها بالسفر ويشاكيها تباريح الغرام
جائداً بالمدمع المنهمر ناثحاً من حزنه نوح الحمام

* * *

وداعٌ على قلبي يعز قضاؤه وما أنا الا لمعنى بتودّع
فراق وما فرقت الا سعادتي ومرآي من طيب الحياة ومسمعي
لرقّة حال حالَ بيني وبينها قساة قلوب لم يرقوا لادمعي
فان لم اكن من فاقتي كفوءاً لها دعوني أخيراً لا أزايل موضعي
على أن شرّ الفقر نفس دنيئة وليس الغنى المغني بري ومشبع
يبيعون ذات الحسن بالمال خسّة وفي الحق ان تغدى بمهجة أروع
سأسعى الى جمع اللهى اشتري بها أعز نفيس في الحياة مضيع
أطوف بلاد الله ذكراك في فمي وزيانك في قلبي ومغناك أضلعي
فيا رب كن عوني على ظلم أهلها ويسّر في الفوز الوشيك تطلعي

— ٣ —

برح العاشق هاتيك الديار ليس فيه نابض الا الوجيب
تنتحي فلك به عرض البحار وتوارى عنه آفاق الحبيب
كلما لاح له فجر نهار وجرى من شمسه التبر الصبيب
خاض منه الفكر في ذاك النضار واقتنى منه له أوفى نصيب

وترامى كرة المبتدر عائداً نحو الحمى عود اغتنام
فائزاً بعد الغنى بالوطر مستقرّاً من تباريح الهيام

* * *

غاب اعواماً وظلت تندب أسفاً تلك الفتاة الوافيه
وأتاها ذات يوم يخطب ذو يسار وعيوب خافيه
هيكل بالٍ بشكل يعجب مستعار الشعر خاوي العافيه
لم يدع منه الخنا واللعب غير رسم وبقايا عافيه

كدر المخبر عذب المحضر زوّجوها منه في جنح ظلام
خدعوها بالغنى والمظهر روّعوها بالتهاويل الجسام

* * *

فقضت في وصله شهر العسل لم تذق فيه سوى مرّ وصاب
بين تذكار لياليها الاول وحبيب شفها منه الغياب
وتولاها من العيش ملل لازدياد الشوق فيها والعذاب
ودهتها علل إثر علل قصفتها وهي في شرخ الشباب

انما حكم الهوى في الزهر حكمه النافذ ما بين الانام
حيث جاورن غلاظ الشجر متن في الاكمام من سوء المقام

* * *

بعد اعوام من الهجرة عاد ذلك العاشق في جاه عظيم
لم يطب بالاهل نفساً والبلاد ساعة حتى درى الخطب الجسيم
فهوى فاقد حسٍّ كالجماد ثم أصحى وهو في حزن أليم
ولو ان الشوق لم يمسكهُ باد شوق أن يلثم مثواها الكريم

رقَّ من شكواه صلد الحجر حالت الشمس وغابت في سقام
سال كالبلسم نور القمر لو شفى البلسم جرحاً غير دام

***

من خبير بقلوب العاشقين وبما تفعله فيها الخطوب
حين تدهام وكانوا آمنين فاذا الاضلاع جمر والجنوب
ما اللظى المشبوب بين المصطلين كاللظى المشبوب منها في القلوب
هكذا أو فوق وصف الواصفين فعلت في ذلك الصب الكروب

هبَّ من صرعة ذلك الخبر قائم الطلعة يمشي في قتام
مبطئاً من ضعفه والخور نائحاً يبكي كما يبكي الغمام

***

وطني العزيز لقد عهدتك قبلها امناً لنا ومخافة للعادي
أني اغتربت وفي حماك وديعتي اين الوديعة تلك شطر فؤادي
تلك التي اجتمعت حلاك خلاصة فيها من الاغوار والانجاد
تلك التي من كل حسن صورت لك صورة في اعين الاشهاد
حلت لسقياها رباك دموعها وذكا لنشقتها نسيم الوادي
أنى سمحت بها تباع كسلعة وتموت غماً موت الاستشهاد
هل كان ذاك البعل الا قاتلاً جمال الخديعة نصلة الجلاد
هل كان الا فاسقاً بزواجه والشرع ليس محللاً لفساد
يا معهد الطفلين كيف عدتهما دون التلاقي في حماك عوادي
يا ذي المنازل كيف انسك بعدنا من مارح ومغرد في النادي

يا هذه الجنات جنات المنى	يا هذه الشماء في الاطواد
هل في معاهدك الجميلة بعدنا	من رائح برّ الخطى او غاذي
مرآة شمسك عفرت .فتزايلت	عنها الاشعة في الظلام بداد
وطوت ثنيات الردى اتى صدى	لطيورك الخفرات وهي شوادي
يا من نأت عني وكانت منيتي	دون الانام جميعهم ومرادي
اني لمتخذ ترابك أثمدي	حتى اللقاء وذكر حبك زادي

— ٣ —

عند ما أدرك في قفر قريب	بلدة الاموات أو روض الحزن
ورأى عن كثب قبر الحبيب	وبه روحان باتا في كفن
ناح حتى ضج من ذاك النحيب	كل من اعيي عذاباً فسكن
انما استرعاه انشاد مجيب	من بعيد الغيب من خلف الزمن

ملتقانا في مجاري الكوثر في جنان الخلد في دار السلام
ثم ننجو من شرور البشر وعلى الدنيا ومن فيها السلام

خليل مطران

من الحديث

ان الحكمة تزيد الشريف شرفاً
ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا
ان للقلوب صدأ كصدأ الحديد وجلاؤها الاستغفار
ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
ان احسن الحسن الخلق الحسن
ان أشكر الناس لله أشكرهم للناس
ان لكل دين خلقاً وان خلق هذا الدين الحياء
ان الله يحب معالي الامور وأشرافها ويكره سفاسفها
ان الله لا يرحم من عباده الا الرحماء

التصوير عند العرب

بقلم احمد بك تيمور

[الهلال] يسرنا ان نقدم الى القراء هذا البحث الجليل لحضرة العلامة المحقق احمد بك تيمور ويقيننا انهم سيقدرونه حق قدره لخطورته وافتقار اللغة العربية اليه

هذه شذرة نزرة وغيض من فيض عن التصوير عند العرب وبيان انواعه أعجلني فيها الوقت عن التوسع والاستقصاء فاكتفيت بما أثبته الخاطر وعلق بالذاكرة على حد ما لا يدرك كله لا يترك جله وقصدت أن يكون صلة لما جاء بهذا الصدد في بحث صنائع الاسلام الراقية للعلامة المحقق (المستهل) المنشور في هلال الشهر الماضي . ولا يخفى على من عانى أمثال هذه المباحث اعتياص هذا الموضوع والتواؤه على محاوله لتشتته بين تضاعيف الاسفار بعد ذهاب ما كتب عنه وجمع فيه فلا غرو ان يعد صغيره كبيراً ويسيره كثيراً وان لا يستهان بما يظفر به منه فانه إن لم ينقع غلة ويصرح عن المحض فلا أقل من ان يتخذ أساساً يبنى عليه

التصوير على الثياب

كان هذا النوع من التصوير معروفاً عند العرب في الجاهلية والاسلام ومن الادلة عليه قول أمرئ القيس

خرجت بها تمشي تجرّ وراءنا   على أثرينا ذيل مرط مرحّل

أي عليه صور الرحال ويروى (مرجّل) بالجيم أي عليه صور الرجال وفسر صاحب اللسان المرحّل من الثياب في مادة (مرجل) استطراداً بالذي عليه صور الرحال قال وهي الابل باكوارها . وفي الحديث « انّ رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ذات يوم وعليه مرط مرحّل » وفي حديث السيدة عائشة وذكرت نساء الانصار « فقامت كل واحدة الى مرطها المرحّل » ومنه الحديث « كان يصلي وعليه من هذه المرحّلات » ولا ريب في ان المراد هنا ما عليه صور الاكوار دون الابل . وقالوا ثوب ممرجل يعني عليه صور المراجل ومنه قول العجاج يصف ثوراً وحشياً مشبهاً اختلاف لونه لما فيه من بياض وسواد بهذا الضرب من الوشي

تبدلت عين النعاج الخذّل وكل برّاق الشوى مسرول
بشية كشية الممرجل

كما قالوا برد مسهم لما صوّرت عليه اشكال السهام قال أوس :

فانا رأينا العرض أحوج ساعة الى الصون من ريط يمان مسهم (١)

وقال ذو الرمة يصف داراً :

كأنها بعد احوال مضين بها بالاشيمين يمانٍ فيه تسهيم

ومنه سمي النوع البديعيّ بالتسهيم على ما ذكر علماء البلاغة . وقالوا ثوب معضد ومعمد ومعرّض ومسيف ومهلل ومكعب ومطير ومخيل ومشجر لما هو مصور بها وقد يخرجون عن هذه الصيغة كما قالوا الطبلية والطابل وأردية الطبل لثياب عليها كهيئة الطبول قال أبو النجم :

من ذكر ايام ورسم ضاحي كالطبل في مختلف الرياح

وقال البعيث :

وأبقى طوالُ (٢) الدهر من عرصاتها بقية أرمام كأردية الطبل

وربما أتوا بلفظ من غير المادة كاطلاقهم السجاط على الثياب الموشية بهيئة الخاتم وكما قالوا ثياب سبنية لما فيها أمثال الاترج

وما زالوا بعد ذلك يعرفون هذه الثياب ويحدونها حقبة بعد حقبة وجيلاً بعد جيل وعليه قول المتنبي :

تعس المهارى غير مهريّ غدا بمصوّر لبس الحرير مصوّرا

وقول السلامي (٣) يصف معركة لعضد الدولة :

والجوّ ثوب بالنسور مطيرٌ والارض فرش بالجياد مخيَّل

أي مصور بصور الطير والخيل

أما اشتغالهم بصنعها فلا أدلّ عليه من قطعتين بدار الآثار العربية بالقاهرة إحداهما من الحرير الاخضر المخطط بالصفرة عليها صور طيور وانواع من الحيوان

---

(١) كذا في اللسان ورواه التبريزي في شرح الحماسة
وانا وجدنا العرض افقر ساعة الى الصون من برد يمان مسهم

(٢) طوال الدهر بفتح اوله مداه

(٣) السلامي بفتح اوله وتخفيف اللام نسبة لدار السلام بغداد

وهي بقية ثوب عثروا عليها في قبر بالصعيد . والاخرى من الكتان الملون عليها زخارف وصور حيوانية من ذوات الاربع وكلتاهما من آثار الصناعة العربية المحققة . بل هناك روسمان من الخشب للطبع على هذه الثياب وكفى بهما شهيدين

التصوير على الستور

أما التصوير على الستور فالدليل عليه ما جاء في حديث السيدة عائشة قالت « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر وقد سترت سهوة لي بقرام [1] فيه تماثيل فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلوَّن وجهه وقال يا عائشة أشد الناس عذاباً عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله قالت فقطعناه فجعلنا منه وسادة او وسادتين » وقد استدل به بعض الفقهاء على عدم حرمة الصورة الممتهنة كالتي تتخذ على الوسائد والبسط ونحوها . وقال المتنبي :

نافست فيه صورة في ستره لو كنتها لخفيت حتى يظهرا
لا تترب الايدي المقيمة فوقه كسرى مقام الحاجبين وقيصرا

وقال ابو العلاء المعري مما كتب على ستر فيه صور طيور :

الحسن يعلم أن من واريته قدر تستر في غمام ابيض
غشي الطيور عوافلا فتحيرت منه فلم تبرح ولم تتنفض

وللقاضي الفاضل يصف ستراً عليه صور من قصيدة كثيرة التحريف استخلصنا منها هذين البيتين :

والطير في شجرات الرقم عاكفة وقد نبت عنهن في التغريد بالنغم
إن لم يكن ثمر فيها ففي يده ثمار جود زهت في روضة الشيم

ويلتحق بهذه الستور ستور كانت لاهل المغرب تسمى بالحائطية لتعليقها بالحيطان للزينة آثرنا ذكرها وان لم يفصح التاريخ عن تصورها وقد أطنب صاحب نفح الطيب في وصفها ووصف تطاريزها ونقوشها وما كان يكتب عليها من الشعر بل ذكر من صنائع مالقة الحصر المبهجة للبصر التي تغلف بها الحيطان ولا يبعد أن يكون تعليق الافرنج لنفائس الطنافس ونحوها مقتبساً من هذه العادة ويظهر انها كانت اقدم عهداً بالشرق مما ذكر في نفح الطيب بدليل قول ذي الرمة :

(١) السهوة بفتح فسكون شبه الرف والطاق . والقرام بكسر اوله الستر

تلوى الثنايا بأحقيها حواشيه لَيَّ الملاء بأبواب التفاريج[1]

قال البغدادي في خزانته «مراد الشاعر أن الستائر توضع وتربط على الدرابزين وابوابها للتجمل كما يفعله الاغنياء»

التصوير على الخيام

ولم يقتصروا على الستور بل اتخذوا الصور ايضاً على المضارب والخيام يدلّ عليه قول المتنبي يصف فازة لسيف الدولة وهي القبة والخيمة :

واحسن من ماء الشبيبة كله حيا بارق في فازة أنا شائمه
عليها رياض لم تحكها سحابة واغصان دوح لم تغنّ حمائمه
وفوق حواشي كل ثوب موجّه من الدر سمط لم يثقبه ناظمه
ترى حيوان البر مصطحباً بها يحارب ضد ضده ويسالمه
اذا ضربته الريح ماج كأنه تجول مذاكيه وتدأى ضراغمه

وذكر المقريزي الخيم المصورة في كلامه على خزائن الخيم من خططه فقال «منها المقيّل والمسبّع والمخيّل والمطوّس والمطيّر[2] وغير ذلك من سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة»

التصوير على الجدران

من الادلة عليه ما أنشده صاحب اللسان في وصف بيت مصوّر بانواع التصاوير

فيه الغواة مصوّرو ن فحاجل منهم وراقص
والفيل يرتكب الردا ف عليه والاسد القصاقص

وقول ابن حمديس الصقلي يصف ايواناً في دار بناها المعتمد على الله ويذكر صور جدرانه :

نسيت به ايوان كسرى لانني اراه له مولى من الحسن لا مثلا
كأن سليمان بن داود لم تبح مخافته للجن في صنعه مهلا

(١) الثنايا الطرق في الجبال والاحق جمع حقو بفتح فسكون وهو الخصر والمراد هنا الوسط والضمير في حواشيه راجع الى السراب المذكور في ابيات قبله . يعني تلف هذه الثنايا حواشي السراب أي اطرافه على أحقيها كما تلف الملاء بتفاريج الدرابزين

(٢) أي المصور باشكال الفيلة والسباع والخيل والطواويس والطير

ترى الشمس فيه ليقة تستمدها أكف أقامت من تصاويره شكلا
لها حركات أودعت في سكونها فما أتبعت في نقلهن يدٌ رجلا

وقول أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي من ابيات يصف فيها قصراً بمصر يسمى منازل العز بناه حسن بن علي بن تميم بن المعز العبيدي

وبارجائه مجال طراد ليس تنفك من وغى خيلاه
تبصر الفارس المدجج فيه ليس تدمى من الطعان قناه
وترى النابل المواصل للنز ع بعيداً من قرنه مرماه
وصفوفاً من الوحوش وطير الجو كل مستحسن مرآه
سكنات تخالها حركات واختلاف كأنه أشباه

ومن القصور المصوَّرة الجدران منظرة اتخذها الآمر باحكام الله الفاطمي ببركة الحبش صوَّر فيها شعراء كل شاعر وبلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح وذكر المنظرة وكتب ذلك عند رأس كل شاعر وبجانب صورة كل واحد رف مذهب أمر أن توضع فيه صرة مختومة فيها خمسون ديناراً وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته ففعلوا وكانوا عدة شعراء [1]

ولما عمر الاشرف خليل بن قلاوون الرفرف بقلعة الجبل جعله عالياً بحيث يشرف على الجيزة كلها وبيّضه وصوَّر فيه أمراء الدولة وخواصها وعقد عليه قبة على عمد وزخرفها وصار مجلساً يجلس فيه السلطان الى أن هدمه اخوه الناصر محمد سنة ٧١٢ هـ

ومن آيات الصناعة العربية ومدهشها ما كان مصوراً على جدران حمام بناه ببغداد شرف الدين هارون ابن الوزير شمس الدين الجويني فانه لم يقتصر على ابداع نقشه وتذهيبه وفرش ارضه بالفصوص الملوَّنة البديعة التنسيق حتى صقل جدرانه وصوَّر عليها الصور المتقنة المحاكية للآدميين بالالوان الزاهية وطلى انابيبه بالفضة والذهب واتخذ لها صنابير على هيئة الطير كلما خرج منها الماء صوَّتت

(١) سبق للكاتب الفاضل عبد الفتاح افندي عبادة نقل هذه العبارة وعبارات أخرى عن المقريزي في مقالته المنشورة بالهلال (ج ٢٤ ص ١١ و ٣٩٣)

التصوير على الاقداح والاواني

منه قول أبي نواس :

تدار علينا الراح في عسجدية ... حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها ... مهاً تدريها بالقسي الفوارس
فللراح ما زرت عليه جيوبها ... وللماء ما دارت عليه القلانس

وفي هذه الابيات دلالة على أن هذه الصناعة فارسية الاصل فمن صور الكؤوس من العرب فانما عن الفرس أخذ وعلى مثالهم احتذى فيما يظهر . وقال أبو نواس أيضاً :

بنينا على كسرى سماء مدامة ... جوانبها محفوفة بنجوم
فلو رد في كسرى بن ساسان روحه ... اذاً لاصطفاني دون كل نديم

وقال ابن المعتز :

بدا والصبح تحت الليل داج ... كطرف أبلق مرخى الجلال
بكأس من زجاج فيه أسد ... فرائسهن ألباب الرجال

وقال السري الرفاء :

وموسومة كاساتها بفوارس ... من الفرس تطفو في المدام وتغرق
يقابل منهم كل شاك سلاحه ... وفي يده سهم الي مفوق
كأن الحباب المستدير قلادة ... عليه وتوريد المدامة يلمق[1]

وقال بعضهم :

أغمام ما يدريك ما أفعالنا ... والخيل تحت النقع كالاشباح
تطفو وترسب في الدماء كأنها ... صور الفوارس في كؤوس الراح

وقال ابو الفرج اليبغاء في قدح أزرق فيه صور :

فعاطنيها بكراً مشعشعة ... كأنها في صفائها خلقي
في أزرق كالهواء يخرقه اللحـ ... ـظ وان كان غير منخرق
ما زلت منه منادماً لعباً ... مذ اسكرتها السقاة لم تفق
تخال قبل المزاج في أزرق الفجـ ... ـر وبعد المزاج في الشفق
تغرق في أبحر المدام فيستـ ... ـنقذها شربنا من الغرق

(١) اليلمق القباء معرب يلمه

والاقوال في ذلك تفوت الحصر فلنجتزئ عنها بما ذكرنا . وربما ذهب الوهم بالمطالع من ذكر الفرس وملوكهم في بعض هذه الابيات الى انها صناعة فارسية محضة [illegible] زاولها العرب ولا يخفى انه ليس بالدليل القاطع فضلاً عن قيام الشواهد المصادمة [illegible]ه لان اشتغال بعض الامم بصناعة ما لا يمنع اشتغال غيرهم بها ايضاً ما لم يقم دليل على المنع وفي دار الآثار العربية بالقاهرة من الاواني المصورة العربية ما يغنينا عن الادلة المنطقية بدليل الحسّ والنظر

فمن ذلك مجموعة من المصابيح الزجاجية المزخرفة من صنع العرب في العصور الاسلامية على بعضها اسماء صنّاعها وفيها ما هو مصور بانواع النبات والطير يندر وجود مثلها في دور الآثار نذكر منها مشكاة عليها اسم السلطان محمد بن قلاوون وبين زخارفها كثير من صور الطيور المتقنة الرسم ومشكاة بديعة الزخرفة والتذهيب عليها صور طيور ومكتوب عليها (مما عمل برسم المقرّ العالي السيفي الملك الناصري) وقطعة من كرة تعلّق على المشكاة عليها صور طيور ايضاً وقطعة جام من غضار عليها عصابة من الكتابة الكوفية وباسفلها صورة تيسين يتناطحان

وعثروا أخيراً في أطلال الفسطاط على قطع من الخزف المصقول البرّاق الملوّن بالالوان الزاهية المصوَّر بصور الانسان والحيوان وغيرهما وهي من بقايا أوانٍ وأباريق عربية الصنع كتبت عليها أسماء صناعها كالغيبيّ والمصري والشاميّ وغزال والهرمزيّ وأبي العز بل اكتشفوا الافران التي كانت تصنع فيها هذه الاواني فلم يبقوا للشك مجالاً في عربيتها . والفضل في هذا كله لصديقنا العلاّمة الاثري علي بهجت بك رئيس تلك الدار ولم يزل أعانه الله جاداً في الحفر والتنقيب الى اليوم

ومن الاواني العربية المصورة المحفوظة بدار الآثار قمقم للعطر من الصُفر مكفَّت [1] بالفضة مكتوب عليه (يا فاعل الخير) وعليه صورة جماعة يضربون على آلات الطرب . وأناء نقش عليه اسم (محمد بن فضل الله) أحد بني فضل الله العمريّ المشهورين بكتابة الانشاء بمصر وطرزت حافته بكتابة فيها ألقابه يتخللها صور طيور وأناء آخر عليه صورة فارس . وفيها غير ذلك من الاواني كالطاسات والصواني المصورة بأشكال الحيوان والتنانير المنقوشة بصور الفرسان

---

(١) يريدون بالتكفيت تنزيل الذهب والفضة في النحاس وهو لفظ مولد

التصوير على الاثاث

ذكر ناصر خسرو في كتابه (سفرنامه) وهو رحالة جاب بلاد المشرق سنة ٤٣٧ — ٤٤٤ هـ ودخل مصر انه رأى بها في قصر الفاطميين دست الخليفة المستنصر وهو من الذهب والفضة الخالصين وعليه كتابات وصور طيور وصيادين تشهد لصانعها بالحذق والبراعة . وفي دار الآثار العربية لوح خشب من خزانة عليه صورة طائر بديع الصنع بقي بعضه وذهب سائره واطار باب من خشب عليه صور من الحيوان والطيور الكثيرة بالغة الغاية من المهارة في التصوير وكرسي من صفر عمل سنة ٧٢٨ هـ للناصر محمد بن قلاوون وكتبت عليه ألقابه بالخط الكوفي وعليه صور بط اشارة الى اسم قلاوون لانه بهذا المعنى في التركية القديمة وهو من عمل محمد بن سنقر البغدادي السناني كما هو منقوش عليه . وفيها غير ذلك مما تركنا ذكره اختصاراً

التصوير على النقود والبنود ونحوها

ذكر الثعالبي أن سيف الدولة كان أمر بضرب دنانير للصلات في كل دينار منها عشرة مثاقيل وعليه اسمه وصورته فأمر يوماً لأبي الفرج البيغاء منها بعشرة دنانير فقال ارتجالاً :

نحن بجود الامير في حرم   نرتع بين السعود والنعم
ابدع من هذه الدنانير لم يجـ   ـر قديماً في خاطر الكرم
فقد غدت باسمه وصورته   في دهرنا عوذة من العدم

وروى لنا التاريخ عن الظاهر بيبرس أنه جعل رنكه [١] أي شعاره وشارته صورة أسد وانه نقش هذه الصورة على نقوده وآثاره . وكان اتخاذ الرنوك المصورة شائعاً بمصر في الدولتين التركية [٢] والجركسية فكان لكل سلطان رنك يتخيره اما صورة أسد أو نسر أو زهرات من الزنبق أو غير ذلك وللامراء رنوك تدل على مناصبهم كالسيف لصاحب خزانة السلاح والكاس للساقي ولكن ابن اياس حكى

(١) الرنك بفتح فسكون وبالكاف المعقودة كالجيم المصرية لفظ فرسي اصل معناه اللون
(٢) هي البحرية التي كانت قبل الجركسية

عن الامير يشبك الدوادار أنه لما خرج لقتال شاه سوار مدة قايتباي صوّر في رنكه صورة سبع وهو خلاف المألوف كما لا يخفى

وفي دار الآثار العربية بقايا من رنوك منقوشة على الاحجار منها حجران على كليهما صورة أسدين ولوحان من الرخام على كليهما نسر ناشر جناحيه ولوح آخر عليه أربع سمكات وقطعة خزف عليها سيفان فوقهما هلال وغير ذلك من صورة كأس أو عصا أو زهرات من الزنبق أو حيوان لا وجود له تخيله المصوّر

ومن الرنوك البديعة ما ذكره ابن تغري بردي في ترجمة أقوش الافرم من المنهل الصافي فقال « وكان رنكه دائرة بيضاء يشقها مشطّب أخضر عليه سيف احمر يمرّ في البياض الفوقاني والبياض التحتاني على المشطّب الاخضر وقال الشعراء فيه فمن ذلك قول نجم الدين هاشم الشافعي :

سيوف سقاها من دماء عداته وأقسم عن ورد الردى لا يردّها
وابرزها في ابيض مثل كفه على أخضر مثل المسنّ يحدها

وكان الرنك في غاية الظرف حتى ان النساء الخواطئ كنّ ينقشنه على معاصمهن »

وكان بعضهم يضيف الى صورة رنكه نقوشاً هيروغليفية يجعل ذلك علامة على ملك الوجهين القبلي والبحري وقد شاهدت هذه العلامات على بعض الرنوك في دار الآثار . ثم لا يخفى أن هاتين الدولتين وان كانتا اعجميتين في سلاطينهما وامرائهما فقد كانتا عربيتين في الصنائع والصناع واللغة وكل مظهر من مظاهر المدنية يشهد عليه ما امتازت به الابنية والزخارف وغيرها من الطراز العربي الجميل الخاص بالعصرين[(1)]

وفي صبح الاعشى أن شعار سلطان اليمن كان وردة حمراء في ارض بيضاء قال ابن فضل الله ورأيت أنا السنجق اليمني وقد رفع في عرفات سنة ٧٣٨ وهو ابيض فيه وردات حمر كثيرة

---

(١) نريد انهما كانتا متأثرتين بالبيئة العربية الاسلامية كسائر الدول الاعجمية التي حكمت في الاسلام قبلهما فلم تؤثر اعجمية الحكام في آداب المحكومين ومميزاتهم وهم كانوا بين عرب خلص ومستعربين . بل شهد التاريخ باستعراب بعض أولئك الملوك كبني بويه بفارس مع أعجمية اصولهم وموطن دولتهم

التصوير في الكتب

يكثر هذا النوع في الكتب الفارسية ولكنه لم يكن مجهولاً عند العرب ولا خلت منه كتبهم وان قلَّ ما بالايدي منها . وفي ديار الافرنج طائفة صالحة منها كنسخ المقامات الحريرية وكليلة ودمنة وغيرها مذكورة في اثبات خزائنهم فلنقتصر هنا على وصف موجز لما شاهدناه وجميعه مما دخل خزانتنا الا ما نص على مكان وجوده

فن الكتب المصورة كتب التجويد صوروا فيها الحلق والفم واللسان لبيان مخارج الحروف والغالب ان لا يتجاوزوا ذلك فيها وقد يصوّرون في بعضها الوجه جميعه على قلته

ومنها كتب الطب كمجموعة العين التي وصفها الفقيد الكريم مؤسس الهلال في تاريخ آداب اللغة بما يغني عن الاعادة . وعندنا خمسة كتب طبية غيرها مصوّرة ويلتحق بهذا الصنف كتاب سحر العيون للبدري في الادب ففيه صورة العين باجزائها وقد طبع بمصر على الحجر سنة ١٢٧٦ . وكتاب مخطوط في البيطرة ملوّن الصور رأيته بخزانة مدرسة خليل آغا بالقاهرة . وكتاب الزردقة في الخيل وأجناسها وأمراضها مخطوط مصور بدار الكتب السلطانية

ومنها كتب النبات كالكتاب الذي بخزانة آيا صوفية وكتاب المادة الطبية وكتاب غريب مفقود في الادوية المفردة لرشيد الدين ابن الصوري رأينا وصفه في عيون الانباء لابن أبي أصيبعة بما نصه « بدأ بعمله في أيام الملك المعظم وجعله باسمه واستقصى فيه ذكر الادوية المفردة وذكر أيضاً أدوية اطلع على معرفتها ومنافعها ولم يذكرها المتقدمون وكان يستصحب مصوراً ومعه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها وكان يتوجه رشيد الدين ابن الصوري الى المواضع التي بها النبات مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي قد اختصَّ كل منها بشيء من النبات فيشاهد النبات ويحققه ويريه المصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله ويصور بحسبها ويجتهد في محاكاتها ثم انه سلك أيضاً في تصوير النبات مسلكاً مفيداً وذلك انه كان يرى النبات للمصور في ابان نباته وطراوته فيصوره ثم يريه اياه أيضاً وقت كماله وظهوره فيصوره تلو ذلك ثم يريه اياه أيضاً وقت ذواه [1] ويبسه فيصوره فيكون الدواء

(١) الصواب ذويه بضم فكسر مع تشديد الياء

الواحد يشاهده الناظر اليه في الكتاب وهو على انحاء ما يمكن أن يراه به في الارض فيكون تحقيقه له أتم ومعرفته له أبين »

ومنها كتب الادب كنسخة من المقامات الحريرية مصورة بالالوان رأيتها عند احمد باشا الضي من سراة مصر ولا أدري ما فعل الدهر بها بعد وفاته . ونسخة كليلة ودمنة المطبوعة ببيروت وقد حوفظ فيها على أشكال صورها القديمة كما يذكر الطابع . وكتاب مرزبان نامه لابن عربشاه المطبوع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٨ هـ

ومنها كتب البلدان كمعجم ياقوت وتقويم ابي الفداء ونخبة الدهر لشيخ الربوة وفيه صور كثيرة من بلدان وآلات واسماك وصور فلكية وغير ذلك وكلها مطبوعة بافرنجة . ونيل الرائد في النيل الزائد للبلقيني وفيه صورة منبع النيل ومجرانه منقولة من تصوير عز الدين بن جماعة . وكوكب الروضة للسيوطي وفيه صور منبع النيل ومجراه . وتاريخ الحجاز ومعالمه وفيه صورة الحرم المكي والكعبة ولا يذهب عن الذهن تصوير الحرمين في دلائل الخيرات وما امتازت به بعض نسخها من الاتقان في الزخرفة والتذهيب . وكمصورات [1] البلخي المحفوظة بدار الكتب السلطانية بالقاهرة . وحكى المسعودي في التنبيه والاشراف انه اطلع على عدة مصررات فرأى أحسنها الصورة المأمونية التي عملت للمأمون واجتمع على صنعها عدة من الحكماء صوروا فيها العالم بافلاكه ونجومه وبره وبحره وعامره وغامره ومساكن الامم والمدن وغير ذلك . والكتب من هذا الصنف كثيرة بل قلما نرى كتاباً في البلدان غير مصور وقد تنبهت عند مطالعتي احسن التقاسيم للمقدسي المطبوع بليدن الى أن الكتاب كان مصوراً كما يعلم من عدة مواضع فيه (ص ١١٣ و١٥٤ و٢١٦ و٢٤٨ و٣٦١ و٤٠٤ و٤٢١) وحسبنا قوله في اوله « ثم فصلنا كور كل اقليم ونصبنا امصارها وذكرنا قصباتها ورتبنا مدنها واجنادها بعد ما مثلناها ورسمنا حدودها وخططها وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة وبحارها المالحة بالخضرة وانهارها المعروفة بالزرقة وجبالها المشهورة بالغبرة ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام »

ومنها كتب الهيئة وما فيها من صور الكواكب وذوات الاذناب وهي كثيرة عندنا منها عدة مخطوطات اغربها واندرها كتاب صور الكواكب للصوفي من علماء القرن

(١) المصور هو اللفظ العربي الذي عبر به المؤلفون عما نسميه اليوم بالخرائط

الرابع الهجري صوّر فيه الثوابت ومواقعها من الفلك ثم صوّرها بما سميت به من نسر ودب وتنين الخ . وذكر القفطي أن للصوفي هذا كرة من فضة عملها لعضد الدولة اشتريت بثلاثة آلاف دينار لخزانة كتب القاهرة وكانت بها سنة ٤٣٥ هـ . وعلى ذكرها نذكر من قبلها الكرة الارضية الفضية التي عملها الشريف الادريسي لرجار [١] ملك صقلية وكتب عليها بالحروف العربية وكانت أصح كرة عملت في ذلك العصر على ما ذكروا وقد فقدت فيما فقد . وفي المنهل الصافي في ترجمة علي بن ابراهيم أحمد بني الشاطر انه رصد الكواكب وانفرد في زيجه بمسائل ووضع آلة رصدية بديعة صور فيها الافلاك والكواكب . أضف الى ذلك كتب الهندسة وما فيها من الرسوم التي تقتضيها من خطوط ودوائر ومثلثات الخ . وكتب الموسيقى وما فيها من دوائر النغم المحكمة الضبط أذكر منها دائرة في شرح الشيخ محمد العطار الدمشقي على منظومة الشيخ حسن العطار المصري في التشريح أوردها بمناسبة زعمهم ان للشريان طبيعة موسيقية وهي غريبة في وضعها مكونة من دائرتين احداهما رسمت في الكتاب والاخرى أصغر منها في ورقة مثبتة وسط الاولى على محور تدور عليه

ومنها كتب الحيل أي علم الآلات ككتاب الحيل الروحانية المطبوع بباريس . وكتاب الحيل في العلم والعمل لابن الرزاز وكتاب علم الساعات لرضوان بن محمد الخراساني وهما مخطوطان بهما صور كثيرة للآلات الغريبة والدواليب والساعات المائية وما يتخذ فيها من التماثيل والدمى . وكتاب القوانين في صفة القبان وبه صور الموازين باجزائها وأسمائها

ومنها كتب الفروسية وما فيها من تصوير الفرسان على الخيل وصفة الطعن والضرب وتوجد منها نسخ عند باعة العتيق . وفي دار الكتب السلطانية بالقاهرة كتاب السؤل والامنية في تعلم أعمال الفروسية مخطوط به صور كثيرة الا انه ناقص ورأيت كتاباً من قبيله عند أحد الباعة فلم أوفق لاقتنائه . وفي دار الكتب أيضاً التذكرة الهروية والعز والمنافع في الغزو بالمدافع فيهما صور آلات القتال

ومنها كتب الجفر والسحر وما في معناها وقلما يخلو كتاب منها من صورة ككتاب عيون الحقائق في السحر والشعوذة فيه رسوم كثيرة ملونة من جداول

(١) اسمه عند الافرنج روجر Roger

وطير وحشراتٍ وغيرها وكتاب الدر المنظم المسمى بالجفر الصغير لابن طلحة وبه صور كثيرة للادميين متقنة التلوين والرسم . هذا عدا الصور الخيالية كالتي في كتاب الميزان الكبرى للشعراني وهو مطبوع بمصر وفي خزانتنا نسخة مخطوطة منه ملونة الصور

والخلاصة ان هذا النوع من الكتب ليس في القلة على ما كان يظن

(لها بقية) احمد تيمور

بين العذر واللوم

من لي بنفس ترى عذر المسيء ولا ... تضيق بالناس ذرعاً والمقادير

اذا تجنيت الفيت الذين جنوا ... يبررون الخطايا بالمعاذير

وان جنيت وجدت الذنب مغتفراً ... فما لذنب الاعادي غير مغفور

الله يا قلب فيمن بت تعذله ... فما رأيت مسيئاً غير معذور

أحب متهماً منهم ومتهماً ... فالناس عندي في ضعف العصافير

ولا ألوم القضاء الحتم في زلل ... الكون اكبر من ظني وتقديري

لا أبغض الناس أني عاذر لهمو ... ولا أراهم بقلب غير مسرور

وما تبرمت من أفعال مقتدر ... فما التبرم من أقوال مغرور

هيهات لو رحبت نفسي بما لقيت ... ما بات سعي عدوي غير مشكور

نفسي كانفس قوم قد برمت بهم ... كل أساء وادلى بالمعاذير

اللؤم في المرء يأتي عفو خاطره ... وقد يجيء على عمد وتدبير

والأم اللؤم ما يأتي الطباع به ... واهون اللؤم لؤم غير مستور

والمرء يكتم ما توحي الطباع به ... ويدعي كل شيء غير ميسور

وليس يفضل أهل العيب عائبهم ... فبين جنبيَّ ميت غير مقبور

عبد اللطيف النشار

النفق تحت المانش

من لندن الى باريس بالسكة الحديدية

منذ سنوات كثيرة ـ حين لم يكن بين المانيا وانكلترا ضغائن وحزازات ـ قال الجنرال فون مولتكي الكبير:

« ان نفقاً تحت المانش يصل انكلترا بفرنسا لا يجدي الهاجم على انكلترا نفعاً ولكنه يفيد انكلترا فائدة عظيمة فيما لو نشبت الحرب بينها وبين المانيا »

وقد جاءت هذه الحرب برهاناً على صحة ذلك القول فلاريب في ان انكلترا خسرت كثيراً لعدم وجود ذلك النفق ولا سيما في اوائل الحرب اذ كان لكل دقيقة حساب كبير في سير الحوادث. ولو كان الاتصال بالسكة الحديدية تاماً بين انكلترا وفرنسا لترتب على ذلك اقتصاد عظيم في الوقت فضلاً عن اقتصاد سفن النقل التي كانت تستخدم اذ ذاك في جهات أخرى. وقد حسب أحد المهندسين ان عدد الذين عبروا المانش اثناء الحرب لا يقل عن ٢٠ مليوناً غير ملايين اطنان الذخائر والمهمات. وقد استدعت هذه الحركة استخدام سفن تقدر حمولتها بنحو ١٥٠٠٠٠٠ طن وعدد غفير من عمال المرافئ على الشاطئين الانكليزي والفرنسي

وقدر المهندس المشار اليه ان بناء النفق يكلف نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ جنيه ولا شك في ان انكلترا قد اضاعت اكثر من هذ

انكلترا

فرنسا

(النفق تحت المانش (الخط الاسود يشير الى النفق)

المبلغ بكثير لعدم وجود النفق . ولو كان موجوداً لتمكن من نقل ٣٠٠٠٠ جندي و ٣٠٠٠٠ طن ذخيرة كل يوم

ويرجع تاريخ انشاء النفق الى سنة ١٨٠٢ اذ عرض تلك الفكرة على نابوليون مهندس فرنسي اسمه ماتيو . وقد اقترح نابوليون انجاز هذا المشروع على الوزير فوكس الانكليزي حين زار فرنسا بعد معاهدة اميان (سنة ١٨٠٢) . ويؤثر عنه قوله له : « هذا امر من اعظم الامور التي يمكننا ان نجرها معاً » . ولكن انكلترا خافت عواقب هذا الاتصال وظل خوفها هذا حجر عثرة في سبيله مدة ١١٦ سنة . على ان الحكومة الانكليزية عدلت فكرها غير مرة اثناء هذه المدة ولا سيما في سنة ١٨٧٥ اذ اتفقت الحكومتان الانكليزية والفرنسية على انشاء النفق وشرعتا في العمل . وكان بين الشروط المتفق عليها ان لانكلترا حق غمر النفق بالماء في حالة الحرب ولكن الحكومة الانكليزية ما لبثت ان لاقت مقاومة عنيفة من الشعب فرجعت عن فكرها

وفي الجدول التالي بيان للاطوار التي تقلب فيها هذا المشروع من سنة ١٨٠٢ الى هذا اليوم :

١٨٠٢ — عرض المهندس ماتيو مشروع النفق على نابوليون

١٨٣٣ — بدأ المهندس دي غراموند الذي كرس حياته لهذا العمل يدرس انجاز المشروع من الوجهة الفنية

١٨٥٦ — عرض دي غراموند خطة وافية للعمل على نابوليون الثالث

١٨٦٧ — قدمت شركة انكليزية فرنسية تقريراً تفصيلياً عن العمل وافق عليه نابوليون الثالث

١٨٧٠ — عرضت الحكومة الفرنسية هذا المشروع رسمياً على الحكومة الانكليزية

١٨٧٢ — أجابت الحكومة الانكليزية جواباً شبه رسمي بالموافقة

١٨٧٤ — قبلت الحكومة الانكليزية انجاز المشروع رسمياً

١٨٧٥ — وافق البرلمان الانكليزي والبرلمان الفرنسي على الاعمال التمهيدية التي يستدعيها النفق

١٨٧٦ — عقد اتفاق سياسي بهذا الشأن

١٨٨٠ — بدأت شركة السكة الحديدية « سوث ايسترن » أعمال الحفر بين دوفر وفولكستون

١٨٨٢ — حملت الصحافة حملة عنيفة على المشروع وقدمت عريضة أمضاها نفر من كبار الرجال الى البرلمان لايقاف العمل وصدر الامر بذلك

١٨٨٣ — عينت لجنة برلمانية لانعام النظر في المشروع فقررت أغلبيتها رفضه

من ١٨٨٣ الى ١٨٩٠ — عرض هذا المشروع ١١ مرة على مجلس العموم بلا جدوى

١٩٠٦ — أعاد حزب الاحرار اقتراح المشروع فلاقى مقاومة صحافية كبيرة

١٩٠٧ — سحب الاقتراح

١٩١٣ — أعيد البحث في المشروع وأعيد الجدال في الصحافة والبرلمان. وبين كثيرون قيمة النفق فيما لو نشبت الحرب مع المانيا

١٩١٤ — نشبت الحرب العظمى وثبتت قيمة النفق

١٩١٨ — عرض المشروع على بساط البحث والمرجح نجاحه

وآخر الذين اهتموا بهذا المشروع المهندسان دوجلاس فوكس الانكليزي والبير سرتيو الفرنسي وسيتم المشروع في الغالب وفقاً للخطط التي رسماها وهاك خلاصتها:

يحفر نفقان متحاذيان قطر كل منهما ١٨ قدماً من هضبة شكسبير بغرب دوفر الى سنجات في فرنسا بين كاليه وبولون. ويبلغ طول النفق ٣٧ ميلا منها ٢٤ ميلا تحت الماء. وأسفل نقطة تحت الماء يصل اليها النفق تبعد ٣٢٥ قدماً عن سطح البحر. وسيجعل بين النفقين دهاليز تصل الواحد بالآخر في كل ٢٠٠ أو ٣٠٠ يارد

ولن يكون هـذا العمل أعظم المشاريع الهندسية التي قام بها البشر فقد قام الاميركيون بعدة أعمال تفوق هذا العمل صعوبة من الوجهة الفنية

وتقدر المدة اللازمة لاتمام العمل باربع سنوات. ولكي تضمن انكلترا سلامتها في زمن الحرب سيكون لها حق غمر النفق بالماء اذا اقتضت ذلك مصلحتها. ويكفي لهذا الغرض ان يفتح في دوفر منفذ للماء في قبضة الانكليز. على انه من السهل بعدئذ تنظيف النفق من الماء بطلمبات خاصة معدة لذلك

وجميع الدلائل تشير اليوم الى ان هـذا النفق سيكون أول المشاريع الهندسية العظيمة التي تنجزها العالم بعد عودة المياه الى مجاريها

اغرب الجرائم التاريخية

المجرم تشارلس بيس

[الهلال] ننشر اليوم ثالث قصة في هذا الباب وهي تمتاز عن القصتين السابقتين بانها تشتمل على سيرة مجرم من اشهر المجرمين الذين عرفهم التاريخ وتبين تطور حياته في سبيل الاجرام

يعتقد بعض البحاث ان الاجرام داء في المجرمين كسائر الادواء العقلية أو الادواء التي تنتاب بعض الاعضاء الحيوية في الجسم فتعرقل وظيفتها أو تحلها. ويؤيد هذه النظرية ظهور افراد قليلين في بلاد راقية قوية النظامات والقوانين كانكلترا مثلاً يرتكبون الجرائم الفظيعة كلما تسنى لهم الاجرام ولا يتوبون حتى بعد مضي سني السجن الطويلة

وفي حياة تشارلس بيس المجرم العظيم درس وعبرة لمن يهتمون في درس العلل العقلية والاحوال النفسية من الوجهة القضائية على الخصوص وتفكهة للمطالع الذي يود أن يتنقل بين المفيد من المباحث والمفكه منها

١ — اوائل حياة تشارلس بيس

الغريب ان هذا المجرم لم يتسلسل من ابوين مجرمين فقد كان أبوه جون بيس فحاماً في بورتون — أن — ترنت . ولما فقدت احدى ساقيه اثر كارثة نزلت به انضم الى ملعب الحيوانات الضارية الذي في ادارة وومبول وما لبث ان اشتهر بصفة كونه خير مطوع للضواري . وفي اثناء ذلك تزوج في روثرهام ابنة جراح في البحرية . ولما مات ابنه الحبيب الذي لقنه اسرار فنه في تطويع الحيوانات اعتزل هذا الفن واقام في شفيلد واحترف صناعة عمل الاحذية

وفي شفيلد من عمالة يوركشير — التي اشتهرت حينئذ بحوادث الجرائم وظهر فيها المجرمان العظيمان جون تيرون وأوجين آرام — وُلد تشارلس بيس بطل هذه الترجمة في ١٤ مايو سنة ١٨٣٢ وهو أصغر بني جون بيس

أرسل تشارلس بيس الى مدرستين قرب شفيلد حيث اشتهر بين التلامذة باستنباط حيل والعاب مختلفة مثل صنع نماذج من الورق وتدريب القطط وصنع

« صندوق الدنيا » وهو صور موضوعة في صندوق مقفل ينظر فيه من ثقب ، وقذف كرة ثقيلة يتلقاها في حفرة جلدية مشدودة على جبهته الى غير ذلك من الغرائب

يقال أنه اذا انتابت بعض الناس نائبة قد تغير مجرى حياتهم . تُرَى كيف تكون حياة تشارلس پيس لو لم يصبه ما اصابه سنة ١٨٤٦ اذ دخل قضيب من الحديد المحمي في ساقه تحت الركبة (وكان اذ ذاك صانعاً في معمل) فقد بقي بعد ذلك ١٨ شهراً يعالج في المستشفى ولم يخرج الا وفي مشيته فرصعة . وفي اثناء ذلك مات أبوه

أما الحوادث والاحوال التي ساقت تشارلس الى اللصوصية ودفعته الى الاجرام فلا يعلم منها شيء . ولم يمكن التوصل الى اخبار جرائمه الاولى . على ان اول المعروف من جرائمه سرقة ساعة ذهبية من رجل شيخ وعلى أثر هذه السرقة التي عرف أمرها اندفع في الاجرام

في ٢٦ اكتوبر سنة ١٨٥١ وُجد منزل احدى السيدات مفتوحاً عنوة وكثير من اشيائها الثمينة مسروقاً . وقد وجد بعض هذه المسروقات مع تشارلس پيس فقبض عليه . على ان صاحب المعمل الذي كان يشتغل فيه تشارلس شهد خير شهادة بصدقه وبامانته فحكم عليه بالحبس شهراً واحداً فقط

وبعد خروجه من الحبس اولع بالموسيقى ونجح فيها حتى كان يلعب اللحن على وتر واحد من الكمنجة . فلعب حيناً في الملاهي ونحوها . ولكن الحياة الموسيقية كانت في نظره تقاعداً وكسلاً . بيد انه كان يتستر بالموسيقى لاجل اللصوصية ولهذا كان معروفاً في ذلك الوقت « بلص الدار » أي انه كان يدخل الى المنزل من بابه باسلوب شيطاني ويتطرق الى جميع دخائله . وفي سنة ١٨٥٤ كانت منازل الاغنياء والكبراء في شفيلد مزار اللصوص على هذا النحو الى أن قبض على پيس وعلى فتاة كانت ترافقه وعلى أخته ماري التي كانت لذلك العهد زوجة « نايل » . وفي ٢٠ اكتوبر سنة ١٨٥٤ حكم على پيس بالحبس اربع سنين مع الاشغال وعلى كل من هاتين المرأتين اللتين وجد عندهما بعض المسروقات بالحبس ستة أشهر

وكانت مسز نايل تقاسي كثيراً من سلوك زوجها وسوء معاملته لها وقد كان پيس يضربه عقاباً له على ذلك . وأخيراً أثار نايل على پيس كلباً ضخماً فامسك پيس بفك الكلب الاسفل وطواه . وفي سنة ١٨٥٩ ماتت هذه الاخت التي كانت عوناً للص فنظم پيس بيتين من الشعر عن لسانها تذكاراً لها

وفي سنة ١٨٥٨ خرج بيس من السجن فاعتنق الكمنجة ولكن لم تكن الكمنجة رفيقته الا للصوصية اذ تمادى فيها وتجاوزت حوادثه حدود بلده . ففي ١١ اوغسطس سنة ١٨٥٩ وجد منزل سيدة في منشستر مفتوحاً وقد سرقت منه بعض النفائس . ثم وجدت هذه النفائس مخبوءة في وكر في حقل قريب . فتركها البوليس هناك وتربص للسارق . الى ان جاء بيس وزميل له لاخذها فوثب عليهما أنفار البوليس المتربصون . وكاد بيس يقتل النفر الذي حاول القبض عليه ويفر لولا ان وافى نفر آخر للنجدة . وقد حكم على بيس في هذه الجريمة بحبس ست سنين مع الاشغال بالرغم من أن أمه المسنة جاءت من شفيلد لتشهد مقسمة انه كان عندها في الليلة التي حدثت فيها السرقة .

ولما أطلق سراحه من السجن سنة ١٨٦٤ عاد الى شفيلد فلم يتوفق الى الارتزاق فيها فعاد الى منشستر . وفي سنة ١٨٦٦ قبض عليه متلبساً بجريمة السرقة في منزل في « بروتون السفلى » . فاعترف أنه كان يترنح من فعل الوسكي والا كان القبض عليه متعذراً وخطراً . ولذلك عزم بيس ان يقلع عن الشرب لكيلا تعرقل الخمرة لصوصيته . وحكم عليه في هذه الجريمة بثمانية أعوام مع الاشغال .

وفي أثناء سجنه رام ان ينافس جاك شبرد في محاولة الفرار من السجن . فانتهز فرصة انشغاله في بعض الاشغال واختلس سلماً صغيرة وادخلها الى كنيسة في السجن . واصطنع من صفحة من التنك منشاراً فتح به كوة في سقف المكان . وماكاد يبلغ الى السطح حتى دخل خفير من خفراء السجن وما حاول الخفير ان يمسك السلم حتى رفسه بيس فوقع . ثم ركض بيس على جدار السجن وبسبب تقلقل بعض الآجر وقع في داخل السجن . ولكنه انسل الى منزل السجان حيث أبدل ملابسه وتربص نحو ساعة ونصف وهو يتوقع فرصة موافقة للفرار . ولكن هذه الفرصة لم تسنح له اذ قبضوا عليه في مخدع السجان فنقل الى سجن « مل بنك » ثم الى سجن « تشاثام » ثم الى سجن جبل طارق الى ان أطلق سراحه سنة ١٨٧٢ . ويقال انه كان شريك الذين تمردوا في سجن تشاثام .

عاد بيس الى عيلته في شفيلد وكان حينئذ زوجاً وأباً لانه في سنة ١٨٥٩ تزوج ارملة حناوارد وكان لهذه ابن يدعى وبلي . وعلى أثر زواجه رزق طفلة . وفي أثناء سجنه الرابع رزق غلاماً ولكنه لم ير الغلام اذ مات قبل خروجه من السجن .

ومن غرائب أمر هـذا الرجل انه نظم بيتين من الشعر يودع فيهما ابنه ويؤمل ان ينتظره في السماء ويرحب فيه وهو في حضن يسوع

قضى تشارلس بيس بعد ذلك ثلاث سنين يسترزق من صناعة تطويق الصور. وقد أظهر براعة فائقة في هذه الصناعة. وكان أولاده في شفيلد يحضرون مدرسة الاحد. وأما هو فمع انه لم يذهب الى الكنيسة كان يؤمن بالله وبوجود الشيطان. ولكنه كان يقول انه لا يخافهما

٢ — عشق تشارلس بيس

في سنة ١٨٧٥ انتقل بيس من شفيلد الى ضواحي دارنال. وهنا تعرف برجل يدعى ديصون وبزوجته. وكان ديصون مهندساً وقد قضى بضع سنين في اميركا حيث تزوج سنة ١٨٦٦. وفي أوائل ١٨٧٤ أتى من اميركا مع زوجه وتوظف في السكة الحديدية الشرقية الشمالية. وكان ممتازاً بطوله (نحو ٦ أقدام) ونحافته النادرة المثال بيد انه كان كريم الاخلاق. ثم ما لبث ان عزل من وظيفته بسبب عدم حضوره في المحطة في الموعد المعين. وقد عزي تغيبه هذا غير المنتظر الى حدوث قلاقل في بيته

فمنذ انتقل بيس الى دارنال سنة ١٨٧٥ لم يجد ديصون سلاماً في داره

فقد كان ذاك الرجيم صانع أطواق الصور على مقربة من منزله. وما لبث هذا الشيطان ان توصل الى صداقة آل ديصون عن يد عمل مختص بحرفته. ولا يعلم الى أي حد بلغت علاقته مع زوجة ديصون

أما مسز ديصون فكانت بديعة حسناء جذابة حالكة الشعر في نحو الخامسة والعشرين من العمر. وقد اعترف بيس قبيل تنفيذ الحكم بالموت فيه للقسيس الذي زاره في السجن ان مسز ديصون كانت خليلته. ولكن مسز ديصون أنكرت ذلك بتاتاً. على ان الامر الذي لا مشاحة فيه هو انه كان لهما صورة تصورا فيها معاً وان مسز ديصون قبلت منه خاتماً وأنه كان يذهب معها الى الملاهي والملاعب

زد على ذلك ان بيس عرَّف زوجته وابنته بمسز ديصون وأدخل هذه الى منزل أمه العجوز أيضاً. ولئن ندر ان يجتذب الرجال القبحاء النساء الجميلات فمن تلك النوادر وقوع مسز ديصون في حبائل هذا القبيح بيس. وقد كان هذا الداهية يحسن

المنازلة . وقد وصفته مسز ديصون بالرجيم الذي لا يستطيع شكسبير ان يصفه . وكان اذا فشل في مراودتها يبذل كل مكروه في تكدير صفاء السلم بينها وبين زوجها

والظاهر ان ديصون سئم هذه الحالة فاما انه لم يستطع قطع العلائق بين بس وزوجته او انه لم يستطع درء شر بس . لذلك في آخر يونيو سنة ١٨٧٦ رمى في حديقة جاره بطاقة كتب عليها « المطلوب من تشارلس بس ان لا يتداخل في شؤون عائلتي »

وفي اول يوليو التقى بس بمستر ديصون في الشارع وحاول أن يضربه . وفي ذلك المساء جاء الى زوجة ديصون اذ كانت تحادث بعض صواحبها وتهددها بكل خشونة وغلاظة قائلاً أنه سيسحق رأسها ورأس زوجها . وبناء على ذلك ابلغ ديصون الامر الى دائرة البوليس واستصدر منها انذاراً لبس . وتحايداً لعواقب الامر غادر بس دارنال الى « هل » حيث فتح مطعماً صغيراً تديره زوجته

ثم ذهب بس وحده الى منشستر حيث اجترم اول جريمة من جرائم القتل . وتحرير الخبر انه في اول اغسطس دخل الى دار رجل في والي رانج في منتصف الليل فرآه نفران من البوليس فتعرض احدهما الكونستابل كوك في سبيله وهو يحاول الفرار فاشار بس بمسدسه الى كوك أن يرتد على ان كوك لم يهب فتقدم اليه فما تردد بس في ان اطلق الرصاص غير مسدد اليه فتجنبه . فاصر كوك على أن يقبض عليه حتماً . ولما يئس بس اطلق الرصاص عليه لكي ينجو منه فقتله . فلما سمع زميل كوك الطلق أسرع لنجدته وقبل ان يصل الى حيث سقط زميله صريعاً كان بس قد تمكن من الفرار وعاد في تلك الليلة الى هل . وهناك عرف من الصحف ان التهمة وقعت على الاخوين جون ووليم هابرون القاطنين بالقرب من مكان الحادثة وانه قبض عليهما فسري عنه

على أن بس لم ينس انتخابه آل ديصون في دارنال اذ كان يتتبع اخبار الزوجين . ثم ما لبث أن رئي مرة متخلياً بمسز ديصون على مقربة من منزلها . ولكي يتخلص ديصون منه اضطر أن يبرح دارنال . فاتخذ منزلاً في بنكروس في احدى ضواحي شفيلد ونقل عائلته اليه في ٢٩ اكتوبر . وكان اول من رآه مسز ديصون في بنكروس بس نفسه فقال لها : « ترين اني هنا لكايدتكم . حيثما تذهبون اذهب لاقلقكم » وبعد مدة كان بس وصديق له في الشارع فالتقى بهما ديصون فرفع بس مسدسه وقال :

« ان اقترب ديصون مني اصرعه » على ان ديصون تجاوزه غير مكترث . والظاهر ان بِس حنق شديد الحنق على ديصون لاستصداره انذاراً له من دائرة البوليس حتى اضطره ان يهجر منزله بل موطنه

لم ينس بِس جريمته في منشستر وان تكن المقادير قد رفعت التهمة عنه والقتها على غيره . ولذلك تاق الى ان يحضر محاكمة ذينك المتهمين البريئين في محكمة الجنايات في منشستر برآسة القاضي لنولي (الذي اصبح بعدئذ لورداً) يوم الاثنين في ٢٧ نوفمبر . وقد برئ احدهما جون وحكم على الآخر وليم لمصادفة غريبة

وتحرير الخبر ان بعض الناس كانوا قد سمعوا كلاً من الاخوين يتوعد أن يقتل الكونستابل كوك . وكان كوك فتىً في الثالثة والعشرين من عمره مملوءاً حماسة . ولذلك استصدر انذاراً ضدهما في يوليو سنة ١٨٧٦ وكان هذان الاخوان قد اشتهرا بكونهما سكيرين ومزعجين . وفي ٢٧ يوليو غُرِّم وليم خمس شلنات . وفي اول أوغسطس يوم حدث مقتل كوك غرم جون نصف جنيه . كل ذلك بسبب كوك . وبين هذين التاريخين سمع هذان الاخوان يتوعدان كوك . ثم ان وليم سأل احد صناع البنادق عن ثمن حشو البندقية قبل حدوث القتل بيومين . ووجد مع وليم خرطوشتان في جيبه وكان قد اقسم أنه ليس معه شيء من ذلك . وشهد الكونستابل الآخر زميل كوك انه رأى نحو منتصف الليل شخصاً كامناً هناك يشبه وليم هابرون في القامة والسنة والسحنة . وزد على ذلك ان حذاء وليم الذي كان مبتلاً وملطخاً بالوحل حين قبض عليه طابق آثار الاقدام التي وجدت في مكان حدوث الجريمة . وقد عجز المتهم عن اثبات وجوده في مكان آخر حين حدثت الجريمة

على ان القاضي لم يقتنع تمام الاقتناع بهذه البراهين بل نبه المحلفين الى اضدادها فاشار الى أن شهادة الكونستابل الآخر لا تثبت أن الشخص الذي رآه هو نفس وليم هابرون وكذلك آثار الحذاء لا يؤكد انها آثار حذاء المتهم فضلاً عن انه لم يثبت أن هذه حدثت في ليلة القتل نفسها . ثم استلفت انظارهم الى أن اخلاق هابرون لا تنم عن حب سفك الدماء وأنه لما قبض عليه وهو في فراشه لم يوجد معه سلاح حتى ولا في منزله . ومع ذلك قرر المحلفون ادانته وعدم التماس الرفق به فحكم عليه القاضي بالموت من غير أن يذكر حيثيات الحكم . فاعترضت جريدة منشستر جارديان على هذا الحكم وفتحت باباً لمن يشاء أن يعترض عليه فوردت اليها عدة رسائل في هذا المعنى

وفي ٦ ديسمبر اجتمع نحو ٤٠ رجلاً من كرام الناس ورفعوا عريضة الى المستر كروس وزير الداخلية كي يراجع الحكم . وقبل يومين من موعد التنفيذ أجل التنفيذ ثم عدل الحكم فجعل الحبس المؤبد

أما صاحبنا يس فاذنت له حضور المحاكمة اذ جيء من هل الى منشستر خصيصاً لهذا الغرض ولازم المحكمة مدة يومي المحاكمة فلم تفته شاردة ولا واردة . وما سمع النطق بالحكم على وليم هابرون بالموت حتى عاد الى شفيلد وهو يعلم انه مجترم جريمة قتل مزدوجة

٣ — مقتل ديصون

على أثر ذلك أي في ٢٨ نوفمبر التقى يس بزوجة ديصون في حانة في ضاحية شفيلد . وفي اليوم التالي كان في شفيلد بحجة حضور الموسم المعتاد في ذلك الحين وقد صرف بعد الظهر في مكان عمومي في الكسال قرب بنزكروس يعزف على آلة موسيقية من اختراعه . وكان جزاؤه على ذلك الشرب مجاناً فقضى معظم بعد الظهر يعزف ويشرب حتى سكر

ونحو الساعة السادسة من ذلك المساء دخل في زي رجل حقير على قسيس الكسال المستر نيومان يريد مخاطبته في أمر . وكان قد زاره منذ خمسة اسابيع وروى له حكاية فطلب القسيس منه اثبات صحة هذه الحكاية . ولذا جاء لكي يقدم له البرهان وهو مجموعة بطاقات زيارة وصور فوتوغرافية وبعض البطاقات مكتوب بخط زوجة ديصون وفيها ما يدل على علاقتها مع يس . وقال ان ديصون أصبح غيوراً منه وانه اشار على مسز ديصون ان يفعلا ما يجعل ديصون غيوراً . وبناء على ذلك تقوت الصداقة بين يس وزوجة ديصون . واشار يس الى مسامحته لها ولكن غضبه على ديصون نفسه كان متجاوز الحد . وشكا من استصدار ديصون الانذار ضده لان هذا الانذار اضطره أن يخرب بيته ويصبح طريداً في الارض . وقال انه مضطر أن يتبع آل ديصون أينما ذهبوا وهو يعتقد انهم على اهبة أن يأتوا اموراً اخرى ضده . وقبل ان يبرح يس من عند القسيس قال انه لن يذهب في تلك الليلة لبرى آل ديصون بل سيزور صديقاً له يدعى جريجوري جار ديصون في بنزكروس . وكان خروجه من عند القسيس الساعة السادسة و٤٥ دقيقة

ذهب پس الى صديقه جريجوري فلم يجده . ولكنه لم يستطع صبراً على آل ديصون فبقي حائماً هناك حتى الساعة الثانية فرأى مسز ديصون قد خرجت من الباب الخلفي ومشت حتى دخلت الى منزل آخر من منازل الجيران . فتربص لها حتى خرجت من هذا المنزل واعترض في سبيلها قائلاً : « من ؟ تكلمي . والا اطلقت الرصاص » . فرتاعت المرأة وهرعت راجعة الى منزل الجيران . عند ذلك سمع ديصون الكلام فخرج . فتقهقر پس من امامه فتبعه ذاك فاطلق پس الرصاص فطاش . وبقي ديصون يتبعه فاطلق پس الرصاص ثانية فاصاب صدغه وجندله . عند ذاك خرجت مسز ديصون وولولت : « قتله . قتله . قتلته يا شرير . قتلت زوجي » وبعد ساعتين مات ديصون

أما پس فاسرع الى أن بلغ الطريق العام وتربص في مكان الى أن استوعب صراخ مسز ديصون وادرك أن نتيجة عمله خطرة جداً . فعبر الطريق وفرَّ لبلدته الى شفيلد . وهناك دخل على أمه واخيه واخبرهم أنه قتل ديصون وودعهم مستعجلاً وذهب الى المحطة واخذ تذكرة الى يثرلي . وفيما هو في القطار خطر له أن بائع التذاكر في المحطة انتبه فيه فعدل عن السفر الى يثرلي وخرج من القطار في نورمنتون وذهب الى يورك . وقضى بقية الليل في محطة يورك وفي الصباح اخذ القطار الاول الى يثرلي ومنه من هناك عن طريق كولنهام الى هل وذهب تواً الى مطعم زوجته وأكل عندها . وما شرع يأكل حتى سمع جاسوسين يسألان زوجته لما اذا كان رجل يدعى تشارلس پس يسكن عندها . فقالت انه زوجها ولكنها منذ شهرين لم تعلم عنه شيئاً . فطلب الجاسوسان تفتيش المنزل . على ان بعض الزبائن قالوا للجاسوسين انه اذا كان لهما شغل مع مسز پس يجب أن يدخلا معها من الباب الآخر . وكان هؤلاء الزبائن خدموا پس فانتهز هذه الفرصة ودخل الى الغرفة الخلفية وفرَّ منها الى السطح واختبأ وراء المدخنة الى أن فرغ الجاسوسان من البحث الدقيق . وهكذا عاد الجاسوسان فشلين وبقي پس في هل نحو ثلاثة اسابيع فحلق اللحية الشائبة التي كانت له في حين قتل ديصون وصبغ شعر رأسه ووضع على انفه نظارة وشوه وجهه بعض التشويه لكي يتعذر تنكره . على ان البحث عنه لم ينقطع وجعلت الحكومة ثمناً لرأسه ١٠٠ جنيه جائزة لمن يقبض عليه أو يرشد اليه . وقد تم وصفه كما يأتي : —

« مطلوب تشارلس بيس المتهم بارتكاب جريمة القتل في ليل ٢٩ الجاري . فهو نحيف ولكنه مفتول العضل عمره من ٥٥ الى ٦٠ أشيب الشعر واللحية والشاربين . ٣ أصابع في يسراه معطلة . يمشي وساقاه منفرجتان قليلاً . يتكلم كأن لسانه كبير عن فمه . شديد الاعتداد بنفسه . وهو يصنع اطواق صور وأحياناً ينظف الساعات ويصلحها . وقد كان سجيناً في منشستر بجريمة اللصوصية وقطن في منشستر وسالفورد وليفربول وهل »

وبعد حين تنقح هذا الوصف قليلاً وجعل العمر ٤٦ سنة . والحقيقة ان عمره كان حينئذ ٤٤ بيد انه كان يتراءى اكبر سناً. وقد فقد بيس احد اصابعه . والراجح انه فقده عرضاً برصاصة من مسدسه ولكنه قال انه أصيب برصاصة من يد آخر . على انه أخفى هذا العيب باصطناع يد من الكوتابرخا كان يدخل يده في فراغها وقد جعل مكان الاصبع المفقود قطعة من الحديد معقوفة قليلاً بحيث يستطيع ان يمسك بها ما يروم

وشعر بيس أن بقاءه في هل يعرضه للخطر . ففي اواخر سنة ١٨٧٦ غادر هل الى دونكاستر ومن ثمّ برح الى لندن . ولما بلغ كنغ كروس ركب السكة الحديدية النفقية (تحت الارض) الى بادنغتون ومن ثمّ ركب السكة الحديدية الى برستول . وفي اوائل يناير غادر برستول الى باث ومن باث رافق ضابطاً من ضباط البوليس برتبة سارجنت الى اوكسفورد عن طريق ديدكوت . وكان مع ذلك الضابط مراقٍ متهمة باختلاس ٤٠ جنيهاً فكان بيس والضابط يتباحثان في أمر هذه السرقة. ولما روى بيس هذه الحادثة قال : « الحق ان ذلك السرجنت كان حاذقاً ولكنه لم يكن حاذقاً كفاية الى حد ان يعرفني » . ثم برح اوكسفورد الى برمنغهام حيث أقام ٤ أو ٥ ايام ثم قضى نحو اسبوع في دربي وفي التاسع من يناير وصل الى نوتنغهام

٤ — بيس وخليلته

هنا وجد بيس مقراً موافقاً له في منزل امرأة تدعى مسز آدمسون كان دأبها ان تستلم أمتعة مسروقة من بعض اللصوص الذين يسرقونها في ظروف واحوال تبعد الشبهة عنهم وعنها . وكانت تقطن في القسم الاسفل من المدينة — القسم الذي يسمى مارش . وفي منزلها التقى بيس بالمرأة التي أصبحت بعدئذ خليلته ولعبت دوراً خطيراً

في حياته الى ان سلمته أخيراً للبوليس . وكانت تدعى سوسان جراي

وقد كانت في ذلك الحين في نحو الخامسة والثلاثين من العمر . وكانت جميلة وعلى شيء من العلم والمعرفة . وكانت متزوجة برجل يدعى بابلي بيد أنها لم تكن موفقة معه فهجرته . وقد كانت تأخذ منه معاشاً الى أن أصبحت في عهدة پيس

في بدء الامر قدم پيس نفسه الى مسز بابلي كرجل كريم شريف . ولكن ما لبث ان فضح نفسه وكشف عن حقيقته لها باعتبار انه لص . وقد اباح پيس بغرامه لمسز بابلي وتهددها بأن يقتلها اذا لم تكن خليلته . فنصحت لها صديقاتها أن تلاطف پيس تحامياً لشره . وفيما كان پيس تحت فعل الوسكي سأل المرأة أن كانت غير مسرورة بعشرته فاجابت : « كيف لا . اني احبك كثيراً » . وفي اليوم التالي اعتذر پيس لمسز بابلي عن مخاشنته لها في الليلة السابقة . ومنذ ذلك الحين اصبحت خليلته واغفلت اسم بابلي واصبحت مسز تومبسون

وقد تنوعت ملذات الحياة في نوتنغهام بتعدد حوادث اللصوصية التي كانت تمهد لها السبيل اخبار مسز آدمسون ومعلوماتها . وفي سنة ١٨٧٧ كاد پيس ينفضح ولكنه نجا بحيلة شيطانية وبمساعدة مسدسه . وفي الحال انتقل الى هل

وفي هل اتخذ هذا المجرم الذي كان ينشده البوليس والذي جعل ثمن رأسه ١٠٠ جنيه — اتخذ له ولرفيقته مسز تومبسون مسكناً في منزل موظف في البوليس برتبة سرجنت . وفي ذات يوم ورد الى مسز پيس التي ما زالت في مطعمها في هل مذكرة مخطوطة بقلم رصاص يقول فيها كاتبها : « اني انتظرك في طريق أنلابي » فذهبت مع ابنها وبلي الى المكان المعين ولدهشتهما وجدا پيس ينتظر وقد تغير شكله وزيه فكان في ثوب أسود وقبعة مرتفعة وصدرة مخملية وعصا وقفازين من الجلد والى جانبه كلب جميل . فاخبرها عن مكانه في المدينة ولكنه لم يخبرها عن خليلته

وقد افهم پيس السرجنت الذي سكن عنده انه وكيل محل . على ان تكرار حوادث السرقة في البيوت المالية ومنازل الاغنياء والكبراء نبه الجمهور الى وجود لص غير اعتيادي في البلد . وكاد پيس غير مرة يقع في يد القضاء وانما كان مسدسه ينقذه . واخيراً بعد مجازفات كثيرة عاد مع مسز تومبسون الى نوتنغهام

وفي نوتنغهام وجد پيس جائزة ٥٠ جنيهاً معروضة على من يتوفق الى القبض عليه . وفي احدى الحوادث دخل البوليس الى الغرفة التي كان يقطنها

يس وخليلته حين كان في السرير . وبعد ان اعتذر احد رجال البوليس لمسز ملي أو تومبسون عن دخولهم في تلك الحال سأل يس عن اسمه . فاجاب ان اسمه جون وارد ووصف نفسه بانه صانع نظارات . ورفض ان ينهض ويرتدي ثوبه في حضرة رجال البوليس السريين فاضطروا ان ينزلوا الى الطبقة السفلى وينتظروه ريثما يفرغ من ارتداء ملابسه . فاغتنم يس هذه الفرصة وانسل من المنزل وغادر البلدة الى بلدة اخرى . ومن هناك ارسل رسالة الى مسز تومبسون يلح عليها في ان تأتي اليه . ثم غادر نوتنغهام وزار هل برهة قصيرة . ولما رأى ان البوليس لا يزال يتردد الى مطعم زوجته قال ضاحكا ان هؤلاء الشرطة اغبياء . فقرر ان يغادر شمالي البلاد مغادرة نهائية ويجدد حياة اهدأ وأرحب في لندن

وفي الجزء القادم نأتي على حياته الغريبة في لندن

جمال الهاجر

يا مصلي القلب ناراً لا خمود لها ... مني اليك مدى الايام تحنان
نفسي فداؤك أنى شئت تطلبها ... وغاية النفس شعر منك رنان
يا من يزيد شجوني كلما سكنت ... هي أساة آمالي منك غفران ،
أذقتني الكأس بالهجران مترعة ... حتى غدوت وقلبي منك نشوان
خل الحقود لباغي الظلم يضمرها ... فكل من حمل الاضغان شيطان
غداً أموت وقلبي هائم بكمُ ... وذكرة الموت اشجان واشجان
انعش رجائي وهبني منك مغفرة ... يا من يحدث ان العفو ايمان
خُلقت للناس تمثالا لخالقهم ... لا عيب فيك ولا يعروك نقصان
عيناك عيناك لا تغمضهما ابداً ... وانت في الحب غفار ورحمان
لو كان للحسن ملكاً كنت حاكمه ... تفنى الحسان ولا تفنيك ازمان
بعض النفوس نفوس لا خلاق لها ... واكثر الناس مفتون وولهان
يا طالب الحسن لا يعجبك رونقه ... (كم في الحسان حقير النفس خوان)
الحسن في النفس لا في الوجه تبصره ... والحسن في الغيد أصباغ وألوان
يا حالماً بالهوى تشكو مرارته ... هون عليك فما في الغيد خلصان

اسكندرية ... امينه عباس

اغرب صفحات التاريخ الاسلامي

صور من حياة المسلمين ابان تمدينهم

العمران والازدحام

أتينا في مقالتنا الماضية على صور من حياة المسلمين رأينا فيها ما بلغته مدنهم من الحضارة والنظام والعمران ابان تمدينهم حتى ان بعض هذه المدن قد بلغ من عمرانها ان جعلت المنازل فيها عدة طبقات فكانت منازل الفسطاط ست طبقات أو سبعاً يسكن في كل منزل منها مائتان من الناس كاحدث العمارات في القاهرة وغيرها الآن . هذا فضلاً عما كانت عليه هذه المدن من أحدث الانظمة المعروفة اليوم كالاحواض لشرب الدواب والاضاءة والكنس والرش وغيرها . ونريد الآن ان نأتي على ما يمثل مبلغ العمران والازدحام في تلك المدن ، وليس أدل على ذلك من كلام الغرباء القادمين عليها من الانحاء المختلفة ، فان ما ينطقون به عند مشاهدتها هو أبلغ وصف لها . فلندخل القاهرة مثلاً مع من دخلها صحبة قاضي القضاة عماد الدين احمد الكركي قادمين معه من الكرك سنة ٧٩٢ هـ لنسمع ما نطقوا به عند دخولها وأسروه للمقريزي المؤرخ الثقة الكبير . فقد قال : حدثني غير واحد منهم « انهم كادوا يذهلون عند مشاهدة بين القصرين [1] » ، وقال ابنه (ابن قاضي القضاة المذكور) محب الدين محمد : « أن أول ما شاهدت بين القصرين حسبت ان زفة أو جنازة كبيرة تمر من هنالك فلما لم ينقطع المارة سألت ما بال الناس مجتمعين للمرور من هنا فقيل لي هذا دأب البلد دائماً »

قاعدتهم في السير مع الزحام

فماذا كانت قاعدتهم في السير مع هذا الزحام الهائل ؟ كانت لهم قاعدة تخالف ما هو معروف عندنا اليوم اذ كانوا يتبعون في سيرهم صوب الشمال فكانوا يتدفقون في صفين كالبنيان المرصوص كل صف يتحرك بنظام صوب شماله ، وكان يجد من

(١) خط بين القصرين جهة النحاسين الآن

يجهل هذا النظام في الازدحام كل مشقة في السير كما روى المقريزي في تتمة الكلام الماضي قال : « وما برحت أجد من الازدحام مشقة حتى أفادني بعض من أدركت أن من الرأي في المشي ان يأخذ الانسان في مشيه نحو شماله فانه لا يجد مشقة كما يجد غيره من الزحام . فاعتبرت ذلك آلاف مرات في عدة سنين فما أخطأ معي ، ولقد كنت اكثر من تأمل المارة بين القصرين فاذا هم صفان كل صف يمر من صوب شماله كالسيل اذا اندفع » وهذا عكس نظامنا اليوم في السير واتباعنا فيه صوب اليمين كما هي العادة في معظم الاقطار

وقد عللوا نظام اتجاههم في السير هذا واتباعهم صوب الشمال بتعليل يشبه تعليل الافرنج لنظام اتجاه السطور في الكتابة عندهم ، قال المقريزي : « وعلل هذا الذي أفادني ان القلب من يسار كل أحد والناس تميل الى جهة قلوبهم فلذلك صار مشيهم من صوب شمائلهم وكذا صح لي مع طول الاعتياد [1] »

ويعلل أهل أوربا كتابتهم من اليسار بان الدورة الدموية تبتدئ من القلب الموجود في الجهة اليسرى والقلب في بعض الروايات مركز العقل فيجب أن تكون الكتابة من الجهة المقابلة للعقل الذي يستمد منه البنان فلذلك يكتبون من اليسار الى اليمين[2] كما يقولون ، ولذلك ايضاً صار الناس في عصور الحضارة الاسلامية من صوب شمائلهم لميلهم الى جهة قلوبهم كما يقول المقريزي

أما العرب والسريان وغيرهم من الامم السامية فانهم يخالفون احفادهم في اتجاه سيرهم والافرنج في اتجاه كتابتهم ويوافقون عوائدنا اليوم في السير فيعللون اتجاه كتابتهم من اليمين الى اليسار بقولهم أن الطبيعة قضت بان الانسان لا يعمل شيئاً الا بيده اليمنى كما انه لا ينتقل من جهة الى أخرى الا بالرجل اليمنى ، وانه يكون آخذاً في اتجاهها على سير الفلك من المشرق الى المغرب (المشرق عندهم يمين الفلك ويقال له مأخذ كَوْرِيّ » ولأن في هذا الاتجاه الاستمداد من الكبد في القلب[3]

فانظر في هذا وتدبر اختلاف عوائد الناس في السير والكتابة باختلاف العصور والازمنة والبلاد

(١) الخطط للمقريزي ص ٢٩ ج ٢ (٢) انتشار الخط العربي ص ٣٠
(٣) صبح الاعشى ص ٢١ ج ٣

وكل ما تقدم من وصف الازدحام في شوارع القاهرة بين القصرين والحسينية وغيرها كما يقول المقريزي [1] هو مثال لما بلغته المدن الكبيرة العربية في عهد حضارتها الزاهية من العمران وتزاحم الناس فيها . وقس على ذلك القول في بغداد ودمشق وقرطبة وغرناطة وغيرها من العواصم في الشرق والغرب

الميادين المتسعة

بل ان الذي يقرأ وصف المقريزي لهذا الازدحام « بانه كالسيل اذا اندفع ، وان حركة المارة هذه لا تنقطع وان هذا دأب البلد دائماً » لا يجد أي فرق بينه وبين وصف الازدحام اليوم في اكبر شوارع لندن وباريس ونيويورك والقاهرة وغيرها. على ان هذا الازدحام كان في شوارع وميادين رحبة . فخط بين القصرين هذا كان في الدولة الفاطمية مراحاً واسعاً يقف فيه ١٠٠٠٠ عسكري ما بين فارس وراجل كالرميلة في ايام المقريزي . ثم صار في الدولة الايوبية سوقاً عظيمة فيها ما تشتهي الانفس وتقر به الاعين مما فيه لذة للحواس الخمس . قال المقريزي : « وسأتلو عليك من انباء ذلك ما لا تجده مجموعاً في كتاب » ولا غرو فكلامه هذا يدل على ما كان في القاهرة من مظاهر الحضارة ومنها الميادين الفسيحة المتسعة [2]

الاندية عند العرب

الاندية مجامع يختلف اليها اناس متماثلون في طبقاتهم ويكونون في الغالب من الطبقات الراقية المستنيرة فيجتمعون للعب والتسلية والتحدث وقراءة الصحف وغير ذلك . وقد تعددت الاندية في هذا العصر بتعدد المقاصد والاغراض ، فمنها السياسي والعلمي ومنها اندية الرياضة البدنية واندية اللعب والشرب ، وهناك اندية غريبة كاندية العزاب والممتنعين عن التدخين والشراب ، واندية طالبات الزواج على مثال نادي اليابان الذي يتم بواسطته كل اسبوع مئتا قران

وقد يظن المطلع على ما تقدم ان الاندية من ثمار التمدن الحديث وان العرب لم يكن عندهم مثلها . على أن من يمعن النظر في التاريخ الاسلامي ويتتبع بدقة ما كتبه مؤرخو العرب يتبين له عكس ذلك وانه كانت لهم اندية شبيهة بالاندية الحديثة لم

(١) انظر الخطط ص ٢٣ و ٢٩ ج ٢ (٢) الخطط ص ٢٨ و ١٩٧ ج ٢

نشأت في هذا العصر واقتبسناها من التمدين الغربي ـ ولا جديد تحت الشمس

فقد كان عند العرب على اختلاف العصور والدول أندية مختلفة الاغراض والضروب بين علمية وأدبية وسياسية ورياضية ولا سيما ما كان يقصد منها رفع الادب والفنون كاندية الغناء وغيره فهي قديمة في تاريخهم نشأت مما كان معروفاً عندهم من قبيل مجالس الادب واسواقها في الجاهلية والاسلام ، فكانت في بادئ أمرها مجتمعات بسيطة انتظمت مع الزمن وصارت لها اماكن خاصة

فمن انديتهم السياسية في الجاهلية « دار الندوة » وكانت خاصة باشراف قريش يجتمعون فيها للمشاورة في احوالهم السياسية والاجتماعية كما كانت الجوامع والمدارس اندية في الاسلام يتفاوض فيها اهله في شؤونهم المختلفة

وفي صدر الاسلام نشأت الاندية العديدة وانتشرت ، فمن ذلك ناد للغناء بمكة كان يجتمع اليه المغنون كل جمعة ويتناقضون فيه . قال ابو الفرج الاصفهاني في الاغاني عند كلامه على ابن سريج المغني ومعارضة الغريض له : « وكانت بعض اطراف مكة دار يأتيانها في كل جمعة ويجتمع بها ناس كثير فيوضع لكل واحد منهما كرسي يجلس عليه ثم يتناقضان الغناء ويترادّانه »(١)

بل الاغرب من ذلك انه كان عندهم في ذلك العصر ناد شبيه بأندية اليوم تماماً للهو واللعب والمطالعة والتسلية فكانت فيه انواع الالعاب من شطرنجات ونردات ودفاتر من كل علم . قال صاحب الاغاني : « كان عبد الحكم بن عمرو بن عبد الله ابن صفوان الجمحي قد اتخذ بيتاً فجعل فيه شطرنجات ونردات وقرقات ودفاتر فيها من كل علم وجعل في الدار اوتاداً فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جرّ دفتراً فقرأه أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم » الخ (٢)

فترى من كلامه انه كان نادياً راقياً يقصد منه الفائدة والتسلية وقد ذكر انه كان يجتمع اليه امثال الاحوص الشاعر والابجر المغني وغيرهما من رجال الادب والفنون

وفي ابان التمدين الاسلامي أزهرت النوادي فكانت معاهد راقية تماثل الاندية الحديثة فكان المتماثلون في كل طبقة يجتمعون في أماكن وحلقات خاصة بهم فمنهم من يجتمع للمباحثة في علم كاخوان الصفا ومن يروي عنهم التوحيدي في مقابساته وكانوا من

(١) الاغاني ج ١ ص ١٠٨ (٢) الاغاني ج ٤ ص ٥٢

نحل مختلفة ولم تمنعهم مذاهبهم في تلك العصور من الاجماع على مقصد . وكان الشراب الذي يتعاطونه في الاكثر نبيذ التمر فيجتمعون لتعاطيه كما يجتمع أهل الاندية الحديثة على القهوة والشاي والمشروبات والمرطبات ، فيغذون باجتماعهم أرواحهم كما يغذون بما يتعاطونه أجسامهم . وما كانت الطبقة العليا من أهل الشرف والعلم والفقه ترى من الفضاضة ان ترفع أصواتها بالغناء أو تأخذ بالعزف والايقاع في مجالسها وأنديتها

وهناك أندية كثيرة في العصور الاسلامية المختلفة كنادي الوزير المهلبي الذي حكى عنه صاحب يتيمة الدهر فكان يجتمع اليه من القضاة كالقاضي التنوخي وغيره في الاسبوع ليلتين وما منهم الا طويل اللحية أيضها وكذلك كان الوزير المهلبي . ومما كان يجري في ناديهم من الدعابة والظرف انه اذا تكامل الانس وطاب المجلس ولذ السمع وأخذ الطرب منهم مأخذه وضع في يد كل واحد منهم كأس ذهب مملوءة شراباً قطربلياً أو عكبرياً فيغمس لحيته فيه ويرش بها بعضهم البعض ويرقصون أجمعهم (كذا) وعليهم المصبغات ومخانق البرم والمنثور، واياهم عنى السري بقوله :

مجالس ترقص القضاة بها اذا انتشوا في مخانق البرم

وصاحب يخلط المجون لنا بشيمة حلوة من الشيم

تخضب بالراح شيبه عنتاً أنامل مثل حمرة العنم

حتى تخال العيون شيبته شيبة فعلان مزجت بدم

فاذا أصبحوا عادوا لعادتهم في التوقر والتحفظ بابهة القضاء وحشمة المشايخ الكبراء [1]

وكذلك نادي الوزير ابن الفرات الذي حكى لنا عنه الصابي في كتابه تاريخ الوزراء وغيره من الاندية الكثيرة التي يضيق المقام عن بيانها الآن وقد ملئت بذكرها كتب الادب كالاغاني والعقد الفريد ويتيمة الدهر ونفح الطيب وغيرها من الاسفار الطافحة باحاديث أهل هذه الاندية والمجالس النامة عن ذوقهم ومدنيتهم وتفننهم في مذاهب اللذائذ والانس وتقلبهم في أعطاف الدعة وحسن العشرة وجمال العهد

ع . عبادة

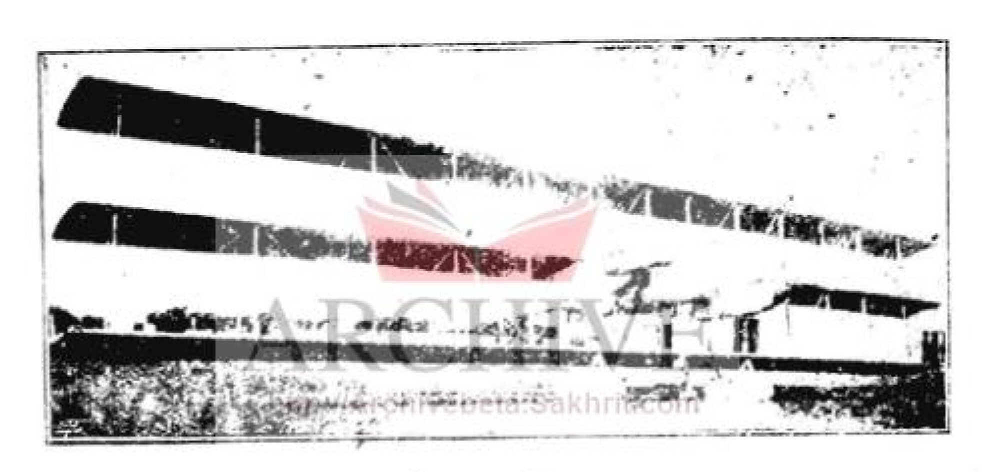
---

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ص ١٠٦ و ١٠٧ ج ٢

النقل الهوائي

بناء طيارات هائلة تقطع المحيط الاطلانطيكي

منذ نحو سنة القى كاتب هذه السطور محاضرة موضوعها « العام المقبل » ذكر فيها بعض الانقلابات التي ستلحق أحوال البشر في السنين الآتية . وكان من جملة ذلك بحث في مستقبل الطيران وما سيكون له من التأثير في تبديل عاداتنا وتغير تصوراتنا . وهاك بعض ما ورد في تلك المحاضرة :



طيارة كابروني ذات ثلاثة اسطح

« وسيعم استخدام الطيران وينتشر انتشاراً عجيباً فيمتلئ الجو بالطيارات على أشكالها بين رائحة وغادية وبين صاعدة وهابطة فينتقل بها البريد والمسافرون والبضائع بل سوف نصبح ـ بدلاً من التنزه في عربة أو أوتوموبيل ـ نركب الطيارة على أمون الطرق وربما تمكن كل واحد من تسيير طيارته بنفسه . والارجح اذ ذاك ان نجعل للمنازل أبواب في السقوف ليهبط عليها الطيارون »

على ان بعض مستمعي تلك المحاضرة لم يتمالكوا عن اظهار دهشتهم لدى سماع تلك النبوءات المخالفة لما ألفوه فان من الصعب على الانسان ان يقبل فكرة تناقض مألوفه . ولكن تقدم الطيران العجيب كان كفيلاً بتحقيق نبوءة الامس في فترة قصيرة جداً ـ أقصر بكثير مما توقعه أجرأ المتنبئين

أجل ان أوهام الامس أصبحت حقائق اليوم . ولله درمن قال ان مهمة المخترعين تحقيق المستحيل — أو ما يعد مستحيلاً . وهذا القول ينطبق على الطيران بوجه خاص فقبل اختراع الطيارات بيّن غير عالم من العلماء بحسابات وبراهين عديدة ان الطيران الميكانيكي — أي ارتفاع آلة أثقل من الهواء عن سطح الارض — من المستحيلات العلمية . فلما طارت الطيارات قالوا ان فوائدها ستبقى محصورة وانه لن يأتي يوم تبنى فيه طيارات كبيرة تنفع للنقل التجاري — أي لنقل الناس والبريد والبضائع — على شكل منتظم مضمون

الطيارة الانكليزية الجديدة

ويؤخذ مما نشرته الجرائد الانكليزية اخيراً من المقالات والخطب ان في النية وصل أطراف الامبراطورية البريطانية بخطوط هوائية يكون مركزها وملتقاها جميعاً مدينة القاهرة . ولذا سوف يزيد شأن القطر المصري من هذا القبيل لتوسطه بين الاقطار الانكليزية . ولعل أهم الخطوط الهوائية ستكون تلك التي تصل مصر بالهند (ومنها الى استراليا) وبمستعمرة الكاب . وقد علمنا أخيراً أن طياراً انكليزياً سافر الى الهند على طيارة من طراز هندلي بيج قادماً من لندن . وتقدر المدة التي تستغرقها هذه السفرة اذا تمت في الاحوال المعتادة بنحو ٣ أيام (المسافة ٦٠٠٠ ميل) . أما المسافة من مصر الى رأس الرجاء الصالح (٥٣٠٠ ميل) فتقطع في ٥٣ ساعة بواقع مئة ميل في الساعة — وهي سرعة معتدلة بالنظر الى تقدم فن الطيران اليوم . وعلى

هذا القياس يمكن السفر من لندن الى الاستانة (١٦٠٠ ميل) في ١٦ ساعة فقط وقس على ذلك

ولا يخفى ان انجاز هذا المشروع يقتضي بناء محطات للطيارات في مسافات معلومة . وتقدر قيمة بناء المحطة الواحدة بنحو ٦٠٠٠٠ جنيه انكليزي

على ان الانظار متجهة الآن في القطرين الانكليزي والاميركي الى قطع المحيط الاطلانطيكي بالطيارات . ويظهر من مطالعة الجرائد الانكليزية والاميركية أن بين طياري الشعبين تنافساً على السبق في هذا المضمار . ويتوقع كثيرون من الواقفين على حقيقة الحال ان تتم هذه السفرة في اواخر الربيع القادم او اوائل الصيف . والارجح ان تجعل جزر ازورس (تجاه اسبانيا) محطة يستريح فيها الطيارون (والمسافة بين نيويورك وتلك الجزر ٢٢٥٠ ميلاً في حين أن المسافة بين الشاطئين الانكليزي والاميركي تزيد على ٣٢٠٠ ميل)

ولا يخفى ان جريدة الديلي ميل الشهيرة عينت منذ بضع سنوات جائزة قدرها ١٠٠٠٠ جنيه لاول من يقطع المحيط بالطيارة . ومن ذلك الحين فكر كثيرون من الطيارين في هذا الامر وفي مقدمتهم كرتيس الاميركي الذي بنى لهذا الغرض طيارة كبيرة سماها « اميركا » عدت من العجائب في حينها اما اليوم فقد اصبح لدى الدول العظمى مئات من الطيارات الكبيرة التي تفوق تلك الطيارة في الحجم والقوة

وقد تم كل ذلك في مدة الحرب فان صانعي الطيارات لم يعنوا قبل الحرب الا ببناء الطيارات الصغيرة — ما عدا طياراً روسياً اسمه سيكورسكي بنى طيارة كبيرة ارتاب الكثيرون من فائدتها . بل في اول زمن الحرب كان الطلب مقصوراً على الطيارات الصغيرة السريعة . ولكن المتحاربين ما لبثوا ان شعروا بالحاجة الى طيارات كبيرة الحجم تستطيع ان تحمل قدراً غير يسير من القنابل والمتفجرات . وقد كانت المانيا البادئة في هذا المضمار فانها لما وجدت ان مناطيد تسبلن لم تقم بوظيفتها حق القيام شرعت تبني طيارات كبيرة من طراز « غوتا » وغيره لالقاء القنابل على المدن الانكليزية . ثم بنت ايطاليا طيارات من طراز « كابروني » ذات سطحين وذات ثلاثة اسطح لالقاء القنابل على المعسكرات النمسوية . ثم بنت انكلترا طيارات « هندلي پيج » للثأر من الالمان . ولم تظهر فرنسا رغبة في بناء الطيارات الكبيرة . واخيراً قامت الولايات المتحدة تبني طيارات عظيمة الحجم على طرازي « هندلي پيج » و« كابروني »

ومما ساعد على تقدم الطيران حرب الغواصات فقد استدعت مقاومتها بناء طيارات تستطيع البقاء طويلاً في الهواء وحمل مقادير من القنابل والمهمات وقد بنت انكلترا عدة طيارات خاصة لهذا الغرض من طراز « اميركا » المتقدم مع بعض التحسينات

وآخر ما نشر خبره من تقدم الطيران في هذا الباب خبر الطيارة الكبيرة التي بنتها وزارة البحرية الاميركية واسمها الرسمي N. C. 1 . فقد طارت هذه الطيارة اخيراً حاملة ٥٠ راكباً . وتقدر حمولتها بخمسة اطنان اما طول اجنحتها فهو ١٢٦ قدماً والمسافة من مقدمها الى مؤخرها ٧٠ قدماً (انظر الصورة)

فهذه الطيارة اذا لم تلق معاكسة غير معتادة من الجو تستطيع قطع المحيط الاطلانطيكي . وهي مبنية بناء متيناً وفي امكانها الهبوط على سطح الماء عند الاقتضاء وهو ما يميزها على الطيارات التي لاتستطيع الهبوط الا على اليابسة

على انه مع عظم الطيارة المتقدم وصفها يتعذر القول بانها اعظم طيارة في العالم فان كابروني الايطالي المذكور سالفاً قد شرع اخيراً في بناء طيارة كبيرة ذات ثلاثة اسطح ستكون حمولتها سبعة اطنان وقوتها ١٨٠٠ حصان

هذا غير الطيارات الانكليزية من طراز « هندلي بيج » التي تبنيها الحكومة الانكليزية وغير الطيارات الالمانية التي من هذا القبيل

وجملة القول ان جميع الدول مهتمة ببناء الطيارات الكبيرة الحجم . فقد ثبت لديها ان لتلك الطيارات دون سواها فائدة من الوجهة التجارية . ولن تمضي اشهر كثيرة حتى يتحقق حلم الطيارين بقطع الاطلانطيكي في الهواء

وقد حسب احدهم انه لو تألفت شركة تبني ست طيارات كبيرة وتسيرها بانتظام بين الشاطئين الاميركي والانكليزي لا تلبث أن تربح نحو ٧٠٠٠٠٠ جنيه في السنة على افتراض أن كل طيارة تقوم بتلك السفرة ٦٠ مرة في السنة وتتقاضى بنساً واحداً (٤ مليمات) عن كل رطل تحمله من البضائع لكل ١٠٠٠ ميل و٣ بنسات لكل رطل من وزن الراكبين

فرق الكشافة

تاريخها وخططها واغراضها

على ذكر انشاء فرقة الكشافة المصرية

لقد انتشرت في بلادنا فرق الكشافة التي أنشأتها النزالات الاجنبية ونحن غافلون عن فوائدها . فلم نحرك ساكناً أزاء تلك الاعمال الجليلة التي هي بلا ريب من أسس العظمة الوطنية لما تربيه في الناشئة من النشاط والنخوة والرجولة الحقة بل لم يقم منا من يأخذ عن الاوربيين ما أدخلوه في بلادنا من هذه النظم النافعة فلم يعن أحد بانشاء فرقة كشافة مصريين أسوة بالفرق العديدة من فرنسية وانجليزية وايطالية ويونانية وغيرها . بل هناك فرق أرمنية واسرائيلية وغيرها من فرق الشعوب الشرقية . تلك كانت حالتنا الى ان عني صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الاول بتأليف فرقة الكشافة المصرية وأمر باستحضار الآلات الموسيقية اللازمة لها من ايطاليا للعزف عليها أثناء سيرها . وبهذه المناسبة رأينا ان نأتي على تاريخ الكشافة ونظامها وقوانينها وفوائدها

تاريخ الكشافة

يسمى الكشاف في الانجليزية scout وفي الفرنسية éclaireur وهو في فنه جندي يرسل به لاستطلاع أخبار العدو فيتقدم الجيش ليكشف له الطريق ، فيعود ويخبر بعدد العدو وحركاته وأغراضه ، ويطلق اسم الكشافة في البحرية على السفينة التي تذهب في طليعة الاسطول ثم يعود جنودها فيخبرون بحركات أسطول الاعداء

ويرجع انشاء فرق الكشافة الى عهد قريب . فاول من أنشأها على النظام العسكري الانكليز . وقد كان لحرب جنوب افريقيا سنة ١٨٩٩ أثر كبير في اعداد هذه الفرقة والسير بها في مراقي النجاح . وذلك ان قرية مافكنج في جنوب افريقيا أصبحت عرضة لمهاجمة العدو ولم يكن ليخطر في بال الانكليز انها تهاجم يوماً ما فاعدوا

لها ما استطاعوا من القوة للدفاع ومن جملة ذلك انهم علموا شبانها وأحداثها الحركات العسكرية ودربوهم على الرماية والف منهم اللورد ادوارد سسل فرقاً أعدت للوقوف أمام الاعداء . فاحسنوا البلاء واستخدمهم رؤساؤهم في شؤون شتى كحمل البريد الى أمكنة بعيدة وغير ذلك

ولما وجد الانكليز فائدة هذه الفرق ووقفوا على أهميتها عملوا على تحسينها ففتحوا لها باب التطوع سنة ١٩٠٨ فتجلت فائدته بعد سنتين إذ انضم اليها ألوف المتطوعين. ثم انتشر نظام هذه الفرق حوالي هذا التاريخ في جميع الاقطار الانكليزية فاقتدت بانكلترا كندا واستراليا ونيوزيلندا . وأخذت فرنسا والمانيا واسبانيا وايطاليا وغيرها تنسج على هذا المنوال ايضاً حتى صار في بلاد العالم المتمدين من الصبيان الكشافة عدد لا يقل عن ٧٥٠٠٠٠ صبي

فوائد الكشافة في الحرب الاخيرة

نشبت الحرب العظمى ولم يمر على نظام الكشافة عهد طويل ومع ذلك فقد قام هؤلاء الجنود الصغار بخدمات جليلة . ومن يقف على اعمال هؤلاء الفتيان في الحرب الاخيرة وبلائهم ونجدتهم يدرك تأثير التربية على هذا النمط في أخلاق الصغار وما تدربهم عليه من الاخلاق الحميدة كالاقدام والنشاط وحب التضحية . فقد حققت الحرب جميع الاماني التي كانت معقودة على انشاء الكشافة . وانثنى على الكشافة القواد واعجبوا بفعالهم وقدرتها الحكومات قدرها . وثبت ان الاحداث الذين يتربون في الكشافة ثم يتطلعون في الجيوش يمتازون على الجنود الآخرين بحسن نظامهم ودربتهم واقبالهم على الافعال التي تحتاج الى المخاطرة والحذق . فقد ترقى مرة مائة جندي في احدى الفرق فلما سئل الضابط الموكول اليه أمر ترقيتهم أن يبين نسبة الكشافة منهم ظهر أن النسبة مائة في المائة أي انهم كانوا جميعاً ممن تدربوا في فرق الكشافة قبل دخول الجيش

أما اشهر الاعمال التي كلف بها هؤلاء الصبيان في الحرب فمساعدة الشرطة ورجال المطافئ وانقاذ المصابين على أثر الغارات الجوية واعلان الاهالي بزوال الخطر بعد تلك الغارات وجمع المحصول من المزارع للجيش خصوصاً محصول الكتان أما في البحر فكان من أهم اعمالهم مراقبة السواحل فقاموا بهذه المهمة الدقيقة

احسن قيام واغنوا وزارات البحرية عن تخصيص عدد كبير من رجالها لحراسة السواحل
وقد ارسلت الحكومة الفرنسية في السنة الماضية اوسمة للصبيان الانكليز فعقد اجتماع هائل في ٤ مايو وقدم الاوسمة لمستحقيها الفيكونت دي لابانوس ونوه الجنرال السير روبرت بادن بول مؤسس نظام الكشافة (وهو افضل من كتب في الكشافة وتاريخها وتعاليمها) في هذا الاجتماع باعمال الكشافة الفرنسية في ميدان الحرب فقرأ كتاباً وجد في جيب احد القتلى الالمانيين يدل على مقدار الخدمة التي اداها هؤلاء الصغار لوطنهم وعلى اخلاق الرجولة والثبات التي اشتهروا بها . وهذا نص الخطاب : « منذ لحظة اعدم احد الخونة وهو صبي فرنسي من تلك الفرق الصغيرة فرق الالعاب الرياضية التي تلبس الاشرطة المثلثة الالوان . ولعل هذا الصبي المسكين كان يخدع نفسه بانه سيصير بطلا مشهوراً . وقد وجدناه بينما كان الصف الالماني يجتاز ممراً محوطاً بالشجر فسألناه عن مكان الجيش الفرنسي فابى ان يخبرنا بشيء . وبينما نحن كذلك اطلقت علينا نيران العساكر الفرنسية من فجوة على مسافة خمسين ياردة فسألنا الصبي باللغة الفرنسية هل كنت تعرف مخبأ هؤلاء الجنود ، فلم ينكر وتقدم بخطى ثابتة الى عمود التلغراف القريب واستند اليه مواجهاً لنا وتلقى رصاص الرماة بابتسامة الكبرياء . . فوا اشفقاه من صبي مخدوع ! انا لنأسف لضياع هذه الشجاعة هدراً »

ونظام فرق الكشافة في امريكا مثله في اوربا نظام عملي رياضي سهل المأخذ وقد اجتهد الجنرال بادن بول المتقدم ذكره في جعله نافعاً لكل الشعوب ، وفرق الكشافة الامريكية تحت ادارة رجال مولعين بادماج جميع اولاد الامريكيين في هذا السلك حتى يشبوا على الاخلاق الفاضلة والرجولة الحقة وقد ألفوا لجاناً وطنية تجمع بعض اعاظم رجال الامة الامريكية الذين لا يبخلون باموالهم ولا باوقاتهم في سبيل هذا الغرض الشريف

فرق الكشافة للفتيات

وقد انشئت في انكلترا فرق من الفتيات تشبه الكشافة وتؤدي من الاعمال ما تحسن البنت اداءه وتسمى هذه الفرق بفرق « الدليلات »

انتظم فيها قبل انقضاء سنة ١٩١٨ نحو مائة الف بنت في انكلترا ونحو عشرة

آلاف بنت في الولايات المتحدة . وهنَّ يعملن في أوقات فراغهن في المستشفيات والمطابخ وجمعيات الصليب الاحمر ومنهن العاملات في مكاتب الحكومة ومصانع الذخيرة . وكثيراً ما يطفنَ في شوارع لندن ومعهنَّ العربات الصغيرة يجمعنَ فيها الاوراق المنبوذة والقصاصات وما شابهها من نفايات الطريق . ولا ينتظر اهمال فرق الدليلات او الكشافة بعد الصلح بل ينتظر أن تكون هذه الفرق موضع عناية خاصة فيتمم نظامها وتجعل فرعاً ضرورياً من فروع التعليم . وربما تولتها الحكومات بدل الجمعيات والمجالس البلدية لانها احرى بالاشراف عليها وتعهدها بما يؤهلها للخدمة المطلوبة منها

فوائد الكشافة وتعاليمها

مما تقدم تتبين للقارئ فوائد الكشافة ، فمنها تدريبهم على الاعمال العسكرية والحركات الرياضية وتربية شبان اقوياء متمرنين منذ صغرهم على تجشم المصاعب وتحمل المتاعب . واذا شب الصبيان على ذلك فليس بغريب أن تشتد بنيتهم وتصح اجسامهم ويصيرون اهلاً للقيام بواجبهم في الحياة . وبالاجمال تنحصر فوائد هذه الفرق في أنها تزيد النشاط وتدرب على البسالة والاخلاق الحميدة ، فضلاً عن تقوية الجسم وتعود الترتيب والنظام

وتعاليم الكشافة تنمي في قلب المرء الطاعة والشجاعة والحب الشريف والشفقة على الانسان والحيوان والنظافة والشعور الحي واللطف وصفات النجدة والميل للتضحية والاقتصاد والطهارة والشرف وهذه كلها من المزايا الجليلة . وبهذه النظامات والتربية يشب الاولاد أقوياء مخلصين للوطن متآخين مثابرين على ضبط النفس فيكون منهم رجال قادرون على خدمة الانسانية والحضارة

عهود الكشافة وقوانينها

قد وضعت لفرق الكشافة قوانين خاصة تتبع بكل دقة . أما عهدها فهو : « بشرفي أتعهد ان أفعل أحسن ما يمكنني ، وان أقوم بواجبي لله والملك وان أعاون كل الناس في أي وقت كان ، وان أطيع قوانين فرق الكشافة . »

وأما قوانينها فتنحصر فيما يأتي : « ان شرف الكشافة يجب ان يحتفظ به ،

وعلى الكشاف ان يكون مخلصاً لمليكه وولاة أموره ورؤسائه ووطنه ، وان يكون صادقاً حتى لا يشك أحد في كلامه ، ونافعاً ومساعداً للجميع ، وان يعاشر الناس بأدب واحتشام ، وان يكون صديقاً لكل من عاشره شريفاً كان أو وضيعاً ، وان يقابل الصعوبات بوجه باش فلا يشكو من المتاعب . وان يكون مطيعاً لابويه ورؤسائه والآمرين عليه من رجال فرقته ، رؤوفاً بالحيوان ، مقتصداً في نفقاته ، نظيفاً في فكره وعمله وكلمه ، طاهر السيرة والسريرة »

ومن نظامات الكشافة امتحاناتها المتعددة قبل الالتحاق بفرقها . فمنها : معرفة قوانينها السالفة الذكر ، وفك ست عقد في حبل وربطها ثانية ، والمهارة في السباحة والاسعاف وغير ذلك

ولاقسام فرق الكشافة رايات يرسم على كل منها رأس حيوان تعرف به ويجب على عضو كل قسم ان يقلد صوت الحيوان المرسوم على رايته فعضو قسم الاسد يقلد الاسد في زئيره وعضو قسم الحصان يقلده في صهيله وقس على ذلك ولكل قسم لون مخصوص يوضع على اكتاف أفراده

هذا وان من الواجب علينا درس نظام الكشافة عند الاوربيين ونقل جوهره الى اللغة العربية ليكون دستوراً يعمل به ويطلع عليه كل من يهمه رقي النشء الحديث . وهناك كتب عديدة ألفها الاوربيون في هذا النظام أهمها كتاب معلم الكشافة فقد شمل كل ما له مساس بتعاليم هذه الفرقة ونظمها وأغراضها وهو منتشر في كل البلاد الغربية . فيا حبذا لو ترجم هذا الكتاب ووزع في مصرنا لتعميم هذه الطرق الجديدة التي تعود على البلاد بالنفع والفائدة فان الحاجة ماسة الى شبان أقوياء مدربين على النظام والنشاط في الاعمال

الكشافة المصرية

وقد سبقت السودان مصر في انشاء فرق الكشافة فقد انشىء في الخرطوم في السنة الماضية فرقة كشافة من طلبة كلية غردون . ولما رأت مدرسة الارسالية الامريكية نجاح هذه الفرقة انشأت فرقة مثلها من طلبتها وتلتها المدارس الاخرى في تألف هذه الفرق . وأخذ بعض رجال الجيش البريطاني وموظفي حكومة السودان

على عاتقهم تدريب تلامذة المدارس السودانيـة . وينتظر ان تعم هذه الفكرة الجميلة مدارس كثيرة في سائر انحاء السودان

أما في مصر فقد حاول بعض الادباء في القاهرة والاسكندرية منذ سنوات انشاء فرقة وطنية مثل الفرق الاوربيـة لكنهم لم ينجحوا اذ قضت الحرب على أغراضهم ولم يتسن ذلك حتى صدر الامر السلطاني الكريم بذلك

وقد تم تأليف هذه الفرقة المصرية التي قضت ارادة عظمة السلطان بتأليفها من خمسين تلميذاً اختيروا لها من بين تلامذة مدرسة الاوقاف السلطانية وسميت « فرقة الكشافة المصرية » . وقد ألبس أولئك الغلمـان ملابس خاصة رائقة تشبه ملابس سائر فرق الكشافة الاوربية من الخاكي الجميل الاصفر ومناطق كتب عليها بالعربية « فرقة الكشافة المصرية » ووضع على طرابيشهم القاتمة اللون شارة الهلال المصري وحول أعناقهم منديل من الحرير الاحمر وقد اجتلبت لهم الاوقاف السلطانية جميع الادوات اللازمة لتعليمهم فن الموسيقى الجميل وعهد الى السنيور شكواسا رئيس فرقة الكشافة الايطالية في القاهرة امر تعليمهم . وقد أخذت هذه الفرقة تخرج الى ضواحي القاهرة وتمر في شوارعها بشكلها هذا الجميل . وكان سرور الناس برؤية الكشافة المصرية عظيماً جداً . وهذه اول فرقة من الكشافة ستكون طليعة الذكر التاريخي للكشافة المصريين وسيقرن ذكرها مع الثناء باسم صاحب العظمة السلطان فؤاد الاول ما بقي هذا الاثر الجليل

من الحكم المأثورة عن السلف

ان الصواب في الاسد لا الاشد

ان للامور بغتات فكن منها على حذر

ان ولاية المرء ثوبه فان قصر عنه عري منه وان طال عليه عثر فيه

ان الطلب وان قلَّ اعظم من الحاجة وان كثرت

ان القدرة تصغر الامنية

ان لك في مالك شريكين الحدثان والوارث فن استطعت أن لا تكون أبخس الشركاء حظاً فافعل

المناظرة والمراسلة

اتمام نبوءة التوراة

حضرة محرر الهلال

لقد اطلعت في احدى الجرائد العربية السورية على نبذة بعنوان نبوءة التوراة منقولة عن جريدة « اللوكال انتسايكر » Lokal Anzeiger الالمانية فبعد امعان النظر في تلك النبذة ومراجعتها على ما ورد في التوراة وبعد التأمل العميق بما لها من العلاقة بالايام الحاضرة والحرب الحالية رأيت أن السيد المسيح قد اشار اليها جلياً لما سأله تلاميذه في بشارة متى ٢٤ : ٣ عن علامة مجيئه وانقضاء الدهر

ومن حيث أن النبوءات الواردة في رؤيا يوحنا اللاهوتي تؤيد النبوءة الواردة في دانيال أخذت في البحث عن تلك النبوءات لعلي أستطيع أن اصل الى حل رموزها ومعمياتها . فرأيت أن علماء اللاهوت اعتبروا كل يوم من الايام الواردة في النبوءات بسنة كاملة تبعاً لما جاء في حزقيال ٤ : ٥ و٦ . وقدموا برهاناً على مدعاهم الزمان الذي جاء فيه السيد المسيح . اذ أنه من المعلوم انه قد ورد في دانيال ٩ : ٢٤ ما يأتي : سبعون اسبوعاً قضيت على شعبك ومدينتك المقدسة الخ . فهذه السبعون اسبوعاً التي هي كناية عن ٤٩٠ يوماً تطابق تمام المطابقة عدد السنين التي انقضت بين صدور الامر بتجديد بناء اورشليم ومجيء المسيح وموته كما جاء في دانيال ٩ : ٢٥ و٢٦ .

فبناء على ذلك يحق لنا أن نتبع هذا النسق في تفسير النبوءة الواردة في دانيال الاصحاح الثاني عشر التي نحن بصددها . على انه ينبغي أن نتنبه ايضاً الى ان حل معميات هذه النبوءات من الامور الصعبة قبل حلول الوقت المشار اليه فيها . وقد جاء في دانيال بهذا المعنى قوله في ص ١٢ : ٤ « أما انت يا دانيال فاخف الكلام واختم السفر الى وقت النهاية كثيرون يتصفحونه والمعرفة تزداد »

ولقد أخذ بعض الناس يفسر هذه النبوءات في هذه الايام الاخيرة كل حسبما عن له . فرأيت أن اضيف رأيي الى آرائهم . فبعد ان انعمت النظر في التفسير

الذي جاءت به الجريدة الالمانية المشهورة لم استطع أن اقتنع بصحة ما قد جاءت به لانها بنت تفسيرها للالف والمائتين والتسعين يوماً الواردة في دانيال ١٢ : ١١ على المدة التي انقضت بين بدء الحرب في أول آب ١٩١٤ بين المانيا وروسيا وبين اعلان تروتسكي نهاية القتال في ١١ شباط سنة ١٩١٨ ومجموع ما بين المدتين ١٢٩٠ يوماً. وبنت تفسيرها الالف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين يوماً الواردة في نفس الاصحاح من سفر دانيال على المدة التي مرت بين بدء الحرب وبين تعيين المارشال فوش الذي كان على يده انتهاء الحرب ومجموع تلك المدة ١٣٣٥ يوماً

فنرد على ذلك قائلين ان امثال هذه النبوءات لا يمكن أن تفسر وتبنى على الاوقات التي تعين فيها بعض الافراد في منزلة القواد في أثناء الحروب . بل الاوجه تفسيرها بالاوقات التي تقوم وتسقط فيها شعوب وممالك وعروش . وقد جاء في تفسير « اللوكال انتسايكر » للالف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين يوماً ان هذه المدة هي التي مرت بين بدء الحرب وبين تعيين المارشال فوش في حين انه لما تعين هذا القائد كانت الحرب لم تزل تتلظى والناس تهلك بالالوف . فكيف يمكن أن يطوّب من انتظر وبلغ ذلك اليوم

فلذلك رأينا انه يجدر بنا تفسير تلك النبوءة بالشكل الآتي : ان الالف والمائتين والتسعين يوماً هي بحسبما أشرت سابقاً كناية عن الف ومائتين وتسعين سنة ابتداؤها سنة ٦٢٩ ميلادية لما عظمت قوة النبي (صلعم) فاخضع اليهود القاطنين في البلاد العربية ودوخ شبه الجزيرة المذكورة باجمعها تقريباً وتهيأ للبطش بالامبراطورية الرومانية وفتح مصر وبلاد الاكاسرة . فان حسبنا عدد السنين الواقعة بين سنة ٦٢٩ ميلادية وبين سنة ١٩١٩ الحالية ظهر معنا العدد ١٢٩٠ المطلوب . ونظن انه يجوز ايجاد العلاقة بين النبي (صلعم) وهذه الحوادث نظراً لدخول اليهود تحت سيطرته وسلطانه ابتداء من تلك السنة أي سنة ٦٢٩ ميلادية كما جاء في كتب التاريخ . ولليهود كما لا يخفى صلة دائمة بكل النبوءات الواردة في التوراة

وقد جاء أيضاً في دانيال ١٢ : ٧ وحلف بالحي الابد انه الى زمان وزمانين ونصف زمان . فمن الواضح ان هذه المدة هي ثلاث سنوات ونصف فاذا حولناها الى أيام باعتبار السنة ٣٦٥ يوماً كان الحاصل ١٢٨٢ يوماً وهي كناية عن ١٢٨٢ سنة أعني المدة التي مرّت على سقوط أورشليم في يد العرب من سنة ٦٣٧ ميلادية الى

سنة ١٩١٩ الحالية . والدليل على علاقة هذه النبوءة بمدينة أورشليم ما جاء في رؤيا يوحنا ١١ : ٢ حيث قيل : « وسيدوسون المدينة المقدسة اثنين واربعين شهراً » أي ثلاث سنوات ونصف . وقد جاء في بشارة لوقا ٢١ : ٢٤ « وتكون أورشليم مدوسة من الامم حتى تكمل أزمنة الامم »

أما الالف والثلاثمائة والخمسة والثلاثون يوماً التي وردت في دانيال ١٢ : ١٢ حيث قيل «طوبى لمن ينتظر ويبلغ الى الالف والثلاثمائة والخمسة والثلاثين يوماً » - التي هي عبارة عن ١٣٣٥ سنة - فنظن انه لا يراد بها أزمنة أو سنين معلومة تمر من تاريخ وتصل الى تاريخ آخر بل تاريخ احدى الامم أو الشعوب مما يوافق ترجمة (Era) ونظن أن المقصود بها السنة المالية للحكومة التركية المنقرضة ولا بد ان القراء الالباء يوافقوننا على تطويب من انتظر وبلغ الى نهاية حكمها مع بلوغ نهاية هذه الحرب المشومة التي كان كل انسان على وجه البسيطة يقول في أثنائها طوبى من يبلغ الى نهاية هذه الحرب . ومن المعلوم ان سنة ١٣٣٥ مالية توافق سنة ١٩١٩ ميلادية ولذلك نظن بان تفسيرنا أجدر بالاعتبار من تفسير الجريدة الالمانية المذكورة آنفاً

ولقد تبين من التفاسير السابقة ان كل النبوءات تشير الى سنة ١٩١٩ ميلادية . فتلك النبوءات أشبه بشخص جبار وقف منذ أجيال سالفة مشيراً باصبعه الى هذه الحرب الضروس التي أوقفت رحاها في سنة ١٩١٩ وهي السنة التي حقنت فيها الدماء والتي ستعد فاتحة انقلاب عظيم في المسكونة كلها لا ندري ماهيته ونتائجه

بيروت

يونان عرمان

ناظم الابيات

المنشورة في الجزء الماضي

حضرة محرر الهلال

اطلعت على سؤال حضرة احمد احمد عدس الذي جاء في الهلال الاخير عن ناظم الابيات الآتية : من الخفرات لم تفضح أخاها ... الخ ..

فهذا الشعر لسليك بن السلكة السعدي والغناء فيه لابن سريج رمل كما هو مذكور في كتاب الاغاني ـ الجزء الرابع صحيفة ١٠٠ ـ في ترجمة فلج بن ابي السوراء المغني

ويزاد على هذه الابيات بيت آخر وهو :

غذاها قارص يغدو عليها ومحض حين تنتظر العشارا

مصر مراد رومانو

ايضاح حقيقة

عن السبب في وجود فرق « خمس دقائق » بين النتائج الاميرية والنتائج الاهلية في أوقات الصلاة بالزمن الافرنجي

انه ابتداء من أول سبتمبر سنة ١٩٠٠ تقرر ان يطلق مدفع الظهيرة على حساب وقت أوربا الشرقية بخلاف ما كان متبعاً من قديم اذ كان يطلق المدفع في مصر على وقت الزوال الوسطي الحقيقي للمحروسة وكانت تضبط ساعات الجمهور على هذا المدفع . وقد أعلن هذا القرار بالجريدة الرسمية نمرة ٩٣ الصادرة بتاريخ ٢٠ اغسطس سنة ١٩٠٠ الموافق ٢٤ ربيع الثاني سنة ١٣١٨ وهذا نصه :

« ليكن معلوماً للعموم ان الوقت في القطر المصري سيوفق على الوقت المعروف بوقت أوربا الشرقية وذلك من أول سبتمبر سنة ١٩٠٠ فتصدر اشارة من مرصد العباسية عند الظهر المعادل للوقت الوسطي على درجة ثلاثين من الطول الشرقي لمدينة جرينويش فيضبط الوقت في مصر على تلك الاشارة » . وذلك لتوحيد الوقت في القطر المصري وجعله موافقاً للوقت المدني المؤسس على اعتبار الساعات وأنصاف الساعات دون كسورها بالنسبة لخط الزوال المار بمدينة جرينويش ببلاد الانجليز المعتبر مبدأ للأطوال سواء كانت هذه البلاد مواقعها بالنسبة اليه شرقية أو غربية

ولكون فرق الطولين بين مرصد مصر الذي كان بالعباسية والآن بحلوان ومرصد جرينويش ببلاد الانكليز هو ١٥ً ١٧َ ٣١ أي ساعتين وخمس دقائق وتسع ثوان شرقي جرينويش ، واطلاق المدفع الآن هو على ثلاثين درجة أي ساعتين

فقط شرقي جرينويش فيكون وقت اطلاق هـذا المدفع متأخراً عن زمن الزوال الوسطي العرفي الصحيح للمحروسة بمقدار ١٥ ١٧ ١ أي خمس دقائق وتسع ثوان

لهذا السبب اضطررنا ان نحذف هذه الزيادة الناتجة من تأخير اطلاق المدفع من الاوقات الافرنجية فقط لتكون الساعة المضبوطة على هذا المدفع والاوقات الواردة بالتاتج الاميرية صحيحة لا شك فيها

أما من يضبط ساعته على هذا المدفع بجملها (اثني عشر تماماً) ويصرف الوقت ليصلي على نتيجة أهلية فلا شك ان ساعته لا تتفق مع هذه النتيجة الاهلية بسبب عدم حذف هذه الزيادة منها

أما من يقل ببقاء هذه الزيادة في النتائج الاهلية (أي بقائها في الوقت تمكيناً له) فقد أخطأ خطأً كبيراً لما يترتب على ذلك من الاخلال بأوقات العبادات كالصلاة والصوم لان الوقت محدود ومحسوب بغاية الدقة والضبط

أما من يجعل ساعته (اثني عشر وخمس دقائق) وقت اطلاق هذا المدفع ويصرف الوقت ليصلي على النتيجة الاهلية فساعته والاوقات الواردة بهذه النتيجة لا شك صحيحة

هذا ما أردنا ايضاحه تقريراً للحقيقة خدمة للجمهور والله ولي التوفيق وبه المستعان

مصر

محمود ناجي

محرر نتائج الحكومة والاوقاف بالمساحة

حكم شعرية

ان الليالي للانام مناهل	تطوى وتبسط بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة	وطوالهن مع السرور قصار
ان الاهلة للشهور خناجر	بشفارها تتقرض الاعمار
فبما يهني بعضنا بعضاً بها	ومجيئها بذهابنا انذار
ان الحوائج ربما ازرى بها	عند الذي تقضى له تطويلها
فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة	فاعلم بأن تمامها تعجيلها

العائلة والمنزل

الصحة الاجبارية

اسوة بالتعليم الاجباري

في أوربا واميركا اليوم حركة عظيمة الشأن ترمي الى تحسين الجنس البشري واصلاح أموره الجسمانية والمعنوية وقد ثبت الآن ان اهم وسائل الاصلاح الاجتماعي التربية . ففي المدرسة اولاً يجب أن يبتدئ العاملون على رقي البشر واليها يجب أن يصرفوا اجل همهم وعنايتهم

وتدل الاحصاآت التي استخلصت من الكشف الطبي على الاميركيين المطلوبين للخدمة العسكرية أن ثلثهم تقريباً كانوا من اصحاب العاهات والامراض التي حالت دون قبولهم في سلك الجندية . بل ان ٧٥ في المئة من تلاميذ المدارس في اميركا ـ حسب تقدير احد الثقات ـ مصابون بعلة من العلل التي يمكن تلافيها مع شيء من العناية والانتباه ـ كعلل القلب والرئتين واختلال السمع والبصر والتغذية الرديئة والتهاب اللوزتين وضعف السلسلة الفقرية الخ . . .

قال احد كبار الثقات الاميركيين :

« لقد أنفقنا ملايين وملايين الريالات على مشاريع مختلفة صناعية وحربية وغيرها ولكننا اهملنا اعظم رأس مال لدينا ـ ألا وهو صحة اولادنا . فالصحة الجيدة أساس كل عظمة في الحياة الفردية والاجتماعية

« لقد قررنا التعليم الاجباري في بلادنا ـ أي تقويم العقل وتدريبه . بقي علينا ان نقرر الصحة الاجبارية ـ اي تقويم الجسم وتدريبه

« يتعذر أن نجد موضوعاً طرقه الكتّاب والفلاسفة في كل زمان ومكان كموضوع الصحة وخطورة شأنها فلنراجع تلك الاقوال بفهم جديد وروح جديدة . قال منسيوس الفيلسوف الصيني : « اساس السلطنة في الحكومة واساس الحكومة في العائلة وأساس العائلة في الفرد . . . » اجل ينبغي أن يكون لنا مطمح نصبو اليه من هذا القبيل ، ينبغي ان يكون لنا مثلٌ اعلى نسعى في تصوره ومحاكاته قدر

استطاعتنا . وليكن رائدنا في ذلك قول اوليفر وندل هولمز « أن تبدأ تربية الطفل قبل ولادته بمئة سنة » أي ان يكون له من والديه واجداده اساس صالح تبنى عليه شخصيته الجسمانية والمعنوية »

وهاك الارشادات العملية التي ينبغي اتباعها - بحسب رأي الثقة الاميركي المتقدم ذكره - لتحسين حال البشر وكل هذه الارشادات تختص بالمدرسة

١ - يجب اولاً الاعتناء بصحة المعلمين انفسهم وتوفير اسباب الراحة لهم وتعليمهم التعليم الوافي كل ما له علاقة بقوانين الصحة .

٢ - يجب أن تكون المدارس صحية الموقع والبناء وان تكون غرفها هي وحدائقها جميلة تسرُّ العين

٣ - ينبغي أن يوزن كل تلميذ ويقاس بطريقة نظامية وان يحفظ له سجل صحي اثناء دراسته فيراقب معلموه ما يحتاج اليه من الارشادات والتدابير لتقويم المعوج فيه منذ حداثة سنه

٤ - يجب أن تجهز كل مدرسة بادوات الرياضة البدنية وان تعد الالعاب والتمرينات الجسدية قسماً لازماً رئيسياً من نظام التعليم

٥ - يجب أن تخصص دروس لتلقين المبادئ الصحية والطبية التي يجدر بكل انسان معرفتها

تأثير الحرب في الصحة العمومية

ان أضرار الحرب وفظائعها تحمل المفكر على البحث عن أوجه نفعها للبشرية علّه يجد في ذلك بعض التعزية . وكلما أنعمنا النظر في تأثير الحرب ثبت لدينا أنها كانت بمنزلة هزة شديدة لبني الانسان أفاقتهم من غفلتهم فحضتهم على تقويم نفوسهم وأجسادهم . فمن ملاحظة الشعوب الغربية اليوم يتبين لنا أنها أخذت تعنى عناية جدية بأس الحياة ومهامها الجوهرية بعد ان استغرقت زمناً في السفاسف والقشور . ويتعذر على المؤرخ ان يجد عصراً كهذا العصر انصرف فيه الناس بجد ونشاط الى انتهاج المسالك التي من شأنها حفظ الصحة العمومية وتخفيف المتاعب والآلام

فمن منافع الحرب في الشعوب الغربية الاقتصاد في الاطعمة والاعتدال في

الاكل فان الدول ما برحت منذ ضاقت الحال وهي تنشر المعلومات المفيدة عن قوانين الطعام الصحي وما يلزم الانسان منه . وقد عنيت الحكومة الاميركية خصوصاً باقامة المحاضرات والاجتماعات وانشاء المدارس والمعاهد لدرس موضوع الغذاء درساً علمياً عملياً

ولعل أهم العادات التي تعودها الناس مدة الحرب الاقتصاد والاعتدال في كل شيء فعسى ان يثابروا على هذه الصفات الحميدة

ثم ان موضوع الصحة العمومية قد لفت أنظار الجميع . فلا ريب ان البشر على الاجمال يعيشون من الوجهة الجسمانية دون المستوى الذي عينته لهم الطبيعة . وقد قدر أحد العلماء الثقات ان مجال التحسين نحو ١٠٠ في المئة في جميع أوجه المعيشة في الامكان مضاعفة معدل العمر البشري ومضاعفة معدل القوة البشرية مضاعفة السعادة البشرية

ومن أخطر النتائج التي كانت الحرب تناقص المشروبات الكحولية حتى أصبح المتفائلون يتطلعون الى زمن قريب يمحى فيه هذا الداء من وجه الارض

وقد عدَّد أحدهم المنافع الدائمة التي ستوطد في العالم على أثر الحرب وهاك أهمها :

١ ــ تقدير قيمة الفرد ورفع شأنه

٢ ــ تقدير قيمة الصحة في الحياة والعناية بها حق العناية بتأليف وزارات ومعاهد ومصالح خاصة بها

٣ ــ نشر التعليم الصحي في كل مكان وبكل وسيلة وخصوصاً في المدارس

٤ ــ جعل التربية الجسدية قسماً جوهرياً من تربية الفتيان والفتيات

٥ ــ الاكثار من المتنزهات والحدائق العمومية والملاهي التي تقرب بين الطبيعة والانسان

٦ ــ تنظيم التفتيش الصحي على المدارس والمصانع وفحص كل فرد من الافراد فحصاً صحياً مرة في السنة على الاقل

فاذا تمت هذه الاصلاحات العظيمة الشأن في العالم استعضنا خير عوض عن آلام الحرب وفظائعها

مطبوعات جديدة

LE LIBAN APRÈS LA GUERRE
par A. Adib Pacha

صرف صاحب السعادة اوغست أديب باشا مدير حسابات الحكومة المصرية سابقاً بضع السنوات الاخيرة في البحث عن مسائل لبنان ولا سيما بعد توليه رئاسة الاتحاد اللبناني في مصر . وقد حظينا بنشر خطبة له في هذا الموضوع ألقاها في السنة الماضية . وبين أيدينا الآن هذا الكتاب الذي عنوانه « لبنان بعد الحرب » وهو في الحقيقة مجموعة معلومات مفيدة تتناول كل ما يتعلق بلبنان من الوجهات السياسية والاقتصادية والجغرافية والتاريخية . وأن القارىء ليدهش من قدرة المؤلف على جمع تلك الفوائد كلها في كتاب لا تزيد صفحاته على ١٥٠ صفحة فانه لم يهمل مسئلة من المسائل الخطيرة الا خاضها بدقة وضبط وايجاز . وجملة القول ان هـذا الكتاب خير مرجع للباحث في شؤون لبنان الحاضرة والمستقبلة وحبذا لو ترجم الى اللغة العربية ونشر بين ألوف اللبنانيين الذين يودون مطالعته والاستفادة منه

ونقتبس من ملحق الكتاب احصاء عن سكان لبنان في سنة ١٩١٤ مشفوعاً باحصاء الجهات التي يود اللبنانيون ادخالها في حدودهم بعد موافقة مؤتمر الصلح باعتبار انها حدوده الطبيعية والتاريخية

اقسام لبنان الحالية

الشوف	١١٠ ٠٠٠
المتن	٩٨ ٠٠٠
البترون	٩١ ٠٠٠
كسروان	٦٨ ٠٠٠
جزين	٢٧ ٠٠٠
الكورة	٢٦ ٠٠٠
زحلة	١٤ ٠٠٠
دير القمر	٦ ٠٠٠
المجموع	٤٤٠ ٠٠٠

الجهات المطلوب ضمها

(١) من ولاية بيروت

بيروت	١٣٠ ٠٠٠
طرابلس	٤٠ ٠٠٠
صيدا	٢٥ ٠٠٠
عكار	٢٠ ٠٠٠
صور	١٧ ٠٠٠
مرج عيون	١١ ٠٠٠
المجموع	٢٤٣ ٠٠٠

(٢) من ولاية سوريا

بعلبك	٣٠ ٠٠٠
حاصبيا	١٤ ٠٠٠
راشيا	١٤ ٠٠٠
البقاع	١٣ ٠٠٠
المجموع	٧١ ٠٠٠

الفجالة قديماً وحديثاً

بقلم توفيق حبيب

هو بحث مستفيض عن حي الفجالة في القاهرة بقلم توفيق حبيب محرر الاخبار نشرنا خلاصته في الجزء الرابع من هذه السنة . وهذا ما يغنينا عن اطراء تلك الرسالة وما فيها من المعلومات المفيدة عن حي الفجالة من جميع الوجوه ولكننا نقتصر على كلمة رجاء ذكرها الكاتب في ختام رسالته وهي جديرة باعتبار أدباء مصر ومؤرخيها قال :

« والفجالة . كما هو ظاهر ، لا تمتاز في الوقت الحاضر على بقية أنحاء العاصمة في تنظيمها وأبنيتها . بل هناك من الاحياء ما هو أجدر منها بالوصف سواء لآثاره الباقية أو ما فيه من معاهد العلم والادارات والمصالح وغيرها مما يكاد تاريخه يضيع لانه لم يفكر فرد أو جماعة في وضع « خطط جديدة » للقاهرة في القرن العشرين

أجل . لقد بذل المرحوم علي باشا مبارك جهد استطاعته في وضع خططه ولكنه لضيق الوقت قد اكتفى بنقل كثير عن غيره نقلاً حرفياً . . . .

و « كتاب الخطط التوفيقية » على كل حال ، ذخيرة نفيسة ستبقى على مدى الزمن شاهد عدل على جهد ذلك الوزير المصامي الكبير . ولكن قد مضى على وضع هذه الخطط وطبعها خمس وعشرون سنة ونيف فتغيرت القاهرة واتسعت حواشيها وحمها التغيير من كل جانب وتعددت المكاتب الشاملة للاحصائيات والبيانات . . . .

وكما تعددت المكاتب فكذلك قد كثر عدد الباحثين سواء من المصريين أو النزلاء الاجانب وأصبح للبحث والتنسيق طرق لم تكن معروفة قبل اليوم

ولما كان وضع « خطط جديدة » كاملة سواء للعاصمة أو القطر كله يتعذر على فرد فانني أرجو أن تكون هذه « الخطط » باكورة أعمال جمعية « التاريخ المصري » التي وضع نظامها جماعة من أهل الفضل وتقرر افتتاحها في فصل الشتاء الحاضر

وان عناية عظمة سلطان مصر فؤاد الاول ورجال حكومته بخدمة فن التاريخ كفيل بتحقيق هذه الامنية » اه

﴿ رياحين الارواح . كتاب الشعب . آخر بني سراج ﴾ هذه الكتب الثلاثة ـ على اختلاف مواضيعها ـ من خيرة الكتب العربية التي صدرت أخيراً في المهاجر الاميركية وهي من قلم ابي الفضل الوليد بن عبدالله بن طعمه منشىء جريدة الحمراء. فكتاب « رياحين الارواح » يشمل الشعر الذي نظمه الشاعر من سن السادسة عشرة الى سن العشرين . و « كتاب الشعب » يشتمل على منتخب ما كتبه في جريدته الحمراء والجرائد اليومية في البرازيل . ورواية « آخر بني سراج » هي ترجمة رواية شهيرة لشاتوبريان اسمها في الفرنسية Le dernier abencerage

﴿ اعمال لا اقوال ﴾ غرض هذه الرسالة بيان مآثر قداسة البابا بنديكتوس الخامس عشر ومساعيه المتكررة في سبيل اعادة السلم وتخفيف الآلام وهو رد على الذين رموا قداسته بالسكون امام الرزايا التي ألمت بالبشر . وقد نشرتها مجلة « التمدن الكاثوليكي » بالايطالية ونقلها احد الافاضل الى اللغة العربية وطبعتها ادارة الاخبار

﴿ الجديد ﴾ مجلة شهرية جامعة تصدر في سان باولو بالبرازيل لصاحبها ومحررها توفيق ضعون ومديرها الياس فرحات . وقد كان « الجديد » يصدر بشكل جريدة أسبوعية منذ ١٩١١ فتحول الآن الى مجلة عامة المباحث متقنة الطبع كثيرة الفوائد . قيمة الاشتراك خارج البرازيل ٣٠ فرنكا

﴿ لسان الحال ﴾ هو كما يعلم كل متأدب شيخ الصحافة السورية . وقد توقف عن الصدور اثناء الحرب الى أن زال الحكم التركي عن سوريا فعاد الى الظهور بادارة رامز خليل سركيس نجل مؤسسه المرحوم خليل سركيس فقيد البلاد السورية والصحافة العربية . وهو كما يعهده عارفوه من الاخلاص في الخدمة العامة وجمعه بين المقالات السديدة والفوائد الكثيرة

﴿ البرق ﴾ أنشئت هذه الجريدة في بيروت سنة ١٩٠٨ وقد كانت تصدر مرة في الاسبوع جامعة للمقالات الشيقة والمباحث الطلية مما جعل لها مقاماً ممتازاً بين الصحف الاسبوعية . وذلك بفضل صاحبها بشارة الخوري . وقد عادت الى الظهور ـ بعد احتجابها اثناء الحرب ـ في شكل جريدة يومية وهي لا تزال محافظة على المميزات التي حببتها الى القراء حين كانت أسبوعية

جميع هذه المطبوعات تطلب من مكتبة الهلال بالفجالة بمصر

الجزء ٧ — الهلال — السنة ٢٧

أول ابريل (نيسان) سنة ١٩١٩ و٣٠ جمادى الثاني سنة ١٣٣٧

اقوال ماثورة

لمؤسس الهلال

المعدة والسياسة [١]

قد يعجب القارئ من مقارنة هذين اللفظين ويستغرب العلاقة بينهما ولاعجب في ذلك فان للمعدة علاقة ليس بالسياسة فقط بل بكل عمل من اعمال الانسان فان المرء لا يعمل عملاً ما لم يكن للدماغ دخل فيه لانه آلة الفكر وبين الدماغ والمعدة علاقة معلومة ٠

وقد بينا في غير هذا المكان ان للمعدة دخلاً كبيراً في اخلاق الناس فمن تلبكت معدته ضاق خلقه وساء ظنه واحتدَّ طبعه . وقد تتصل هذه الاعراض في بعض الناس الى درجة الوحشية . ولو احصيت المنازعات الاعتيادية التي تحدث بين الرجل وامرأته أو الولد وأبيه أو الفتاة ووالدتها لرأيتها انما تحدث بعد الطعام اذ تكون المعدة ممتلئة . ويظهر ذلك على الغالب في اهل الترف المكثرين من الوان الطعام بحيث تمتلىء معدهم وتحتقن اوعيتها فيحدث التلبك فيضيق الخلق ويغلب على الرجل سوء الظن . فاذا خطر لامرأته مثلاً أن تخاطبه في امر يسرها وكررت القول أو كان في خطابها ما يدعو الى اعمال الفكرة اجابها جواباً جافياً وهو لا يريد مجافاتها . فتنفر منه وهي تتوقع أن يسترضيها كما هي عادته في مثل هذه الحال وقد فاتها انه يفعل ذلك في غير حاله تلك ومعدته مرتاحة

(١) الهلال سنة ٨ صفحة ٦١٣ — ٦١٦

أما الآن فان ثورها يزيد في غضبه فينقم عليها فيسمعها ما هو أمر فتزداد ثوراً وهو يزداد غضباً حتى يفضي بهما ذلك الى خصام يشتد أو يضعف بنسبة مدارك كل من الزوجين . وقد تسمع جارك يصيح في امرأته ويعيرها ويلعن ساعة اقترانه بها وهي تحييه بمثل ذلك ويشتد الخصام بينهما . ولو تقاضوا اليك لضحكت مما جرّهم الى ذلك النزاع . واذا نظرت في قضيتهم من جهة حكمت ببراءة كليهما والقيت التبعة على المعدة أو بالحري على الهضم

وما يحدث في البيوت الصغيرة يحدث مثله في الممالك الكبيرة . فكم من حروب انتشبت بين مملكتين لم يكن سببها الا خصاماً بين زعيميهما ولو تدبرت سبب الخصام لوجدته التنازع على لفظ قاله احدهما فعدّه الآخر اهانة وطلب ترضية فأكبر ذلك طالبه فجرّهما ذلك الى شهر الحرب . ويا شقاء أمة اصيب ملكها بعسر الهضم فانه فضلاً عن عجزه عن ادارة شؤونها قد يجرّ عليها الوبال بما يثيره من الضغائن بضيق خلقه وحدة طبعه

ويكون تأثير ذلك شديداً اذا كان الملك مطلق التصرف كما كان اكثر ملوك الارض قديماً يوم كانت ارادة الملك شريعة المملكة . أما الآن فقد تقيدت ارادة الملوك بشوراهم في اكثر ممالك الارض فاصبح الخطر قليلاً من هذا القبيل . ولكن المعدة ما زالت ذات تأثير كبير في الاندية السياسية . ومن الحكمة وسداد الرأي ان تعقد مجالس الحكومات في أوقات تكون المعدة فيها مرتاحة لا متثقلة بالطعام ملبكة ولا فارغة جائعة . ولكن بعض الجلسات السياسية يطول أمد اجتماعها ساعات كثيرة كالمؤتمرات ونحوها فلا يؤمن فيها عواقب الجوع لانه يؤثر على الخلق تأثيراً تضيق النفس معه ذرعاً عن التروي ودقة البحث في المسائل العويصة

فلو كان أحد وزراء الدولة بالمفاوضة مع مندوب دولة أخرى في مسألة عليها خلاف بين الدولتين واجتمعا لتسويتها فكل منهما يجتهد في اثبات الحق في جنبه بالبرهان ويغلب ان تكون براهين هؤلاء السياسيين سفسطية مقدماتها الطمع وحب الذات ولكنهم يزوقون البراهين تزويقاً . فاذا كان أحد المندوبين من دهاة السياسة وتمكن قبل الشروع بالعمل من اثقال معدة زميله بالطعام الكثير وصبر عليه ساعة ثم أخذا في البحث والجدال فلا تمضي ساعة أخرى حتى يعجز ذاك عن اعمال الفكرة ويصبح غير قادر على تدبر الموضوع واستخراج النتائج الصحيحة . واذا كان الآخر

نصيحاً قاده بفصاحته ودهائه الى ما يريد وهو لا يدري

ويحدث مثل ذلك اعتباطاً كل يوم في أعمال الناس الاعتيادية وهم لا ينتبهون له . ولكننا نوجه التفات القارىء منذ الآن الى هذه الحقيقة ولا نظنه الا معجباً بما يلاقيه من علاقة المعدة بأعمال الناس على اختلاف ضروبها من سياسية أو تجارية او ادبية

فاذا تبين لك ذلك علمت مقدار العناية التي يجب اتخاذها في اصلاح الهضم لان اصحاب المعدة الضعيفة من أتعس الناس حالاً وهم لا ينظرون الى الدنيا الا من وجهها الاسود فيرون الحياة مثقلة بالمتاعب والهموم فلا يهنأ لهم كسب ولا يفرحهم عمل من أعمال الحياة . ولا يخفى ما في ذلك من الشقاء وما يجر اليه من البلاء فان من كانت هذه حاله لا يستطيع عملا ولا يسر عشيراً

فاصحاب الدسبيبيا (عسر الهضم) لا يصلحون لمخالطة الناس على أنهم قلما يلتمسون تلك المخالطة لانهم ميالون الى الانفراد وقد يشتد ذلك في بعضهم حتى يطلب الخلوة اياماً وقد يلتمس الخلاء . وربما تحول حاله الى السوداء فيظنه الناس أصيب بخبل فيكتبون له الكتابات وينذرون عنه النذور ويحملونه الى الدبور وقد يكفي لشفائه أن يعالجوا معدته بما تصلح به بعد الفحص الدقيق

ومن سوء حظ الامة أن يكون طعامها لذيذاً شهياً فانه يعوّد أفرادها على التلذذ به فيتناولون منه فوق ما يحتاجون اليه . ويغلب في الاطعمة اللذيذة الدسمة أن تكون ثقيلة على المعدة فتساعد على تلبكها . والانكليز وهم من ارقى الامم الحاضرة يتناولون طعاماً تفهاً فانهم لا يلتفتون في اصطناعه الا الى مقدار غذائه وسهولة هضمه لا الى طعمه . وبعكس ذلك المشارقة فانهم انما يلتفتون في اطعمتهم الى طعمها ومقدار ما فيها من الدسم . وزد على ذلك انهم يتعاطون اشربة منبهة تزيد شهوة الطعام كبعض العرقي او نحوه وقد لا يكونون في حاجة الى منبه ولكنهم يفعلون ذلك استكثاراً من لذة الاكل وقد فاتهم ان العبرة في الطعام ليست في مقدار ما يدخل المعدة بل في مقدار ما تهضم المعدة منه

جرجي زيدان

الرئيس ولسن

صديق الانسانية

« اني اعرض ان تتفق الشعوب على جعل قاعدة الرئيس منرو قاعدة لجميع الاقطار بحيث لا يسعى شعب في اذلال شعب آخر بل يكون كل شعب حراً في اختيار الحكم الذي يلائمه وفي تعزيز حياته بلا عرقلة او تهديد او خوف سواء في ذلك اصغر الشعوب واعظمها واقواها ... اني اعرض الا تقوم حكومة الا برضى المحكومين . هذه هي المبادىء الاميركية وهذه هي السياسة الاميركية . . . . »

من رسالة ولسن الى مجلس الشيوخ في ٢٢ يناير سنة ١٩١٧

رجعنا بالامس الى دائرة المعارف البريطانية لنستعين بها على ترجمة الرئيس ولسن فكانت دهشتنا عظيمة اذ وجدنا أن ما فيها من سيرته لا يجاوز اسطر قليلة . ولكننا لم نلبث أن نسبنا ذلك الى انه حين صدرت الطبعة الاخيرة لدائرة المعارف البريطانية لم يكن ولسن الا رئيساً لجامعة برنستن ولم يتوقع له أحد ذلك الدور الخطير الذي يلعبه على مسرح التاريخ الدولي

على ان ذلك الرجل الذي لم تتعدَّ شهرته دائرة ضيقة من اهل العلم والتعليم قد اصبح أعظم رجل على وجه الكرة الارضية . وسوف يضع التاريخ اسمه في مقدمة الاسماء التي خلدتها الحرب العالمية الكبرى - يضعه في مقدمتها لانه اخلص قلباً وأسمى نية واسمى غرضاً من سائر رجال السياسة . بل أن وجوده في مؤتمر الصلح قد رفع مستوى ذلك المؤتمر من الوجهة المعنوية وحمل المجتمعين فيه على تقديم المصالح العامة على المصالح الخاصة ، حملهم على توطيد اركان الحق والواجب واعلاء منارة العدل والانصاف

***

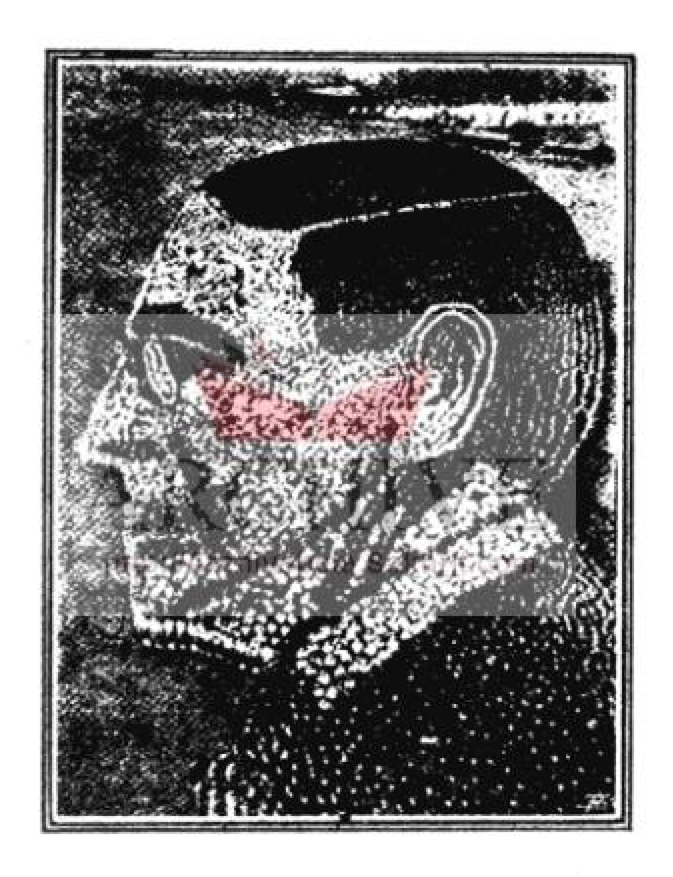
في الدكتور ولسن مزيج عجيب من الاخلاق المتناقضة : فهو تارة رجل الخيالات والاوهام وطوراً رجل العمل والحزم والصرامة . بل هو خير ممثل للفلسفة الاميركية الحديثة التي ترمي الى التوفيق بين جمال الخيال وفائدة العمل وهو ما يسمى عندهم practical idealism

وقد سئل ولسن مرة عن سر نجاحه في العالم فاجاب :

— هو اني أسأل نفسي عند كل أمر « هل يفضي ذلك الى نتيجة ما ؟ »

وفي هذا الرد خير بيان للروح العملية السامية التي هي في الحقيقة ركن العظمة الاميركية وأساسها المتين

وفي ولسن كذلك مزيج من الروح الديمقراطية والروح الاوتوقراطية حتى



صورة الرئيس ولسن مكونة من ٢٠٠٠٠ جندي اميركي اجتمعوا وانتظموا لهذا الغرض

لقد سماه البعض « الاوتوديمقراطي » أي انه يتفانى في خدمة الجمهور وتعهد المصلحة العامة ولكنه لا يحجم عن الالتجاء الى الشدة اذا اقتضتها الحال . فكأنه بذلك يستخدم السلطة التي بيده في سبيل الحق والعدل وهو أسمى ما تطمح اليه البشرية في ارتقائها

***

وُلد توماس ودرو ولسن ـ وهو الرئيس الثامن والعشرون من رؤساء الولايات المتحدة ـ في ستونتن من ولاية فرجينيا في ٢٨ ديسمبر سنة ١٨٥٦ من أسرة ايرلندية الاصل . فقد قدم جده جيمس ولسن الذي كان يحترف الطباعة من مقاطعة الستر بايرلندا واستوطن تلك البلاد الجديدة فلم يلبث ان نجح في عمله ثم عين قاضياً ونال اعتبار الجميع . أما ابنه جوزف (والد الرئيس) فكان راعياً في الكنيسة وتزوج جانت ودرو ابنة راعٍ اسكتلندي . ثم انه كان لولسن خالٌ في وظيفة راعٍ ايضاً لاحدى الكنائس الانكليزية ومما يؤثر عن ذلك الخال انه جاهر بمذهب داروين في اول عهده (وكان ذلك المذهب لا يزال مجهولاً من سواد الناس) بل سعى في تطبيقه على تعاليم الدين المسيحي فقام عليه فريق كبير من مواطنيه وطلبوا اليه أن يرجع عن كلامه بصفة رسمية فاجابهم جواباً ينم عن شرف اخلاقه وهو «انكم تطلبون مني ان اقول قولاً كذباً وتأبون عليَّ التصريح برأيي الحقيقي فانتم لا تستحقون ثقة رجل مستقيم . فها انا احييكم وانسحب» وفي الواقع ترك الكنيسة من ذلك الحين وعاد الى الحياة المدنية

فترى مما تقدم أن الرئيس ولسن نشأ في وسط صالح وترعرع بين قوم كانت جل عنايتهم في الدين والادب والخير

وبعد ان انتهى من الدراسة الاولية قضى خمس سنوات في كلية دافدسن في ولاية كارولينا الجنوبية ثم ارسله والده الى جامعة برنستن الشهيرة حيث نال رتبة بكلوريوس علوم في سنة ١٨٧٩

وحالما فرغ ولسن الشاب من دراسته الثانوية انصرف الى تعلم الحقوق . وفي سنة ١٨٨١ نال شهادة الحقوق من جامعة فرجينيا . وفي السنة التالية منحته جامعة برنستن رتبة معلم علوم

وكان الرئيس ولسن كرس حياته منذ حداثته للخدمة العامة . فقد كان يختار من الدروس والمواضيع ما يفيد رجال الادارة والحكومة ـ كالتاريخ والقانون ونحوها . وكان أيضاً شديد الولع بمطالعة الخطب الشهيرة ولاسيما خطب ديموستينيس اليوناني . على انه أهمل العلوم الاخرى كالرياضيات ونحوها حتى اوشك ان يفشل في امتحان علم الفلك لتقصيره فيه . وبدأ ولسن بكتابة المجلات وهو في الثالثة والعشرين من عمره اذ نشرت له بعض المجلات الاميركية مقالات عن مشاهير رجال السياسة من الانكليز كغلادستون وغيره

وعلى أثر انتهائه من درس الحقوق قصد مدينة اتلانتا في ولاية جورجيا ليمارس فيها المحاماة . ففتح له مكتباً ولكن الزبائن لم تفد على مكتبه هذا حتى اضطر بعد سنتين الى اقفاله . ويتفق ولسن مع لويد جورج من هذا القبيل فكلاهما احترف المحاماة في أول حياته العملية وكلاهما فشل فيها . ولكن ذلك الفشل كان لخير الانسانية جمعاء

اذ ذاك رأى ولسن ان يعود الى الحياة العلمية فقضى سنتين في جامعة جونس هوبكنس ونال منها لقب دكتور في الفلسفة سنة ١٨٨٦ ومن ذلك الحين بدأ حياته التعليمية . فعلم التاريخ والاقتصاد السياسي في كلية برين مور ثم في الجامعة الوسليانية وأخيراً في سنة ١٨٩٠ استدعته جامعة برنستن وعرضت عليه منصب استاذ في القانون فقبله وبقي في تلك الجامعة الى حين انتخب حاكماً لولاية نيوجرسي سنة ١٩١٠ : من ١٨٩٠ الى ١٩٠٢ كان بصفة أستاذ ومن ١٩٠٢ الى ١٩١٠ كان بصفة رئيس . وفي تلك الاثناء الف بضعة من خيرة الكتب في السياسة والتاريخ الاميركي وهي تدرس في معظم الجامعات الاميركية ويعتمد عليها الباحثون في كل مكان . ثم انه في مدة رئاسته على جامعة برنستن أدخل عدة اصلاحات على برنامج الدراسة فيها . ومن أقواله في هذا الشأن ان غرض الجامعة ليس ان تخرج متنسكين بل ان تخرج رجالاً . قال : « لا تقتصر وظيفة الجامعة على اخراج رجال ماهرين في مهن وحرف مختلفة بل عليها ان تلين عقولهم وتشحذ قرائحهم وتوسع ادراكهم وتزيد نشاطهم العقلي بحيث لا تحصر عنايتهم في دائرة حرفتهم الضيقة بل تعداها الى الشؤون الوطنية العامة . فترتفع بذلك نفوسهم وتتشرف حياتهم »

***

ويقول مترجمو الرئيس ولسن الثقات انه منذ سنة ١٩١٠ فكّر في ترشيح نفسه لمنصب رئاسة الجمهورية ولكنه رأى ان يمهد السبيل لغرضه هذا بترشيح نفسه لمنصب حاكم احدى الولايات . وفي الواقع رشح نفسه لينتخب حاكماً على ولاية نيوجرسي المحاذية لنيويورك وكان في اقدامه على هذا المنصب خطر كبير لان تلك الولاية كانت مأوى للمتلاعبين والمحتكرين وقد ظن منتخبوه انه يتساهل معهم ولا يعرقل مساعيهم ولكنه لم يلبث ان ظهر لهم في مظهر من الشدة والصرامة ذهل منه الجمهور . فكان اذا أراد تنفيذ قانون يجمع النواب ويقول لهم : « اني أريد هذا

القانون فاذا لم تقروه في دور الشتاء طلبته منكم في دور الربيع واذا لم تقروه في دور الربيع جمعتكم اجتماعاً خصوصياً في الصيف لتقروه »

ومما يؤثر عنه أثناء قيامه بوظيفة حاكم ولاية نيوجرسي ان المستر سميث خصمه السياسي الكبير والعضو في مجلس الشيوخ احتاج يوماً الى تعديل خطة شارع كان محاذياً لقصره فقدم طلباً بذلك الى الحاكم فمنحه طلبه في الحال . وقد دهش البعض من تسامح ولسن اذ ذاك ولكنه قال لهم : « اذا اختلفت آرائي عن آراء المستر سميث فليس هذا الاختلاف ذريعة لحرمانه من حقوقه المدنية »

***

وفي سنة ١٩١٢ انتهت مدة رئاسة تافت وانقسم الحزب الجمهوري قسمين : قسم برئاسة تافت وقسم برئاسة روزفلت فادى ذلك الانقسام الى فوز الديموقراطيين وتولى ولسن منصب رئاسة الجمهورية باغلبية كبيرة فقد حاز ٣٠٣ أصوات في حين لم يحز روزفلت الا ٨٨ صوتاً وتافت الا ٨ أصوات

وفي سنة ١٩١٦ أعيد انتخابه للرئاسة . فلما شعر ان الشعب يعضده في سياسته ورأى انه لم يعد ثمت مجال للصبر على مساوىء الحكومة الالمانية وفظائعها أعلن الحرب عليها وقام قومته المشهورة التي تبعه فيها الاميركيون كافة فلم تمض أشهر قليلة حتى ظهرت نتيجة المداخلة الاميركية في ترجيح كفة الحلفاء وقهر الروح العسكرية البروسية

وقد لام الكثيرون الرئيس ولسن على تباطئه في اعلان الحرب على المانيا ولكن من وضع نفسه في مركزه مع علمه بمجاري السياسة الاميركية لا يسعه الا الاعتراف بحذق ولسن في سلوكه هذا . فانه لم يشأ ان يشهر الحرب الا بعد ان وثق من معاضدة الشعب له في هذه المهمة الخطيرة

***

وقد تزوج ولسن مرتين : في المرة الاولى (سنة ١٨٨٥) اقترن بمس الن لويز اكسون ورزق منها ثلاث فتيات وهن اليانور وجسي ومارغريت (الاولى الآن قرينة مستر ماكادو وزير المالية سابقاً والثانية قرينة المستر ساير المحامي . أما الثالثة فلا تزال عازبة) وقد توفيت قرينته الاولى في ٧ اغسطس سنة ١٩١٤ فاقترن في ٢٠ ديسمبر سنة ١٩١٥ بمسز غلت أرملة أحد كبار الاغنياء الاميركيين وقد كانت صديقة ابنته البكر وهو يكبرها بعشرين سنة

ما هو علم الاجتماع

وما علاقته بالعلوم الاخرى ؟

نظرة تاريخية

لعلم الاجتماع شأن يتزايد كل يوم في الاقطار الغربية لما يؤمله المصلحون بمعونته من اصلاح المجتمع البشري وتحسين حال الناس على اختلاف طبقاتهم . ومع ذلك لم يقم بيننا كاتب واحد عرّف هذا العلم الى جمهور قرائنا . وهو ما حدانا الى كتابة هذه المقالة الوجيزة وغرضنا منها تحديد علم الاجتماع وبيان علاقته بالعلوم الاخرى وذكر المواضيع التي يطرقها والغايات التي يرمي اليها ـ تمهيداً لما نؤمل كتابته في المشاكل الاجتماعية الخطيرة التي يتساءل أعاظم الرجال اليوم عن الطرق اللائمة لحلها من دون زعزعة أركان الاجتماع

ويجوز لنا ان نعد علم الاجتماع ـ في آن واحد ـ علماً قديماً وعلماً حديثاً . فانه قديم باعتبار ان للفلاسفة الاقدمين ـ كافلاطون وارسطو وابن خلدون ـ آراء ومباحث جديرة بالنظر والاعتبار في الاجتماع وشؤونه وأحكامه . ولكن آراءهم ومباحثهم لم تكن منتظمة ولا متناسقة على أسلوب علمي . ولم يصبح علم الاجتماع علماً بالمعنى المحصور الا من زمن أوغست كونت (الفرنسي) وهربرت سبنسر (الانكليزي) وكلاهما من أهل القرن التاسع عشر . فبهذا الاعتبار ينبغي لنا ان نعد علم الاجتماع من أحدث العلوم البشرية

وقد انتشر هذا العلم انتشاراً عظيماً ولا سيما في الولايات المتحدة الاميركية حيث أصبح جزءاً رئيسياً من برنامج الدراسة الثانوية . على انه قد امتد أخيراً الى معاهد العلم الاوربيـة أيضاً فلا ترى جامعة أو كلية الا جعلت له مقاماً رفيعاً بين العلوم التي تدرس فيها

تقسيم العلوم

لاوغست كونت الفيلسوف الاجتماعي الشهير صاحب الفلسفة الوضعية تقسيم للعلوم يسهل علينا ادراك العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الاخرى . وقد عده البعض

« أجل فكرة خلقها القرن التاسع عشر » . على ان كونت اقتصر فيه على ذكر العلوم الاصلية النظرية وأغفل العلوم الفرعية من وصفية وعملية وهي كثيرة

بنى كونت تقسيمه على اعتبار لم يحفل به من سبقه من العلماء نعني صفة « البساطة والتركيب » . فالعلوم تتفاوت في البساطة والتركيب بتفاوت بساطة وتركيب ما تنظر فيه من المواضيع . فالعلوم الرياضية أبسط العلوم لانها تنظر في أبسط الامور وهي الاعداد والابعاد تليها العلوم الطبيعية التي تبحث في صفات الاجسام الجامدة وأحكامها ثم العلوم الحيوية التي تبحث في الاجسام الحية وأحكامها . ثم العلوم الاجتماعية التي تبحث في الاجتماع واحكامه . فالاجسام الجامدة تفرض وجود المقاييس ، والاجسام الحية تفرض وجود الاجسام الجامدة مع اضافة الحياة اليها ، والاجتماع يفرض وجود افراد حية مرتبطة بروابط اجتماعية

قلنا ان كونت وضع في مقدمة تقسيمه العلوم المتناهية في البساطة ثم الاقل بساطة فالاقل . وقد وجد ان هذا التقسيم مع كونه سهلاً قريباً الى العقل يوافق ايضاً تدرج العلوم وتسلسلها من الوجهة التاريخية . فان أقدم العلوم الرياضيات وهي في الواقع أبسطها واحدث العلوم الاجتماعيات وهي اكثرها تركيباً

وهاك تقسيمه مع التعديل الذي ادخله عليه العلماء الحديثون باضافة علم النفس بين علمي الحياة وعلم الاجتماع :

١ الرياضيات
٢ الفلك
٣ الطبيعيات
٤ الكيمياء
٥ علم الحياة
٦ علم النفس
٧ علم الاجتماع

فكل علم من هذه العلوم قائم على العلوم السابقة له ولا بد له من الاعتماد على المبادىء والقضايا التي قررتها

ومن فوائد هذا التقسيم فضلاً عن كونه يبين ترابط العلوم ونشأتها انه يدلنا على افضل نظام لتعلمها بحيث يبدأ المتعلم بابسطها وأعمها فيتدرج فيها الى ان يبلغ اكثرها

تركيباً وتعقيداً - نعني علم الاجتماع الذي هو اقرب العلوم الينا واعظمها شأناً لنا حتى لقد عده كونت « تاج العلوم البشرية »

ولولا ضيق المقام لاسترسلنا في وصف هذا الترتيب وبينا ما يجوز ان يعترض فيه عليه . على ان غرضنا الحقيقي من ايراده انما هو تقرير هذه الحقيقة وهي ان علم الاجتماع اكثر العلوم تركيباً وهو ما يجعل من الصعب استخراج قوانينه ومبادئه لكثرة العوامل التي تعمل في الاجتماع

ولهذا السبب يأبى البعض ان يعدوا علم الاجتماع في مصاف العلوم الاخرى لانهم يعدون من شروط العلم - بحصر المعنى - ان يستخرج قواعد ثابتة مضبوطة تبيح للانسان ان يتنبأ بالمستقبل قياساً على ما يعلمه منها . فكأن العلم في نظرهم يفرض شرطين : الضبط والتنبؤ

على اننا اذا تمسكنا بهذا القياس تحتم علينا ان ننزع صفة العلم عن معظم العلوم . فان عاملي الضبط والتنبؤ محصوران في مجال ضيق ولا يستوفي هذين الشرطين من العلوم الا علم الفلك واقسام من الطبيعيات والكيمياء . أما العلوم الاجتماعية فانك لا تجد بينها علماً مدعومة كلياته بالحصاءات وحوادث راهنة يمكن معها التنبؤ بما يكون من أمرها في المستقبل . على اننا اذا استعملنا كلمة علم بمعنى أعم وأوسع - بحيث تشمل كل مجموعة معارف منظمة مرتبة - فانه يجوز لنا اذ ذاك عد علم الاجتماع علماً كسواه

مهمة علم الاجتماع

لم يتأخر علم الاجتماع عن العلوم الاخرى الا لصعوبة استخراج القوانين العامة من الظواهر الاجتماعية كما ذكرنا . فان العوامل التي تفعل في أحوال الجماعات وتؤثر في حياتها كثيرة التركيب والتعقيد والتداخل بحيث يصعب تمييزها وترتيبها وبيان علاقاتها

فمهمة علم الاجتماع هي ان يصف الجمعية البشرية باسلوب علمي ويبين ما فيها من المصالح المتوافقة والمصالح المتنافرة ويفصل نشئها ونموها ويستخرج القواعد والمبادىء التي تقوم عليها حتى يمكن استخدام هذه المعلومات لتحسين احوال البشر . فنرى من ذلك ان لعلم الاجتماع غرضين غرضاً علمياً نظرياً وغرضاً عملياً حسياً

ولما كان علم الاجتماع لا يزال في أول عهده فالعلماء الذين خاضوا فيه لا يزالون مختلفين في عدة مسائل اساسية بل ان كثيرين منهم لم يتفقوا على تحديد مجاله واسلوب البحث فيه

اننا نرى البشر في كل مكان مجتمعين متقاربين . هذه هي الحقيقة الاولية - حقيقة اجتماع البشر - التي يسعى علم الاجتماع في تعليلها . فما هي عوامل الاجتماع البشري وما هي اشكال ذلك الاجتماع وصوره وكيف نشأ وتطور وما هي أسباب تقدمه وتقهقره واين وجهة الرقي الانساني والى اي حد يستطيع الانسان تعجيل رقيه وتحسين حاله وما هي الوسائل المؤدية الى ذلك - تلك أهم الاسئلة التي ينبغي لعلماء الاجتماع حلها وهي كما يرى القارئ ليست بالاسئلة التي يستهان بها فلا بد قبل الرد عليها من ايضاح غوامض كثيرة

علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية

علم الاجتماع من احدث العلوم الاجتماعية بل هو احدثها . ونريد بالعلوم الاجتماعية جميع العلوم التي تعنى بدرس أحوال البشر مجتمعين - كعلم السياسة وعلم الاقتصاد السياسي وعلم التاريخ وغيرها . فعلم الاجتماع بجانبها لا يزال في مهده

فالحادث الاجتماعي الواحد قد يدرسه من بعض وجوهه باحدى هذه العلوم كل عالم . خذ الثورة الفرنسية مثلاً فالمؤرخ ينظر اليها بنظر غير نظر الاقتصادي وغير نظر رجال السياسة الخ . فلكل من التاريخ وعلم السياسة وعلم الاقتصاد مجال خاص ووظيفة خاصة . على ان علم الاجتماع اعم من تلك العلوم الاجتماعية جميعاً . فان كل علم منها يقتصر على دائرة محدودة من الظواهر الاجتماعية في حين ان علم الاجتماع يعتبر تلك الدوائر كلها وينظر في استنتاجات العلوم الاجتماعية على اختلافها ويستخرج من كل ذلك قوانين عامة ومبادئ اساسية

وللتاريخ مقام خاص بين تلك العلوم الاجتماعية فانه يصور حالة الاجتماع في الماضي ولا غنى عنه لجميع العلوم الاجتماعية لان حوادثه اذا تشرحت وتفصلت كانت خير ممثل للعوامل والقوى التي فعلت في الاجتماع البشري والتي تفعل فيه على الدوام . فبدرسها وتدبرها يمكننا تحسين حالتنا الحاضرة والمستقبلة

هذه كلمة اجمالية في بيان الرابطة الاساسية بين علم الاجتماع وسائر العلوم الاجتماعية ولا يسمح لنا المقام ان نتوسع في تفصيل تلك العلاقة . وبيان ارتباط علم الاجتماع بكل علم اجتماعي وانما نقتصر على الجدول التالي الذي يحوي اهم العلوم الاجتماعية مقسمة تقسيماً يوضح علاقتها

العلوم الاجتماعية الوصفية	العلوم الاجتماعية النظرية: العامة	العلوم الاجتماعية النظرية: الخاصة	العلوم المتعلقة بالسلوك الاجتماعي	العلوم الاجتماعية العملية
التاريخ (العام والخاص . والتاريخ السياسي والاقتصادي الخ ..) وصف الشعوب علم الاحصاء الخ .	علم الاجتماع (بفروعه المختلفة)	الاقتصاد السياسي علم السياسة القانون علم الاديان الخ ..	علم السلوك (العام والخاص ويدخل فيه أيضاً علم السلوك السياسي الخ ..)	التربية الاحسان التشريع النظم الاصلاحية الخ .

جدول بالعلوم الاجتماعية
يبين علاقتها بعلم الاجتماع

حفني بك ناصف

فقيد الادب العربي

فقدت مصر في اواخر شهر فبراير الماضي رجلاً من خيرة المشتغلين بخدمة اللغة العربية وآدابها وهو الكاتب الشاعر حفني بك ناصف . فزالت بموته آخر صورة من صور تلك الفئة التي خالطت الشيخ حسن الطويل والشيخ احمد مفتاح واحمد افندي سمير والسيد عبد الله نديم والشيخ الابياري وغيرهم ممن نالوا قسطاً وافراً من علوم اللغة ولم تصرفهم مشاغل الحياة عن الآداب والتمتع بمذاكراتها

وُلد حفني ناصف سنة ١٢٧٢ هجرية في بركة الحج ، احدى ضواحي القاهرة وتعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ جزءاً من القرآن في كتّاب القرية . ودخل الازهر وهو في الحادية عشرة من سني حياته وقضى فيه ١٣ سنة . ثم أُختير مع غيره من الشبان الذين أُدخلوا « مدرسة دار العلوم » للتوسع في درس العلوم العصرية والتأهب لتدريس اللغة العربية في مدارس الحكومة

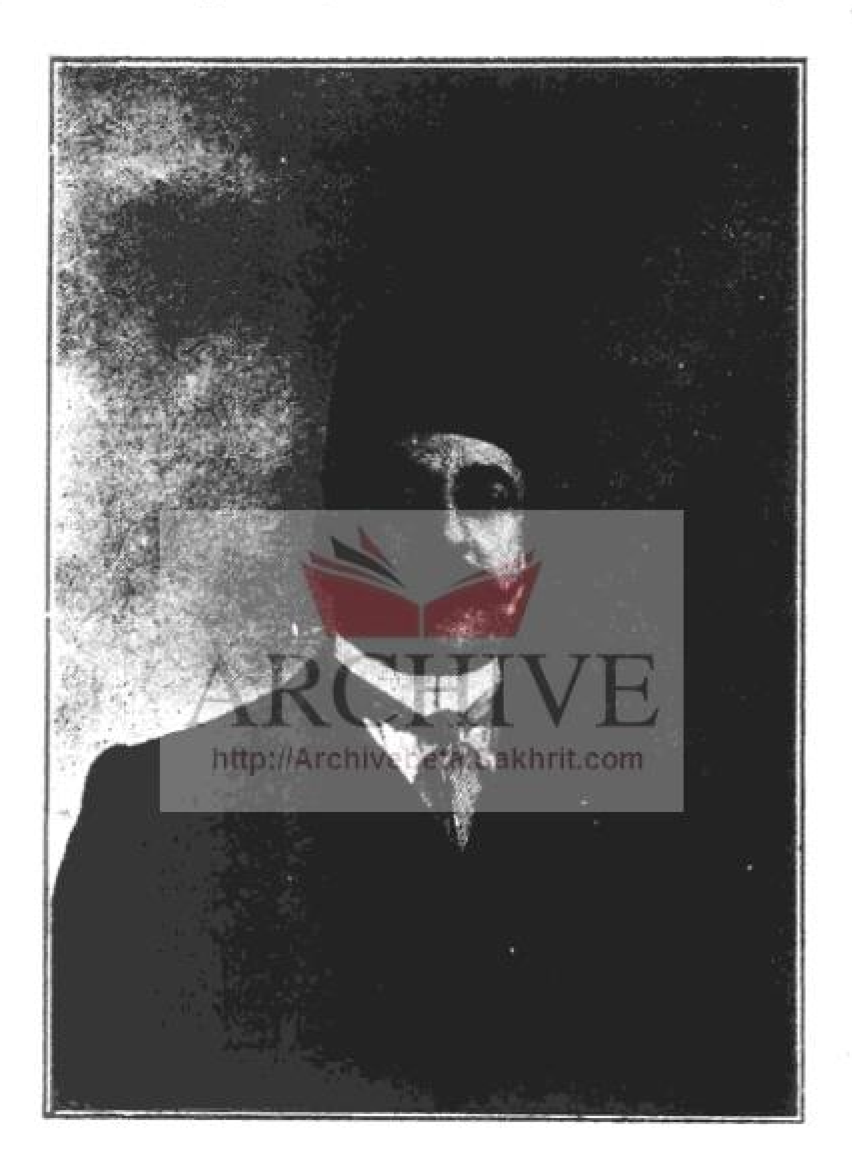
وبعد ان اتم دروسه في دار العلوم عُين استاذاً للغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية فمدرسة العمي والخرس فمدرسة الحقوق . وانتهز فرصة وجوده بين طلبة الحقوق فشاركهم في دروسهم . وانتخب سكرتيراً للنائب العمومي لدى المحاكم الاهلية . ثم عُين قاضياً سنة ١٨٩٢ وترقى في القضاء حتى صار وكيلاً لمحكمة طنطا الاهلية . ولما استقال الشيخ حمزة فتح الله المفتش الاول للغة العربية في وزارة المعارف حل محله الاستاذ حفني بك . وبقي في هذه الوظيفة حتى بلغ الستين من حياته منذ ثلاث سنوات فاحيل الى المعاش

كتاب الدروس النحوية

واعظم اثر لحفني بك وهو في خدمة وزارة المعارف سلسلة كتب اللغة العربية المسماة الدروس النحوية ، وهي اربعة اجزاء ثلاثة منها للمدارس الثانوية . وقد اشترك معه في وضعها الاساتذة محمد دياب ومصطفى طموم ومحمد صالح . وراعوا فيها مدارك التلاميذ وقدرتهم على فهم القواعد وتطبيقها

ويماثل كتاب الدروس النحوية في طريقته اجرومية « لاريف وفليري »

الفرنسوية . ويطبع منه سنوياً عدة ألوف . ومع تعدد ما وضع من متون اللغة في مصر والشام والمغرب فان كتاب « الدروس النحوية » لا يزال عمدة التدريس في



حفني بك ناصف

كل مكان . وقد نقله العالم الفاضل المستر ابسون (مدير مطبعة النيل في القاهرة) الى اللغة الانكليزية لتعليم الانكليز اللغة العربية

كتاب مميزات لغات العرب

وانتدبت الحكومة المصرية حفني بك سكرتيراً للوفد المصري في مؤتمر

المستشرقين الذي عقد في فينا سنة ١٨٨٦ وكان هذا الوفد مؤلفاً من يعقوب باشا ارتين (وكيل المعارف المصرية حينذاك) وفرنز باشا ومحمود افندي رشاد (المترجم والمفتش في المعارف) والشيخ حمزة فتح الله وطه أفندي موسى (من اساتذة المدارس الاميرية) والدكتور فولرس (مدير الكتبخانة الخديوية) فقدم حفني بك الى المؤتمر بحثاً لغوياً دقيقاً طبعته لجنة المؤتمر في مجموعتها وجعلت عنوانه هكذا :

هذه رسالة

في مميزات لغات قبائل العرب وتخريج ما يمكن من اللغات العامية عليها وفائدة علم التاريخ من ذلك

تأليف

حفني افندي ناصف

احد عمال النيابة العمومية بمحكمة الاستئناف الاهلية المصرية وسكرتير الوفد المصري الى جمعية العلوم الشرقية في ويانا سنة ١٨٨٦ ميلادية

والكتاب في ٤٠ صفحة بقطع الهلال مطبوعة طبعاً دقيقاً . وهو يحتوي على مقدمة يليها مطالب في الابدال ، واوجه الاعراب ، والبناء والبنية ، وما يتردد بين الاعراب والبناء ، والتصحيح والاعلال وما يشبههما ، والزيادة والنقص ، والادغام والفك ، وهيئة التلفظ ، والمترادف

وقد فصّل الكاتب في بحثه هذا المستفيض الاشياء التي انفردت بالتكلم بها شعوب مخصوصة من العرب وامتازت بذلك لغتهم عن اللغة الشائعة بين احيائهم . ثم ذكر الفروق التي توجد في اللغة العامية ويحصل بها امتياز قوم عن قوم

وقد برهن الاستاذ بما أتاه في أبواب رسالته على تعمقه في درس اللغة ومزيد عنايته بتسمع اللهجات العامية ورد الفاظها الى أصولها العربية

خدمته للغة وأساليبه الكتابي

كانت نشأة حفني بك أيام كان للالفاظ دولة تخضع لها المعاني صاغرة وللمحسنات البديعية المقام الاول في كتابة الكاتب . وقد تأثر حفني بك بمن حوله وبحداهم في سجعهم وله في ذلك رسائل عدة ولكنه كان من جهة أخرى في طليعة الداعين الى ترك تلك الزخارف اللغوية عند الكتابة في الشؤون العامة أو المباحث

الطبية والادبية . وكان له القدح المعلى في تسهيل تعلم اللغة العربية في المدارس الاميرية في عهد المرحوم علي باشا مبارك واشترك مع الاساتذة المتنورين ، من خريجي دار العلوم ، في هدم معاقل السجع والاقتباسات التي كان التلاميذ يرغمون على الاتيان بها لمناسبة ولغير مناسبة والمقدمات البليدة التي لا معنى لها الا التقليد الاعمى

أما رأيه في التعريب فقد وصفه كاتب في جريدة الاهالي فقال : « . . . كان

شارع ابي المعالي بشبرى ٢٨ ١٩٠٧ اكتوبر

عزيزي اميل

أنا لا شك سعيد اذ هنأتني بالعيد وانى لاقنع منك بالخطور في البال فكيف بالارسال

وانا ببطاقتك البسيطة كأني ملكت البسيطة

لولا ما عرض من المرض فقد غيبني عن حسي

وانساني حتى نفسي اما الان وقد فقهت

بعد ما نقهت فقد وجب علي الشكر

وابداء العذر

حفني ناصف

رسالة من خط المرحوم حفني بك ناصف الى محرر هذه المجلة وهي تنم عن شيء من كرم اخلاق الفقيد ورقة معشره وهاك ما فيها :

« عزيزي اميل - انا لا شك سعيد اذ هنأتني بالعيد . واني لاقنع منك بالخطور في البال فكيف بالارسال . وانا ببطاقتك البسيطة كأني ملكت البسيطة . لولا ما عرض من المرض . قد غيبني عن حسي وانساني حتى نفسي . اما الآن وقد فقهت بعد ما نقهت . فقد وجب علي الشكر وابداء العذر ؟

حفني ناصف »

من المحافظين المعارضين للتوسع في التعريب ونقل الكلمات الافرنجية بلفظها . وقد تمسك بهذا الرأي في المجمع اللغوي وأحسن الدفاع عنه من وجهة نظرية ولكنه كان يخالف الجامدين على القديم المصرين على تنزيه المعجم العربي عن الاضافة اليه أو التصرف في مفرداته . فكان لا يأبى المزج بين الاصطلاحات الاجنبية والعربية على وجه يحفظ للغة بنيتها ويزيد في مادتها »

عمله في الجامعة

وكان حفني بك في مقدمة الذين وضعوا أساسات الجامعة المصرية فعين سكرتيراً للجنتها التحضيرية وعهد اليه في تدريس تاريخ آداب اللغة العربية وقد جمعت ادارة الجامعة محاضراته في هذا الموضوع في مجلدين متوسطي الحجم

طبع المصحف ومنتقدوه

وأبت الحكومة المصرية أن تريح حفني بك من العمل بعد احالته الى المعاش فولته رياسة اللجنة التي تتولى طبع المصحف الشريف بحسب قواعد الاملاء . وهو عمل لا يعرف مشاقه الا من قرأ ولو جزءاً من علم القراآت . وكثر اللغط حول هذا المشروع وتصدى بعضهم لما كتبه ولكن الفقيد وقف في وجههم ورد مزاعمهم وتحكماتهم باسانيد لغوية ودينية لم يقووا عليها فلزموا السكوت

وقد جمع حفني بك هذه المناقشات في كتاب بلغ عدد صفحاته نحو ٤٠٠ صفحة وينتظر نشره بعد أن يتم طبع المصحف

شعره

وكان حفني بك معدوداً من الطبقة الثانية بين الشعراء المعاصرين . وقد أحسن بعضهم في وصف شعره بقوله : « وشعر حفني بك يذكرنا بشعر أدباء القرن الثامن الهجري فهو نمط من الاسلوب النثري المنظوم تتردد فيه الملح والمحسنات اللفظية . ولكنه لم يكن كاولئك الادباء يتعسف النكات ويستكره المحسنات ، وكان أصدق منهم معنى وأرشق أسلوباً وأسلم عبارة »

ومن محاسن شعره قصيدته التي قدمها الى السير مالكوم ماكلريث المستشار القضائي السابق شاكياً نقله الى قنا — وقنا كما لا يخفى مشهورة بشدة حرها — وقد أجاد حفني بك في وصفها . ومما قاله فيها :

التي الهواء فلا أها ب لقاءه ظهراً وبطنا

وأنام غير مدثر شيئاً اذا ما الليل جنا
قد خفت النفقات اذ لا أشتري صوفاً وقطنا
وفرت من ثمن الوقود النصف أو نصفاً وثمنا
فالشمس تكفل راحتي فكأنها أمي وأختي
فاذا بدت لي حاجة في الغسل القى الماء سخنا
او رمت طبخاً او علا ج الخبز القى الجو فرنا

ومن لطيف نظمه قطعة عنوانها « على البحيرة » وصف فيها بعض مناظر سويسرا فقال :

سل المها بين إفيان ولوزان ماذا فعلن بقلب المغرم الجاني
اذ كن في الفلك كالاقمار في فلك يشرفن فيه على العاب نيران
فكم من الارض سهم للسماء وكم سهم تسدد لي من تحت أجفان
يعلو البحيرة من نيرانها شرر كزفرتي حين يجري مدمعي القاني
يذهبن بالفلك ايماناً وميسرة فيها ويطربن من توقيع الحان
سرب يغنين بالأفواه مطربة وثلة بربابات وعيدان
والورق في الشاطىء الادنى تجاوبها تبدي أفانين شدو بين افنان

جنازة الفقيد

وقد شيعت جنازة الفقيد في موكب حافل تقدمه مئات من تلاميذ المدارس الاهلية وطلبة مدرسة المعلمين السلطانية ودار العلوم ثم النعش يشيعه أنجال الفقيد وصهره صاحب العزة عبد الستار بك الباسل فجماهير المشيعين وفي مقدمتهم صاحب الفضيلة شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية ومندوب الحضرة العلية السلطانية فصاحب المعالي سعد باشا زغلول وكيل الجمعية التشريعية ومستشارو الاستئناف الاهلي وكبار رجال القضاة والادارة والوجوه والتجار وغيرهم وصلى عليه في جامع قيسون ثم استأنفت الجنازة السير الى الامام الشافعي حيث واروه التراب . وأبنه تأبيناً مؤثراً نثراً وشعراً حضرات الاستاذ ابراهيم الهلباوي بك والشيخ محمود القصري من دار الكتب السلطانية وعبد الحليم افندي الغمراوي المحرر بجريدة الافكار والشيخ عبد الباقي ابراهيم من دار العلوم ونائب عن كل مدرسة من مدرستي الحقوق والمعلمين

بين حفني وحافظ

ولمناسبة وفاة حفني بك تناقل الادباء واهل الفضل الحديث الآتي قالوا :

لما مات الامام الشيخ محمد عبده وقف على قبره ستة من مشاهير رجال الادب يرثونه . فالقى الشيخ احمد ابو خطوة مرثيته وتلاه حسن باشا عاصم ثم حسن باشا عبد الرازق فقاسم بك امين فحفني بك ناصف فحافظ بك ابراهيم . وقد شاءت الاقدار ان يموت الاربعة الاول متعاقبين في مماتهم تعاقبهم في الخطابة على قبر الامام ولم يبق منهم الا حفني وحافظ . وتنبأ حفني بك ان الدور دوره في الترتيب فكتب الى حافظ ذاكراً رحيل مؤبني الشيخ محمد عبده مترقباً اللحاق بهم . ولكن حافظاً (على مارواه بعضهم) حسب المسافات الزمنية الواقعة بين وفاة زملائه وقال انه سيعيش ربع قرن على الاقل ! ! توفيق حبيب

****

حكم شعرية

ان المعلم والطبيب كلاهما   لا ينصحان اذا هما لم يكرما
فاصبر لدائك ان جفوت طبيبه   واصبر لجهلك ان جفوت معلما

ان اخاك الصدق من لم يخدعك   وان رآك طالباً سعى معك
ومن يضر نفسه لينفعك   ومن اذا ريب الزمان صرعك
شتت شمل نفسه ليجمعك

ان المرايا لا تريـ   ـك خوش وجهك في صداها
وكذاك نفسك لا تريـ   ـك عيوب نفسك في هواها

ان من أضعف الضعاف لدى الا   ه قوي يستضعف الضعفاء

ان العبيد اذا أذللتهم صلحوا   على الهوان وان اكرمتهم فسدوا

ان المنية والفراق لواحد   أو توأمان تراضعا بلبان

التصوير عند العرب

بقلم احمد بك تيمور

(تتمة ما نشر في الجزء الماضي)

التماثيل

صناعة التماثيل من فروع التصوير ولا ريب في وجودها عند العرب بدليل وجود الاصنام وما كانوا أقاموه في قصر غمدان باليمن من تماثيل الاسود المتخذة من الشبه كأعظم ما يكون من الاسد وما لهجت به شعراؤهم من تشبيه النساء بالدمى وهي الصور من العاج وغيره . وكانت لهم تماثيل خاصة بصبيانهم يسمونها الجواري والبنات قال أمرؤ القيس

عهدتني ناشئاً ذا غرة رجل الجمة ذا بطن أقبْ

أتبع الولدان أرخي مئزري ابن عشر ذا قُريط من ذهب

وهي اذ ذاك عليها مئزر ولها بيت جوار من لُعَب

وفي القاموس « البنات التماثيل الصغار يلعب بها » وجاء في ربيع الابرار للزمخشري في حديث عائشة رضي الله عنها « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك وفي سهوتي ستر فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لي فقال ماهذا قلت بناتي ورأى بينهن فرساً له جناحان فقال ما هذا أرى وسطهن قلت فرس قال وما هذا الذي عليه قلت جناحان قال فرس له جناحان قلت أما سمعت أنْ لسليمان خيلاً لها أجنحة فضحك حتى بدت نواجذه » ويؤخذ من هذا الحديث عدم استنكار ما اتخذ من التماثيل لغير العبادة أي للهو ونحوه وإن شدد بعض الفقهاء فحرمها على الصغار أيضاً كما قال ابن العماد في منظومته في آداب الاكل استطراداً

قال الحليميّ وامنع طفلة لُعَباً وهو الصحيح فقم بالمنع واكتفل

أبو سعيد له التجويز قد نسبوا بعلة قد وهت عن رتبة العلل

ومن التماثيل ما كانوا يتخذونه من العجين ثم يجعلونه في الرب اذا طبخوه فيأكلونه وهي الجعاجر الواحدة جعجرة بضم الجيمين واسكان العين وتشديد الراء

وتشبهها تماثيل الحلوى التي ذكرها ابن جبير في رحلته فقال حلوى مصنوعة على أشكال الانسان كأنها عرائس

وقال المتنبي من أبيات وقد أهدى اليه عبيد الله بن خلكان تماثيل سمك من سكر ولوز تسبح في لجة عسل

أهلاً وسهلاً بما بعثت به إيهاً أبا قاسم وبالرسل
هدية ما رأيت مهديها الا رأيت العباد في رجل
أقل ما في أقلها سمك يلعب في بركة من العسل

ومما يشبه التماثيل عندهم ما كانوا يقيمونه في المزارع على هيئة الرجل لتفزيع الطير والوحش ويسمونه باللعين وبالرجل اللعين وبالخيال والضبغطرى والمجدار والنطار قال الشماخ

ذعرت به القطا ونفيت عنه مقام الذئب كالرجل اللعين

وقال آخر

أخ لا أخا لي غيره غير أنني كراعي الخيال يستطيف بلا فكر

ثم شاع بعد ذلك في العصور الاسلامية اتخاذ التماثيل للزينة في القصور والبرك وتفننوا في عملها من الحجر والرخام والنحاس والفضة على ما سنفصله كما اتخذوها أيضاً من الاسفيداج على ما ذكره العليمي في المنهج الاحمد عن احمد بن علي العلثي ودخوله دار السلطان وتكسيره صوراً من الاسفيداج كانت بها

ومن بديع التماثيل المقرونة بحيلة صناعية صورة جارية لها شعر في طرفها تدور على لولب وفي يدها طاقة ريحان فاذا وقفت حذاء انسان شرب فدارت رآها المتنبي في مجلس ابن عمار فقال مرتجلاً

وجارية شعرها شطرها محكّمة نافذ أمرها
تدور على يدها طاقة تضمنها مكرهاً شبرها
فان اسكرتنا ففي جهلها بما فعلته بنا عذرها

وقال أيضاً

وذات غدائر لاعيب فيها سوى ان ليس تصلح للعناق
أمرت بان تشال ففارقتنا ولم تألم لحادثة الفراق
اذا هجرت فعن غير اجتناب وان زارت فعن غير اشتياق

وقال وقد سقطت في دورانها

ما ثقلت في مشيئة قدماً ولا اشتكت من دُوارها ألما
لم أرَ شخصاً من قبل رؤيتها يفعل أفعالها وما عزما
فلا تلمها على تواقعها أطربها أن رآتك مبتسما

وأبدع من هذه في الصناعة ما كان اتخذه في داره أحد أبناء الرؤساء الكتّاب وهو بيت لمروحة الخيش في وسطه بركة مثمنة قد نصب فيها صومعة للحركات مربعة لها أربعة منابر مجوّفة في جوانبها الاربعة يتوسطها عمود عال في صورة الاسطوانة ينزل اليها الماء من حوض مشرف مرفوع بناؤه على سماء البيت مصبوب اليه بالحركات حتى اذا استقرّ الماء في قرار البركة فاض منه ثم من الجوانب الاربعة نبضاً يعلو حتى يكاد بفضل قوته يلحق سقف البيت . وقد عملت له تماثيل من الصُفر يسمي كل واحد باسم فيؤخذ التمثال فيركب على ذلك العمود الاوسط ثم يدار بحركة من الحركات فيرش الماء على سائر من يحويه البيت أو يقاربه . فمن التماثيل صورة تسمى الخركاه أي الخيمة اذا نصبت وأديرت تشكل الماء عليها بشكل الخيمة وبقي معلقاً ولا يسيل حتى تنقطع حركتها وتوضع على جوانبها الشموع اللطاف فتدور بها ولا تطفئها . ومنها صورة تسمى العروس يجعل لها ذلك العمود كالكرسيّ فتدور راقصة عليه وتوصل في دورانها الماء الى رأسها بيديها . ومنها صورة تسمي الجمل على هيئته اذا نصبت سارت مسيره بالماء المحرك لها . ومنها صورة سموها الطنبلنسب [1] في هيئة الرجل الناشب اذا نصبت فاريد بعض حاضري البيت بالبلل صوّب سهماً اليه فاصابه فكيف هرول لينجو منه كان الماء تابعاً له مادام في عرصة البيت . وكان صاحب البيت صديقاً لمهيار الديلمي الشاعر وسأله وصفه فوصفه في قصيدة طويلة أحسن فيها ما شاء مطلعها

نديمي وما الناس الا السكارى أدرها ودعني غداً والخُمارا

يقول فيها في وصف الخركاه

فمهن خركاه منصوبة على تلعة حملتها اغترارا
تولى تجارتها فوقها من الماء سمح كريم تجارا

(١) هكذا ورد مضبوطاً بالقلم في نسخة قديمة من ديوان ابن الرومي تغلب عليها الصحة ويظهر انه اسم مخترع . والناشب يعني الرامي بالنشاب

اذا ما أدير لها مرّة لتعجب جادت فدارت مرارا
لها آية لم تكن قبلها ولكن ظهرنا عليها اقتدارا
ترى ظلها جامداً مائعاً وتحمل ضدين ماء وناراً

وفي وصف العروس .

ومثل العروس عروس تديم يديها على منكبيها النثارا
اذا ما جلوها أبت حشمة بكرسيها أن تطيق القرارا

وفي وصف الجمل

وكالظبي يظلم باسم الجمال فيطغى إباء ويغضى اغتفارا
ويزبد فوه لغاماً اذا تفرّق عن شفتيه استطارا
يسير روياً اذا ما غدت كبود المطايا عطاشاً حرارا

وفي وصف الطنبلب .

ولولا الذي فعل الطنبلب لقد أنجد المدح فيه وغارا
ولكنه خافر للذمام جاورته فاساء الجوارا
بغاني فلم أنج مع نهضتي ورحب خطاي منه فرارا

الى أن يقول ممازحاً صاحب البيت بغرامة ما نابه من نابه

فاردى ردائي وجاءت اليك درّاعتي تبتغي منك ثارا
قتيلي لديك فلا يذهبنّ عليك دماء ثيابي جُبارا

وأنشد ابن أبي أصيبعة في عيون الانباء لسديد الدين الشيباني مما كتبه على كأس في وسطها صورة طائر على قبة مخرّمة اذا وضع الماء في الكأس دار وصفر بحيلة محركة ومن وقف باذائه حكم عليه بالشرب فاذا شرب وترك شيئاً صفر الطائر ولا ينقطع صفيره الا اذا لم يبق في الكأس شيء .

انا طائر في هيئة الزرزور مستحسن التكوين والتصوير
فاشرب على نغمي سلاف مدامة صرفاً تنير حنادس الديجور
صفراء تلمع في الكؤوس كأنها نار الكليم بدت بأعلى الطور
واذا تخلّف من شرابك درهم في الكأس نمّ به عليك صفيري

ومن هذا النوع تماثيل الساعة التي كانت بباب الساعات من الجامع الاموي بدمشق ذكرها النعيمي في تنبيه الطالب والدارس فقال « عليها عصافير من نحاس

ووجه حيّة من نحاس وغراب فاذا تمت الساعة خرجت الحية وصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة » . قلنا باب الساعات هذا هو المسمى بباب جيرون وقد وصف ابن جبير في رحلته ساعة كانت فيه بما يخالف هذا الوصف فذكر فيها بازين مصوّرين من صفر كانا يسقطان من فيهما صنجتين كلما انقضت ساعة من النهار فيسمع لهما دويّ فاذا كان الليل عرفت الساعات بمصباح يدور به الماء على اثنتي عشرة طاقة فيها زجاجات يفيض من كل واحدة نوره اذا مرّ عليها والراجح انها ساعة أخرى غير تلك . وقال السخاويّ في حوادث سنة ٨٤٥ من التبر المسبوك « وحضر في رجب من الاسكندرية الرماة ومعهم صفة قلعة من خشب فقدموها الى السلطان ورموا عليها بحضرته بقوس الرجل فخرج منها صورة شخص بسيف وترس فرمى عليه عبد صغير فضرب رقبته بسهم فامر السلطان بان يخلع عليهم ورسم لهم بجامكية[1] وأن يعودوا الى بلدهم »

وحكى ابن اياس في حوادث سنة ٨٩١ أن السلطان أمر بقتل شخص فانزلوه من القلعة مسمراً على لعبة من الخشب غريبة الهيئة تجر بالعجل ولها حركات تدور بها غير انه لم يفصح عنها أكانت من نوع التماثيل أم من غيرها . وحكى ايضاً أن احد ملوك اليمن أهدى للسلطان الكامل الايوبي شمعداناً[2] من نحاس من عمل الموقتين اذا كان الفجر خرج منه شخص من نحاس لطيف الخلقة وصفّر كأنه ينبئ السلطان بالفجر ويحيّيه تحية الصباح وقال انه بقي في الخزائن الى ايام الناصر محمد بن قلاوون ثم فقد

فترى فيما ذكر أنهم لم يكتفوا بتصوير التماثيل فحسب بل احتالوا على تحريكها بقوة الماء أو اللوالب المدبرة بصنوف الحيل وجعلوا على أفواه ما صوروه الصفارات يدفع فيها الريح فتحاكي صوت ذي الروح . ولولا قصرنا هذا البحث على التصوير لافضنا فيما طالت فيه ايديهم من الصنائع في البناء والنحت والنجر والنسج وما احكموه من الآلات الفلكية وغيرها وما احتالوا به على جر الاثقال ورفع الماء وتسخيره

(١) لفظة فرسية اصلها جامكي ومعناها الوظيفة تنقد على القيام بعمل ثم غلبت بعد ذلك على ما ينقد من الوظائف مشاهرة وقد استعمل العرب في معناها الاطماع والارزاق جمع طمع ورزق .

(٢) يرادفه في العربية المنارة والمنارة

في ادارة الساعات والدواليب وما شاكلها بلهَ ما اتقنوه من الآلات الحربية كالمكاحل والمدافع

أما التماثيل العارية عن مثل هذه الحيل فقد ذكر المقريزي ان باب الصلاة الذي كان يخرج منه احمد بن طولون من قصره الى مسجده كان يسمى ايضاً بباب السباع لوجود أسدين من الجبس عليه . وذكر ايضاً في كلامه على خزانة الجوهر والطرائف والطيب الفاطمية الاجاجين القائمة على ارجل على صور الوحوش والسباع . والتماثيل المصنوعة من العنبر وكانت كثيرة تبلغ اثنين وعشرين الف قطعة اقل تمثال منها وزنه اثنا عشر مناً . وتمثال الطاووس الذهب المرصع بنفيس الجوهر وعيناه من الياقوت الاحمر وريشه من الزجاج المينا المجرى بالذهب على ألوان ريش الطواويس . والديك الذهب ذا العرف الكبير المفروق المتخذ من الياقوت كاكبر ما يكون من اعراف الديكة . والغزال المرصع بنفيس الجوهر ذا البطن الابيض المنظوم بالدر الرائع . وتمثال البستان المصوغ من الفضة المذهبة المتخذ طينه من الندّ وثمر شجره من العنبر وغيره

ومن هذا النوع تماثيل الرنوك في الدولتين التركية والجركسية وقد كانت كثيرة نذكر منها تمثال أسد من حجر بدار الآثار العربية عثروا عليه في قناطر خليج أبي المنجى[1] وهي من آثار الظاهر بيبرس وقد قدمنا أن شارته كانت على صورة أسد وكان أقام اربعة تماثيل أخرى على هذه الصورة على قناطره بخليج القاهرة المسماة بقناطر السباع وقد عفا أثرها وأثر تماثيلها . ومنه حمالات الازيار التي كانوا يتخذونها على صورة سلحفاة برأس أو برأسين ويزخرفونها بالكتابات الكوفية واشكال من الحيوان وهمية . ومما يستغرب[2] تمثال غول اتخذ مصرعة للباب الكبير بمسجد قجماس الاسحاقي بالقاهرة المعروف اليوم بجامع أبي حريبة

(١) أبو المنجى رجل من اليهود كان مشارفاً لأعمال الخاجان بمصر مدة الفاطميين وهو جد بني صفير الأطباء اليهود . شرع في حفر هذا الخليج سنة ٥٠٦ هـ وأقام في عمله سنتين . والقناطر التي عليه من بناء الظاهر بيبرس ثم جددها قايتباي لما تداعت ولم تزل باقية الى الآن مقابلة لدار الآثار العربية وهي شرقي القاهرة يراها المسافر منها في القطار عن يساره بين [illegible] (٢) [illegible] مسجد الأمير أبي بكر مزهر الانصاري عليه صور طيور منقوشة في الباب [illegible] فيه

ويلتحق بهذه التماثيل ما كانوا يصورون به جآجئ السفن من اشكال الحيوان وجوارح الطير وغيرها كما فعل الامين بن الرشيد بتصويره حرّاقاته [1] الخمس بصورة الاسد والدلفين والعقاب والحية والفرس وانفاقه عليها مالاً عظيماً وفيها يقول أبو نواس

سخر الله للامين مطايا | لم تسخر لصاحب المحراب [2]
فاذا ما ركابه سرن برّا | سار في الماء راكباً ليث غاب
أسداً باسطاً ذراعيه يعدو | أهرت الشدق كالح الانياب
لا يعانيه باللجام ولا السو | ط ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس اذ رأوك على صو | رة ليث يمر مرّ السحاب
سبّحوا اذ رأوك سرت عليه | كيف لو ابصروك فوق العقاب
ذات زور ومنسر وجناحيـ | ـن تشق العباب بعد العباب
تسبق الطير في السماء اذا ما اسـ | ـتعجلوها بجيئة وذهاب

وقال من أخرى

قد ركب الدلفين بدر الدجى | مقتحماً للماء قد لجّجا [3]
لم ترَ عيني مثله مركباً | أحسن ان سار وان عرّجا
اذا استحثته مجاذيفه | أعنق فوق الماء أو هملجا [4]

وقال من رجز

ألا ترى ما أعطى الامين | أعطى ما لم تره العيون
ولم تكن تبلغه الظنون | الليث والعقاب والدلفين

هذا ما كان من خبر التماثيل بالمشرق فذا اخذت يدك واشرفنا على الاندلس

---

(١) الحراقة بفتح الاول وتشديد الراء كانت تطلق على نوع من السفن بالبصرة فيها مرامي نيران يرمى بها العدو وعلى السفينة الخفيفة المرعى ما في كتب اللغة . ويؤخذ من عبارات المؤرخين أنها اطلقت بعد ذلك على السفن ذات الحجر والمرافق التي يركبها العظماء فهي شبيهة بما يسمى في مصر (بالذهبية) ويصح اطلاقها ايضاً على ما نسميه (باليخت)

(٢) صاحب المحراب سليمان عليه السلام (٣) لجج خاض اللجة أي معظم الماء

(٤) الهملجة حسن سير الدابة في سرعة والهملاج من البراذين هو ما نسميه الآن (بالرهوان)

موطن الحضارة العربية ومعهد التفنن والاختراع لرأينا عجباً واستجلينا بدعاً بل واستنتجنا من خبر القوم، في قصورهم وجنانهم انهم كانوا اشد مغالاة فيها واحرص على الاستكثار منها من اهل المشرق . وحسبنا ما اقامه الناصر من تماثيل الرخام الملوّن بالزهرآء، ونصبه منها اثني عشر تمثالاً في وسط المجلس الشرقي وما أقيم من التماثيل في حمرآء غرناطة الباقية الى اليوم تعارك الدهر

وكان بحمام الشطارة باشبيلية صورة بديعة الشكل جلاها لنا أحد شعرآء الاندلس بقوله

ودمية مرمر تزهو بجيد تناهي في التورّد والبياض
لها ولد ولم تعرف حليلاً ولا ألمت بأوجاع المخاض
ونعلم انها حجر ولكن تتيّمنا بألحاظ مراض

وقال التطيلي (١) الاعمى في اسد يقذف الماء من فمه

اسد ولو أنّي أنا قشه الحساب لقلت صخره
فكأنه أسد السما ء يمج من فيه المجرّه

وقال الوزير أبو جعفر الوقشي وقد شرب على صهريج فاختنق الاسد الذي يرمي بالمآء ونفخ فيه رجل أبخر ثغري

ليث بديع الشكل لا مثل له صيغت من المآء له سلسله
يقذف بالمآء على جنبه كأنه عاف الذي قبّله

ولعمري لقد أبدع الوزير في الوصف فجعل اشمئزاز الاسد من تقبيل الرجل الابخر علة لرميه بالماء على جنبه كما يعاف المرء الشيء فيلوي وجهه عنه ولولا اختناقه بشيء دخل في فيه مع الماء وتبخير هذا الرجل له ما تهيأ للوزير وصف هذا الشكل بمثل هذا التعليل المونق . . وكان في قصر المعتمد فيل من الفضة على شاطيء بركة يقذف المآء وهو الذي يقول فيه عبد الجليل بن وهبون من قصيدة

ويفرغ فيه مثل النصل بدع من الافيال لا يشكو ملالا
رعى رطب اللجين فجاء صلداً تراه قلما يخشى هزالا

وقال يحيي بن هذيل في غزالة من نحاس ترمي المآء في بركة

عنت لنا من وحش وجرة ظبية جاءت لورد المآء ملء عنانها

---

(١) نسبة لتطيلة بضم فكسر بلد بالاندلس غير طليطلة

وأظنها اذ حدّدت آذانها ريعت بنا فتوقفت بمكانها
حيّت بقرني رأسها اذ لم تجد يوم اللقاء تحية ببنانها
حنّت على الندمان من افلاسهم فرمت قضيب لجينها لحنانها
لله درّ غزالة أبدت لنا درّ الحباب تصوغه بلسانها

ولما أراد أحد سلاطين مراكش في القرن الثاني عشر الهجري ابرام هدنة مع الاسبان ندب لذلك السيد احمد بن محمد بن غزال الفاسي وبعثه سفيراً للمكهم سنة ١١٧٩ فكان مما شاهده باشبيلية ووصفه في رحلته نتيجة الاجتهاد في المهادنة والجهاد دار عربية كبيرة كانت لم تزل قائمة على عهده يقول في أثناء وصفه لها ولجنتها «وبأعلى السور تصويرة آدمي وبيده بوق متصل بفيه يزعق فيه ولا يسكت الا اذا انقطع الماء. وبهذا الروض عدة صهاريج استوعب جميعها تصاوير يدفق الماء من فيها»

ولم يقتصر الاندلسيون على ذلك بل تفننوا في التلهي باتخاذ التماثيل من النور والزهر أيضاً كما روى عن المنصور بن أبي عامر وقد أراد امتحان بداهة صاعد اللغوي فاستدعاه لمجلسه وقد أعد طبقاً عظيماً جعل فيه سفائف مصنوعة من انواع النور وصنع على السفائف مركباً من ياسمين فيه أمثال الجواري وتحت السفائف بركة ماء قد التقى فيها لؤلؤاً مثل الحصباء وطلب منه وصفها فقال بديهة

أبا عامر هل غير جدواك واكف وهل غير من عاداك في الناس خائف
يسوق اليك الدهر كل غريبة وأغرب ما يلقاه عندك واصف
وشائع نور صاغها صيّب الحيا عليها فمنها عبقر ورفارف
ولما تناهى الحسن فيها تقابلت عليها بأنواع الملاهي الوصائف
كمثل الظباء المستكنّة كنّساً تظللها بالياسمين السفائف

الى آخر الابيات وكان الى ناحية تلك السفائف سفينة فيها جارية من النوّار تجذف بمجاذيف من ذهب لم يرها صاعد فقال له المنصور أجدت الا انك لم تصف هذه الجارية فقال

وأعجب منها غادة في سفينة مكللة يهفو اليها المهاتف
اذا راعها موج من الماء تتقي بسكانها ما أنذرته العواصف
متى كانت الحسناء ربّان مركب تصرّف في يمنى يديها المجاذف

ولم ترَ عيني في البلاد حديقة تقلها في الراحتين الوصائف

وقس على الاندلس سائر بلاد المغرب وما كان في قصورها من الصور والتماثيل كالدار التي بناها المنصور بن أعلى الناس[1] بجاية واتخذ في بستانها بركة عليها اشجار مذهبة ترمي اغصانها الماء وعلى حافاتها اسود مذهبة قاذفة بالماء ايضاً وفيها يقول ابن حمديس

وضراغم سكنت عرين رياسة   تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشي النضار جسومها   وأذاب من أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحركٌ   في النفس لو وجدت هناك مثيرا

الى ان يقول في الاشجار

وبديعة الثمرات تعبر نحوها   عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبيــة نزعت الى   سحر يؤثر في النهى تأثيرا

الى آخر ما قال في وصفها . وله من قصيدة أخرى يصف فيها بركة يجري اليها الماء من شاذروان من افواه طيور وزرافات واسود

خصت بطائرة على فنن لها   حسنت فافرد حسنها من ثان
قس الطيور الخاشعات بلاغة   وفصاحة من منطق وبيان
فاذا أتيح لها الكلام تكلمت   بخرير ماء دائم الهملان

الى ان يقول

وزرافة في الجوف من انبوبها   ماء يريك الجري في الطيران
وكأنما ترمي السماء ببندق   مستنبط من لؤلؤ وجمان
في بركة قامت على حافاتها   اســد تذل لعزة السلطان

وهي طويلة نكتفي منها بهذا المقدار

ومنها الساعة التي كانت عند سلطان تلمسان أبي حمّو قال صاحب نفح الطيب في وصفها « لها ابواب مجوفة على عدد ساعات الليل الزمانية فمهما مضت ساعة وقع النقر بقدر حسابها وفتح عنــد ذلك باب من أبوابها وبرزت منه جارية صوّرت في أحسن صورة وفي يدها اليمنى رقعة مشتملة على نظم فيــه تلك الساعة باسمها مسطورة فتضعها بين يدي السلطان بلطافة ويسراها على فمها كالمؤدية بالمبايعة حق الخلافة »

(١) أورده ياقوت في معجم البلدان بلفظ (علناس) ولعله اسم بربري استصوبوا تغييره بأعلى الناس أو يكون جرى فيه على لفظ العامة بالمغرب

المصورون واضرابهم

ينكر الكثيرون اشتغال العرب بالتصوير ويرون ان ما كان عندهم منه ليس من صنع أيديهم وهو لعمري رأي قائل لم يصدر عن روية وقول جزاف ألقوا به على عواهنه . وهب ان بعض ذلك كان من عمل غيرهم كما هو الواقع فوجود مثله شيء عام مألوف في الامم لا يقتصر على صناعة دون صناعة ولا تنفرد به أمة عن أمة فالحكم به عليهم خاصة حكم معتبط وشطط لا يسوّغه مسوّغ . ليت شعري لمَ لم يصور العرب أتحرّجاً دينياً كان إحجامهم عنه وقد رأيناه على ثيابهم واثاثهم وجدرانهم وفي دورهم وأفنيتهم ام عجزاً خُصوا به فيه دون صنوانه من الصناعات كالنحت والحفر والنجر والنقش وغيرها وقد بلغوا فيها الشأو المعجز . وبعد فبين ايدينا من اسمائهم المنقوشة على آثارهم وما سجلته الاخبار عن مصوريهم وروى لنا عن طبقاتهم ككتاب (ضوء النبراس وانس الجلاّس في اخبار المزوّقين من الناس) المذكور في خطط المقريزي ما يدحض هذا الزعم وينير غيهب الشك

فمن الادلة على اشتغالهم به في الصدر الاول ما رواه البخاري ومسلم عن رجل جاء الى ابن عباس فقال اني رجل أصوّر هذه الصور فأفتني الى آخر ما جاء في الحديث وكقصة المرأة التي قادت الجاحظ الى الصائغ لتريه الشيطان فيصوّره لها

وقول منصور بن محمد الازدي قاضي هراة

طلع البنفسج زائراً اهلاً به من وافد سرّ القلوب وزائر
فكأنما النقاش قطع لي به من ازرق الديباج صورة طائر

وغيرذلك مما يذكر عرضاً في الاخبار ولم تستحضره الذاكرة الآن . وقد ارشدنا المقريزي الى اسماء بعض من احكموا التصوير وشرح لنا من أمرهم عجباً نقصه عليك في سرد اسمائهم وقد جمعناها من مصادر عديدة وها هي على ترتيب الحروف

(احمد الواقع) من متأخري المصورين له بدار الآثار العربية بالقاهرة لوح من القاشاني عليه صورة الكعبة وبعض المشاهد بالحرم وعلى حواشيه منائر وابواب عمله سنة ١٠٧٤ هـ ونقش عليه اسمه

(احمد بن يوسف بن هلال الحلبي) كان يصنع الاوضاع العجيبة وبرع في النقش والتزميك [1] والتذهيب وأولع بصنع الاوضاع المستحسنة في الاوراق المذهبة

(١) كلمة مولدة عامية يكثر ورودها في عباراتهم ويراد بها النقش والتزيين بالذهب والالوان

توفي سنة ٧٣٧ هـ وقيل ٧٣٨

(بدر أبو يعلى) من آثاره تنور بدار الآثار منقوش بآيات الصناعة الرائعة في احكام رسوم زخارفه وقد نقش عليه ما نصه «عمل المعلم بدر أبو يعلا في شهور سنة ثلاثين وسبعمائة فرغ في مدة أربعطشر يوم » يريد اربعة عشر يوماً فجاء به هكذا لعاميته

(جواد بن سليمان بن غالب اللخمي) برع في النقش ورسم الهياكل المدوّرة في المصاحف وبلغ الغاية في نقش الخواتم واجراء الميناء عليها وأتقن فنوناً أخرى كالزركشة والتطريز والنجارة والتطعيم مات سنة ٧٥٦ هـ

(شعيب بن محمد بن جعفر التونسي) برع في الترميك وأتقن عدة فنون وتوفي سنة ٧٧٠ هـ

(عبد الرحمن بن علي بن محمد الدهان) ويعرف بابن مفتاح كان يعاني صناعة الدهان ويتكسب منها توفي قريب سنة ٨٦٠

(عبد الكريم الفاسي الشهير بالزريع) من متأخري المصورين على القاشاني له بدار الآثار قطع عمل بعضها سنة ١١٧١ هـ وكتب عليها اسمه

(أبو العز) من المصورين على الخزف كتب اسمه على قطع مما عثر عليه في اطلال الفسطاط وقد شرحنا وصف هذا الخزف المصوّر فيما تقدم

(ابن عزيز) من مصوري العصر الفاطمي استدعاه الوزير اليازوري من العراق الى مصر لمحاربة القصير لان القصير كان يشتط في أجرته ويلحقه عجب في صنعته . ذكره المقريزي وذكر له صورة راقصة بثياب حمراء في صورة حنية صفراء ترى كأنها بارزة من الحنية أبدع فيها

(علي بن عبد القادر بن محمد النقاش) أخذ صناعة النقش عن زوج أمه وبرع فيها وتكسب في حانوت بالصاغة توفي سنة ٨٨٠ هـ

(علي بن محمد امكي) من المصورين على الزجاج له بدار الآثار مشكاة بديعة صوّر عليها أحد الرنوك وكتب عليها اسمه

(علي بن مهمد) له بدار الآثار لوح من القاشاني عليه صورة محراب قائم على عمودين وقنديل معلق باعلاه صوّره سنة ٧١٦ وكتب عليه اسمه

(غزال) أحد المصورين على الخزف المتقدم ذكره وورد اسمه منقوشاً على بعض القطع

(الغيبي) مثل سابقه ويلاحظ أن أسمه كتب على بعض القطع الغيبي الشامي وجاء في بعضها غفلاً من هذه النسبة فلا ندري أهما أثنان أم واحد

(القصير) من مصوري العهد الفاطمي بمصر ذكره المقريزي وذكر له صورة راقصة بثياب بيضاء في صورة حنية دهنها أسود ترى كأنها داخلة في الحنية

(الكتامي) أحد تلاميذ بني المعلم بمصر ذكره المقريزي وذكر له صورة كانت بدار النعمان بالقرافة وهي صورة يوسف عليه السلام في الجب وهو عريان والجب كله أسود اذا نظره الانسان ظن أن جسمه باب من لون دهن الجب

(محمد بن حسن الموصلي) له بدار الآثار منارة من صفر محلاة بالذهب والفضة والكتابة الكوفية عليها صور آدميين وصنوف من الحيوان نقشها سنة ٦٦٨ هـ ونقش عليها أسمه

(محمد الدمشقي) له بدار الآثار لوح من القاشاني عليه صورة مكة والكعبة صوّره سنة ١١٣٩ هـ وكتب عليه أسمه

(محمد بن سنقر البغدادي) له بدار الآثار كرسي من صفر عمله للناصر محمد ابن قلاوون وحلاّه بالنقوش البديعة وصوّر عليه صوراً من البط ونقش عليه هذه العبارة « عمل العبد الفقير الراجي عفو ربه والمعترف بذنبه الاستاذ محمد بن سنقر البغدادي السناني وذلك في تاريخ سنة ثمانية [1] وعشرين وسبعمائة في أيام مولانا الملك الناصر عزّ نصره »

(محمد بن علي بن عمر) المعروف بشمس الدين الدهان لمعاناته هذه الصناعة وكان ملماً بصناعات أخرى هجاه جمال الدين الصوفي ببيتين يدلان على انه كان يصور الناس تحاشيت عن ذكرها وهو من اهل القرن الثامن الهجري

(محمد بن محمد بن احمد) شمس الدين الرسام تميز في صناعته وبرع في غيرها كالتذهيب وعمل المزهرات وقص الورق والصاق الصيني كان موجوداً سنة ٨٨٥ هـ

(محمد بن محمد بن عيسى) القاهري كان موجوداً سنة ٨٩٥ هـ وتدرب في التذهيب على ابن السداد وفي شطف اللازورد على ظهير العجمي وبرع في فنون أخرى

(محمود السفياني) من المصورين على الصفر له بدار الآثار تنور عليه رسوم كتب عليها « عمل الحاج محمود الضراب في النحاس يعرف بالسفياني »

---

(١) الصواب هنا ثمان

(مرشد بن محمد) المعروف بابن المصري أجاد صناعة التذهيب وغيرها وكان موجوداً سنة ٨٩٤ هـ

(بنو المعلم) ذكرهم المقريزي وذكر من آثارهم تزويق جامع القرافة ووصف من أعمالهم فيه تصويرهم على قنطرة قوس شاذروانا مدرّجاً بدرج وآلان سود وبيض وحمر وخضر وزرق وصفر اذا تطلع اليها من وقف في سهم قوسها رافعاً رأسه اليها ظنّ ان المدرّج المزوق كأنه خشب مقرنص [1] واذا أتى احد قطري القوس نصف الدائرة ووقف عند أول القوس منها ورفع رأسه رأى ذلك الذي توهمّه مسطحاً لا نتوء فيه . قال وهذا من أفخر الصنائع عند المزوّقين

(موسى بن عبد الغفار السمديسي) كان موجوداً سنة ٨٧٠ هـ وعاني التذهيب فبرع في صناعته وصار أحد من عليهم المعوَّل

(النازوك) ذكره المقريزي في تلاميذ بني المعلم

(الهرمذي) أحد المصورين على الخزف وله قطع عليها اسمه بدار الآثار

فهذه ثمانية وعشرون اسماً من اسماء المصوّرين واضرابهم التقطناها التقاطاً وذكرناها لا على أنهم جميعهم جديرون بالذكر ولكن لما قدمناه في أول كلامنا من ندرة العثور على أمثالهم بعد ضياع ما كتب عنهم وعن صناعتهم ولعلّ الله ييسر لنا فيما بعد كشف اللثام عن هذه الصناعة وصناعها باوسع ممّا ذكرنا

هذا ولا يهولنّ المطالع إكثارنا من الشواهد الشعرية ، فالشعر في نظرنا أصدق قيلاً وأجلى بياناً في هذه المواضيع لان الشاعر أنما وصف شيئاً موجوداً وقع عليه نظره فرواه لنا على ما رآه ولانه يجتهد في تقريبه للاذهان فيصور من دقائقه في شعره ما قد لا تصوّره عبارة أخرى

احمد تيمور

---

(١) المقرنص نوع من الصناعة في الحجر والخشب يتخذ في زوايا السقوف وعقود الابواب ورد فيما اطلعنا عليه بالنون على ما هو مشهور ايضاً على الالسنة الى الآن ونظن انه محرف عن المقرفص بالفاء لانه على هيئة التجمع وقعود القرفصاء من قرفصة اذا جمعه كذلك وشده ولم نره بالفاء الا في عبارة للذهبي نقلها ابن مفلح في كناش له عندنا بخطه . أو يكون بالنون مأخوذاً من قولهم قرنص البازي اذا ربطه ليسقط ريشه لانه يكون في هذه الحالة متجمعاً منكمشاً منفش الريش لذلته وتبرمه من ربطه

روايات شكسبير

من هو مؤلفها الحقيقي ؟

ان روايات شكسبير هي بلا ريب أعظم مفاخر الادب الانكليزي حتى لقد قال أحد المعجبين بها : « ان الكتاب المقدس وآثار شكسبير كانت أقوى العوامل الادبية التي أثرت في التاريخ » . وليس هذا مقام الافاضة في بيان قيمة هذه الروايات ووصف عبقرية كاتبها فقد عرضت لنا فرص مختلفة وفّينا فيها ذلك الموضوع حقه من



شكسبير

البحث (ولا سيما في المقالة التي نشرناها في الجزء الثامن من السنة الرابعة والعشرين على أثر احتفال الامة الانكليزية بمرور ثلاثمئة سنة على وفاة شكسبير) وانما غرضنا من هذه المقالة ان تحقق من شخصية مؤلف تلك الروايات الفريدة في نوعها

فهل شكسبير نفسه الف تلك الروايات أم الفها غيره من الادباء ونسبها الى شكسبير ؟

هذا هو السؤال الذي نود الاجابة عنه الآن . وقد اشتغل كثيرون من النقاد الحدثين في استجلاء هذا المبحث الغامض كما اشتغلوا من قبل في استجلاء شخصية هوميروس الشاعر اليوناني الشهير . على ان بين المسئلتين اختلافاً كبيراً : فقد ارتاب

بعض النقاد في كون الاشعار المنسوبة الى هوميروس هي من نظم شاعر واحد وقالوا انها لعدة شعراء من اليونان . أما روايات شكسبير فلم يختلف النقاد في كونها لمؤلف واحد بل ارتابوا في كون ذلك المؤلف هو شكسبير نفسه أو سواه

وهذا المبحث يتطلب الرد على سؤالين :

أولاً هل كان شكسبير الممثل – مع ما نعلمه من ضعة أصله وقلة علمه – مؤلف الروايات التي مثلها ؟

ثانياً اذا ثبت لنا ان شكسبير لم يؤلفها فمن هو مؤلفها الحقيقي

١ – هل ألف شكسبير رواياته ؟

ان ما نعلمه من حياة شكسبير – مع قلته – يحملنا على الشك في مقدرته على اتيان تلك الآثار العجيبة فلا ريب في ان شكسبير لم يتعلم في المدرسة الا أبسط مبادىء القراءة والكتابة . بل ان البعض يشكون في معرفته الكتابة . ومن يتأمل في الوثائق المحفوظة الممضاة باسمه يجد ان خط ممضيها يختلف باختلاف تلك الوثائق بل ان تهجئة اسمه ليست واحدة فهي تارة Shexper وطوراً Shagsbere الى غير ذلك من الكتابات

وقد أدمن شكسبير الخمر منذ حداثته وفسدت أخلاقه وانحطت آدابه . وكان في بادىء أمره صبي لحام ثم اضطر الى زواج امرأة كان قد استغواها ثم هجرها بعد ان رزق منها ثلاثة أولاد والغالب انه احترف اللصوصية مدة من الزمن . وأخيراً ذهب الى لندن حيث أخذ يحرس الخيل على باب أحد دور التمثيل فيها ثم عين في وظيفة خادم للمسرح ثم أصبح ممثلاً . ولكنه لم يبرع كثيراً في التمثيل بل كان يعيش من اقراض النقود برباً عال

هذا جل ما نعلمه عن حياة شكسبير. فهل يعقل ان من كانت هذه صفاته يؤلف تلك الروايات البديعة التي تنم عن عبقرية كاتبها وتضلعه من اللغة الانكليزية وخبرته في الشؤون العامة والخاصة والمامه باخلاق الناس وطبائعهم على اختلاف طبقاتهم – من أهل البلاط الى رعاع القوم ؟

لا يسع المطلع على روايات شكسبير وعلى سيرته الا ان ينكر على هذا الممثل المتشرد تأليف تلك الروايات التي لا مثيل لها . ومن الاطلاع عليها يستدل القارىء

على بعض الصفات والمزايا التي كانت لمؤلفها الحقيقي والتي لم يستوفها شكسبير فمن ذلك اولاً علمه الواسع العجيب . فقد طرقت تلك الروايات مباحث كثيرة يتطلب بعضها معرفة دقيقة وتدريباً طويلاً وبراعة فائقة . فمن الواضح أن المؤلف كان محيطاً بآثار الاقدمين وتواريخهم وانه كان ملماً بالشريعة والقانون وانه كان بارعاً في الموسيقى وما يتعلق بها وانه كان مطلعاً على عادات البلاط وأهل الطبقة العالية وعلى الالعاب التي كان يمارسها الاشراف في ذلك الزمن الى آخر ما هنالك من المعلومات التي يتعذر نسبتها الى قروي بسيط كشكسبير

كذلك يستدل من تلك الروايات على أن مؤلفها ساح في معظم الاقطار الاوربية ولاسيما فرنسا وايطاليا وأسبانيا كما يتضح ذلك جلياً مما جاء في رواياته من الاوصاف الدقيقة

ومن الادلة على أن شكسبير لم يؤلف الروايات المنسوبة اليه انه ترك وصية هي مثال البساطة والسذاجة . والغريب أنه لم يرد فيها كلمة واحدة عن كتبه ورواياته !

زد على ذلك ان تمثيل روايات شكسبير من اصعب المهام التي تعرض لارباب المسارح ومديري الاجواق لكثرة ما تستدعيه من التدبيرات الفنية مما يدل على أن مؤلفها ليس من ارباب التمثيل بل من رجال العلم والادب البعيدين عن هذا الفن من وجهته العملية

فلهذه الاسباب وغيرها رأى فريق من النقاد الحديثين وعددهم يتزايد كل يوم أن مؤلف تلك الروايات ليس شكسبير نفسه بل احد افراد الطبقة العليا من الانكليز وأن ذلك الاديب العبقري لم يشأ الاعلان عن نفسه

٢ — من هو الكاتب الحقيقي ؟

شك كثيرون من ادباء الانكليز السالفين في شخصية شكسبير ولكن لم يتوفق احدهم الى معرفة المؤلف الحقيقي الذي شاء اخفاء اسمه . فمن هؤلاء الادباء كولريدج الذي لم يسعه الا الشك في نسبة تلك الروايات البديعة الى ذلك « الساذج الجاهل الفاسد الاخلاق » كما قال

وفي سنة ١٨٥٧ ادعى احد الكتّاب الاميركيين بان مؤلف تلك الروايات ليس

الا الفيلسوف باكون الشهير (وهو من اهل ذلك العصر) ولكن ما لدينا من آثار هذا الفيلسوف وما نعلمه من روحه واسلوبه وانشائه يبعد احتمال صحة هذه النظرية . على انه لا يزال لهذا الرأي اربابٌ ولا سيما بعد ما استخرجه البعض من الادلة الرمزية التي استجلوها من الصور المنشورة في الطبعات الاولى لتلك الروايات

على أن فريقاً آخر من الادباء رأوا غير هذا الرأي فقالوا ان المؤلف الحقيقي هو هنري ريوتسلي كونت سوثمبتن الذي كان له صلة ودية بشكسبير . ولكن هذا الرأي لم ينتشر الا بين نفر قليل من الناس

ثم قام بعد ذلك عالم بلجيكي اسمه سلستان دمبلون ادعى أن المؤلف الحقيقي هو نبيل انكليزي من اهل ذلك العصر اسمه لورد رتلند وأثبت ذلك ببيان الترابط العجيب بين حياة لورد رتلند وصدور روايات شكسبير . ومن الثابت ان هذا اللورد كان من أنجب الشبان الانكليز واكثرهم علماً وسياحة وخبرة بالشؤون العامة والخاصة . وقد اعتمد العالم البلجيكي السالف الذكر على وثيقة وجدت سنة ١٩١٠ في قصر ذلك اللورد يؤخذ منها أن وليم شكسبير قبض في سنة ١٦١٣ مبلغاً من المال بموجب وصية لورد رتلند (المتوفى في السنة السابقة) مكافأة له على خدمات « شبه فنية » كما ورد في الوثيقة . وقد ثبت ايضاً ان هذا اللورد كان قد سعى قبل ذلك بمنح والد شكسبير بعض الامتيازات . فهذه الصلة بين لورد رتلند وشكسبير ادخلت الريبة في نفس العالم البلجيكي وحملته على تركيب نظريته التي دعمها بادلة كثيرة يطول بنا ايرادها في هذا المقام ولكننا نقول عنها انها لا تقنع المطلع عليها تمام الاقناع . ولعلّ اوجه اعتراض عليها هو انها لا تقوم الا بتسليمنا ان لورد رتلند المذكور الف ست روايات تمثيلية (ثلاث منها مفجعة وثلاث مجونية) قبل أن يجاوز السابعة عشرة من عمره ـ وهو ما يتعذر التسليم به

وقد ظهر اخيراً كتاب في هذا الموضوع لكاتب فرنسي اسمه ايل لفرانك الاستاذ في « كلية فرنسا »[١] اورد فيه رأياً جديداً عن شخصية شكسبير كان له وقع كبير في عالم الادب . ومؤدى هذا الرأي أن المؤلف الحقيقي لروايات شكسبير هو وليم ستانلي الكونت السادس من أسرة دربي الشهيرة (ومنها لورد دربي الحالي) . وهناك الادلة

(١) Sous le Masque de William Shakespeare, William Stanley VIe Comte de Derby, Paris 1918-1919, 2 vols.

التي اعتمد عليها الكاتب المتقدم ذكره :

وُلد وليم ستانلي هذا في سنة ١٥٦١ وتعلم في جامعة اكسفرد الشهيرة ثم ساح في اوربا برفقة مربيه ريتشارد لويد فزار فرنسا حيث كان له اجمل استقبال في البلاط الفرنسي ثم زار اسبانيا وايتاليا وربما زار المانيا ايضاً

وفي سنة ١٥٨٧ عاد الى قصره الفخم في مقاطعة لانكاشير حيث أقام عدة احتفالات تمثيلية . والغريب ان الممثلين الذين مثلوا في تلك الاحتفالات قدموا من ستراتفورد وهي كما لا يخفى مدينة شكسبير . ومن الثابت ان أول روايات شكسبير الفت حوالي ذلك الوقت



وليم ستانلي

وفي سنة ١٥٩٤ دخل وليم ستانلي مدرسة الحقوق في لندن . وعلى أثر ذلك فقد والده وأخاه البكر وقد كان موت هذا الاخير محاطاً بشيء من الغموض وقيل انه تسمم . وبعد موت أخيه البكر أصبح وليم ستانلي وارث لقب كونت دربي . ومن ذلك الحين دخل في قضايا ومشاكل عائلية كثيرة عكرت صفاء حياته نحو ١٥ سنة

وفي ٢٦ يناير سنة ١٥٩٥ اقترن باليزابت دي فير حفيدة لورد برلي . ويرجح مترجمو حياة شكسبير ان رواية « حلم ليلة صيف » الفت خصوصاً لذلك الاحتفال ومثلت فيه للمرة الاولى . فمن المعقول ان يكون لورد دربي قد الف تلك الرواية مناسبة اقترانه . على ان زواجه هذا لم يكن هنيئاً لاسباب كثيرة منها اعتلال صحة زوجته وحدة طبعها وشدة غيرتها . وفي تلك الفترة ظهرت أعظم روايات شكسبير وأحزنها

ويظهر من فراسة وجه لورد دربي هذا انه كان متين الخلق شديد الذكاء. ويستدل من فراسة خطه أيضاً انه كان صاحب شخصية بارزة نشيطة ومواهب عقلية فائقة

وفضلاً عن التوافق المتقدم الذي يتعذر نسبته كله الى الصدف فقد أورد الاستاذ ابيل لفرانك صورة كتاب كتبه أحد العملاء السياسيين سنة ١٥٩٩ جاء فيه ان لورد دربي كان في ذلك الحين « منهمكاً في تأليف روايات للممثلين »

فلا ريب اذاً في ان لورد دربي هذا الف روايات تمثيلية ولا ريب من جهة اخرى انه لم يضع اسمه على رواية واحدة من الروايات التي ظهرت في ذلك الحين. ثم انه يجمع في شخصه جميع المميزات والاختبارات التي حتمنا بوجودها في مؤلف روايات شكسبير الحقيقي. أما اخفاء اسمه فامر سهل التعليل فقد كان التمثيل محتقراً في ذلك الزمن ولا غرابة في ان يحجم رجل في مقام لورد دربي (الذي فكر أعداء الملكة اليزابت في تنصيبه ملكا عليهم) عن كتابة روايات للممثلين

وخلاصة القول ان الادلة المتقدمة مع كونها لا تمكننا من الجزم بان لورد دربي هو الذي ألف روايات شكسبير فانها ترجح هذا الرأي في ذهننا كل الترجيح

نسيم الصيف

هبت أصيلاً رياح الصيف فانبعثت	لها الاماني والاوطار والذكر
كما أفاق على التغريد ذو سنة	نشوان أثقله التهويم والسكر
أفاق من حلم فانتابه حلم	فما تزال توالى حوله الصور
يربو الجمال بقلب طاب مغرسه	فيه كما بسقت في الروضة الشجر
كالحب ينثر في الروض الخصيب فان	جاد السحاب فثم النبت والزهر
وثم مورقة الاغصان مونقة	خضراء ينطف منها بارد خصر
اذا تعرض للحسن الفتى انبعثت	في نفسه خطرات الحسن تبتدر
كم منظر حسن في مسمع حسن	يروي السماع فيروي القلب والبصر
فاض الخيال على قلبي فاخصبه	فطاب منه الجنى واستعذب الثمر
يا نفحة الصيف ذودي اليأس عن أملي	كما يبدد شمل الظلمة القمر
يا نفحة الصيف فيك الحسن مجتمع	فليرو قلبي منه حسنك العطر

اسكندرية — امينة عباس

اغرب الجرائم التاريخية

المجرم تشارلس بيس

[الهلال] جئنا في الجزء الماضي على ما أتاه تشارلس بيس من الجرائم والمنكرات قبل دخوله معترك الشر في عاصمة البلاد الانكليزية . وفي هذا الجزء بيان لاعماله في تلك المدينة العظيمة

٥ — حياة بيس في لندن

انتقل بيس الى لندن وسكن في شارع ستانجايت وتظاهر انه تاجر بالآلات الموسيقية . ولما لم يكن عنده كثير منها كان يدعي أن زوجته مسز تومبسون (لانه لقب نفسه بهذا الاسم) غنية وهي تعلم جيداً ان نفقاتهما كانت تتوفر من سرقاته ليلة بعد أخرى

وكان بيس ينفق بسعة وقد برع في فن السرقة . ولما تحسنت حالة معيشته دعا ابنته وخطيبها بلسوفر في عيد الميلاد سنة ١٨٧٧ لكي يقضيا العيد عنده . وما قصر بيس في ضيافتهما فكان يخرج معهما متأنقاً في ملبسه ويطوف بهما في المدينة العظمى ويريهما محاسنها ومفاخرها ولا يتردد في أن يستفتي الشرطة حيثما يضل السبيل . وقبل أن يفارقاه زوَّد ابنته برضاه عن زواجها واكثر النصح للزوجين الجديدين كما يفعل الاب الصالح

بعد ذلك رأى بيس ان منزله لا يليق بمقامه ومكانته ولا يعجب مسز تومبسون . فاستأجر منزلاً مستقلاً في ضاحية افلينا رود في بكهام . والمنزل مؤلف من طبقتين ووراءه حديقة . واستأذن المالك فبنى اصطبلاً صغيراً لمركبته وجواده . وما اكتفى بذلك بل استقدم زوجته وابنها ويلي وأسكنهما في الطبقة السفلى من المنزل وكانت زوجته تقيم هناك باسم مسز وارد وهو اسم زوجها الاول . وما استنكفت هذه المرأة ان تسكن تحت سقف تطأه خليلة زوجها . وما هي بذات نفس كبيرة حتى تأنف ولعلها كانت تخشى شره فطاوعته . ولم يفهم السبب الذي حمل بيس على اتيان هذه القحة

وقد بذل بيس كثيراً في تأثيث ذلك المنزل حتى كان كمنازل ذوي اليسار في

رياشه وزخارفه من سجاد عجمي ومكتبة وبيانو الى غير ذلك من كماليات الحياة فضلاً عن ضرورياتها

وكان بيس في نظر جيرانه ومعارفه رجلاً ذا حنكة وخبرة وعلم وذكاء فضلاً عن كونه ذا سعة ويسار . حتى انه اتصل بشخص يدعى مستر بريون واشترك معه في تسجيل اختراع لتعويم السفن الغارقة . وكان للاثنين حديث خاص بهذا الشأن مع مستر بلمسول العضو في مجلس العموم . وأما مبدأ الاختراع فهو تفريغ داخل السفينة من الماء بادخال الهواء والغاز اليه

وأغرب من ذلك ان بيس قُبيل القبض عليه للمرة الاخيرة كان منشغلاً في بعض الاختراعات الاخرى ومن جملتها خوذة لرجال المطافىء يدرأون بها الدخان . وفرشاة لغسيل مركبات السكك الحديدية الى غير ذلك من الاختراعات

واتفق مرة أن البوليس رأى منزل بيس مضاء في الفجر فقرع الباب ليتحقق ان كان أهل المنزل فيه أو ان لصاً دخله . فظهر له بيس فاعتذر له البوليس . فاخبره بيس انه منشغل في اختراعاته . والحقيقة انه كان عائداً من سرقة في آخر الليل

أما حياة بيس الاجتماعية فكانت مثلاً يقتدى به . كان يختلف كثيراً الى الكنيسة . وكان سخي العطاء صادقاً في المواعيد . ومن حسن حظه ان بعض اللصوص انتاب خزانة الكنيسة لكي يسرق الكأس والصحفة فلم يجح فكانا من نصيب بيس بعدئذ

وكان بيس مولعاً بتربية الطيور والقطط والكلاب والخنازير والكناري والببغاء . وكان يلبس على رأسه شعراً عارية في جهازات مختلفة وكان منزله مزداناً بكثير من الآلات الموسيقية . وفي كثير من الليالي كان يدعو الاصدقاء والجيران للسهرة والطرب والرقص أحياناً . وكان للحديث في الفنون والعلوم والسياسة نصيب في مجلسه . وكانت الحرب التركية الروسية شابة حينئذ فكان يقول : « كيف تسمح المدنية بل النصرانية بحدوث هذه الحرب الشعواء » وكان يقرّع بالحكومة الانكليزية لمساعدتها الترك ضد الروس . ولم يكن بيس يسهر حتى ما بعد الساعة العاشرة بدعوى ان صحته لا تساعده . ولذلك كان المنزل يظلم بعد ذلك الوقت وتوصد ابوابه . ولكن لم تكن كل مرة توصد وبيس ضمنها

وكانت دائرة غزوات بيس الليلية واسعة وقلما فشل فيها . وقد رويت بعدئذ

حوادث غريبة عديدة عن مهارته في السرقة . ولكنها ليست كلها حقيقية بل كان بعضها مختلقاً أو مبالغاً فيه . على ان مما لا مشاحة فيه ان الرجل كان داهية . وكثيراً ما كان يفعل افعاله تحت ذقن البوليس في حين أن البوليس كان لا يزال يبحث عن قاتل ديصون . وغير مرة كاد بيس يقع في يد البوليس . وفي احدى الغزوات كان احد ضباط الشرطة قد عرف بيس في يوركشير ولقيه في فارينغدون رود وتعقبه حتى صعد في سلم وما كاد الضابط يقبض عليه حتى افلت من بين يديه واختفى كالظل في النور . وما خطر لاحد من رجال البوليس أن مستر تومبسون المقيم في بكهام هو نفس تشارلس بيس الذي قطن شفيلد . فقد عرفوا الاول رجلاً عاقلاً رصيناً فاضلاً يحب العلم ويربي الحيوانات ويركب مركبته الصغيرة للنزهة والثاني لصاً قاتلاً

وكانت غلطة بيس الكبرى بحق نفسه انه والى سرقاته في بلاد هيت في الشرق الجنوبي من لندن حتى استلفت انظار البوليس الى تلك الجهة وصار رجاله قلقين محيرين في امر ذلك اللص السرّي الداهية الذي تعددت سرقاته ولم تقع يدهم عليه

٦ — وقوع بيس في يد القضاء

واتفق في ١٠ اكتوبر سنة ١٨٧٨ ان احد الشرطة المدعو روبنصون رأى نوراً بدا في الليل فجأة من شباك منزل يقطنه رجل يدعى بورنس فما تردد هذا الشرطي في ان استدعى اثنين من زملائه في الحال . فكمن احدهم امام المنزل وقرع جرس الباب والآخر انتظر في الطريق . واما روبنصون فكمن في الحديقة وراء المنزل . وما قرع الجرس حتى رأى روبنصون رجلاً بدا من غرفة المائدة من باب يؤدي الى الحديقة ونزل . فهجم عليه روبنصون . فانتهره ذاك قائلاً : « ارجع والا قتلتك » فلم يعبأ روبنصون بكلامه بل بقي هاجماً عليه فاطلق ذاك عليه اربع رصاصات متوالية اخطأته كلها وكان قد ادركه فكال له لطمة على وجهه فقال اللص له : « الآن أقضي عليك » . واطلق الخامسة فاصابت ذراع روبنصون . ولكنه بالرغم من الاصابة بقي يصارعه حتى صرعه وانتزع المسدس منه . وكان زميلاه قد وافيا اليه بعد لن انذرهما اطلاق الرصاص فتمكنوا جميعاً من اعتقال اللص

وما درى هؤلاء الشرطة قيمة هذا الصيد لان اللص لم يشأ أن يجيب المحقق عن اسمه قط . فبقي سجيناً نحو اسبوع حتى ضاق ذرعاً فكتب كتاباً لشريكه في

الاختراع المستر بريون وامضاه باسم « جون وارد » . وقد راع بيس ما بلغه عن انفراط عقد منزله في بكهام . ذلك ان مسز تومبسون اخذت ما استطاعت من رياش المنزل وبرحت الى اختها في نوتنغهام وذهبت معها مسز بيس . وما لبثت هذه يومين حتى برحت الى شفيلد وسكنت مع صهرها بولسوفر الفحام . وقد علم بيس خبر مهاجرة أهل بيته للمنزل من شريكه بريون الذي زاره في السجن بناء على طلبه

وقد ادعى بيس لشريكه انه مذنب تائب وانه لم يذنب هذا الذنب لولا انه سكر في احد المطاعم وفعل ما فعل عن غير روية . وكان قد كتب لبريون يلتمس منه أن يرثي له وألاَّ يحتقره وان يأتي اليه لكي يراه . فاستغرب بريون هذا الكتاب من « جون وارد » وهو لا يعلم من هو . وكانت دهشته عظيمة حين وصل الى السجن ووجد نفسه لدى شريكه تومبسون

في ذلك الوقت اشتبه البوليس بشخصية جون وارد ووجد ادلة تحمل على الظن انه هو تشارلس بيس الذي ما زال البوليس ينشده منذ سنتين . وذلك انه في الوقت الذي كتب فيه بيس الى شريكه بريون كتب ايضاً الى خليلته سوسان تومبسون خطاباً استهله بقوله : « زوجتي العزيزة » والتمس منها ان تعذر حمقه الذي نجم عن سكره وافضى به الى السجن . وسمى لها اسماء بعض اشخاص ليشهدوا انه رجل مستقيم مستقل في معيشته وانه يتاجر بالآلات الموسيقية وانه لم يدخل السجن في حياته قبل ذلك الحين . وتوسل اليها أن تأتي لتراه والظاهر أن البوليس عثر في منزل بيس على زوجته التي كانت ارملة جون وارد ولدى تحقيق شخصيتها عرف أنها زوجة تشارلس بيس المنشود .

وكان تشارلس بيس يستند الى قصبة مرضوضة في اعتماده على امانة سوسان تومبسون له فان هذه المرأة ما لبثت ان اعترفت انه هو تشارلس بيس . وقد تأيدت هذه الشهادة بوجود صندوقين من مسروقاته عند زوجته التي كانت ارملة بايلي في شفيلد كما وجدت بعض مسروقاته أيضاً عند سوسان خليلته . والغريب أن سوسان هذه طالبت الحكومة بعد تنفيذ الحكم عليه بالمئة جنيه التي كانت معينة جائزة لمن يرشد الى بيس . ولكن لم يعلم ان كانت قد نالت الجائزة

ولتأكد شخصيته استدعى شرطيٌ من شفيلد يعرفه جيداً وعرض له في زمرة من السجناء فدلَّ عليه

٧ — محاكمة بيس

وفي ١٩ نوفمبر حوكم تشارلس بيس لارتكابه السرقة وتعمده قتل الشرطي روبنصون . وقد اتفق المحلفون على انه مجرم في هذه التهمة وسئل ان كان يريد أن يقول شيئاً قبل النطق بالحكم . فكان من غرائب اقواله انه لم يكن يعلم ان المسدس كان محشواً . وانه لم يقصد القتل بل التهويل . وكان معظم كلامه استعطافاً للقاضي وتضرعاً اليه أن يرحمه ويدعه يتوب الى الله ويستعد لمقابلته نادماً ومستغفراً الى غير ذلك مما يقوله الطفل لابيه . على أن القاضي مع تأثره من تضرعاته حكم عليه بالاشغال الشاقة المؤبدة

ولكن تشارلس بيس استصعب جداً هذا الحكم الثقيل ولعله علم أنه ان يقاسيه لان الحكم التالي سيذهب بالحكم الحالي . فبعد بضعة أيام في ١٧ يناير سنة ١٨٧٩ نقل في القطار الى شفيلد وثم وجد نفسه لدى المحقق ورأى مسز ديصن تروي حكاية مقتل زوجها ذعر ولم يعد يعبأ بالحكم الاول . أما مسز ديصون فكانت قد عادت الى اميركا بعد مقتل زوجها فلما استدعيت لتأدية الشهادة ضد بيس لم تتردد في العودة

ثم تأجل التحقيق مع مسز ديصون الى ٢٢ يناير فنقل بيس الى سجنه في لندن . وفي اليوم المعين لاستجواب مسز ديصون كان جمهور عظيم من الناس قد توافدوا لمشاهدة قضية بيس الذي طبق ذكره الخافقين واشتهر امره في جميع البلاد . وفيما كان الجمع محتشداً لمشاهدته اعلن المحقق في المحكمة ان بيس حاول أن يفلت في اثناء المجيء به من لندن وقد جرح ولا يمكن حضوره الا بعد اسبوع . فكان الخبر ماء بارداً على رؤوس الجمع

وتحرير الخبر ان الجنديين اللذين كانا يحرسان بيس كانا يصطحبان وعاءين ليستعملهما بيس في مكانه عند الاقتضاء . ولما فتح احدهما شباك المركبة لكي يطرح ما في الوعاء خارجاً وثب بيس وقذف بنفسه من الشباك ولكن الجندي الحارس تشبث باحدى قدميه واستعان بالآخر . أما بيس فبذل جهده بالركل والرفس بالرجل الاخرى حتى افلت ووقع . وانذر الحارسان سائق القطار فوقف القطار بعد ان اصبح بعيداً ميلاً عن مكان الحادثة . ولما عاد الحارسان اليه وجداه ملقى على الارض لا يعي فنقلاه الى قطار آخر جاء بعد ذلك . مع ذلك بقي بيس بعد هذا

الحادث وهو في المستشفى كالوحش الضاري لا يفتأ يحاول الفرار . وقد اعترف حينئذ انه كان يقصد من وثوبه من القطار ان يميت نفسه لانه لم يعد يأمل الخلاص من يد القضاء

ولما تعافى بيس جيء به الى المحكمة وقد عقدت جلسته في رواق معتم بارد ضيق تحامياً لتجمهر الناس وتفادياً للضوضاء والجلبة فتشكى بيس من المكان وتظلم . وكان أهم ما في القضية استجواب المحامي كلغ محضر القضية لمسز ديصون . فقد تمادى هذا المحامي في الاسئلة حتى اضطرها ان تعترف بانها كانت تذهب مع بيس الى المحلات العمومية والحانات وانها تصورت معه في صورة واحدة وانها قبلت منه خاتماً هدية . ولما عرضت الرسائل التي ادعى بيس انها كانت تكتبها اليه (وقد وجدت هذه الرسائل مع ديصون بعد مقتله) أنكرتها كلها وادعت ان بيس وأهل بيته كانوا يزوّرونها لمكايدتها ومكايدة زوجها . واستكتبها المحامي كلغ بعض هذه الرسائل ثانية لمقابلة الخطين . فكتبت ولكنها كابرت وادعت ان لا تشابه بين الخطين

وبعد الانتهاء من التحقيق أعيد بيس الى السجن حيث انتظر محاكمته . وفي ٤ فبراير عقدت الجلسة لمحاكمته برئاسة القاضي لوبس . وكان المدعي العمومي مستر كامبل فوستر . ودافع عن بيس مستر فرنك لوك وود الذي أصبح بعد ذلك ذا شأن عظيم في القضاء . وكان أهم الشهود في القضية مسز ديصون . وقد حاول المدافع عن بيس ان يثبت ان هذه المرأة كانت ذات علاقة شديدة مع بيس الامر الذي استفز زوجها ديصون الى مناهضة بيس ومقاومته وان بيس لم يقتل ديصون عمداً بل عرضاً في أثناء مصارعة جرت بينهما . ولكن مسز ديصون بذلت جهدها في أن تتنصل من تهمة علاقة الحب بينها وبين بيس وان بيس كان مفترياً عليها وكان مكايداً لها ولزوجها وانه تربص له وقتله

واستدعي خمسة شهود آخرين سمعوا اطلاق الرصاص والمشاغبة وخرجوا ليروا ما الخبر . فشهد بعضهم بما كانوا يعلمونه من علائق بيس مع ديصون وزوجته . وطرحت في المحكمة لدى المحلفين البطاقة التي كتبها بيس تهديداً لديصون

وكانت الجرائد في ذلك الحين قد تناولت القضية وجعلتها موضوعها الاهم واشغلت القراء بها حتى أصبحت القضية مضغة في أفواه الجمهور . وتقولت الجرائد فيها تقولات مختلفة وروت روايات واشاعات ما أنزل الله بها من سلطان حتى اضطر المدعي

العمومي والمدافع ان يشجبا الجرائد في وسط المحكمة . ومما قاله لوك وود المدافع بهذا الصدد « ان الصحفيين لكي يقتصوا من الجمهور بعض البنسات يعرضون حياة المتهم الى الخطر »

على ان بيس لم يكن يؤمل النجاة من يد القضاء بالرغم من جهاد محاميه في الدفاع عنه لان البينات قوية ضده فلما سئل عما اذا كان يود ان يقول شيئاً قبل سماع النطق بالحكم أجاب « لا فائدة من كلامي » . ولكيلا يزيد القاضي وقرّ الحكم على قلب بيس نطق بالحكم عليه بالموت من غير اعادة ذكر الاسباب . فتلقى بيس الحكم برباطة جأش

أما مسز ديصون فقبل ان تعود الى اميركا بذلت جهدها في اذاعة حكاية علاقة بيس بها وبزوجها وفي هذه الحكاية المفصلة قصدت ان تثبت انها كانت تحب زوجها وان زوجها كان يحبها وان بيس زج نفسه بينهما كصديق متأدب ولكنه ما لبث ان ظهر باخلاقه الشريرة . وصار هم ديصون ان يتخلص من علاقته به فلم يقدر الا بتعريض نفسه لنقمته . وحاولت ان تثبت بهذه القصة ان جميع الرسائل التي ادعى بيس انها منها له كانت مزورة وانها لم تكن تحاسنه في بعض الاحيان وتصحبه الى بعض الملاهي الا محاسنة له واتقاء لشره

وقد قالت لبوليس سري رآها في كليفلند (اميركا) « اني أمشي الى انكلترا على رأسي لكي أشهد ضد هذا الطاغية » . وبالرغم من نصح بعض أصدقائها ألا تذهب لهذا الغرض فقد ذهبت . ولما سئلت عن رأيها في بيس قالت : « ليس بيس انساناً بل هو ابليس رجيم . وقد قيل لي انه بعد صدور الحكم عليه قد تغير قلبه وصار رجلاً صالحاً . فانا لا أعتقد بصدق ظواهره . والمكان الذي سيذهب اليه هذا الشيطان لائق به . وسكان ذلك المكان سيكونون الى جنبه صالحين أبراراً . والى أين يذهب فهناك الجحيم . واني آسفة لمعرفتي اياه »

أما سوسان تومبسون خليلة بيس فبالرغم من انها طلبت في ٥ فبراير المئة جنيه مكافأة لها لارشادها البوليس الى [illegible] شخصيته ذهبت تطالب [illegible] رسالة منه في يدها . وكان بيس قد كتب لها قبل محاكمته يؤمل منها أن لا تكون قد [illegible] وتقول لها : « اني [illegible] » ثم قال اني محتاج [illegible] وطلب اليها أن تبيع بعض موجوداته لكي تنفقها في سبيل الدفاع عنه . فكتبت :

في ٢٧ يناير تقول : « انها باعت كل شيء وقاسمت زوجته الثمن . لقد ظلمتني بالحاحك عليَّ أن اذهب واشتغل معك . فلا تمت وفي ضميرك هذا البهتان والافك . انت تعلم اني صبية وعليَّ أن افتدي حياتي وسيرتي . اني مشفقة عليك وعلى نفسي وانا آسف انا اجتمعنا » . وقد حاولت مسز تومبسون أن تذهب الى السجن لكي ترى رفيقها المحكوم عليه . ولكن اهل پس التمسوا الغاء الاذن الصادر لها بدخول السجن لرؤيته فالغي

٨ — توبة پس وصلاحه

من غرائب الحوادث الجنائية توبة تشارلس پس في السجن . فان هذا الرجل لما ايقن ان ايامه اصبحت معدودة جعل يتعبد لله ويبدي كل طيبة وصلاح كأنه اصبح قديساً

وزاره في سجنه شريكه بريون وطلب اليه أن يتنازل له عن حصته في حق الاختراع لانه لم يفعل شيئاً لمصلحة هذا الاختراع . فطلب پس خمسين جنيهاً في مقابل التنازل . على أن بريون استمر في الماحكة فاذعن پس قائلاً : « لا بأس يا صاحبي ليكن ما تريد فاني اعلم أن عادي اضر بك »

والظاهر أن ضمير پس حي قبيل تنفيذ الحكم فما احتمل أن يقاسي بريء بجريرته . ولذلك التمس من السجان ورقاً وسائر الادوات اللازمة للرسم . ورسم رسماً دقيقاً واضحاً لمكان حادثة مقتل كوك ـ وهو القتل الذي عوقب به وليم هابرون الذي كان الى ذلك الحين يعاني الاشغال الشاقة وهو في العام الثالث بعد الحكم عليه

وقدم پس ذلك الرسم كبرهان صادق على صحة اعترافه بالجريمة التي عوقب بها هابرون ظلماً وخطأ . وما اكتفى بالرسم بل شرح الحادثة شرحاً مفصلاً دقيقاً بحيث لم تبق شبهة بانه هو الذي اطلق الرصاصة على كوك وقتله . وروى ما كان من امر المحاكمة وكيف حضرها بنفسه الى ان قال : « أما الآن وأنا على أهبة الذهاب الى العالم الاخير حيث أقابل ربي فعليَّ ان أبرىء ذلك البريء المظلوم » وكانت نتيجة هذا الاعتراف ان وليم كوك أخرج من سجنه ودفعت له الحكومة ٨٠٠ جنيه كتعويض

وزار پس في سجنه ...تر لتلوود قسيس دارنال فرحب به پس وقال : « اني

ثني يا سيدي ولكني مسرور جداً بزيارتك » . فاخبره القسيس انه اذا لم يكن له في العالم الا صديق واحد يعطف عليه فهو ذلك الصديق . فشكره بيس وقال له انه يأسف جداً على حياته الماضية ويتمنى لو كان في الامكان ان يكفر عن ذنوبه . ولكنه يشعر ان حياته لم تعد ذا قيمة مطلقاً . قال: « اني واثق أنه ما من أحد يصدقني الآن . ولكن الله يشهد اني أقول الصدق »

ورام بيس ان يمتحن تصديق القسيس له فقال له : « أظنك يا سيدي تعتقد ان الذي سرق ساعة مدرستك أنا » . فاجاب القسيس « كذا أعتقد » فقال له بيس : « ان اعتقادك هذا يؤلمني جداً الآن لاني بريء من هذه التهمة وليس الآن ما يمنعني من الاعتراف بها لو كنت قد ارتكبتها . ان الذي سرق الساعة فحام أعرفه » . على ان بيس لم يفه باسم ذلك الفحام . وبعد هنيهة قال للقسيس : « هل تعتقد الان اني أقول الصدق وتتركني اليوم وانت معتقد اني بريء » . فقال القسيس : « اني صدقت انك بريء . لاني لا أعتقد انك وأنت في حالك هذه تجرأ على الانكار » فبكى بيس بكاء مراً .

وبعد ذلك اعترف بيس بجنايته في قتل ديصون وكوك وروى للقسيس الحادثتين بالتفصيل وزبدة كلامه فيهما انه لم يكن يقصد قتل هذا ولا ذاك وانما كان في مقتل ديصون يدافع عن نفسه وقد هيجته مسز ديصون بكلامها وديصون بمطاردته . وفي قتل كوك كان يريد التملص من يد البوليس : وقال انه شعر الآن بخطاءه في حشو مسدسه بالرصاص القاتل وكان أحرى به ان يحشوه بالبارود فقط

وقد أمل القسيس لتلوود ان يعترف بيس باسماء الاشخاص الذين كانوا يشتركون معه في سرقاته وجرائمه . أما هو فلم يبح بشيء من ذلك قط وقد ألح عليه القسيس في ذلك فقال انه هو رجل ويريد ان يبقى رجلاً الى النهاية

وقد أمل بيس لدى القسيس ان يغفل اسمه بعد موته بتاتاً لان حياته لا تستحق الذكر في شيء . ولكن قبل ان يفارقه القسيس طلب اليه ان يعظ أهل دارنال بعد موته وان يحذرهم من اتباع سيرة كسيرته وان يخبرهم ان موته عبرة لمن يعتبر به . ثم طلب الى القسيس ان يشترك معه في الصلاة فركع وأوعز الى الحارسين ان يركعا وجعل يصلي نحو ثلث ساعة فصلى لاجل نفسه ولاجل عيلته ولاجل الذين أساء اليهم ولاجل الهيئة الاجتماعية برمتها . وقد وصف القسيس لتلوود هذه الصلاة بكونها حارة ومن

صميم الفؤاد . ثم التمس بيس من القسيس ان يزور مسز ديصون ويلتمس منها المغفرة له

ولما انتهت زيارة القسيس رُفع بيس الى سريره وأدار وجهه الى الحائط وبكى

ولما اقترب الخامس والعشرون من فبراير وهو اليوم المعين لتنفيذ الحكم اشتد ايمان بيس بالله وعظمت توبته ووفرت ثقته بخلاص نفسه . وزاره أخوه وأخت زوجته وابن أخيه . فخاطبهم بعواطف رقيقة جداً وكلمهم كلاماً مؤثراً . وطلب اليهم ألا يحتفلوا بدفنه قط . وانما طلب منهم ان يغرسوا زهوراً على قبر معين في شفيلد . وكتب الى جميع أصدقائه رسائل متعددة توسل فيها اليهم ألا يقامروا أو يسرقوا أو يسكروا وطلب الى أخيه ان يغير نسق حياته

وفي اليوم السابق لتنفيذ الحكم زارته زوجته وابنها وابنته وزوجها وكانت نفسه قد اشتدت فطلب اليهم ألا يظهروا حزناً أو أسفاً . وطلب اليهم ان يبيعوا بعض مصنوعاته الفنية . وكان قد رسم في السجن رسماً فطلب ان يضعوه على قبره

وفيما كان يخاطبهم سمع صوت مطرقة على الخشب فصغى وقال : « ان هذا الصوت يجعل بعض الناس أن يخروا على الارض واهي القوى . انهم ينصبون المشنقة لي الآن » . فقال له احد الحراس انه مخطئ فأجاب : « لا . لست مخطئاً . لست غريباً عن صوت قرقعة الخشب . ولا شأن للعمل في دار السجن سوى نصب المشانق . ولكن هذا الصوت لا يزعجني لاني على استعداد أن القى حتفي » .

وقد سرّه ان احد المجرمين ارسل له كتاباً يقول فيه انه تاب متعظاً بقضيته

وقبل أن تودعه عيلته دفع الى زوجته بطاقة وقد نقها وكتب عليها : « تذكار تشارلس بيس الذي شنق في سجن آرملي الثلاثاء في ٢٥ فبراير سنة ١٨٧٦ قصاصاً لما فعلت ولكني لم اقصد أن افعل »

٩ — تنفيذ الحكم

في الخامس والعشرين وافى الجلاد وليم داروود وهو اسكافي [illegible] انه عارس صناعة الشنق [illegible] طريقة تطويل الحبل أو نمو الهاوية لكي لا يكون الموت اختناقاً تاماً [illegible] الحال [illegible] عن شعوره : « اني فاعل مشيئة الله بحسب الوصية الالهية وشريعة بريطانيا . اني اعمل عملي كواجب علي وكسبي

اني انام نوماً عميقاً كنوم الطفل ولا تزعجني الخيالات . ولا ينزعج في نومه الا المذنب . اثق اني سأعيش عيشاً لا لوم فيه . اني احتقر الكسل . اصرف وقتي في العمل واشتغل في دكاني يوماً أثر يوم الى أن يكون وقت كهذا . وكان الاجدر بهؤلاء الذين اشنقهم أن يفضلوا العمل على الكسل والبطالة »

أما يس فنام تلك الليلة نوماً عميقاً ملء جفونه ولم يصحُ حتى الساعة السادسة وافطر فطوراً مشبعاً ملء جوفه . وكان الطقس بارداً فشعر برشح وكحة فقال : « عسى أن مارووود (الجلاد) يشفي رشحي اليوم »

وكان يظن أن مارووود سينتقم منه لاجل انه طلب ان يرى المشنقة وان يرى الجلاد قبل الشنق بساعة . ولما اجتمع به قال له : « عسى ألا تعاقبني . أود ان تعمل عملك بكل سرعة » . فاجابه مارووود : « لا تخف . لا تشعر بألم قط من يدي »

فاجابه يس : « بارك الله بك . ارجو أن اراكم جميعاً في السماء . اني حامد الله لان جميع آثامي غُفرت »

وفي ذلك الصباح كتب رسائل مختلفة لزوجته وابنته وبعض اصحابه واكثر من الوعظ والنصح والارشاد والتحذير من أن يفعل احد فعاله

ولما رام مارووود ان يعصب عينيه نفر يس منه واستمهله قائلاً : « دعني اخاطب الصحفيين الذين لم يتسنَّ لهم أن يخاطبوني وقد حضروا هذا الاحتفال بشنقي . . . يا حضرة الصحفيين اوَد أن تنشروا الكلمات القليلة التي اقولها لكم . انتم تعلمون كيف كانت حياتي الماضية . لقد كانت حياة دنيئة خسيسة . ولكن اود ان تلاحظوا لاجل منفعة الآخرين كيف يمكن الرجل أن يموت كما انا مزمع أن اموت في خوف الله يا سادتي . ان قلبي يؤكد لي ان خطاياي مغفورة واني ذاهب الى ملكوت السموات او الى مكان آخر ترتاح فيه النفوس الى أن يأتي يوم الدينونة . لا اظن أن لي خصوماً واعداء . ولكن ان كان ثمت احدٌ فاني أريد له الخير »

ثم استنزل بركة الله على موظفي السجن واخيراً تمنى الخير والبركة لاولاده وأمه وقال : « أؤمل أن لا يحتقرهم احد لاجلي بل ان يرثي لهم الناس . ليبارككم الله يا اولادي . الوداع . ليبارككم الله . آمين . يا رباه ارحمني »

وبعد ان وضع الحبل في عنق يس طلب مرتين بحدة كأس ماء . ولكن لم يجب طلبه . فمات على الأثر . ودفن في السجن الذي كان فيه

ألحان الربيع

جاء الربيع فرحاناً بطلعته [illegible] — هذا الربيع ربيع الحب ميمون [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وثبة منه لا أنسى محاسنها — وقد مشينا بأنحاء البساتين

والبدر يخطر بين السحب مبتدئاً — والنجم يرنو بألحاظ الغاين (١)

أبثه الحب والأشواق أجمعها — وأنشد الشعر من حين الى حين

نمشي الهوينا على خضراء ناضرة — أقول يا شاديات الطير غنيني

بيتاً يهيج له قلبي ويعبده — من شعر مضطلع في الشعر مغبون

يا مطرقاً لحظه دلاً وتتيه — اني أراني أهلاً أن تحييني

اسكندرية — حورية علي

(١) هذه الشطرة مترجمة عن الانكليزية ، والمعنى : كما ان الجفن يرمق الانسان شزراً ويضحك في وجهه في اللحظة عينها كذلك النجم يبدو متألقاً ومضيئاً في الوقت نفسه لعين ناظره

فعال الطيارات

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
كم آمن في بيته [illegible] … [illegible] تارة متضرم
فقضت عليه [illegible] … دمع [illegible] عويل الأيم
كم من مدائن زلزلت بقدومها … ودعت ثبوراً عند ذاك المقدم
صاح النذير لها فاطفئ كل مصـ … ـباح بها ومشت بليل مظلم
حتى اذا انكشف البلاء رأيتها … وكأن ساكن أهلها لم يسلم
ذعراً وتشتيتاً وحزناً شاملاً … ملء الفؤاد وعولة ملء الفم
مضت الحروب وغاب كالح وجهها … وبدا السلام بوجهه المتبسم
فكأن بها قد بدلت ويلاتها … نعماً جساماً لا تقاس بأنعم
فتكون راحلة البريد وحبذا … سير البريد مع الطيور الحوّم
وتكون منها في الهواء سفائن … تجري بمنفعة تساق ومغنم
تغدو بمصر فتمتطيها ساعة … فتبيت جاراً للحطيم وزمزم
واذا قصدت الشام بعد ظهيرة … أدركتها واليوم لم يتصرم
الله أكبر تلك أسرار العلو … م بدت لعين الناظر المتوسم

لو ان عباس بن فرناس رأى ... ما قد نرى لأطال شكر المنعم
ولقال هـذا فوق ما أملته ... اني بهـذا كله لم احلم
ولساق نحو الغرب الف تحيـة ... ولقال اكبر بالرجال واعظم
واصاح يا قومي أفيقوا من منا ... مكمو فليس الوقت وقت النوم
أفلستمو أبناء من سبقوا الورى ... بعلومهم والفضل للمتقدم
أحيوا العلوم بهمة عربيَّة ... ان العلوم سبيل كل تقدم
سبحان رب الخلق جـل جلاله ... قد علم الانسان ما لم يعلم

احمد محمد عجومي

المدرس بمدرسة الحسينية الاميرية

حكم

ان احق ما صبرت عليه ما لم تجد سبيلا الى دفعه

ان المصيبة اذا نزلت انما هي واحدة فان جزع صاحبها كانت اثنتين

ان الله عز وجل وسع ارزاق الحمقى ليعتبر العقلاء وليعلموا ان الدنيا لا ينال ما فيها بعقل ولا حيلة

ان لـكل فضل زكاة وان زكاة المال الصدقة على الفقير المحتاج . وان زكاة القوة المدافعة عن الضعيف المظلوم .وان زكاة البلاغة القيام بحجة من قد عجز عن حجته . وان زكاة الجاه أن يعاد به على من لا جاه له . وان زكاة العلم التعليم لمن قصر عنه

ان الرجل ليكون اميناً فاذا رأى الضياع خان

ان الوعظ الذي لا يمجه سمع ولا يعدله نفع ما يصمت عنه لسان القول وينطق به لسان الفعل

ان بقاءك الى فناء فخذ من بقائك الذي لا يبقى لفنائك الذي لا يفنى

ان الفاسق اذا كان حسن الخلق عاش بخلقه وخف على الناس واحبوه وان العابد اذا كان سيء الخلق ثقل على الناس وملوه

ان المرء لن ينال ما يحب حتى يصبر على كثير مما يكره

اعظم المسائل الاجتماعية (١)

توزيع الثروة بين البشر وفقاً لمبادئ الاشتراكية والبلشفيكية

— ١ —

تفاوت الناس في الثروة

ان المسئلة الاجتماعية الكبرى ـ في الوقت الحاضر على الخصوص ـ هي بلا ريب مسئلة توزيع الثروة بين البشر . ولا ريب ايضاً في ان هذه المسئلة ستشغل العالم المقبل اكثر من اي مسئلة اخرى كما يتبين من القلاقل التي تحدثها الاشتراكية والبلشفيكية في الدول الاوربية وغيرها . وما هذان المذهبان في جوهرهما الا طرائق لتوزيع الثروة بين الناس على اسس غير الاسس التي اعتمدوها فيما مضى . ولا يسع المتأمل في مجاري الاجتماع البشري اليوم الا ان يتوقع اضطرابات وانقلابات شديدة في النظام الاجتماعي المألوف . وقد تفضي تلك الاضطرابات والانقلابات الى فظائع ومتاعب لا تقل خطورة عما شاهدناه في الحرب الاخيرة

هذه هي الحقيقة المرة التي لا شك فيها . والذي يزيد في مرارتها ان البشرية لم تكد تتنفس الصعداء بعد ذلك الكابوس الرهيب الذي خنق حياتها اكثر من اربع سنوات حتى بدا لها طيف افظع واهول من طيف الحرب الدولية ـ الا وهو طيف الحرب بين الطبقات الاجتماعية ، بين اصحاب المال والعمال ، بين الاغنياء والفقراء

اجل هذا جوهر المسئلة في الواقع . فنها في المقام الاول نزاع بين الغني والفقير ـ بين من بسم له الدهر فوهبه ثروة عظيمة تتزايد كل يوم ومن عبس في وجهه فنعه كل لذة بل منعه حتى كسرة الخبز التي يتغذى بها

ويرجع نزاع الغني والفقير الى اقدم الازمنة البشرية . ولكنه زاد شدةً في الزمن الاخير اذ اصبح التفاوت في الثروة اعظم مما كان في اي زمن آخر . فقد زاد الاغنياء غنى وزاد الفقراء فقراً في حين ان التفاوت بين البشر من جميع الوجوه

(١) كان اكثر اعتمادنا في كتابة هذه المقالة على آثار الاستاذ شارل جيد العالم الاقتصادي الشهير

الاخرى قد الغي بالتدريج فاعلنت المساواة المدنية والمساواة السياسية والمساواة التعليمية وغيرها من ضروب المساواة(١) . ولم يبق الا تفاوت الثروات وهو اليوم اعظم شأناً وابعد تأثيراً في الحياة الاجتماعية مما كان في العصور السالفة . بل لقد سُمي هذا العصر عصر « البلوتوقراطية » أي حكم المال. فان المال ـ فضلاً عن كونه يجلب اللذات لصاحبه ويجعله حراً في استخدام اوقاته ويمكنه من اطالة حياته والعناية بصحته الخ . ـ انه فضلاً عن كل ذلك يمنح صاحبه سلطة فعالة في جميع دوائر الاجتماع . وليس استبداد ارباب المال اليوم وتحكمهم في الارواح باقل هولاً وفظاعة من استبداد الطبقات العليا في الاجيال السالفة وتحكمها في احوال البشر

هذه حقائق راهنة لا يسع المنصف انكارها . ولا عبرة بضروب التعزية التي يقدمها الكتّاب الاخلاقيون الى الفقراء والمحتاجين . فانما نحن الآن في موقف تقرير الواقع ـ وهذا هو الواقع على مرارته وصرامته !

ولا يبرح من الذهن الفرق العظيم بين هذا العصر والعصور السالفة من حيث تنوع اللذات وتكاثرها . فشتان بين ما كان متاحاً منها للغني منذ الف سنة وما هو متاح له اليوم . فبينا يستطيع الغني ان يحصل بماله على صنوف اللذات المعروضة عليه في سوق الرفاهة البشرية لا يسع الفقير الا ان ينظر ويشتهي ويحسد . . .

ولو لم يكن الفرق الا في اقتناص اللذات لهان الامر . ولكن أمامنا حقيقة قاسية وهي أن للفقر حلفاء وهم الفساد والاجرام والموت . فمن الثابت عند الاحصائيين ان معدل العمر بين الاغنياء نحو ثلاثة أضعاف معدله بين الفقراء ـ كأن الدهر لا يكتفي بحرمان الفقير لذات الحياة بل يفرض عليه جعلاً مبهظاً للشقاء يدفعه من دمه وروحه ! (٢)

تلك صورة واقعية للمجتمع البشري الحاضر ولو ظلت الحال على ما هي زاد البون بين الاغنياء والفقراء ـ ذلك البون الذي يفرق البشر فيحول دون ترابطهم

(١) يؤخذ من احصاء التركات في انكلترا لسنة ١٩١١ ان نصف الثروة المتروكة في تلك السنة عاد الى ٩٧٠ شخصاً والنصف الآخر لنحو ٤٤٠٠٠٠ اي بنسبة ١ الى ١٠٠

(٢) بالمقارنة بين الوفيات في أحياء باريس تتضح هذه الحقيقة جلياً . فانه يقابل الوفاة الواحدة في الاحياء المترفهة اربع وفيات في الاحياء الفقيرة . ويقال مثل ذلك في لندن حيث تتفاوت النسبة بين ١١ في المئة و٥٠ في المئة

وتكاتفهم ويقيم بينهم من الضغائن والحزازات ما لا يستقر معه نظام قرار . ولا يسع المتأمل البصير الا الاقتناع بان الحاجة ماسة الى اصلاح هذه الحال بحيث تقرب تلك المسافات الشاسعة بين الناس . ولا يكون ذلك الا بازالة طبقتين :

(١) طبقة متطرفة في الغنى

(٢) وطبقة متطرفة في الفقر

الاولى لان الغنى يحمل أهله على القعود عن العمل والانغماس في المفاسد التي لا تلبث ان تتسرب الى الطبقات الاخرى . والثانيــة لان أهلها محرومون من ضروريات العيش وأوليات الحياة وهو ما يجعلهم قليلي الفائدة من الوجهة الاجتماعية فضلاً عما ينالهم من الآلام والاوجاع

وقبل ان نبحث في طرق الاصلاح التي يعرضها المصلحون على اختلاف نزعاتهم يجدر بنا ان نتبين المبادىء التي بموجبها تتوزع الثروة اليوم بين البشر حتى اذا وقفنا على الحالة الحاضرة عرفنا كيف يمكننا ان نعالجها

كيف توزع الثروة بين البشر

بمقتضى النظام المألوف

لو كان كل فرد عائشاً في عزلة عن أمثاله ما اعترضتنا مشكلة توزيع الثروة اذ يستولي كل منتج على نتاجه التام . على ان الحالة ليست كذلك فالبشر يعيشون في حالة اجتماع وعمران تقتضي تقسيم العمل بحيث لا يستهلك العامل ما يعمله نفسه بل يستبدله بعملة ينال بها ما يود الحصول عليه من لوازم الحياة المختلفة التي ينتجها غيره من العاملين

وبعبارة أخرى ان كل واحد منا يستبدل على الدوام ما لديه بما ليس لديه . فالمزارع يبيع محصوله ومالك الابنية يعرض ابنيته للايجار والمتمول يستثمر ماله بالاقراض أو نحوه وصاحب المعمل يسعى لتصريف سلعه، ومن ليس عنده رأس مال أو عقار يكتفي بعرض قوته البدنية أو العقلية لخدمة سواه . فهذه المعروضات على اختــلاف انواعها تدخل سوق المبادلة البشرية فتنال ثمناً يتراوح بتراوح اقبال الناس عليها ورغبتهم في الحصول عليها - أي أنها خاضعة لقانون العرض والطلب وهو يقضي بان يرتفع ثمن الشيء كلما زاد الاقبال عليه وقل المعروض منه والعكس بالعكس

ولكن هل هذا القانون ـ قانون العرض والطلب ـ عادل ؟

يجيب فريق من الاقتصاديين على هذا السؤال بقولهم ان هذا القانون من القوانين الطبيعية النافذة التي ينبغي لنا الرضوخ لحكمها كما نرضخ قهراً لحكم سائر القوانين الطبيعية . وليس من شأننا ان نتساءل عما في هذا القانون من الانصاف كما انه ليس من شأننا أن نتساءل عن أنصاف الطبيعة في توزيع النور والحرارة والمياه بين المناطق الارضية !

على ان فريقاً آخر من الاقتصاديين لا يكتفي بهذا الرد بل يجزم بان ذلك النظام الطبيعي عادل ويبني حكمه على ان الجمهور الذي يعين أثمان الاشياء والخدمات ـ بطلبها أو بالاعراض عنها ـ هو خير حاكم في هذا الشأن. فهو يقرر بطلبه أو باعراضه قيمة الشيء أو الخدمة من الوجهة الاجتماعيـة . فما زال الجمهور يطلب صنفاً مخصوصاً او عملاً معيناً يجب عليـه ان يدفع ثمنه [1] . ثم ان المنافسة تعدل هذا الحكم اذ ان ما يكثر طلبه لا يلبث ان يكثر عارضوه ويتنافسون في تخفيض أثمانهم حتى يهبطوا بها الى أقل قدر لا يعودون به خاسرين

هذا ما يقوله أنصار النظام الحاضر ومن تأمل في دعواهم لا يلبث أن يقتنع بفساد مزاعمهم ـ وهاك البيان :

لا ننكر ان قانون العرض والطلب السالف ذكره من القوانين الطبيعية ولكنه ـ لكونه طبيعياً ـ لا يعتبر العدل والانصاف في احكامه فهو يسري كالقضاء المبرم بقطع النظر عما يجره من الجور والظلم . وشأنه في ذلك شأن جميع القوانين الطبيعيـة التي تسري سرياناً أعمى فتعم كل ما يدخل في حكمها من الكائنات من دون أن تلتفت الى نتائجها الادبية ـ كالشمس تشرق كل يوم على الصالح والطالح بدون تمييز بينهما. على أن مفخرة الانسان الكبرى هي انه لا يستسلم الى احكام الطبيعة بل يعدلها ويحورها بعقله وبصيرته كلما استطاع الى ذلك سبيلا

اعتبر مثلاً أجرة الفلاح الذي ينتج الغلة الضرورية لعيشنا او كنَّاس الشوارع الذي يقوم بوظيفة عظيمة الشأن من حيث الصحة العمومية أو غيرهما من عامة العمال

---

(١) يؤثر عن مغنية في احد البلاطات الشهيرة ان الملكة شكت يوماً من الاجر الباهظ الذي تتقاضاه وقالت انه يفوق ما يتقاضاه سفراء المملكة فاجابت المغنية : « اذاً فليغنّ سفراؤك يا سيدتي »

واجرة مغنٍّ يتقاضى نحو ١٤٠٠ جنيه او اكثر في الليلة الواحدة (كالمغني كاروزو الشهير) او ملاكم ينال على اثر دور ملاكمة ٢٠٠٠٠ جنيه (كالملاكم الاميركي جونسن) . فهل من العدل أن ينال المغني أو الملاكم آلاف اضعاف ما يناله الفلاح او الكناس لقدر واحد من العمل ؟

أما الاعتماد على المنافسة في تعديل جور الطبيعة فانه ظاهر ان المنافسة انما تلحق الاشياء والاعمال البسيطة المألوفة — والتي هي في نفس الوقت افيد الاشياء والاعمال للبشر — وقلما تؤثر في الاشياء والاعمال التي تعد ممتازة لندورتها — مع انها ليست غالباًذات قيمة واقعية . وفي المثل الذي قدمناه نرى أن المنافسة تلحق الفلاح والكناس ولا تؤثر تأثيراً يذكر في المغني والملاكم

فنرى من ذلك أن لبعض الافراد مواهب تكاد تخرج بهم من حكم قانون المنافسة الصارم على العامة . ولو أن ظلم هذا القانون اقتصر على ما بين الافراد من التفاوت في المواهب الشخصية لهان الامر . ولكن هناك تفاوتاً اعظم شأناً واشد ظلماً من هذا التفاوت . وهو التفاوت في الموروث من العقار أو المال . فمن الناس من يدخلون ميدان المنافسة وهم مسلحون باسلحة خلفها لهم آباؤهم واجدادهم من مال او عقار او غير ذلك ومنهم (وهم السواد الاكبر) من يدخلون ذلك الميدان ولا سلاح لهم الا قوة عضلاتهم وعقولهم

فنري من ذلك ان تفاوت الناس في نتيجة المنافسة موقوف على تفاوتهم في ما يرثونه فضلاً عن تفاوتهم في ما يتوفقون اليه بانفسهم . واساس هذا التفاوت كله هو حق الملكية — ذلك الحق المطلق الذي يخول المالك حق التصرف التام بما يملك في مدة حياته وبعد مماته

فكأن اساس النظام الاجتماعي الحاضر هو « حق الملكيـة » وهو موضوع بحثنا في المقالة التالية ان شاء الله

قائمة مطبوعات ادارة الهلال

اصدرنا قائمة وافية بمطبوعات ادارة الهلال فيها وصف كل كتاب وثمنه وهي مطبوعة طبعاً متقناً وترسل مجاناً الى كل من يطلبها

افغانستان

واميرها المقتول

بلاد افغانستان بقعة من الارض مربعة الشكل يحدها من الشمال تركستان ومن الجنوب بلوخستان ومن الشرق بلاد الهند ومن الغرب بلاد العجم . مساحتها



الامير عبد الرحمن

نحو ٢٥٠٠٠٠ ميل مربع وعدد سكانها بين ٥ و٦ ملايين نفس . وعاصمة تلك البلاد مدينة كابول التي يقدر سكانها بنحو ٢٠٠٠٠٠ نفس

وأهل افغانستان أخلاط من قبائل شتى تجتمع تحت صنفين : الافغان وغير الافغان . وزيد عدد الافغان على نصف السكان وهم يقسمون الى قبائل تتفرع الى أفخاذ وبطون . أما تاريخهم فكثير الارتباك لما اعتور تلك البلاد من السلطات المختلفة ولكنه يبدأ بالوضوح منذ استيلاء تيمورلنك عليها وهو القائد المغولي الشهير فقد

دخلت أفغانستان في حوزته وخلفه عليها بعض أولاده حتى انتزعها منهم السلطان بابر المغولي في أوائل القرن السادس عشر وتقلبت عليها بعد ذلك أيادٍ شتى حتى فتحها نادرشاه القائد الفارسي الشهير في أوائل القرن الثامن عشر. وكان في جملة رجاله رجل اسمه احمد خان من قبيلة العبادلة (الافغانية) فلما قتل نادرشاه سنة ١٧٤٧ انتخبه الافغانيون حاكماً عليهم فحكم ٢٦ سنة. واتسعت البلاد في أيامه اتساعاً عظيماً فبلغت



حبيب الله امير افغانستان المقتول

غرباً الى بحر قزوين وتجاوزت شرقاً حدود الهند. ولما مات (سنة ١٧٧٣) ترك لولي عهده تيمور مملكة امتد سلطانها على افغانستان وبنجاب وكشمير وتركستان والسند وبلوخستان وخراسان. ومات تيمور بعد عشرين سنة وقد خلف ٢٣ ولداً تولى الملك خامسهم شاه زمان بمساعدة بعض الاقرباء. وقام الخصام بين الاخوة من ذلك الحين وانقسمت المملكة وسفكت الدماء حتى أفضت الحكومة أخيراً الى رجل قدير من تلك القبيلة اسمه دوست محمد وكان شجاعاً

ومات هذا سنة ١٨٦٣ وكان قد اختص أصغر أبنائه شير علي خان بولاية عهده فنازعه أخوته الملك ولا سيما أخويه أفضل خان وأعظم خان . ولكن شير علي خان انتصر على أخويه وقبض على أفضل خان والقاه في السجن . وكان لافضل خان ولد اسمه عبد الرحمن فانضم هذا الى جيش عمه أعظم خان وحارب معه حتى تمكن من دخول كابول ثم طارد شير علي خان وتغلب عليه

وظلت الفوضى سائدة زمناً في تلك البلاد لوقوعها بين مطامع روسيا وانكلترا واضطرت انكلترا الى المداخلة في شؤونها مراراً حتى كانت سنة ١٨٨٠ فعرضت انكلترا أمارة كابول على عبد الرحمن فقبلها وانسحبت الجنود الانكليزية من افغانستان على ان يترك لانكلترا سياسة بلاده الخارجية وتترك له انكلترا سياسة شؤونه الداخلية . وقد توطدت العلاقات بين انكلترا والامير عبد الرحمن بمعاهدة سنة ١٨٩٣

وفي سنة ١٩٠١ توفي الامير عبد الرحمن فخلفه حبيب الله خان اكبر انجاله (وهو المقتول أخيراً في ٢٠ فبراير الماضي) . وكان قد تسنى له ان يتولى نيابة حكومة كابول في حياة أبيه وعهد اليه ابوه مراجعة ما يرد اليه من كتب الولايات فلا يقرأها هو الا بعد ان ينظر فيها ابنه . ثم ولاه بيت المال وعهد اليه القضاء الاعلى

وكان من رغائب الامير عبد الرحمن ان يوطد العلائق بين ابنه والاسر الافغانية الكبرى فلم يرَ وسيلة لذلك خيراً من المصاهرة فزوجه سبع زيجات

ومن الاعمال التي تولاها الامير حبيب الله خان في حياة أبيه نظارة الخارجية فقد كانت المخابرات مع الدول الاوربية على يده . على ان أسرار السياسة كانت محتجبة في صدر عبد الرحمن . والغالب انه أطلعه عليها قبل موته وأفهمها ان يكون موالياً لانكلترا وحليفاً لها

وقد عقد حبيب الله في سنة ١٩٠٥ اتفاقاً مع انكلترا في معنى الاتفاق الذي عقده والده الامير عبد الرحمن . وفي الاتفاق الشهير الذي عقدته انكلترا مع روسيا سنة ١٩٠٧ تعهدت بألاَّ تمس استقلال أفغانستان وألاَّ تتعرض لشؤونها الداخلية ما دام أميرها قائماً على عهده لها واعترفت روسيا من الجهة الاخرى بان افغانستان خارجة عن منطقة نفوذها

وقد لقب حبيب الله خان « سراج الملة والدين » وكان والده الامير عبد الرحمن قد لقب نفسه « ضياء الملة والدين »

الشيخ اسكندر العازار

١٨٥٥ — ١٩١٩

هو أحد اركان النهضة الادبية في سوريا، النابغة الممتاز، عرفته المنابر خطيباً متفنناً والصحف كاتباً بليغاً، وذاع صيته في كل نادٍ. وكان ابوه قاضياً وجدُّه طبيباً وأسرته حكمت كورة لبنان أجيالاً

ولد في بيروت في ١٧ كانون الاول (ديسمبر) سنة ١٨٥٥ وبدأ يتعلم في مدرسة مهاجري دمشق بادارة يوسف العربيلي ثم في المدرسة الاسكوتلندية على عهد شاهين سركيس وذهب الى مدرستي الروم في سوق الغرب والامريكان في عبيه. ومن معلميه فيهما اسبر شقير ورزق الله البرباري. وتعلم الفقه مع الدكتور هرتمن الالماني عند الشيخ محيي الدين اليافي ووسع نفسه بالمعارف والآداب وتضلع بعلم الاقتصاد

وأول شغل تعاطاه الكتابة في بنك أسعد الملحمه ثم ادار معامل حرير القرير في المتن وتعين في الحادية والعشرين من عمره كاتباً أول في محل الياس طاسو وتولى سنة ١٨٨٣ ادارة بنك سرسق ابناء عم وأداره عشرة أعوام الى أن فسخت شركة البنك فبقي في محل سرسق اخوان الى نهاية حياته. وسافر في خلال ذلك مراراً الى مصر والاناضول والاستانة وبلغاريا وفرنسا لاشغال خاصة وعامة

وبدت مواهبه باكراً فعجل بالنظم في الثالثة عشرة من العمر مهنئاً سليم دي بسترس بالرجوع من السفر وفي العام التالي الف رواية تمثيلية اسمها «حرب البسوس» منعته المدرسة من تمثيلها حرصاً على أوقات الدرس. وقبل أن يتجاوز العشرين صنف رواية «رسم سوريا» أو «من رام معاندة الانثى فليأت لتدمغ جبهته» دافع فيها عن حقوق المرأة وحض على تعليمها، مثلها في المرسح الوطني لمنفعة الفقراء بمناسبة نكبة الهواء الاصفر سنة ١٨٧٥ واتبعها برواية «مجاعة رومية» ومثلها لمنكوبي مجاعة الاناضول فجمعت نحو خمسة وثلاثين الف غرش. وهذه أبلغ رواياته وقد نالت من الشهرة مكاناً رفيعاً وتمثلت مراراً لمساعدة البائسين. وقد بلغ

من أعجاب البيروتيين بها ان أهدوا الى منشئها مدالية ذهبية مرسومة باسمه شفعوها برسالة وقع عليها نخبة الوجهاء والادباء من كل الطوائف . ووضع رواية رابعة



الشيخ اسكندر العازار (وهو الواقف على اليمين)
يليه الاستاذ عبد الله البستاني (جالساً) ومعروف الرصافي

« من اشقى الازواج » فقدت كالاولى ولم تمثل . وله عدة رسائل ومناظرات مطبوعة على حدة وهيكل كتاب في علم الاقتصاد لم يكمله . ومجموعته « من الحواضر » نشر الجزء الاول منها فقط . اما ديوانه المبعثر كمقالاته وخطبه فاني آخذ بجمعه وقد

استتب لي الحصول على نحو الف وخمسمئة بيت منه

وما اقتصر الشيخ من الادب على الروايات بل عني بالصحافة وله في صحف اديب بك اسحق انفس الآثار دون اعلان اسمه واتخذ له عنوانين خاصين « من الحواضر » و« ترلي ترلي » كتب فيهما كثيراً في جرائد بيروت كاللسان والبرق والوطن والاحوال والثبات والاتحاد وغيرها

كذلك بلغت شهرته بالخطابة حدها وكان اسلوبه مفرداً فيها شأنه في الكتابة والنظم حتى عدَّ من اعظم خطباء سوريا وكتابها فتحداه الكثيرون ولم يجاره احد . وخطبه في جمعية زهرة الآداب وفي غيرها من المحافل لم ينسج على منوالها بعد

وتداخل شيخنا في السياسة غير موظف ولم يستطع مجاراة الحكومة فحكم عليه بالنفي ثلاث مرات في شبابه وسجن في شيخوخته وخدم عضواً في جمعيات عديدة ادبية وخيرية وسياسية امرها الاصلاح . وتعين مدة في محكمة التجارة فخدمها مجاناً واوفدته الدولة العثمانية مرة الى باريز للمفاوضة في توحيد الديون التي عليها واستدعته حكومة فرنسا على زمن غمبتا لتحرير جريدة لها في عاصمتها ولكنه آثر ادارة بنك سرسق عليها ولم يذهب

وعاش رحمه الله ثلاثة وستين عاماً وتوفي في ١٤ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٢ وكان له مأتم حافل جداً وكثر مؤبنوه

وكان الفقيد حراً جريئاً يجاهر بالحق ويحترم الفضيلة ، زاهداً في الدنيا يحب الانسانية ويخدم بنيها ، جميل الخلق والخلق سليم القلب حسن الذوق والرأي سريع الخاطر طلق اللسان

بيروت جرجي نقولا باز

بعض الامثال

الدنيا مزرعة الآخرة	اللسان مفتاح الجنان
العلماء ورثة الانبياء	النار فاكهة الشتاء
الانصاف نصف الدين	ظل الاعرج اعرج

مذهب الرئيس منرو

منشأه وتطوره

كثر التحدث في هذه الايام عن مذهب الرئيس منرو الشهير فرأينا أن نأتي على كلمتين نوضح بهما حقيقة هذا المذهب من الوجهة التاريخية ونبين الاسباب التي حملت الرئيس منرو على التصريح به والغرض الذي رمى اليه فنقول :



الرئيس جيمس منرو

صرح جيمس منرو خامس رئيس للولايات المتحدة لاول مرة بالمذهب المعروف باسمه في يوم ٢ ديسمبر عام ١٨٢٣ في رسالة بعث بها الى مجلس الامة على اثر انقلابات وحوادث خطيرة الشأن اهمها استقلال البرازيل وخروجها من سلطة البرتغال التي كانت تجيش بالاضطرابات والقلاقل الداخلية ومسألة استقلال بيرو التي أتيح لها

في تلك السنة أن تخرج من حكم اسبانيا وهذه مشتغلة في اخماد ثورات داخلية. وقد اظهرت المحالفة المقدسة (المؤلفة سنة ١٨١٥ من روسيا والنمسا وبروسيا) اذ ذاك رغبة في التعرض لتأييد سلطة اسبانيا على الاقطار الاميركية وكان قد وقع بعض النفور من جهة أخرى بين الولايات المتحدة وروسيا بشأن تعيين الحدود الباسيفيكية . وقد تناول الرئيس منرو في رسالته اولاً الاختلاف الواقع بين حكومة الولايات المتحدة والامبراطورية الروسية قال :

« وان المفاوضات التي دارت في هذا الصدد والاتفاقات التي قد تسفر عنها تلك المفاوضات حملتني على الاعتقاد ان هذه الفرصة ملائمة كي نعلن ونؤيد مبدأ له ارتباط متين بمصلحة الولايات المتحدة وحقوقها وهو انه لا يجوز من الآن فصاعداً لاي دولة من دول اوربا أن تستعمر أي قطر من الاقطار الاميركية »

ثم بحث الرئيس في مسألة اسبانيا والبرتغال فقال :

« كنا دائماً نراقب سير الحوادث في تلك البلاد (اوربا) التي اليها ننتسب جميعاً بمين العناية والاهتمام فان لابناء الولايات المتحدة نحو أخوانهم القاطنين في الجهة الاخرى من الاطلنطيق عواطف صداقة ومودة وهم يتمنون لهم السعادة والحرية وانا لم نتعرض قط للحروب التي دارت بين الدول الاوربية في شؤون تخصها ولا سياستنا ترضى بذلك الا حين تهدد حقوقنا او تمس فاننا نأبى الاساءة ونهبُّ للذود عن كياننا . غير اننا بحكم الطبيعة أشد ارتباطاً بما يدور حولنا في هذه القارة (الاميركية) من الحوادث والانقلابات لاسباب يدركها كل من تأمل في الامر باخلاص

« وسياسة الحلفاء بهذا الاعتبار غير سياسة الولايات المتحدة وهذا التباين ناشيء مما بين تلك الحكومات نفسها من الاختلاف . وان هذا الشعب اجمع (يريد الشعب الاميركي) قد وقف نفسه للدفاع عن استقلاله الذي لم يحصل عليه الا ببذل المال والرجال وبالحكمة التي اظهرها خيرة ابنائه ـ ذلك الاستقلال الذي تمتع في ظله بسعادة وهناء لا مثيل لهما . ولذلك فالصراحة والصداقة اللتان تربطاننا بدول الحلفاء تقضيان علينا بالتصريح جهاراً بانه لا يسعنا منذ الآن أن نعد أي سعي تسعاه الدول الاوربية لتوسيع نطاقها في اميركا او بسط نفوذها على أي قسم من الاقطار الاميركية الا بمنزلة تهديد لسلامتنا . فنحن لم نتعرض قط ولن نتعرض لشؤون المستعمرات الاميركية التابعة لدول اوربا ولكن من جهة اخرى لا يسعنا الاغضاء

عن أي عمل تأتيه الدول الاوربية للتأثير في الحكومات الاميركية التي اعلنت حديثاً استقلالها القائم على مبادىء العدالة والحق والذي حافظت عليه وذادت عنه بكل قواها . ولا يخفى انه لما نشبت الحروب بين اسبانيا وتلك الحكومات الحديثة اعلنت الولايات المتحدة حيادها عند اعترافها باستقلال تلك الدول . وقد حافظنا وسنحافظ على هذا المبدأ بشرط أن لا يطرأ تغيير يرى ولاة الامور من خلاله ضرورة تغيير سياستنا »

هذا نص مذهب الرئيس منرو واننا اذا اردنا تحليله تحليلاً دقيقاً وجدناه كما قال المسيو الفارز الاميركي ينقسم الى قسمين يعبر اولهما عن آراء الدول الاميركية كلها ويتعلق الثاني بآراء الولايات المتحدة وحدها

أما القسم الاول فيتناول ثلاث قضايا :

١ ـ أن للدول الاميركية حقاً في الاستقلال الذي نالته وليس لاحدى الدول الاوربية أن تنازعها ذلك

٢ ـ لا يجوز للدول الاوربية أن تظلم الدول الاميركية أو ان تسعى في قلب حكومتها أو أن تتعرض لها في أي شأن من شؤونها الداخلية

٣ ـ لا يجوز للدول الاوربية أن تحتل أي جزء من القارة الاميركية

أما القسم الثاني أي آراء الولايات المتحدة فيتناول امرين :

١ ـ احترام الولايات المتحدة للمستعمرات الاوربية في اميركا (وهي قليلة)

٢ ـ عدم التعرض للشؤون الاوربية الا اذا كانت مصالحها مهددة

والولايات المتحدة بدخولها الحرب الحاضرة الى جانب الحلفاء لم تحد عن مذهب منرو بل لقد عملت به اذ انها لم تتعرض لشؤون اوربا ولم تشهر الحرب الا حين ثبت لها ان مصالحها أصبحت مهددة . بل أن جانباً من الاميركيين لام الرئيس ولسن لتهاونه في هذا الامر مع تيقنه عداء المانيا . على ان من وضع نفسه موضع الرئيس عذره بل أعجب بسياسته فانه لم يشأ خوض الحرب والعمل بمذهب منرو الا بعد ان أدرك سواد الشعب الاميركي الذي لم يتعود التعرض لشؤون العالم ان كيانه مهدد وانه لا مناص له من دخول الحرب الى جانب الحلفاء عملاً بمذهب منرو . فبدلاً من ان يتسرع الرئيس ولسن ويدفع شعبه الى خوض الحرب تمهل ريثما نهض الشعب نفسه يدفعه اليها بكل قواه

ومما يدل على تمسك الاميركيين بمذهب منرو ان الرئيس ولسن بذل جهده عند اشتداد الخلاف بينه وبين الحكومة الالمانية لاثبات تمسكه بذلك المبدأ وتطبيق خطته عليه . وهاك ما قاله في رسالته الى مجلس الشيوخ في ٢٢ يناير سنة ١٩١٧ : « اني أعرض ان تتفق الشعوب على جعل قاعدة الرئيس منرو قاعدة لجميع الاقطار بحيث لا يسعى شعب في اذلال شعب آخر بل يكون كل شعب حراً في اختيار الحكم الذي يلائمه الخ . . . »

هذا هو مذهب الرئيس منرو الشهير الذي أصبح بمنزلة عقيدة سياسية اميركية. فان رجال السياسة الاميركية ما فتئوا منذ ذلك الحين يدعمونه ويؤيدونه بكل قوام ويعيدون ذكره في كل فرصة تسنح لهم اذ رأوا فيه سلامة بلادهم . فقد أشار اليه الرئيس جروفر كاتلند في رسالة بعث بها الى مجلس الامة قال : « ان مذهب منرو الذي نعتمد عليه في سياستنا مبدأ قويم عزيز لان العمل به ضروري لسلامتنا وحفظ كياننا ولازم لسلامة مبادئنا والمحافظة على حكومتنا الممتازة بنظامها » وقد أورد ذكره أيضاً وزير الخارجية لعهد الرئيس المذكور في رسالة بعث بها الى سفير اميركا في لندن قال : « ليست اميركا مفتوحة للاستعمار . نعم ان هذه القضية لم يكن مسلماً بها قبلا أما الآن فهذه مسألة جوهرية ويهمنا ان نحسب كل تعرض اجنبي لشؤون اميركا عملا عدائياً نحونا »

وقد نشب أخيراً نزاع شديد بين الاحزاب الاميركية على تأليف عصبة الامم وقام الجمهوريون يعارضون في تأليف تلك العصبة وقد تبين ان علة هذه المعارضة نفور بعض الاميركيين من الاشتباك في مشاكل السياسة الاجنبية وخوفهم من نقض قاعدة منرو التي يعدونها ركن سياستهم منذ زمن بعيد

على ان الرأي العام الاميركي كان معاضداً للرئيس في مساعيه وان يكن جانب كبير من الاميركيين يرى ادخال بعض التعديل على نص دستور عصبة الامم . وان من المتعذر الآن على أميركا التنصل من نتائج المبادىء السامية التي جعلتها أساس العلاقات الدولية ولا سيما ان الدول الاوربية الآن تدعوها بكل قواها الى الاشتراك معها في تسكين ذلك الثوران البشري الذي أحدثته الحرب

وتفيد أحدث الانباء الواردة من أميركا ان المستر لودج زعيم المعارضين في مجلس الشيوخ الاميركي لجمعية الامم قد وافق على انشائها بعد تنقيح موادها

تربية اصحاب العاهات

واستعاضتهم بالجهازات العلمية عن اعضائهم المفقودة

اهتمت جميع الدول التي خاضت غمار الحرب الاخيرة في امر المشوهين واصحاب العاهات من جنودها . فلقد خلفت الحرب ـ فيما خلفت من المصائب ـ جيشاً كبيرًا من هؤلاء المنكودي الحظ . ولو تركوا على علاتهم لاصبحوا عبئاً جسيماً على عاتق المجتمع البشري المثقل بالمتاعب الكثيرة . وقد تألفت جمعيات ولجان


الاعمال الميسورة باليد الصناعية الحديثة

عديدة ـ بعضها رسمي و بعضها غير رسمي ـ للبحث في الطرق التي من شأنها تخفيف حالهم واستخدامهم في المهن والصنائع التي يصلحون لاجلها . وآخر ما اطلعنا عليه من هذا القبيل قرار مجلس الامة الاميركي القاضي بانشاء مكتب للنظر في اعادة الكفاءة للعمل للجنود الذين فقدوا بعض اعضائهم في الحرب

وقد تقدمت الجراحة تقدماً عظيماً في هـذا الباب كما تقدمت ايضاً صناعة الاعضاء الميكانيكية بحيث اصبح من النادر اليوم ان نجد صاحب عاهة تمنعه عاهته من اتيان عمل مفيد . فقد كثرت المعاهد المخصصة لتدريب هؤلاء المصابين . وهي تتكفل بدرس حالة كل مصاب درساً دقيقاً يمكنها من تهيئته بالجهازات الملائمة له

وقد كانت نتيجة هذه المساعي الجليلة ان قد زال الاعتقاد بان فقد رجل أو يد أو عين بل فقد الرجلين أو اليدين أو العينين يضطر الانسان ان يكون عالة على سواه واصبح الناس في الدول الغربية يشاهدون الذين أصيبوا ببعض هذه العاهات وقد استخدموا في المصانع والمكاتب والمصارف الخ . . .

وفي الاخبار الاجتماعية المنشورة في الجزء الماضي من الهلال نتيجة بحث قامت به مصانع فورد الاميركية الشهيرة عن الاعمال التي يمكن ان يستخدم لها اصحاب



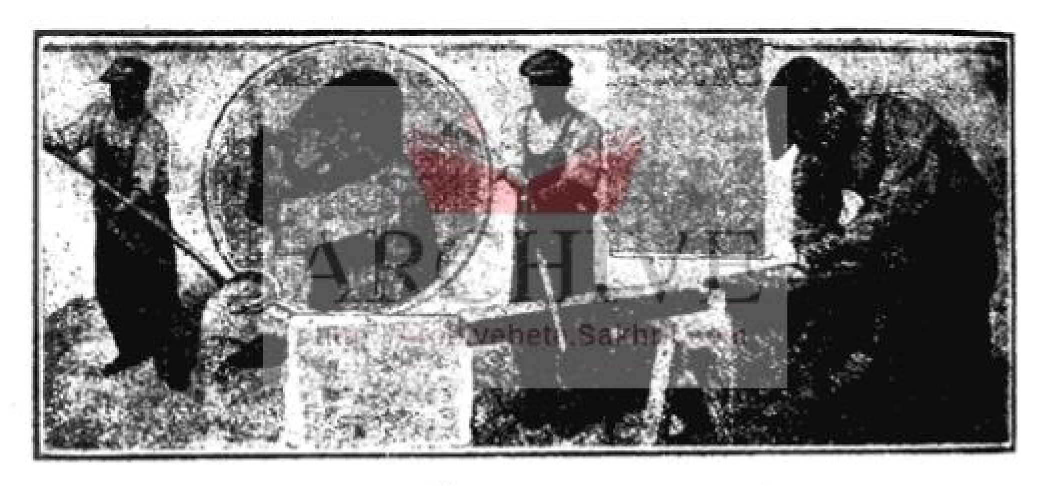
رجل ذو رجلين صناعيتين يصعد بهما على سلم

العاهات . فقد وجدت ان الاعمال الميسورة لفاقدي كلتا الرجلين ٦٧٠ عملاً ولفاقدي احدى الرجلين ٢٦٣٧ عملاً ولفاقدي احدى اليدين ٧١٥ ولمكفوفي البصر ١٠ ويقدر عدد اصحاب العاهات والمشوهين العاملين في مصانع فورد الآن بنحو ١٨ في المئة من مجموع العمال

وتعيين العمل الملائم لاصحاب العاهات من اصعب الامور وادعاها للنظر

والتدقيق . فمن كان فاقداً لاحدى رجليه أو لكلتيهما يختلف حكمه عن فاقد احدى يديه أو كلتيهما . كذلك كلما صغر الجزء الباقي من الرجل أو اليد دعت الحال الى الاقلال من الحركة والانتقال بقدر المستطاع . وقد ثبت ان فاقدي ارجلهم اكثر عدداً من فاقدي ايديهم بنسبة ٣ الى ٢ والسبب في ذلك ان الجندي المصاب برصاصة في احدى يديه يستطيع السير على قدميه الى اقرب مستشفى ليعالج فيه في حين ان المصاب باحدى رجليه قد يتعذر عليه السير فتسوء حالته .

والاجهزة المستعملة اليوم مقام الايدي والارجل انواعٌ كثيرة . وهي تختلف عن الاجهزة المألوفة قبلاً بان القصد منها اتيان عمل معلوم وليس مجرد تمثيل العضو



ما يستطيعه رجل فقد يديه مع التمرين المتواصل

المفقود ومحاكاته . ولذلك نجد ان هذه الاجهزة تختلف باختلاف الاعمال المعدة لها والادوات التي ينبغي لها تداولها . فالايدي الصناعية المخصصة للفلاح تختلف عن ايدي ساعي البريد أو النجار أو السائق الخ . . . .

وقد بلغ صنع الايدي والارجل الميكانيكية مبلغاً عظيماً من الدقة . والصور المنشورة مع هذه المقالة توضح شيئاً من ذلك . في الصورة الاولى بيان ما تستطيع احدى هذه الايدي القيام به من الاعمال . كحمل صندوق ومصافحة يد اخرى وتدخين سيجار والقبض على كأس ماء وغير ذلك من الاعمال . والصورة الثانية توضح كيف يستطيع من كان ذا رجلين صناعيتين الانتقال على سلم منصوب

وقس على ذلك اعمالاً أخرى كثيرة يضيق المقام عن سردها

اما الصورة الاخيرة فتبين الاعمال التي يستطيعها بالتدريب والتمرين رجل فقد يديه وذلك من دون ان يلجأ الى استعمال يدٍ صناعية . وصاحب هذه الصورة رجل من مدينة كاليفورنيا اصيب في حادثٍ قبل الحرب بزمن فلم يستسلم لمصيبته بل سعى لتحسين حاله وتمكن من الاستخدام وكسب عيشه على تلك الصورة

الحب والايمان

لبعثتَ في القلب اللجوج سكينة ... وكبحتَ ثورة ناقم متطير

سكنت اليك النفس وهي عصية ... لا تطمئن لمسمع أو منظر

وأريتني صور الحياة جميلة ... فعشقت من غاياتها ما أزدري

لا العمر مملول ولا آلامه ... عبء على نفس امرىء متصبر

أي الملائك أنت يا بن الجلى ... ضعف الوليد به وبأس القسور

أحنو عليك وأتقيك مهابة ... وإخال انك من ذويَّ ومعشري

وإخال انك عالم بسرائري ... فاذا رأيت نقيصة بي فاغفر

أولست تعلم ما اكتم جاهداً ... وترى دخائل قلبي المتستر

بل لو أردت وقد ظننتك فاعلاً ... لتركت نفسي في صفاء الجوهر

كن لي ولا تك للانام فانني ... أدرى الانام بسر هذا المخبر

لو أدرك الناس الجمال لابغضوا ... ما في الخلائق من قبيح منكر

الناس إما قائل أو فاعل ... شراً يهين بني التراب ويزدري

بله الظنون فكل ظن صادق ... فيهم يمينُ اذا أراد ويفتري

انظر الى الدنيا تجد أبناءها ... يتكالبون على الاخس الاحقر

أوَّاه من عنت الانام ولؤمهم ... ومن المخاتل فيهم المستنكر

عبد اللطيف النشار

العائلة والمنزل

الحيوانات ابرع من الانسان

في اختيار طعامها

من أعجب ما يدهش المتأمل في طبائع الحيوانات غريزة اختيار الطعام الملائم لها. فهذه الغريزة متأصلة في كل نوع من الحيوانات بحيث يعرف الحيوان الواحد بالبداهة أصناف المأكولات المفيدة له ولامثاله فيقبل عليها حيثما يجدها كما انه يتجنب الاصناف الاخرى من تلقاء نفسه

فالخيل واقاربها من الحيوانات تعرف بفطرتها ما هي أصناف الاكل التي تصلح لها والتي تغذى بها اسلافها منذ قديم الزمن فلا تتعدى تلك الاصناف وهي كما لا يخفى بعض الاعشاب والحبوب . كذلك الحيوانات التي من فصيلة الهررة كالاسود والنمور وغيرها تنمو وفيها ميل غريزي الى افتراس حيوانات اخرى اضعف منها . وقس على ذلك سائر الحيوانات

أما الانسان فقد خالف هذه السنة الطبيعية وجاوز أصناف المأكولات الخاصة بالحيوانات التي ينتسب اليها من الوجهة العلمية وهي القردة على انواعها (من اورنغ وشمبنزي وغورلا) . فان هذه الحيوانات تتغذى من أكل الفواكه وما كان من قبيل الجوز والبندق وبعض البيض والجذور والاوراق . وقد كان الاجدر بالانسان ألآ يجاوز تلك الاصناف ولكنهُ ما برح منذ قديم الزمن يختلق لنفسه شهوات لاصناف اُخرى حتى تأصلت فيه تلك الميول مع كونها غير طبيعية

سئل أحد المستكشفين الشهيرين مرة هذا السؤال : « عند ما تدخل غابة غير آهلة بالناس كيف تعرف ما يجوز لك أكله منها ؟ » فاجاب : « اذا عثرت مثلاً على جوزة لم آلفها وكنت في شك من احتوائها على بعض المواد السامة آتي ببعض هذا الجوز وأضعه على مقربة من قرد وارقب حركاته فاذا وجدته معرضاً

عنهُ علمت انهُ غير صالح للطعام فاتركه . أما اذا تناوله واكلهُ فلا اتردد في تناوله انا ايضاً »

وفي البلاد الغربية اليوم حركة كبيرة ترمي الى حمل الناس على الرجوع الى المأكولات الطبيعية اي المأكولات الملائمة للجنس البشري وفقاً لحكم الطبيعة والاقلاع عن الشهوة الكاذبة التي تولدت في الانسان بحكم الاحوال والاضطرار من جهة وحكم المدنية والحضارة من جهة اخرى . وقد قال احد العلماء الطبيعيين ان خير معلم للانسان في هذا الموضوع ليس استاذاً يقضي ايامه في المعامل بل قرداً ينقاد الى غريزة الطبيعة التي هي امه وامنا على السواء

اهم الاعضاء في الجهاز الهضمي

لقد أثبتت أحدث المباحث الطبية ان الامعاء الدقيقة أهم الاعضاء في الجهاز الهضمي فان عليها يقف معظم وظيفة الامتصاص . وهي القسم الوحيد من القناة الهضمية الذي يستطيع هضم المواد الغذائية الرئيسية كلها . وقد ثبت من جهة أخرى أن المعدة قليلة الشأن في الجسم والبرهان على ذلك انه في الامكان استئصالها من دون أن يلحق وظيفة الهضم احتلال ما . والحوادث المثبتة لهذا القول كثيرة فقد استئصل الجانب الاكبر من المعدة غير مرة في حالة اصابتها بالسرطان فعاش أصحابها زمناً طويلاً على هذه الصورة . وفي حوادث أخرى استئصلت كلها وتمكن أصحابها ان يعيشوا بدونها عدة سنوات

وقد اثبت الطب أيضاً أنه ليس للامعاء الغليظة شأن يذكر في أداء وظيفة الهضم وما هي الا وعاء تجتمع فيه بقايا المواد التي دخلت القناة الهضمية مما لم تمتصه الامعاء

ومن حسن حظ الانسان ان الامعاء الدقيقة مع اهميتها قليلة التعرض للامراض ولا سيا للسرطان . فقد تبين من الاحصاءات ان ٤٠ في المئة من حوادث السرطان في الجهاز الهضمي تصاب فيها المعدة و٥٣ منها تصاب فيها الامعاء الغليظة فلا يبقى الا ٧ في المئة للامعاء الدقيقة في حين ان هذه الامعاء هي اطول قسم من القناة الهضمية (نحو ٢٢ قدماً ونصف قدم) اي نحو $\frac{6}{7}$ طول ثلاث القناة

وقد استنتج متشنيكوف العلامة الشهير من كل ذلك انه يحسن بالانسان ان يستأصل الامعاء الغليظة من جسمه لاستغنائه عنها واشار ايضاً الى امكان استئصال المعدة وقال ان التطور الطبيعي الذي يلحق جسم الانسان سيوصله تدريجاً الى هذه النتيجة ولذا يحسن به ان يسبق عمل الطبيعة ليوفق بين مأكولاته الحاضرة واعضائه الهضمية

وقد اجريت تجارب كثيرة استئصلت فيها الامعاء الغليظة ولكن هذه التجارب لم تسفر عن نتيجة حسنة اذ ثبت أنها أضرت بالذين اجريت فيهموقصرت من حياتهم

على ان هناك طريقة اخرى للتوفيق بين مأكولاتنا الحديثة وجهازنا الهضمي وهذه الطريقة هي الرجوع الى المأكولات البسيطة التي كان يتناولها آباؤنا ولا سيما انواع الخضرة والفاكهة

التدخين

من الوجهة العلمية

ذكر أحد اساتذة الطب في امركا خلاصة المباحث العلمية عن تأثير التدخين في الجسم وهاك الحقائق المثبتة التي سردها :

(١) ان الضرر في دخان التبغ ناشىء في الغالب عن تأكسد النيكوتين وغيره من المواد الداخلة في تركيب التبغ

(٢) يزيد ضرر التدخين في حديثي السن فيصيب قلبهم بسهولة

(٣) ان مضغ التبغ اشد ضرراً بكثير من تدخينه

(٤) المواد الضارة في التبغ يسهل امتصاصها عند استنشاقها بالتدخين وقد لا يمتص الا القليل منها اذا لم يستنشق الدخان

(٥) في بعض الاشخاص استعداد فطري للتأثر من التبغ (Idiosyncrasy) ولا سيما من حيث زيادة ضغط الدم واختلال وظيفة القلب وزيادة افراز الحوامض في المعدة

(٦) يجب على من كانت فيهم تلك الفطرة ان يمتنعوا عن التدخين

(٧) اما من ليست فيهم فيجوز لهم التدخين بحرص واعتدال شديدين

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاجزاء الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها. فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها. على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بأحرف أو بكلمة عند النشر

اطول استيقاظ

﴿ ابشان . الغربية ﴾ عبد الحميد ابراهيم المنوفي

ما هي اكبر مدة يستطيع الانسان ان يبقى فيها مستيقظاً ومتى يتغلب عليه النوم

﴿ الهلال ﴾ اطول مدة عرفناها خمسة ايام ولم تكن الحالة طبيعية فقد كان صاحبها مصاباً بتهيج عصبي يقرب من الجنون أو كان منه . وقد نام بعد ذلك عشرين ساعة ولم نسمع عن ثقة بمدة اطول من هذه

الشعر في وجه الرجل

﴿ كوارسو . الانتيل ﴾ انطانيوس يعقوب عبود

لماذا لا ينمو الشعر على وجه المرأة مع غزارته على رأسها ؟

﴿ الهلال ﴾ الشعر في وجه الرجل من مميزات الجنس الطبيعية . وللخصيتين تأثير شديد في نموه والشاهد على ذلك قلة شعر الوجه أو سقوطه في حالة استئصالها

مرض العدسيتين

﴿ كورتي . السودان ﴾ مندور محمد

لي صديق صناعته الكتابة يؤديها نهاراً فاذا مالت الشمس الى الغروب ابتدأ

نظره يضعف بالتدريج حتى اذا جن الليل لا يعود يرى شيئاً مطلقاً . فما هذا الداء وما سببه وهل له من دواء ؟

﴿ الهلال ﴾ ان صديقكم مصاب في الغالب بمرض في العدسيتين وخصوصاً في محيطهما بحيث أن العدسيتين تتسعان بلا فائدة حين يخف نور النهار . ولا بد من استشارة اختصاصي

علاج العمى

﴿ الاسكندرية ﴾ أحد القراء

هل حقيقي ما سمعت من صديق هنا انه قرأ في جريدة أفرنجية ان طبيباً روسياً يقطن في باريس تمكن من شفاء العمى ؟

﴿ الهلال ﴾ ان ما نقل اليكم عن الطبيب الروسي أمر واقعي معروف منذ زمن . وتفصيل ذلك أن أحدهم أصيب بتقرح القرنية ثم بسحابة عليها فبقيت العين سليمة من الداخل ولكنها عجزت عن النظر لان النور منع من اختراق السحابة فجاء الطبيب واستأصل سطح القرنية المصابة ووضع محلها قطعة تماثلها من قرنية أرنب فشفيت العين وأبصر صاحبها . ولكن هذا الشفاء كان موقتاً فعادت القرنية الجديدة الى مثل حالة القديمة وفقدت العين بصرها ثانية . وقد أجريت هذه العملية غير مرة . ويقال ان نجاحها أصبح الآن أضمن على طريقة كارل (Carrel) ولا بد من زمن للتثبت من ذلك

تقوس الارجل

﴿ كوبالت . كندا ﴾ يوسف قزما البطح

لاحظت ان الاطفال السوريين المولودين في هذه البلاد تتقوس أرجلهم بحيث اذا وقف أحدهم كان بين رجليه مسافة قدم تقريباً وهم يبقون كذلك الى سن الخامسة اذ تعتدل أرجلهم . وهذا غير مشاهد في الاطفال المولودين في سوريا

﴿ الهلال ﴾ ان الاعراض التي ذكرتم ان أولاد السوريين في أميركا يصابون بها هي أعراض داء يدعى راشيتزم (Rachitisme) وهو لين في العظم

ينشأ عن قلة رسوب المواد الكلسية فيه وهو يتأتى من سوء التغذية ومن أمراض تصيب الاطفال وخصوصاً الامراض المعدية منها فتضعف بنيتها . ومتى تم رسوب المواد الكلسية نما الطفل وقوي العظم وصار أقل اعوجاجاً بسبب طوله

دودة غينة

﴿ الكويت ﴾ محمد امين عوضي

من الامراض الشائعة في البلاد الفارسية في فصل الصيف مرض غريب يظهر فيه دود مستطيل (عدده من ٢٠ الى ٣٠ فاكثر) يتولد في جميع اعضاء الانسان ويتحرك فوق اللحم وتحت البشرة ثم يضرب باللحم فيفسده واذا كان بالرجلين وقع المصاب طريحاً مسلوب المشي والحركة . واوفق علاج معروف لهذا الداء شق البشرة بالموسى قبل ضرب الدود باللحم ثم اخراجه بالابرة . ويظن البعض ان ذلك الداء يتولد من شرب ماء البرك لان في تلك البلاد تخزن مياه الامطار للشرب في برك واسعة عميقة طول السنة . فالرجاء من فضلكم ان تفيدونا عن حقيقة هذا المرض واسبابه وطرق ملافاته

﴿ الهلال ﴾ يدعى هذا المرض Guinea worm أي دودة غينة لكثرته في تلك البلاد . والاصابة به تكون اما بواسطة الشرب من ماء فيه حيوانات تحمل دود هذا المرض في داخلها أو مباشرة من الاغتسال في ماء البرك اذ تخترق الدودة الجلد وهو الارجح . والدودة تنمو في الجسم وتسبب أعراضاً قد تنتهي بموت المصاب . ولا بد لمعالجتها من طبيب ماهر ومن احسن ما وصف لها حقنة سليماني بنسبة واحد الى الف داخل الدودة أو في دائرتها فتموت ويموت معها الآلاف من صغارها وقد يشفى العليل

فجر عهد جديد

في مصر

[illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

[illegible]



وحمد الباسل باشا ونفيهم إلى مالطه

فحدثت بعد ذلك مظاهرات ومشاغبات كثيرة في القاهرة والبنادر ووقعت أمور مكدرة لا مندوحة عنها في مثل هذه الأحوال . وإذ ذاك صدر قرار الحكومة الانكليزية بتعيين الجنرال السر إدمند اللنبي نائباً فوق العادة لجلالة الملك في مصر وهذا القرار الرسمي بتعيينه :

لندن في [illegible] مارس

عين ... بصفة خصوصية ... في ذلك الوقت ... وعليه أن ... نائباً فوق العادة لجلالة الملك في مصر والسودان ويفوض إليه استعمال السلطة العليا في كل المسائل العسكرية والسياسية واتخاذ كل التدابير التي يرى وجوب اتخاذها لإعادة القانون والنظام و ... إدارة جميع الأمور في ... الحماية البريطانية ... حالة ... مصري مؤسسة على ... ثابتة

وعقب وصول الجنرال اللنبي دعا لمقابلته جمهوراً من الأعيان في دار الحماية في يوم ٢٧ مارس وخطبهم قائلاً إن مهمته تقضي أولاً بإعادة الأمن والطمأنينة . ثم ... مارس خطة واجبة ... إعادة ... من ... . وحضهم على مساعدته في تسكين الخواطر

وفي هذه الاثناء نشرت بتاريخ ٢٤ مارس جمهور كبير من علماء مصر وأدبائهم ... وفي مقدمتهم صاحب الفضيلة شيخ جامع الأزهر وصاحب الفضيلة مفتي الديار المصرية وغيرهم عريضة ... مستنكرين حضور ... الأهلي على ... السكينة وعدم التعرض لحقوق ... الحكومة ... الأجانب ... من ... الشعب المصري ... مصلحة ... الخارج ... في وجه ... الوصول ... مشروعة

وكان لحضرة صاحب العظمة السلطان ... في تسكين ... وتخفيف ... الأمة ... ففي مقدمة ... عظمة السلطان ... بتاريخ [illegible] سنة ١٩١٩ وهذا نصه

... في ... عظمة ... مصريين ... ... في ... ...

وفي [illegible]
[illegible] العزيز الذي اقتضت حكمة الله أن يكون [illegible]
مثواه صاحب عرشه

[illegible] عرش مصر [illegible] عصب [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

وفي يوم [illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

القارة الاوربية

وما فيها من الشعوب والاجناس

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

ومنها تتجه نحو أوربا فتخفف وطأة الشتاء وتمنع تجمد البحر الشمالي وتتحف الصيادين في تلك الجهات بوارد لا يفنى من الاسماك

ثم انه ليس في أوربا حواجز طبيعية تحول دون نسمات البحار المنعشة فتتوغل مئات من الاميال في داخل القارة الاوربية

ومن مميزات أوربا عن سواها من القارات أن لخط شواطئها طولاً كبيراً . فمع ان مساحة أميركا الجنوبية ضعفا مساحة أوربا ومساحة أفريقيا ثلاثة اضعافها فشواطئ أوربا اطول من شواطئ هاتين القارتين معاً . وعلة ذلك أن خلجان أوربا كثيرة تدخل في اراضيها فتطيل شواطئها

وللبحر الابيض المتوسط شأن عظيم في تاريخ الحضارة الاوربية فهو سيد البحار كلها وعلى شواطئه شيدت الانسانية هيكل رقيها منذ اقدم الازمنة وفي بحر ايجه (الذي هو احد اقسامه) تعلم الانسان الملاحة وعرف كيف يركب السفن ويستخدم الرياح

اجناس اوربا

نبدأ درسنا لاجناس أوربا بتقرير امرين :

اولاً ـ ان جميع الاوربيين من اصل واحد

ثانياً ـ ان منشأ اسلافهم الاول في اسيا

ولسنا ننكر أن فريقاً من العلماء يشكون في صحة هاتين القضيتين . ولكن الرأي الغالب مقر عليهما

وليس اصعب من تقسيم البشرية الى اجناس . فكل تقسيم من التقسيمات المعروفة قائم على اساس يختلف عن أساس التقسيم الآخر . فبعض هذه التقسيمات اعتمد على لون البشرة والبعض على لون العيون واتجاهها وغيرها على لون الشعر ونسيجه واعتمدت تقسيمات أخرى على مميزات تشريحية مختلفة كشكل الانف وطول الاطراف بالنسبة الى البدن وسمك الجمجمة واتساعها (باعتبار ما تسعه من الرمل أو نحوه) ومحيطها الافقي والزاوية الوجهية ـ وغير ذلك من المقاييس الكثيرة

على أن المساعي العديدة التي بذلها العلماء في هذا المضمار لم تسفر عن نتيجة يصح الاعتماد عليها ولعل النتيجة الاولى لابحاثهم المستفيضة عن الفوارق بين البشر

كانت أنهم قرروا وحدة البشر وتشابههم في الصفات الاساسية

ومع ذلك لم يرَ العلماء مندوحة عن تقسيم البشر الى اجناس وأن تكن الفروق بينها ضئيلة . ويتراوح عدد الاجناس البشرية حسب الآراء المعروفة بين ثلاثة اجناس (وفقاً للكتاب المقدس باعتبار نسل كل من أبناء نوح سام وحام ويافث) و١٦ جنساً على رأي ديمولان . ولعل تقسيم بلومنباخ الذي يرجع الى سنة ١٧٨١ هو اثبت تلك التقسيمات كلها وأقربها الى الصواب فقد قسم الناس الى خمسة اقسام وهي : القوقاسيون والمغوليون والاحباش والاميركيون والملقيون

ويحكى عن بلومنباخ هذا انه بينما كان محيراً في تسمية القسم الاول من البشر اتوه بجمجمة من القوقاس فرآها مستجمعة للصفات المميزة لذلك القسم فسماه القوقاسي . وليس القصد من هذه التسمية الاشارة الى ان الجنس القوقاسي ينتسب الى القوقاس أو أن له علاقة ما بتلك الجهة

وليس هذا مكان الافاضة في مميزات كل قسم من الاقسام المتقدمة . فلنراجع في الكتب المخصصة لهذا البحث (١) . ولا يهمنا في بحثنا هذا الا الجنسان القوقاسي والمغولي لان منهما نشأت الشعوب التي سكنت القارة الاوربية . على أن سواد تلك الشعوب من القوقاسيين كما هو معلوم

والقوقاسيون اربعة اقسام أهمها اليوم قسمان : الساميون والآريون . فالساميون هم العرب والاشوريون والآراميون . أما الآريون ففريق منهم يقطن آسيا (فارس والهند وغيرهما) والفريق الآخر - وهو الاهم - يؤلف معظم الشعوب الاوربية الحاضرة . وهي خمس فرق كبرى : (١) اليونان (٢) اللاتين (٣) القلت (٤) التوتون او الجرمان (٥) السلاف . والارجح أن القلت اقدم تلك الفرق

وفي الجدول التالي بيان لتفرع الشعوب الاوربية الحاضرة من الجنس القوقاسي . أما الجنس المغولي فممثلوه في أوربا هم : الفنلنديون والاستونيون والمجر والترك والتتر

وكل مطلع على التاريخ يعلم ما اعتور تاريخ أوربا من تصادم الشعوب وتمازج الاجناس ولا سيما على اثر سقوط المملكة الرومانية . اذ أخذ المغول بالنزوح

---

(١) راجع كتاب طبقات الامم تأليف المرحوم مؤسس الهلال



تسلسل الشعوب الاورية من الجنس القوقاسي

من آسيا الى اوربا . اشهرهم في ذلك العهد أتيلا ورجاله الهونيون وجاء بعدهم الاوار والمجر والبلغار وغيرهم . ثم سطت على أوربا قبائل مغولية أخرى بقيادة خلفاء جنكيز خان الى فولغا . ثم حمل الاتراك العثمانيون على بلاد البلقان . فاوشك شرقي أوربا أن يصير مستعمرة مغولية لو لم تزحف عليهم قبائل السلاف من روسيا وبلاد القوقاس وتركستان الغربية وسيبيريا

فلذلك لست تجد بين اقوام أوربا قوماً انقياء الدم فقد اختلطت تلك الاقوام اختلاطاً اصبح من المتعذر معه بيان منطقة كل منها ولا سيما في جهات الحدود القومية . وهذا هو منشأ ما نسمع به من الخلاف بين شعوب أوربا . ولا ريب ان مهمة المؤتمر الكبرى ستكون تحديد المناطق القومية المختلفة

تحديدات لامهات الفضائل – لابن مسكويه

الذكاء : هو سرعة اقتداح النتائج وسهولتها على النفس

الذكر : هو ثبات صورة ما يخلصه العقل أو الوهم من الامور

صفاء الذهن : هو استعداد النفس لاستخراج المطلوب

الحياء : هو انحصار النفس خوف اتيان القبائح والحذر من الذم والسب الصادق

الدعة : هي سكون النفس عند حركة الشهوة

الصبر : هو مقاومة النفس الهوى لئلا تنقاد لقبائح اللذات

السخاء : هو أن ينفق المال فيما ينبغي على مقدار ما ينبغي وعلى ما ينبغي

القناعة : هي التساهل في المأكل والمشرب والزينة

الدماثة : هي حسن انقياد النفس لما يجمل وتسرعها الى الجميل

المسالمة : هي موادعة تحصل للنفس عن ملكة لا اضطرار فيها

كبر النفس : هو الاستهانة باليسير والاقتدار على حمل الكرائه . فصاحبه ابداً يؤهل نفسه للامور العظام مع استخفافه لها

الثبات : هو فضيلة النفس تقوى بها على احتمال الآلام ومقاومتها في الاهوال الخاصة

فهل من مدَّكِر ؟

بقلم الآنسة مي

مات نجيب بستاني فتلقّينا نعيه بأسفٍ عميقٍ يثيره رحيل أمثاله العظاميين العصاميين الذين كانوا بجدهم صلة بين الماضي والمستقبل ، وكانت أبحاثهم سعياً بين تلمس المعرفة والحصول عليها . فالجمجمةُ الكبيرة التي كان يقدحُ فيها الذكاء زناد الفكر توسّدت الراحة التي لا يشوبها قلق ، والأسارير الناطقة بعمقِ ثناياها واشتباك خطوطها عن قوّة الانفعال ومداومة الجهاد لها من الأبدية متسع فيه تنفرج عن ملامحَ هادئةٍ منبسطة ، وتقاطيع الوجهِ الكبيرة تحت البَشَرة المكفهرّة المعبرة عن رجولة عالية وانفة واقتدار ستظلُّ محاطةً بعظمة الموت وجلاله ساعاتٍ معدوداتٍ ، ثم تذبلُ قليلاً قليلاً لترتدي هيئةً وتحول جوهراً يتفقان مع عنصر ذلك العالم المجهول الذي نعرفُ منهُ العتبة ، وهي القبر ، ونجهلُ كلَّ ما عداها

اسم « بستاني » ما أتمَّ معناهُ عند الاسرة التي غرَستْ في حديقة الفضل أشجاراً شجراء ! فمن « محيط المحيط » إلى دائرة المعارف إلى الياذة هوميروس مع ما يتخلّل هذه من شجيرات مثلها خالدات ، كل ذلك يحملُ على الظنِّ ان الاسم لم ينتخبهُ ذووهُ الا شعاراً لاعمالهم ورمزاً بليغاً

واذا ما ودّع فردٌ من هذا الربع الأمثل الذي تسنّم أسمى الدرجات وأشرفها وهي درجة العلم ، فكأنما نحن بأسفنا عليه نحيي كلَّ من رحل قبلَهُ نحو الافق الذي لا يُدرك ، مطأطئين الرؤوس أمام خيالاتهم المتباعدة ، وليس لدينا ما نشيّعهم به مما يليقُ بهم سوى نظرات الشكر والاعظام

* * *

على أنَّ لنا نحن أبناء هذه الحياة ، أماني لا ننساها ورغباتٍ حيةٍ لا تسطو عليها مخالب الردى . نحن نريدُ استطراد السير الى الامام ، وهي رغبةٌ لا تُفارقنا حتى ولا ازاء قبورٍ عزيزة فتحها الموتُ حديثاً . ويؤلمنا ساعةَ يطوف منّا الفكر في عالَم النور ان نجد لنا فيه موجات ضياء قصيرةٌ أشواطها لا ينبسطُ مداها الا قليلاً أعني دائرة المعارف العربية

أعني دائرة المعارف وينطلقُ فكري نحو سليمان افندي البستاني نزيل سويسرا ، على ما يقولون . ترى ما ذا يفعلُ هناك ؟ أهو يتعاطى التأليف والتحبير أم يرتاحُ من إجهادٍ عقليٍّ وعناءٍ سياسيٍّ حمل عبئهُ سنوات عديدات ؟ إنَّ الذي نقل هوميروس إلى لغة العرب ووضعَ للالياذة المقدمة التي نعلمُ لا يخصُّ نفسهُ ، بل هو من الذين وُجدوا ليكونوا مُلكَ لغتهم وقومهم ، ولا يجوز لهم الراحة مدةً طويلةً وإن كانوا أحوج الناس اليها . لئن تيسَّرت الاستنامة والاستكانة للصحاري الفواحط الأجادب أعواماً ودهوراً فذلك ليس بالميسور للأرض الخصبة التي كلما أفاضت خيراً زادتْ فيها قوةُ الانتاج وتضاعفت عناصرُ الغنى ، وتفتَّقتْ في صدرها بذورٌ يتوقعُ الغدُ ان يراها حصاداً عسجدياً . . .

أثبتُ هذا لانهُ الحقيقة . غير اني لا أقصد ان هذا الأثر النفيس يجبُ أن يتمَّ على يد آل البستاني دون غيرهم . قلما ترى دائرة من هذا النوع يضعها فردٌ واحد . نعم يوجد معاجم كبيرة عند الغربيين وانسيكلوبيذيات في موضوعات معيَّنةٍ من وضع شخص لم يتخذ لهُ في تصنيفها مساعداً ، ولكن ذلك نادر . ومثل هذا الأثر ، خصوصاً اذا كان شاملاً لجميع الموضوعات ، يتعاونُ عليه طائفةٌ من العلماء الاختصاصيين فيتضامن لتنسيقه حلقةٌ من الباحثين . ثم ينقضي العامُ والعامان ، وقد تنقضي عشرات الاعوام قبل ان يأخذ طابعهُ النهائي متكيفاً في القالب المقصود

* * *

إننا على فقرنا العلمي لا نعدم الاكفاء القادرين لو كان لنا من التعاون ظهير ، ولكنَّ الاكفاء مبعثرون يفصلُ بينهم الدينُ والملة والتحزب والعشيرة ! أما آن لنا التآخي بحذفِ الفروق الثانوية ، ذاكرين ان هناك أوجاً يتلاقى عندهُ الغرباء ويتقاربون برابطة هي فوق جميع الروابط البشرية ، وهي رابطة العلم ، ألا انَّ هذه الرابطة تجهلُ أسماء مصر وسوريا وبغداد والحجاز ولا تحفل بذكر المسلمين والنصارى واليهود والدروز والدهريين ! ألا انما العلاقة الدينية سرٌّ بين الخالق ومخلوقهِ والحدود الجغرافية كانت وستظلُّ دائماً عرضة التبديل والتسجيل في المعاهدات السياسية والبروتوكولات الدولية . ولكن وراء حجاب الاصطلاحات والاختلافات والاتفاقات يظلُّ عالم النور ، عالم المعرفة ، واحداً لا يتغير

ترى أيُّ شعبٍ أكثر اقتداراً من الشعوب الشرقية على تمزيق هذا الحجاب الغرور لتطلب ما وراءه ، وهي الشعوب التي تهجع في روحها ذكرى مدنيات مندرسة ؟ لستُ مترنمة هنا بذكر الآباء والجدود كما يفعلُ بعض الشعراء ساعة تجفّ بين أيديهم سيولُ المعاني ، اني أعني أمراً ثابتاً وان كان خفياً . إن أمزجة الأمم تحفظُ تذكارات الأزمنة السحيقة . وقد يتبكّمُ صوتُ الوراثةِ دهوراً ولكنّهُ يتصافى بغتةً عند ذرية لاحقة أودعتها الذراري السابقاتُ شارة العزّ الغابرِ والمجدِ الأثيل

أيُّ فكرٍ أبعد غوراً من الفكر الهندي وأسرع تناولاً لِما شفَّ وغمض من الاسرار وراء كثافةِ المادة ؟ أين من ينكر على المشرق جلال مدنيات أشور وبابل وصور وصيدا ؟ وفي أيّ صقعٍ تحفظ بقايا الاحجار ، مع آثار الغموض والالتباس ، دلائل الرفعة والسؤدد كما نراها في أخربةِ الهياكل المصرية الدائمةِ الجلال والرهبة ؟ وأيُّ مدنيةٍ حَملتْ عظمةَ العلم ونشرتهُ في ظلّ أعلامها الخافقاتِ نصراً أكثر من المدنية الاسلامية ؟

نحن نائمون منذ عصور كان فيها الآخرون مجاهدين ، وما ذلك إلا لأنّ للأقوام كما للأفراد ، الوقت بعد الوقت ، سجاعاً ورقاداً . والآن وقد أشعلنا من مصباحِ الغربِ مصباحنا فانما نستعين بنورهِ لاستجلاء ما عندنا من قُوًى وراثية ونفسية نضيفُ إليها قوًى جديدة تخلقها فينا مطالبُ العصر واحتياجاته

* * *

ورُبَّ معترضٍ يقولُ أن العالم اليوم متغلبة فيهِ الضوضاء وإن الشرق الأدنى يخطو خطوةً لم يألفها في تاريخهِ الحديث وهي لا تصالحُ البحث والتنقيب والتأليف . ولكنّ المعرفة من العناصر الحيويّة الأولية التي لا تقتلها بنود الشعوب ولا تقيدها قلاقل الاجتماع ، ولا شك في أن الغرب سيبرز بعد إتمام الصلح آداباً جديدة ومبتكراتٍ تكونت بذورُها وارتسمت خطوطها في ظلمةِ الخنادق ، وتغذت بمرارة الدخان ولعلعةِ النيران . لعلّ أزمان المنازعات والاخطار كانت وستظل الوسط الأنسب لنشوء أفضل القوى الانسانية ، كما أن الاشجار العظيمة لا تقوى إلا بمكافحة الأعصار والزوابع . إنما الفكر البشري عبقريٌّ من طبعهِ ، وما أحوج العبقرية الى الوجع والعذاب لتدرك سرّ الاستشفاء والراحة ! وما أحوجها الى المقاتلة والمحاربة

والمجالدة لتشعر بلذة التغلب والتفوق والنمو ! إنها لا تنمو إلا بين العواصف وتحت الصواعق ، وأتم ما خلد الفكر من البدائع لم يختمر إلا في أزمنة الاضطراب والقلق والانفعال . وقد تخدم الثورات النهضة الفكرية والحركة الاجتماعية فتهدم من قديم بال وتشيد من جديد مطلوب في ثلاثة أيام ما لا تأتي بمثله أقلام الناقدين وآراء المصلحين في مئة عام وعام

إن الذين رأوا مصر في هذه الاسابيع يدركون ذلك والذين شهدوا النساء المحجوبات ذوات الخدر من أعظم البيوتات الاسلامية سائرات في مركبات مكشوفة أمام الاجنبي والوطني ، منضمات الى الرجال في المظاهرات ، هاتفات معهم هتاف الحماسة والشجاعة « ليحي الوطن ! » ، راشقات المارين بالأزهار والرياحين ، محييات بالمناديل والبسمات ، مشيرات بالايدي ، ملوحات بالاعلام ، ومنهن من ينبرين للخطابة في الجماهير المزدحمة – أولئك يدركون ان هذه الساعات المعدودات في تاريخ الوطنية المصرية قد دفعت بالفكر القومي عموماً ، وبالفكر النسائي خصوصاً ، دفعة عظيمة وأوصلت الرجل والمرأة معاً الى حد بعيد لم يكن ليدرك في غير هذه الحالة بعشرات الاعوام ، ولو كان الحاث على السير عشرات من امثال قاسم أمين

ان البشرية تكتشف ما عندها من مستودعات اقدام ومجازفة في هذه اللحظات العصيبة ، وتقيس هوة اقتدارها بما يتدفق منها من غليان وفوران يلقنانها أمثولة نادرة لا تنسى منها حياتها حرفاً . فما تجيء ساعة الهدوء إلا وقد عثرت الجماعات على ثروة جمة جهلتها طويلا لانها كانت في حاجة الى معول الانفعال يقرع أديم نفسها ويصيب منها خفاياها ليرفش فيها رفوشاً فيجرف ما وجب جرفه ويقلب ما بقي قليباً . اذ ذاك تظهر في الاقوام حياة حديثة نشيطة نضرة تدرك احتياجاتها بحدة فتبتدع ما يرضيها اذا كان مفقوداً أو تكتفي بتطبيقه على احوالها اذا كان موجوداً

* * *

فهل من مُدّكر ؟

كلا ، ليس اليوم من يدّكر لان المعول ما زال نائلا من تربة النفوس ولكن للاضطراب حداً كما لكل حركة نفسية أخرى . والبشرية واحدة في جميع المناطق ، شعورها واحد واحتياجها واحد . هي تعلم ان الجهل سجن فيه يحرم المرء من

العلاقة الوحيدة التي تصل بينه وبين الاشياء، وما تلك العلاقة الا نسيج المعرفة والحبّ. وان من فقد قوة المعرفة لا يحبُّ الا الخيالات والاوهام. أليس الحبّ والمعرفة ماء البشرية ونورها؟ أليست البشرية ككل جسم حيّ تائقةً من وراء ترددها وهفواتها وفظائعها وانسحاقها، تائقة الى التطوّر المؤدي بها الى تنبيه قواها الكامنة، واتساع جوانب كيانها، وتكييف صور حديثة من عنصر استعدادها الفطري؟

بعد أن يقلب معولُ الانفعال تربة النفوس تتنفس الاقوام برئتين ملؤهما الهواء الجديد النقي، اذ ذاك نشعر نحن أهل الشرق الادنى، بحاجتنا الى غذاء معنويّ صحي. اذ ذاك نخلق ما يرضي مطالبنا ونتمّ ما هو الآن ناقص، ونبتكر ما لم يحلم به آباؤنا مما سيكون نوراً لاجيال لاحقات

كلاّ، كلاّ! ليس اليوم من يدّكر، ولكن جميعنا في الغد ذاكرٌ، عاملٌ مجاهد

مي

أمثال

قلب الاحمق في فيه ولسان العاقل في قلبه

أصعب ما على الانسان معرفة نفسه

الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت

وعد الكريم ألزم من دين الغريم

من اشترى ما لا يحتاج اليه باع ما يحتاج اليه

ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيهاً يوم القيامة

عليكم بصلوة الليل فانها تنوّر الوجه والقلب والقبر

ليس من عادة الكرام تأخير الانعام

من قلت خيله فقد ربط السروج على الكلاب

سؤدد بلا جود كملك بلا جنود

شأن الاعلانات

في البلاد الراقية

أنود ـ أيها القارىء ـ ان تدرك شيئاً من شأن الاعلانات في حياة الشعوب الراقية ? أدرس كيف يقبل عليها التجار والصناع من الاميركين على اختلاف اغراضهم وأعمال اقبالهم هذا دليل على انتفاعهم منها . طالع المعلومات الآتية بامعان واعلم ما يبذله أرقى شعب في المضمار الاقتصادي من الالوف والالوف في هذا الباب

يقدر ما ينفق في الولايات المتحدة الاميركية في سبيل الاعلانات بنحو الف مليون ريال سنوياً أي نحو مئتي مليون جنيه فتأمل ! ومما يدلك على تقدم الاميركين العجيب في هذا المضمار ان أحد تجار الموازين كان ينفق منذ بضعة عقود ٣٠٠٠ ريال في السنة للاعلان عن بضاعته (أي ٦٠٠ جنيه) فاصبح اليوم ينفق ما لا يقل عن ٧٥٠ ٠٠٠ ريال (أي ١٥٠ ٠٠٠ جنيه) للغرض نفسه . ومثله صاحب معمل صابون معروف باسم « سابوليو » فانه منذ سنوات قليلة كان ينفق ٣٠ ٠٠٠ ريال في السنة على اعلاناته (أي ٦٠٠٠ جنيه) فاصبح ينفق الآن الف ريال (أي ٢٠٠ جنيه) في اليوم الواحد

وقد وزع مجاناً أحد المحلات الكبرى في نيويورك « كتالوجات » على زبائنه يبلغ وزن الواحد منها نحو أربعة أرطال ونصف رطل وعدد صفحاته اكثر من الف صفحة . وقد بلغت أجرة نقل هذه النسخ الى زبائن المحل نحو ٦٤٠ ٠٠٠ ريال

ولست تجد في الولايات المتحدة الاميركية محلا لا يخصص لاجل اعلاناته ٥ في المئة من أرباحه على أقل تقدير . على ان بعض المحلات تخصص لهذا الغرض اكثر من ذلك بكثير

والمخازن الاميركية الكبيرة التي تبيع مختلف اللوازم والاصناف (ويطلق عليها اسم محلات نوفوته) ميزانيات مدققة خاصة بالاعلانات . وأعظم المخازن من هذا القبيل مخازن مارشال فيلد بشيكاغو فانها تنفق ٧٠٠ ٠٠٠ ريال في السنة تليها مخازن واناماكر ونفقاتها السنوية نحو ٥٠٠ ٠٠٠ ريال . ويقدر ما تنفقه المخازن الكبيرة

في نيويورك معاً كل سنة نحو ٤ في المئة من مجموع مبيعاتها وهذا المبلغ أكثر من ضعفي ما تنفقه ثمناً لايجار مخازنها

وقد خصصت شركة تصنع نوعاً من الامواس الامينة الاستعمال ١٥٠٠٠٠ ريال للاعلان عن امواسها فتمكنت بذلك من بيع ستة ملايين موسى

ومطالعو الصحف الانكليزية يذكرون بلا ريب اعلاناً عن حبوب بيتشام. فقد أنفق توماس بيتشام صاحب تلك الحبوب مليون جنيه انكليزي للاعلان عنها

* * *

ويمكننا قياس التقدم العجيب الذي ناله فن الاعلانات بتقدم الصحافة على وجه الاجمال. فان الصحف الغربية تعتمد على الاعلانات في المقام الاول ويبلغ دخلها منها في أميركا نحو ٦٠ في المئة من مجموع دخلها. وقد كان تقدم الصحافة الاميركية عجيباً جداً في العقدين الاخيرين فزاد عدد الصحف والمجلات زيادة عظيمة كما زاد قراؤها بالالوف بل بالملايين. ولولا اعتمادها على الاعلانات لما تيسر لها مع بخاس ثمنها ان تقدم لقرائها ما تحويه من المواد والصور والمعلومات الكثيرة

خذ مثلا على ذلك مجلة «ساتردي ايفننج بوست» الاسبوعية (وهي تطبع مليوني نسخة من كل عدد) فانها تتقاضى ٤٠٠٠ ريال (أي ٨٠٠ جنيه) عن الاعلان الذي يستغرق صفحة واحدة لمرة واحدة. على أن مجلة «لاديز هوم جورنال» (التي تطبع ١٦٠٠٠٠٠ نسخة) تتقاضى ٦٠٠٠ ريال (أي ١٢٠٠ جنيه) عن الصفحة كل مرة

وقسم الاعلانات في كثير من المجلات الاميركية يفوق في عدد صفحاته قسم الاخبار والمقالات. ومعظم هذه المجلات تطبع نسخاً خاصة مقتصرة على قسم الاعلانات ترسلها الى المعلنين ليطلعوا على اعلاناتهم فيها. وقد بلغ ما تطبعه مجلة «لاديز هوم جورنال» من هذه النسخ الخصوصية ٢٠٠٠٠ نسخة

وينفق أحد المخازن الكبيرة في فيلادلفيا ١٠٠٠٠٠ ريال أي ٢٠٠٠٠ جنيه في السنة أجرة صفحة واحدة من جريدة كبيرة مخصصة لاعلاناته اليومية فيها

وقد اتفق مخزن آخر مع خمس جرائد يومية على تخصيص صفحة منها لاعلاناته وهو يدفع لكل منها في السنة مبلغاً يتراوح بين ٦٠٠٠٠ و ٧٥٠٠٠ ريال (أي ١٢٠٠٠ و ١٥٠٠٠ جنيه)

وينفق الاميركيون أيضاً مبالغ عظيمة على الاعلانات التي تلصق على الحيطان . فقد أنفقت احدى الشركات التي تصنع بعض الادوية المقوية واسمها « فورس فود كومباني » نحو ٥٠٠ جنيه ليؤذن لها بلصق اعلان على حائط لمدة شهرين فقط . ومعدل أجرة استئجار القدم المربعة في أحد الشوارع الشهيرة في نيويورك جنيهان في الشهر الواحد . وتنفق الشركة التي تصنع الدواء المشار اليه سابقاً ٢٠٠ جنيه كل سنة ليسمح لها بوضع اعلاناتها على مدخنة بارزة في نيويورك

***

وبعض المحلات تنفق على قوائمها المطبوعة وكراريسها المصورة مبالغ طائلة . وحسبنا ان نكتفي في هذا المضمار بذكر « الكتالوج » الذي طبعته شركة انكليزية كبيرة تصنع الادوات الكهربائية على اختلاف أنواعها واسمها « جنرال الكتريك كومباني » فقد أصدرت هذه الشركة حديثاً كتاباً عدد صفحاته ١٤٧٠ صفحة وعدد صوره ١٠٠٠٠ وقسمته الى اربعة أجزاء جلدتها تجليداً حسناً بحيث كلفت النسخة الواحدة ٣٢ فرنكا وكلفت النسخ كلها ١٢٥٠٠٠٠ فرنك . على ان الشركة ترسل هذا الكتالوج مجاناً الى كل واحد من زبائنها الحاضرين أو العتيدين

***

نقف عند هذا الحد في ايراد تلك الارقام البليغة وحسبنا بلاغتها مغنية عن كل شرح واطناب

على أنه لابد لنا من الاشارة الى قصورنا في هذا المضمار . فليقتد تجارنا بالاميركيين وغيرهم من الشعوب الناهضة اذا شاؤوا أن يجاروهم فيما نالوه من التقدم والنجاح

ولا بد لهم اذا سلكوا هذا المسلك من درس فن الاعلان وأساليبه الحديثة . وكثيرة هي الكتب التي صدرت في هذه المواضيع . وقد ثبت بالاختبار ان المحل الذي لا يعلن عن بضاعته يتخلى عن زبائنه للمحلات المناظرة التي تعلن عن بضاعتها . ولا يغني الذكاء والاستقامة عن فوائد الاعلانات

اثر تذكاري

للنابغين في الفنون والآداب من اهالي مصر وسكانها

اقتراح سليم سركيس

[الهلال] كل مطلع على الحركة الادبية العصرية يعرف ما لسليم افندي سركيس من الايادي البيضاء في اعلاء شأن الادب وتكريم الادباء من مصريين وسوريين . فطالما عقد الاحتفالات لهذا الغرض مما هو معلوم عند الجميع وآخر ما وقفنا عليه من مآثره في هذا الباب سعيه في « اقامة اثر تذكاري عمومي للمتوفين من النابغين في الفنون الجميلة من اهالي مصر وسكانها » . وقد خطرت له تلك الفكرة على اثر وفاة فقيد التمثيل الشيخ سلامه حجازي فهيأ مشروعاً وافياً لهذا الغرض واعد رسومه التي اطلعنا عليها . وهاك صورة ذلك المشروع الجليل الذي نؤمل ان يخرج قريباً الى حيز الوجود . قال صاحبه :

لما توفي المرحوم الشيخ حجازي كنت في مقدمة الآسفين على فقده فانني عرفته وصادقته منذ ٢٥ سنة . على أني لم ارفع صوتي مع الداعين الى تأبينه بل لبثت أتدبر طريقة لتكريم الرجل تكريماً خالداً تكون منه الموعظة النافعة لنا من بعده

وفي ٦ اكتوبر سنة ١٩١٧ كتب الي حضرة عمر عارف بك وكيل النيابة في مصر كتاباً قال فيه « وأرجو أن ترفع صوتك عالياً وأن تجمع من المحبين لكل ذي عمل جميل مالاً يفي ببناء مدفن فسيح ظليل يقيمونه تكرمة للنابغين منهم والمبرزين فيهم . وقد عرفت فيك الهمة ورقة الاحساس ودقة البحث في الوصول الى الغرض الشريف . انك تطلب من الامة حقاً تكريماً لقوم عاشوا لها وماتوا لها . اني مباه بالرقة والكياسة والظرف في مصر فلا تخف بخلا ولا تخش تقتيراً واذكر أن في مقدمة الكرماء ذلك الامير الجليل الذي أحيا التصوير والنقش في وادي النيل »

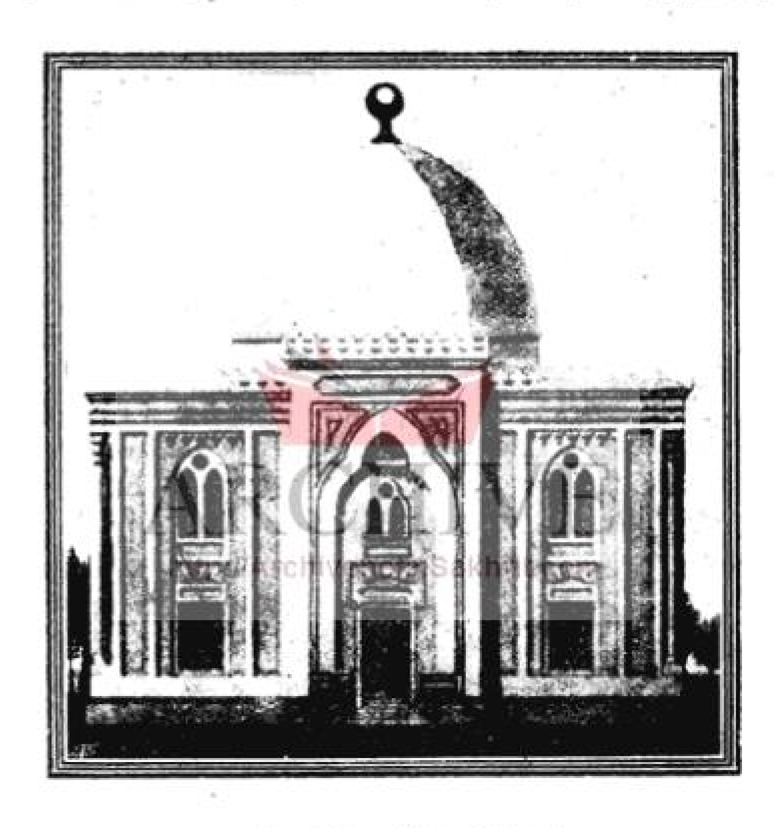
وفي ١٤ اكتوبر نشر محمود افندي ابراهيم في جريدته الاكسبرس مقالة عن الشيخ سلامة حجازي قال فيها « وكان السباق الى خدمة الادب والادباء والفضل والفضلاء سليم سركيس عازماً على الاحتفال بعيده الفضي في العاصمة . . . . ولعل المشاغل لا تقعد صديقنا سليماً عن تنفيذ مشروعه بعد موت الرجل ليحيي ذكره ويخلد اسمه في عالم التمثيل ويكرم عبقريته »

وبعد ان درست الموضوع درساً دقيقاً جئت أعرض المشروع الآتي :

فاقترح

اولا — تأليف لجنة يكون رئيسها سمو البرنس يوسف كمال المشهور برعاية الفنون الجميلة

ونائب الرئيس صاحب المعالي احمد حشمت باشا وزير المعارف والاوقاف سابقاً



واجهة الاثر التذكاري المقترح اقامته

وامين صندوقها ميشيل بك لطف الله ويعتمد توقيعه في جمع المال وعنوانه ٣٢ شارع الظاهر بمصر

وسكرتيرها سليم سركيس وعنوانه ٢٥ شارع نوبار بمصر

ثانياً — أن تجمع الاكتتابات من الجمهور وتنشر في الجرائد وأن تكون أقل قيمة تقبل ١٠ قروش ولا حد للمزيد

ثالثاً — أن تتبرع الاجواق العربية المعروفة لهذه اللجنة وتحت رعايتها فيحيي كل

جوق ليلة واحدة لهذا الغرض ويضاف المال المجموع الى الاكتتابات

رابعاً – أن تطلب اللجنة من الحكومة المصرية مساعدتها بمبلغ من المال من أصل ما كان يعطى للاجواق الافرنجية التي تمثل في الاوبرا

خامساً – أن تكلف كل جمعية خيرية وطنية أحياء ليلة تمثيلية في غضون جمع الاكتتابات للتبرع من صافي دخل حفلتها بخمسة في المئة لهذا الغرض . وأن يكلف نادي الالعاب الرياضية بالجزيرة احياء ليلة من لياليه المألوفة يكون الدخول اليها بتذاكر ذات ثمن تجهزها اللجنة ويكون الدخل لهـذا الغرض . وأن يكلف نادي الموسيقى الشرقي مثل ذلك

سادساً – أن ينفق المال في السبيل الآتي :

(ا) تطلب اللجنة من الحكومة المصرية أو من سمو البرنس يوسف كمال منحها قطعة ارض في نقطة موافقة متوسطة لاقامة الاثر التذكاري فاذا حصلت اللجنة على قطعة ارض ذات مركز متوسط وموافق يجدر أن تضاف الى البناية قاعة كبرى تكون موافقة لاستعمالها في المستقبل لحفلات التكريم التي تقرر اقامتها للنابغين الاحياء أو لحفلات تأبين المتوفين منهم

يوافق أن تقرر اباحة التكريم في هذا الاثر – فضلاً عن المصريين أنفسهم والسوريين الذين اقاموا في مصر ونبغوا فيها – للنابغين من الاجانب الذين اقاموا في مصر وخدموها بنبوغهم بشرط أن تكون الكتابة عنهم باللغة العربية

(ب) تقام في الارض المذكورة بناية جميلة كما في الرسم الملحق بهـذا على طراز عربي جامع لاسباب الزخرف والزينة تكون مؤلفة من حديقة حولها ٥ غرف وينقش على المدخل وعلى أبواب الغرف عبارات لائقة وتكون كل غرفة لفن خاص

(ج) تعلن اللجنة في الجرائد أنها تعطي جوائز قدر الواحدة منها كذا . . . لمن يرسل أفضل عبارة أو بيت من الشعر يوافق نقشه على الابواب وتحدد المدة لارسال الاجوبة

(د) لا يسمح باقامة أثر في البناية المذكورة لنابغ في فنه اذا كان قد ارتكب جريمة أو اشتهر بما ينافي الآداب العمومية

(ه) يجعل المكان تذكاراً للمتوفين من النابغين في الغناء والموسيقى والتمثيل والتصوير والشعر والنثر والصحافة – أمثال الشيخ سلامه حجازي وعبده الحامولي

ومحمد عثمان والشيخ يوسف المنيلاوي وعبد الحي وسليمان القرداحي وابراهيم المويلحي وسليم تقلا وبشاره تقلا والشيخ محمد عبده وعلي يوسف ومصطفى كامل وجرجي زيدان وامثالهم ممن تقررهم اللجنة الخاصة

(و) تصنع صحيفة من نحاس لكل فرد يتقرر حفظ تذكاره في البناية المنوية وتنقش عليها كتابة عربية باسمه وملخص تاريخ حياته وتعلق الصحيفة في مكان معين من الغرف المذكورة وتوضع فوقها صورة الرجل اذا وجدت أو تمثاله اذا كان مصنوعاً

(ز) توضع في الغرف المذكورة محلات خاصة فيها الكتب والجرائد والقطع التي تكون قد صدرت من المذكورين ومغلفات وأوراق عليها صورهم وصورة البناء ليستعملها في البناية نفسها من يرغب اثناء زيارة المكان ان يكتب الى اصدقائه . وتكون على المثال الآتي :

صورة الشخص اسم البناية العنوان صورة البناية

سابعاً ـ يعهد الى اللجنة ان تكلف الاجواق العربية احياء ليال سنوية لتسديد نفقات المكان السنوية المؤلفة من بواب وخادم وقهوة للزائرين

ثامناً ـ تؤلف لجنة فرعية ممن ..... للجنة الاصلية ومن ..... لتقرير أسماء الذين يتقرر الشروع بوضع صحائف باسمائهم في اول انشاء الاثر والذين يتقرر وضع تذكاراتهم فيما بعد

تاسعاً ـ رغبة في تقديم ضمانة لثبات العمل واستعماله للغرض المعين في المستقبل تطلب اللجنة الاصلية من الحكومة المصرية أن تجعل هذا الاثر بعد انشائه تحت اشراف ومراقبة مجلس ادارة دار الكتب السلطانية

عاشراً ـ بعد الموافقة على الرسم الملحق لهذا يقرر أن تكون الاموال اللازمة لهذا العمل كما يأتي على التقدير :

مساحة الارض اللازمة حسب الرسم

نفقات البناء

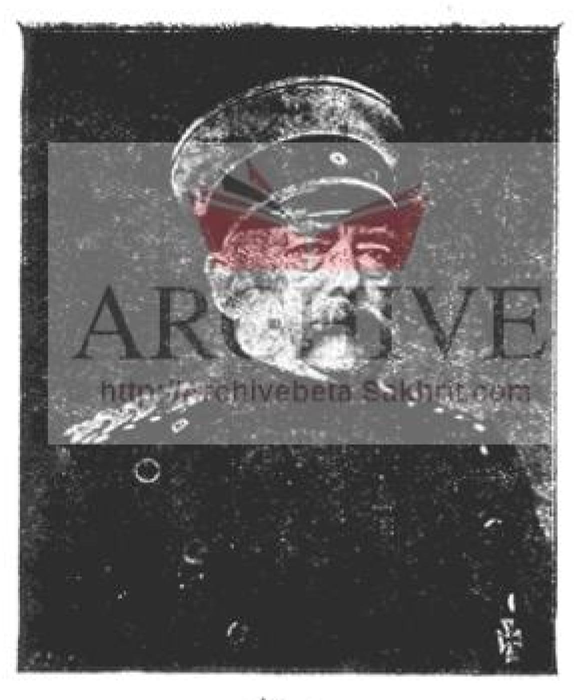
نفقات اللجنة

نفقات الاثر السنوية

معاهدة فرنكفورت

على ذكر مفاوضات الصلح الحالية

في ردهة رحبة من قصر فرسايل وفي اليوم السادس والعشرين من شهر فبراير سنة ١٨٧١ أمضت فرنسا والمانيا مقدمات الصلح بينهما ولم تمض على ذلك ثلاثة أشهر حتى أمضيت بينهما معاهدة الصلح النهائية وذلك في مدينة فرنكفورت في اليوم العاشر من شهر مايو في السنة نفسها. أمضى المندوبون الفرنسيون المعاهدة



بسمارك

وقلوبهم تنفطر غماً لهول الشروط التي فرضت عليهم وأجبروا على قبولها بحد السيف

مضت ثلاث وأربعون سنة فقامت المانيا تلعب مرة ثانية أمام التاريخ ذلك الدور الرائع الذي لعبته سنة ١٨٧١. قامت تريد محو معاهدة فرنكفورت التي لم تشف غليلها لتحل محلها معاهدة أخرى على شاكلتها تقضي بها نهائياً على فرنسا عدوتها التاريخية حتى لا يقوم لها قائمة. ولكن الاقدار لم تشأ ان تحقق تلك الاماني الوحشية اذ نهض العالم أجمع في وجه المانيا الطاغية ليقتل فيها الروح التي دفعتها الى

الحرب وليهدم بالسيف ما أقامته بالسيف من المعاهدات والاتفاقات . ولما كانت معاهدة فرنكفورت أول المعاهدات التي سيقضي عليها مؤتمر الصلح الحالي فيجدر بنا ان نورد شيئاً عن تفاصيل عقدها مع بيان المواد التي وقع عليها المندوبون عن الدولتين

مقدمات الصلح

أمضيت مقدمات الصلح في اليوم السادس والعشرين من شهر فبراير سنة ١٨٧١ في قصر فرسايل كما تقدم وكانت الحكومة الفرنسية قد انتدبت للنيابة عنها اثنين من خيرة رجالها وهما تيارس وجول فافر . أما المندوبون الالمانيون فكانوا الكونت دي بسمارك الداهية بالنيابة عن امبراطور المانيا وملك بروسيا والكونت اوتو دي بريستبرج بالنيابة عن ملك بافاريا وجول جولي بالنيابة عن غراندوق باد . وفي هذه



تيارس

المقدمات تنازلت فرنسا للامبراطورية عن أجود أراضيها وأغناها أي عن مقاطعة الالزاس وقسم من مقاطعة اللورين (المادة الاولى) وقد فرض على فرنسا بموجب المادة الثانية غرامة حربية قدرها خمس مليارات من الفرنكات يدفع القسط الاول منها وقدره مليار قبل انتهاء تلك السنة والقسم الباقي يدفع قبل مرور ثلاثة أعوام من تاريخ الموافقة على تلك المعاهدة

أما مسألة اخلاء الجيوش الالمانية للاراضي المحتلة فقد نصت المعاهدة ان لا ينظر فيها الا بعد موافقة الجمعية الوطنية على مقدمات الصلح فيشرع اذ ذاك في الجلاء تدريجياً ويكون ذلك على نسبة ما يستوفى من الغرامة المفروضة . وعلى الجيوش الفرنسية ان تنسحب الى ما وراء نهر اللوار وألا تتعداه قبل امضاء معاهدة الصلح

النهائية . وقد استثني من هـذا البند حامية باريس التي أذن لها في البقاء في المدينة بشرط ان لا تزيد على أربعين الف مقاتل واستثنيت أيضاً الحاميات الصغيرة الموزعة على القلاع المتفرقة (المادة الثالثة)

وعينت مدينة بروكسل لمفاوضات الصلح النهائية (المادة السابعة)

وقد نصت المادة الثامنة على انه بعـد الموافقة على معاهدة الصلح تسلم ادارة المقاطعات المحتلة الى السلطة الفرنسية وعلى هذه أن تعمل بما ترتئيه السلطة العسكرية ضرورياً لسلامة جيوشها . أما جباية الضرائب في المقاطعات المذكورة فتتم بعلم الحكومة الفرنسية وعنايتها ولحسابها

فلما بلغ الجمعيـة الوطنية بفرنسا نص المواد المذكورة عقدت جلسة خصوصية دامت ست ساعات متوالية فوافقت عليها مضطرة باغلبية ٥٤٦ صوتاً على ١٠٧ أصوات وقد امتنع ٢٣ عضواً عن التصويت

مفاوضات بروكسل

ولما حان موعد المفاوضة في شروط الصلح انتدبت الحكومة الفرنسية البارون دي بود سفيرها في بروكسل وأوجين دي جولار العضو في الجمعية الوطنية للنيابة عنها في مؤتمر بروكسل . وانتدبت الحكومة الالمانية دي بلان سفيرها في بروكسل والكونت دارنيم رسولها لدى الكرسي البابوي وناب عن دول المانيا الجنوبيـة المفوضون الثلاثة الذين انتدبتهم للتوقيع على مقدمات الصلح في فرسايل

وقد أظهر المندوبون الالمانيون في أثناء المفاوضات التي دارت في بروكسل تصلباً في آرائهم ولم يبدُ منهم اقل ميل الى الاتفاق مع زملائهم . ومما شد أزرهم وقوى حجتهم هياج الشعب في باريس وتردد المندوبين الفرنسيين في أقوالهم فاوقفت المفاوضات في ٤ مايو ثم استؤنفت في فرنكفورت حيث ناب بسمارك بنفسه عن الدولة الالمانية وأخذ على عاتقه مهمة أشباع مطامعها

معاهدة فرنكفورت

أمضيت معاهدة فرنكفورت في العاشر من شهر مايو سنة ١٨٧١ بين المندوبين الفرنسيين جول فافر وبويه كرتيه وأوجين دي جولار من جهة والمندوبين الالمانيين بسمارك ودارنيم من جهة أخرى ولم يتم تنفيذها الا في شهر يونيو سنة ١٨٧٨

لان المندوبين وقعوا على اتفاقات اضافية بشأن دفع الغرامة والعلاقات الاقتصادية بعد الحرب وتعيين الحدود وغير ذلك . ولم يرد في المعاهدة نص عن مسألتي الغرامة والالزاس واللورين اذ لم ترَ السياسة الالمانية فائدة من اعادة ذكرها . غير انها قبلت بالجلاء عن مدينة بلفور المحصنة واشترطت مقابل ذلك ان تدخل جيوشها المظفرة مدينة باريس وان تعطى بعض التعويضات على حدود لكسمبرج (المادة الاولى) . والفضل في اعادة مدينة بلفور الى فرنسا يرجع الى تيارس السياسي الشهير وقد أعطيت فرنسا حول هذه المدينة ما يلزمها من الاراضي للدفاع عنها . وقدرت خسارة البلاد بنحو ٤٦١ ٤٤٧ ١ هكتاراً من الاراضي ونحو ٢٢٨ ٥٩٧ ١ من السكان مع العلم بان تلك البقاع التي أجبرت فرنسا على اخلائها كانت من أغنى الاراضي الفرنسية . وقد نقصت الايرادات العمومية على أثر سلخ هاتين المقاطعتين بنحو ١٩٦ ٣١٢ ٦٥ فرنكا

أما مسألة تعيين الحدود بالتفصيل فقد نيط أمرها بلجنة بدأت أعمالها في شهر مايو سنة ١٨٧١ ولم تفرغ منها الا في شهر ابريل سنة ١٨٧٧ بحيث أبدل أعضاؤها غير مرة . ولا بد من القول بان الفضل في الاحتفاظ بكثير من القرى المجاورة للحدود يرجع الى شجاعة الكولونيل اللودنه ومهارته

وفي المادة السابعة من المعاهدة ذكرت بعض التفاصيل بشأن تسديد الغرامة الحربية التي فرضت على فرنسا (وعينت قيمتها في مقدمات الصلح) كالامكنة التي تدفع فيها الاقساط والمقاطعات التي تجلو عنها الجيوش الالمانية كلما سدد قسط من الغرامة

والمعاهدة تنص في المادتين الثالثة والرابعة على ضرورة تسليم الاوراق وجميع محفوظات الادارة الفرنسية في المقاطعات المسلوخة الى الحكومة الالمانية مع المبالغ المودعة في خزائنها . أما سكان مقاطعتي الالزاس واللورين الاصليين والقاطنين فيهما فقد عينت لهم في المادة الثامنة مهلة تنتهي في أول اكتوبر لاختيار الجنسية التي يريدون الانتماء اليها غير أنه يحتم على كل من يختار الجنسية الفرنسية أن يغادر البلاد ليسكن في فرنسا وله ان يترك أملاكه في المانيا اذا شاء بحيث تظل حقوقه عليها مرعية

وفي المعاهدة شروط اقتصادية بشأن المعاملات التجارية بعد الحرب ضربنا صفحاً عن ذكرها

عرضت معاهدة فرنكفورت على الجمعية الوطنية الفرنسية يوم ١٨ مايو فابان الفيكونت مو بالنيابة عن اللجنة المفوض اليها أمر درس المعاهدة أن التغييرات التي أدخلت على بنود مقدمات الصلح كانت لفائدة المانيا ولكنه أبان من جهة أخرى انه لا بد من الاذعان لتلك الشروط اذ ليس من شأن الجمعية الوطنية ادخال أقل تغير عليها . ثم قام الجدال في الجمعية بشأن قلاع بلفور واعتلى تيارس المنبر مدافعاً عن المعاهدة من هذا القبيل فوافقت الجمعية عليها باغلبية ٣٣٣ صوتاً على ٩٨

وحالما أمضيت المعاهدة صرفت الحكومة الفرنسية جهدها لتحصيل الغرامة المفروضة عليها والتي كان احتلال قسم كبير من البلاد الفرنسية يضمن للالمان تقاضيها . ولا يخفى ان تيارس استحق اعجاب الشعب الفرنسي لتمكنه من تحرير الاراضي الفرنسية قبل تسديد الغرامة كلها

هذا أهم ما يقال عن معاهدة فرنكفورت التي أنّت فرنسا مدة ثلاث واربعين سنة تحت وطأتها ولم ترض بها الا مرغمة بالسيف لكن دول العالم قامت بوجه الامبراطورية الالمانية واول شرط اشترطته لصالحة المانيا محو معاهدة فرنكفورت واعادة الالزاس واللورين

حكم

العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة

لا تزن الخلق بميزانك وزن نفسك بميزان الموقنين لتعلم فضلهم وافلاسك

من ألف بين كلمتين ونظم بيتاً أو بيتين فقد استهدف لرماة الشفتين

أحب الاعمال الى الله ان تموت ولسانك رطب من ذكر الله

يدا الله مبسوطتان لمسيء النهار حتى يتوب بالليل ولمسيء الليل حتى يتوب بالنهار

اياكم والحسد فان الحسد يأكل الحسنات كما يأكل الحطب النار

رحم الله من شغله عيبه عن عيوب الناس

نهضة المرأة المصرية

والمرأة العربية في التاريخ

تمهيد

ان الايام الحالية هي أهم ايام التاريخ المصري الحديث وسيجد فيها المؤرخ لتاريخ مصر الجديدة مجالاً واسعاً لتقرير الحقائق عن هذا التطور الاجتماعي العجيب الذي شمل الامة المصرية باسرها

واذا عد من فضائل حادثتنا الاخيرة انها افضت حتى الآن الى نتائج جليلة في تحقيق أمانينا القومية فلا شك ان اخطر هذه النتائج نتيجتان هما أهم مظاهر هذا التطور وأعظم اركان هذا الانقلاب :

(النتيجة الاولى) توثق الرابطة القومية وتوطد دعائم وحدة المزاج العقلي للامة المصرية بجمع كلمة عنصريها واتحادهما اتحاداً تاماً

(النتيجة الثانية) نهضة المرأة المصرية وظهور نبوغها وتكوّن الجامعة النسائية . فاتحاد الامة لا يقل عنه شأناً نهوض المرأة فهما الركنان الاساسيان لتطورنا الاجتماعي ولطالما صبت اليهما نفوس أبناء النيل

ظهرت المرأة المصرية في هذه الآونة العصيبة بمظهر راق سام فدلت بعلمها وعملها واهتمامها بالشؤون العامة على انها تساجل المرأة الغربية في كل شأن ولا تقل عنها مقاماً وعملاً وهمة واثراً في شعبها . فهذا المظهر الجديد الذي ظهرت به المرأة عندنا هو اول ما عرف من نوعه في مصر وهو ما دفعنا الى كتابة هذه الكلمة لتاريخ مظاهر تلك النهضة المباركة وتنشيط هذه الحركة الجميلة واجلال هذه الروح الحميدة

ولا يخفى تأثير المرأة في الهيئة الاجتماعية ، فالمتتبع لتاريخ المجتمع الانساني يرى أن الامم انما ترقى بالمرأة الراقية ، فمقام المرأة في كل أمة هو معيار رقي تلك الامة وانحطاطها حتى قال لامارتين « اذا اردتم أن تعرفوا احوال أمة من الامم ادبياً وسياسياً فابحثوا فيها عن المرأة » وقال نابليون « اذا اردت ان تعرف رقي امة فانظر الى نسائها » فكلما كانت المرأة راقية عالمة عاملة كان الشعب راقياً متعلماً عاملاً

لانها هي التي تربي الشعب « والامة نسيج الامهات » . ولقد تقدمت الشعوب التي عرفت مهمة المرأة فعلمتها حتى تبوأت مقامها السامي وتأخرت الامم والشعوب التي جهلت تلك المهمة فلم ترقها فظلت هي متأخرة منحطة بتأخر المرأة . وبتبين تأثير المرأة العظيم في حياة الامم مما تنم عنه امثالها العديدة فكما يقول الفرنسويون « فتش عن المرأة » Cherchez la femme في منشأ كل عمل يجري بين الناس يقول غيرهم « أن التي تهز السرير بيمينها تهز الارض بيسارها » الى غير ذلك مما هو نتيجة اختبار البشر الى اليوم . وبالاجمال يتوقف رقي الامة على رقي المرأة اذ لا تفلح أمة امهاتها جاهلات [1] ولا غرو فأية أمة آخذة باسباب الرقي ترقى بالرجال دون النساء ؟ بل أي جسم من الاجسام الحية (والامة جسم حي) يكون صحيحاً سليماً اذا كان نصفه أشل ضعيفاً ؟

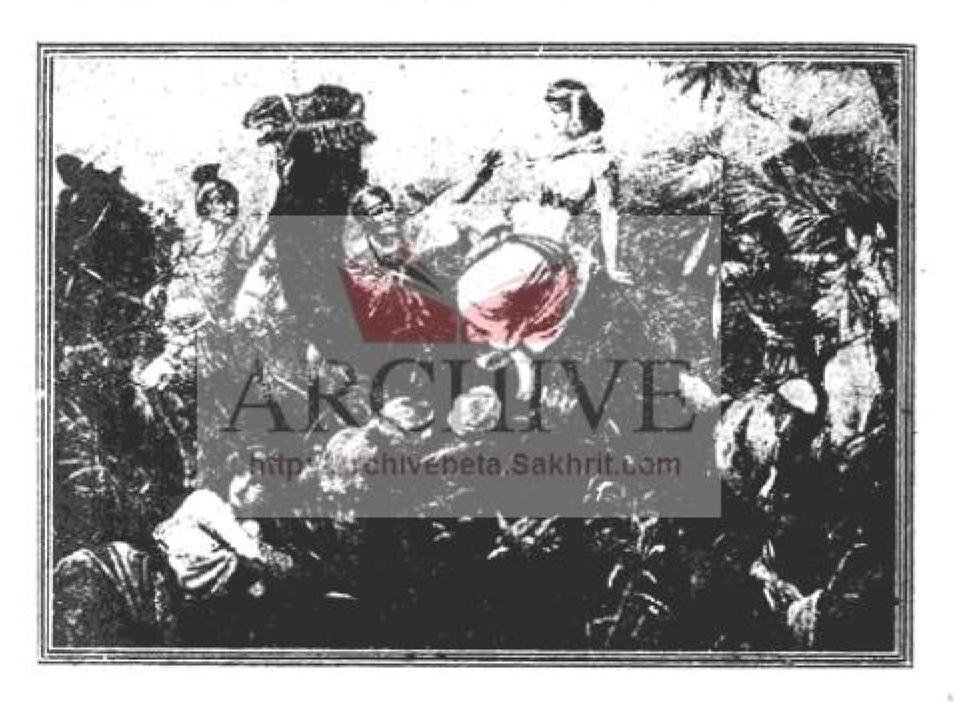
لذلك نرى من فضائل هذه الساعات الخطيرة في تاريخنا ، ونتائج هذه الايام العصيبة التي تمر بنا ، والتي ستظل حوادثها ومشاهدها منقوشة على صفحات قلوبنا ، تطور حال المرأة عندنا ونهضتها ودخولها في دور من الرقي الادبي والاجتماعي يذكرنا بما كانت عليه قديماً ايام مجد الفراعنة اذ تولت العروش في عهد مدنيتهم الزاهرة وارتقت اعلى المقامات حتى ألهوها كالرجال النابغين فيهم ، يذكرنا بعهد نيتوكريس ام المدنية القديمة والآثار الخالدة وكيلوباتره والنهضة النسائية العربية قبل الاسلام وبعده اذ نبغ منهن من اشتهرن بالعقل والحكمة والدهاء وكان لهن اكبر تأثير في احوال الهيئة الاجتماعية والانقلابات السياسية حتى ظهر منهن من تولت الملك وقادت الجند وشادت الممالك فضلاً عن الخطيبات والكاتبات والشواعر والفقيهات والطبيبات وغيرهن ممن ضربن في الآداب والعلوم بسهام نافذة وأثرن في النهضات المختلفة مما سنأتي على تفصيله الآن قبل أن نأخذ في موضوعنا لما في ذلك من اوجه المشابهة بين نهضة المرأة المصرية في تطورنا الحالي ونهضة المرأة العربية اثناء الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي حدث قبيل الاسلام وبعده ، فاذا كان لنا عظة من ماضينا وجب علينا أن نلتفت اولاً الى تاريخنا لنرى ما ينطق به عن نهضة المرأة العربية سالفتها وأنها كانت من

(١) قد اسهب المرحوم قاسم بك امين في كتابه المرأة الجديدة (ص ١٢٢ وما بعدها) في بيان عمل المرأة في الهيئة الاجتماعية وتأثيرها في اخلاق الامة فأتى بالامثلة العديدة وغيرها مما لا تتسع له هذه الكلمة فنكتفي بالاشارة اليه دون الاستشهاد به

اكبر العوامل في نهضة العرب فنقدر نهضة نسائنا ونضعها في الموضع اللائق بها من الاجلال بل نستبشر ونرحب باكبر عوامل رقينا . فحياة الامم وتاريخها تكرار وتجديد

المرأة العربية ونهضتها فى التاريخ

كان للمرأة عند العرب شأن عظيم وتأثير كبير في حياتهم القومية منذ أقدم عصورهم . فتاريخهم طافح باعمالها وما كان لها من المقام الرفيع ، ففي تمدنهم القديم تعاطت الادارة وعانت سائر أعمال الرجال ونبغ من نساء العرب من اشتهرن بالحكمة



زينوبيا ملكة تدمر وقد أحاط بها جند الروم للقبض عليها

والدهاء وتولين الملك والمناصب وقبضن على أزمة السياسة ، وقد حفظ التاريخ أسماء كثيرات من الملكات العربيات ومن أسند اليهن الملك في الجاهلية الاولى بل كان في أعالي الحجاز من الدول العربيـة من لا يتولى الملك فيها الا النساء ، فالانباط وهم عرب كانوا في دولتهم يشركون نساءهم في الحكم كما تفعل أرقى الامم المتمدينة الآن .
ودولة تدمر العربية خلفت ذكراً لا يمحوه كرور الايام بنبوغ أعظم ملكة عربيـة نعني « زينوبيا » ملكة تدمر التي يسميها العرب « الزباء » واسمها الاصلي « بنت زباي » . فحديث الزباء يملأ القلوب اعجاباً واكباراً ، فقد كانت بارعة في الجمال عالية

الهمة واسعة الاطلاع ذات شأن عظيم في التاريخ اذ مدت سلطانها من أطراف الفرات الى أطراف مصر فاستولت على جزء عظيم من المملكة الرومانية الشرقية وجعلت تدمر عاصمة الشرق كله ، وقربت العلماء والشعراء والادباء ، وبرعت في العربية والسريانية والمصرية واليونانية ، وكانت تجالس قوادها وأعوانها وتباحثهم وتجادلهم فتغلبهم بقوة برهانها ، نخافها الروم وجند أورليان جيشاً عرمرماً حمل به عليها فقادت جيشها وضيقت على عدوها بدهائها حتى قال خصمها القائد الروماني هذا « خذوا عنها فن الحرب » وقالوا في تاريخ فن الحرب « أنها أول من جرد الساقة لحماية الجيش كله بارتداده » . فهي من النساء اللواتي تفتخر الامم بأمثالهن . ناهيك « بلقيس » ملكة سبا وجنوب بلاد العرب وحديثها مع سليمان مشهور ، وغيرها من الملكات العربيات اللاتي اشتهرن بالعقل والحزم والشجاعة

ومن هذا القبيل من نبغ من النساء صاحبات الوجاهة والنفوذ « كهند بنت النعمان» «وماء السماء بنت عوف» التي يقال انها تولت الملك ومن نسلها ملوك الحيرة الذين ينسبون اليها وكانت ذات منزلة رفيعة يهاديها الاكاسرة بالجواهر ويفتخر العرب بها . ناهيك عمن اشتهرن في الجاهلية من العرافات والكواهن « كظريفة » و « سجاح » التي لم تقتنع بالكهانة فادعت النبوة والتف حولها جمع كثير لدهائها حتى قادت اكابر قومها الى رأيها وغيرها مما دل على قوة المرأة في الجاهلية ووصولها الى درجة الكهانة وهي لا يتولاها الا الممتازون بالعقل والتدبير بعد ان ينالوا المقام الرفيع ويحرزوا العلم الواسع

ويقال بالاجمال ان المرأة في الجاهلية كان لها شأن ورأي وكانت على درجة رفيعة من الرقي ولها من الحرية ما للغربية اليوم وكانت تخير في الزواج فلم يكن الرجل يزوج ابنته الا بعد ان يشاورها ويأخذ رأيها [1]

أما من نبغ منهن أثناء الانقلاب الاجتماعي العظيم الذي حدث قبيل الاسلام وعند ظهوره على اثر ما حصل من النهضة في العقول والنفوس فكثيرات في السياسة والحرب والادب والشعر والصناعة والتجارة واشتهر جماعة منهن بمناقب جليلة وأتى بعضهن باعمال يعجز عنها كبار الرجال فكن من اكبر العوامل في نهضة العرب وأثر

(١) الاغاني ٩ ج ١٤٩ و ٢٠٨ ج ١٨

لواء الاسلام باعمالهن وبما ربينه من القواد والحكام والعلماء ، وبما غرس في نفوسهن من الانفة وعفة النفس وهما من ثمار حب الاستقلال ، فقد بلغ من استقلالهن انه كانت لهن الحرية المطلقة في المتاجرة باموالهن والتصرف فيها بلا قيد ولا معارضة فكانت «السيدة خديجة» تتاجر باموالها على يد رجال أمناء تنتقيهم فلما سمعت بشهرة النبي قبل الدعوة عرضت عليه ان يخرج باموالها الى الشام ففعل وقد تزوجته ، وكانت أول من أسلم وأكبر عضد ومعين له في نشر الدعوة . ومن الشهيرات مثلها بالعقل والحزم « عائشة أم المؤمنين » فقد كانت من أوسع الناس عقلاً وأشدهم دهاء ونباتاً فترأست حزباً كبيراً من الصحابة وأثارت حرباً عواناً وتأثيرها في مجاري السياسة في صدر الاسلام أشهر من ان يذكر فضلاً عن فصاحتها وعلمها بالحديث والطب ، وقد روي عنها أكثر من الفي حديث. ومثلها في النبوغ أختها « أسماء بنت أبي بكر » ويدل على علو همتها وعقلها وحزمها حديثها مع ابنها عبد الله ابن الزبير لما يئس من الفوز وهو محاصر بمكة فحرضته على استقبال الموت بشرف وان لا يسلم نفسه لبني أمية فيعيش في ذلهم فخرج وقاتل حتى قتل. ومثلها « الخنساء » الشاعرة الشهيرة فقد حرضت أبناءها الاربعة في واقعة القادسية على الثبات في القتال وسرها ان يقتلوا في سبيل الحق فلما بلغها خبر قتلهم قالت « الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ! » . و « هند » والدة معاوية ابن أبي سفيان وكانت تشهد المواقع وتحرض الناس على الثبات

وقد أتينا في احدى مقالاتنا السالفة في الهلال على ان النساء في هذا العهد كن يصحبن الرجال الى ساحات القتال ويداوين الجرحى كما يفعل نساء الغرب اليوم ، بل كن فوق ذلك يخرجن مع الرجال للحرب ويساعدن في الدفاع عن المعاقل ومهاجمة العدو ويبثثن روح الحمية بما يلقينه من الخطب والاشعار الحماسية وقد نبغ في أثناء الفتوحات الاسلامية كثيرات أظهرن من البسالة والفروسية ما يعجز عنه الرجال ، « فليلى بنت طريف » كانت تبارز الرجال في مواقف القتال ولما قتل أخوها جعلت تحمل على الناس، و « بكارة الهلالية» كانت فضلاً عن شجاعتها فصيحة شاعرة خطيبة شهدت واقعة صفين ولها فيها مقالات حماسية جعلت من سمعها يتفانى في محاربة الامويين . وكذلك « الزرقاء » بنت عدي فقد شهدت صفين وكانت باسلة بليغة تحرض القوم بخطبها ، و « خولة بنت الازور » كانت في غاية الجمال والشجاعة أظهرت في فتوح

الشام من البسالة ما يقصر عنه الرجال . و « كبشة بنت معدي كرب » كانت فضلاً عن ذكائها وجمالها شجاعة تحضر المواقع وتحرض قومها على الثبات ، وغيرها كثير من الشهيرات في الشجاعة والبلاغة والحماس

أما من اشتهرن بالعلم ونبغن في الادب والشعر في عهد هذه النهضة فكثيرات منهن « سكينة بنت الحسين » وكانت عفيفة تجالس الاجلة من قريش وتجتمع اليها الشعراء وتأذن للناس فتغص دارها بهم فتأمر لهم بالاطعمة وتطرح على الشعراء الاسئلة في الادب والشعر وتنتقد اقوالهم ، « وعائشة بنت طلحة » وكانت مفرطة الجمال اشتهرت بسعة العقل والتبحر في العلم وقوة الجأش والهيبة . وكانت مع جمالها لا تستر وجهها من احد لعظم قدرها وكبر نفسها فتجالس الرجال وتباحثهم في الشعر والادب وتحضر مسابقة الرماة فيتناضلون بين يديها . ولا عجب فقد كانت المرأة في عهد هذه النهضة على غاية الحرية تجالس الرجال وتخاطبهم وتذاكرهم والعرب لا يرون ذلك منكراً[1] لانهم كانوا على فطرتهم وطبيعة اقليمهم اهل عفة يجتمع النساء بالرجال في المجالس والاندية على غير ريبة حتى في الكعبة فكانوا يطوفون معاً ولا يرون في ذلك بأساً لان العفة كانت غالبة على طباعهم وقد اشتهر في ذلك العصر غير واحدة ممن كان يجتمع الرجال عندها للمناشدة أو المذاكرة وهذا يشبه تماماً حرية الافرنج اليوم واختلاط النساء بالرجال ، وبقيت آثار هذه الحرية للمرأة العربية حتى العصور التالية لهذه النهضة فقد كان النساء يحضرن مجلس بشار الذي كان يقال له « البردان »[2] ، والرجال يجتمعون في مجلس « عمرة الجمحية » وكانت امرأة اديبة يجتمع اليها الرجال والادباء لانشاد الشعر والمباحثة فيه . وممن كان يجتمع عندها أبو دهبل الشاعر وهو من اشراف بني جمح وكان لا يفارق مجلسها[3] كما كان اهل الادب وذو المروءة في العصر العباسي يقصدون مجلس « دنانير » الادبية المغنية للمساجلة والمذاكرة في الادب والشعر . وهناك غير واحدة ممن جعلن دورهن أندية لاهل الفضل والعلم من الرجال والنساء

بل كانت النساء في عهد العباسيين تلقي الدروس والمحاضرات في المدارس والجامعات والاندية كنساء الغرب اليوم . وقد اخذ الامام الشافعي على جلالة قدره

(١) الاغاني ١٨٣ ج ١ و١٨٤ ج ٧ (٢) الاغاني ص ٤٧ و٤٨ ج ٦
(٣) الاغاني ص ١٥٥ و١٥٦ و١٦٥ ج ٦

الفقه والحديث عن امرأتين

ولا يسعنا هنا الاستطراد الى ذكر سائر الشهيرات اللواتي كنَّ يختلطن بالرجال ويجتمع لديهن كل من نبغ في الادب والعلوم ويعقدن المجتمعات والمجالس التي هي أشبه شيء بما يسميه الافرنج اليوم « Salons »

ظلت المرأة العربية على أنفتها وعزة نفسها وسمو منزلتها في ايام الراشدين وزاد توسعها في طلب المعرفة اذ اتسع المجال للعقول والمواهب فانصرفت الكثيرات الى العلم والادب ونبغت غير واحدة فيهما حتى فقن الرجال . قيل لجرير : من اشعر الناس. قال: أنا لولا هذه الخبيثة (يعني الخنساء) ! مع ان عصره كان غنياً بفحول الشعراء !

فترى ان المرأة قد ازدادت نشاطاً في صدر الاسلام ـ ابان تلك النهضة ـ ولا غرو فقد منح الاسلام المرأة كل الحقوق التي لم تنلها المرأة الغربية الا في القرنين الاخيرين ولا تزال تطالب ببعضها . وقد ولى امير المؤمنين عمر بن الخطاب على اسواق المدينة نساء مع وجود الرجال من الصحابة وغيرهم في حين ان القوانين الفرنسية لم تمنح النساء حق احتراف المحاماة الا من عشرين سنة مضت

ونكتفي بما تقدم عن الاشارة الى من نبغن في عهد هذه النهضة من النساء في الشعر والادب والعلوم لشهرته وخوف التطويل فان المجلدات الضخمة لا تكفي لتراجمهن واخبارهن

هذا هو حال المرأة ورقيها في عصر تلك النهضة وهو عصر المرأة العربية الذهبي فقد ماتت بعده ودفنت مواهبها

ظل ذلك شأن المرأة العربية حتى أفضت الدولة الى بني أمية فبدأت طباع المرأة في أواسط هذه الدولة تتبدل لان العفة والغيرة اللتين كانتا موضع فخرهم أصابتهما صدمة قوية غيرت كثيراً من طبائعها لشيوع التسري بينهم وتكاثر الجواري الجميلات والغلمان وانتشار الموبقات والمسكر وإركان العرب الى الترف ومفاسد التحضر

وقد زادوا انغماساً في القصف والخلاعة لما استبحر عمرانهم في العصر العباسي فال ذلك الى ذهاب الغيرة وفساد النية بين الرجل وامرأته لتشتت عواطفه وميوله بين عدة نساء بعد ان كان لا يعرف غيرها وهي لا تعرف غيره فقلت غيرته عليها وذهبت ثقتها به لانشغاله عنها اللهم الا من عصمها عقلها وشرفها . ولم ينضج التمدين

في هذا العصر حتى توسيت المرأة العربية في المدن وذهبت حريتها وغيرتها وصارت هي تهدي زوجها الجواري

وفي ذلك العصر أمر المتوكل – نيرون العرب – بفصل النساء عن الرجال في الولائم والحفلات العمومية بعد ان سبقه خالد القسري أمير مكة في خلافة سليمان ابن عبد الملك الاموي بالتفريق بينهم (بين النساء والرجال) في الطواف بالكعبة (١) وبعد ان استخدموا الخصيان في عهد معاوية آخذين ذلك عن الروم كما ذكر الامير علي واقتبسوا نظام الحريم في عهد الوليد الاموي الثاني. الا انه بالرغم من ذلك بقي النساء يختلطن بالرجال حتى القرن السادس وكن يقابلن الزوار ويعقدن المجالس كما مر، وبالرغم من هذا أيضاً نبغ في عهد هذا التمدين كثيرات ممن اشتغلن في الآداب والعلوم، واشتهر عدة نساء بالسياسة والصلاح والدهاء والتأثير في سياسة الدولة كالخيزران» و «زبيدة» و «بوران» و «قطر الندى» التي استلمت زمام الدولة بالنيابة عن ولدها وكانت من أبرع النساء في الفنون والآداب فاحسنت سياستها ونظمت شؤونها وكانت تقابل الوفود والسفراء وكان مجلسها غاصاً دائماً باهل الادب والعلم رجالاً ونساء. ناهيك بالسيدة «أم المقتدر» وأم «المستعين» و «صبيحة» ملكة الاندلس و «شجرة الدر» ملكة مصر وغيرها ممن اشتهرن بالسطوة والنفوذ والتسلط في الدولة والتأثير في سياستها

ولما اضمحل شأن الخلفاء ومزق التتر شمل الدولة العربية قام العلماء يتجادلون في «هل الأليق بالنساء أن يظهرن ايديهن او اقدامهن»! فساد الجهل وانتشر الفساد وافضى كل ما تقدم الى انحطاط المرأة وذهاب حريتها وغيرتها وانحطت نفسها وذهبت انفتها واستقلال فكرها فاحتقرها الرجل وساء الظن بها وصار يعاشرها على غل وسوء رأي، يقفل عليها الابواب والمنافذ، وأصبح الطعن في طباعها وسوء سريرتها شائعاً على الالسنة حتى ألفوا فيها القصص والروايات ونظموا فيها الشعر وتفننوا في وضع الجمل الحكيمة والعبارات البليغة في تحذير الناس من المرأة وعدم الوثوق بها

والخلاصة دفنت مواهب المرأة العربية التي كانت لها في عصرها الذهبي ولم تحاول النهوض من تلك الكبوة الا في هذا العصر وعلى الاخص في هذا التطور الاخير الذي سنأتي على تفصيله

عبد الفتاح عبادة

(١) المسعودي ١١٦ ج ٢

اعظم المسائل الاجتماعية

توزيع الثروة بين البشر وفقاً لمبادئ الاشتراكية والبلشفيكية

— ٢ —

اساس حق الملكية

رأينا في المقالة السابقة أن النظام الاجتماعي الحاضر قائم على « حق الملكية » فلنتبصر الآن في جوهر هذا الحق ولنتبين منشأه وتطوره واوجه اصلاحه

ولنجب اولاً على هذا السؤال : ما هو حق الملكية ؟

لا غنى للانسان عن التصرف — على صورة من الصور — بالاشياء التي يبغي الاستفادة منها . فلكي يستفيد من الخبز يجب عليه أن يستهلكه ولكي يستفيد من ثيابه لا بد له من لبسها ولكي يستفيد من منزله ينبغي له أن يسكنه ولكي يستفيد من ارضه يترتب عليه أن يفلحها الخ ... على انه يجوز للانسان أن يتمتع بكثير من الاشياء من دون أن يمتلكها — كتمتع المستأجر والمستقرض وغيرهما

فاذا يخول للانسان حق الامتلاك التام — وبامتلاك الاشياء يتاح له التصرف بها كيف يشاء بحيث قد يستفيد منها ويفيد وقد يهمل الاستفادة منها فتذهب ضياعاً بل قد يلاشيها من دون أن يستطيع احد معارضته فيما يفعل كما يستطيع منحها لغيره اذا تراءى له ذلك — الى آخر ما هنالك من ضروب التصرف بالممتلكات .

هذه هي المسئلة التي يفحصها العلماء الاجتماعيون والاقتصاديون في هذا الوقت . وهي مسئلة قلما تخطر للرجل العامي لان النظام الذي نشأ في وسطه والذي ألفه منذ حداثته قائم في نظره على اساس متين بل من الناس من يعدون هذا النظام من مقررات العناية الربانية فلا يخطر لهم أن يتساءلوا عن عدالته

ولكن العالم الحقيقي يجرد نفسه عن هذه العقائد الموروثة والآراء المنقولة ويحكم عقله في الامر فيسائل نفسه : هل من العدل أن يكون لبعض الافراد حق امتلاك الاشياء ذات المنفعة العمومية وحق التصرف المطلق بها ؟ وهل يمكن تبرير هذا الحق ؟

اذا رجعنا الى منشأ حق الامتلاك وجدنا أن اساسه الوحيد في الواقع كان الاستيلاء على الشيء وحيازته مدة من الزمن . فاذا نظرنا الى هذا الاساس من الوجهة المعنوية الاخلاقية تعذر علينا القول بعدالته بل تحتم علينا الحكم بفساده . لاننا اذا سلمنا بصحته فاننا نسلم بحق القوة الجبرية ونؤثرها على العدل والانصاف والمصلحة العامة

على ان بعض الاقتصاديين يبررون حق الامتلاك الفردي ببراهين مختلفة هاك أهمها :

(١) يقول البعض أن هذا الحق من الحقوق الطبيعية . وهو زعم باطل يسهل دحضه . فاننا اذا بررنا على هذه الصورة ما لاقلية البشر من الاملاك يتعذر علينا تبرير امتناعها عن سوادهم . بل ما هو المقصود من الحق الطبيعي تماماً ؟ مهما يكن تحديد هذه العبارة فالامر الواضح الذي لا جدال فيه هو أنه يتعذر علينا نسبة العدالة والانصاف الى حق الامتلاك بنتائجه المشاهدة بيننا

(٢) ويزعم فريق آخر أن حق الامتلاك قائم على العمل وقد حدده بعضهم بانه « سلطة الانسان على نتاج عمله الشخصي » ولكن الواقع بخلاف ذلك . خذ مثلا أملاك أحد الاغنياء واحصها تجد اولاً ان البيت الذي يسكنه ليس من صنعه ثم تجد أن ما عنده من المصنوعات أو الحاصلات ليس كذلك نتيجة تعبه الشخصي بل تعب اناس استأجرهم وقس على ذلك ـ بل ان الصفة المميزة للاتفاق الذي يربط العمال باصحاب المال هو أنه ليس للعمال أدنى حق على ما يعملونه

(٣) وهناك فريق من الاقتصاديين يبررون حق الملكية بقولهم أن الاعتراف بهذا الحق يفيد الهيئة الاجتماعية لكونه خير طريقة تستثمر بها الثروة وأعظم حاث للنشاط البشري . لا ريب ان هذا الرأي قائم على أساس صحيح فان الانسان اذا توقع المميزات التي ينالها بحق الملكية أقدم على العمل بهمة وقوة لا يعرفهما لولا ذلك الامل

ولكن اذا سلمنا بهذا الرأي ترتب علينا أن نسلم بنتائجه . واول تلك النتائج أن حق الملكية ليس حقاً فردياً بل وظيفة اجتماعية يؤديها الفرد لانه بتأديته لها يزيد الثروة العمومية . وعلى ذلك لا يكون الامتلاك حقاً مطلقاً كما هو اليوم بل تقيد سلطة صاحبه بحيث تنحصر في اقل قدر يلزم لاستثمار الثروة على أحسن الوجوه . وقد تقتضي الحال أن تكون تلك السلطة في بعض الاحيان أوسع منها في احيان أخرى ،

مثال ذلك أنه بمجرد منح المزارع في جهات بعيدة غير خصبة سلطة على ارضه أوسع من سلطة المزارع على ارض قريبة خصبة . وعلى هذا المبدأ يجب تقييد سلطة صاحب المصنع على مصنعه ومصنوعاته وسلطة صاحب المنجم الخ . . .

تطور حق الملكية

يستطيع الانسان في الوقت الحاضر أن يمتلك جميع انواع الثروة (ما عدا الاشياء التي تأبى بطبيعتها الرضوخ لسلطة المالك كالبحار والانهر والجو الخ . . .) . ولم يكن الامر كذلك في الازمنة السالفة فقد تدرج حق الامتلاك شيئاً فشيئاً حتى بلغ صورته الحالية وهاك تاريخ تطوره موجزاً :

انحصر حق الامتلاك اولاً في بعض ضروب الثروة بل تناول في بادىء الامر ما ليس يعد ثروة في الوقت الحاضر كالعبيد والنساء . ثم تناول بعض الاشياء الملازمة للفرد كالحلي والاسلحة والخيل. وقد كان دليل امتلاك الانسان لها أنها كانت تدفن معه في قبره . ثم امتد هذا الحق الى الدار التي تسكنها الاسرة (على ان امتلاك الدار كان من حق الاسرة كلها لانها تحوي ارواح الاسلاف في اعتقاد الاقدمين) ثم تناول قطعاً صغيرة من الارض ولا سيما الارض التي تحوي رفات الاسلاف

اما امتلاك الارض الزراعية - وهي منبع كل ثروة عند الاقدمين - فلم يتوطد الا بعد زمن طويل . وقد قال بعض علماء اللغات أنه ليس في اللغة العبرانية كلمة تعبر عن الامتلاك العقاري

ويختلف شأن الممتلكات باختلاف الشعوب والعصور فقد كان للماشية أول مقام بين الرعاة وتفوقت الارض في عهد الاقطاعات وعظم شأن مناجم الفحم بعد استخدام البخار

وقد امتد حق الملكية في العصر الاخير الى اشياء لم يعهدها الاقدمون نخص منها : اولاً الاسهم والسندات وغيرها من الاوراق المالية وشأنها يتزايد كل يوم . وثانياً الآثار المعنوية أي الآثار الادبية والفنية ونحوها

* * *

رأينا في ما تقدم كيف تدرج حق الملكية من حيث الاشياء التي تناولها . وقد تدرج من جهة أخرى مثل هذا التدرج من حيث الاشخاص الذين خوّل لهم

فان عدد المالكين كان قليلاً جداً في بادئ الامر : كان الملاك اولاً مالكاً لكل شيء ثم اصبح لرؤساء الاسرات دون الافراد السلطة التامة على ارزاق اسرهم . ولم يؤذن للارقاء وللاجانب بل حتى للنساء ايضاً في معظم الاحيان ان يمتلكوا شيئاً . أما اليوم فان حق الامتلاك مباح لكل مخلوق بشري بل يتناول أيضاً اشخاصاً وهميين لا وجود لهم الا بقرار المشترع كالشركات والجمعيات والمعاهد الخ . . .

مجال حق الامتلاك

الامتلاك في عرف القوانين الحديثة حق مطلق . فهو مطلق اولاً لكونه يخول صاحبه السلطة التامة على ما يملكه حتى تدميره أو تخريبه اذا شاء ذلك . وثانياً لانه غير محدود في الزمن أي انه يدوم ما دام الشيء الممتلك

فالدوام وحرية التصرف هما الصفتان المميزتان لحق الامتلاك . على ان هاتين الصفتين لم تلازما حق الامتلاك منذ أول نشأته فقد كان حق المالك في بادئ الامر محصوراً ثم توسع شيئاً فشيئاً حتى أصبح مطلقاً وهاك على الغالب الادوار التي مر فيها :

(١) نال المالك اولاً حق استخدام سواه للعمل في ملكه — وقد كان يستخدم العبيد ثم اصبح يستخدم العمال المأجورين

(٢) ثم اضيف الى ذلك حق المالك في ان يهب ما يملك

(٣) ثم أصبح يبيع ويؤجر . والارجح ان حق البيع تأخر عن حق الهبة ولا سيما للعقار لاسباب يتعذر ايرادها هنا (ونكتفي من ذلك بالاشارة الى الشعائر الرسمية التي كانت تستدعيها عملية البيع عند الاقدمين)

(٤) اخيراً اصبح المالك يورث ممتلكاته بعد مماته لمن يعينهم في وصيته أو لمن يعينهم القانون اذا هو لم يعينهم

***

من ذلك يتيسر لنا ان ندرك مقدار الظلم الناتج عن توزيع الثروة على النظام المألوف اليوم . فهذه الحقوق المتفرعة من حق الامتلاك ذات تأثير عظيم في الحياة الاقتصادية واليك بيان ذلك :

بالوراثة والهبة تصبح الثروة مقطوعة العلاقة بالعمل . اذ يتحصل عليها طبقة من

الذين لم يبذلوا شيئاً في سبيل الحصول عليها في حين يحرم منها الفريق الاكبر من الناس

وبالاقراض والايجار تحدث قسمة أخرى بين البشر اذ ينشأ فريق الدائنين وفريق المدينين

وبالاستخدام ينشطر الناس ايضاً الى طبقتين اصحاب عمل وعمال

وبين هذه الطبقات تتولد حتماً اختلافات وضغائن وحزازات لا يستقر معها نظام الاجتماع على قرار

***

رأينا في هذه المقالة وفي المقالة السابقة علل النظام الحاضر وما فيه من الظلم والجور على سواد البشر فلا غرابة في أن يكون المفكرون قد بحثوا منذ قديم الزمن عن نظام اكثر عدلاً وانصافاً

على ان بين طالبي الاصلاح فروقاً عظيمة في مطالبهم سنشرحها للقارئ في المقالات التالية

حكم شعرية

أخوك من واساك في النشب	لا من ساواك في النسب
لو كان الجاهل في الجنة جارا	لتركت الجنة واخترت نارا
فقر الجهول بلا عقل الى أدب	فقر الحمار بلا رأس الى رسن
سلاح العالم علمه ولسانه	وسلاح الحاكم سيفه وسنانه
لا تقرض أخاك ولو بحبة	فان القرض مقراض المحبة
فدارهم ما دمت في دارهم	وارضهم ما دمت في أرضهم
من قرع باباً ولجّ ولج	ومن طلب شيئاً وجدّ وجد
فاغتنم برد الربيع سيما وقت السحر	فاجتنب برد الخريف سيما وقت المطر
حلاوة الدنيا لجاهلها	ومرارة الدنيا لمن عقلا

نصيب الكلاب

من مفاخر الحرب

يحق للكلاب ان تفاخر سائر الحيوانات بالدور الهام الذي لعبته في الحرب الحاضرة والاعمال الباهرة التي قامت بها . على اننا لا ننكر الخدمات الجليلة التي أدتها الخيل والبغال والحمام وغيرها . لكننا نقول ولا نغالي في قولنا هذا أن الكلاب كانت من بين سائر الحيوانات صديقة المحارب المخلصة وعونه الاكبر وقت الشدة والضيق . وقد اعترفت السلطة العسكرية الفرنسية بافضالها رسمياً وذكرت الكلاب التي امتازت



على اليمين كلب على وجهه جهاز واق من الغازات السامة
على اليسار كلب وجندي ينصتان لحركات العدو

بخدماتها في تقريراتها الرسمية ووصفت الاعمال التي قام بها كل منها واليك امثلة مما ورد في تلك التقارير عن بعض الكلاب الممتازة :

دونو : انفجرت بقربه قنبلة كبيرة فرمته على الارض فاقد الحس . على انه حالما أفاق بادر بتأدية مهمته كأنه لم يحدث له شيء

بروتوس : اكتشف يوم ٢٧ و٢٨ ينار ثلاث فصائل من العدو مختبئة فاخبر الحراس بوجودها ومات على اثر ذلك في اليوم ذاته

وقس على هذين المثالين أمثلة أخرى كثيرة يضيق عنها المقام

وليست الحرب الحاضرة أول حرب استخدمت فيها الكلاب . فقد روى الاستاذ ماسبرو في احد كتبه التاريخية ان اليونان استخدموا الكلاب في الحرب سنة ٦٥٠ قبل الميلاد . لكن استخدامها لم يعول عليه بصورة منظمة الا في الحروب التي وقعت في نصف القرن الماضي . وقد أقيم معرض للكلاب سنة ١٨٦٥ في مدينتي أوستند وسبا عرضت فيه الكلاب المدربة على البحث عن الجرحى . وبعد بضع سنين تألفت في بلجيكا جمعية دعيت « الجمعية الوطنية لتحسين حال الكلاب الرعاة » وتألفت في نحو ذلك الزمن جمعيات أخرى في فرنسا والمانيا لاستخدام الكلاب في الاعمال الطبية وللبحث عن الجرحى . وبعد مدة خطر لاحد الضباط البلجيكيين ان يستخدم الكلاب لجر مدافع المتراليوز وقد الفت قبل الحرب فرقة منها لهذه الغاية . ولذلك امتازت مدفعيات المتراليوز التي كانت في الجيش البلجيكي بسرعة التنقل وتمام الاهبة

***

والحكومة الالمانية كانت أسبق الدول الى استخدام الكلاب بكثرة وانتظام . فقد كان للالمان على ما يقال اكثر من الفي كلب عند نشوب الحرب . على ان الحكومة الفرنسية ما لبثت ان فطنت لهذا الامر وأدركت أهمية تلك الحيوانات فاخذت تدربها على الخدمة في جيوشها حتى بلغ نظام التدريب عندها أرقى الدرجات

والكلاب تستخدم في الحروب لاغراض شتى أشهر ما يعرف منها ستة :

(١) الحراسة عوضاً عن الجنود

(٢) البحث عن الجرحى وارشاد الفرق الطبية اليهم

(٣) نقل البريد والاوراق من جهة الى جهة

(٤) ايصال الطعام الى خطوط النار الامامية

(٥) جر مدافع المتراليوز

(٦) حراسة الاسرى

وزاد عدد الكلاب في خدمة الجيش الفرنسي على عشرة آلاف وقد أدت أجل الخدمات في بضع السنوات الماضية فكثرت الحوادث التي أنقذت فيها الجنود ونبهتهم الى الخطر المحدق بهم . وقد كانت مدربة أتم تدريب على تمييز الجنود المحالفة من المعادية فعهدت اليها حراسة أسرى الحرب والسهر عليهم بدلاً من

الجنود المخصصين لذلك . وقد أثبتت الكلاب أنها عديمة المثال في نقل الرسائل بسرعة فائقة

وقد خيل الى البعض عندما عم استعمال الغازات السامة وانتشرت سحابتها على خطوط النار انه لم يعد في الامكان استخدام الكلاب في كثير من أعمالها ولكنه تبين بعد ذلك انه يمكن تدريبها على استعمال الكمامات لوقايتها من تلك الغازات وقد نجحت التجارب التي اجريت لهذا الغرض فاصبحت الكلاب تخترق غيوم الغازات بلا خوف ومن دون أن تصاب باذى

ومن أهم الخدمات التي قامت بها الكلاب نقل الطعام الى الصفوف الامامية أثناء القتال وهذه كما لا يخفى من أصعب المهام وأشدها خطراً

أما تدريب هذه الحيوانات فلا يستغرق وقتاً طويلاً . ويقول أحد الباحثين في هذا الموضوع ان الوظيفة التي تستدعي أطول وقت لتدريب الكلاب عليها هي وظيفة نقل الرسائل . على انه يقال بالاجمال ان الكلاب تتعلم بسرعة كل ما يفرض عليها من الاعمال

اهم اللغات الاوربية

وعدد المتكلمين بها في العالم

اللغة الانكليزية	يتكلمها	١٦٠ ٠٠٠ ٠٠٠	نفس
« الالمانية	«	١٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠	«
« الروسية	«	١٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠	«
« الفرنسية	«	٧٠ ٠٠٠ ٠٠٠	«
« الايتالية	«	٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	«
« الاسبانية	«	٥٠ ٠٠٠ ٠٠٠	«

اغرب الجرائم التاريخية

الولد المنبوذ — هيبوليت مينالدو

[الهلال] نقدم الى القراء في هذا الجزء قصة هيبوليت مينالدو وهي من اغرب القصص التي شغلت دوائر القضاء في فرنسا . وفي الجزء الآتي قصة اخرى من هذه السلسلة التي نالت استحسان جمهور كبير من القراء

— ١ —

في أحد الآحاد الجميلة كان وكيل النيابة في احدى حواضر فرنسا مرتاحاً في منزله من عناء الاشغال مدة الاسبوع اذ دفع اليه خادمه بطاقة زيارة . فلما اطلع عليها ابتسم لانه سُرَّ بوفود المركيزة ده نايبك لزيارته وهي فضلى السيدات في ظهرانيه

أما المركيزة وزوجها المركيز فكانا يقطنان صرحاً جميلاً كان في الاصل ملك المركيزة نفسها لانها وارثة . وكانا زوجين متحابين وأبوين فاضلين لفتاة فاتنة وابنين اصبحا لذلك العهد شابين . وكانت لهذه الاسرة مكانة سامية في نظر سائر جيرانها واصدقائها

وما زالت المركيزة لذلك العهد حسناء لم تتم العقد الرابع من عمرها بعد . وأما المركيز فكان جميل الطلعة انيقاً وربما كان احذق وانبه من سائر مواطنيه . وكان ذا مكانة معتبرة مع انه كان قبل زواجه وهو فقير يشغل منصباً صغيراً في الحكومة

أما وكيل النيابة فاوعز أن يفتح مكتبه للزائرة وأسف لان زوجته كانت متغيبة ولم يكن لها شرف استقبال زيارة المركيزة

ولما دخلت المركيزة على هذا الرجل القضائي النبيه شعر في الحال أن في نفسها قلقاً واضطراباً وانها جاءت لتقابل وكيل نيابة لا صديقاً . واول ما خطر له أن لها قضية ضد احد المزارعين أو نحو ذلك

وبعد المجاملات الدقيقة التي ما زالت ذات شأن في عهد الجمهورية لذلك الحين جلس الاثنان واستعد وكيل النيابة لسماع كلام المركيزة فقالت :

— أرجو أن تسامحني لقدومي اليك يوم الاحد . ولكني عرفت أن زوجتك متغيبة والامر الذي جئتك لاجله شخصي . فاتيتك الآن بعد الظهر

— يسرني أن اراك يا سيدتي في أي وقت فما الذي استطيع أن افعله خدمة لك؟

فقالت همساً: — جئت لكي أتهم زوجي بجريمة القتل يا حضرة وكيل النيابة — نعم أتهمه بارتكاب جريمة القتل منذ تسع سنين

— تتهمين زوجك بارتكاب جريمة القتل؟

قال الوكيل ذلك وهو لا يكاد يصدق أنه سمع كلام المركيزة كما لفظته. وإلا فالمرأة مصابة بمس من الجنون. ما هذا التخريف الذي تنطق به هذه المرأة. قرع الوكيل خزانة ذاكرته عسى ان يتذكر ان احد أسلاف المركيزة كان مجنوناً أو كان مصاباً بسرسام — كان أبوها وأمها في حالة عقلية قويمة. ثم قال:

— أن ما تفوهين به يا مدام لخطير الشأن

— أجل. اني اعلم ذلك جيداً يا سيدي. ولكن ضميري لم يعد يأذن لي أن ابقى صامتة

وكانت تتكلم بهدوء وتؤدة ورصانة حتى كاد الوكيل يعتقد أن بالحقيقة هناك سراً رهيباً فقال:

— بقتل من تتهمين مسيو ده نايف؟. أظنك تعنين يا مدام ان زوجك اضاع صوابه في مشاجرة حادة فقتل شخصاً عن غير عمد

— كلا يا سيدي بل ان القتل كان عمداً. والشخص الذي قتله زوجي منذ تسع سنين كان أكبر بنيّ

فعاد وكيل النيابة يظن نفسه انه واقع تحت ثقل كابوس يوهمه ما يسمع وما يرى. فهو يعلم أن ليس للمرأة الجالسة امامه الا ثلاثة اولاد كلهم احياء يرزقون. وهو يتذكر ميلاد كلٍّ منهم وما حفَّ به من معالم السرور. فما معنى ما تقوله مدام ده نايف

فقالت: — كان لي ابنٌ قبل زواجي يا حضرة وكيل النيابة. والحق يقال انه بسبب هذه الوصمة التي لا تمحى من صفحة ماضيَّ سمح ابواي أن اتزوَّج المركيز ده نايف. وحضرتك تعلم انه وان كان مركيزاً حقيقياً فقد كان فقيراً معدماً وكان عندي ميراث يبلغ الستين الف جنيه. وكان ابي رجلاً شريفاً فأبى الا أن يُبلغ المركيز حقيقة أمري المرّة حتى لا يكون مخدوعاً

— ولكنك كنت في الثامنة عشرة من عمرك حين تزوجت

وهنا تدفقت الدموع من عينيّ المركيزة وقالت : — أجل في السادسة عشرة من عمري ولدت ذلك الصبي . ومع ذلك عليّ أن اعترف أن زوجي كان لطيفاً جداً نحوي فلم يؤنبني او يعيرني مرة قط . ولكنه في المدة الاخيرة اصبح نزقاً حاد المزاج وكان احياناً شرساً نحو اولادنا مع انه يحبهم حبًا جمًا

— تقولين أن المركيز قتل ابنك الاكبر منذ تسع سنين ؟ فاذا كان هذا الابن قد وُلد قبل زواجك بسنتين فقد كان عمره حين قتله زوجك نحو ١٥ سنة . فلماذا صبر كل هذه المدة عنه ؟

— صبر عنه لاسباب عديدة سأوردها لك يا جناب الوكيل حين اروي لك الحكاية الفظيعة برمتها

فانتظر الوكيل هنيهة ثم جعلت المركيزة تروي حكايتها الغريبة من غير أن تبدي تأثراً لها ولكن وكيل النيابة اعتقد بصحتها حتى اصدر امراً بالقبض على المركيز ده ناييف بتهمة قتل ابن زوجته هيبوليت مينالدو . وقد نفذ الامر في ذلك المساء عينه . ومع ان المركيز احتج واكد براءته بشدة لا تتزعزع فان ما اعترف به من الحقيقة كان غريباً ومخالفاً للمألوف

— ٢ —

في كل حاضرة ريفية وفي معظم القرى يوجد عددٌ من الاولاد الذين يسمون « اولاد مراضع » أي ان هؤلاء الاولاد يعيشون بعيدين عن والديهم بين ايدي نساء يتبنينهم ويربينهم مع سائر بنيهم في مقابل قليل من المال ينفحهنه الوالدون . او انه في بعض الاحوال كالحالة التي نحن في صددها يعطى الولد لامرأة عاقر او عانس تربيه وتمنحه جميع مزايا الامومة

ذلك كان حظ الولد الذي سمي عند ولادته اسماً غريباً عن تسمية اهله وهو هيبوليت مينالدو وُلد هذا الولد في مرسيليا اي على بعد ٢٠٠ ميل من المكان الذي كان يقطنه ابوا أمه الفتاة اللذان كانا على جانب من الاعتبار والمنزلة السامية . وبعد بضعة ايام لولادته اخذ في سفرة طويلة الى اورليانس حيث عهد بتربيته الى خياطة وضيعة تدعى ماريا شو . وكانت أم المركيزة ده نايف اي جدة الولد مرأة صالحة حيّة الضمير . وهي وزوجها عنيا بتربية الولد الذي جنيه ومن ذلك يفهم جيداً انهما لم يبتغيا اهمال هذا الولد المنبوذ . فقصدا الى قسيس صالح وسألاه عن مرأة صالحة

تود ان تتولى تربية ولد فمدح لهما ماريا شو التي برهنت بعدئذٍ على صحة نصحه . وكانت ماريا مرأة عاقلة حكيمة فما لبثت ان تعلقت بالطفل وعنيت بامره اكثر مما تعنى بولدها فلذة كبدها

مرّت الايام والذين كانوا يدفعون لماريا الجعل الشهري في مقابل عنايتها به لم يغفلوه قط.. وربما كان الافضل له ولهم ان يدفعوا نفقة تربيته المعينة له دفعة واحدة لمربيته ويتركوه بين يديها تركاً مطلقاً . بيد انهم لم يفعلوا ذلك بل بالعكس كانت الجدة تأتي لزيارة الطفل المجهول الابوين مرتين او ثلاثة في العام لترى ان كان الولد حاصلاً على عناية مربيته التامة . واحياناً كانت تصحبها فتاة حسناء

ومع ان ماريا لم تكن تعلم اسمي هاتين السيدتين ولا منزلتهما بيد انها استنتجت نتيجة صحيحة وهي ان الصغرى أم الولد والكبرى جدته

ولما بلغ هيبوليت الثانية عشرة من العمر جاءت الى ماريا تلك السيدة الحسناء يصحبها رجل وأخذا الولد للنزهة ثم زوداه بالمنح والعطايا . فاستنتجت ماريا هذه المرة نتيجة غير صائبة وهي ان الرجل أبو الولد

وبعد بضعة أسابيع ورد على ماريا شو كتاب كان ... موّ[illegible]اً لها ينبئها انه قد حان الوقت لتنازلها عن الولد الذي يوضع في المدرسة . فكتبت وتوسلت بتأجيل أخذه منها بل توسلت ان يبقى الولد لها من غير ان تتقاضى الجعل الذي كانت تتقاضاه لأجله لانها كانت مولعة به

ولكن رجاءها لم يجب . وبعد شهر جاء الرجل الذي صحب المرأة الحسناء المرة الاخيرة وقدم نفسه باسم مرتين وأخذ الغلام ودفع لماريا شو ١٥٠ جنيهاً واستكتبها في مقابل ذلك وثيقة تعد بها ألاّ تطلب مزيداً من النقود ولا ان تبذل جهدها في البحث عن مكان الغلام ولا عن المدرسة التي يوضع فيها

ولما رأى المسيو مرتين اشتداد ألم المرأة لفراقها الولد الذي أحبته ولا حب الام لولدها تأثر وأخبرها مطمئناً لها ان هيبوليت سيوضع في مدرسة حسنة في سافوى وسيتعلم العلم اللازم ليكون بعدئذ راهباً أو قسيساً

وهنا لا بد من الالماع الى ان المركيز ده ايف المتنكر باسم مارتين كان صادقاً في هذا القول . فكتب بإعتنائه الى أسقف سافوى واسترشده الى مدرسة يحسن أن يتهذب فيها الغلام بحيث يصلح بعدها للخدمة الدينية . فارشده الاسقف المذكور

الى المدرسة الموافقة وبناء على ذلك أخذ الغلام من المرأة المكسورة القلب بحجة انه الوصي عليه وأرسله الى المدرسة

ومع ان المدرسة كانت مستوفية شروط الراحة والهناء للطلبة وكان الطلبة يشعرون بسرورهم فيها كان هيوليت لتصوره عطف ماريا وحنوها شديد الشوق اليها ومستوحشاً للبعد عنها . وزد على ذلك ان رئيس المدرسة كان موصى ألا يخبر هيوليت من هو ولي أمره والى من مرجعه

وكان الغلام راغباً في الدرس وقد أبدى ذكاء نادراً وأخيراً ورد خبر الى المركيز ده نايف ان هيوليت أبدى رغبته في ان يكون قسيساً . ولكن في نفس الكتاب الذي أرسله رئيس المدرسة بهذا المعنى قال ان الفتى كئيب لانه ترك في المدرسة في مدة العطلة المدرسية . وسأل الرئيس المركيز اذا كان يود ان يدبر أمر الفتى في مدة العطلة الطويلة ويرسله الى مكان آخر

ومن غرائب هذه الحكاية ان المركيز ده نايف كان اكثر لطفاً نحو ابن زوجته من أي رجل آخر في مركز كمركزه تلقاء هذه الحالة . فلم يهمل الغلام ولا أغفل قط مصلحته . ولكن ليته أهمل وأغفل فلعل الاهمال والاغفال كانا أفضل للغلام . فقد هيأ له ان يقضي العطلة المدرسية مع قسيس في بلد جميل نزه . وفي مدة هذه النزهة زاره ولي أمره مرتين وفي المرة الثانية كان المسيو مارتين مصطحباً سيدة ادعى له انها عرّابته (أي أمه في الديانة) وكانت المرأة لطيفة جداً نحو الغلام فاهدته ساعة ذهبية

ولما عاد الغلام الى المدرسة وروى لرفاقه حوادث عطلته المدرسية السارة له وما لقيه من لطف عرابته التي تعرّف بها حديثاً روى له بعضهم شيئاً عن حقيقة أمره فقال له أحد رفاقه وهو أقدم منه في المدرسة : « ان هذه المرأة ليست عرّابتك ولا الرجل عرابك بل هما أبواك الحقيقيان . وعار عليهما ان يعاملاك هذه المعاملة ولا سيما لانهما غنيان . فانظر كيف كانت السيدة أنيقة الملبس ونفيسة الحلى وكيف كان الرجل أنيقاً أيضاً »

وبالطبع أصبح هيوليت بعد ذلك قلقاً وكئيباً . وفي ذات يوم اذ كان التلامذة في نزهة بعيدة اغتنم هيوليت الفرصة وفرّ من المدرسة . وبعد يومين وجده البوليس تعباً وقد تقرّحت رجلاه في طريقه الى اورليانس . ولما سأله رئيس المدرسة لماذا

هرب قال انه رام ان يسعى الى مربيته وان يسألها عن اصله وفصله . وقال : « اود ان اشتغل لأعيش . لا اريد ان اكون قسيساً . ومتى تسنى لي ان اكسب قليلاً من المال أبحث عن أمي . لقد صممت ان اعلم من انا وما هو السر المحيط بي »

فارتبك رئيس المدرسة في الامر وتحير وكتب الى المركيز ده تاييف عما فعله الغلام وقاله وبعد يومين وصل المركيز الى المدرسة وابدى في اول الامر استياءه من هيوليت . وبعد عودته كتب اليه هيوليت كتاباً طويلاً غريباً في بابه يتوسل فيه اليه ان يخبره الحقيقة . ومما كتبه في كتابه قوله : « ان لي الحق ان اعلم من انا . لست الآن طفلاً . انا في الرابعة عشرة من العمر »

ولا يخفى ان الجواب على هذا الكتاب لم يكن ليرضي هيوليت وقد كان استياؤه شديداً حتى ان رفاقه شعروا بمعنى الامر . وفي الحال كتب رئيس المدرسة الى المركيز انه لم يعد في وسعه ان يحافظ على وعده بشأن تربيته الغلام ولا سيما اذ اتضح له ان هيوليت لم يعد يصلح لان يكون قسيساً . والافضل ان يعد الغلام لحياة أخرى غير حياة القسوسية

وبناء على ذلك حضر المركيز الى المدرسة وهو لا يزال متنكراً باسم المسيو مرتين وأخذ الغلام بعد ان اخبر رئيس المدرسة انه دبر امراً بشأنه وهو ان يرسله الى اميركا حيث يكون بين ايدي من يعنى بامره وحيث يتهيأ له مستقبل حسن . ولكن لم يؤكد ان كان المركيز دبر هذا التدبير فعلاً . على انه مما لا ريب فيه ان هيوليت لم يأخذ معه سوى طاقماً من ملابسه الداخلية (البيضاء) واما بقية ملابسه فتركت في المدرسة لكي ترسل اليه بعدئذ . ولكن لم تطلب ملابسه بعد ذلك . واما الفصل الثاني من هذه المأساة فقد حدث في ايطاليا وبقي سراً مكتوماً تسعة اعوام

— ٣ —

ترك هيوليت مينالدو المدرسة في ٢٩ اكتوبر . وفي السادس من نوفمبر وجد بعض الصيادين الطليان جثة فتى ملقاة على الصخور على شاطىء البحر تحت اجمل طريق في العالم وهو الطريق الذي يصل بين سورنتو وكستيلا مار

ولما استدعي البوليس واخذت الجثة الى نابولي وجعل البوليس السري يبحث في الامر تقرر في ذهن المحققين ان الجثة جثة غلام فرنساوي لان ثوبه كان ثوب تلميذ في مدرسة فرنساوية . ولم يكن في ثوب الغلام ولا في ملابسه الداخلية من علامة أو

دليل على حقيقة شخصيته . والحقيقة ان كل اسم او علامة كانت في ملابس الغلام كانت قد نزعت منها بتاتاً . على ان الجوربين كانا مرقومين برقمي ٥٦ وكان في عنق الغلام وسام (مدرسي) يدل على انه كان طالباً من طلبة مدرسة كاثوليكية . وقد سجل عمره بين ١٤ و١٧ سنة

وقد نشرت هذه المعلومات في جميع صحف نابولي وشهد كثيرون من الحوذيين الذين كانوا ينقلون الوفاً من السياح في تلك المدينة امام دائرة البوليس انهم في مساء ٤ نوفمبر مروا في طريق البحر بشخصين ماشيين استلفتا انظارهم :

الاول كان رجلاً طويل القامة حسن المنظر يستدل من حاله انه غريب غني والآخر فتي . وهذا كان كئيباً تعباً منحط القوى حتى ان احد الحوذيين عرض ان ينقل الماشيين مجاناً وكثيرون كانوا يلحون عليهما بان يركبا . ولكن اكبرهما كان يهز رأسه آبياً

وبعض الحوذيين قالوا انهم مروا ثانية بالرجل الطويل فكان في المرة الثانية وحده . ثم حقق البوليس في محطة نابولي وهناك تذكر احد جامعي التذاكر انه رأى في ٤ نوفمبر في نصف الليل رجلاً طويلاً انيقاً في الدرجة الاولى يوافق وصفه وصف الحوذيين للرجل الذي رأوه

هذه كانت البينات الوحيدة في القضية ومع ان التحقيق شمل كل ايطاليا فلم يأت بنتيجة . وكثير من الناس كتبوا يصفون فتياناً فقدوا ولكن ما من وصف طابق وصف الغلام الذي وجد ميتاً ومرضضاً على الصخور تحت كاستيلا مار . واخيراً اوقفت المجهودات التي عملت لتحقيق شخصية الغلام الذي لقي حتفه بذلك الاسلوب المريع . ودفنت الجثة واضيفت الحادثة الى قائمة الحوادث السرية التي عجز البوليس عن حل اسرارها

***

نعود الآن الى المركيز ده نايف . فقد روت امرأته انه لما برح المنزل في ٢٨ اكتوبر لم تعلم الى اين ذهب وفي أي مهمة مضى . على ان المركيزة اظهرت كتاباً من المركيز كتب من مرسيليا في ٩ نوفمبر يخبرها فيه المركيز بالتفصيل عما اصابه واصاب هيبوليت

والمستفاد من هذا الكتاب أن المركيز أخذ الغلام من سافوى الى ايطاليا لكي

ينزهه قبل ان يرسله الى اميركا فذهبا من رومة الى فلورنس ومنها الى نابولي . وفيما هما يتمشيان على الطريق البحري المشهور في الظلام ـ والغريب ان يعترف المركيز أن التمشي كان في الليل ـ افلت منه الغلام واختفى

واضاف المركيز الى هذه الحكاية انه لم يستغرب ذلك من هيبوليت لان هذا كان يأبى ان يذهب الى اميركا وانه كان يتهدده بالهرب . ومع هذا الكتاب الذي ارسله المركيز الى زوجته كانت قصاصة من احدى صحف مرسيليا تروي حكاية الغلام الذي لقي حتفه على الصخور تحت كاستيلامار

وبعد وصول هـذا الكتاب بيومين وصل المركيز نفسه الى منزله وثمت عمل عملاً غريباً كان له شأن في محاكمته التي جرت بعد تسع سنين

وقد احتج الذين اعتقدوا ببراءة المركيز ـ وكان كثيرون منهم في فرنسا ـ ان الرجل الذي يرتكب جريمة القتل يذهب الى قصره ويكتم سره الى الابد . على ان المركيز لم يفعل كذلك . بل انه بعد اسبوع من وصوله الى منزله استدعى اليه اثنين من كبار المحامين من اصدقائه وقسيس البلدة وروى لهم الحكاية كما رواها في كتابه لامرأته . ثم استنصحهم ماذا يجب عليه أن يقول للبوليس الايتالي

وبعد ان تفاوضوا في الامر برهة طويلة نصحوا له أن يبقى صامتاً . اذ ليس في الامكان اعادة هيبوليت مينالدو الى الحياة ثانية . ولو كان البوليس الايتالي بحث باجتهاد عن حقيقة شخصية الغلام الذي وجد ميتاً على الصخور لافتضح ولا شك السر الذي كتمته المركيزة عهداً طويلاً وهي زوجة شريفة وام ثلاثة اولاد

على ان مشكلة المركيز ده نايف لم تنته . فان حكاية الغلام الذي وُجد ميتاً قرب نابولي نشرت في جرائد فرنسا بصيغ مؤثرة لان البوليس الايطالي قرر أن الجثة جثة غلام فرنساوي أو على الاقل جثة طالب في مدرسة فرنساوية . واشارت الصحف ايضاً الى رقم ٥٦ الذي وجد في جوربيه

وبناء على ذلك هرع المركيز الى مدرسة سافوى وروى حكايته لرئيس المدرسة كما رواها للثلاثة ولزوجته . والظاهر أن رئيس المدرسة صدقها واثقاً بصدق كلامه وحسن طويته بدليل انه كتم الخبر تسع سنين . ولم يفعل ذلك فقط بل نقل هذا الرقم عن هيبوليت مينالدو الى تلميذ آخر تفادياً للشبهة فيما لو حدث تحقيق

فتنفس المركيز الصعداء ثانية ولكنه لم يحسب حساباً لماريا شو . وكان هيبوليت

يكتب اليها ويدفع من الفلوس القليلة في جيبه الى احد خدمة المدرسة أجرة ارسال الرسائل في البوسطة فلما انقطعت رسائله عنها اشتد قلق هذه المرأة المسكينة واضطربت . وبعد قليل كتبت لاثنين أو ثلاثة ممن يقيمون في جوار المدرسة تسألهم ان كان قد حدث أمر لهيبوليت مينالدو فلبي احدهم طلبها واستعلم عن الغلام فعلم انه هجر المدرسة فاعلمها ذلك . فما كان منها الا ان كتبت كتاباً مؤثراً جداً الى رئيس المدرسة تتوسل اليه أن يخبرها عما حدث للغلام وان يتفضل عليها بعنوانه الجديد

ولما ابلغ المركيز عن هذا الكتاب ذهب في الحال الى اورليانس ولكنه لم يقابل ماريا نفسها بل ذهب الى القسيس الذي اوعز منذ خمس عشرة سنة بان يعهد بالغلام الى عنايتها . واخبره بان الغلام المسكين غرق حينما كان يتنزه قرب مدرسته وزاد على ذلك قوله انه لما لم يعد يدفع رسماً مدرسياً عن الولد لاجل تربيته وتعليمه ولما كانت ماريا قد عنيت بتربيته كأم صالحة فقد قرر ان يرسل اليها كل اسبوع جنيهاً مدى الحياة

على ان ماريا شو أبت أن تسلم بان الغلام مات وصممت على ان تبحث عن الغلام الى ان ورد كتاب الى القسيس من المركيز يقول له فيه اذا كانت ماريا تصر على البحث عن الغلام يقطع عنها المرتب الاسبوعي

وقد اتى هذا التهديد بالفائدة المطلوبة وبقي المركيز نحو سبع سنين عائشاً بسلام ومشرفاً بين قومه وجيرانه ومكرماً بين اولاده وان كان بعض الاحيان يقسو عليهم

— ٤ —

وجرت محاكمة المركيز ده نايف لاجل اتهامه بجريمة قتل ابن زوجته في بورجس في القصر الباذخ الذي سكنه في زمن من الازمنة البطل الفرنساوي جاك كير

وكان لدى منصة القضاء مع المتهم زوجة المركيزة وابناها البالغان من العمر حينذاك ١٦ و١٨ وكان حاضراً المحاكمة كثير من كبراء تلك الناحية واعيانها

وقد دافع عن المتهم الاستاذ دانه احد كبراء المحامين الافرنسيس ومن سوء حظ النيابة ان ماريا شو كانت قد ماتت في حين كان المركيز يتوقع محاكمته . وانما ناب منابها في الشهادة صديقة لها تدعى مدام جارنيه أذن لها ان تشهد شهادة اضافية ثقيلة

وقد أتت مدام جارنيه الى المحكمة بما لم ينتظره المركيز ولا المركيزة ولا خطر لهما انه عندها — وهو رزمة من الرسائل التي كتبها الصبي المنبوذ الى مربيته

ولا يخفى ان الشعب الفرنسي شعب عواطف واحساسات فلما قرئت بعض رسائل الغلام ندر ان بقيت عين جافة . واليك نموذج من تلك الرسائل الثمينة

« عزيزتي المربية

« كيف استطيع ان أشكر لك صنعك الجميل لي ! فحين كنت بردانا كنت تدفئينني وجائعاً كنت تطعمينني . وكنت دائماً تعنين بي عظيم العناية . فمتى صرت رجلا أعود ولكن معك واكون عكازاً لك في عجزك . وفي كل يوم اصلي الى الله ان يطيل عمرك ويجعل حياتك سعيدة . قد لا يمكن ان نجتمع ثانية يا عزيزتي ماريا ولكن الله يحميك ويحرسك ولا بد ان نلتقي في السماء »

وهاك كتاباً آخر كتبه الغلام متأخراً وهو يدل على مرارة نفسه من الحالة التي وُجد فيها

« أواه ماريا . لست سعيداً البتة . لكل من الاولاد الذين هنا أب وأم أو على الاقل أم . وأحياناً أشعر اني اكاد أنحب من شدة الاسى والحزن . اني أحبك يا ماريا من كل قلبي وما من أحد يفصلني عنك . أما المسيو مرتين فليس لطيفاً لانه لم يقل لي كيف أنت . آه لو كنت الآن في الحادبة والمشرق من العمر . لا تخافي ان أنساك يا من أحببتني وربيتني ودللتني . أنت أمي يا ماريا . أنت أمي المختارة . ان الايام تمر بيطء يا ماريا مع انه ما من أحد غير لطيف نحوي هنا . أقبلك بكل عطف ومحبة . لن أنساك . وأما ما أود ان تقوليه لي هو اسم أمي . لا تدرين كم أنا متألم . لجميع الاولاد هنا أمهات . وأمهاتهم يكتبن لهم وهم يكتبون لهن . أشعر اني لا استطيع الاستمرار على هذه الحالة . ليتك تأتين وتريني »

ولما كانت مدام جارنيه قد عرفت هيوليت منذ حداثته روت كيف ان ماريا بذلت جهدها ان تجد الولد أو ان تعلم ماذا حدث له وكيف انها تلقت تهديداً بانقطاع الراتب عنها اذا هي استمرت في البحث عنه

ولما انتهت شهادة هذه المرأة تقدم للشهادة بعض الايطاليين من أصحاب فنادق ونُزُل وغيرهم ورووا حكايات عن طواف المركيز ده نايف السريع الغريب في ايطاليا من مكان الى مكان . وقالوا انه على قوله أخذ الغلام الى هناك للنزهة . ومع ذلك ندر ان صرف الاثنان برهة في مكان . فمن ميلان ذهبا الى جنوا ومنها الى روما ومنها الى فلورانس وأخيراً الى نابولي . وكانا يسافران دائماً في الليل

وكان من جملة الشهود ايطالي معتبر شهد انه كان في غرفة من الدرجة الاولى في السكة الحديدية مع المركيز والغلام في طريقهما الى نابولي . وقد لاحظ على الخصوص ان المركيز ألزم الغلام ان يبدل جوربيه الامر الذي استهجنه الايطالي

فدوّنه في مذكرته اليومية . وقد عُرضت هذه المذكرة في المحاكمة . ولكنها لم تثبت سوى شيء واحد وهو أن المركيز تغاضى عن الرقم ٥٦ وعلم ان الاسم غير مرسوم على الجوربين

ومن جملة ما استفيد من الشهادات انه في الليل الذي اختفى فيه هيبوليت التعس مشى مع زوج أمه حول نابولي نحو ١٢ أو ١٥ ميلاً حتى اذا بلغا الى النقطة التي افترض ان الغلام فرَّ منها كان الغلام ولا شك قد أعياه التعب حتى لم يعد يدري ماذا يفعل . ثم عقب هذه الشهادات استجواب المتهم ومناقشته وهو استجواب مخيف خطير الشأن ومن جملة ما طرح عليه من الاسئلة السؤال التالي : — اذا كان الغلام قد فرَّ منك فلماذا لم تستنجد باحد ؟ ولماذا لم تبلغ البوليس ؟

فاجاب المركيز : — تسألني هذا السؤال يا سيدي ؟ لا ريب انك لا تدري حرج مركزي حينذاك . لو فعلت كما تقول الآن لاضطررت ان أصرح عن حقيقة الغلام وبالتالي كنت مضطراً ان أعرض شرف زوجتي وان أفضح سرها

— كلام فارغ . لا عار في ان يكون للانسان ابن غير شرعي

فاجاب المركيز بكل برود : — يمكن ان يكون هذا رأيك . وأما رأيي فليس هكذا

ولا يخفى ان الحاضرين صوبوا رأي المتهم لا المستجوب

واستدعي رئيس المدرسة التي كان فيها مينالدو واستجوب بشأن حرصه على سر المركيز ده نايف . وكذلك استدعي المحاميان والقسيس الذين نصحوا للمركيز بالسكوت

وقد تكلمت النيابة متهجمة على المتهم مع انها لم تنتظر حكماً بالتجريم لان الجريمة تقادم عهدها ولم تتوفر فيها ادلة الاثبات . ولما تقدمت المركيزة الى كرسي الشهادة قالت انه ليس عندها برهان على صحة دعواها وانما هي اشتبهت بان زوجها دهور الولد وانه لم يروِ لها غير حكايته الاولى

وكذلك لما دعي ابنا المركيز للشهادة تكلم الولدان بكل احترام وعطف على والدهما وقالا اجل انه كان قاسياً ولكنه لم يكن اقسى مما يستحقان منه . فكانت شهادتهما سبباً من الاسباب التي استمالت الرأي العام نحو المتهم

وتقدم للشهادة نحو ستة من الناس المعتبرين الذين يعرفون المركيز وتبرعوا بالقسم

العظيم أنهم كانوا دائماً على ثقة تامة من حسن اخلاق المركيز وفضائله ولذلك يعتقدون انه ليس كفؤاً لارتكاب جريمة كهذه . فقد كان رجلاً شريفاً وما من احد شكا من أخلاقه او من معاملاته وعلائقه المالية وغيرها

ولما رافع الاستاذ دانه استفاض في وصف الالم الشديد الذي عاناه المتهم ـ وهو شريف المحتد راقي الاخلاق والعقل ـ عند ما بلغه أن في العالم شخصاً بمجرد وجوده يلطخ زوجته بعار لا يمحى

ثم التفت الى المحلفين وخاطبهم قائلاً : — لاحظوا ايها السادة انه لا المركيز ولا المركيزة فعل ما يفعله كثيرٌ من الناس في مثل هذه الحال الخطيرة الشأن . فما حاولا ولا مرة في التخلص من الغلام بوجه من الوجوه ولا قصرا بواجب نحوه . حتى ولا راما التخلص منه بدفع نفقته مرة واحدة . بل بالعكس كانا يعانيان كل المعاناة اللازمة في تفقد الغلام والاطلاع على احواله وما ادّخرا وسعاً في وضعه في المكان اللائق به وفي المدرسة الصالحة لكي يعداه لمستقبل صالح . وفوق ذلك كانا يزورانه حيناً بعد آخر واخبراه أن يعتبرهما أبويه الدينيين وهي علاقة قرابية خطيرة الشأن في هذه البلاد اكثر منها في اي بلاد اخرى . واخيراً كانا يدفعان لمربيته جعلاً كافياً حتى بعد وفاته

ثم استدعى المحامي بعضاً من رفاق هيبوليت الذين كانوا معه في المدرسة وقد اصبحوا حينئذٍ رجالاً فشهدوا انهم سمعوا هيبوليت مراراً يقول انه سينتحر

ثم قال : — وأما من حيث أن المركيز بقي كل هذه المدة صامتاً بعد تلك الرحلة المشؤومة في ايطاليا فيكفي أن تسألوا انفسكم أيها السادة ماذا تفعلون لو كنتم في مكانه . هل يفعل أحد منكم غير ما فعل ؟ واذا عرف احدكم أن ذلك الفتى المنبوذ قد مات ولم يعد ممكناً أن يعاد الى الحياة فهل يفضح السر الخطير الذي يكشف عار المرأة التي يحبها وهي أم اولاده الثلاثة ؟ أم انه يبقى صامتاً ؟ . اني اجاوب عنكم واثق بالجواب السلبي . لا يفعل احد منكم كذلك . بل يفعل كما فعل المركيز تماماً

وبعد ان تباحث المحلفون بضع ساعات لم يعلم منها ماذا يكون الحكم عادوا وصرحوا بان المتهم بريء . فاندفع الابنان لابويهما وعانقاه . وفي برهة اسبوع تصالح المركيز وزوجته

فرسايل

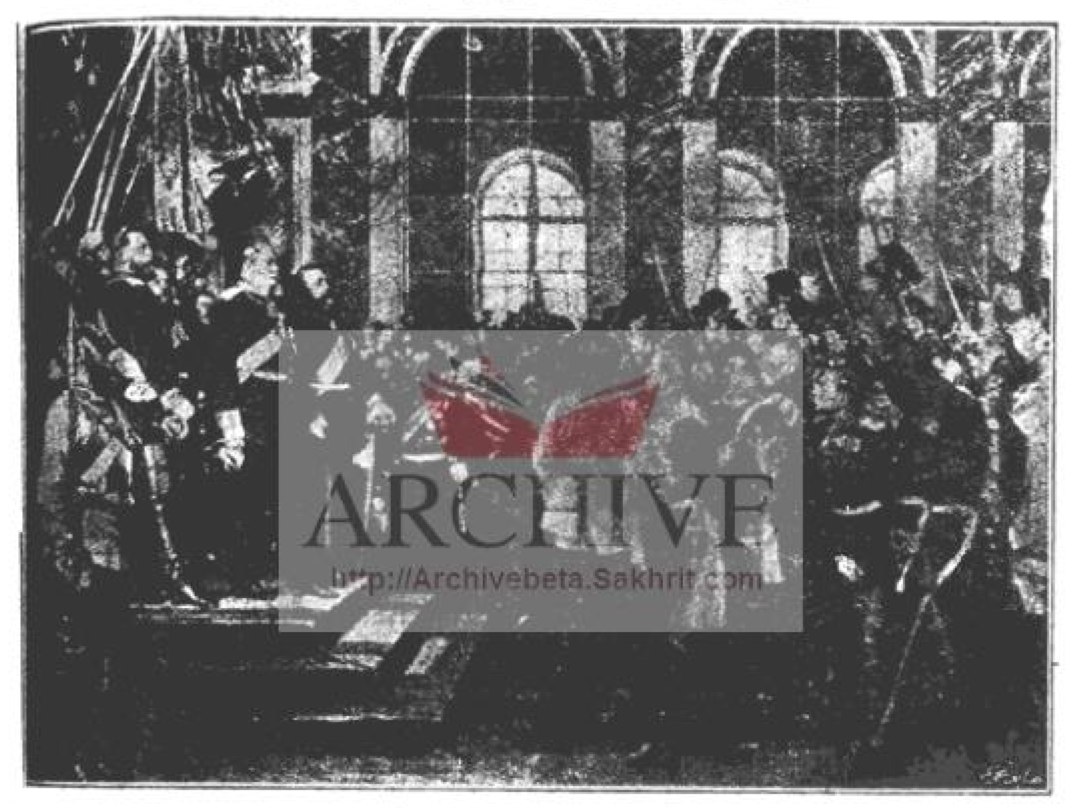
من رحلة لمؤسس الهلال

[الهلال] ان انظار العالم متجهة الآن الى فرسايل حيث تقرر اجتماع المندوبين لعقد الصلح وقد تغير شكل هذا القصر اخيراً فجهز باحدث الاجهزة والادوات فصار المرء يسمع اجراس التلفون وتمتمة الآلات الكاتبة في الغرف التي كان يسكنها ملوك فرنسا في ابان عزهم وسؤددهم . والمرجح ان تمضى المعاهدة في غرفة المرايا التي نصبت فيها في ١٨ يناير سنة ١٨٧٦ منصة احدق بهما امراء المانيا وكبراء رجالها ليعلنوا تأسيس الامبراطورية الالمانية . وسيجلس الصحافيون في غرفة مطلة على غرفة المرايا تسمى غرفة السلم . وقد رأينا بهذه المناسبة ان ننقل ما ورد عن فرسايل في الرحلة التي نشرها مؤسس الهلال في السنة الحادية والعشرين من الهلال . وهو اوفى وصف لها نشر في العربية وقد دقق كاتبه المرحوم اعظم تدقيق فيما ذكره واعتنى عناية خاصة بما له علاقة بالتاريخ الشرقي . قال :

فرسايل بلدة على نحو ٢٠ كيلومتراً من باريس فيها قصر لويس الرابع عشر ومن خلفه من ملوك فرنسا . سكانها نحو ٥٠٠٠٠ نفس وفيها الشوارع المنتظمة والساحات الفسيحة والقصور الفخيمة . وقد بنيت في الاصل على بقعة رملية لا ماء فيها وانما رغب لويس المذكور في بنائها لصفاء جوها ونقاوة هوائها . فانفق في انشاء قصره وجلب المياه اليها مالاً طائلاً . واحصوا عدد الذين اشتغلوا في ذلك فبلغوا ٣٦٠٠٠ رجل و ٦٠٠٠ حصان . وبلغت النفقة عليها في أيام لويس الرابع عشر ما يقدر الآن بنحو خمسمئة مليون فرنك . غير الذين سخروا في العمل بلا أجرة . ولعل هذا الملك السعيد اقتدى بما فعله عبد الرحمن الناصر صاحب قرطبة ببناء الزهراء او المنصور بن أبي عامر ببناء الزاهرة . أو ابن الاحمر ببناء الحمراء في غرناطة . وتقدر نفقات الزهراء بنحو ٥٠٠٠٠٠٠٠ دينار اي نحو ما انفقه لويس هذا على قصره في فرسايل . ولكن عدد المشتغلين في بناء الزهراء كانوا ١٠٠٠٠ رجل و ١٥٠٠ دابة . على ان الزهراء امحت الآن وعفت آثارها . وأما فرسايل فلا تزال باقية والفرنساويون يبالغون في الاحتفاظ بها

واتخذ لويس المذكور فرسايل مسكناً له سنة ١٦٨٢ ومنها كان يصدر الاوامر لحكومته و جنده . وفيها تزوج مدام دي منتنون سنة ١٦٨٤ بعد وفاة ماري تريز

وصارت فرسايل بعد ذلك مقراً لملوك فرنسا . وفيها عقدت أكثر الاجتماعات السياسية الهامة في أثناء القرنين الماضيين قبل الثورة وبعدها وتقلبت على أحوال عسر ويسر . وفيها امضيت معاهدة ١٧٨٣ بين فرنسا وانكلترا على أثر استقلال اميركا . وفيها نزل ولیم الاول امبراطور المانيا من ٥ اكتوبر سنة ١٨٧٠ الى ٦ مارس سنة ١٨٧١ بعد تغلبه على الفرنساويين وتوج فيها امبراطوراً على الالمان



تتويج وليم الاول امبراطوراً المانياً في فرسايل

متحف فرسايل

هو في قصر فرسايل مسكن لويس الرابع عشر نفسه . والقصر وحده بما يكتنفه من الحوادث التاريخية يعدُّ من أهم التحف ولبنائه تاريخ طويل . وهو كالبلد الكبير بما فيه من القاعات والغرف والدهاليز والاروقة والمراسح والمجالس . يسع نحو عشرة آلاف نفس . طول واجهته الكبرى ٥٨٠ متراً فيها ٣٧٥ نافذة . تم بناء القصر في القرن السابع عشر بما فيه من الرياش الفاخر والتحف التاريخية والصناعية . وانشأوا بين يديه الحدائق التي تأخذ بالابصار بما فيها من البرك والاشجار والغياض

والبساتين . فلما حدثت الثورة الفرنساوية بيع الرياش ونقل ما كان هناك من الصور الجميلة الى اللوفر . لكن لويس فيليب اعاد الى فرسايل رونقها فجعل قصرها هذا متحفاً جمع فيه أهم مفاخر الفرنساويين التاريخية والفنية سماه « المتحف الوطني » ويعرف أيضاً بمتحف فرسايل

ويقسم هذا المتحف الى قسمين كبيرين (١) قاعات لويس الرابع عشر واهله وخلفائه فهي كالمتحف باتقان صنعها وما على جدرانها وسقوفها من النقوش البديعة (٢) المتحف التاريخي الذي انشأه لويس فيليب وفيه عدد عظيم من الصور والتماثيل اكثرها متوسط القيمة من حيث الصناعة . لكنه اراد أن يمثل بها تاريخ فرنسا بحسب اطواره ورتب ذلك في قاعات عديدة لا يكاد يجد الزائر وقتاً كافياً للمرور فيها فضلاً عن درسها فنكتفي بالاشارة الى أهم ما فيها

ففي الجناح الشمالي من القصر كنيسة كان يصلي فيها اهل ذلك القصر متقنة النقش والوضع عليها كثير من النقوش الرخامية المذهبة والصور الدينية . منها صورة القيامة في وسط القبة . وعلى كل من المذابح صورة . وقاعات الصور التاريخية تقسم بحسب العصور او الادوار . منها قاعات تاريخ فرنسا من كلوفيس الى لويس السادس عشر فيها صور زيتية كبيرة تمثل أهم حوادث التاريخ في تلك المدة لاشهر المصورين مثل دلاروش وروجيه وشيفر وغيرهم . وقاعات الحروب الصليبية تمتاز باتقان جدرانها وما عليها من النقوش مع شارات قواد تلك الحروب (الآرمات) فضلاً عن الصور الكبرى التي تمثل الحوادث التاريخية الهامة . بينها صورة تتويج امبراطور القسطنطينية سنة ١٢٠٤ م وأخرى تمثل واقعة عسقلان سنة ١١٨٧ م بين الافرنج والمسلمين . وصورة معركة طولوسة باسبانيا بين الافرنج والعرب سنة ١٢١٢ م . وصورة طواف الصليبيين حول أورشليم سنة ١٠٩٩ م وفي احدى هذه القاعات باب على النمط القوطي من مصنوعات فرسان رودس اهداه السلطان محمود الثاني لفرنسا سنة ١٨٣٦ م . ومن الصور التاريخية هناك صورة حصار رودس سنة ١٤٨٠ م واخذ القسطنطينية سنة ١٢٠٤ م نقلاً عن صورة في اللوفر . وصورة فتح القدس سنة ١٠٩٩ م وقطع الصليبيين البوسفور سنة ١٠٩٧ م وهم زاحفون على الشرق لفتح بيت المقدس

وقاعات خاصة بصور تاريخية من سنة ١٧٩٤ — ١٨٣٠ بينها صورة نابوليون

الاول مجروحاً في راتسبون سنة ١٨٠٩ وصور أخرى عديدة يضيق المقام عن ذكرها

وفي قاعات الحوادث التاريخية العصرية في القرن التاسع عشر عدة صور تهمّ قراء العربيـة على الخصوص لانها شرقية تمثل وقائع الفرنساويين مع العرب في الجزائر تحت قيادة الامير عبد القادر المشهور . فانه حاربهم أعواماً طويلة حتى كادوا ييأسون من قهره ثم وفقوا الى ذلك بالاستيلاء على « الزملة » وهي بلد نقال فيه ما يحتاج اليه الجند من الصناع والعمال والخفر وفيها أهله وأعوانه وأمواله وخزائنه ومؤنته . والزملة عبارة عن خيام تحمل على الجمال في الصحراء ويحمل معها كل ما يحتاج اليه القوم من المؤونة والذخيرة . فاذا أرادوا النزول نصبوا الخيم بترتيب معين فيعرف كل واحد خيمته وعمله . وقد عمد الامير عبد القادر الى اختراع هذه الزملة في أواخر حربه مع الفرنساويين بعد ان أصبحت بلاد الجزائر تتقد بالحروب فلم يعد يأمن الاقامة في مكان

فلما تعبت فرنسا من مناهضته أغرت صاحب مراكش على معاضدتها . وعلم عبد القادر في أواخر سنة ١٨٤٧ بقدوم المراكشيين لغزو زملته ولم يكن فيها أكثر من خمسة آلاف والمراكشيون يزيدون على خمسين ألفاً . فخاف الامير على رجاله وان لم يعرف الخوف قبلاً . فعادت اليه نخوته فهجم ليلاً بذلك الجيش القليل وفرق شمل المراكشيين . ثم عادوا فاجتمعوا ثانيـة فهاجموه فطاردهم وظهر عليهم لكنه خسر جانباً من رجاله فرأى الانسحاب أفضل له فرجع الى الجزائر فوصـل مكاناً علم بعـد وصوله اليه أن الجيش الفرنساوي على مسافة ثلاث ساعات منه ورأى ان جيشه قد أنهكه السفر والحرب فخشي ان يقع هو وزملته في أيدي الفرنساويين لانه لا يستطيع الرجوع والمراكشيون من ورائه يطاردونه ولكنه عاد فرأى ان يبذل قصارى جهده فجمع اليه رجاله وخطب فيهم مفصحاً عما هم فيه من الضيق وقال « أراكم قد وفيتم بما بايعتموني عليـه وبذلتم جهدكم في معاضدتي . وأما الحالة الراهنة فتقضي علينا بالتسليم للعدو وعندي أن التسليم للفرنساوية خير من التسليم للمراكشيين فما رأيكم ؟ »

فاجابوه انهـم على رأيه فنظر اليهم فاذا هم عدة من أحسن الرجال واشدهم وقد رافقوه في حروبه خمس عشرة سنة فشق عليـه ان ينتهي جهاده هذا بالتسليم للعدو

ولكنه اذعن لحكم الضرورة قسراً وهو غير خائب لانه جاهد الجهاد الحسن اكثر من ١٥ سنة حتى نفدت الحيلة

وعلى ذلك تمَّ التسليم لكن المصور تصور هجوم الفرنساويين على الزملة وعبد القادر غائب فنال ذلك احسن تمثيل في صورة طولها عدة امتار شاهدناها في احدى قاعات متحف فرسايل ووقفنا عندها ساعة نتأمل ما تولى رجال عبد القادر من الذعر لما رأوا خيول الاعداء تكاد تأخذهم فبرزت النساء من الخيم مذعورات واخذ الخدم في مساعدتهنَّ في ركوب الجمال التماساً للفرار . وهرب بعض الاتباع وفيهم اليهود أصحاب خزينة عبد القادر . ونفر ما كان معهم من الحيوانات الاهلية وبينها الغزلان طلبت البرية . وبان الرعب في كل حيٍّ وظهر الاضطراب في كل شيء فقلبت الخيام واجفلت الجمال وذعر الاطفال وبكت النساء مما يستوقف البصر

وفي تلك القاعات صورة نافرة تمثل نابوليون الثالث وقد اطلق سراح عبد القادر في امبواز سنة ١٨٥٢ وصور زيتية لحصار قسنطينة سنة ١٨٣٧ وصورة اخرى لمعرض في المكسيك سنة ١٨٣٨ وصور عديدة لوقائع حربية في القرم سنة ١٨٥٤ من جملتها اخذ ملاكوف ومعركة ألما ومعركة سلفرينو وغيرها وكلها كبيرة الحجم

والقسم الاوسط من القصر تسمى قاعاته باسماء آلهة اليونان كالزهرة والمريخ وابولون وغيرها . فيها صور زيتية وستائر مصورة نسجاً مما يسمى (غوبلين) اكثرها تمثل حوادث تاريخية فرنساوية من جملتها ستارة تمثل الكونت فوانت في حضرة لويس الرابع عشر باسم ملك اسبانيا . واخرى تمثل اجتماع لويس المذكور وفيليب الرابع ملك الاسبان . واخرى لزواج لويس الرابع عشر بماري تريز وغير ذلك . ومنها قاعة السلم جدرانها مبطنة بالرخام وعليها امثلة من الاوسمة البرونزية . وقاعة المرايا طولها ٧٢ متراً وعرضها عشرة امتار وعلوها ١٣ متراً مزخرفة زخرفة باهرة . لها واجهة من زجاج تطل على حديقة فرسايل وعلى جدرانها صور عديدة تاريخية لازمنة مختلفة يطول بنا شرحها . وهناك غرف مختلفة لجلوس الملك او طعامه وعلى جدرانها صور بينها صور تمثل وقائع « دون كيشوت » . وهناك ساعة رقاصة كبرى تدل على الساعات والايام والاشهر

ومنها غرفة الرقاد للويس الرابع عشر بفراشه وخزائنه وكراسيه وسائر ما يلزم. وفيها مات سنة ١٧١٥ بعد ان حكم ٧٢ سنة

ومنها قاعات الملكة مصورة الجدران وفيها كانت تنام الملكة ماري تريز حتى توفيت سنة ١٦٨٣ وماري لزينسكي ثم ماري انطوانت وفيها صورة هذه الملكة وعدة ستائر (غوبلين) . ومنها قاعة خاصة باستقبال الاعيان كانت الملكة تستقبلهم فيها باوقات معينة وعلى جدرانها ستائر احداها تمثل زيارة لويس الرابع عشر لمعمل هذه الستائر وقاعة عرس الملكة وقاعات أخرى لمدام دي منتتون وغيرها

وفي الجناح الجنوبي من القصر قاعات عديدة للصور التاريخية . منها قاعة المعارك فيها صور أشهر المعارك الكبرى في جملتها معركة تورس بين العرب بقيادة عبدالرحمن الغافقي والافرنج بقيادة شارل مارتل سنة ٧٣٢ م وهي التي فاز بها الفرنساويون وردوا العرب عن اوربا

وصورة شارلمان في بادربون يستقبل وفود ويتيكند يقدمون الطاعة سنة ٧٨٥ م وصور أخرى تمثل الكونت أندس يدفع النورمنديين عن باريس سنة ٨٨٥ م ومعركة بوفين سنة ١٢١٤ ووصول هنري الرابع الى باريس سنة ١٥٩٤ ومعركة ريفولي سنة ١٧٩٧ وواقعة اوسترليتس سنة ١٨٠٥ ويانا سنة ١٨٠٦ وواغرام سنة ١٨٠٩ وجملة ما في هذه القاعة ٣٤ صورة و ٥٠ تمثالاً نصفياً لكبار الملوك والامراء

وفي الطبقة العليا من هذا الجناح قاعات عديدة بعضها خاص بالثورة الفرنساوية فيها صور أهم حوادثها وأشهر رجالها . مثل الاحتفال بالاخاء الوطني سنة ١٧٩٠ وصور مدام رولان وماري انطوانت في الهيكل ومقتل مرات وتمثال نصفي لميرابو خطيب تلك الثورة وتمثالا لافايت ولويس السابع عشر . وهناك قاعة خاصة لتصوير أعمال نابوليون الاول وحوادث عائلته ومشاهير الامة في عهده . منها صورة تمثل قواد الحملة المصرية صورت سنة ١٧٩٩ وغير ذلك شيء كثير يختص بنابوليون وحوادثه المدهشة في بيته وفي جيشه وأسفاره وحروبه واولاده

وفي قاعات القسم الاوسط من هذا القصر شيء كثير من الرسوم لتمثيل الحوادث التي جرت لفرنسا في القرن الثامن عشر . في جملتها صورة كبيرة تمثل وصول سفير عثماني أسمه محمد افندي الى قصر التويلري سنة ١٧٢١ . وصورة أخرى لوصول سعيد باشا سفير الباب العالي سنة ١٧٤٢ وبينها غرف لنوم ولي العهد وأمه وغيرهما من اهل البلاط

تريانون

وفي فرسايل غير هذا القصر قصران يعرف كل منهما باسم تريانون أحدهما الاكبر والآخر الاصغر كان يتردد اليهما لويس الرابع عشر مع بعض العائلات أو الاعوان وهما متقنا البناء وفيهما تحف تاريخية أو فنية . ففي الكبير منهما تحف من الرياش الثمين النادر ومن جملة ذلك كؤوس من الوهج (الملكيت) أهداها القيصر اسكندر الاول امبراطور روسيا الى نابليون الاول . وفي التريانون الكبير أيضاً معرض المركبات فيه ثماني مركبات احداها لنابليون الاول ركبها لما تعين قنصلاً أول وأخرى ركبها يوم زواجه . ومركبة قلدوا بها مركبة شارل العاشر وغيرها

وفي فرسايل حدائق غناء جروا اليها الماء في بحيرات مدبرة بأنابيب اذا فتحت تفجر الماء من افواهها وصعد في الهواء على اشكال مختلفة وارتفاعات متفاوتة . وهم يحتفلون بفتحها في أوقات معينة من النهار يشهد الناس منظرها مما يشرح الصدر وينزه الخاطر وقد يجتمع الالوف وعشرات الالوف في بعض الايام لهذه الغاية

رثاء جرجي زيدان

نظم الفيكونت فيليب دي طرازي

[الهلال] جاءنا اخيراً هذا الرثاء من جناب الفيكونت فيليب دي طرازي صاحب كتاب تاريخ الصحافة العربية فنشرناه شاكرين له فضله

قُلْ للذي راعَهُ نعيُ ابن زيدانِ ... لأنت في الروعِ والقرطاسُ سيّانِ
لئن طوى الزمنُ العاتي صحيفتَهُ ... لكم طواها على درٍّ ومرجانِ
خطبٌ جسيمٌ شديدُ الوقع قد هلعت ... له الالباء من قاصٍ ومن دانِ
من الشام الى مصر الى عدن ... الى العراق الى اطرافِ عمّانِ
لذاك ناح عليه كلُّ ذي أدب ... من روض آدابه مسترفد جانِ
لبّى ندى البَيْنِ إذ حيّا وقال له ... هيّا فكلُّ ابن أنثى زائل فانِ
الخلقُ صنفان صنفٌ منهُ فائدةٌ ... ترجَى وصنفٌ بلا نفع ولا شانِ
والفرقُ في الناسِ إدراكاً وتربيةً ... كالفرق ما بين مملوكٍ وسلطانِ
لهفي عليه فقيداً طابَ مَخْبُرهُ ... وزانَ آثارَهُ الحسنى باحسانِ

مضى شهيدَ حياةٍ كلُّها غُرَرٌ ... وأفقَ العمرَ تنويراً لأذهانِ

وعاشَ في خدمة العلم الشريف وما ... ألـهتـهُ غانيـةٌ أو خمرةُ الحانِ

فأحرزَ الفضلَ في علمٍ وفي عملٍ ... وأجمـلَ السعيَ في سرٍّ وإعلانِ

أبقى لنا كتباً يا طالما ظمئت ... لمثل سلسالها أحفادُ عدنانِ

أنشا « الهلالَ » فضاهى في مباحثهِ ... أرقى المجلات في نقدٍ وتبيانِ

وصار بدراً تماماً لا يضارعهُ ... بالنور بدرُ العلى في شهر نيسانِ

إن قال أقنع أو أفتى بمسألةٍ ... عَنا لأحكام فتواهُ الخصمانِ

أقوالهُ حُفظت من بعده حكماً ... تُزري بما حفظوهُ عن سليمانِ

أينَ الجبرتيّ أين ابن الأثير ومَنْ ... في عصرهم نبغوا ما بين أقرانِ

أينَ الأولى عن تواريخ الورى كتبوا ... من بعد ما نقبوا عنها بإمعانِ

لهُ بأعلى مناط العقد منزلةٌ ... بها قد افتخرَ المبنيّ والباني

فإنَّ كفّتهُ بالفضل راجحةٌ ... إن تُوزن مع ذوي فضل بميزانِ

حكى ابنَ خلدون في ما خطّه وجلا ... حقائقاً لم تدر في بال إنسانِ

لو كان يرفعُ تمثالٌ لنابغةٍ ... فليس أجدرَ من جرجي ابنِ زيدانِ

آثارُهُ بعداد الفخر خالدةٌ ... طيَّ الصحائفِ تُتلى بعد أزمانِ

هل لي فصاحةُ قسٍّ أو بلاغتهُ ... حتى أفي حقّهُ شعراً بديوانِ

أو لي مراثي إرميا أستحثُّ بها ... شَجى القلوبِ على أوتار عيدانِ

يا أيها الراحلُ المحجوبُ في جدثٍ ... يرثيك قومكَ من أهل وخلانِ

ترثي المحابرُ والقرطاس من أسفٍ ... يرثيكَ أنصارُ إنجيلٍ وقرآنِ

باهى بعلمك أهلُ الشرق قاطبةً ... واليومَ خطبُكَ أبكاهم وأبكاني

فارحلْ الى الأمد الأقصى فإن به ... طرْفيكَ يا هاجرَ الدنيا قريرانِ

سقى المهيمنُ قبراً أنتَ نازلهُ ... غيثاً عليهِ همى من مُزْن رضوانِ

بيروت ... فيليب دي طرازي

الاخاء والوئام

بين ابناء مصر وابناء الشام

سوف يذكر يوم عيد الفصح الماضي بين الايام الخالدة في تاريخ مصر فلقد كان هذا العيد في الواقع عيد محبة وسلام واخاء بين ساكني هذا القطر من مسلمين ومسيحيين على اختلاف مذاهبهم مما لم يعهده الشرق في تاريخه الطويل . وحسبنا ما بدا في ذلك اليوم من العواطف الشريفة السامية دليلاً على تأصل الشعور القومي الصحيح في نفوس المصريين واعتصامهم برابطة الوطن العزيز قبل سائر الروابط . فانه لم ينبثق فجر ذلك اليوم حتى توافدت الجماهير على الاديار والكنائس والبطريركيات وفي مقدمة الذين ملأُوا اقبية تلك الاديار والكنائس منذ الصباح حضرات العلماء الازهريين والطلبة الكرام المجاورين وطلبة المدارس العليا ثم وفود المحامين والاطباء والادباء ونظار المدارس والاساتذة . وكانت الحلقات تعقد في كل دير من تلك الاديار وتلقى الخطب وتتلى الاشعار حاثة على الاتحاد والوئام والاخاء

ونقتصر في هذا المقام على ذكر ما جرى في دار البطريركية المارونية حيث اجتمع أعيان السوريين وأدباؤهم على اختلاف طوائفهم ليستقبلوا وفود المهنئين من كرام المصريين وبينهم العلماء والموظفون والمحامون والوجهاء والطلبة فغصت دار البطريركية المارونية بالزائرين ثم قام الخطباء والشعراء من أبناء مصر وأبناء سوريا يلقون الخطب والقصائد متبادلين التهانىء الجميلة والعواطف الشريفة مما سيبقى منقوشاً في صدر كل من حضر ذلك الاجتماع

وحبذا لو سمح المقام بذكر جميع الشعراء والخطباء وما فاهوا به من الاقوال الرشيدة الحكيمة ولكننا نقتصر مضطرين على مقتطفات من قصيدة لخليل مطران شاعر القطرين ومقتطفات من خطبة لانطون الجميّل منشىء الزهور

من قصيدة خليل مطران

يا مصر أنت الاهل والسكن	وحمى على الارواح مؤتمن
حبي كعهدك في نزاهته	والحب حيث القلب مرتهن
ذاك الهوى هو سر كل فتى	منا توطن مصر والعلن

هو شكر ما منحت وما منعت من أن تنقص فضلها المنن
هو شيمة بقلوبنا طهرت عن أن تشوب نقاءها الظنن
أي الديار كمصر ما برحت روضاً بها يتقيد الظعن
فيها الصفاء وما به كدر فيها السماء وما بها غضن
مصر التي اخلاق أمتها زهر سقاه العارض الهتن
مصر التي ليست منابتها خلساً وما في مائها اسن
مصر التي ابداً حدائقها غناء لا يعرى بها غصن
مصر التي اخلافها حفل ويدر منها الشهد واللبن
كذب الاولى قالوا محاسنها توهي القوى وجنانها دمن
فهي التي عرفت مرؤتها أمم ويعرف مجدها الزمن
داعي المبرة والوفاء دعا فاجابت العزمات والفطن
روح البلاد تنبهت تجرى ما اكبرته العين والاذن
جرت المسالك بالرجال وقد غمرت بهم رحباتها المدن
جرى الأتي يفيض منطلقاً من حيث يطغى وهو مختزن
يتقاطرون على الولاء ولا رتب تميزهم ولا مهن
فرق تقاربت القلوب بها وتناءت البيئات واللسن
لا جنس بل لا دين يفصلها والخلف ممدود له شطن
الالف والسلم الوطيد يرى حيث الحفائظ كن والفتن
فاذا بدا في موقف ضغن لم يعد رأياً ذلك الضغن
كل يقول وما يقوله كذب وما في قلبه جبن
حييت يا صلة مباركة شدت ولن يلفى بها وهن
أهلاً برهط الفضل من نجب بهم التقى والعلم واللسن
بالناصحين ونصحهم بلج بالناهجين ونهجهم سنن
خير الدعاة الى الوفاق على ما يقتضيه الشرع والسنن
حكماء ان عرضت لامتهم حاج فهم لادقها فطن
بجميل ما صنعوا وما دفعوا فاز الوئام وخابت الاحن
جادوا بسعي لا يوازنه بالقدر شكر جلّ ما يزن

الازهر الازهى له منن عظمت وهذي دونها المنن
فلتحيَ مصر وتحيَ أمتها ولترق أوج السعد يا وطن

من خطبة انطونيوس الجميل

« . . . درسان بليغان تلقيهما مصر اليوم من أعلى منبر التاريخ على الاقطار الشرقية قاطبة فتتلقاها الاقطار الشرقية كما تتلقى الارض العطشى مزنة السماء . بل فضيلتان ساميتان يتجلى للشرق اليوم المثال الأعلى منهما في هذا البلد الامين . ولطالما كانت مصر معلمة الشرق من عهد فراعينها الى عهد خلفائها الى عهد سلاطينها وأمرائها ولطالما نهج الشرق نهج مصر فكانت منه كالوتر اذا اهتز اهتزت له سائر الاوتار

« أما الدرس الاول فدرس الاتحاد والتضامن بالفعل لا بالقول فقط . فان جميع من أظلتهم سماء مصر ورواهم نيلها المبارك قد أصبحوا كتلة واحدة لا فرق بين مسلميهم ومسيحيهم ويهوديهم بل لا فرق بين المصري سليل الفراعنة مسلماً كان أو قبطياً وبين من تمصر من عرب وسوريين ولبنانيين وأرمن وغيرهم . فلقد صهرتهم مصر جميعهم في كيرها فسبكتهم جميعهم ذهباً ابريزاً خالصاً فصاروا بجملتهم من مصر ولمصر في السراء والضراء

« أما الدرس الثاني الذي تلقيه مصر على الشرق كله فهو درس عملي لا نظري في التسامح والتساهل . اقتبسته مصر من كتبها المقدسة الثلاثة « القرآن والانجيل والتوراة » وهي الشرائع السمحة التي قامت على الاصطناع والمحبة ورعي الذمام . فانبرت تلقن هذا الدرس لسائر بلاد المشرق فقد رأينا فيها الاكثرية تعطف على الاقليات راعية حقوقها محترمة شعورها . . . الا ان أمة تتضافر فيها الاكثرية والاقليات على قاعدة الاتحاد المتين والتسامح المتبادل — لهي أمة دارجة خطوات واسعة في مضمار التقدم والعمران فبشرها بالنجاح العاجل والمستقبل الباهر »

ثم تكلم عن علاقة مصر بسوريا فقال :

« . . . مصر وسوريا قطران شقيقان بل اخوان توأمان . هما الطريق اللاحبة بين المشارق والمغارب يربطهما الجوار على مفرق القارات والبحار فيتصافحان في ترعة

السويس وكلاهما زاه بنفسه مدل باخيه حتى وصلتهما هذه الحرب بخط حديدي جاء قلادة في جيدين أو سواراً في معصمين

« يربطهما التاريخ منذ عرف التاريخ : فالغزاة والفاتحون من فراعنة وقياصرة وخلفاء وسلاطين من يونان ورومان وعرب وترك من الرعاة الى صلاح الدين الى ابراهيم باشا والامير بشير الشهابي ظلوا في مد وجزر من مصر الى سوريا ومن سوريا الى مصر حتى يستحيل فصل تاريخ هذه البلاد عن تاريخ تلك

« يربطهما الادب منذ اشتراك مصر وفينيقيا في استنباط حروف الهجاء ونشرها في العالم الى يوم كانت مدينتا الاسكندرية وبيروت منارتين للعلم والحضارة الى يوم صار اللسان العربي المبين الصلة الادبية الكبرى والرابطة المعنوية الوثقى . فنبغ في مصر والشام منذ تاريخ الهجرة الى اليوم علماء وشعراء وادباء اعلام يحق لكلا القطرين أن يدعيهم ويفاخر بهم فاديب مصر أديب الشام واديب الشام اديب مصر من البحتري وأبي تمام والمعري وابن الفارض والبهاء زهير الى اليازجي والبارودي والنقاش والشدياق وتقلا وزيدان وشوقي وصبري وحافظ ومطران وبركات وارسلان الخ . بل هذه مجانة القطرين تكاد تكون واحدة للقطرين . وهؤلاء المهاجرون من اللبنانيين والسوريين ينشرون في اميركا وأوربا آداب مصر وسوريا على السواء

« تلك الروابط العديدة عددت منها ولم اعدها واجملتها ولم افصلها فكلكم عالم بها اجمالا وتفصيلا عارفٌ بما يلقاه السوري في مصر من رحابة الصدر وبما يلقاه المصريّ في لبنان وسوريا من اكرام المثوى حتى أن هذا وذاك لا يشعر الا انه في وطنه هنا وهناك . فحرام علينا أن نفرّط بذرّة من تراث الآباء وحرام أن لا نورث الاحفاد ما ورثناه عن الاجداد

« نبني كما كانت أوائلنا تبـ نـي ونفعل ما فعلوا ... »



مجاناً

ترسل ادارة الهلال قائمة مطبوعاتها مجاناً الى كل من يطلبها . وقد صدرت هذه القائمة حديثاً وفيها وصف كل كتاب وثمنه وهي مطبوعة طبعاً متقناً

الفحم في العالم

ومتى تنضب موارده

المدنية الحديثة قائمة على الوقود . ولكي ندرك شأنه في حياتنا اليومية لنتصور العالم خلواً منه . فما الذي نجده اذ ذاك ؟ نجد ان المدن العامرة قد تحولت الى صحار مقفرة وان البشر قد عادوا الى المعيشة الحيوانية اذ تقف حركة المصانع والمعامل على اختلاف وظائفها وأغراضها وتشل وسائل الانتقال والاتصال بل يحرم الناس اذ ذاك النور الذي يضيء ظلمة لياليهم والنار التي يطبخون عليها طعامهم الى آخر ما هنالك من النتائج الخطيرة التي لا تخفى على احد

والوقود انواع كثيرة من الاحطاب والزيوت والغازات ولكن أهمها وأعظمها شأناً الفحم . ولذا اهتم الباحثون بدرس موارده لكي يعرفوا الاجل الذي تنضب عنده تلك الموارد . ومن المعلوم ان الفحم انواع مختلفة تتراوح في الجودة . وقد قدروا ما يوجد من الانواع الصالحة للاستعمال بنحو ٤٥٠٠٠٠٠ مليون طن . على انه يوجد فضلاً عن هذا القدر نحو ٣٠٠٠٠٠٠ مليون طن من أنواع غير جيدة ولعل البشر يلجأون اليها عند ما تنضب موارد الانواع الجيدة المستعملة اليوم

والفحم الصالح للاستعمال موزع على اقطار الارض كما يأتي (حسب أحدث التقديرات وادقها) :

	مليون طن
الولايات المتحدة	٢٠٠٠٠٠٠
الصين	١٠٠٠٠٠٠
المانيا	٤٠٠٠٠٠
كندا	٢٥٠٠٠٠
بريطانيا العظمى	٢٠٠٠٠٠
روسيا	٥٠٠٠٠
النمسا	٥٠٠٠٠
بقية العالم	٥٥٠٠٠٠

على أن القدر المستخرج سنوياً من الفحم في كل من تلك الجهات ليس بنسبة ما تحويه مناجمها . فان الصين وكندا على الخصوص لا تستخرجان الا قليلاً من المخزون لديهما . وفيا يلي جدول بالمستخرج سنوياً من الفحم :

	مليون طن
الولايات المتحدة	٥١٣٠٠٠
بريطانيا العظمى	٢٩٠٠٠٠
المانيا	٢٧٥٠٠٠
النمسا	٥٤٠٠٠
آسيا	٤٧٠٠٠
فرنسا	٤٠٠٠٠
روسيا	٣٢٠٠٠
البلجيك	٢٢٠٠٠
بقية العالم	٥٧٠٠٠

هذا هو المستخرج سنوياً من الفحم في البلدان المختلفة . ولا يجوز لنا القول بان الفحم سيستخرج دائماً على هذه النسبة . ولو ظل يستخرج على النسبة الحاضرة لكفى ٣٤٠٠ سنة . ولكن الاحصائيين يتوقعون ازدياداً كبيراً في القدر المستهلك منه اولاً بسبب ازدياد السكان على الارض وازدياد حاجاتهم وثانياً لانه ينتظر أن يزيد استهلاك الصين للفحم حالما تنظم مناجمها الواسعة وتستخرج ما فيها فان احجامها عن استعمال الفحم في الوقت الحاضر ليس ناجماً عن قلة رغبتها في ذلك بل عن ارتفاع ثمنه وفقر اهلها . فاذا اعتبرنا كل ذلك جاز لنا تقدير الاجل الذي تنضب عنده موارد الفحم بنحو ١٥٠٠ سنة

ولو ظلت كل دولة تستخرج فحمها على المعدل الحاضر لنضبت موارد الولايات المتحدة بعد ٤٠٠٠ سنة وموارد انكلترا بعد ٦٥٠ سنة والمانيا بعد ١٥٠٠ سنة وروسيا بعد ١٩٠٠ سنة والنمسا بعد ١٠٠٠ سنة والبلجيك بعد ٥٠٠ سنة وكندا بعد ٤٠٠ سنة والصين بعد ٢٠٠٠٠ سنة

وقد حسب احد الاحصائيين الانكليز قدر الهواء اللازم لاحراق الفحم المستخرج في السنة (اذ لا يخفى أن الاحراق يستدعي اتحاد الفحم با كسجين

الهواء) باعتبار أنه يلزم لاحراق الرطل الواحد من الفحم نحو ١٥ رطلاً من الهواء .
فوجد أنه يلزم لذلك ٢١٠٠٠ مليون طن من الهواء وهذا القدر من الهواء يملأ ٦١٧
مليون قدم مربعة أو بعبارة اخرى أنه يملأ مكعباً طول كل ضلع من اضلاعه ١٦ ميلاً

ولما كان شأن الفحم عظيماً في الحياة الاجتماعية فكر كثيرون بطرق الاقتصاد
في استعماله . وفي مقدمة تلك الطرق احراق الفحم في محطات مركزية وتوزيع القوة
الناشئة عن احراقه بدلاً من توزيع الفحم نفسه ففي ذلك اقتصاد عظيم فان الفحم
اللازم لتحريك آلة كبيرة ذات قوة عظيمة ليس بنسبة الفحم اللازم لتحريك آلة
صغيرة أي ان توليد قدر معلوم من القوة في الآلة الصغيرة يستدعي من الفحم اكثر
مما يستدعيه توليد ذلك القدر نفسه في الآلة الكبيرة . فبينا توليد قوة حصان واحد
في آلة قدرتها الف كيلووات Kilowatt يستدعي ٢٥ طناً من الفحم في السنة فان ٦
اطنان وربع تكفي لتوليد قوة حصان في آلة قدرتها ١٠٠٠٠٠ كيلووات

حكم مأثورة

من استحيي من الناس ولم يستحي من نفسه فلا قدر لها عنده
من جالس عدوه حفظ عليه عيوبه
من اخطأه سهم المنية قيده الهرم
من سرّه بنوه ساءته نفسه
من استغضب فلم يغضب فانما هو حمار ومن استرضي فلم يرض فانما هو شيطان
من كثر ضحكه سقطت مهابته ومن لاحى الرجال سقطت كرامته
من حرمك خيره وحملك مؤونته فلا ترغب في مودته
من أبدي الى الناس فقره فليس له عندهم قدر
من استغنى عن الناس وقروه وعظموه
من قلّ عقله كثر هزله
من أصلح سريرته أصلح ولا بد علانيته ومن أصلح ما بينه وبين الله اصلح الله
ما بينه وبين الناس
من استغني بالله افتقر اليه الناس

الحرب العظمى

ذكرت الحروب واخبارها ... وظلت أُردد تذكارها
وقلت بنفسي ويح الرجال ... على مَ تشب لها نارها ؟
وحتى متى في سبيل القتال ... تَروح لتنفق أعمارها ؟
تراها تَروح وتغدو بها ... الى الموت تنشد اشعارها
ولو علمت أن نحل الحروب ... تفاجئ بالسع مشتارها
لما شبت الحرب ما بينها ... وزادت على الشب إسعارها
وأمضت اوامر قوادها ... فيا قاتل الله امارْها
وراحت بقوة بأس شديد ... تشجع للقتل أنصارها
تنادي هلموا الى ساحةٍ ... بها تعرف النفس مقدارها
فذي غاليات رهون السباق ... فتى السبق أرخص اسعارها
فجالوا بميدانها جولة ... بها عرقب الموت مضمارها
فخروا وقد انشبت فيهم ... أكفُّ المنية اظفارها
وجاءت جنود على إثرهم ... تجرُّ الى الحرب جرَّارها
تريد لتأخذ ثاراتهم ... فزادت على ثارهم ثارها
ولم يبقَ منها سوى ثلةٍ ... تولت من الخوف ادبارها
وعاد الفريقان كل وقد ... كسته بنيُّ الوغى عارها
غداة سقتهم بكاساتها ... مكان السلافة اكدارها
فارهقهم ذلها اذ غدوا ... يجرون بالخزي اطمارها
وراحوا باذيالهم يعثرون ... وقد حمل الكل اوزارها
وكم ليلة من ليالي الشتاء ... بها وارت السحب اقارها
وساد الظلام بها موحشاً ... يُضل من الذعر سيَّارها
وقد زمجر الرعد في جوّها ... وسلت من البرق بتارها
وقالا لتلك الغيوم امطري ... فصبت من الخوف امطارها
ولما رآها بنو ارضنا ... وقد طبق الرعب اقطارها
تداعوا الى الحرب ما بينهم ... وهبوا يجارون تيارها

وشبوا لظاها بايديهم ودأسوا بارجلهم نارها
وصالت جنود على مثلها فنالت هنالك أوتارها
فقسم على الارض في مأزق وقسم يخوضون ابحارها
وقسم يطيرون في جوّها تخالهم الناس اطيارها
وهبت سموم الوغى زعزعاً تخاف الرواسخ إعصارها
فدارت بها مثل دور الرحا وقد حرّك العزم دوارها
وقامت على ساقها بعد ما دعت للمجازر جزارها
فصارت تباع بها أنفس لهم ارخص القتل اسعارها
تعد المنية أمنيّة تنال بها النفس أوطارها
فاردى الخليل بها خله وكم قتلت فئة جارها
تراهم بها كاسود الشرى وقد اكثر الجوع إزآرها
فكل فتى منهم عاشق عروس وغاها ومعطارها
فلو خيروه بها والحياة وفيها المنية لاختارها
تزيد الحصافة في رأيه متى تقفد الغيد أفكارها
ينادي الشجاع الذي هاله من الحرب ما هال مذعارها
على مَ تفرُّ وأم المنون تلاقيك لو عشت أدهارها ؟
وظلت على القتل حتى الصباح فاطلعت الشمس انوارها
ولما تراءت بها الفرقتان وشاهدت الجند أضرارها
هنالك ثابت الى رشدها وكفت عن النحر منحارها
وقامت بدفن مقاتلها وعادت تحكم اسوارها
وتبني البروج عليها كما توسع من تحت احفارها
وساقت على حفر (الغامها) بحد الصوارم حفارها
وجددت الحرب ما بينها لتغسل في دمها عارها
كأن لم يكن أمس ما نابها ولم يك فيه الذي ضارها
اليك اله الوغى المشتكى فانت المحرّك دوارها
وأنت المؤجج نيرانها وانت المقلّب ادوارها
وانت المشجع ضرغامها وانت المعزز مغوارها

وانت المطيّر طيارة ... تقص السحائب آثارها
وانت المعيّن اهدافها ... وانت المدرّب طيارها
وانت امرت بسوق الجنود ... الى مورد الحتف امّارها
ونشطت في البحر (قرصانه) ... واطمعت في الارض فجارها
وسلطت منها عليها فتى ... اخا نقم ليس غفارها
فلم يعف – عن ذنبها إن جنت – ويقبل لدى العذر اعذارها
اباح النفوس وسفك الدماء ... وراع البحار وبحارها
لقد خشيته الوحوش التي ... حكى بالشراسة اطوارها
وخافت على البعد منه الطيور ... فعافت من الروع اوكارها
جنى سيئات طغام الانام ... على الارض لم تجن معشارها
رويداً فقد بلغت حدها ... وقد جاوزت فيه مقدارها
أنلها من العفو وسع الذي ... ينال عداها وانصارها
ألم يكف ما ناب قوادها ... من النائبات ونظارها ؟
فقد كهم الضرب اسيافها ... وافقدها القتل جبارها
وكلت مدافعها بعد ما ... امات القنابل اسوارها (١)
فياليت شعري هل في الوجود ... نبي فيفضح أسرارها ؟
وينبئنا نبأ صادقاً ... متى تضع الحرب اوزارها ؟
ويبقى السلام بقاء الزمان ... وما ابقت الارض عمارها
وناقى من العيش رغداً به ... تلاقي السعادة سمّارها
وتغدو المساواة مشروعة ... وقد ورد الناس أنهارها
وعم الانام اشتراكية ... فتى السلم ينشر اسفارها
يزيد بها راحة العالمين ... وخير البلاد وإعمارها
ليسعف مال الغني الفقير ... وتقضي الخليقة اوطارها
وتلك امانٍ باحلامنا ... لدى النوم نقرأ افكارها
فليس على الارض حرية ... تؤيد بالحق احرارها

بغداد — كاظم الدجيلي

(١) الاسوار: الجيد الرمي بالسهام ولا تخفى استعارته لرامي المدفع

العائلة والمنزل

كيف نربي اطفالنا

في البلاد الحارة

لمجلة الهلال قراء عديدون في البلاد الحارة أو التي تشتد فيها الحرارة صيفاً . وبين هؤلاء القراء كثيرون قدموا أصلاً من بلاد معتدلة الجو أو باردته فتؤثر الحرارة تأثيراً سيئاً على أطفالهم الذين لم تعدهم لها وراثتهم فتكثر الوفيات والامراض بينهم . فلهذا السبب رأيت ان أطرق هذا الموضوع لعل فيه بعض الفائدة وقد توخيت الاختصار مقتصراً على بعض الامور العملية المفيدة متجنباً ما أصبح معلوماً لدى العموم من وجوب النظافة والتهوية والاقلاع عن استعمال « اللفة » التي يلف بها الطفل المسكين فتكبل أعضاءه وتعرقل سير تنفسه ودورته الدموية

ان أهم أسباب الوفيات بين الاطفال في البلاد الحارة تلك الجهاز الهضمي وعلى ذلك سأحصر مقالتي هذه في التكلم عن تغذية الطفل فأقول :

ان الاغذية المعروفة الدارجة الاستعمال الآن هي كما يأتي مرتبة بحسب أهميتها وفائدتها

(١) لبن الام

(٢) لبن المرضع

(٣) لبن البقر

(٤) اللبن المعقم في العلب Tinned milk

(٥) الاغذية المصنوعة المختلفة التي يكثر الاعلان عنها في الجرائد

(٦) اللبن المركز Condensed milk

* * *

فخير الطرق كلها ارضاع الام لطفلها . وهذا بديهي وفائدته عائدة على الام أيضاً . ولا صحة لاعتقاد البعض بان تأدية هذه الوظيفة تضعف الام في الحر على الخصوص

وانها تأخذ من نضارتها وجمالها بل ان الامر بالعكس لان في عمل الارضاع تنبيهاً فيسيولوجياً لاعضاء المرأة وخصوصاً الاعضاء التناسلية فانها تحتاج بعد الولادة الى ذلك المنبه لتعود الى حالتها الطبيعية التي كانت عليها قبل الحمل

ومن المعلوم ان عدم رجوعها الى تلك الحالة يسبب لها من الآلام والارتباكات الصحية ما يتعب جسمها فيما بعد . وعندنا شواهد كثيرة لسيدات ضعيفات تحسنت صحتهنَّ بالارضاع وان ظهر الامر بخلاف ذلك في الابتداء . ويجب ألاَّ تمنع الام عن ارضاع طفلها الا اذا كان هناك أسباب جوهرية كبعض الامراض . ويترك الحكم في ذلك للطبيب

ومن الثابت ان الطفل في البلاد الحارة يحتاج الى لبن تكثر فيه المواد الدهنية . ومن غريب ما اتضح اخيراً ان لبن المرأة الاوربية التي تسكن بلاداً حارة وتلد فيها يحتوي على مواد دهنية أكثر مما يحتويه عادة في بلادها الاصلية . وهذا برهان طبيعي آخر على ضرورة ارضاع الام لولدها

اما اذا قرر الطبيب عدم صلاحية الام للارضاع وجب الاعتماد اذ ذاك على مرضع يقرب عمر ابنها من عمر الطفل المراد ارضاعه . وينبغي فحصها وفحص طفلها قبل مباشرة وظيفتها للتثبت من صحتها وخلوها من الامراض

واذا لم تتيسر المرضع فافضل الاغذية للطفل لبن البقر فانه خير الالبان المعروفة لان نسبة المواد الدهنية فيه تقرب كثيراً من نسبتها في لبن الام . ويجوز ان يُعطى للطفل كما هو أي بدون تخفيفه بالماء منذ الاسابيع الاولى حتى القطامة . غير أنه عند استعماله تجب ملاحظة أمر بسيط تجنباً لعسر الهضم أو الاسهال وذلك ان اللبن باختلاطه في معدة الطفل مع الافرازات الهضمية تجبن بعضه غالباً وهذا التجبن قد يسبب عسر هضم أو مغصاً ولذلك يحسن دائماً ان يطلب من الصيدلي تركيب الجرعة البسيطة الآتية (وهي رخيصة ويسهل الحصول عليها من اي صيدلية) :

سترات السودا	٥ جرامات
ماء معقم	٢٠٠ جرام

فتضاف ملعقة صغيرة (أي ملعقة شاي) من هذه الجرعة الى أوقية لبن مغلي (والاوقية مقدار فنجان قهوة) ويُعطى للطفل كما هو أي بدون اضافة ماء أو غيره . وهذه الطريقة ذات فائدة مزدوجة فانها تغذي الطفل بلبن غير ممزوج بماء

فلا تخفف نسبة المواد الدهنية فيه كما ان الكمية السائلة التي تدخل معدة الطفل لاتكون كبيرة فلا يتسبب عنها انتفاخ أو تمدد . ويندر أن يحصل عسر هضم أو مغص باستعمال هذه الطريقة . أما اذا حصل فلا مانع من أن يضاف الى اللبن قليل من الماء المغلي (وليس ماء الجير لانه يتلف فعل جرعة سترات السودا) ومتى كبر الطفل وزادت اكلته فاصبحت اربع أوقيات كل مرة او اكثر لزم له من الجرعة بالطبع اربع ملاعق صغيرة فما فوق . على انه يجب حينئذ ادخال تغير بسيط على الجرعة بجعلها كما يأتي :

سترات السودا	٢ ½ جرام
سترات البوطاس	٢ ½ جرام
ماء معقم	٢٠٠ جرام

وتستعمل كما تستعمل الجرعة الاولى . اما لبن الجاموس وهو شائع الاستعمال فدهنه كثير جداً وهو غير صالح لتغذية الطفل . واذا اضطر الامر الى استعماله وجب تخفيفه كثيراً

وأما لبن البقر المعقم بالعلب وهو المعروف بـ Tinned milk فانه جيد ولا بأس به غير أنه لا يفيد فائدة لبن البقر الصائغ (طازا) كما سنذكر بعد

ويلي هذا اللبن في الفائدة الاغذية الصناعية على انواعها . ثم اللبن المركز المعروف بـ Condensed milk وهو يباع في علب فيمزج منه قدر صغير بقدر من الماء لتحويله الى حليب وهو آخر ما يُلجأ اليه في تغذية الطفل لان تركيبه يفتقر الى أهم مواد التغذية : فانه مستخرج من الحليب الذي أخذت منه معظم مواده الدهنية (القشطه) مع اضافة كمية كبيرة من سكر القصب . فترى انه ينقصه أهم شيء للتغذية وهو الدهن فاذا غُذي به الطفل لا يستفيد الفائدة المطلوبة ولو ظهر عكس ذلك للعيان . فقد ترى احياناً طفلاً يتغذى منه ويخيل اليك انه قويٌ وسمين غير ان هذه السمنة غاشة وما هي الا عبارة عن تجمع الشحم تحت الجلد. أما العضلات فتكون في حالة ضعف شديد بالنسبة الى عمر الولد وهي حالة غير صحية . ثم ان هذا اللبن يتلف سريعاً في العلبة بعد فتحها

أما الاغذية الصناعية المختلفة التي ذكرناها فلا بأس بها ولكن لمدة قصيرة أو كمساعد للبن البقر . وهذا القول يقال ايضاً في لبن البقر المعقم بالعلب . وهنا ننصح للامهات اللواتي يستعملن هذا اللبن أو الاغذية الصناعية أن يعطين الطفل كل يوم قليلا من

عصير البرتقال فان هذا العصير يحمي الطفل من مرض الاسكربوت وهو يصيب الكثيرين من الاولاد الذين يتغذون بلبن العلب أو الاغذية الصناعية وعلاماته تورم في المفاصل وخصوصاً الركبة وورم في لثة الاسنان مع نزيف خفيف ونزيف من الانف.

وسنأتي في العدد التالي على امور أخرى في موضوعنا هذا

الدكتور ميشيل سمعان

ما ينفق في سبيل التدخين

لو تأمل الانسان في ما يضيع من المال سدًى - على اختلاف اوجه الاضاعة - لهاله عظم تلك المبالغ ولا سيما اذا فكر في الاوجه النافعة التي كان يمكنه انفاقها فيها

خذ مثلاً التدخين فقد كادت هذه الآفة تصبح من لزوميات هذا التمدن وهي تزداد انتشاراً كل سنة حتى بلغت الزيادة في الولايات المتحدة وحدها ٤٠ في المئة في سنة واحدة

ويؤخذ من اوثق الاحصاءات أن أهالي الولايات المتحدة يدخنون في السنة نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٥ سيكارة أي بواقع ٢٥٠ سيكارة لكل شخص ويدخل في ذلك الرجال والنساء والاولاد والشيوخ . وفي هذه السيكارات من النيكوتين ما يلحق الفرد منه نحو ثلاث قمحات [١] كل يوم وهذا القدر كاف لقتل عدة حيات

وقد قدر الاستاذ فارونك استاذ الاقتصاد السياسي في جامعة يايل الشهيرة ما ينفق سنوياً في الولايات المتحدة في سبيل التدخين على انواعه بنحو ٠٠٠ ٠٠٠ ١٢٠٠ ريال (نحو ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٤٠ جنيه) وهذا المبلغ يعادل ثلاثة اضعاف ما تنفقه الحكومة الاميركية في سبيل التعليم فتأمل !

---

(١) القمحة grain جزء من ٤٨٠ من الرطل

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاجزاء الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز عن اسم السائل بأحرف أو بكلمة عند النشر

عبادة الثيران وغيرها من الحيوانات

﴿ سان باولو . برازيل ﴾ سليم عطا الله

ما السر في عبادة الشعوب الغابرة للثيران ولماذا فضل هذا الحيوان على سواه ؟

﴿ الهلال ﴾ ان الحيوانات التي عبدتها الشعوب القديمة - بل التي تعبدها الى اليوم بعض الشعوب المنحطة المعاصرة - كثيرة العدد يطول بنا شرحها . ولم تفضل الثيران على غيرها الا في بعض الجهات وأخصها الهند . ويرجح ان الاقدمين عبدوا الحيوانات لاعتقادهم أن أرواح اسلافهم مستقرة فيها . وفي نيتنا كتابة مقالة في هذا الموضوع نذكر فيها انواع الحيوانات التي عبدها البشر في الازمنة المختلفة

ارقى العواطف البشرية

﴿ دفنو . الفيوم ﴾ عبد الله عبد العال حسن

ما هي ارقى العواطف البشرية في نظركم ؟

﴿ الهلال ﴾ أرقى العواطف البشرية هي تلك التي تحمل الانسان على نفع الغير . ومن تأمل في تطور البشر وجدانهم ما برحوا يتدرجون في العواطف الغيرية ولعل جرثومة تلك العواطف ومنشأها جميعاً عناية الام بطفلها ومحبتها له . ولسنا نريد من ذلك أن حب الذات قد محي من الطبيعة البشرية فانه متأصل فيها وغاية ما في الامكان تخفيفه وتلطيفه . وكلما ارتقى البشر زاد فيهم الميل الى خدمة بني جنسهم فان أنفع الناس من خدم الناس

اشهر العلماء

﴿ ومنه ﴾ من هم أشهر العلماء الذين على قيد الحياة ؟

﴿ الهلال ﴾ ان كلمة عالم واسعة المعنى وهي تطلق على رجال يشتغلون في مواضيع مختلفة . اما اذا كان قصدكم العلوم الطبيعية فخير جواب على سؤالكم هو ان تلفت نظركم الى قائمة الحائزين على جوائز نوبل في الطبيعيات والكيمياء والطب وهي منشورة في هذا الجزء في صفحة ٧٥٢ فانها تحوي اسماء نخبة العلماء أصحاب الاكتشافات والاختراعات ذات الشأن . على انه لا ينكر وجود علماء جليلين غير هؤلاء يضيق المقام عن ذكرهم

ارقى البلاد في العلم

﴿ ومنه ﴾ أي ارقى البلاد في العلم ؟

﴿ الهلال ﴾ يتعذر الرد على هذا السؤال بذكر امة واحدة امتازت على سواها في العلوم . فان الشعوب الغربية الراقية تكاد تكون جميعاً على مستوى واحد من الرقي العلمي فانكلترا واميركا وفرنسا والمانيا تتسابق على الدوام في ميدان الاختراع والابتكار ويتعذر تعين السابق منها في هذا الميدان

التصفيق

﴿ لورنس . ماس . الولايات المتحدة ﴾ نمر خليل سميا

ما هو منشأ عادة التصفيق للدلالة على الاستحسان وهل هي قديمة او حديثة ؟

﴿ الهلال ﴾ ان عادة التصفيق من اقدم العادات البشرية واعمها . وهي نتيجة ميل الانسان الفطري الى استظهار انفعالاته ببعض الحركات الجسمانية . على ان بعض الشعوب المتمدنة قيدت هذه العادة ببعض القيود فقد كان عند الرومانيين قوانين خاصة بالتصفيق في اجتماعاتهم العمومية وكان التصفيق عندهم درجات تتفاوت في الدلالة على الاستحسان . ويروى ان التصفيق كان دارجاً في الكنائس في اول النصرانية لتحبيذ اقوال الواعظين . على ان البعض اساؤا استعمال هذه العادة فاصبح مديرو المسارح يستأجرون نفراً من الاشخاص يصفقون للممثلين حملاً للجمهور على

بجاراتهم اذ لا يخفى ان التصفيق ينتقل بالقدوة او التقليد. وهؤلاء المصفقون المأجورون يسمون في اوربا Claque . وفي الدول المتمدنة اليوم ميل الى الاقلال من التصفيق في الملاهي ودور التمثيل

اديان العالم

﴿ ومنه ﴾ هل بالامكان معرفة عدد المذاهب الدينية وعدد المنتمين اليها ؟

﴿ الهلال ﴾ هاك احدث احصاء عثرنا عليه من هذا القبيل . وهو يقتصر على الاديان الكبرى . على ان هنالك فرقاً ومذاهب كثيرة اغفلنا ذكرها لان تابعيها قليلون

مسيحيون [1]	٥٦٣	مليون نفس
كونفوشيون وطاويون	٣٠٠	«
مسلمون	٢٢١	«
هندو	٢١٠	«
أديان المتوحشين التي من قبيل الانيميزم Animism	١٥٨	«
بوذيون	١٣٨	«
شينتويون	٢٥	«
اسرائيليون	١٢	«

مناجاة الارواح

﴿ ومنه ﴾ ما رأيكم في الاعتقاد بمناجاة الارواح . هل هو قائم على أساس صحيح أو وهمي

﴿ الهلال ﴾ لسنا نجزم بصحته أو فساده وانما نقول بامكانه من الوجهة العلمية مع اعترافنا بان للشعوذة قسطاً وافراً مما تسميه العامة « مناجاة ارواح »

وقد اهتم كثيرون من العلماء الطبيعيين في هذا الموضوع ولا سيما أثناء الحرب الاخيرة وقد سلم بعضهم بامكان مناجاة الارواح بعد ان كانوا ينكرون ذلك . ولهم في هذا الموضوع مؤلفات كثيرة نخص بالذكر منها مؤلفات السر اوليفر لودج العالم الانكليزي

(١) من المسيحيين ٢٧٢ مليوناً كاثوليك و ١٧١ بروتستانت و ١٢٠ ارثوذكس

الشهير . وقد اطلعنا أخيراً على كتاب جليل في هذا الموضوع ايضاً تأليف السر ارثر كونان دويل الكاتب الروائي مؤلف روايات شرلوك هولمز وقد بيَّن فيه تطور معتقداته في موضوع الارواح وفيه فوائد جمة واستشهادات كثيرة

هل الانسان مسير او مخير ؟

﴿ الاسكندرية ﴾ اميل انطونيوس

قام الجدال بيني وبين بعض الاصدقاء على كون الانسان مسيراً او مخيراً ولما لم نصل الى نتيجة في جدالنا رأينا ان نستفتيكم في الموضوع . فما رأيكم ؟

﴿ الهلال ﴾ الانسان نتيجة ثلاثة عوامل :

(١) وراثته أي ما يرثه من والديه وأسلافه من السجايا والاخلاق

(٢) بيئته أي ما يتأثر به من فعل الوسط والتربية

(٣) اجتهاده أي ما يناله بنشاطه وجده وقوة ارادته

فاذا تأملنا في هذه العوامل الثلاثة التي تكيف الانسان وجدنا ان العاملين الاولين خارجان عن سلطانه فلا قدرة له على اختيار وراثته او اختيار بيئته الاصلية . أما العامل الثالث فامره في يده وفي استطاعته اذا أحسن استعماله ان يعدل احكام الوراثة والبيئة حين تجوران عليه. فبهذا المعنى يجوز لنا القول بانه مخيَّر . على انك اذا اختبرت سواد البشر وجدتهم مسيرين بحكم وراثتهم وبيئتهم

التقويم الغريغوري

﴿ كودو . مارانيون . برازيل ﴾ قيصر فهد مقبل

ايهما اصح الحساب الغريغوري او الحساب الشرقي ؟

﴿ الهلال ﴾ الاصح الحساب الغريغوري فان السنة على الحساب الشرقي تزيد السنة الفلكية بنحو ١١ دقيقة . على ان الحساب الغريغوري وان يكن اصح من الحساب الشرقي ففيه خطأ طفيف وهو ان سنته تزيد قليلاً عن السنة الفلكية وهذه الزيادة تبلغ يوماً كاملاً كل ٣٣٢٣ سنة

بولونيا

مجدها الماضي وانبعاثها الحاضر

في تاريخ بولونيا[1] عبرة للشعوب التي جار عليها الدهر وقضى بتقسيمها واستعبادها. فان هذه الامة العريقة في المجد ظلت محافظة على قوميتها ووطنيتها رغم صروف الزمان ورغم ما انتاب أهلها من الظلم والحيف الى ان حانت الفرصة التي أتيح لها فيها تحقيق أمانيها فهبت من بين الانقاض المتراكمة وتآلفت عناصرها في طلب الحرية والاستقلال

ثلاث دول استبدادية تقاسمت فيما مضى البلاد البولونية وهي روسيا والمانيا والنمسا. وكأن ما لاقته هذه الدول الثلاث من العقاب انما كان للتكفير عن اساءتها نحو ذلك الشعب القديم العهد في الحضارة والمدنية

عرف التاريخ بولونيا دولة مستقلة منذ القرن العاشر كما عرف البولونيين شعباً حراً كريماً. وقد شيد البولونيون في عهد عزهم مملكة عظيمة واسعة الارجاء امتدت من البحر البلطيق شمالاً الى البحر الاسود جنوباً. وتعاقب على العرش البولوني أربعون ملكاً. وقد خلفت بولونيا ميراثاً أدبياً لا يقل عن ميراث أي دولة من الدول الاوربية الكبرى

وقد كانت بولونيا حاجزاً بين عالمين: بين أمم أوربا الغربية من جهة والشعوب المغولية والتترية التي كانت تغزو سهول أوربا الجنوبية الشرقية من جهة أخرى. فحمت مدنية الغرب أكثر من خمسة قرون وحالت دون اكتساح الشعوب البربرية للاقطار الاوربية: فقد كان سيل تلك الشعوب يقف كل مرة عند حدود بولونيا فلا يتجاوزها. ولأحد ملوك بولونيا (جنا سوبيسكي الثالث) الفضل في كسر الاتراك تحت أسوار فينا ولو استولى عليها الاتراك لسيطروا على أوربا باسرها

فكأن بولونيا قامت مقام الحارس لحدود أوربا ولولاها ما استطاعت الدول الغربية ان تنال ما نالته من الرقي والفلاح

(١) كتبنا مقالة في تاريخ بولونيا في الهلال الاول من السنة الرابعة والعشرين

ومن مآثر البولونيين التي يذكرونها مقرونة بالفخر انهم أنشأوا أول جامعة في أوربا الشرقية وذلك سنة ١٣٦٤ في مدينة كراكو . وفي هذه الجامعة نبغ كوبرنيكس العالم الفلكي الشهير . وقد ظهر في بولونيا لذلك العهد شعراء وكتاب من الطبقة الاولى . وفي أواسط القرن الثامن عشر أنشئت في بولونيا اول وزارة للمعارف فسبقت دول أوربا في مضمار التعليم والتهذيب

وقد كان نظام الحكومة والادارة في بولونيا اذ ذاك ارقى مما كان في سائر ممالك اوربا . فان تطورها نحو الحكم الجمهوري كان سريعاً في حين كانت الدول الاخرى خاضعة لسلطات بطلقة مستبدة . ومن الادلة على تقدم البولونيين في سبيل الديمقراطية وتأصلها في نفوسهم ان القانون القاضي بحرمة الاشخاص Habeas Corpus سن فيها سنة ١٤٣٠ وقانون حرمة المنازل سن سنة ١٥٨٨ . كذلك نال البولونيون حرية الكلام وحرية الكتابة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر . ولا يخفى ان الشعوب الاوربية لم تبلغ هذه الدرجة من الرقي الا في القرن الماضي ولم يتم لها ذلك الا بعد ثورات ومجازر كثيرة

وانشيء الحكم النيابي في بولونيا سنة ١٤٩٣ بتأليف مجلسين أحدهما للشيوخ وآخر للنواب . ولم تبلغ انكلترا هذه المرتبة الا بعد ذلك بزمن طويل . وقد بلغ هذا النظام اكمل صوره في بولونيا في القرن السادس عشر وبقي على هذه الصورة الى سقوط المملكة البولونية في القرن الثامن عشر

واول اتفاق بين شعبين ينم عن روح الاتحاد والتساوي كان الاتفاق المبرم سنة ١٥٦٩ بين بولونيا وليتوانيا على مبدإ « الحر مع الحر . والند مع الند » . وقد كان القانون في نظر البولونيين أسمى من الملك نفسه فاذا خالفه اضطره الشعب الى الخضوع لحكمه او الى اعتزال الملك . وقد كان للاشراف البولونيين امتيازات كثيرة حافظوا عليها كل المحافظة فلم يسمحوا للملك بامتهانهم أو انقاص نفوذهم بل كانوا يراقبون اعماله وحركاته فحالوا دون استبداده بالرعية . ولذلك لم يذكر التاريخ أن ملكاً بولونياً قتل غدراً بل ان أولئك الملوك لم يخافوا الاقتراب من الشعب والامتزاج معه

* * *

تلك كانت بولونيا التي قدر لها الزمان ان تقع منذ نحو مئة وعشرين سنة فريسة لجيرانها الاقوياء. ومنذ ذلك الحين ما برحت بولونيا مسرحاً للثورات وقد قام من

ابنائها زعماء مخلصون كرسوا حياتهم لتخليص وطنهم من الذل والاستعباد : وفي مقدمة هذا النفر الصالح كوسيوسكو ودومبروسكي وبونياتوسكي وآخرهم بيلسودسكي الذي كان له القسط الاوفر في تحرير بلاده اخيراً ورفعها الى مصاف الدول المستقلة . فهؤلاء الرجال كرسوا حياتهم لخدمة وطنهم وقد كان الجيل منهم يتلو الجيل وفيه تلك الروح الوطنية السامية التي لم تخمد قط . بل لم ينسَ البولونيون يوماً عزمهم السالف ولم ييأسوا ساعة من نيل استقلالهم الذي فقدوه . وبالرغم من انقسامهم الى ثلاثة اقسام ظلوا محافظين على وحدتهم القومية ـ تلك الوحدة المعنوية التي لا تقف في سبيلها التقسيمات الجغرافية والقرارات السياسية والتي هي أساس كل استقلال حقيقي وكل حرية مستديمة

وقد نبغ في هذه الاثناء نفر من رجال الفن والادب البولونيين عززوا مجد بلادهم ورفعوا مكانتها في نظر الشعوب الاوربية . نذكر منهم ميكيافيكز في الشعر وسينكيفكز في النثر وشوبين في الموسيقى وماتجكي في الفن . وهؤلاء النوابغ هم في الحقيقة فخر البشرية الراقية جمعاء وليسوا لبولونيا وحدها

ولما نشبت الحرب الحاضرة تألفت فرق بولونية بقيادة جوزف بيلسودسكي المذكور سابقاً وحاربت من اجل القضية الوطنية حتى تم لها ما ارادت

وفيما يلي احصاء تقريبي لبولونيا الحاضرة :

	المساحة	عدد السكان
القسم الروسي	١٨١٠٠٠ ميل مربع	٦٠٠٠٠٠٠
القسم البروسي	٥٧٠٠٠ « «	٢٥٠٠٠٠٠
القسم النمساوي	٤٥٠٠٠ « «	٢٥٠٠٠٠٠
المجموع	٢٨٣٠٠٠ « «	١١٠٠٠٠٠٠

بين ليل وصباح

قصيدة منثورة

لجبران خليل جبران

اسكت يا قلبي فالفضاء لا يسمعك .

اسكت يا قلبي فالأثير المثقل بالنواح والعويل لن يحمل أغانيك وأناشيدك .

أسكت فأشباح الليل لا تحفل بهمس أسرارك ، ومواكب الظلام لا تقف امام أحلامك .

أسكت يا قلبي ، أسكت حتى الصباح ، فمن يترقب الصباح صابراً يلاقي الصباح قوياً ومن يهوى النور فالنور يهواه .

أسكت يا قلبي واسمعني متكلماً :

في الحلم رأيتُ شحروراً يغرّد فوق فوهة بركان ثائر .

ورأيت زنبقة ترفع رأسها فوق الثلوج .

ورأيت حورية عارية ترقص بين القبور .

ورأيت طفلاً يلعب بالجماجم وهو يضحك .

رأيت جميع هذه الصور في الحلم ولما استيقظت ونظرت حولي رأيت البركان هائجاً ولكنني لم أسمع الشحرور مغرّداً ولا رأيته مرفرفاً .

ورأيت الفضاء ينثر الثلوج على الحقول والأودية ساتراً بأكفانه البيضاء أجسام الزنابق الهامدة .

ورأيت القبور صفوفاً منتصبة امام سكينة الدهور وليس بينها من يتمايل راقصاً ولا من يجثو مصلياً .

ورأيت رابية من الجماجم وليس هناك من ضاحك سوى الريح .

في اليقظة رأيت الحزن والأسى فأين ذهبت أفراح الحلم ومسراته ؟

أنى توارت بهجة المنام وكيف اضمحلت رسومه ؟

وكيف تتجلد النفس حتى يعيد النوم أشباح أمانيها وآمالها ؟

اصغ يا قلبي واسمعني متكلماً :

كانت نفسي بالامس شجرة مسنة قوية تمتد عروقها الى أعماق الارض وتتعالى غصونها نحو اللانهاية .

ولقد أزهرت نفسي في الربيع وأثمرت في الصيف ، ولما جاء الخريف جمعتُ أثمارها في اطباق من الفضة ووضعتها على قارعة الطريق فكان العابرون يتناولون منها ويأكلون ثم يسيرون في سبيلهم .

ولما انقضى الخريف وتحولت تهاليله الى الندب والولولة نظرتُ فلم أرَ في أطباقي سوى ثمرة واحدة أبقاها الناس لي ، فتناولتها وأكلت فألفيتها مرة كالعلقم حامضة كالحصرم ، فقلت لنفسي : « ويحي لقد وضعت في أفواه الناس لعنةً وفي أجوافهم عداء ، فماذا ترى فعلتِ يا نفسي بالحلاوة التي امتصتها عروقك من أحشاء الارض وبالاريج الذي تشربته قضبانك من نور الشمس ؟ »

بعد ذلك اقتلعت شجرة نفسي القوية المسنة .

اقتلعتها بعروقها من التربة التي نمت فيها وترعرعت .

اقتلعتها من ماضيها ونزعت عنها ذكرى الف ربيع والف خريف .

وعدت فزرعت شجرة نفسي في مكان آخر .

زرعتها في حقل بعيد عن سبل الزمن . وكنت أسهر بجانبها قائلا ان السهر يدنينا من النجوم ، وكنت أسقيها دمي ودموعي قائلاً ان في الدم نكهة وفي الدموع حلاوة .

ولما عاد الربيع أزهرت نفسي ثانية ، وفي الصيف أثمرت ، ولما جاء الخريف جمعت أثمارها الناضجة في أطباق من الذهب ووضعتها على ملتقى السبل . فمرَّ الناس أفراداً وجماعات ولكن لم يمد أحدٌ يده ليتناول منها .

فأخذت اذ ذاك ثمرة واكلت فوجدتها حلوة كالشهد ، لذيذة كالكوثر ، عطرة كانفاس الياسمين ، طيبة كالخمرة البابلية ، فصرخت قائلاً : « انَّ الناس لا يريدون البركة في افواههم ولا الحق في أجوافهم لان البركة ابنة الدموع والحق ابن الدماء » .

ثم عدت وجلست في ظلال شجرة نفسي المنفردة في حقل بعيد عن سبل الزمن .

* * *

اسكت يا قلبي حتى الصباح .

اسكت فالفضاء قد اتخمته رائحة الاشلاء فلن يتشرب انفاسك .

اصغ يا قلبي واسمعني متكلماً :

كانت بالامس فكرتي سفينة تتقلب بين أمواج البحار وتتنقل مع الاهواء من شاطئ الى شاطئ .

ولقد كانت سفينة فكرتي خالية الا من سبعة اكواب طافحة بألوان مختلفة تشابه الوان قوس قزح بنضارتها .

وجاء زمن ملت فيه التنقل على وجه البحار فقلت سأعود بسفينة فكرتي الفارغة الى ميناء البلد الذي ولدت فيه .

ثم أخذت اطلي جوانب سفينتي بألوان صفراء كشمس المغيب وخضراء كقلب الربيع وزرقاء ككبد السماء وحمراء كذوب الشقيق ، وأرسم على شراعها ودفتها رسوماً غريبة تجذب العين وتبهج البصيرة .

ولما انتهيت من عملي وقد ظهرت سفينة فكرتي كرؤيا نبي تطوف بين اللانهايتين ، البحر والسماء ، دخلت بها ميناء بلدي فخرج الناس لملاقاتي بالتهليل والتعظيم وأدخلوني المدينة ضاربين الدفوف نافخين الزمور .

فعلوا ذلك لان خارج سفينتي كان مزخرفاً بهجاً .

ولم يسأل أحد ماذا جلبت فيها من وراء البحار .

ولم يدرِ أحد اني عدت بها فارغة الى الميناء .

عند ذلك قلت في سري : « لقد ضلت الناس و بسبعة اكواب من الالوان قد كذبت على باصرتهم و بصائرهم . »

وبعد عام ركبت سفينة فكرتي وأبحرت ثانية .

سرت الى جزر الشرق فجمعت منها المرّ واللبان والصندل وأدخلتها الى سفينتي.

والى جزر الجنوب فجلبت منها التبر والعاج والياقوت والزمرّد وجميع الحجارة الكريمة .

والى جزر الشمال فعدت منها بالخز والوشي والبرفير .

والى جزر الغرب فحملت منها الدروع المزردة والسيوف العسالة والرماح السمهرية وسائر انواع الاسلحة .

ملأت سفينة فكرتي بنفائس الارض وغرائبها وعدت الى ميناء بلدي قائلاً : « سوف يمجدني قومي ولكن عن جدارة ، وسيدخلونني المدينة منشدين مزمرين ولكن عن استحقاق . »

ولكن لما بلغت الميناء لم يخرج احد لملاقاتي .

ودخلت شوارع بلدي فلم يلتفت اليَّ أحدٌ .

ووقفت في ساحتها معلناً للناس ما جلبت لهم من ثمار الارض وطرائفها فكانوا ينظرون اليَّ والضحك ملء أفواههم والسخرية على وجوههم ثم يتحولون عني .

فعدت الى الميناء كئيباً مستغرباً ، ولكنني ما لمحت سفينتي حتى فطنت لامر كنت مشغولاً عنه بمنازع اسفاري ورغائبها ، فهتفت قائلاً : « ان أمواج البحار قد محت الطلاء عن جوانب سفينتي فبانت كهيكل من عظام ، وعفت الارياح والانواء وحرارة الشمس الرسوم عن شراعها فظهرت كأثواب رمادية بالية . »

لقد جمعت طرائف الارض ونفائسها في تابوت يعوم على وجه الماء وعدت الى قومي فنبذوني لان عيونهم لا ترى سوى المظاهر الخارجية .

في تلك الساعة تركت سفينة فكرتي وذهبت الى مدينة الاموات وجلست بين القبور المكلسة مفكراً باسرارها.

* * *

أسكت يا قلبي حتى الصباح . اسكت فالعاصفة الهوجاء تسخر بهمس اعماقك ، وكهوف الوادي لن ترجع بصداها رنات اوتارك .

اسكت يا قلبي حتى الصباح فمن يترقب الصباح متجلداً يعانقه الصباح مشتاقاً .

ها قد طلع الفجر يا قلبي فتكلم ان كنت تستطيع الكلام .

هوذا موكب الصباح يا قلبي فهل ابقى سكوت الليل في اعماقك أغنية تلاقي بها الصباح ؟

هوذا اسراب الحمام والشحارير تتطاير متنقلة في اطراف الوادي فهل ابقى هول الليل في جنحيك صلابة لتطير معها ؟

هوذا الرعيان يسيرون امام قطعانهم من الحظائر والمرابض فهل ابقت لك اشباح الليل عزماً لتسير وراءها الى المروج الخضراء ؟

هوذا الفتيان والصبيان يمشون الهوينا نحو الكروم فهلاَّ نهضت ومشيت معهم ؟

قم يا قلبي ، قم وسر مع الفجر فالليل قد مضى ومخاوف الليل قد اضمحلت مع احلامه السوداء .

قم يا قلبي وارفع صوتك مترنماً فمن لا يشارك الصبح باغانيه كان من ابناء الظلام .

من شعر جبران

عن كتاب « المواكب » الذي ظهر حديثاً
(وسنفرد له فصلا فيما بعد)

الدين

والدين في الناس حقل ليس يزرعه ... غير الاولى لهم في زرعه وطرُ
من آمل بنعيم الخلد مبتشرٍ ... ومن جهول يخاف النار تستعر
فالقوم لولا عقاب البعث ما عبدوا ... رباً ولولا الثواب المرتجى كفروا
كأنما الدين ضرب من متاجرهم ... ان واظبوا ربحوا أو أهملوا خسروا

العدل

والعدل في الارض يبكي الجن لو سمعوا ... به ويستضحك الاموات لو نظروا
فالسجن والموت للجانين ان صغروا ... والمجد والفخر والاثراء ان كبروا
فسارق الزهر مذموم ومحتقر ... وسارق الحقل يدعى الباسل الخطر
وقاتل الجسم مقتول بفعلته ... وقاتل الروح لا تدري به البشر

جورج غينمر

« سيف فرنسا المجنح »



جورج غينمر

ان النبوغ في القتال الجوي نوع جديد من النبوغ لم نسمع به قبل الحرب الاخيرة . فقد برز فيها نفر من الطيارين سيحفظ التاريخ أسمهم بجانب القواد الذين أبرزتهم . وفي مقدمة هؤلاء الطيارين يجب ان يذكر غينمر وتجسر وفونك وريشتوفن وغيرهم

أما جورج غينمر الذي أفردنا لترجمته هذه المقالة فقد ولد في فرنسا في ديسمبر سنة ١٨٩٤ وكان أبوه ضابطاً في الجيش محالاً على المعاش . وبدت على غينمر الفتى علامات النجابة وكان شديد الميل الى اللعب بالآلات الميكانيكية . وشغف

بالطيران منذ حداثته فكان يقول لاهله انه يريد ان يكون طياراً فيقابلون كلامه بالهزؤ والسخرية . على انه لم يلبث ان حقق حلم حداثته ونال من الفخر ما لن تمحوه الايام

نشبت الحرب الحاضرة ولم يجاوز غينمر التاسعة عشرة من عمره فقدم نفسه في الحال للانخراط في الجيش فرفض طلبه لضعف بنيته . وقد كرر طلبه هذا اربع مرات فكان يلاقي الرفض في كل مرة . ولكنه أعاد الكرة مرة خامسة فقبل ودخل سلك الطيران

بدأ غينمر عمله في الطيران بوظيفة مستكشف ولكنه لم يكن ليقنع بهذا العمل . فما برح يتحيّن الفرص لمهاجمة طيارات العدو بغية اسقاطها وتدميرها . وقد نجح للمرة الاولى في يوم ١٩ يوليو سنة ١٩١٥ فوق مدينة كوفر

وتفصيل الخبر انه بينما كان يتحفز في ذلك اليوم للطيران مع زميله الميكانيكي جردر اذ بصر بطيارة للعدو متجهة نحو الخطوط الفرنسية فنهض للحال يريد مواجهتها الا انها لم تلبث ان ولت هاربة . ولما كانت سرعتها تفوق سرعة طيارته لم يستطع الايقاع بها فعاد آسفاً

وبينما هو كذلك بدت في الافق نقطة سوداء فلم يشك غينمر في كونها طيارة المانية فنهض بطيارته وجعل يتبع تلك الطيارة من خلف ولما اقترب منها أشار الى رفيقه باطلاق الرصاص فاطلق ١١٥ طلقاً كان العدو يجيب بمثلها . وعند الطلقة الخامسة عشرة بعد المئة سقطت الطيارة الالمانية وهي تلتهب . فكان ذلك أول انتصار لغينمر وكان سروره به عظيماً . وقد قال في مذكراته عن هذا الانتصار : « لقد اسقطت طيارات كثيرة بعد ذلك ولكني كل ما فكرت بمبارزاتي الهوائية أتذكر دائماً اول انتصار حزته »

وكان يندر ان يرجع غينمر من معاركه الجوية من دون اصابة ولو طفيفة حتى انه اضطر أخيراً لدخول المستشفى

على انه كان يترقب فرصة العودة الى عمله على أحر من الجمر . ولم يكد ينقه من اصابته حتى طلب الذهاب الى صفوف القتال ولكن أهله منعوه من ذلك ونظراً لالحاحه قبلوا ان يمكث في كومبيان بالقرب منهم على ان يأذنوا له ببعض الجولات الهوائية من حين الى آخر

وقد كلف غينمر احدى اخواته فحص الحالة الجوية كل يوم عند الفجر حتى اذا كان الجو موافقاً ركب طيارته وقام بمهمته . وكان يطلب الى شقيقته هذه كتمان أمره ظناً منه ان والديه لا يعلمان شيئاً من أمره . والحقيقة أنهما كانا يتجاهلان حركاته ولم يريدا ان يحولا دون قيام ولدهما بواجبه نحو وطنه — وفي هذا التجاهل دليل على سمو الخلق ورقة الشعور !

ومن أغرب الحوادث التي حدثت لغينمر انه سقط يوماً من علو ٣٠٠٠ متر ونجا من الموت ! وقد كانت نجاته هذه أشبه شيء بالاعجوبة

وكان لغينمر أصدقاء كثيرون يحبونه ويعجبون به ومما قاله زميل له عن سرعة انتصاراته : « ضع بيضة في الماء الغالي عند ما يبدأ غينمر المعركة فاذا أسقط الطيار الثالث من الالمان أخرج البيضة فتجدها مسلوقة ! »

وأغرب ما أتاه غينمر اسقاطه أربع طيارات المانية بالتتابع في يوم واحد وهو يوم ٢٥ مايو سنة ١٩١٧ . وبذلك فاق أشهر الطيارين من زملائه واستحق وردة جوق الشرف مع هذا التقريظ الرسمي :

« هو من نخبة الضباط يجمع بين المهارة والاقدام . خدم وطنه أجل الخدم بعدد انتصاراته الباهرة وبالقدوة الحسنة التي قدمها لاقرانه . . . لا يعرف الخطر لثقته بنفسه ودقة حركاته حتى أصبح العدو يهابه ويخشاه وقد قام في ٢٥ مايو سنة ١٩١٧ بعمل من أبهر أعماله اذ أسقط طيارتين في دقيقة واحدة ثم أسقط طيارتين أخريين في اليوم نفسه . وما برح بمهارته واقدامه يذكي نشاط الجنود الذين كانوا يرقبونه من الخنادق . وقد أسقط ٤٥ طيارة للعدو ونال عشرين تقريظاً رسمياً وجرح مرتين جراحاً خطيرة »

وكان آخر انتصار لغينمر في يوم ٢٠ اغسطس سنة ١٩١٧ وبعد ذلك عين قائداً لفرقة من الطيارات . وقد كان في استطاعته بعد تعيينه هذا ان يمتنع عن الطيران ولكنه ظل مواظباً عليه فكان يطير كل يوم بين ٥ و ٦ ساعات

وأخيراً في يوم ١١ سبتمبر صعد غينمر بطيارته رغم رداءة الجو فكانت تلك سفرته الاخيرة . . .

ومع انه قام بعد غينمر طيارون آخرون أسقطوا من الطيارات اكثر مما أسقط فسيظل اسمه في مقدمة اسماء أبطال الهواء الى ما شاء الله

قصيدة مطران

في احتفال ملجأ الحرية بدار الاوبرا السلطانية يوم ١٦ مايو الماضي

لله قوم بالثبات تدرعوا ... وبكل جامعة الشتات تذرعوا
الدهر منقاد اذا ما صمموا ... والنصر ميعاد اذا ما ازمعوا
هل تعرفون عشيرة فشلوا وقد ... جمعوا القوى وعلى الحقيقة أجمعوا
من يطلب العلياء يدرك أوجها ... متبوءاً والفائز المتبوع
بعض المنى كالشعر خير تركه ... ان لم يوفق فيه الا المطلع
والمجد ان لم يحل منه بطائل ... كالورد قل ومر منه المقطع
ان كان بعض البأس قوة أشجع ... فالبأس كل البأس خلق أشجع
ويزيد عن نفع الشجاع بلاده ... ما قد يفيد بلاده المتبرع
لله سانحة «وعبد عزيزها» ... سنحت فانجحها الذكي الاروع
من قال هذي بدعة قل بدعة ... في الخير ابدع ما ترام وأبدع
ان لم يصن خلق الصغار مهذب ... ماذا يحاول وازع ومشرع
أو لم يكن أدب السجايا رادعاً ... للناشئين هل العقوبة تردع
في كل قطر ملجأ أنشا لنا ... في ان نجاري ما يجارى مطمع
ما بالنا نجد الشعوب أمامنا ... وعلى مثال صنيعهم لا نصنع
أشرف بنيان الى تشييده ... هرع الكرام وحقهم ان يهرعوا
هو للعفاف من الدعارة موئل ... هو للاباء من المهانة مفزع
يبقي على الاطفال وهي قوى الحمى ... من ان يضيعها عليه مضيع
ما جاهنا في الناس ما عنواننا ... أأولئك المتشردون الظلع
من كل من يطوي صباه على الطوى ... والبهم في نضر الخمائل ترتع
لا ستر يستره وما من مفضل ... غير الفذى تكساه تلك الاضلع
أزهار مصر شهية وثمار مصر ... جنية والنيل نعم المشرع
أي الجنان هو الخصيب وما به ... ري لغلته الضعاف ومشبع
قد حان ان تهدي السبيل جماعة ... أنتم لها الهامات وهي الاذرع

قد حان ان يؤوي الفقير الى حمى ... قد حان ان يقوى الصغير الاضرع
ذودوا الحرام عن الحلال يدم لكم ... فلا فتك الوحش الذي هو أجوع
ذودوا الحساب الحق عن أحسابكم ... فلربما كذب الثناء الاشيع
ذاك الشقاء مغادياً ومراوحاً ... مما تمض به النفوس وتوجع
ليزل زوال المحل لا يؤسى له ... وليزدهر بمكانه ما نزرع
فتخف في اكبادنا شعل الاسى ... وتكف عن خد الخدود الادمع
يا من تباروا مسرعين الى الندى ... والانجدون الى المبرة أسرع
هل ينكر الوطن اختلاف صنوفكم ... والفضل فيما بينكم متوزع
في مصر منذ اليوم أبهج موقف ... للمجد يشهد في الزمان ويسمع
عزت ومن أسنى المفاخر أنها ... نهضت بعزتها العقائد أجمع
كالدوحة الكبرى توحد أصلها ... ومضت مذاهب في السماء الافرع
وبما جلبن من الاشعة والندى ... نمت الجذوع وشملها متجمع
فرطت في تشبيه مصر بدوحة ... هي روضة ونباتها متنوع
كل المحاسن في الازاهر حسنها ... وبكل طيب طيبها متضوع
ذاك التباين للمواطن صالح ... في حين يتحد الهوى والمنزع
لبني أبيه كل فاد قومه ... ولنفسه المتزهد المتورع
ليست عبادات النفوس لربها ... الا عذارى خيرها المتقنع
اما اللواتي ينجلين لحكمة ... فحجابهن هو الضياء الاسطع
اي سادتي طرق الفلاح كثيرة ... في وجه من يسعى، وهذا مهيع
من يبغ ارضاء الندى فاوانه ... أو يبغ ارضاء الهدى فالموضع
مصر السخية هل يقول عذولها ... بخلت على الشأن الذي هو أنفع
أنتم ذؤابتها، وأنتم قلبها ... وبكم توقى في الخطوب وتمنع
قدماً ولا تتقاعسوا، قدماً ولا ... تتباطؤا، والاكرم المتطوع
ان لم يكن احساننا متوقعاً ... يوم الحمية ساء ما نتوقع
هذا لكم نصحي بشعر خالص ... لا شيء فيه مصرع ومرصع
هو محض وحي بدؤه ختامه ... عفو السجية ليس فيه تصنع

جمعية الامم

في نظر الدكتور لوبون

[الهلال] ان ما كتبه الدكتور غوستاف لوبون عن هذه الحرب واسبابها ونتائجها هو في نظرنا أفضل ما كتب في هذا المعنى . وقد اطلعنا له أخيراً على مقال عن جمعية الامم احببنا نقله الى العربية ليقف القراء على آراء هذا الفيلسوف الحكيم . قال :

أصدر الفيكونت غراي حديثاً رسالة روى فيها ما كان من اعتراض أحد ملوك الزنوج الذين خضعوا للسلطة الانكليزية لما حرمت عليه مهاجمة جيرانه وسلب ممتلكاتهم . فقد غضب غضباً شديداً من جراء ذلك التحريم الذي حال دون غزواته كما حال دون رجوعه منها مبجلاً منصوراً يحمل التحف والهدايا المسلوبة

وقد علق الراوي على هذه القصة بقوله ان نظرية ذلك الملك الزنجي بخصوص علاقات الشعوب المتجاورة هي نفس نظرية الامم المتمدنة المعمول بها الى هذا اليوم

وهذه النظرية تتفق بوجه خاص مع تعاليم فلاسفة الالمان ومؤرخيهم وقوادهم فانهم ما برحوا منذ سنوات وهم يبشرون بالفوائد التي تجنيها المانيا من توسيع ممتلكاتها والاستيلاء على الاراضي المجاورة لها

ولمقاومة هذه التصورات المنافية لروح العصر الحديث تألفت جمعية الامم وهي ترمي الى استكشاف الوسائل الناجعة لقمع الغرائز والعقائد والاهواء التي تثير نفوس الشعوب من حين الى حين وتدفعها الى التصادم والتنازع

* * *

لم تعن الطبيعة على ما يظهر بتوثيق عرى الاخاء بين البشر . ولعل هذا الشعور لا يلتئم مع اغراضها الغامضة . على ان الجماعات البشرية قد تغلبت على حكم الطبيعة وأقامت بين أفرادها حواجز تحول دون تصادمهم ووطدت تلك الحواجز بالقوانين الصارمة فتيسر لها بذلك الحيلولة دون تنافس الافراد وتنازعهم واضطرتهم الى أن يحترموا بعضهم بعضاً

ولم تسن تلك القوانين دفعة واحدة بل اقتضت زمناً طويلاً توازنت في اثنائه العوامل المعاشية والعاطفية والروحانية التي يترتب عليها سلوك البشر بحيث توطدت

دعائم الاجتماع واستقر النظام بفعل الوراثة جيلاً بعد جيل

وليست المشكلة الحاضرة انشاء قانون يعيّن علاقات الافراد بعضهم مع بعض بل استكشاف الوسائل الناجعة لتثبيت ذلك القانون ومعاقبة مخالفيه

ولو كان البشر يأتمرون بأحكام العقل لهان الامر ولكنهم خاضعون لغرائز وعواطف وعقائد ذات احكام واقيسة خاصة تختلف عن أحكام العقل المجرّد واقيسته. ولئن استطاع العقل قمع هذه العوامل في بعض الاحيان فانه يخضع لها في الغالب ويأتمر بأحكامها وما الحرب العالمية الاخيرة الا برهاناً جديداً على صحة ذلك.

ومع ان كثيرين من المفكرين عدوا من الاوهام استدامة السلام بين البشر فانه يجدر مع ذلك بذل المساعي في سبيل هذا الحلم اللذيذ لعله يصح ويتحقق. فان الحرب لو نشبت ثانية مع مواصلة التقدم العلمي تؤدي الى ابادة الجنس الابيض أو على الاقل الى ابادة حضارته

***

قد لا تضمن جمعية الامم سلم العالم زمناً طويلا. على انه سيكون لها مع ذلك نتائج مفيدة

وأول نتيجة من ذلك انها تعد الاذهان للآراء التي ستسود في المستقبل بتكوين ما قد سماه رئيس الولايات المتحدة بالروح الدولية — اي الشعور بالترابط المعنوي بين الشعوب المختلفة

وستنشأ هذه الروح الجديدة عن ايمان الشعوب بقوة جمعية الامم اكثر مما تنشأ عن المبادىء القانونية التي يستنبطها المشترعون

وطالما لم تتوحد البشرية بعد فكل شعب يدرك ماهية القانون بصورة توافق مزاجه العقلي وتطوره التاريخي

فمن الواضح مثلاً ان صورة الحق في مخيلة الالمان تختلف عن صورته عند الشعوب الاخرى

فان قول ايهرنغ القانوني الشهير « ان قوة المنصور تعيّن الحق » هو في نظرهم مما لا يقبل الجدال. ومن أقوال نيتشه « لا واجب على شعب من الشعوب الا نحو أندادهِ. أما المخلوقات التي هي دونه أو التي هي غريبة عنه فيجوز له أن يعاملها كما يشاء » وما برح معظم فلاسفة المانيا ومؤرخيها يبشرون بنفس هذه المبادىء

ان للقانون سلطة عظيمة حين يثبّت عادات شائعة . فأين العادات الدولية التي ينبغي للقانون الدولي تثبيتها ؟

تدل الحوادث الراهنة منذ انبثق فجر التاريخ على ان الشعوب لم تعرف قاعدة للمعاملات بينها غير حق الاقوى ولئن شئنا اليوم أن نصلح هذه الحالة فسن القوانين لا يكفي للعمل بها . فان للشعوب غرائز وأهواء يتعذر حبسها في القوالب التي يصنعها لها الفكر . وان تحول القيود التي يستنبطها المشترعون دون مجاري الاحوال وتطوراتها الطبيعية

* * *

قد يتغير تصور الشعوب لماهية الحق اذا دفعتهم الحوادث الحالية الخطيرة الى تبديل افكارهم . فانما تقف شريعة الشعب على مزاجه العقلي . وليست وظيفة المشترع خلق الشريعة بل تدوينها

ويجوز لنا من هذا القبيل ان نوافق الدكتور ولسن على قوله الآتي – وان لم نوافقه على تفائله وتحمسه في جميع المسائل الاخرى – وهو :

« لقد نشأ عن تمازج افكار الامم قوة عظيمة بل قوة هائلة يمكن تنظيمها والاستفادة منها ألا وهي القوة المعنوية في العالم . اننا الآن عند فجر عهد جديد سوف يرتفع فيه مستوى البشرية بفضل أساليب السياسة الجديدة الى قمة لم يبلغها الرقي البشري بعد »

فهذا المستقبل ليس مستحيلا . ولكن مجيئه يترتب على أسباب تختلف عن الاسباب التي قدمها الرئيس ولسن . فاذا امتنع البشر عن الحرب في المستقبل فانما يكون ذلك من جراء اقتناعهم بترابطهم وتضامن مصالحهم وبأنه خير لهم ان يحدوا من أن يتقاتلوا . ولعلهم يرون أيضاً ان الحروب تثقل كواهل المنصورين والمكسورين على السواء وان تقدم العلم الحديث يجعل الحرب اذا نشبت مهلكة للجميع

* * *

ثم ان مؤتمر الصلح بالرغم من مقاصده الحسنة قد أوجد بذوراً للتخاصم والتنازع سوف تضاف الى تلك التي تملأ العالم شقاء . وكأن المؤتمر قد نسي تعاليم الماضي فظن أنه من الميسور تبديل الحدود القديمة الفاصلة بين الشعوب وهدم عمل التاريخ مدة الف

سنة في يوم واحد . فقد سهل على الخصوص انحلال النمسا وفي ذلك خطأ جسيم اذا نظرنا اليه باعتبار السلام العام

وقد نتج عن تلك الاعمال انها أهاجت في الشعوب الصغيرة بعض الغرائز التي كان الزمان قد اخمدها وهي تطلب الان التوسع بالعنف على حساب جيرانها .

فكأنما المؤتمر قد كشف جو الضغائن الذي قضت لعنات الآلهة ان يحيط بني البشر

ان ثمار تلك الضغائن تبدو الآن في جميع الاقطار الاوربية . فبقطع النظر عن الشعوب التي قامت بينها حواجز الاشلاء المكدسة والانقاض المتراكمة نرى منازعات الشعوب الصغيرة التي لم تكد تتكون حتى أخذت تمزق بعضها بعضاً

***

من الادلة التي قدمها الرئيس ولسن على فائدة جمعية الامم ومنعها للحرب « ان المانيا لم تكن لتستطيع شهر الحرب لو أباحت للعالم المناقشة في مسئلة الصرب أسبوعاً واحداً » وقد زاد على ذلك انه لو تأكدت المانيا ان انكلترا تتحد مع فرنسا لاحجمت عن اضرام نار الحرب

ليس من ينكر صحة هذا الرأي . ولكن هل يثق الرئيس من كون الحرب لو منعت اذ ذاك ما كانت لتنشب بعدئذ في أحوال أخرى ربما لم تجد فيها فرنسا حلفاء لها ؟ فان مسئلة مراكش وازدياد القوة العسكرية الالمانية ومؤلفات كتابها - كل ذلك يدل على مبلغ استعداد المانيا للحرب

اني ما برحت أعتقد ان الامبراطور غليوم كان يفضل اختيار فرصة لشهر الحرب تلائمه اكثر من تلك التي سنحت ولكنه لم يستطع مقاومة الرأي العام فان المانيا باسرها كانت تطلب الحرب بلسان مؤرخيها وفلاسفتها وقوادها بل أصحاب مصانعها أيضاً . ولعل التاريخ لم يعرف حرباً مثلها أرضت جميع طبقات الشعب

وعندما يطلب الحرب شعب بأسره - والشعوب أحياناً ترغب الحرب اكثر مما يرغبها حكامها - لن تستطيع محكمة دولية الحيلولة دونها . وما الذي يستطيعه مؤتمر بازاء سلطان العقائد والاهواء التي تستولي على الشعوب في بعض الاحوال فتدفعها مسيرة الى ميادين القتال ؟

وهذه الحقيقة تتضح جلياً بمراقبة الممالك المستجدة التي ذكرت أمرها . فان

تلك الممالك التي أوجدتها أحلام الساسة وسذاجتهم مع احتياجها الشديد الى الحلفاء ومع ما هي فيه من الفقر المدقع قامت تقاتل بعضها بعضاً كأنها مدفوعة الى ذلك دفعاً . الا أن الضغائن القومية التي تثيرها المصالح والاهواء والعقائد حين تتصادم ستظل الى ما شاء الله صماء لا تسمع صوت العقل الرشيد !

***

وبعد ان عني المؤتمر بتوطيد السلم بين الشعوب رأى انه ينبغي له أيضاً توطيده في داخل كل دولة . فالف لهذا الغرض مجلساً دولياً للنظر في شؤون العمال حتى تسود الطمأنينة بينهم وبين سائر الطبقات الاجتماعية

انها لمهمة هائلة ! فالحروب الداخلية أشد خطراً من الحروب الخارجية

فان عدة شعوب من اكبر الشعوب الاوربية ـ ولا ريب ان عددها سوف يزيد ـ تمزقها اليوم المنازعات الاهلية كأن عاصفة جنونية قد هبت على أوربا باسرها

ان الشعوب بعد ان فقدت إيمانها بالمبادىء التي كانت تقودها فيما مضى أصبحت الآن شبيهة بالسائح الذي ضل طريقه في اثناء ليل حالك فهو لا يدري أي المسالك يسلك وأي المناهج ينهج

***

ان التجربة التي تقوم بها بعض الشعوب اليوم فريدة في تاريخ العالم . ولعله لم يكن من العبث القيام بها

وليست روح الثورة المنتشرة الآن في أوربا وما كان من ذهابها بعروش الاسرات المالكة القديمة الا نتيجة طبيعية لسخط الجماهير على حكوماتها التي جلبت عليها المصائب والشدائد في اثناء أربع سنوات بل اكثر

وبعد ان اسقطت الشعوب حكوماتها سلمت بالمذهب الاجتماعي الذي يعدها بشفاء جميع أدوائها فهللت لاشتراكية كارل ماركس مع ما يتبعها من الغاء الملكية الفردية واستئثار العمال بالحكم ولا سيما ان رسل هذا الدين الجديد ما برحوا يبشرون بقدوم فردوس أرضي بهيج

وليس من يجهل الآن نتيجة هذه التجربة. فان روسيا لم تكد تقضي بضعة أشهر على تلك الحال حتى اضمحلت حياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ورجعت الى افظع حالات الهمجية

أما المانيا فقد استطاعت مقاومة التيار لكونها اوطد نظاماً وأقوى نفساً . على انها لم تنجُ من المذابح والاضطرابات التي يجرها سعي الاشتراكيين لتحقيق مطالبهم

ان هذه التجربة لم تذهب عبثاً كما ذكرت . فقد اقنعت اشد الناس انصياعاً للاوهام ان استئثار طبقة العمال بالسلطة ـ وهو الغرض الاقصى لجميع الاشتراكيين ـ يجر الى حكم فيه من الشقاء والظلم والخراب ما لم يجتمع في حكم اكثر الملوك جوراً واستبداداً. فان لم يثمر هذا الدرس كان حقيقاً بنا أن نيأس من فطنة بعض الشعوب

***

ولسوء الحظ لا نعرف يقيناً هل يثمر ذلك الدرس أم لا يثمر . فان أقطاب السياسة اليوم شديدو التشاؤم حتى لقد قال المستر لويد جورج « ان العالم في حالة من الاضطراب يفضل معها أن لا يتنبأ بما سيحدث بعد عام أو عامين »

وقال المركيز أوكوما وهو من كبار رجال السياسة اليابانيين انه يتساءل « هل بلغت المدنيـة الاوربية حالة تشبه الحالة التي كانت فيها رومة ومصر وبابل قبيل سقوطها»

أما الرئيس ولسن فانه مع تصميمه على التفاؤل لا يستطيع كتمان قلقه أحياناً فقد قال « اذا لم يستطع البشر بعد ما عانوه من الاهوال ان يملكوا أنفسهم وينظموا أحوالهم فاننا نقع لا محالة في عهد منازعات ليس فيه بصيص من الرجاء أو الرحمة »

ان حلفاءنا العظام ولا سيما الانكليز والاميركيين يستطيعون وحدهم صد ذلك التيار العنيف ومقاومة الاوهام التي ينشرها أصحاب البدع العاجزون عن ادراك الترابط بين العوامل التي تؤثر في حياة الشعوب . على ان لهؤلاء الزعماء سلطاناً عظيماً على النفوس فانهـم من مرتبة أصحاب الوساوس الذين قلبوا وجه العالم غير مرة بفعل ايمانهم الشديد الذي لم يكن يزعزعه شيء

أما اذا لم يصد هذا التيار فسوف تضمحل الحضارة التي شيدها البشر بكدهم واجتهادهم قروناً طويلة كما اضمحلت السلطنات الاسيوية القديمة التي سقطت وبادت فجاءة بعد ان ملأت الارض بصيتها وشهرتها

ومع ذلك يجب علينا ألاّ نيأس بل يجب ان نؤمل خيراً . فالامل قوة معنوية تولد قوى أخرى يستطيع الانسان بمعونتها تذليل أشد المصاعب . فبالامل استطعنا ن نكسر أعظم قوة عسكرية عرفها العالم . وكما مكنتنا عزيمتنا من كسر أعدائنا في لخارج كذلك سوف تمكننا عزيمتنا أيضاً من كسر أعدائنا في الداخل

الدجالون

وأطوار التدجيل قديماً وحديثاً

« الجريح معلّق بحبال الهواء » قول سائر وكل يوم لنا الف شاهد على صحته . فلا تمدح دواء او علاجاً لدى مريض الا قال « هات اجرّبه » ولا يندر أن يؤمن العليل بوصفة الخبير دون وصفة الطبيب . وكثيراً ما يهمل دواء النطاسي ويتمسك بعلاج الدجّال . لان هذا يؤكد له ان علاجه مجرّب وانه يشفي سريعاً بلا ريب . ولا يعد قط أن الشخص المتعلم المستنير فضلاً عن الجاهل الحقير متى يئس من الشفاء عاجلاً عن يد طبيبه لجأ الى علاج الدجّال او وصفة الجار أو نصح الصاحب . ذلك « لان الجريح معلّق بحبال الهواء »

وكثيراً ما اغتنم الدجّالون هذه السجية في البشر للنصب والاحتيال باستنباط أدوية وعلاجات مختلفة يغلب أن تكون ينبوعاً للثروة الطائلة . وفي التاريخ من نوادر هذا التدجيل ما يستحق التسجيل وفي روايته من التفكهة ما لا تضيع البرهة سدًى في مطالعته

فمن هذه الوصفات العلاجية القديمة العهد والتي لم تزل الى اليوم تعير اسمها المشهور للمركبات الدوائية وصفة تدعى « هيرا بيكرا » . فان هذا الاسم يطلق الآن على مركب الصبر مع بعض الافاويه كالقرفة . وقد كان منذ عهد بناء الاهرام اسماً لدواء يرجح أن عنصره الرئيسي الصبر . وكان هيرا بيكرا الوصفة الرئيسية التي تداولها الاطباء لعهد يوليوس قيصر في روما

وكان لكل شهير من الاطباء تركيب خاص باسم هيرا بيكرا يروّجه في زمانه . وكان لسكريبونيوس لارغوس طبيب الامبراطور طيباريوس « هيرا » خاصة به وعجيبة الفاعلية حتى انه لما مات بحث كثير من الزملاء في كيفية تركيبها ووعد طيباريوس بالجوائز لمن يكتشف سرها

وقد ورد ذكر الهيرا بيكرا في ميثولوجيا اليونان وذكرها كهنتهم في طقوس اسكولابيوس اله الطب

الترياق

في الاجيال الوسطى وعهد النهضة كان الملوك محفوفين باخطار اغتيال الاعداء وكانت الوليمة الملك أشد خطراً على حياته من خنجر يخت في منطقة الغام في هذا الزمان لان المغتالين كانوا يتفننون في تركيب السموم لتنفيذ مكايدهم . ولا يخفى ان هذا الخطر قضى باستنباط اضداد السموم او ترياقها . وكان الدواء المسمى ميثريداتيوم أهم ترياق في الصيدلة الرومانية فقد كان مركباً من ٤٠ أو ٥٠ عقاراً نباتياً قل منها ما كان ذا خاصة طبية حقيقية وأهمها الافيون . وكانت تعجن بالعسل

ولما جاء اندروماخوس طبيب نيرون تحذلق في تعديل هذا الترياق وأضاف اليه لحم افعى وسماه « الترياقا » . ثم نظم بعض ابيات في هذا الترياق وقدمها الى نيرون وطلب منه احتكار هذا العلاج العجيب . وقد اعتقد انه استنبط تركيباً ترياقياً عظيم القيمة يستحق احتكاره

ثم جاء بعده « جالن » أحد آباء الطب وغالى في تعظيم قيمة هذا الترياق وكان يدعي انه يشفي من جميع انواع السموم والامراض كاللسع واللدغ والصداع والصمم والفالج والصرع والعمى والبحة والربو والسعال والرعاف وعسر التنفس والمغص والسرسام والطاعون وسائر الاوبئة

ولما كانت كتابات جالن ومؤلفاته قد تسيدت في عالم الطب نحو ١٥٠٠ سنة فلا بدع أن ينال ميثريداتيوم او الترياق حق الشهرة العظيمة . وكان كل طبيب يدعي انه أضاف اليه بعض التحسين وبهذه الدعوى كان يحتكره لنفسه وينتفع عظيم المنفعة من تدجيله

وروي أن هيلاس بطريق القدس كتب الى الملك الفرد يصف لمرضه «الترياقا» . وكان يصنع هذا الترياق اولاً في القسطنطينية ثم في جنوى وأخيراً في البندقية حيث أتقن كثيراً . وصار ترياق البندقية يباع بثمن باهظ جداً . وفي عهد الملكة اليصابات تذمر الناس من غلاء ترياق البندقية واحتكاره هناك وجعل صيادلة انكلترا يحاولون صنعه واتقانه فارسلوا جواسيس الى البندقية لكي يختلسوا كيفية استحضاره الى أن عادوا ظافرين

وفي سنة ١٦٦٨ التى لورانس كاتيلان استاذ الصيدلة في مونتبيليه خطاباً شائقاً

على مجمع الاساتذة في جامعة الطب وروى في خطابه تاريخ مثريداتيس الذي جعل نفسه منيعاً ضد كل سم بالترياق الذي اخترعه وتركه قابلاً للتطور وقد اكتسب اسمه منه او نسب اليه . وهذا هو سر تسميته مثريداتيوم

وتحرير هذه الاسطورة الخرافية ان مثريداتيس العظيم ملك بنطس (ولد سنة ١٢٤ ق . م . وكان ثانياً لهانيبال في الشجاعة) كان عدواً لدوداً للجمهورية الرومانية . وبعد حرب ٢٦ سنة غلبه جيش بومبيوس . وكان مثريداتيس مشهوراً بكونه منيعاً ضد جميع السموم بفعل التركيب الذي استنبطه وكان يتعاطاه كل يوم . فلما غلب على امره ورام ان ينتحر لم يجد سماً قادراً على اماتته فاستدعى احد جنوده وأمره أن يطعنه بحربته . فاتصلت هذه القصة بالرومانيين الظافرين وتاقوا الى الاطلاع على سر هذا الدواء وفحصوا جميع اوراق مثريداتيس الى ان عثروا على بعض تراكيب طبية (ولكنهم لم يجدوا فيها تركيباً ذا قيمة)

والحقيقة ان هذه الاسطورة نشأت بعد عصر مثريداتيس فاغتنم الدجالون فرصة انتشارها وجعلوا يتفننون في استنباط المثريداتيوم (نسبة الى مثريداتيس) أو الترياق على ان كاتيلان اعتقد صحة الاسطورة وان الذين تداولوا صنع المثريداتيوم حسنوه تدريجاً حتى بلغ حد الكمال

وقد روى كاتيلان عدة حوادث غريبة عن الملوك والامراء الذين نجوا من السموم بطريقة مقاومة فاعليتها . ومن رواياته ان أحد أمراء الهند كان يكره اسكندر الكبير كرهاً شديداً فاهداه امة جميلة يد انها كانت مرتوية من سم الاكونيت الذي كانت منيعة ضده على امل ان الاسكندر يعشق الفتاة حتى اذا قبلها اخذ من سمها . ولكن اريسطوطاليس حكيم الاسكندر وأستاذه لما رأى عيني الفتاة محلقتين ادرك أن فيهما أعراض السم ففهم الحيلة ورد الفتاة على الاثر وأنقذ حياة ملكه

حجر البادزهر

وفكرة الترياق العمومي المضاد لكل سم قديمة العهد . ومن ذلك « حجر السم » الذي كان يستعمل من عهد غير بعيد لامتصاص السم من مكان عضة الكلب الكَلِب . ومما لا ريب فيه ان هذا الحجر خلفٌ تقليدي لحجر البادزهر او البزهر الذي كان يستعمله الشرقيون لهذا الغرض

وكان لهذا الحجر شهرة عظيمة عند العرب . وفي محيط المحيط اللفظة فارسية مركبة من باد ومعناه الروح او ضد وزهر ومعناه السم وينسب لهذا الحجر قوى غريبة في مقاومة السموم

وابن زهر (Avenzoar) الكاتب العربي العظيم الذي عاش في اشبيلية منذ الف سنة كان أول طبيب كتب عن هذه الحجارة العجيبة . ومنذ أكثر من قرن أرسل شاه العجم الى زميله الامبراطور نابوليون ثلاثة أحجار من البادزهر كحرز ضد السموم

وقد استعمل البادزهر كترياق عمومي ضد كل السموم فكان يؤخذ منه من ٤ الى ١٠ قمحات الجرعة الواحدة . وكان يستعمل من الخارج أيضاً لامراض مختلفة كالحميات والامراض الجلدية حتى استعمل لشفاء البرص . وكان الشرفاء والامراء يحملونه في علب نفيسة كتعاويذ . وكان بعض الناس ممن يملكون هذه الحجارة يؤجرونها في مدة الامراض الوافدة والاوبئة كما حدث في زمن الطاعون في البرتوغال . وقد بلغت أجرة الحجر الواحد خمس جنيهات في اليوم ولا يؤجر الحجر الا برهينة غالية ترد عند استرداد الحجر . فتأمل هذا التغفيل وذاك التدجيل

وقد راجت أنواع كثيرة من حجر البادزهر ولكن أغناها وأهمها حجر البادزهر الشرقي الذي يرد من ايران . وهو يتكون في معى المعزى بجمع عصارات هاضمة حول جسم غريب . ولكن أطباء ذلك الزمان كانوا يظنون انه يتكون من نباتات طبية سرية تغتذي منها هذه الحيوانات

وبعض أشباه الانسان كالقرود ونحوها تفرز من هذه الحصى . وكانوا لذلك يجرعون القرد أو ما كان من عيلته مقيئاً فيتقيأ الحصاة . وكانوا يحصلون على هذه الحصى ايضاً من بعض حيوانات بيرو . ولكن الحجر الشرقي كان متفوقاً في القيمة والرواج . وكان يباع بعشرة أضعاف ثقله من الذهب

ولا يخفى ان هذا الحجر الترياقي العجيب الفاعلية لا يأمن التقليد فان الدجالين والافاكين كانوا ينتفعون من مجرد اسمه اذ لم يكن هناك ما يمنعهم من تقليده وبيعه كالحجر الحقيقي ولا سيما ان الحقيقي ليس أصدق فائدة من المزيف . يقال ان أحد الصيادلة زعم سنة ١٧١٤ في لندن ان عنده نحو ٥٠٠ أوقية من حجر البادزهر فاحتج عليه أحد خريجي مدرسة الجراحة في لندن بان الحصول على هذا المقدار

يستدعي اكثر من ٥٠ الف معزاة

ويروى ان امبرويس بار أحد كبار الجراح الحربيين في القرن السادس عشر لم يكن يعتقد بنفع البادزهر . ففي ذات يوم اذ كان في خدمة الملك تشارلس التاسع في كلارمونت قدم أحد نبلاء الاسبان حجر بادزهر الى الملك واكد له ان هذا الحجر يقيه من جميع انواع السموم . فاستدعى الملك الطبيب امبرويس بار وسأله ان كان ثمت شيء يقي من جميع السموم على العموم فأجابه هذا الطبيب : « كما ان السموم تختلف كذلك أضدادها تختلف وليس من ترياق واحد يقي من جميع السموم » ولكن ذلك النبيل الاسباني أصرّ على دعواه ان الحجر يقي من جميع السموم حتى تحمس الملك ورام ان يمتحن الامر فاستدعى القيم على القصر وسأله ان كان عنده مجرمٌ يستحق الحكم عليه بالموت . فخطر للقيم أن عنده طباخاً سرق صحفتين من الفضة وانه يستحق الموت . فاستدعى الملك الطباخ واقترح عليه أن يأخذ سماً بدل المشنقة وان يمتحن فيه حجر البادزهر فان انقذه هذا الترياق من السم عفا عنه . فسرّ الطباخ من هذا الاقتراح . فاستدعى الملك صيدليًا وأمرهُ ان يجرّع الطباخ المجرم سماً قائلاً فجرعه الصيدلي جرعة من السلياني . وعلى الاثر اعطى الطباخ جرعة من ذلك الترياق . ولكن الطباخ المسكين مات بعد سبع ساعات متألماً شديد الالم . ثم شرّحه الدكتور ورفع الى الملك تقريراً قرّر فيه أن البادزهر لم يأتِ بفائدة قط . فأمر الملك بالحجر أن يرمى في النار حالاً

الادوية الجاهزة

وفي القرنين الماضيين تفنن صناع الادوية في اقتباس الاسماء لمركبات دوائية لا تخرج عن كونها من مشتملات الاقرباذين كالافيون والتربنتين والصبر وانما روّجوها بأساليب مختلفة كقولهم مثلاً ان هذا الدواء وصفه الطبيب الفلاني للملك الفلاني في العهد الفلاني . فمن أمثلة ذلك اكسير روفي الذي استنبطه الراهب توماس روفي ليسترشير سنة ١٦٧٥ ولم يزل يعلن حتى اليوم بان طبيب الملك تشارلس الثاني كان يمتدحه للجمهور ولا يزال هذا الكلام ينشر على الغلاف الذي تلف به الزجاجة

ومن ذلك ما يروى ترويجاً لنقط جودارد أن هذه النقط كانت علاجاً امتدحه جداً سلمون المعاصر للملك تشارلس الثاني وقال عنه انه الدواء الحقيقي الذي اشتراه

الملك تشارلس الثاني من الطبيب جودارد وكانت له شهرة فائقة في كل البلاد حتى ان الملك كافأه عليه بخمسة عشر الف جنيه . وذكر بعض الكتاب ان الملك دفع ٥٠٠٠ جنيه ثمن صيغة التركيب

والتركيب يشتمل على مستقطر العظم البشري والمادة الزيتية المستخرجة منها تنقع في التراب نحو ٣ اشهر ثم تحمس على حرارة خفيفة مدة ١٤ يوماً ثم يستخرج الزيت ثانية ويحفظ في قوارير — هذا ما يزعمون . وعلى القراء ان يفهموا

وكثيراً ما استعملوا في الطب بعض مستخرجات الحيوانات في القرن السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر . ومن الغريب أن المومياء المجففة كانت خير دواء . ولهم في ذلك أسلوب لاستخراج المادة الدوائية لا محل لتفصيلها

ومن أنواع التدجيل الذي يستحق الذكر ان الطبيب سنت جون لنغ الارلندي كان يزعم انه يشفي معظم الامراض ومن الجملة السل بنوع واحد من المروخ ونوع آخر من البخار

وكانت له مستوصفات مختلفة والناس يتألبون عليه من كل فج وصوب ومن كل طبقة حتى أن الشرفاء والنبلاء لم يدعوا مجالاً للعامة . ويقال ان دخله السنوي كان يبلغ نحو ٦٥ الف جنيه . وقد بيعت صيغة دوائه بعد موته بخمسين الف جنيه . والحقيقة ان الثمن كان ثمن شهرة الدواء لا ثمن الدواء نفسه

ومع أن الحكومات في العهد الاخير الذي ارتقى فيه الطب ارتقاء عظيماً جداً سنت قوانين لمقاومة التدجيل فان كثيراً من الادوية الجاهزة (سبيسياليته) لا تستحق شيئاً من الشهرة التي لها وانما البذل في سبيل الاعلان عنها جعل لها قيمة وشهرة ودرّت الثروة الطائلة لذويها

ومحور التدجيل هو أن فريقاً من الناس يغتنمون الفرصة للاستفادة من مصائب فريق آخر حتى يصح قول القائل مصائب قوم عند قوم فوائد

مدفع الطمع

يا من يبشر أنَّ الحرب قد خمدتْ ... نيرانها لا تصدق كلَّ مبتدعِ
فما المدافع في الدنيا بساكتةٍ ... ما دام في كل نفس دافعُ الطمع

حليم دموس

حدثيني

ذكرى قديمة

— ١ —

حدثيني عن الهوى حدثيني ان ذاك الحديث مرآة ديني ويقيني

يومَ كنا وسعدُنا يتبسمْ يومَ كنا والقلبُ خال من الهمْ والشجونِ

كنتِ قربي وكنت طفلاً صغيرا نتهادى بين الكروم سرورا كالغصون

نتوارى عن الرفاق ونبدو والى التينة الصغيرة نعدو كلَّ حين

لا خداعٌ لا غيبةٌ لا انتقامُ من ألف ولا أذى أو خصامُ من قرين

نتجارى الى الثمار الدواني ونمدّ الايدي الى أفنان ذات لين

ننصبُ (الدبق) لاصطياد الطيور فنرى البعض عالقاً كاسيرِ ذي أنينِ

* * *

حدثيني عن الطفولة سلمى كيف مرّت كالحلم رغداً وسلما حدثيني !

حدثيني عن طلعة الاسحارِ وخرير المياه في الانهار حدثيني !

عن ليالي الشتاء حول النار عن جمال الازهار في أيار حدثيني !

عن غرام ما حل حتى توارى كهزار دنا فغنى فطارا

حدثيني !

عن حياة كانت عفافاً وطهرا عن حديث كالزهر طيباً ونشرا

حدثيني !

ليس ينسى قلبي الخفوق هواك يا سليمى اذ ليس قلبُ فتاك

بخؤون !

— ٢ —

ذكّريني بذلك العهد سلمى كم قتلنا الاوقات لهواً ولَثْما

ذكريني !

ذكّريني بأنس تلك الليالي واعتناق الروحين بين الظلال

والسكون

نتردّى من الدجى بدثار لا رقيب سوى عيون الدراري

من عيون

يا حنيني الى مراشف فيكِ يا حنيني الى سناً ضاء فيك

يستبيني

كيف أنسى بروز ذاك النهد كيف أنسى اشراق ذاك الخدّ

والجبين ؟

وا حنيني الى ابتسامة ثغرك وا حنيني الى تموج شعرك

وا حنيني !

آه لو تنظرين في أعضائي هزّةً مثل هزّة الكهرباء

تعتريني !

* * *

حدثيني عن الطفولة سلمى كيف مرّت كالحلم رغداً وسلما

حدثيني !

حدثيني عن طلعة الاسحار وخرير المياه في الأنهار

حدثيني !

عن ليالي الشتاء حول النار   عن جمال الازهار في ايار
حدثيني !
عن غرام ما حل حتى توراى   كهزار دنا فغنى فطارا
حدثيني !
عن حياة كانت عفافاً وطهرا   عن حديث كالزهر طيباً ونشرا
حدثيني !
ليس ينسى قلبي الخفوق هواك   يا سليمى اذ ليس قلب فتاك
بخؤون !

— ٣ —

فاذا متُّ عن بلادي غريبا   ورأيت الاحباب تبكي الحبيبا
فاندبيني
واذا ما عرفتِ أين ضريحي   فاقصديه فثم هيكل روحي
يبتغيني
فعسى ان نقلت بعض رفاتي   لبلادي وجُدتِ بالعبرات
تنعشيني
ان دمعاً يهمي انعطافاً عليَّا   يا سليمى يعيد روحي إليَّا
صدّقيني !
راقبي الورد فوق قبري صباحا   فهو قلبي كنفحة الطيب فاحا
فانشقيني
واقطفي زهرة الهوى واحفظيها   واذكريني بها فان تلثميها
تلثميني
واجلسي قرب تربتي يافتاتي   وعن الحب في ربيع حياتي
حدثيني !

* * *

حدثيني عن الطفولة سلمى   كيف مرت كالحلم رغداً وسلما
حدثيني !

حدثيني عن طلعة الاسحار وخرير المياه في الانهار

حدثيني !

عن ليالي الشتاء حول النار عن جمال الازهار في ايار

حدثيني !

عن غرام ما حل حتى توارى كهزار دنا فغنى فطارا

حدثيني !

عن حياة كانت عفافاً وطهراً عن حديث كالزهر طيباً ونشرا

حدثيني !

ليس ينسى قلبي الخفوق هواك يا سليمى اذ ليس قلب فتاك

بخؤون ! . . . .

حليم دموس

حكم

من كتم سره جهل عدوه أمره

من نقض عهده ومنع رفده وأظهر حقده فلا خير عنده

من فرح بمدح الباطل فقد أمكن الشيطان من نفسه

من أظهر عيب نفسه زكاها

من طاعت له نفسه طاع له غيره

من أنفق عمره في جمع المال خوف العدم فقد أسلم نفسه للعدم

من أحب الحياة لنفسه أماتها

من كرمت عليه نفسه صغرت الدنيا في عينه

من سكر من خمرة الدنيا هلك في خمار الهوى

من قبل فم اللذة عضته أسنان الندامة

من عرف بالحكمة لاحظته العيون بالوقار

من تجرع اللوائم في موافقة الحق رد الله تلك اللوائم حمداً ومن آثر المحامد في موافقة الحق ردّ الله تلك المحامد ذماً

اغرب الجرائم التاريخية

مَن قتل مستر براڤو ؟

[الهلال] في هذه القصة سر من الاسرار القضائية التي لا تزال تشغل الباحثين في الاجرام الى هذا اليوم . وهي من الجرائم المعضلة التي كان لها شأن عظيم في اوربا

— ١ —

من قتل مستر براڤو ؟ ولماذا ؟

هذا كان حديث الناس في انكلترا في أواخر حكم الملكة فكتوريا اذ كانت احدى المحاكم الانكليزية منهمكة في قضية جنائية انتشرت أخبارها في البلاد انتشار الامواج في الخضم . ثم انتهت القضية وبقي الناس يتساءلون من قتل براڤو ؟ ولماذا ؟ لانَّ مقتله بقي سراً من الاسرار التي لم يكشف عنها الستار

واليك تحرير الخبر :

كانت فلورانس ريكاردو أرملة في ربيع الحياة لا تجاوز سنها العشرين كثيراً وقد علقها الدكتور جولي وهو يناهز الستين وذو زوجة . على انه كان ذا مكانة سامية في ظهرانيه . وأما فلورانس فكانت ذات ثروة طائلة تعيش حسب هواها . وأما أهلوها فكانوا مستائين شديد الاستياء من علاقتها مع رجل متزوج كالدكتور وقد توسلت أمها اليها مراراً ان تقطع هذه العلائق . ولما لم ترعو أبت ان تراها بعد ذلك

والظاهر ان فلورانس خافت من تفاقم الخلاف بينها وبين أسرتها ومن افتضاح أمرها ولعلها ملّت عشرة الدكتور ايضاً فأخبرته ذات يوم ان علائقهما يجب أن تنقطع وانهما لن يلتقيا بعد . فرضخ الدكتور جولي لهذا الحكم الصارم مكرهاً بيد انه بقي يسكن على مقربة من منزل حبيبته على بعد بضع مئات من اليردات

ولم يكن يعلم بحقيقة هذه العلائق بين الدكتور وتلك الحسناء سوى امرأة واحدة تدعى مسز كوكس وكانت وصيفة لفلورانس وصديقة لها وكانت تقبض منها جعلاً . وقد نالت هذه المرأة شأناً عظيماً في القضية حتى ملأ ذكرها الخافقين

واتفق على اثر انقطاع علاقة فلورانس مع الدكتور جولي ان هذه الحسناء الارملة المثرية تعرفت بفتى يدعى تشارلس براڤو وقد تخرج في اوكسفورد وحصل

على شهادة محام وهو على جانب من الذكاء . وكان الابن الوحيد لامه والعزيز لدى زوجها الثاني الذي كان ينوي ان يجعله وارثاً له وللقبه أيضاً

وقد أولع تشارلس برافو أيّ ولع بهذه المرأة وطلب يدها زوجة وبالرغم من أن هذه المرأة تعودت عيشة الاستقلال والحرية احبته حبًّا مفرطاً ورضيت أن تتقيّد معه بزواج

وفي ابان ثورة هذا الحب برزت مسز كوكس من وراء الستار لتلعب أدوارها . وكان اول ما فعلته أنها حملت فلورانس ريكادو ان تعترف لتشارلس برافو بعلاقتها السابقة مع الدكتور ففعلت فلورانس كذلك ولكن تشارلس اغتفر لها الماضي . ثم حاولت مسز كوكس ان تحمل الفتى على ان يبوح لامه بسرّ المرأة التي ستكون زوجته ولا سيما لان امه كانت تعارض في هذا الزواج ولعلها كانت غيورة من هذه الحسناء التي فتنت ابنها . ومهما كان غرض مسز كوكس من هذا السعي فان نتيجته لم تكن الا لتزيد تعلق الفتى بفلورانس . فقد وعدها تشارلس بالزواج ولم يشأ ان ينقض عهدهُ لها ولا سيما لانها اكتسبت ثقته بها بعد ان جلت لهُ ماضيها . وأخيراً تزوّج الاثنان برضى أهليهما . واتفق الاثنان على ان تبقى مسز كوكس معهما كمدبرة لمنزلها بالرغم من ملاحظة احد اصدقاء تشارلس انه يستهجن ان يكون بين الزوجين ثالث لهما . واجاب تشارلس على هذه الملاحظة بان زوجته تحبها وان مسز كوكس تكون نافعة لهما

ولما كان تشارلس برافو يحب زوجته حباً مفرطاً لم يأنف ان يسكن معها في منزلها الذي قضت فيه أيام ترملها في بكنهام على مقربة من منزل عاشقها الدكتور جولي

— ٢ —

ومن ثم بدأت حياتهما الزوجية تغشاها غياهب النكد بالرغم من ان هذين الزوجين كانا كلاهما في ربيع الحياة وفي بحبوحة من العيش فان دخلهما معاً لم يقل عن خمسة آلاف جنيه في العام

وكان تشارلس مولعاً بزوجته أي ولوع فلم يكن يعصى لها امراً حتى في الامور البسيطة فكان يلبس ما تشاء ويفعل ما تروم . وكان اذا فارقها بشغل شاغل كتب لها من آيات الحب ما في قريحة الشاعر الحسّاس . ومن أمثلة كتاباته لها :

« زوجتي الحبيبة العزيزة : ــ لم افتكر في هذا الصباح الا بالفتاة الحلوة التي تركتها . ومع اني قضيت النهار في الهواء الطلق العليل لا اشعر اني سعيد ولا اكون سعيداً الا متى عدت اليك . وستجدين اني افضل الازواج »

ومنها : ــ

« عزيزتي فلورانس : ــ ان امي المسكينة تتوق ان اعود لتسكني معها وانا واثق انك اذا سمعت ما تتكلمه عنك من الكلام اللطيف لا تأبين وجودي معها . لا اقدر ان اكون سعيداً في البعاد عن افضل الزوجات . ان غرضي الوحيد من الحياة ان اجعلك سعيدة ولي الامل ان انجح »

ولا يخفى ان الحب الشديد محفوف دائماً بالغيرة الحادة . فمع ان تشارلس براڤو كان يسرُّ زوجته بما يبديه من سرائر الغرام لها فقد كان يزعجها بما يبدو من غيرته عليها . على انه لم يكن غيوراً من زوجها السابق الكبتن ريكادو الذي كان ضابطاً في الحرس وكان على غاية من الابهة والرجولة وانما كانت غيرته من عاشقها السابق الدكتور العجوز

ولو كان هذا الدكتور قد قضى نحبه لهان عليه سلوان امره . ولكن النكبة النكباء في ان هذا الدكتور الخبيث ما زال حياً يقطن على مقربة منه

فكان اذا مرّ من امام منزل هذا الدكتور راكباً على جواده لا يصل الى منزله الا والعرق يقطر من الجواد لان انفعال الفرس من وراء انفعال الفارس . وعلى ذلك لم يستطع صبراً عن مضاجرة امرأته في موضوع كان قد وعدها ان يتناساه . العياذ بالله من الغيرة . انها الداء القاتل واقتلها غيرة الرجل على المرأة !

وقد حاولت فلورانس ان تقنعه انها قطعت علاقتها مع الدكتور منذ زمان قبل ان تتعرّف به وانها فعلت ذلك بملء اختيارها ورغبتها وانها لم تبق ذات علاقة معه على الاطلاق . واذ كرته بوعده ان يتجنب تذكار ذلك الماضي او ذكره او تذكيرها به . فما باله يقرب من هذا الموضوع حيناً بعد آخر

واخيراً ساءت صحة فلورانس من جراء مضاجرة زوجها لها بهذا الموضوع ورغبت في تبديل الهواء . فلما برحت شعر تشارلس باساءته لها وكتب لها كتاباً آية في الغزل : ــ

« عزيزتي الزوجة المحبوبة : ــ اعلم انك افضل الزوجات . لقد كانت بيننا عشرة مرة ولكني اثق انه من الآن فصاعداً لن يخامر حياتك الهنيئة شيء من النكد . واشعر ان كثيراً من كلماتي لك وان كانت لطيفة المعنى فقد كانت نزقة اللفظ . وفي المستقبل ان لم يكن

بد من التأنيب لا سمح الله فيكون بمنتهى اللطف . أتمنى لو يمكنني ان ابيت في غير المنزل الى ان تعودي . فتعالي باسرع ما يمكن الى زوجك المكرس نفسه لك . اني في وحشة لفراقك يا حبيبتي . ومتى عدت فسأعنى بك حتى لا تعودي تبتغين فراقي . لقد تمشيت نصف ساعة منتظراً رسالة منك الى ان جاء ساعي البريد وهو يصفر طرباً . ولكن لم يكن مع هذا الثقيل كتاب لي »

مرّ العام على حياتهما الزوجية وتشارلس يتحوّل من الزوج العاشق الى الزوج الغيور حتى صار لهبة غيرة . وكان في بعض الاحوال يضطر زوجته التعسة أن تمشي معه أمام منزل الدكتور وهناك يسألها : « هل ترين احداً ؟ » فتجيبه : « لا . لم التفت ولم أتطلع » . ثم يعودان الى منزلهما وفلورانس متألمة ذليلة من هذه المعاملة حتى متى شعر تشارلس بمذلّتها خجل من نفسه لعدم استطاعته ضبط هواه

وكان تشارلس احياناً يتلفظ ببعض الفاظ التهديد فيقول مثلاً : « اشعر أني اود ان اشنق نفسي حين يخطر لي ذلك الخبيث » (الدكتور). واحياناً يقول : « مهلاً سترين ما ذا افعل حين اعود الى المنزل » ثم يعود الى صوابه في الحال ويتقدم الى زوجته طالباً ان تقبله لكي تصلح الامر بينهما وحينئذ يعترف أنه ما من احد في الدنيا له زوجة لطيفة وحسناء كزوجته

وما توقف الامر على الغيرة فقط بل ظهر من اخلاقه خلق آخر وهو القلق على الفلوس والشكوى من النفقة ودعوى قلة المال ولا يخفى ما في ذلك من النكد للمرأة . ففي ذات يوم كتب لها قائلا : « اني في وحشة هائلة لك . اتمنى ان ابذل مئة جنيه - لولا ان الاحوال (المالية) ضيقة - لكي آتي بك اليّ سريعاً »

والغريب ان يشكو من ضيق الاموال وهما كلاهما في يسر . وكان يتذمر كثيراً من بذل الاجرة التي كانت تعطى لمسز كوكس لاجل تدبير المنزل . وعبثاً كانت زوجته تحاول ان تقنعه انها عائشة في رخاء من ايرادها الخاص . وكان يقنعها بأن تقتصد وتوفر ويلومها اذا ابتاعت هدايا لصديقاتها

وفي ذات يوم كتب اليها : « اذا كنت تستغنين عن مسز كوكس وعن جواديك توفرين ٤٠٠ جنيه في السنة ومع ذلك تعيشين برخاء . على أني اريد حبك فقط وبغير حبك ليس الغنى والشرف شيئاً »

والظاهر ان تشارلس براڤو لم يقصد التوفير بذلك بل اراد ان يتخلص من وجود مسز كوكس في منزله لانها كانت عالمة بماضي زوجته ولم تكن جاهلة غيرته المرّة

عليها . ولكنه لم يستسهل فصل هذه المرأة من المنزل الذي كانت فيه قبله

وقد جرى حديث بشأن سفر مسز كوكس الى الهند الغربية حيث كان لها بعض المصالح . وعرض زوج ام تشارلس ان يدفع لها اجرة السفر . ولكنها رفضت

تلك كانت صورة الحياة في منزل مسز برافو (فلورانس) الى ان حدثت الحادثة الأليمة التي هي نواة هذه الحكاية

— ٣ —

في أحد ايام الربيع وتشارلس لا يزال شغفاً بزوجته غيوراً عليها ويود ان تكون معه في أية حال حملها على ان تأخذه بالمركبة الى منزله . وفي الطريق حدث خصام كالعادة ولكنه كان خصاماً شديداً وثار غضب تشارلس ولعن الدكتورجولي الى ان قال اخيراً : « لن استطيع الاحتمال بعد الآن . يخطر لي احياناً انه لا بد من انفصالنا »

فتألمت فلورانس شديد الألم من ذلك وقالت انها فعلت كل ما في وسعها لجعله سعيداً واذكرته بوعده ألاّ يذكرها بماض . فأثرت دموعها فيه وفعل كلامها في نفسه فاعترف انه أساء اليها وطلب ان تقبله . فرفضت . فقال : « اذا لم تقبليني فسترين ماذا افعل متى وصلت الى البيت » فقبلته وتصالحا

ثم عادت فلورانس وحدها الى منزلها وروت كل ما كان لمسز كوكس . وفي اثناء ذلك تغدى تشارلس مع احد أصدقائه . ثم عاد الى المنزل . وحسب عادته ركب احد جياد زوجته . ولما عاد ثانية شكا من التعب لانه لم يستطع قياد ذلك الجواد

ومع ان برافو كان لا يزال تعباً وزوجته لم تزل ضعيفة على أثر المرض وكان عليهما أن يرتاحا في سريريهما — مع ذلك جلسا لدى المائدة ومسز كوكس معهما . وكان عشاؤهما كالمعتاد وفيه الخمر للجميع ونوع من الشراب يدعى « شري » للمرأتين ونوع آخر يدعى « برجندي » لبرافو

وفي اثناء العشاء جرى حديث لطيف بين برافو وصديقة زوجته مسز كوكس ولما تركا غرفة المائدة ذهبت مسز كوكس الى مخدعها كعادتها . وبقي برافو وزوجته في الغرفة المسماة غرفة الصباح ربع ساعة ثم ذهبت فلورانس الى مخدعها وبقي تشارلس برافو في الغرفة يدخن برهة من الزمان . ثم صعد الى مخدعه المجاور لمخدع امرأته

وبعد بضع دقائق فتح باب مخدعه وصاح : « فلورانس . فلورانس . هاتي ماء مسخناً »

فأسرعت مسز كوكس الى غرفته . واما فلورانس فادعت بعدئذ أنها لم تسمع نداءه لانها كانت نائمة مع ان مسز كوكس وسائر الخدم سمعوه

ثم قال لهذه كلاماً كانت له اهمية بعدئذ

وقد ارتاعت مسز كوكس من حالة تشارلس فأسرعت الى غرفة زوجته وايقظتها واخبرتها ان زوجها مريض جداً فلبست فلورانس ما تيسر وعجلت الى غرفة زوجها فوجدته مضطجعاً على الارض قرب الشباك ومسز كوكس تدلك صدره . أما تشارلس فلما رأى زوجته قال لها انه في ألم شديد

وفي الحال استدعي طبيب . وما اكتفت فلورانس بذلك بل ارسلت من يستدعي طبيباً آخر . وبعد بضع دقائق حملت السائس ان يسرج جواداً ويسرع الى طبيب ثالث بارع لزوجها ثقة كبرى فيه

حضر الاطباء الثلاثة . وبعد ان فحص احدهم العليل اشار باستدعاء طبيب رابع مشهور لاستشارته في الامر . ففي الحال كتبت فلورانس الى الدكتور السيروليم جل وأرسلت مسز كوكس بالرسالة الى لندن . فما تردد السير جل في ان وافى في الحال ولا سيما لانه كان ذا معرفة بأسرة براقو

وكان هذا الطبيب مشهوراً بحذقه وسمو اخلاقه وعنايته بالملك ادورد (يوم كان وليّ عهد) في حين كان تحت خطر المرض . فلما فحص السير جل العليل واجتمع بزملائه قرروا جميعاً ان الرجل مسموم بسم قاتل وطلب الثلاثة الى زميلهم المشهور ان يكتشف نوع السم

فعاد السير جل الى جنب العليل ونظر فيه نظرة أسف وقال :

— يا مستر براڤو. لقد تجرعت سماً

— نعم . تجرعت لودنم

— كلا . بل أخذت شيئاً آخر غير اللودنم . فاذا مت من غير ان تعترف بالحقيقة فلا بد ان يتهم آخر سواك

— اقسم اني لم آخذ شيئاً غير اللودنم . فقد اخذت لودنم لتخفيف ألم سني

ومع ان مسز براڤو لم تكن على وئام مع حماتها أرسلت اليها في الحال خبراً

تستدعيها لمجاءت هذه مع زوجها لترى حال ابنها الوحيد

ومع ان السير وليم جل كان طبيباً لا يفرغ من العمل في لندن بقي يعالج المريض ويحاول أن يستخرج منه الحقيقة عن سمه ولكن بلا جدوى . وأخيراً اختلى به وحده وقال :

— لا أريد ان ازعج رجلاً محتضراً . ولكن ما دام عندنا وقت أرجو منك ان تخبرني ما هو السم الآخر الذي تجرعته مع اللودنم

فأجاب براڤو : — الله يشهد . اني لم أتجرع غير اللودنم

وفي هذا الوقت الحرج وجميع من في المنزل يبذلون جهدهم في انقاذ حياة تشارلس براڤو كان هذا الرجل يظهر لطفاً فائقاً لزوجته ولا يحتمل ان تفارقه لحظة . وكان يتوسل اليها أن تذهب وترتاح في سريرها لانها تعبت . وقد شهد كثيرون انه كان يروي لامه عن حب فلورانس واخلاصها . وتوسل الى أمه ان تعاملها بغاية اللطف . وكذلك كانت عواطفه نحو مسز كوكس رقيقة ولطيفة

وبعد خمسين ساعة بذل الاطباء فيها جهدهم لانقاذ حياته على غير طائل لفظ نفسه الاخير

ومن فحص الجثة ثبت أن براڤو تجرع جرعة من ترترات الانتيمونيا المسمى الطرطير المقيئ لا تقل عن ٤٠ قمحة وهي جرعة مميتة لا محالة وقد اعتقد الاطباء انه تجرعها مع البرجندي الذي ترشفه مع العشاء

والظاهر أن زوج أمه اشتبه ببعض من في المنزل فقد ختم كل اشياء تشارلس واخذ مفاتيح ادراجه وخزائنه مع أنه لا حق له في كل ذلك . فاستاءت فلورانس من عمله هذا وكتبت اليه كتاباً تسأله عن سبب هذا العمل وتبدي فيه امتعاضها منه

— ٤ —

ولا يخفى أن موتاً فجائياً كهذا يستلزم تحقيق البوليس . وفي الحال كتبت مسز كوكس باسم فلورانس براڤو الى المحقق أن يجري التحقيق في منزل الحادثة لا في مكان عمومي . وأوعزت باعداد المرطبات للمحققين

ومع أن تقديم المرطبات غير سائغ في مثل هذه الحوادث — وان ساغ على اعتبار أن براڤو مات من جراء حادث بالقضاء والقدر — فلم يعترض عليه . وقد جرى التحقيق

في المنزل ولم يكن احد من مكاتبي الصحف موجوداً . على ان بعض الصحف سعت في الحصول على تقرير الحادث ممن حضروا التحقيق ونشرت التقرير بالتفصيل. وظهر منه أن مسز كوكس أدت شهادتها وأما الارملة الجديدة مسز براقو فلم تؤدها لانها كانت مريضة . وكان من نتيجة نشر التفاصيل في الجريدة أنه استحال على أسرة براقو اعتبار المسألة منتهية

ولذلك عقد بعض اصدقاء براقو الشرعيين اجتماعاً وتشاوروا في الامر وقرروا أن يرفعوا عريضة الى وزير الداخلية ملتمسين الامر باعادة التحقيق . وبناء على ذلك أوعز الى المستر وليم كارتر أن يجري تحقيقاً جديداً . فجرى التحقيق علناً في فندق بدفورد في بكنهام . ومع ان هذا التحقيق لم يكشف الستار عن سر القضية فقد جعل الحادثة شهيرة . فان رجال القضاء قدحوا زناد افكارهم وذكائهم في التحقيق حتى جعلوا القضية على جانب عظيم من خطارة الشأن . ودفعت أم المتوفى الف جنيه للسير جورج لويس ــ وهو من اذكى رجال القضاء في انكلترا ــ لكي يراقب مجرى التحقيق . ومن الجهة الاخرى وكل أبو فلورانس اللورد جايمس أف هرفورد وهو من مشاهير المحامين ايضاً للدفاع عن ابنته

وتعين السير جون جورست من قبل العرش والسير هنري بولاند مدعياً عمومياً . ولكن بعد ذلك تعين السير جون ووكر من قبل العرش . وتعين مستر مورفي ومستر براي عن مسز كوكس

لم تبق شبهة في أن تشارلس براقو مات بفعل الطرطير المقيئ . فبقيت صيغة القضية هكذا : كيف تجرَّع هذا السم ؟

واستحال لاول الامر ترجيح أحد الفرضين : هل مات الرجل منتحراً او بفعل فاعل ؟ وقد شهد شهود عديدون ان تشارلس براقو كان سعيداً وناجحاً وواسع الآمال ومملوءاً حياةً ونشاطاً . وأما من حيث حياته العائلية فقد ثبت أن كل حركة من حركاته وكل كلمة من كلماته كانت مملوءة حبًّا لزوجته . وجميع الشهود ومنهم خدم المنزل شهدوا أن زوجة براقو كانت لطيفة لينة العريكة دمثة الخلق متعلقة بزوجها وخير معوان له

والشخص الوحيد الذي ظهر من شهادات الشهود انه غير محب لتشارلس هو مسز كوكس رفيقة فلورانس وصديقتها . فقد شهد بعضهم ان براقو كان يريد أن يتخلص من

علاقتها بزوجته . ولكن مع ذلك ثبت بشهادات الشهود ايضاً أنهما كانا على وئام وأن تشارلس كان يمتدحها ويتكلم عنها كلاماً حسناً

ولذلك وجدت مسز كوكس نفسها في موقف حرج وللتخلص منه لم ترَ بداً من فضح الاسرار المختصة بعلاقة مسز براڤو القديمة مع الدكتور جولي تنويراً للمحكمة ـ الامر الذي دهش له الجمهور

وقد فضحت هذه الاسرار بناءً على دعواها ان تشارلس براڤو أسرَّ اليها في احدى ساعات تألمه أنه تجرع السم لاجل خاطر الدكتور جولي . واوصاها ألا تقول ذلك لفلورانس

وقد قرنت مسز كوكس هذا الاعتراف بتعديل له وهو قولها : « ان علاقة فلورانس بالدكتور قبل زواجها الثاني وان كانت تهوراً وطيشاً فقد كانت شريفة وخالية من الملامة » . وسواء كانت تروم أن يعتقد بصحة قولها هذا او لا فما لبثت ان اضطرت بمضاجرة المحكمة لها في الاسئلة أن تعترف بانها كذبت في ذلك القول وانها كانت عالمة أن علاقة الاثنين لم تكن شريفة

وهكذا اتضح ان سلوك فلورانس في حياتها الماضية هيأ داعياً او دواعي لموت تشارلس براڤو ـ داعياً عند فلورانس اذا كانت لم تزل تحب الدكتور جولي ـ وداعياً عند الدكتور جولي وهو حينذاك ارمل ـ وداعياً عند براڤو نفسه للانتحار عند علمه أن زوجته التي يحبها قد احبت غيره ولا تزال تحب شخصاً آخر

ان فضح هذه الاسرار اقام انكلترا واقعدها واصبح الجمهور يتشوف الى نتائج التحقيق بعضه مشفقٌ وبعضه متأثرٌ . ولما صبغت القضية بهذه الصبغة الخطيرة الشأن ظهر المدعي العمومي ممثلاً العرش لاستجواب مسز براڤو وتعين المستر جنت باري ممثلاً للدكتور جولي . وهكذا صار الجمهور يتطلع الى ما تقوله مسز براڤو بل الى جهادها في سبيل انقاذ حياتها وشرفها

وأهم نقطة في هذا الموضوع شهادة الدكتور السير وليم جل الذي كان يعتقد تمام الاعتقاد ان فلورانس لم تكن لهـا يد مطلقاً في موت زوجها . وكان يؤيد هذا الاعتقاد في أحاديثه خارج المحكمة . وقد روى السير جل حديثه مع تشارلس براڤو قبل موته وهو بنصه : (« أنك مائت بفعل السم فبالله تخبرني كيف تجرعته » . فاجاب براڤو : « تجرعته بنفسي ») وكان لسماع هـذا الحديث تأثير في الجمهور .

ولكن قيمة هذا القول ضعفت حين روى السير جل ان برافو أضاف الى ذلك القول قوله : « لقد تجرعت اللودنم لا غيره »

وقد استغرقت شهادات الشهود من الاطباء الذين شاهدوا حالة المريض مدة احتضاره والخدم الذين كانوا يحفون به في المنزل بضعة أيام ولكن لم يكن في شهاداتهم ما يجلو الحقيقة أو يكشف الستار . وأخيراً طلبت مسز كوكس لتأدية شهادتها والجمهور يتشوق الى ما عسى ان تقول هـذه المرأة وهي القابضة على مفتاح الاسرار . وقد رنى لها الجمهور وهي بين يدي أزكى المحققين وأمهر المستجوبين وأحيل المستنطقين وظنَّ أنها ستزل مراراً في التحقيق . ولكن ظهر أنها قاومت الجميع واستظهرت عليهم

وقد استخرجت الحقائق من فمها كاستخراج السن بالكلاَّب فروت كيف ان فلورانس المسكينة اعترفت لتشارلس بعلاقتها الماضية مع الدكتور جولي وكيف ان تشارلس سامحها وغض الطرف عن ماضيها ووعد ان يسبل ستاراً عليه . وكيف انه لم يبرَّ بوعده بل كان بعـد ذلك يضاجرها بذكر الماضي . وأخيراً ختمت روايتها باقرار تشارلس لها ساعة احتضاره انه فعل ذلك بنفسه لاجل خاطر الدكتور جولي وأصرت على ان قوله يؤيد أخباره

ثم قالت مسز كوكس أيضاً أنها بناء على طلب فلورانس ذهبت الى الدكتور جولي في حين كان برافو يحتضر . ولا يخفى ما كان من تأثر الرأي العام عند هذه الرواية . ولكن خاب ظن الذين كانوا يجرمون مسز برافو بناء على هـذه الشهادة ـ خاب ظنهم لما قالت مسز كوكس نفسها ان فلورانس قصدت من ارسالها الى الدكتور جولي استشارته (وهو طبيب بارع) في كيف يمكن تخفيف ألم زوجها وانقاذ حياته في تلك الساعة الحرجة

وقد ضايق المدعي العمومي مسز كوكس أي مضايقة في الاستجواب لان غرضه انما كان الوقوف على مقرّ الحقيقة في أقوالها وقد أذكرها بقسمها ان تقول الحقيقة ثم اتهمها بانها مخاتلة

فلم تجب على هذا التأنيب بل بقيت صامتة مرتبكة تفكر . وقد بذلت جهدها في ان تجتنب اداء الشهادة مرة أخرى بشأن علاقة فلورانس مع عاشقها القديم الدكتور

جولي . ولكن المدعي العمومي أحرجها الى ذلك فسألها : — هل تعلمين ان الدكتور جولي كان عاشقاً لمسز براڤو ؟

فاجابت : — أظن اني أعلم . لقد استنتجت ذلك من تكرار مجيئه الى المنزل وثمت جعلت تقول قولاً ضاراً جداً في مصلحة صديقتها مسز براڤو . الى ان قالت أخيراً انها كانت عالمة ان فلورانس كانت قد وعدت ان تتزوج الدكتور جولي اذا ماتت زوجته

وبعد ما انتهت شهادة مسز كوكس حانت الساعة التي كان ينتظرها كل من حضر التحقيق وهي ساعة حضور فلورانس براڤو . فصعدت الى كرسي الشهادة مكفهرّة جميلة في ثوب حدادها

وقيل انها كانت شديدة الاضطراب حين قبلت الانجيل وأقسمت ان تقول الحق . ولكنها لما انتهت من القسم اعتدلت في مكانها وملكت روعها وكشفت النقاب عن وجهها وجعلت تجيب على الاسئلة المؤلمة والمذلة بصوت جلي واضح

وبالطبع لما كان محاميها يستجوبها كانت تروي الحكاية بغاية البساطة والسهولة . ولكن لما سألها الخصوم ولا سيما محامي براڤو وجدت نفسها في أحرج المواقف وأشدها هولاً

وقد أحرجت أي احراج واضطرت الى كشف شؤونها المخجلة حتى رثى لها أحد الصحفيين وكتب : « لقد كان الموقف يدعوني الى الاشفاق اذ رأيت امرأة تعد السمعة أمراً عزيزاً جداً وقد سُلبت سمعتها من جراء أسئلة قاسية وعنيفة اضطرتها ان تعترف بما يحط من شرفها »

وفي خلال هذا الامتحان الهائل احتجت على هذه القساوة في الاستجواب ووقفت وقالت لمستجوبها : — ان البحث في مسألة الدكتور جولي لا شأن له في هذه القضية ـ أي موت تشارلس براڤو . وأما فيما يخص هذه القضية فاني أجيب على كل سؤال . لقد قاسيت كل مذلة وهوان بهذا الشأن فكفى . اني استنجد بالقاضي وبالمحلفين كرجال وكبريطانيين وأرجو ان يحموني من هذا الاضطهاد . وأعتقد انه من العار العظيم ان أستجوب على هذا النحو . اني أرفض ان أجيب على أي سؤال يتعلق بالدكتور جولي

ولكن هذا الاحتجاج لم يغنِ فتيلاً . فقد اضطرت ان تجيب على عدة أسئلة .

ولما أذكرت بغيرة زوجها ومضاجرته لها خانتها نباهتها . وحينئذ اضطرت ان تقدم الرسائل التي كتبها لها زوجها قبل زواجهما وبعده وكل ما عندها من الرسائل التي اعتقد المحامون والمدعي العمومي أنها لازمة حتى ولو كانت ماسة بشرفها

ولما سئلت : « ألا تشعرين نحو مسز كوكس بنفس العواطف التي كنت تشعرين بها من قبل ؟ » توقفت عن الجواب كأنها تمتحن عواطفها ثم قالت : « أظن انه كان في وسعها أن تغنيني عن كل هذه الاسئلة المؤلمة »

وقد طال استجواب مسز براڤو من كل جانب . وانتهى من غير أن يؤدي الى نتيجة مفيدة عن سر موت تشارلس براڤو

على ان مسز براڤو الام وزوجها — اللذين لم يودّا فلورانس كما تقدم الاشارة الى ذلك — كانا يعتقدان ان فلورانس سببت موت تشارلس . وقد بذلا جهدهما في اوائل التحقيق ان يحصلا على برهان دامغ على صحة هذا الاعتقاد فما ضنّا بمال ولا بسعي في هذا السبيل . وأخيراً اكتشفا حوذياً كان في الزمن الماضي في خدمة الدكتور جولي ثم في خدمة فلورانس وقد تحققا منه انه اشترى مرة لاجل الدكتور جولي الطرطير المقيء منذ سبع سنين

فأتي بسجل الصيدلي الذي باع الطرطير المقيء . وحدث في المحكمة اضطراب حين قرئ فيه ما يأتي :

« اسم الشاري : جولي

« اسم السم الذي بيع ومقداره : اوقيتان من الطرطير المقيء »

ولكنَّ محامي الدكتور جولي انبرى في الحال وقال ان الحوذي اشترى هذا السم من غير علم سيده لمعالجة جواده وان ما بقي من هذا السم بعد ذلك رمي في النار منذ خمس سنين قبل زواج تشارلس براڤو وفلورانس .

وقد علقت أهمية على هذه الشهادة لان الدكتور وفلورانس افترقا على غير ولاء

وبعد مضي ٢٢ يوماً من التحقيق والاستجواب صعد الدكتور جولي الى كرسي الشهادة . وهكذا التقى هذا الشيخ المسن وهو في الكرسي وفلورانس براڤو وهي في دار المحكمة لاول مرة بعد الفراق الطويل

ولا يخفى انه كان لظهور الدكتور جولي تأثير حسن في المحكمة وفي المحلفين وفي الجمهور الحاضر المحاكمة واستهل كلامه بقوله أنه لم يستدع رسمياً للتحقيق ولا

دعاه القاضي وانما جاء بمطلق ارادته . وبالاجمال ايد شهادة مسز براڤو . وانكر كل الانكار أنه اشترى الطرطير المقيء أو أنه وصفه الا بحسب الاصول الطبية

على انه وردت في شهادة الدكتور جولي نقطة ذات قيمة لمصلحة الدكتور وبالتالي لمصلحة مسز براڤو وهي أن زوجة هذا الدكتور مع انها تكبره عدة سنين كانت حتى عهد هذا التحقيق حية ترزق وذات صحة جيدة . ولهذا لا يعقل ان فلورانس والدكتور يتفقان على الزواج بازالة العوائق في سبيله

وقد قال الدكتور بكل اصرار وبكل وقار : — أقسم اني لست ذا شأن مطلقاً لا رأساً ولا بالواسطة بشأن موت تشارلس براڤو . ومنذ تزوجت مسز ريكادو لم تكن لي معها أقل علاقة

وقد اعترف انه رأى مسز كوكس خمس مرات ولكن عن غير قصد منه . وقال انه أوعز أخيراً الى خدمه ألا يسمحوا لمسز كوكس ان تدخل الى منزله وانه لم ينقض هذا الامر مطلقاً

ومما سُئله الدكتور جولي : — أنت تعلم ان مسز براڤو كانت قد بذلت لك اسمها وشرفها . ومع ذلك سكنت على مقربة منها الامر الذي تعلم انه مؤلم لزوجها

فاجاب بحماسة وشدة : — لم أعبأ بمستر براڤو في المسألة قط . نعم انه حال بيني وبين مسز براڤو ولكني لم أحقد عليه لأجل ذلك . لا أنكر ان مسز كوكس سألتني مرة : « ألا ترى ان تركك بكنهام يخفف عنك الألم ؟ » فاجبتها . . . لا . بل سأبتعد برهة . ولكنني لن أعدل عن السكن هنا . ولم تشر مسز كوكس قط الى ان براڤو كان يغار مني . ولا أدري انه رآني مرة . ولا أدري قط اني رأيته في حياتي

ولما انتهى الدكتور جولي من شهادته لم يتكلم المدعي العمومي كما كان ينتظر بل أجمل القاضي القضية بكل عناية وباخلاص نية . وترك المحلفين الحكم في من هو المجرم في قضية براڤو . غير ان كثيرين لاحظوا انه أوهم المحلفين أنه يعتقد ان براڤو انتحر

ثم اختلى المحلفون المفاوضة . فقضوا نحو ساعتين ونصف ساعة يتباحثون حتى نفد صبر الجمهور . والحق ان كل من كان في انكلترا كان يتوقع اعلان الحكم بكل قلق . كانوا يتوقعون التلغرافات المنبئة عمن هو القاتل من الثلاثة المرأتان والدكتور

وأخيراً بدأ وكيل المحلفين وقال : — ان ١٢ من المحلفين الستة عشر أجمعوا على

ما يأتي « وجدنا ان تشارلس براقو لم ينتحر وانه لم يستقبل موته بمجازفة في حياته . وانه أميت عمداً بتجريعه الطرطير المقيء . ولكن ليس من بينة قاطعة على تجريم شخص او اشخاص »

وهو واضح أن هذا الحكم لم يرض أحداً لا الذين قاموا بالقضية ولا الذين همتهم القضية شخصياً . ولا الالوف الذين اهتموا باخبار القضية

وقد استغرقت القضية ٢٣ يوماً وأنفق في سبيلها قدر كبير من المال من العرش ومن جانبي المجنى عليه والمتهمين وقد استجوب نحو ٤٢ شاهداً ولكن لم تبد نتيجة قاطعة قط وانما بقيت غشاوة من الشبهة ملقاة على الذين يظن أنهم اتفعوا من موت براڤو

وفي أثناء التحقيق الثاني عرض محامي الميت ٥٠٠ جنيه جائزة لاي خبر عن كيفية الحصول على الطرطير المقيء الذي مات به براڤو . وبعد اعلان الاتهام عين البوليس ٢٥٠ جنيهاً جائزة لاي شهادة تدل على المجرم أو المجرمين ـ ولكن لم ينل أحد جائزة

وأما مسز براڤو فقد ساءت صحتها وماتت بعد عام وعزي موتها الى ما لقيته من الهوان في هذه القضية

صدر الحكم في القضية ولكن الحديث فيها لم ينته في مدة غير طويلة . فقد كتب بعض الصحفيين والمتشرعين والاطباء كتابات متضاربة في الرد على هذين السؤالين : من سم براڤو ولماذا ؟ ولكن الحقيقة لم تزل سراً مكنوناً

اقوال بعض المشاهير

كلنصو : كل ما أعرفه تعلمته بعد الثلاثين من عمري

لينا كافاليري (أجمل امرأة في العالم) : الدليل على أفضل الحالات الصحية شعور الانسان بانه كالعصفور في خفة جسمه

بن تيلت : ان أولئك المعتوهين الذين لا يعرفون وطناً هم في الحقيقة ألد أعداء أوطانهم

الفواصل

في اللغة العربية

[الهلال] من المسائل التي شغلت ادباء اللغة العربية في نهضتهم الحديثة ، مسئلة الفواصل والعلامات المختلفة التي يستعملها الافرنج في كتاباتهم . فقد تضاربت الآراء في شأنها : ففريق احجم عن استعمالها ؛ وفريق اعتمد عليها او على بعضها . ولا يزال هذا الموضوع من اجدر المواضيع بالبحث والدرس . وحبذا لو ابدى الادباء رأيهم في هذه المقالة التي يرى كاتبها تقليد الغربيين من هذا القبيل .

ان اللغة العربية من أوسع اللغات مادة ، واكثرها أساليب ، وأغزرها معاني ؛ ولكنها ، مع ذلك ، مختلفة التراكيب ؛ حتى انه ليعسر على الانسان أحياناً ان يدرك المعنى المراد من الجملة ، الا بشق الانفس . على ان اللغات الاخرى ، مهما طالت فيها الجمل ، واختلفت تراكيبها ، تراها قريبة الفهم ، خالية من التعقيد ؛ وذلك لأن لها فواصل خاصة ، تفصل بعض الجمل وأجزائها عن بعضها ، وتبين ما بينها من الارتباط على اختلاف درجاته ؛ وبذلك ، يقرب المعنى المراد ، ويسهل ادراكه . فلو كان في اللغة العربية فواصل كالتي في غيرها ، لكانت على حال أكمل من حالها الان .

هذا : وقد اجتهدنا في الاتيان بالقواعد الآتية لاستعمال تلك الفواصل في اللغة العربية ، مستمدين من اللغة الانكليزية ، متصرفين في العبارة بما يناسب حال اللغة العربية . وهذا أوان الشروع ؛ فنقول :

تعريف الفواصل ، وفائدتها ، واقسامها .

الفواصل هي علامات خاصة ، توضع أثناء الكتابة ، لتميز بعض الجمل وأجزائها عن بعضها ، وتبين درجات الوقف اللازم لكل جملة أو جزئها .

وفائدتها انها تجعل المعنى الذي تتضمنه الكتابة واضحاً لدى القارىء ، فيدرك ما يقصده الكاتب ، اكثر مما لو لم تكن هذه الاشارات ؛ وكذلك ، تعينه على تمثيل القراءة ، تمثيلاً يقرب المعنى المراد من ذهن السامع .

يمكن تقسيم الفواصل ، من حيث الوقف وعدمه ، الى ثلاثة أقسام :
(١) ما يختص بالوقف فقط ، كعلامة الوقف التام والناقص ؛ (٢) وما يختص بالوقف وغيره ، كعلامة الاستفهام والتعجب ؛ (٣) وما يختص بغير الوقف فقط ، كالخط الافقي والاقواس .

١ — ما يختص بالوقف فقط

ان الجمل والاجزاء التي يتألف منها الموضوع ، لا بد من ان يكون بينها ارتباط ما ؛ وهذا الارتباط ، يختلف قوة وضعفاً باختلاف تراكيب الجمل وأجزائها في الموضوع . ويبيّن هذا الاختلاف حين القراءة بان يقف الانسان جملة انواع من الوقف ، يختلف بعضها عن بعض : انخفاضاً وارتفاعاً ، وطولاً وقصراً ، على حسب ما بين أجزاء الكلام من الضعف والقوة : أما في الكتابة ، فيقوم مقام هذه الانواع من الوقف علامات (فواصل) خاصة ، كل منها يمثل وقفاً معلوماً ؛ وهذه العلامات هي :

(١) علامة الوقف التام ، وهي هذه « . » ؛
(٢) وعلامة الوقف الاقل تماماً ، وهي هذه « : » ؛
(٣) وعلامة الوقف الناقص ، وهي هذه « ؛ » ؛
(٤) وعلامة الوقف الانقص ، وهي هذه « ، » .

وكلما كان الوقف عند أحد هذه العلامات تاماً ، كان أيضاً طويلاً ، وكان الصوت عنده منخفضاً ؛ وكلما كان ناقصاً ، كان الوقف قصيراً ، والصوت مرتفعاً : فعلامة الوقف التام ، يقف الانسان عندها طويلاً ؛ وعلامة الوقف الاقل تماماً ، يلزم لها نصف ما يلزم للاولى ؛ وعلامة الوقف الناقص ، نصف ما يلزم للسابقة ؛ وعلامة الوقف الانقص [١] ، نصف ما للناقص .

علامة الوقف التام

« . »

توضع هذه العلامة عقب كل جملة ، اذا انتهت ، وكانت مستقلة عما بعدها . وهذا الاستقلال ، اما أن يكون فى المعنى واللفظ ، أو في المعنى دون اللفظ ، او في اللفظ دون المعنى . فالاول مثل : « رأس الحكمة مخافة الله . الحلم سيد الاخلاق . حب

(١) يجب ان يكون الوقف عند علامة الوقف الانقص قليلاً جداً ، حتى لا يتيسر معه وجود وقت للتنفس ؛ وذلك في حال القراءة العادية .

الوطن من الايمان . الصبر مفتاح الفرج . » والثاني مثل : « تولى الوليد بن عبد الملك الخلافة سنة ست وثمانين هجرية . وقد كان من اعظم خلفاء بني أمية ، وأشدهم قوة ، واكثرهم انتصاراً . وفي أيامه فتحت بلاد الاندلس ، وارتفع شأن الامويين . » والثالث مثل : « الصدق من اشرف الفضائل . الكذب من أقبح الرذائل . » فان الارتباط هنا معنوي ـ وهو الضدية ـ لا لفظي ؛ بخلاف ما اذا توسط بين هاتين الجملتين حرف عطف كالواو ، فلا توضع العلامة ؛ مثل : « الصدق من اشرف الفضائل ؛ والكذب من أقبح الرذائل . »

علامة الوقف الاقل تماماً

« : »

هي أقل هذه العلامات استعمالاً . وتوضع غالباً في المواضع الآتية :

(١) اذا كان بين الجملتين شبه كمال الاتصال ، توضع العلامة بينهما . ومعنى شبه كمال الاتصال ، أن يجاب بالثانية عن سؤال مقدر ، ناشيء من الجملة الاولى ؛ مثل : « ولا تُخَاطِبْنِي في الَّذِينَ ظَلَمُوا : إنَّهُمْ مُغْرَقُونَ . » ومثل : « وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي : إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ . » ومثل :

« زعم العواذل أنني في غمرة : صدقوا ؛ ولكن غمرتي لا تنجلي . » .

فالجملة الاولى من المثال الاول ، نشأ منها سؤال عن سبب عدم المخاطبة ؛ فكان الجواب « إنَّهُمْ مُغْرَقُونَ . » وقس على ذلك بقية الامثلة .

(٢) اذا ارتبطت جملة متأخرة بعدة جمل سابقة لها ، لا تتم فائدتها الا بالجملة المتأخرة ، فان العلامة توضع قبل تلك الجملة المتأخرة ؛ نحو : « اذا أراد الانسان أن ينال الهناء ، ويحظى بالسيادة : واذا أراد أن يحوز الغنى ، ويفوز بالسعادة : واذا اراد أن يدرك المنى ، ويبلغ مراده : فعليه أن يهذب اخلاقه ، وينير عقله ، ويعمل بعلمه . »

(٣) اذا تضمن الكلام نص حديث مقول أو منقول ، يفصل الاثنان بعضهما عن بعض ، بوضع العلامة قبل ذلك الحديث ، ان كان هاماً ؛ نحو : « قال العلامة ابن خلدون في مقدمته عند الكلام عن الطبيعيات ما يأتي : ' وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون ؛ فينظر في الاجسام السماوية والعنصرية ؛ وما يتولد عنها من حيوان ، وانسان ، ونبات ، ومعدن ؛ وما يتكون في الارض من العيون ، والزلازل ؛ وفي الجو من السحاب ، والبخار ، والرعد ،

والبرق ؛ وغير ذلك . . . . ، » . وقد يستعمل مع هذه العلامة في هـذه الحالة خط أفقي ، فتصير هكذا « : — »

(٤) اذا أريد تفصيل أشياء مجملة في لفظ عام ، فان العلامة توضع قبل تلك الاشياء المفصلة ؛ نحو : « آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ؛ واذا وعد أخلف ؛ واذا اؤتمن خان . » ونحو : « المادة لا تخلو من حالات ثلاث : جامدة ، وسائلة ، وغازية . » ونحو :

« تغرَّب عن الاوطان في طلب العُلا ، وسافر ؛ ففي الأسفار خمسُ فوائد :
تفرُّج همٍّ ، واكتسابُ معيشةٍ ، وعلمٌ ، وآدابٌ ، وصحبة ماجد . »

علامة الوقف الناقص

« ؛ »

تستعمل هذه العلامة غالباً في المواضع الاتية :

(١) اذا كان بين الجملتين مقارنة ، فان العلامة توضع بينهما . ويتضح ذلك من الامثلة الآتية : « من جاء بالحسنة ، فله عشرُ أمثالها ؛ ومَن جاء بالسيئة ، فلا يجزى الا مثلها . » « كذبت ثمودُ وعادٌ بالقارعة : فاما ثمودُ فأهلكوا بالطاغية ؛ وأما عادٌ فأهلكوا بريح صرصر عاتية . » « ان الله لا يظلم الناس شيئاً ؛ ولكن الناس أنفسهم يظلمون . » « وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ؛ ولئن صبرتم لهو خير للصابرين . »

(٢) اذا كانت الجملة الثانية علة للجملة الاولى ، فانهما يفصلان بعضهما عن بعض ، بوضع هذه العلامة بينهما ؛ نحو : « اطلبوا الحوائج بعزة الانفس ؛ فان الامور تجري بالمقادير . » ونحو : « استعينوا على نجاح الحوائج بالكتمان ؛ فأن كل ذي نعمة محسود . » وتختلف هذه الحالة عن الحالة الاولى في العلامة التي قبلها بان بين الجملتين هنا رابطاً لفظياً .

(٣) اذا تركبت جملة من عدة جمل تامة ، كل منها يدل على معنى مقصود ، وكان كل من هذه المعاني يكوّن جزءاً من المعنى الكلي للجملة الاصلية ، فان العلامة توضع لفصل كل جملة تامة عن الاخرى ؛ نحو : « أدِّ ما افترض الله عليك ، تكن من أعبد الناس ؛ واجتنب ما حرم الله عليك ، تكن من أورع الناس ؛ وارضَ بما قسمه الله لك ، تكن من أغنى الناس . » ونحو : « وقيل يا أرض ، ابلعي ماءك ؛

ويا سماء ، أقلعي ؛ وغيض الماء ؛ وقضي الامر ؛ واستوت على الجوديّ . . . » ونحو : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فلا يؤذِ جاره ؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليكرم ضيفه ؛ ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر ، فليقل خيراً ، أو ليصمت . » ونحو : « من رأى منكم منكراً ، فليغيره بيده : فان لم يستطع ، فبلسانه : فان لم يستطع ، فبقلبه ؛ وذلك اضعف الايمان . »

(٤) اذا كان بين الجملتين كمال الاتصال ، توضع العلامة بينهما . ومعنى كمال الاتصال ، ان تتحد الجملتان في المعنى ، حتى تصير الثانية كأنها عين الاولى :

(ا) كأن تكون بدلاً منها ؛ نحو : « واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون ؛ أمدكم بانعام وبنين ، وجنات وعيون . »

(ب) أو ان تكون مؤكدة لها ؛ نحو : « فمهل الكافرين ؛ أمهلهم رويداً . »

(ج) أو ان تكون مبينة لها ؛ نحو : « فوسوس اليه الشيطان : قال يا آدم ، هل أدلك على شجرة الخلد ، وملك لا يبلى ؟ »

وبالجملة ، فان هذه العلامة توضع بين الجمل ، اذا كان الارتباط بينها أقل منه في العلامة السابقة قليلاً .

علامة الوقف الانقص

« ، »

هي اكثر هذه العلامات استعمالاً . وتوضع بين أجزاء الكلام حيث يلزم وقف قصير ، مع شدة الارتباط بينها . وهي غالباً تستعمل في المواضع الآتية :

(١) توضع بين جزءي الجملة ، (المسند والمسند اليه) ، اذا طالت ، لا سيما المسند اليه ؛ نحو : « ان مما أدرك الناس من كلام النبوة الاولى ، « اذا لم تستح فاصنع ما شئت . » »

(٢) اذا كانت الجملة شرطية أو قسمية ، وطالت ، لا سيما الشرط أو القسم ، توضع العلامة بين الشرط والجزاء ، أو بين القسم والجواب ؛ نحو : « واذا قيل لهم لا تفسدوا في الارض ، قالوا انما نحن مصلحون . » ونحو : « لئن أخذ أحدٌ اموال الناس بغير حق ، لهو ظالم جائر . »

(٣) اذا عطفت جملة أسماء بعضها على بعض ، توضع العلامة بين كل اسم وآخر ، ان أريد تمييز كل من تلك الاسماء عن الاخر ؛ نحو : « سيارات النظام

الشمسي ثمان : عطارد ، والزهرة ، والارض ، والمريخ ، والمشتري ، وزحل ، واورانوس ، ونبتون . »

(٤) اذا اشتملت جملة على بدل ، وكان البدل أو المبدل منه أو كلاهما متصلا بمتعلق به ، توضع العلامة بين البدل والمبدل منه ، ان كان البدل ذا أهمية ؛ نحو: « اهدنا الصراط المستقيمَ ، صِراطَ الذين أنعمتَ عليهم . »

(٥) اذا اعترضت الجملة ألفاظ غير مفيدة في ذاتها ، فان العلامة توضع قبل هذه الالفاظ وبعدها ؛ نحو : « أن العلوم الصحيحة ، بلا شك ، تنير العقول والافئدة . »

(٦) كل خبر بعد خبر ، توضع العلامة قبله ؛ نحو : « خير الكلام ما كان عذب الالفاظ ، حسن الاسلوب ، سهل المبنى ، واضح المعنى ، خالياً من التنافر والتعقيد . »

(٧) كل صفة بعد صفة ، توضع العلامة قبلها ؛ نحو : « الفيل حيوان ضخم الجسم ، قصير العنق ، طويل النابين ، قليل الشعر . »

(٨) اذا تعددت الاحوال ، توضع العلامة بين كل حال واخرى ؛ نحو: « يعيش المؤمن مطمئن القلب ، طيب الحال ، هادىء البال . »

(٩) اذا عطفت جمل قصيرة من رتبة واحدة بعضها على بعض ، توضع العلامة قبل حرف العطف ؛ نحو : « العلم يرشد الانسان الى السعادة ، وينقذه من الضلالة ، ويسليه في العزلة ، ويؤنسه في الوحشة . »

(١٠) اذا عطفت أجزاء جمل بعضها على بعض ، توضع العلامة قبل حرف العطف ؛ كأن يقال في المثال السابق : « العلم مرشد الانسان الى السعادة ، ومنقذه من الضلالة ، ومسليه في العزلة ، ومؤنسه في الوحشة . »

(١١) اذا كانت الجملة ندائية ، توضع العلامة بين المنادى وأداته وبين باقي الجملة ؛ نحو : « يا أبا هر ، ليكن أدبك دقيقاً ، وعلمك ملحاً . »

(١٢) اذا تركبت جملة من جملتين ، وكانت الثانية منهما علة للاولى ، توضع العلامة بينهما ، ان لم تتضمن كل منهما معنى مستقلاً عن المعنى الذي تتضمنه الاخرى؛ نحو : « اياكم والبطنةَ في الطعام والشراب ، فانها مفسدة للجسد . . . »

(١٣) اذا تركبت جملة من جملتين ، بينهما مقارنة ، لكنها ليست مهمة كالتي

في أمثلة علامة الوقف الناقص ، توضع العلامة بينهما ؛ نحو : « الانسان حيوان ، لكنه ناطق . »

(١٤) اذا ارتبطت جملة الصفة أو الحال الخ. بما في جملة سابقة ، توضع العلامة قبل تلك الجملة ؛ نحو : « فلان يأمر بالخير ، وهو لا يفعله . »

وبالجملة ، فان هذه العلامة توضع حيث يكون الارتباط بين اجزاء الكلام أقل منه في العلامة السابقة قليلاً .

ملحق بما يختص بالوقف

بدء الكتابة من اول سطر جديد

قلنا انه اذا أريد كتابة جملة مستقلة عما بعدها ، يوضع بينها وبين الجملة السابقة علامة الوقف التام ، حتى تتميز بذلك عن سابقتها . أما اذا كان الكلام المراد كتابته مستقلاً عما قبله استقلالاً أتم من السابق ، كأن كان الغرض المراد منه غير الغرض السابق ، ففي هذه الحالة يبتدأ بكتابة ذلك الكلام من اول سطر جديد . ويراعى عند الابتداء من اول السطر ، أن يترك من اليمين فراغ قدر كلمة ، لئلا يلتبس غرض الكاتب حينما يكون ابتداء السطر الجديد عقب انتهاء السطر السابق ؛ والامثلة على ذلك كثيرة .

واذا أريد تمييز كلام عن آخر ، تميزاً يستدعي فصلا أعظم من السابق ، فلذلك يبدأ بكتابته ايضاً من اول سطر جديد ، ويفصل ذلك السطر عن سابقه بوضع ثلاث نجوم صغيرة على خط افقي ، أو على شكل مثلث متساوي الاضلاع ، وسط سطر خالٍ من الكتابة ، بين السطر الجديد وسابقه ؛ هكذا :

٭
٭ ٭

٢ — ما يختص بالوقف وغيره

المراد بما يختص بالوقف وغيره ، ما يدل على تغيير الصوت عند الوقف ، تغييراً ناشئاً من اختلاف شعور النفس ، ولهذا النوع علامتان : (١) علامة الاستفهام ، وهي هذه « ؟ » ؛ (٢) وعلامة التعجب ، وهي هذه « ! »

علامة الاستفهام

« ؟ »

توضع هذه العلامة بعد كل جملة استفهامية ، اذا قصد من معناها الاستفهام ؛

نحو : « ما الواجب على الانسان اتباعه ، اذا اراد أن يكثر أصدقاؤه ؟ » أما اذا لم يقصد من ايراد الجملة الاستفهام الذي تتضمنه ، فلا توضع العلامة ؛ نحو : « سألني احد اصدقائي عما كنتُ اقرؤه أمس. » بخلاف ما لو كانت الجملة هكذا : « قال لي احد اصدقائي : « ما الذي كنتَ تقرؤه أمس ؟ » »

علامة التعجب

« ! »

توضع هذه العلامة بعد كل جملة تنفعل عندها النفس ؛ نحو : « ما أعظم قدرة الله الذي خلق السموات والارض ، وأبدع نظام الكون ! » ونحو : « واحسرتاه ! » « يا أسفا ! »

قد تكون الجملة أحياناً استفهامية ، لكنها في المعنى المراد تعجبية . ففي هذه الحالة ، توضع بعدها علامة التعجب ؛ نحو : « ما هذا الجهل المطبق ! » « ما دهاك ! »

٣ — ما يختص بغير الوقف

الذي يختص بغير الوقف علامات اربع : (١) القوسان ، وهذه صورتهما « ( ) » ؛ (٢) والخط الافقي ، وهذه صورته « — » ؛ (٣) والاقواس المتعاكسة ، وهذه صورتها « ״ ״ » ؛ (٤) والنقط ، وهذه صورتها « ... ».

القوسان

« ( ) »

يستعمل القوسان ليحصرا بينهما كلاماً يوضح معنى في الجملة ، يستقيم ، اذا حذف الكلام المحصور بين القوسين ؛ نحو : « اذا لم يكن الانسان قابلاً للتعلم في صغره ، (مع ان العلم في الصغر كالنقش في الحجر) فكيف يتعلم في كبره ! »

الخط الافقي

« — »

(١) يستعمل الخط الافقي عند انقطاع الكلام فجأة عن الاستمرار ، أو عند حذف شيء منه ؛ نحو : « لتمييز بعض سيارات النظام الشمسي عن بعض ، تراعى الامور الآتية : ان كانت السيارة ذات ضوء زاهٍ شديد ، فهي الزهرة ؛ وان كانت

شديدة الزهو ، لكن أقل من السابقة ، فهي المشتري ؛ وان كان فيها ترع ، ـ لكن ربما لا ترى شيئاً من ذلك . »

(٢) ويستعمل قبل الجملة المعترضة وبعدها ؛ نحو :

« وان ابن عم المرء ، ـ فاعلم ـ ، جناحه ؛ وهل ينهض البازي بغير جناح ! »

(٣) وقد يستعمل خطان من هذا النوع ، بدلاً من القوسين أحياناً ؛ نحو :

« لما كان الناس غير مستغنين بعضهم عن بعض ، ـ لان الانسان مدني بالطبع ـ ، وجب عليهم ان يتعاونوا على البر والتقوى ، وان يتودد كل منهم الى الآخر . »

(٤) ويستعمل أيضاً عند محادثة اثنين ، بان يوضع قبل حديث كل منهما ، عوضاً عن ان يقال : « قال فلان ، فقال له الآخر ، الخ . » (يلاحظ ان يبتدأ كل حديث من الحديثين من أول سطر جديد) ؛ نحو :

قال صديق لصديقه : ـ ما ذلك الكتاب الذي بيدك ؟

ـ انه كتاب جليل ، في علم الفلك .

ـ أتريد ان تتعلم ذلك العلم ؟

ـ نعم ؛ أريد ذلك .

ـ ما الفائدة من ضياع وقتك في ذلك العلم الذي لا يعود عليك بنفع ما !

ـ كلا ! انك لواهم ؛ فان ذلك العلم يهدي طلابه الى معرفة ما يحيط بهم من الكواكب والنجوم ؛ ويوقفهم على حقيقة أسرار الكون ؛ ويدلهم على أوقات الخسوف والكسوف قبل أوانها . وله غير ذلك من الفوائد العديدة !

الاقواس المتعاكسة

« ‟ ” »

تستعمل هذه الاقواس (« ») أيضاً بدل الاقواس الاولى (‟ ”)

وهي توضع لحصر الكلام المقول ، أو المنقول حرفياً ، أو الهام كالامثلة المذكورة لبيان قاعدة وغيرها . وان احتيج لاستعمال هذه العلامة في كلام داخل الاقواس المتعاكسة ، أتي بنصفها فقط ؛ نحو : « قال الامام علي : ‟ علموا اولادكم ، فانهم خُلقوا لزمان غير زمانكم . ” »

النقط

« . . . »

تستعمل النقط لتحل محل كلام محذوف : إما للعلم به ، أو خوف الاطالة ، أو لعدم أهميته ، . . . ؛ كأن نقول استشهاداً على فوائد الاقتصاد : « قال النبي - عليه السلام - : « الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة ، . . . ، » فان باقي الحديث - وهو : « والتودد الى الناس نصف العقل ؛ وحسن السؤال نصف العلم » - ، ليست له ها هنا أهمية ، لانه ليس من الموضوع.

* * *

هذا ما اقتضى المقام وضعه في هذا الفن . والمدار في استعمال هذه الفواصل على الذوق السليم : وانما ذكرت هذه القواعد ليُقاس عليها ، ويُنسج على منوالها . وانّا نسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يتبع اهل اللغة العربية هذه الخطة ، ولا سيما الكتاب منهم ؛ حتى اذا ما انتشرت وذاعت ، صارت اللغة العربية على حال ارقى من حالها الآن .

محمد محمد حبيب
بمدرسة المعلمين الاولية بامبابه

نبوليون والمستحيل

قال يوماً (نَبُوليون) كلاماً سوف يدوي صداهُ في كل جيلِ
ليس في ذا الوجود من مستحيلٍ فاحذفوا منه لفظة (المستحيل)

حليم دموس

الشباب الراجع

سلبتَ يا دهرُ مني أعزَّ شيءٍ لديّا
سلبتَ مني شبابي وكان غصناً نديّا
لكنهُ حنَّ شوقاً وفرَّ منك اليّا
فانظرْ ألستَ تراهُ يا دهر في ولديّا

حليم دموس

اعظم المسائل الاجتماعية

توزيع الثروة بين البشر وفقاً لمبادىء الاشتراكية والبلشفيكية

— ٣ —

عرفنا الداء وعرفنا اعراضه وأسبابه . فما هو الدواء الناجع لمقاومته ؟

لقد تباينت الآراء بين أطباء الاجتماع في وصف هذا الدواء . وما المذاهب الاشتراكية على اختلافها الا أدوية مختلفة التركيب ترمي جميعاً الى غرض واحد

ولا يخفى ان بين تلك المذاهب فروقاً جسيمة في مطالبها. وليست البلشفيكية التي تهدد الاقطار الاوربية اليوم الا اغراقاً ومغالاة في الاشتراكية . اما الاشتراكية المعتدلة المنتشرة بين الشعوب الانكلوسكسونية على الخصوص فلا يسع المنصف الا التسليم بصحة مراميها الاساسية . بل ان كبار رجال السياسة اليوم هم من انصار الاشتراكية الملطفة

وتختلف صور توزيع الثروة في عرف المذاهب الاشتراكية اختلافاً بيناً . وأهم تلك الصور هي :

(١) ان توزع الثروة حصصاً متساوية بين الناس

(٢) ان توزع باعتبار حاجات كل فرد

(٣) ان توزع باعتبار استحقاقه

(٤) ان توزع باعتبار عمله

فلننظر اذاً في كل من هذه المذاهب على حدة

١ — توزيع الثروة على التساوي

ان هذا المذهب من أقدم المذاهب الاشتراكية . ومن مطالعة سير المشترعين الاقدمين يتضح لنا أنهم على الغالب تولوا توزيع الارض بين الاهلين على التساوي اما باعتبار الافراد أو باعتبار الاسر

ولما كان التساوي الاصلي لا يلبث أن يفقد بعد بضعة أجيال فقد كان المشترعون يضطرون الى اعادة التقسيم من حين الى حين

ولئن صح الاعتماد على مثل هذا التقسيم بين نفر قليل وفي زمن لم تكن فيه ثروة غير الارض فان من المستحيل اليوم تنفيذ هذه الفكرة . ولهذا السبب لست تجد بين الاشتراكيين الحديثين من يطلب هذا الطلب

على أنه لا يزال في روح الاشتراكية أثر لهذه الفكرة . فانها تفرض بادىء ذي بدء ان ثروة البشر تكفي لسد حاجاتهم جميعاً لو حسن توزيعها بينهم بحيث لا تجتمع كلها عند طبقة واحدة وتحرم منها سائر الطبقات

والحقيقة ان الاغنياء في جميع أقطار العالم قليلو العدد . وخير ما يمثل لنا الاجتماع من هذا القبيل تشبيهه بهرم تقوم قاعدته مقام الفقراء وقمته مقام الاغنياء . فاذا انتزعنا ثروة الاغنياء منهم ووزعناها على جمهور الفقراء لا يلحق الواحد ما يستحق الذكر ، كما لو صببت كأس ماء في حوض متسع فانه لا يرفع سطح الماء فيه رفعاً محسوساً

خذ فرنسا مثلاً فان ثروتها الاهلية تقدر بنحو ١٠ مليارات جنيه . فاذا وزعت على أهاليها بالتساوي وعددهم ٣٩ مليوناً اصاب الواحد منهم أقل من ٢٦٠ جنيهاً . على ان غرض الاشتراكيين الحقيقي ليس توزيع الثروة الاهلية كلها بل توزيع ثروة الاغنياء فقط . وعلى ذلك فما يصيب كل فرد منها ضئيل جداً . فانه يؤخذ من الاحصاءات الوثيقة في فرنسا انهم لو وزعوا جميع التركات التي تزيد قيمتها على مليون فرنك (أي ٤٠٠٠٠ جنيه) على سكان فرنسا لاصاب الواحد منهم ٤٠ فرنكا في السنة

أما في انكلترا فلو وزعت التركات التي تزيد قيمتها على ٥٠٠٠٠ جنيه لأصاب الواحد ٨١ فرنكا . وما ذلك إلا لان الاغنياء من الناس هم في الحقيقة قليلون [1]

قد يقول قائل انه لا بأس بهذه المبالغ مع قلتها فانها خير من لا شيء . غير اننا اذا سلمنا بذلك من الوجهة الحسابية البحتة فانه يتعذر علينا التسليم به متى فكرنا بالفوائد الاقتصادية الناشئة عن تجمع الثروة في أيدي بعض الافراد . بل يكفي أن نفكر في قعود الناس عن الجد والسعي اذا لم يؤملوا الاثراء حتى يتضح لنا فساد

(١) يؤخذ من الاحصاءات الرسمية قبل الحرب ان الذين تزيد ثروتهم على مليون مارك (والمارك يساوي شلناً) في بروسيا لا يزيدون على ١٤٠٠٠ نفس من اربعين مليوناً . أما في فرنسا فعدد اصحاب الملايين من الفرنكات نحو ٢٠٠٠٠ من ٣٩ مليوناً

هذه النظرية وحتى يتبين لنا أنها لا تلبث ان تؤدي الى نضوب موارد الثروة البشرية . وهذا يضر بالجميع على السواء

٢ — توزيع الثروة باعتبار الحاجات

اذا كان دون تقسيم الثروة بالتساوي تلك العقبات التي ذكرناها فليطرح التقسيم جانباً ولتجعل الثروة رهن احتياج الافراد يأخذون منها ما يلزمهم كما اضطرتهم الحاجة الى ذلك ! هذا هو مؤدى المذهب الذي نحن بصدده الآن وهو أقدم المذاهب الاشتراكية . فان كثيراً من القبائل والجماعات في أول أدوار حياتها عاشت متشاركة الثروة على هذه الصورة

وقد كان هذا المذهب على وشك الاضمحلال فأحياه أصحاب الفوضوية في الزمن الاخير . وغرض هذا المذهب أن يعيش الناس جماعات عدد افرادها قليلون وكل جماعة منها مستقلة بأحوالها ومتشاركة في كل ما عندها ، بحيث تلغى الملكية الفردية ويتيسر للشخصية البشرية ان تنمو بلا ضغط ولا تشويه فيأخذ كل واحد ما يلزمه من الثروة المشتركة كلما شعر بحاجة الى شيء

والاعتراض الوجيه على ذلك هو أن الثروة الموجودة لا تكفي لسد حاجات الناس ولاسيما ان علماء النفس قد قرروا هذه الحقيقة النفسية وهي ان الحاجات تتولد على نسبة ما يسد منها

فمن ذلك يتضح لنا أنه تتعذر اباحة الثروة العمومية لكل طالب ولا بد من تفويض امر هذا التوزيع الى سلطة عليا . فمن تكون هذه السلطة يا ترى ومن يؤدي تلك الوظيفة الدقيقة ؟ يدعي الفوضويون ان ذلك يتم بالاتفاق والتراضي . ولكن هذا الحل ينافي كل ما نعلمه عن الطبيعة البشرية

على اننا لا ننكر ان هذا المذهب قد اخرج الى حيز التنفيذ . فقد ذكرنا ان البشر في أول أمرهم كثيراً ما عاشوا جماعات متحدة على الشكل الذي وصفناه . وفي التاريخ الحديث أيضاً أمثلة كثيرة لجماعات (خصوصاً في أميركا) أرادت تطبيق هذا المذهب فاستعمرت بعض الجهات وعاشت بالاشتراك التام في كل شيء . انما يشترط لنجاح هذه التجارب عدة شروط :

فالشرط الاول ان يكون عدد المجتمعين قليلا بحيث لا يجاوز الالف . وفي الواقع

لم تنجح من هذه المستعمرات الا تلك التي كان أعضاؤها قليلين . فاذا زاد عددهم اختل نظامها . وتعليل هذا الشرط بسيط : فلكي يشعر الفرد بارتباط وثيق يربطه بالجماعة يجب ان تكون مصلحته مباشرة الاتصال بمصلحتها فكلما كان عدد المشتركين قليلاً قوي فيه هذا الشعور اذ يرى راحتـه موقوفة على فلاح المجموع بعكس ما اذا كانوا كثيري العدد

ولـكننا اذا نظرنا الى تطور الاجتماع البشري وجدناه متجهاً الى عكس الجهة التي يطلبها الفوضويون . فان الشعوب آخذة في النمو والتوسع وليست آخذة في الانفراط والانحلال

ثم يجب في هذا المقام تنبيه أصحاب المذهب الفوضوي الى انه اذا تيسر لهم الغاء التفاوت بين الافراد فلن يتيسر لهم الغاء التفاوت بين الجماعات المشتركة التي تخيلوها اذ لا مفر من تفوق بعضها في النجاح على البعض الآخر . فـكأنما تسفر النتيجة عن ابدال نوع من التفاوت بنوع آخر منه

أما الشرط الثاني فهو أن تخضع أفراد الجماعة لقوانين ونظامات صارمة . ولم تنجح التجارب التي اجريت من هذا القبيل الا حين كانت هناك رابطة دينية قوية تربط الافراد فيما بينهم وتجعلهم خاضعين لسلطة مطلقة . فهذا الشرط يخالف غرض الفوضويين على خط مستقيم فانما غرضهم انماء الشخصية البشرية بلا أدنى ضغط خارجي

٣ — توزيع الثروة باعتبار الاستحقاق

يدخل في هذا الباب مذاهب عدة فلاسفة شهيرين معظمهم من الفرنسيين من أهل القرن الماضي . نذكر منهم على الخصوص فوريه وسان سيمون ولويس بلان وبرودون . ومحور مذاهبهم جميعاً انه يمكن تحسين حالة البشر بالاتحاد والاتفاق على صورها المختلفة من دون الالتجاء الى الثورة ومن دون الغاء حق الملكية

أما فوريه فقد تخيل نظاماً يجتمع فيه البشر جماعات كل منها بمقام وحدة اجتماعية (وسماها phalanstère) يتعاون أعضاؤها على العمل . على انه ميز بين الاعضاء من حيث أجورهم بحسب عملهم ونبوغهم ورأس مالهم فقسم نتاج العمل الى ١٢ قسما جعل ٥

منها أجرة للعمال و٤ فائدة لرأس المال و٣ للنبوغ والتفوق . فنرى من ذلك انه لم يرم بنظامه هذا الى التساوي الذي حلم به غيره

وأما سان سيمون فقد كان لمذهبه تأثير عظيم في القرن الماضي وكثر أشياعه ومريدوه في فرنسا وغيرها . وقوام هذا المذهب ان كل صاحب عمل وصاحب ثروة انما يؤدي « وظيفة اجتماعية » ولذا يجب على الحكومة ان تعين أصحاب تلك الوظائف وتمنحهم أجورهم حسب أهليتهم . فهذا المذهب اذاً لا يرمي الى تساوي البشر بل يميز بينهم بحسب كفاءتهم الشخصية . ولذلك جعل شعاره : « كل فرد يجزى حسب جدارته . وكل جدارة بحسب ثمارها » . والوسيلة لتحقيق هذه الامنية هي الغاء حق الوراثة ولا سيما في الوظائف الاجتماعية الخطيرة كوظائف أرباب المصانع واهل الثروة وأصحاب الاملاك . فقد انتقد سان سيمون على الثورة الفرنسية ابقاءها حق الوراثة في حين انها الغت جميع الامتيازات المدنية والسياسية . ويرد على هذا المذهب بأن تعين أصحاب الكفاءة في الوظائف الاجتماعية والاقتصادية من أصعب الامور . ولعل الاب أو صاحب الشأن هو أجدر من غيره بتعيين خلفه في عمله

هذا ونضرب صفحاً عن بقية الآراء التاريخية الداخلة في هذا الباب . ولا بد لنا هنا من الاشارة الى ان هذه المذاهب التاريخية قد احدثت شكلاً حديثاً يتزايد شأنه في كل يوم — نعني بذلك الحركة التعاونية المنتشرة الآن في جميع أقطار الارض فقد كثرت شركات التعاون على اختلاف أغراضها فمنها شركات التعاون في الانتاج وشركات التعاون في الانفاق ومنها شركات التعاون الزراعي وشركات التعاون المالي الخ . . .

وأهم أغراض هذه الحركة النافعة هي :

أولاً تحرير الطبقات المؤيدة لها تحريراً اقتصادياً واغناؤها عن الوسطاء فيما تباشره من الاعمال . فشركات التعاون في الانفاق تستغني عن الخباز والبقال والتاجر بصنع ما يلزمها بنفسها أو شرائه مباشرة من مصادره . كذلك شركات التعاون المالي تغني أعضاءها عن الاقتراض وتخلصهم من استبداد المرابين وقس على ذلك

ثانياً انها تستبدل المنافسة بالتضامن والتعاون فبدلاً من أن يتنافس الافراد ويتسابقون فانهم يتحدون ويتفقون على صون مصالحهم جميعاً

ثالثاً انها لا ترمي الى الغاء الملكية الفردية بل تسعى في تعميمها بين الجميع

بحيث تنال الطبقات السفلى نصيباً منها أيضاً وذلك بمنح أعضاء الشركات التعاونية أسهماً تمثل القسط العائد عليهم مما تملكه الشركة

رابعاً انها لا ترمي الى الغاء وظيفة رأس المال بل تسعى في تخفيف وطأة المتمولين وتحرمهم ما ينالونه من الربح غير المشروع الذي لم يكسبوه بجدهم وتعبهم

ولا يخفى انه كان لحركة التعاون شأن عظيم في تحسين حال الطبقات العاملة في البلاد الاوربية . ويرجو أصحابها ازدياد الفائدة الناجمة عنها في المستقبل بتعميم أغراضها ومراميها

* * *

بقي ان نقول كلمة في مذهب توزيع الثروة باعتبار عمل الفرد وهو اكثر المذاهب الاشتراكية شيوعاً في الوقت الحاضر . ثم نذكر كلمة عن البلشفيكية وموعدنا الجزء القادم ان شاء الله

حكم

من أعجب بنفسه فضحها

من وصل رحمه وصله الله ورحمه ومن أجار جاره أعانه الله وأجاره

من بسطه الادلال قبضه الاذلال

من تناسى مساوئ الاخوان دام له ودهم

من بذل ماله أدرك آماله

من عظمت مرافقه أعظمه مرافقه

من لم يشكر لمنعمه استحق قطع أنعمه

من أنكر الصنيعة استوجب القطيعة

من قل توقيه كثرت مساويه

من استغنى بالله اكتفى

من انقطع لغير الله تعزى

قذف انسان الى القمر

كيف يمكن كولومبوساً قريباً ان يخترق حيز الجاذبية ويبلغ الى اقرب جرم فلكي

عثرنا في مجلة العلم العام الاميركية على مقالة غريبة النسج في هذا الموضوع فاستحسنا ترجمتها للهلال تفكهة للقراء واثباتاً للمبادىء العلمية العملية التي أُسند تصور هذا المستحيل اليها (ان كان هذا مستحيلاً لابناء المستقبل)

قال كاتبا المقالة والدمار كامبفرت و ا . ج . لوران بصيغة المتكلم المفرد : —

يسطع القمر في كبد السماء على بعد ٢٤٠٠٠٠ ميل . فكيف أستطيع ان أصل بينه وبين الارض في هذا الفضاء الفارغ . طرح هذا السؤال عليَّ بعض الناس ومنهم روائيون أو روائيون علميون . أما أنا فلست روائياً بل أنا مهندس وكمهندس أسأل نفسي هذا السؤال

٢٤٠٠٠٠ ميل تتراءى مسافة بعيدة تقطع الرجاء في اجتيازها . ومع ذلك يقضي عليَّ فني ان أفكر في كيفية اجتيازها . لو امكن ان أعبر هذه المسافة في قطار حديدي بخاري سريع (اكسبرس) لبلغت الى القمر في مدة ستة اشهر أو لو امكن ان أعبرها في طيارة سريعة تقطع في الساعة ١٢٠ ميلاً لادركته في ٣ أشهر

ليست المسافة عقبة كوؤوداً

٢٤٠٠٠٠ ميل ليست شيئاً عظيماً . فان ربان باخرة سريعة في الاتلانتيك يسير هذه المسافة مرة كل ثلاث سنين وسائق القطار الحديدي يسيرها في أقل من هذه المدة

أجل . ان المسافة لا تحيرني بل هنالك عقبة أصعب جداً من الجليد والثلج ومن البرد القارس الذي يحرس الطريق الى القطب . فما هي هذه العقبة أو ما هو هذا الحجاب المانع ؟ لا شيء — الحق انه اللاشيء المطلق . لا أريد ان أنفي هذا الحجاب المانع بقولي « لا شيء » بل أعني به « العدم » ، الفراغ المطلق ، الفضاء بين الاجرام السموية . أجل ان الطبيعيين يقولون ان هذا الفضاء بين الكواكب والنجوم يشغله

« الاثير » . على ان الاثير الذي يملأ الفضاء لا يجعله أقل فراغاً مما هو تلقاء فن الهندسة العملي

يمكنك ان تفهم قصدي جيداً اذا كنت تعلم الوسائل التي نتوسل بها للتحرك ميكانيكياً على الارض . كل آلة ناقلة نستعملها تفعل وتنفعل بالوسط الذي هي فيه . فقاطرة السكة الحديدية مثلاً تدرج على الخط الحديدي بمقاومة الفرك (أي انه لولا



صورة تمثل السهم الذي اقترح استعماله للوصول الى القمر

مقاومة الفرك لدارت العجلات وهي باقية في مكانها) والبالون يعوم ويرتفع ويتحرك بتفاعله مع الجلد (الهواء المحيط به) وقد ثبت ان أعلى ارتفاع امكن بواسطة البالون لم يتجاوز حتى الآن ٣٥٤٢٠ قدماً . لا أقدر ان أتجاوز الجلد وأسبح في فضاء فارغ كما ان السمكة لا تقدر ان تترك الماء وتسبح في الهواء

والغرض من هذا الكلام ايضاح هذه النتيجة وهي : كما ان القطار يحتاج الى خط حديدي والاتوموبيل يحتاج الى طريق هكذا البالون يحتاج الى هواء . أما بين

الكواكب فلا هواء بل الفراغ التام . والطيارة لا تفيدني اكثر من البالون لانها لا تقدر ان تطير وتسير الا متفاعلة مع الهواء . فان ما يحملها ويصونها من السقوط انما هو ضغط الهواء تحت جناحيها . فهي اذاً كالبالون تستطيع الصعود ولكن الى ارتفاع محدود

فيتضح من ذلك ان الآلات الدافعة ونحوها التي يستعملها البشر للانتقال والنقل الآن على سطح الارض لا تقضي وطري ولا تفي بقصدي . فهي كالانسان نفسه مقيدة بالارض . اذاً يجب ان أبحث عن وسيلة أخرى للانتقال ـ وسيلة ميكانيكية مستقلة عن مبدأ التفاعل بالوسط

لقد كتب جول فرن رواية « من الارض الى السماء » وحاول فيها ان يثبت أمراً معقولاً مبنياً على القواعد العلمية وهو انه يمكن قذف انسان الى القمر من فم مدفع . وبناء على ذلك قذف بطل روايته مسافة ٢٤٠٠٠٠ ميل . فهل يمكن مدفعاً ضخماً عظيماً ان يفي بغرضي

هل من مفر لجاذبية الثقل ؟

قبل كل شيء يجب ان أحسب حساب الثقل . فان الثقل يربطنا بالارض كأنه رباط من المطاط . اقذف بحصاة الى الهواء أو اطلق قنبلة الى السماء . فالحصاة أو القنبلة ترتفع مسافة محدودة ثم تسقط الى الارض كأنك جذبتها بخيط من المطاط امطّ ثم تقلص أو بزنبلك اعتدل ثم التف

فللخيط المطاط وللزنبلك المرن حد في المطّ والاعتدال فلو مططناهما الى ما يجاوز حدهما انقطعا فهل في جاذبية الثقل شبه لذلك ؟ أعلم جيداً ان التشابه غير تام . فاذا استطعت ان أقذف بجسم من مدفع بسرعة فائقة فقد يبلغ ذلك الجسم الى مسافة لا يعود بعدها الى الارض بل يستمر مندفعاً في الفضاء

جسم يقذف من القطب الجنوبي

نبحث الآن في القوات التي يمكن قياسها . فقد بنيت مدافع ضخمة جداً وعرفت سرعة مقذوفاتها . هب اني نصبت مدفعاً في القطب الجنوبي وقذفت منه جسماً الى مسافة بعيدة تجاوز كل عوائق الاندفاع . فكم يجب ان يكون مقدار السرعة بحيث

ان الجسم المتقذف يتجاوز الحد الذي لا يعود بعده الى الارض ؟

حساب هذه السرعة بسيط . ونتيجته : يجب ان تكون سرعة الجسم المقذوف على معدل ٢٦٠٠٠ قدم في الثانيـة . فاذا كنت أنا في قلب الجسم المقذوف بهذه السرعة أبقى طائفاً حول الارض ـ اكون قمراً آخر دائراً حول الارض ، قمراً حياً

يصبح المقذوف قمراً

فاذا امكنني ان أنير هذا الجسم المقذوف بي تراني كل ساعة ونصف أشرق مرة من الافق ، تراني أقطع قبة السماء في نحو ٤٥ دقيقة ثم أغرب في الجانب الآخر من الافق ، تراني قمراً صغيراً سريعاً أشرق وأغرب ٨ مرات في اليوم

ولكن لا يخفى عليك انه ليس قصدي ان أدور حول الارض كالقمر بل ان أصل الى القمر . ولذلك يجب ان تكون سرعة اندفاعي من فم المدفع اكثر من ٢٦٠٠٠ قدم في الثانية

يجب ان أزيد سرعة اندفاعي الى ٣٧٠٠٠ قدم في الثانية (أي سبعة أميال) وحينئذ أتجاوز دائرة جاذبية الارض وأبقى مندفعاً في الفضاء ويكون مثلي حينئذ كمثل خيط المطاط الذي انقطع وأفلت قسم منه بالجسم المرتبط به . حينذاك لا تبقى لجاذبية الارض سلطة عليَّ

يالله : ٣٧٠٠٠ قدم في الثانية ! سرعة عجيبة! . هل في امكاني الحصول عليها ؟ دعنا نرَ الان ماذا امكن الحصول عليه من المدافع القاذفة . وماذا كان اسرع مقذوفاتها . ان المدفع البحري الذي عياره ١٤ قيراطاً يطلق قنابله بسرعة ٢٨٠٠ قدم في الثانية . وقد صنع مدفع عياره ٤ قراريط واختبر في سندي هوك (في ولاية نيويورك) فبلغت سرعة مقذوفه ٢٨٥٠ قدماً في الثانية . ولكنه لم يعش الا قليلاً . ولا ريب ان اسرع المدافع قذفاً كان المدفع الذي صنعه الالمان لضرب باريس عن بعد ٧٥ ميلاً . وقد قدّر المدفعيون الفنيون سرعته بين ٥٠٠٠ و ٥٥٠٠ قدم في الثانية ـ أي سبع السرعة اللازمة لقذفي الى القمر

مع ذلك لا أصرف من ذهني فكرة الوصول الى القمر بالانقذاف من مدفع . اذ كان في وسع مدفع ان يقذف قنبلة مسافة ٧٥ ميلا فالى اي مسافة يستطيع المدفعان أن يقذفاها ؟ . لست مازحاً . وما يفعله اثنان يفعل ضعفه أربعة

وقد المع المخترعون انه يمكن اطلاق مدفع من مدفع آخر . اي انه متى قذف المقذوف — ونعني به المدفع الداخلي المقذوف — وبلغ الى مسافة معينة يطلق هو ايضاً من تلك المسافة قذيفة أخرى تدفع الى مسافة أخرى ايضاً . فاذا امكن استعمال مدفعين الواحد يقذف الاخر وهذا الآخر يقذف قذيفة فلماذا لا يمكن استخدام ثلاثة أو خمسة أو تسعة أو اكثر

هذا ما اقترحه ضابط فرنساوي في مجلة السماء Revué du Ciel (غير جادّ طبعاً) كوسيلة للقتال في حرب تخيلية بين الارض والقمر . فهو يفترض ان تكون سرعة القذيفة الاولى ١٢٣٠٠ قدم في الثانية ويعتقد ان هذه السرعة ممكنة وهذه القذيفة تشمل ١٢ قذيفة أخرى الواحدة ضمن الاخرى وفي الاخيرة القنبلة النهائية

فهل يمكنني بواسطة مدافع ضمن مدافع ان اصل الى القمر ؟ وكم يجب ان يكون حجم المدافع المتداخلة ؟ . وكم يجب ان استعمل من البارود أو المواد القابلة للانفجار ؟ لقد عملت حسابي هذا فوجدت اني لكي اقذف الى القمر قذيفة تزن ١٦ رطلاً يجب ان اقذف من المدفع الارضي لا اقل من ٨ اطنان

شعاع من الامل في سهم ناري

ارى ان المدافع ضمن المدافع لا تفيدني شيئاً . ناهيك عن اني لا اقدر ان اقذف الى القمر سوى قطعة من الحديد لا تتجاوز زنتها ١٦ رطلا واما بقية الاطنان الثمانية فتعود متصادمة بعضها على بعض حتى تسقط على الارض بسرعة هائلة

فاذاً لا اقدر ان ابلغ الى القمر عن طريق المدافع . وهب اني استطعت فاني انسحق انسحاقاً في اول لحظة من لحظات الانقذاف

مع ذلك لم ايأس بعد . لقد اشار مهندس الطيران الفرنساوي روبر اسنولت بلتري انه يمكنني ان استعمل السهم الناري فما الذي يجعل هذا السهم ان يبرح الارض . ليس تفاعله مع الهواء كما يظن البعض بل تفاعله مع القوة الدافعة له وهي فيه . واذا وضعنا مدفعاً من المدافع السريعة على مركبة تجري على خط حديدي واطلقنا منه طلقات عديدة رأيناه يرتد الى الوراء كأن القذائف التي تنطلق منه ترفسه الى ورائها وهكذا السهم الناري يرفس نفسه الى القمر

ذهاب الى القمر واياب منه في مئة ساعة

في المدفع القوة الحاصلة من الانفجار لا تستغرق ١/١٠٠ من الثانية ولهذا تصدم القذيفة صدمة ساحقة . وقد حسب أسنولت بلتري أن السهم الناري اذا كان كبيراً بحيث يصل الى القمر يمكن ان تستعمل القوة الدافعة له نحو ٢٥ دقيقة وفي هذا الوقت يمكن ارتفاعه نحو ٣٦٠٠ ميل وبعد ذلك يسير بقوته الذاتية من غير استعمال القوة له نحو ٤٨ ساعة . فاذا امكن استخدام مبدأ السهم الناري كان في وسعي ان اصل الى القمر واعود منه في مئة ساعة

كم تحتاج هذه الرحلة من القوة ؟ حسبها اسنولت بلتري وقدر لها قوة ٤١٤ الف حصان على افتراض ان الجسم المدفوع وما يحتويه يزن نحو طن . ان العمل اللازم لنقلي الى ما وراء حدود الجاذبية الارضية بواسطة السهم الناري يستلزم نحو ٧ آلاف وحدة (كالوري) من الحرارة لكل رطل مدفوع

ولا يخفى أن ذلك فوق امكان أي نوع من المتفجرات أو المفرقعات كالديناميت والنيتروجليسرين . وأشد المفرقعات واهولها مما استعمل في هذه الحرب الاخيرة لم يكن كافياً ليقذف ثقلها وحده ٢٤٠ الف ميل وهي المسافة الى القمر — هذا اذا قطعنا النظر عن ثقلي وثقل طعامي وثقل العدة اللازمة في مركبتي المقذوفة

على انه توجد مادة واحدة تشتمل على قوة كافية لغرضي وهي الراديوم . فاذا خزنت نفسي مع بعض أرطال منه في السهم كانت لي كل القوة اللازمة . ولكن كيف استنفد هذه القوة بالمعدل الذي ابتغيه . فان هذا المعدن العنيد يأبى ان يفلت نصف قوته في أقل من ٢٢٠٠ سنة . حبذا لو كان في الامكان ان أحثه على ان يعجل بذلك . ان الانسان استطاع ان يتسيطر على البخار والكهربائية والمياه المنحدرة . أفلا يمكن ان يتسيطر على قوة الراديوم ؟ لا بد ان يستطيع ذلك يوماً من الايام وحينئذ يجسر أحد الناس أن يندفع في سهم الى القمر

وهنا أتصور هول هذه الرحلة وتبدو لي بعض المسائل الفنية التي لا بد من حلها . لما كنت انساناً أرضياً فلا بد لي من تنفس الهواء . ولا يخفى أن الفضاء بين الارض والقمر خلو منه ما عدا القليل الذي في الجلد المحيط بالارض . فعليَّ أن أخزن الهواء اللازم لي — أخزن أوكسيجيناً مضغوطاً . هذا أقل الصعوبات لان الاوكسيجين

المضغوط موجود في صفائح ويستعمله بحارة الغواصات

وأصعب من مسألة الهواء مسألة البرد القارس . على ان البرد الذي يقاسيه رواد القطبين لا يقاس ببرد الفضاء الذي اقاسيه لانه حيث لا شيء لا حرارة مطلقاً أو يمكن ان يقال ان درجة البرد في ذلك الفضاء عدة مئات تحت الصفر

ولكن ليس ذلك كل الصعوبة فان هناك حرارة الشمس المحرقة التي يجب ان اتغلب عليها أيضاً . ومن المفارقات المستهجنة أن أذكر البرد القارس والحر المحرق في وقت واحد . ولكن الحرارة في هذه الحالة تبدو حين تصدم قوة الشمس الشاعة هدفاً . هب انك بين كوكبين أو نجمين فالجانب المتجه منك الى الشمس يكون معرضاً لحرارتها المحرقة والجانب الآخر للبرد القارس . وللحصول على حرارة معتدلة يجب أن يكون لك غلاف يمتص اللازم لك من حرارة الشمس من الجهة المنيرة ويحتفظ لك به من الجهة المظلمة . واسنولت بلتري يرى انهذا الغلاف أو الغطاء يمكن الحصول عليه بتجهيز المكان الذي تكون فيه بغطاء أسود متجه للشمس يمتص حرارتها وحجاب عاكس (كالمرآة مثلاً) من الجهة الاخرى . هكذا أدخل الى مكاني في السموم الناري المندفع

ماذا اشعر حين تنتفي الجاذبية

الانسان كسائر الاحياء قد كيف نفسه حسب بيئته . واذا خرج من بيئته يموت . فبلا هواء لا اقدر ان اتنفس . فهل أقدر أن أعيش بلا جاذبية ثقل ؟ ماذا يكون التأثير عليَّ اذا انتفت الجاذبية ـ وهي تنتفي حين اكون على بعد بضعة آلاف من الاميال عن القمر . لا أقدر ان أمشي أو أغني أو اكتب أو ان أحرك شيئاً من أعضائي ما لم يكن لجاذبية الثقل تأثير عليَّ . اني ازن ١٥٠ رطلا أي ان الجاذبية تجذبني الى مركز الارض بقدر ثقل هذه الارطال . فهل في امكاني ان أعيش بفقدان هذه القوة التي تفعل بي كل لحظة من حياتي وقد تعودتها بحيث اني لا انتبه اليها ؟

يجب ان اعلم ان اعضاء جسمي كرئتي وقلبي متوقفة في عملها على هذه الجاذبية توقفاً سرياً . ولو لم اكن العوبة في يد هذه القوة الدائمة لكانت هذه الاعضاء على حال غير حالها . فاذا انتفت الجاذبية ألا تعمل هذه الاعضاء اعمالها باسلوب آخر ينافي مقتضى حياتي ونظامها ؟ لا ريب في ذلك . حالما اقترب من القمر سأشعر اني واقع

عقباً على رأس ـ انه لشعور مخيف لا اقدر ان اقاومه بقوة الارادة

على كل حال لا اعود املك وسائل الحركة الاعتيادية ـ يستحيل عليّ المشي طبعاً . فاذا كان المكان الذي أقيم فيه مجهزاً بروافد وعرى امكنني ان اقبض عليها واجذب نفسي من جانب الى آخر . ويحتمل اني بعد حين اجد نفسي متشنجاً في وسط الوعاء الذي اكون فيه غير قادر ان احرك جسمي وانقله من مكان الى آخر اذ ليس فيه ما استطيع ان امسكه وما من جاذبية تجذبني الى جانب منه . ولكن اذا كان في الوعاء هواء استطيع ان ادفع نفسي الى الوراء مثلاً بنفخي الهواء الى الامام أو ان أسبح في الهواء بدفع يدي ورجلي

اذا كان في الوعاء الذي اقيم فيه خوان وكراسي وآلات غير مقيدة في جوانبه فانها تنقلب بعضها على بعض بغير نظام . فلذلك يجب ان اتدبر الامر بحيث يمكنني أن أشعر ان الجاذبية لا تزال موجودة . وذلك ممكن بتنظيمي سرعة السهم المنقذف بي وانما هذا يستلزم زيادة اسراف في القوة الدافعة

بعد كل ذلك

بعد كل ذلك يجب ان أستوقف هذا السهم المندفع بي من الارض بسرعة ٧ أميال في الثانية . ومن رأي اسنولت بلتري ان محرك السهم يجب ان يعكس قبل الوصول الى القمر باربع دقائق لئلا أتحطم مع السهم

وحين اصل الى القمر فهل أجسر ان اخرج من وعائي الى ذلك الجسم السماوي البارد الميت الذي لا هواء فيه . قد اموت حتى ولو كان معي صفيحة من الاوكسيجين المضغوط اتنفس منها . هل يمكن ان اخرج من وعائي الدافىء الى ذلك الجو البارد الذي تجمد فيه أخف الغازات . وهل استطيع ان اتجه الى شعاع الشمس الساطع اللامع ؟

لحظة واحدة في القمر تكفي ان تردني مرتاعاً الى وعائي حيث أحرك عدة الراديوم في سهمي وأقذف به عائداً الى الارض . لاني من الارض والى الارض أعود

نهضة المرأة المصرية

والمرأة العربية في التاريخ — ٢

لا يمكننا معرفة حال المرأة اليوم وتقدير هـذه النهضة النسائية الحالية الا اذا عرفنا حالها في الماضي وعلى الاخص في العصر السابق لهذه النهضة وما كانت فيه من الجهل والاستعباد حتى اذا قارنا بين الحالتين تبينت لنا جلياً حقيقة تطورها وعلمنا قيمة هذه النهضة . تلك قاعدة البحث في الموضوعات الاجتماعية والتاريخية . ولقد أتينا على تاريخ نهضة المرأة العربية لنقف منه على التشابه بين النهضتين فلنأت الآن على مجمل حال المرأة قبل النهضة لنعرف منه ما أردناه من المقابلة

حال المرأة قبل النهضة

اذا أرسلنا نظرة الى ماضينا القريب وجدنا ان المرأة الشرقية عطلت من حلية العلم والتربية . فقد زادت المرأة حطة في الاجيال الاسلامية الوسطى كما تقدم تبعاً للتقهقر العام فاشتد الحجر عليها حتى انحطت أخلاقها وصارت الى ما يروى عنها في الف ليلة وليلة . فان في هذه القصة الخيالية مبالغات كثيرة لكنها تمثل الآداب الاجتماعية في تلك العصور المظلمة ، وتدل على سوء ظن الرجل في المرأة أوسوء الظن المتبادل بينهما ، بل تدل دلالة صريحة على ان الحجاب لا يمنع وقوع الفساد والخيانة : وقد تساوت في ذلك الانحطاط المرأة المسلمة وغير المسلمة من نساء الشرق الاسلامي . ففي مصر كما في غيرها من بلدان الشرق ، قضت المرأة المصرية ، من مسلمة وقبطية ، ومن عاشرها ، مدة الاجيال الوسطى وهي مظلومة محبوسة محتقرة جاهلة ، يسوقها والدها كالبهيمة الى زوج لا تعرفه ولا تعرف شيئاً من أحواله ، فتبقى متحجبة في بيوت كالسجون لا يدخلها النور ولا الهواء أسدلت الاستار على منافذها وأحكمت الاقفال على أبوابها ، حتى لقد عدوا من مفاخرهم ان لا تخرج المرأة من خدرها الا محمولة الى قبرها ! واذا خرجت لا تخرج الا مخفورة أو منقولة في المحفات متحجبة متبرقعة ملتفة بالاكفان كما وصفوها ، فكان البيت سجنها المؤبد لا تنظر الى الطرقات الا من خلال النوافذ الضيقة أو من بين أستار

العربة ، ولا تعرف من العالم الا الخرافات التي تسمعها من العجائز فاذا رأت برقاً ظنته شرراً يتطاير من عيون الجان أو سمعت رعداً خالته دبدبة خيول العفاريت ، تعمد الى النحاس تدقه عند خسوف القمر تخويفاً للحوت الذي ابتلعه ! وهكذا ضل عقل المرأة في ظلمات الاجيال الماضية وظلمات الجهل والسجن المؤبد الذي بقيت فيه حتى فقدت رشدها وسلبت حريتها وصار من المستحيل عليها ان تتمتع بالحقوق التي خولتها لها الشريعة الغراء والقوانين الوضعية ، اذ جعلت في حكم القاصر لا تستطيع أن تباشر عملاً ما بنفسها مع أن الشرع يعترف لها في تدبير شؤونها المماشية بكفاءة مساوية لكفاءة الرجل ، وصارت سجينة مع ان القوانين تعتبر لها من الحرية



النساء في مظاهرات القاهرة

ما تعتبره للرجل . وبالاجمال صارت المرأة لا شيء وسلبت كل شيء فلا رأي ولا فكر لها في الاعمال ولا قدم في المنافع العامة ولا ذوق في الفنون ولا فضيلة وطنية أو شعور ملي ، كل ذلك والناس سكوت لان القرائح جامدة والنفوس ميتة بما توالى عليها من فساد الاحكام وتفشي الجهل وبما رسخ في أذهانهم من ان تعليم المرأة وعفتها لا يجتمعان ! وبلغت المرأة غاية ذلك في القرنين الاخيرين قبل النهضة

فاصبح عقلها بفضل الجهالة والبطالة والسجن خزانة اوهام وخرافات ومخاوف فانحط شأنها كل الانحطاط حتى ظن غير العارف من كتاب الافرنج ان ذلك من فطرة طبيعة الشرقيين الاصلية !

فلما توسط القرن الماضي وأخذ القوم بأطراف التمدين الحديث واستنارت العقول

بالعلم وزاد الاختلاط بالافرنج والاقتباس عنهم انتبه العقلاء الى المرأة وعلموا تأثيرها في هيأتهم الاجتماعية فاصبحوا لا يرضيهم أن يكون لها فم يأكل ولا يتكلم فاذا خاطبها رجل تلعثم لسانها أو ساومها بائع باعها القطن حريراً والنحاس ذهباً . فاخذوا يفكرون في اصلاحها وطفقوا أولاً يتهامسون بذلك تهيباً من مقاومة الرأي العام وتيار العامة ثم تصدى بعضهم للمجاهرة به فلاقى أشد المعارضة والنقمة حتى تهيأت الاذهان قليلاً لنصرتها وتعليمها

ابتداء النهضة النسائية

بدأت النهضة النسائية في مصر منذ ربع قرن اذ اهتم المصريون بتربية البنات وكانوا قد ابتدأوا يشعرون بسوء حالتهم الاجتماعية فاخذوا ينشئون المدارس بعد حث طويل وسعي متواصل . ومكث الكتاب يكتبون ويؤلفون والخطباء يخطبون ويحثون على تغيير قديم مصر بجديد ، وظل المفكرون الاجتماعيون السنوات العديدة يبحثون في مسألة المرأة وحجابها وتخفيفه الا أنهم لم يدركوا غاية ولم يصلوا الى نهاية فلم تخرج آراؤهم الى حيز العمل حتى ظن ان هذا القديم الذي يحاربونه ما كان الا ليزداد قدماً على قدمه وان المرأة لن تخرج بعد من الحجر الذي سقطت تحته . الا أنه بالرغم من ذلك ابتدأت نهضة المرأة المصرية من مسلمة وقبطية في ظروف وأحوال مختلفة فنبغت المتعلمات والشاعرات اللواتي استرعين الاسماع واجتذبن الافكار برقة تعبيرهن وحسن بيانهن . وبين هؤلاء اللواتي كسرن قيود الحجاب من نساء القاهرة بالامس كاتبات في الصحف وخطيبات على المنابر كارقى الامم المتمدينة لكنهن كنّ قليلات لا يزيد عددهن على عدد أصابع اليد الواحدة

ذلك كان حال المرأة المصرية الى هذه السنين الاخيرة التي ارتقى فيها التعليم وكثر عدد المتعلمات نخفت فيها نوعاً سلطة الرجل على المرأة تبعاً لتقدم الفكر ، وخف الحجاب قليلا فصرنا نرى كل سنة جزءاً منه ينهار من نفسه حتى صار في السنتين الاخيرتين غير ما كان من عشرين سنة . وحدث في العائلات بعض التغير فشاهدنا النساء يخرجن لقضاء حاجاتهن ويترددن على المتنزهات وغيرها ويتعاملن مع الرجال بانفسهن ، وقد استعدت عقولهن لقبول الآراء السليمة وطرح الخرافات والاباطيل التي كانت تفتك بعقولهن وكان بقاؤهن في الجهل حرماناً من الانتفاع

باعمال نصف عدد الامة بل كان من أكبر أسباب ضعف الامة حرمانها من اعمال النساء

وقد ظهر في الايام الاخيرة جهاد المصلحين وسعيهم في رفع شأن المرأة وتعليمها فتخرج من مدارس البنات عندنا على قلة استعدادها ونقص وسائل التعليم والتربية فيها عدد من السيدات المتعلمات لا يستهان به أخذ يسعى لرقي المرأة وايرادها موارد التعليم والتهذيب . وبين هذا العدد كثيرات من القائمات بهذه النهضة النسائية نبغن في فنون مختلفة وقمن باجل الامور والاعمال التي سيشهد بها التاريخ ويخلد ذكرها باطيب الثناء



مشهد آخر للنساء في مظاهرات القاهرة

اسباب تطور المرأة المصرية

ان النهضة الحالية جعلتنا على رأس عقدة تاريخية نبدأ بها اول دور من عهد تاريخي جديد ونختم بها آخر دور طوى بساطه على ما فيه . وهذه النهضة كسائر النهضات روحها والعامل الفعال فيها والمحرك لها هو ذلك الكمال الذي تنشده الجماعات والذي كشفت الحرب العظمى الاخيرة عن مجراه فاظهر في الشرق وعلى الاخص في مصر صور الوطنية والمشاعر القومية الخالية من شوائب التعصب الديني والتعصب على النساء بل كان تطالبه عندنا سبباً في فك عقولهن من عقالها وتطور حالتهن من الجمود القديم الى الحياة الصحيحة

وذلك أنه لما احدثت هذه الحرب الضروس ذلك التطور الهائل في جميع الانحاء

وانبعثت انوار الحرية الساطعة في كل مكان وكان للمرأة في البلدان المختلفة دور لا يقل شأناً عن دور الرجال وصلت الهزة الكهربائية الى نفوس نسائنا وكن قد رأين شقيقاتهن الاوربيات في اثناء الحرب يناضلن ويسعين لخدمة وطنهن ومساعدة ابنائه في الانسانية ويعملن لتخفيف ويلاتها وتضميد جروحها ثم سمعن بلوغهن منصات النيابة واعتلاء المراتب فهيأت هذه الهزة نفوسهن التي تكونت وجعلتها على استعداد للانفجار والخروج من الجمود القديم عند اول حركة أو حادثة تثير عواطفهن وتنبه اذهانهن فتظهر ما كان كامناً في نفوسهن وقد أخفاه الضعف بالامس فاظهره اليوم الانتباه واليقظة . ولذلك كان من نتيجة التطور الفكري ان قامت نساؤنا قومتها ملقيات عنهن اعباء ذلك الثوب القديم تشاطرنا الشعور والعمل . بل ما كادت تظهر حركتنا التاريخية الاخيرة حتى برزت فيها السيدة المصرية من خدرها وقد وجدت انه قد حان لها أن تعلن شعورها القومي وعواطفها وأمانيها نحو بلادها فنزلت في ميدان السباق فادهشت العقول وخلبت الالباب بما اظهرته من ادلة الحياة ومعرفة الواجب فاشتركت مع الرجال في الامور الاجتماعية والسياسية الهامة مما جعل السيدات المصريات في نظر الاجانب موضع الاجلال والاحترام . والمتدبر لتطور حال المصرية السريع يرى ان الخطوات التي خطتها في ايام معدودة تعادل ما خطته في نصف قرن

ولا غرو فان حركة سياسية خطيرة كحركتنا هي بمثابة شوط تعدوه المرأة في سبيل الاصلاح . وهذا ما ظهر في نهضتنا النسائية الحديثة من أثر الشعور الوطني العام والتطور الخلقي الفجائي فقد تناولت حركتهن الشطر الاكبر من العادات القديمة فبدلتها التبديل الذي كنا ننتظر بزوغ فجره وطلوع شمسه حتى رأى الخبيرون باحوالها والباحثون في شأنها فرقاً شاسعاً وبوناً بعيداً بينها امس واليوم

وانا لنشكر لتلك الايام العصيبة ولتلك الحوادث المحزنة التي ادمت قلوبنا وتكرر وقوعها بين ظهرانينا في الشهور الاخيرة لانها كانت العامل الذي أثار في قلوب السيدات عوامل الغيرة وهاج من بين عواطفهن عاطفة الاتحاد والتضافر والتفاني في محبة الوطن ، نشكر لتلك الاحوال التي استفزت نساءنا فحركتهن فيها صيحات الحرية واخرجتهن الى حياة نشيطة خليقة بها نساء أمة هي مهد المدنية وقد ضربت في تاريخ الحضارة بسهام نافذة . ولن يطرب الانسان في هذه الحياة طربه لتلك النهضة المباركة التي لم يدفعها الى هذا الميدان غير الشعور الوطني فقامت فيها المرأة من

سباتها وخلعت عنها رداء الخمول وظهرت بهذا المظهر الجليل فكذبت أولئك الروائيين والمتطرفين الذين كانوا يتخيلونها وراء الحجب على تولد مخيلاتهم وتصور افكارهم ويصفونها بالعضو العاطل أو الخامل ويعزون اليها الجهل وعدم المبالاة بالحالة الاجتماعية . فهذا الانقلاب السريع والتطور الغريب أزاح عنها نقاب الانحطاط والاوهام التي رميت بها ، وأسدل ستاراً كثيفاً على تلك الصفات والخيالات التي صوروها فيها . واذا ذكر الكاتب أو المؤرخ حسنات هذه الايام فليذكر المرأة المصرية وارتقاءها الى مقامها في الهيئة الاجتماعية الشرقية فان في نهضتها خطوة كبرى فيها كل السعادة للامة بأسرها بل هي تمهيد لكل اصلاح ورقي نرجوه للبلاد وفاتحة عهد جديد وعصر ذهبي تلعب فيه المرأة ادواراً هامة مع الرجال وتسترجع مركزها ومجدها الماضيين وتعيد تاريخها المجيد الذي امتلأت صفحاته بمفاخرها فتمثل للعالم ادوارها المشهورة ابان نهضتها القديمة قبل الاسلام وبعده وفي عهد الخلفاء على ما بيناه . وقد كانت فيها المحور الذي تدور عليه حركة العالم باسره

والخلاصة ان تعليم المرأة المصرية وتطلعها الى اعمال المرأة الغربية ودورها الذي لعبته اثناء الحرب أثر في نفسها وهيأها لنهضتها . ثم كانت من نتيجة التطور الفكري والحركة السياسية وحوادثها وصيحات الحرية والشعور الوطني ان أظهرت ما كان كامناً في نفسها فايقظها ونبه ذهنها وأثار عواطفها

فكان لكل عامل من هذه العوامل تأثير كبير في نفوس نسائنا ساعد على نهضتهن اليوم . ونرى من ذلك ان هذه النهضة طبيعية اذ هي نتيجة اسباب قد استوفت حظها من النمو حتى بلغت غاية لم يكن بد من ظهورها في الشكل الذي سنأخذ في تبيانه ، بل هي قائمة على اساس صحيح هو الاستعداد للكمال وقبول الترقي كما نرى فيما يأتي

مظاهر النهضة

ان مظاهر هذه النهضة كثيرة فان المرأة لم يمنعها الحجاب عن اظهار شعورها ومشاركة الرجل في جميع ما يفرضه الواجب الوطني من مهام الحياة وخدمة القضية المصرية فوقفت مواقف الرجال وهي في كل يوم تزداد نشاطاً وهمة وعملاً واشتراكاً في شؤون بلادها

وقد تقلبت هذه النهضة النسائية حتى الآن في طورين : الاول طور المظاهرات واظهار العواطف بالخطابة والكتابة وتأليف الوفود وجمع الاعانات وغيرها . والثاني طور الجد والعمل واصلاح شأن المرأة المصرية بتأليف الجمعيات

الدور الاول

مظاهرات النساء

هذه المظاهرات هي اول مظاهر النهضة النسائية واول مجهود للمرأة في الحركة الاخيرة . فكان من نتائج حوادثها ان شاطرت النساء الرجال في مظاهراتهم السلمية واشتركن في الشؤون العمومية والسياسية فقمن بمظاهرات ثلاث اظهرن فيها من ضروب الحماس الوطني والشجاعة والشعور المتدفق ما دل على ان المصرية ليست هي تلك السجينة الغبية التي لا تحس بتقلب الشؤون وتطور الشعور بل هي التي قد فتحت عينيها لنور الحياة :

المظاهرة الاولى : قامت بها سيدات من أرقى الاسر المصرية فطفن في سياراتهن على الدور الرسمية ودور المعتمدين السياسيين وتظاهرن أمامها

المظاهرة الثانيـة : هي التي منعتها السلطة العسكرية عن المسير وكانت المتظاهرات من أشرف عقائل البيوتات المصرية

المظاهرة الثالثة : اشتراكهنَّ في مظاهرات السرور بأباحة سفر الوفد المصري وهي التي قالت عنها التيمس : « واشتركت النساء في هـذه المظاهرات وما كنَّ من قبل يهتممن بالامور السياسية غير ان ما حدث في مصر أخيراً دفع كل مصري ومصرية الى الاهتمام بالحركة المصرية ، وقد خطبت النساء أمام قصر السلطان »

هـذه هي المظاهرات الحكيمة السلمية التي قامت بها سيدات القاهرة اظهاراً لشعورهنَّ الحي الراقي نحو وطنهنَّ المحبوب . هذا فضلاً عن مواكب الفتيات المنظمة التي الفتها تلميذات المدارس ومعلماتهنَّ في المدن وطفنَ بها يهتفنَ لمصر وآمالها . وهذه المظاهرات النسائية السياسية هي أول ما عرف من نوعها في تاريخ مصر . ونحن لا يسعنا الآن تفصيل الكلام على هذه المظاهرات الثلاث بل نكتفي بوصف أعظمها وهي المظاهرة الثالثة وما فيها من الملاحظات التاريخية والاجتماعية

كانت هذه المظاهرة أعظم واكبر مظاهرة رؤيت في العاصمة ، وسيظل يومها ،

وهو يوم الفرح العظيم ، مذكوراً في تاريخ القاهرة . فقد لبست مصر فيها حلة العيد واشتركت في الابتهاج بهذا العيد العام الطبقات المصرية كافة فهرعت السيدات والفتيات الى مشاركة الرجال والوقوف الى جانبهم . ففي وسط هذه الجماهير الكثيفة والمواكب العظيمة التي غصت بها الشوارع والطرقات وكل مكان في القاهرة كانت تلتقي مواكب النساء بمواكب الرجال وتتدفق في الميادين وهي تموج بالخلق على رحباتها ، والسيدات يحيين الطلبة ويشاركن الرجال في الهتاف والطواف وترديد الدعاء بين أصوات الفرح وألحان الموسيقات والاناشيد والاغاني التي كانت تمتزج بالتصفيق والهتاف لهن والاعجاب بوطنيتهن ، وهن يلوحن بالمناديل البيضاء وقد شاركتهن الجماهير في حمل الازهار والاغصان الخضراء ورفع الاعلام الحمراء التي كانت تخفق على رؤوسهن حتى كان يخيل الى الرائي انه في وسط حديقة فيحاء متنقلة أزهارها الاعلام وارجها الوطنية . وقد كانت جميع طبقات السيدات المصريات ممثلة في هذه المظاهرات فاشتركت فيها المسلمات والقبطيات من كرائم العقائل وارقى البيوتات في عرباتهن الفخمة وسياراتهن الفاخرة المجللة بالازهار والاعلام المصرية الى أفقر النساء في المركبات العامة ، فررن بين المتظاهرين والجماهير تحييهن تحية الاكرام والاجلال

وبمثال بالاجمال خرجت كرائم السيدات بل السيدات على اختلاف طبقاتهن في المركبات ومما يلاحظ في تلك المواكب أن خروج السيدات المصريات وهن من العائلات الكبيرة كما تقدم كان في مركبات وعربات غير مقفلة كما كانت العادة إما منفردات أو مع ذويهن من الرجال (ولم يكن من الجائز قبل ذلك أن يركب الرجل مع زوجته أو والدته في عربة واحدة) والى جانبهن نساء العامة يعبرن عن فرحهن بالدعاء والغناء وغيره . فكان المنظر مؤثراً يستمد منه أقوى برهان على اتحاد الامة المصرية باسرها . فقد تجلت دلائل هذا الاتحاد والاخاء في تلك المواكب فكما كانت الجمعيات الاسلامية الى جانب الجمعيات القبطية والصليب الى جانب الهلال كذلك كانت السيدات في السيارات الى جانب النسوة في المركبات العامة وشعار الجميع : الاخاء والحرية والمساواة

ومن المشاهد النسائية التي شاهدناها أن النسوة الوطنيات اللواتي هن من الطبقات غير المتعلمة لم يقصرن في شيء مما يستطعن القيام به تشبهاً بالمتعلمات فقد

كنّ يحملن الاعلام وينادين بالدعاء لمصر والوطن ويهتفن للنشأة وبعضهن يزغردن والبعض الآخر يطبلن . ومع كل هذا فكان الادب والنظام رائد الجميع فلم تبدر من احداهن كلمة تجرح أو تسيء على الاطلاق . بل تبين من نظام هذه المظاهرات أن المصريين ليسوا أقل من الاوربيين في المحافظة على الآداب الاجتماعية ومعرفة الواجب في احتفالاتهم مهما بلغ من كبرها . فانه مع كثرة الزحام لم يقع من شخص واحد ما يخالف القانون ، بل مع اختلاط النساء والرجال العظيم لم يقع حادث يخل بالآداب

وقد زاد اشتراك السيدات في فخامة المظاهرات وبهجتها . وهذه أول مرة تشارك المرأة المصرية الرجل في عواطفه الاجتماعية وتشترك معه في الشؤون السياسية وقد كانت مخبوءة في دارها لا رأي لها ولا فكر ولا قدم في المنافع العامة ولا عاطفة وطنية أو شعور ملي ، بل هذه اول مرة في تاريخنا تختلط فيها النساء ، من أكبر العائلات الى اصغرها ، مع الرجال فتحيي المرأة الرجل ويحييها ويهتفان للوطن معاً

وبالاجمال ففي هذه المظاهرات من دلائل الانقلاب والنهضة ومظاهر الحياة المتدفقة بين مختلف طبقات النساء ما نجد في صحائف تاريخ مصر الحديث مع التكريم لعواطفهن والاعجاب بشعورهن ووطنيتهن

عبد الفتاح عباده

الموت في الحياة

دبَّ المشيبُ بلمتي فترقبي ... يا زينة الفتيات قرب مماتي

ان الحياة هي الشباب فان مضى ... فصل الشباب ذوى ربيعُ حياتي

حليم دموس

الشعرة البيضاء

وشعرةٍ برزت في لمَّتي سحراً ... فاعلنت سرَّ عمرٍ كان مستورا

بيضاء في الشعرات السود لامعةٌ ... كالبرق مؤتلقاً والسيف مشهورا

وافت وحيَّت فلا اهلاً بوافدةٍ ... غزت شبابي فامسى اليوم مدحورا

كرهت من اجلها نور الصباح وهل ... رأيت في الناس غيري يكره النورا ؟ . .

حليم دموس

فجر عهد جديد

في مصر

(تابع لما نشر في الجزء الماضي)

بعد استعفاء الوزارة الرشدية ظلت البلاد بلا وزارة مسؤولة بضعة أسابيع . وقد اصدر الجنرال اللنبي في هذه الاثناء أمراً اذن فيه « لكل وكيل وزارة أو للقائم مقامه بأن يؤدي في الوزارة التابع لها جميع أعمال الوزير وأن يتولى سلطته في المسائل الادارية بما في ذلك حق تمثيل الوزارة امام جميع المحاكم وذلك بصفة وقتية ولحين تأليف وزارة جديدة »

ثم صدر أمر من قيادة قسم القاهرة بتاريخ ١١ مايو يحظر عقد أي اجتماع مخل بالنظام في الحوانيت أو القهوات أو المطاعم أو الملاهي في دائرة محافظة القاهرة « ويعد اجتماعاً مخلا بالنظام كل اجتماع يحضره اكثر من خمسة أشخاص اذا ألقيت فيه خطب او حدث فيه سلوك غير عادي يكون من المحتمل عقلاً ان يؤدي الى الاخلال بالامن العام »

وفي ١٧ مايو صدر أمر بمقتضى الاحكام العرفية يمنع « جمع النقود او الاشياء التي لها قيمة سواء كان بطريق الاكتتاب العمومي او خلافه بقصد التحريض على الاخلال بالنظام او لمساعدة أي شخص او اشخاص على اتيان عمل مخالف للاحكام العسكرية أو لمكافأة أي شخص او أشخاص على عمل كهذا »

وقد انتظمت الاعمال العمومية في هذه الاثناء وعادت طرق المواصلات الى حالتها المعتادة أو كادت ورفعت القيود المختلفة التي كانت قد استدعتها الحال

هذا في الداخل . اما في الخارج فقد جاءت الاخبار بأن الوفد المصري يبذل جهده للقيام بمهمته خير قيام وعرض القضية المصرية على أولي الشأن . وأهم ما حدث من الوجهة السياسية اعتراف الرئيس ولسن والحكومة الاميركية بالحماية الانكليزية على مصر ثم جعل هذه الحماية من شروط الصلح التي طلب من المانيا الاعتراف بها . فقد ورد في تلك الشروط « ان تعترف بالحماية البريطانية التي بسطت على مصر

في ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ وتتنازل اعتباراً من ٤ أغسطس ١٩١٤ عن الامتيازات الاجنبية فيها وعن جميع المعاهدات والاتفاقات المبرمة بينها وبين مصر وتتعهد أن لا تتعرَّض لاي مفاوضة تدور على مصر بين بريطانيا العظمى والدول الاخرى »

وفي ٢٠ مايو الماضي تلقى حضرة صاحب الدولة السير محمد سعيد باشا الامر السلطاني الكريم بتوليته رئاسة مجلس الوزراء ورتبة الرياسة الجليلة وهذه صورة الامر وجواب دولة الرئيس عليه يليهما المرسوم السلطاني بتأليف الوزارة

الامر السلطاني الكريم

عزيزي محمد سعيد باشا

انه لكمال وثوقنا بدولتكم ولما نعهده فيكم من مزايا الجدارة والقدرة في القيام بمهام الامور قد اقتضت ارادتنا السنية السلطانية توجيه مسند رئاسة مجلس وزارتنا مع رتبة رياسته الجليلة لعهدة لياقتكم . وأصدرنا أمرنا هـذا لدولتكم لبذل الهمة في انتخاب وتأليف هيئة الوزارة وعرضه لجانبنا لصدور مرسومنا العالي به . والله المسؤول ان يمدنا في كل الامور بعونه وعنايته . وان يوفقنا جميعاً للعمل بما ينفع البلاد والعباد ان شاء الله

فؤاد

جواب حضرة صاحب الدولة محمد سعيد باشا

يا صاحب العظمة

بيد الاجلال تلقيت أمركم الكريم الذي تفضلتم فيه بتكليفي تأليف الوزارة الجديدة

وأقدم لعظمتكم شعائر الشكر والامتنان على ما تعطفتم به نحوي من دلائل الثقة العالية المقرونة بالاحسان برتبة « الرياسة » الجليلة

ومع علمي بصعوبة المركز وما يحف به من المشاق لم يكن في وسعي الا امتثال أمركم السامي لكي أقوم بما هو مفروض علينا جميعاً من خدمة الوطن تحت ظلكم الكريم وبحسن رعايتكم الفخيمة

وانني أتشرف بان أعرض على أنظاركم العالية أسماء حضرات الوزراء الذين اخترتهم لمعاونتي على القيام بهذه المهمة . وقد حفظت لنفسي منصب وزارة الداخلية . فاذا صادف هذا الانتخاب قبولا لدى عظمتكم ، فتمس التكرم باصدار المرسوم السلطاني باعتماده

ولا زلت لمولاي العبد الخاضع المطيع والخادم المخلص الامين

محمد سعيد

المرسوم السلطاني بتشكيل الوزارة

نحن سلطان مصر

بعد الاطلاع على الامر الكريم الصادر في ٢١ سبتمبر سنة ١٩١٩ وبعد الاطلاع على أمرنا الكريم الصادر في ٢٠ شعبان سنة ١٣٣٧ (٢٠ مايو سنة ١٩١٩) . وبناء على ما عرضه علينا رئيس مجلس الوزراء

رسمنا ما هو آت

المادة الاولى — عين محمد سعيد باشا وزيراً للداخلية . واسماعيل سري باشا وزيراً للاشغال العمومية وللحربية والبحرية . ويوسف وهبه باشا وزيراً للمالية . واحمد زيور باشا وزيراً للمعارف العمومية . وعبد الرحيم صبري باشا وزيراً للزراعة . واحمد ذو الفقار باشا وزيراً للحقانية . ومحمد توفيق نسيم بك وزيراً للاوقاف

المادة الثانية — على رئيس مجلس وزرائنا تنفيذ مرسومنا هذا فؤاد

بأمر الحضرة السلطانية
رئيس مجلس الوزراء
محمد سعيد

وقد أعلن صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء على أثر تعيينه ان وزارة دولته مصرية قبل كل شيء لا تسعى الا لما فيه صالح البلد وان مهمتها ستكون تسيير الامور المعطلة واعادة النظام الداخلي الى السلطة المدنية وأنها لا تقرر شيئاً بالنسبة لمركز مصر خصوصاً وان المسألة المصرية يبت فيها في مؤتمر الصلح العام

القران السلطاني السعيد

بلاغ من القصر السلطاني

« نظر حضرة صاحب العظمة مولانا السلطان فؤاد الأول سلطان مصر المعظم بعين الحكمة العالية الدينية الى وجوب التمسك بما وصى به الدين الحنيف في أمر الزواج والاهتمام به عملاً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى وفقه الله وأسعد أيامه انجاز ما عقد عليه عزمه الشريف نحو ذلك وتم عقد القران السلطاني السعيد بقصر البستان في صبيحة أمس (يوم السبت المبارك الموافق ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ ٢٤ مايو سنة ١٩١٩) على سليلة بيوتات المجد والشرف حضرة صاحبة العظمة السلطانة نازلي . وقد تولى مولانا السلطان أيده الله قبول العقد لنفسه بنفسه اجلالا لاحكام الشريعة المطهرة حيث كان الوكيل عن عظمة السلطانة حضرة صاحب المعالي والدها الماجد عبد الرحيم صبري باشا وزير الزراعة حالا بشهادة كل من حضرات أصحاب المعالي محمود شكري باشا رئيس الديوان العالي السلطاني وسعيد ذو الفقار باشا كبير امناء الحضرة المعظمة السلطانية . وقد باشر صيغة العقد المبارك حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الشيخ محمد ناجي رئيس المحكمة العليا الشرعية بحضور

العائلة والمنزل

كيف نربي اولادنا

في البلاد الحارة — ٢

كتبنا في العدد الماضي شيئاً عن تغذية الطفل في البلاد الحارة . ونستطرد الكلام الان على تربيتهم . وكلامنا هذا يتعلق بالاولاد الذين يبلغ عمرهم سنتين فما فوق الى الثانية عشرة

للحرّ تأثير شديد في الجسم فانه يبطىء الهضم ويقلل الشهية للاكل ويجعل الانسان خاملا بل يضعف تركيب الدم نفسه والحركة الدموية والجهاز العصبي ولذلك يجب الالتجاء الى الوسائل العلمية والصناعية لتخفيف وطأته على الاولاد

لا يخفى ان حرارة الجسم الطبيعية في البلاد الحارة اكثر قليلا منها في البلاد المعتدلة فينبغي تخفيف تأثيرها بمنع الاولاد من الرياضة المتعبة وعدم تعريضهم لاشعة الشمس . فيجب ان تكون رياضتهم معتدلة وان يقوموا بها باكراً في أول النهار أو متأخراً في المساء اذ يكون الهواء بارداً . ويجب ان يعوّد الولد على النوم عند الظهر اذ تكون حرارة الشمس على أشدها والنوم عادة يقلل من حرارة الجسم . ويجب ان يستحم الطفل يومياً في المساء قبل النوم بماء دافىء . أما اذا كان ضعيفاً فيسخن الماء قليلا . وكذلك في فصل الشتاء . وفي الصباح يكفي مسح الجسم بماء دافىء بالاسفنجة

أما ثياب الولد فيجب الاعتناء بها على الخصوص . ويجدر الاقلاع عن الثياب الضيقة والكثيرة الاحزمة واستبدالها بالثياب الواسعة الخفيفة التي تسمح للهواء ان يتخللها والافضل استعمال الاقمشة ذات النسيج المسترخي التي تمتص العرق فتمنع سرعة التبخر . ففي فصل الشتاء مثلا يجب ان تكون الملابس الملاصقة للجسم من الفلانلا الصوفية الخفيفة وفي الصيف يجب استعمال الاقمشة القطنية الخفيفة النسيج أو القطنية الممزوج بها قليل من الحرير أو الصوف

ومن العادات الشائعة في البلاد الحارة أنهم يمنطقون وسط الولد بحزام من

الصوف دفعاً للبرد والاسهال كما يقولون . فهذا الحزام عديم الفائدة الا للاولاد الضعيفي الجسم الشديدي التعرض للاسهال . بل سنذكر الآن شيئاً عن هذا النوع من الاسهال وطريقة تجنبه يغنينا عن استعمال هـذا الحزام الذي يضايق الطفل كثيراً ويهيج جلده الرقيق فيحدث له حرارة جلدية وبسبب تجمع العرق على جسمه وما ينتج عن ذلك من الاضرار

* * *

يصاب كثيرون من الاطفال والاولاد في البلاد الحارة بنوع من الاسهال يحدث في الليل . فقد ينام الولد وهو في صحة جيدة وفي منتصف الليل أو عند الصباح يصاب بمغص واسهال . وهذا الامر شائع ومعروف عند الكثيرات من الامهات . وسبب ذلك هو ان الجو في البلاد الحارّة ينقلب في الليل فيبرد الهواء فاذا تضايق الولد في أول الليل من الحر رفس الغطاء برجليه فينكشف جسمه فتبرد معدته ويصاب بقشعريرة تسبب له المغص والاسهال . وخير الطرق لتجنب هذا الامر هو ان يلبس الاولاد بيجاما [1] يجمع بين قطعتيها العليا والسفلى

أما الاولاد الصغار السن فيربط طرفا قميصهم الخلفي والامامي بواسطة شرائط بين الفخذين . هذه هي الطريقة الصحية النافعة لا الاكثار من الاغطية

ومن المعروف في البلاد الحارة ان الجهاز العصبي في الاولاد سريع التأثر فاذا كثرت الرياضة مثلاً أو طالع الولد كثيراً تجد مع الزمن ان اطباعه وأخلاقه قد تغيرت فيصبح سريع الغضب حاد المزاج فيقل نومه ويضطرب هضمه فيضعف جسمه وقد تظهر فيـه أحياناً أعراض تشبه أعراض الهستيريا . وعليه تجب ملاحظة الاولاد وتربيتهم على طرق مخالفة لما تعوّده آباؤهم في بلادهم الاصلية الباردة فلا يسمح لهم مثلاً الا بالرياضة المعتدلة ولا يلقى عليهم حمل الدراسة الا بعد السنة السابعة من عمرهم أو التاسعة أو العاشرة اذا كانوا ضعيفي الجسم . ولكن لا بأس من ارسالهم الى المدرسة المعروفة بالكندرجارتن (حديقة الاطفال) قبل ذلك للتسلية فقط

ويستحسن ان تكون اوقات الدراسة ساعتين صباحاً وساعتين آخر النهار اذ

(١) البيجاما رداء للنوم مؤلف من قطعتين عليا وسفلى

تكون حرارة الشمس على أقلها . وعلى هذه الطريقة ينجو الكثيرون من الاولاد من حول العينين الذي يصابون به في البلاد الحارّة

ومما يؤسف له ألا يبالي الكثيرون من الآباء بهذه الامور الضرورية وان يغفلوا ما تنتجه كثرة الدروس من الضرر على صحة الولد وعقله . فانهم في الغالب يبدأون منذ نعومة اظفاره بتعليمه لغته الاصلية ومعها لغتان أو ثلاث من اللغات الاجنبية والبيانو مثلا عدا عن الدروس الخصوصية البيتية الى غير ذلك مما ينهك عقل التلميذ المسكين فضلاً عن تأثير الحر فتنحط قواه الجسدية والعقلية فيميل الى الكسل وتكون النتيجة عكس المراد

أما بخصوص التغذية فتجب ملاحظة ثلاثة أمور شائعة في البلاد الحارّة : ضعف الشهية في الاكل وبطء الهضم والميل الى الاكثار من المأكولات الكثيرة البهار. فتجب معالجة هذه الحالات أو تجنبها كي تسير صحة الولد سيرها الطبيعي المعتاد. فضعف الشهية ينتج غالباً عن التعب الجسمي أو العقلي . ولذا نعود فنكرر وجوب الاعتدال في الرياضة وتقليل الدروس وساعات الدراسة حتى لا يتعب العقل . ومن أشد أسباب بطء الهضم الحرارة وعليه يجب ان ينام الولد عند الظهر فيتجنب بذلك التعرض لاشعة الشمس المحرقة فضلا عن ان النوم ذاته ينقص حرارة الجسم . ويجب ان يمنع الاولاد عن المأكولات الكثيرة البهارات وان يقللوا من أكل الحلويات و «الشكولاته» لانها سريعة التخمر في المعدة فتسبب ارتباكات معدية واسهالا علاوة عما تنتجهُ من الضرر للاسنان

وهناك عادة قديمة ينبغي للامهات تركها وهي اعتقادهنَّ بضرورة اكتفاء الطفل باقل قدر من الماء مع ان الطفل الذي يفرز كمية كبيرة من الماء من رئتيه وكليتيه وبشرته هو في أشد الحاجة الى شرب الماء الكثير ليعوض عما يفقده بل ان كثرة شرب الماء تشفيه غالباً مما قد يكون مصاباً به من الامساك وتزيل ما قد يرسب من الحامض البوليك فتحول دون اصابته بمرض الرمل والحصوة مما هو شائع في البلاد الحارة

الدكتور ميشيل سمعان

جمعية الامم

وما سبقها من النظامات الدولية

ليست جمعية الامم أول نظام دولي ثابت تشترك فيه الدول وتعمل على ما فيه خيرها جميعاً . فهناك نظامات ومصالح وادارات كثيرة قائمة باشتراك الدول وتعاونها . وجدير بنا الآن ان نراجع ما جرى بين الدول الحديثة وما يجري الى اليوم من هذا القبيل . فان في ذلك الدرس فوائد جمة . وكأن المصالح الدولية المتقدم ذكرها مهدت السبيل لعمل جمعية الامم وقد جاء في عهد الجمعية ان أعضاءها يتعهدون بضم هذه المصالح معاً تحت مراقبتها

ولعل العامل الاول في اشتراك الدول وتعاونهم على الاعمال التي يعود نفعها عليهم جميعاً كان توثق المواصلات بين أقطار الارض واقتراب المسافات بين الشعوب وتعدد وسائل التفاهم والتخالط والتمازج . فان الترابط في الماديات مقدمة للترابط في المعنويات

ان أول مصلحة دولية كانت على الارجح « مجلس الصحة » الذي أنشئ في الاستانة سنة ١٨٣٨ لمنع انتشار الكوليرا في الدولة العثمانية . ثم عقب ذلك مؤتمر مقاومة الرقيق ومؤتمرات أخرى كثيرة رسمية وغير رسمية لتحسين حال البشر

على ان التعاون الدولي ظهر بصورة ثابتة مستديمة على اثر تقدم طرق المواصلات كالاسلاك التلغرافية البرية والبحرية والسكك الحديدية الدولية وترع الملاحة الكبيرة

ففي سنة ١٨٥٥ عقد مؤتمر دولي للتلغراف . ثم أنشئ « اتحاد البريد العام » . ولعل هذه المصلحة هي خير مثال يبين اشتراك الدول الفعلي . ولذلك يجدر بنا ان نقول كلمة عنها ولا سيما انه قد ورد ذكرها في دستور جمعية الامم عند الكلام على نفقات الجمعية . فقد نصت المادة السادسة على ان تلك النفقات يحملها أعضاء جمعية الامم على نسبة ما يحملونه من نفقات اتحاد البريد العام

عقد مؤتمر البريد العام في باريس في سنة ١٨٦٣ بناء على اقتراح مدير بريد الولايات المتحدة لتنظيم العلاقات البريدية بين الدول وكانت لذلك العهد في حالة يرثى لها من الفوضى والاختلال . على ان ذلك المؤتمر اكتفى بتقرير بعض المبادئ ولم ينص على اجراءات فرض على الدول تنفيذها . ولم يتم ذلك الا سنة ١٨٧٥ اذ اجتمعت

الدول في برن بسويسرا بناء على دعوة مدير البريد الالماني . وقد تقرر اذ ذاك انشاء مكتب مركزي دائم في مدينة برن فضلاً عن عقد المؤتمرات الدولية من حين الى آخر

ولا يخفى ما « لاتحاد البريد العام » من الشأن العظيم في هذا العصر . على اننا قلما نفكر في فوائده لاننا تعودناها . والحقيقة ان ذلك الاتحاد كان خطوة كبيرة في سبيل الترابط والاتصال بين الشعوب . فقد أصبحت جميع الممالك قطراً واحداً في نظر مصلحة البريد وسلمت جميعها باباحة مرور البريد على أملاكها واتفقت على أجور معينة متساوية وتعهدت بقبول التحكيم في كل خلاف يقع من هذا القبيل وعينت لها مكتباً مركزياً عاماً ينظر في شؤون البريد العالمية . وهي تتعاون على سد نفقاته ـ الى غير ذلك مما يدل على مبلغ اتفاق الدول في هذا الشأن ويؤمل خيراً باتفاقها في المشروع الخطير الذي أخذت في تنفيذه الآن

وعلى هذا النمط انشىء « اتحاد التلغراف العام » في سنة ١٨٦٥ ومركزه ايضاً في مدينة برن بسويسرا . وهو ينظر في العلاقات التلغرافية المختلفة بين الدول . وقد أضيف اليه أخيراً كل ما يتعلق بالتلغراف اللاسلكي ونظامه الخ . . .

ومن المصالح الدولية أيضاً « اتحاد الاتجار بالسكك الحديدية » الذي أنشىء سنة ١٨٩٠ وغرضه تنظيم العلاقات بالسكك الحديدية في القارة الاوربية

ومنها أيضاً « لجنة الدانوب الدولية » التي تراقب الملاحة على ذلك النهر . وهي من نتائج مؤتمر باريس سنة ١٨٥٦

أما بخصوص البحر فقد أنشئت « اللجنة البحرية الدولية » منذ نحو ٢٠ سنة ومع ان قراراتها اختيارية لا اضطرارية فقد كان لها شأن عظيم في تحسين أحوال الملاحة

كذلك ضمنت الدول سلامة الاسلاك التلغرافية البحرية باتفاق عقد في باريس سنة ١٨٨٤ فانه يجوز الآن لأي سفينة بمقتضى ذلك الاتفاق ان توقف أي سفينة أخرى يلوح لها انها ترمي الى الاضرار بتلك الاسلاك ـ مهما تكن جنسية السفينتين

ولقد عقدت الدول سنة ١٩٠٩ اتفاقاً بشأن الانتقال بالاوتوموبيل بين دولة ودولة وقس على ذلك سائر الاتفاقات وكلها تدل على ان الدول اضطرت بحكم الحال الى الاتحاد والتعاون لما احكم ارتباطها وتعددت طرق الاتصال بينها

وهناك شؤون أخرى كثيرة (غير وسائل الاتصال) حملت الدول على الاتفاق . وفي مقدمة ذلك « الصحة » فقد انشأت الدول في باريس سنة ١٩٠٧ « مكتباً صحياً عالمياً » تديره لجنة دولية مؤلفة من اختصاصيين في هذا الموضوع

ويجدر بنا أيضاً ان نذكر اتفاق الدول على صيانة حقوق المؤلفين ورجال الفن. ففي مدينة برن مكتب خاص غرضه القيام بهذه المهمة

وآخر ما نذكره هنا المعهد الزراعي الدولي الذي أسس في رومه سنة ١٩٠٥ وقد ذكرنا عنه شيئاً في الهلال الماضي

ولا بد لنا في الختام من الاشارة الى الاتفاقات والمؤتمرات التي عقدت لتوطيد أركان السلم الدولي . وأهمها كما لا يخفى مؤتمرا الهاي المنعقدان سنة ١٨٩٩ وسنة ١٩٠٧

هذا قليل من كثير وانما غرضنا من ايراد هذه الامثلة أن نبين ان الدول قد تدربت قبل الحرب نوعاً ما على تدبير المصالح المشتركة . وما عليها الآن الا توحيد تلك المصالح جميعاً تحت اشراف جمعية الامم

خلاصة دستور جمعية الامم

لقد اصبحت « جمعية الامم » الآن حقيقة راهنة بعد تنقيح دستورها والتصديق عليه نهائياً في مؤتمر الصلح بباريس وقد وقع اختيار اللجنة المكلفة درس هذا المشروع على مدينة جنيف بسويسرا مركزاً للجمعية وانتخب السير جيمس اريك دراموند الانكليزي سكرتيراً عاماً لها [1]

على أن معظم القراء - بالرغم من اطلاعهم على دستور جمعية الامم كما نشرته الجرائد - لم يدركوا مفاده ومؤداه وما يترتب عليه من التغييرات في المعاملات الدولية المقبلة . وقد حدا بنا ذلك الى تلخيص ذلك الدستور بعبارة سهلة موجزة في بنود يفهمها كل قارىء كما يلي :

(١) يتعهد اعضاء جمعية الامم أن يعدوا نشوب الحرب او خطر نشوبها في اي جهة مما يهمهم جميعاً (والمقصود هنا من الاعضاء الدول المشتركة في جمعية الامم)

---

(١) وقد كان سكرتيراً خاصاً للمستر بلفور وزير الخارجية منذ ديسمبر سنة ١٩١٦ وكان قبلا سكرتيراً للسير ادوارد غراي لما كان وزيراً للخارجية ثم سكرتيراً للمستر اسكويث وهو رئيس الوزارة الانكليزية

(٢) يحفظون لانفسهم الحق في اتخاذ أي اجراء يستصوبونه للمحافظة على سلم العالم

(٣) يعتبرون الاعمال الحربية المخالفة لنص دستور جمعية الامم كأنها موجهة اليهم جميعاً

(٤) يتعهدون بالاشتراك في صيانة اراضيهم واستقلالهم من كل اعتداء . على ان هذا البند لا يمس « مذهب منرو »

(٥) لكل عضو أن يلفت نظر الجمعية الى أي أمر من شأنه زعزعة سلم العالم

(٦) لكل عضو أن يعرض أي خلاف يتعلق به على الهيئة المخصصة لذلك من جمعية الامم بابلاغ موضوع الخلاف للسكرتير العام الذي عليه أن يحدد ميعاد اسماع القضية

(٧) يتعهد جميع الاعضاء بعرض المسائل التي قد تؤدي الى الحرب للتحكيم أو التوفيق

(٨) لا يجوز لهم في أي حالة الشروع في الاعمال العدائية قبل انقضاء ثلاثة أشهر من صدور قرار هيئة المحكمين أو مشورة اللجنة التنفيذية (المعهود اليها امر التوفيق)

(٩) يتعهدون أن ينفذوا بامانة أي قرار تحكيمي يصدر في حقهم

(١٠) يتعهدون بعرض الخلافات التي لم تقدم للتحكيم على اللجنة التنفيذية

(١١) يقدمون للسكرتير العام بياناً وافياً عن موضوع قضيتهم . وهو الذي يقوم بالتدبيرات اللازمة لعرضها على اللجنة

(١٢) يمتنعون عن محاربة أي عضو تتفق لجنة جمعية الامم باجماع الآراء على صحة دعواه

(١٣) يتفقون على استخدام الضغط الاقتصادي لمجازاة أي دولة تقدم على شهر الحرب رغم ما ينص عليه دستور جمعية الامم . واذا لم يسفر ذلك عن نتيجة يجب على اللجنة أن تشير بالقوى البحرية والبرية التي ينبغي استخدامها لهذا الغرض

(١٤) يسمحون لجيوش الدول المشتركة في جمعية الامم باجتياز اراضيهم لمقاتلة الدولة التي تخالف عهد الجمعية

(١٥) يقبلون المبدأ الذي يقضي بتخفيض التسليح الى اقصى درجة يحفظ بها

كيان الامة . ومتى خفضوا التسليح بناء على مشورة اللجنة التنفيذية لا يزيدونه بعد ذلك بدون موافقة تلك اللجنة ـ وتجب مراجعة هذا الموضوع (التسليح) وتنقيحه مرة كل عشر سنوات على الاقل

(١٦) يتبادلون المعلومات الوافية أولاً عن مشاريعهم الحربية والبحرية وثانياً عن جميع الصناعات الموافقة للاغراض الحربية

(١٧) يسلمون بان صنع الذخائر الحربية في مصانع يملكها الافراد محفوف بالاخطار الكثيرة ويفوضون الى اللجنة وصف العلاجات الناجعة

(١٨) يجعلون جميع الوظائف التابعة لجمعية الامم مفتوحة للرجال والنساء على السواء

(١٩) يتعهدون بان يدفع كل عضو قسطه من نفقات الجمعية

(٢٠) يتعهدون بتسجيل جميع المعاهدات الجديدة في سكرتارية الجمعية . ولا يسري فعل المعاهدة الا بعد التسجيل

(٢١) يتعهدون بالغاء جميع المعاهدات التي لا تتفق مع عهد جمعية الامم وبالامتناع عن عقد معاهدات من هذا النوع

(٢٢) يتعهدون بالامتناع عن اذلال الشعوب المنحطة والجهات التي لا يمتلكها احد ويقتصرون على حكمها باعتبار انها أمانة مقدسة من قبيل المدنية

(٢٣) يتعهدون في الجهات التي تشبه اواسط افريقيا بضمانة حرية الاديان وتحريم المنكرات كتجارة الرقيق والاسلحة والكحول

(٢٤) يبذلون جهدهم لتحسين حال العمال ومعاملتهم بمقتضى العدل والانسانية في أوطانهم وفي خارجها وينشئون النظامات التي تكفل بذلك

(٢٥) يتعهدون بمراقبة تنفيذ ما ابرموه من الاتفاقات المتعلقة بالاتجار بالنساء والاولاد والاتجار بالاسلحة والمخدرات والذخائر وما كان من هذا القبيل

(٢٦) يأذنون بحرية المرور لتجارة جميع الامم ويعاملونها على السواء

(٢٧) يضعون جميع المصالح والادارات الدولية تحت اشراف ومراقبة جمعية الامم

(٢٨) يتعاونون على مكافحة الامراض

***

وللقيام بهذه الاعمال تقرر انشاء مجالس ولجان تابعة للجمعية وهي :

(ا) مجلس عام يمثل جميع أعضاء الجمعية

(ب) لجنة تنفيذية مؤلفة من ٩ أعضاء (٥ يمثلون الدول الجنس العظمى و٤ يمثلون الدول الصغيرة)

(ج) سكرتارية عامة

(د) محكمة دولية مستديمة

(هـ) لجنة خاصة بالشؤون الحربية والبحرية

(و) لجنة خاصة بالمستعمرات والانتداب لها من قبل جمعية الامم

(ز) لجنة خاصة بالعمل والعمال

(ح) لجان ومصالح أخرى مختلفة تنظر في الشؤون والعلاقات الدولية على تنوعها

***

ويجوز تعديل عهد جمعية الامم على شرط ان تجمع اللجنة التنفيذية على ذلك ويوافق عليه المجلس العام باغلبية الاصوات . واذا لم ترض احدى الدول بالتعديل يجوز لها الانسحاب . ويجوز ايضاً لأي دولة ان تنسحب من عضوية الجمعية على شرط ان ان يكون ذلك بعد سنتين من اعلان قصدها . وللجنة التنفيذية الحق في اخراج أي عضو من الجمعية على شرط ان يكون ذلك باجماع الاصوات . أما قبول الاعضاء الجديدون فيكون بموافقة المجلس العام باغلبية ثلثي الاعضاء على شرط أن تقدم الدولة الطالبة الدخول الضمانة الفعلية على نيتها الصحيحة وتعهدها بالقيام بالواجبات الدولية وتنفيذ التدبيرات التي تقرر بخصوص قوتها الحربية والبحرية

يلزم لادارة الهلال

السنوات ٢٤ و٢٥ و٢٦ والاعداد ٧ و٨ للسنة ٢٧ من الهلال بالثمن أو المبادلة فمن كان لديه شيء منها وهو في غنى عنه فليخابر الادارة

« المواكب »

بقلم الآنسة مي

اقترحت عليَّ مجلة « الهلال » كتابة فصل عن « المواكب » وإني لأجدُ مشقةً في تلبية كل اقتراح لانه يذكرني نوعاً بالفروض المدرسية التي يقيّد التلاميذ بموضوعاتها المعيّنة، وإن لم يكونوا بالافكار، وباسلوب إيرادها، مقيّدين. ومؤلف « المواكب » من الكُتاب الذين أُفضل على البحث في مواهبهم الوقوف على رأي الغير فيهم، مؤثرة على هذا وذاك تصفّح ما تخطّه اقلامهم. ثم ان « المواكب » مراحل نفسية استقرت صورُها في منظوم ومرسوم: فتقدير المنظوم يقتضي حكم الشعراء واللغويين؛ وإيفاء المرسوم حقه لا يُطلب إلاّ من جدارة المصورين؛ فأيّ المواقف أقفُ إزاء هؤلاء وأولئك؟ إن منتهى ما في مقدوري لا يتعدّى الاغتباط بالنظر إلى المعاني وإلى كيفية التصرّف بها، كأحد غواة الفن (Amateur).

على ان هذا النظر البسيط لا يتفق مع نظر الآخرين إلا إلى حدٍّ يصبحُ عندهُ مخالفاً لرأي كل من عرفوا جبران خليل جبران مفكراً. وكأني بهؤلاء قد أقاموا عنهم نائباً ينطق بلسانهم في شخص نسيب افندي عريضة الذي وضع « للمواكب » مقدمة دلّت على ما عندهُ من فكرٍ دقيق وفؤادٍ طروب.

فنسيب افندي يخبرنا بأن مؤلف « المواكب » كان متمرداً في كل حياته الكتابية، « يعرف ذلك من طالع كتبهُ وأهمها « الارواح المتمردة » و « الاجنحة المتكسرة » فهو يقفُ وأبطاله وبطلاته متمردين لا على عدوٍّ ظاهرٍ حقير بل على الحياة نفسها ». لم افهم جيداً ماذا يقصد بالتمرد « على الحياة نفسها »؛ وأي حياةٍ هي « نفس الحياة » في نظر صاحب المقدمة؟ أحياةُ المدنيةِ التي يعبدها جبران افندي وإن أزعجهُ ما فيها من سخافة، وهو لا يشبعها هجواً وتقريعاً إلا لأنه يعبدها؛ أم حياة الطبيعة التي يؤلهها هذا اللبناني الذي جعل وادي قاديشا في نفسه اندفاع مياههِ وجلال الغابة التاريخيةِ القائمة في جوارهِ؟

سلّمتُ بتمرّد « الأرواح المتمردة »، ولكن أليس جوهر « الاجنحة المتكسرة » امتثالاً؟ هناك يمتثلُ صديق سلمى بلا شكوى، ويمتثلُ أبوها بلا شبهٍ

شكوى ، وتمثل هي بشكوى لا بدّ منها لايجاد المادة المفجعة في الرواية . أقول « الرواية » وأعني القصيدة ، لأن « الاجنحة المتكسرة » قصيدة منثورة . أمتمردٌ بطل الرواية الذي تُنزع منهُ سلمى فلا يعترض ولا يحتج ، ثم يكتب ببساطة : « وهكذا قبض القدر على سلمى وقادها عبدة ذليلة في مواكب النساء الشرقيات التاعسات » ؟ وبعد عقد الخطبة الذي لا يحضره القارىء ولكنهُ يشعر بأنهُ قد تمّ ، يقول البطل : « في نهاية الاسبوع وقد سكرت نفسي بخمرة عواطفي سرت مساء إلى منزل سلمى » ! أمتمردٌ هذا الذي لا تقرأ له فصلا إلاّ وتعثر على ذكر القضاء والقدر فتجد لهما في نظره يداً لا تغالب ، وحكماً لا مردّ له ؟ أمتمردٌ هذا القائل بالتناسخ أي بالنشوء التدريجي والتطوّر المحتّم في خلال أعمار متتابعات ؟ نعم إنه يعتنق نظرية التناسخ ليس باقتناع الفيلسوف المتمذهب بل بعاطفة روائية تبسط لهُ مسرح الانفعالات والأهواء إلى أقاصي الدهور والاجيال ، بدلاً من أن تقتصر على عمر واحد وأعوام بشرية محدودة . وقد أجال قلمه في هذا المضمار حينما كتب « رماد الاجيال والنار الخالدة » [1] ، و « الشاعر البعلبكي » [2] ومقالة « الجبابرة » التي يقال إنها نشرت حديثاً في مجلة « العلم العربي » . والقول بالتناسخ ولو على هذه الكيفية الروائية ينفي التمرد لانهُ مضمر فيه التسليم بتقيّد المعلول بعلته وبرجوع كل حدث إلى سبب قديم غائر في الأعمار السحيقة . إنما ذلك الخضوع القصيّ

* * *

كلمة « خضوع » سيضحك منها غير واحد . ولكن هل رأيت رمز الحرية (أو رمز الرجل الذي يظن نفسه حرّاً) في « المواكب » باسطاً جناحيه ، وقد مدّ ذراعيهِ فرحاً متثبتاً من حريته ، بينا تظلّ قدماهُ مغلولتين بقيدٍ فردٍ تعدّدت منه العُقَد ، وانطلقت النزعاتُ والميول تشدّ بريش جناحيه إلى الارض ؟ أرأيت الروح الجزئية مسارعة عند الموت إلى حضن الروح الكلية الشاملة ، فتستقبلها هذه بهدوء النظام الذي لا يتغير ولا يتحوّل ، ألم تقرأ آخر جملةٍ من كتاب « المجنون » .

---

(١) من كتاب « عرائس المروج » (٢) كتبت لحفلة الكريم التي أقيمت لخليل بك مطران عام ١٩١٣

وهي هذه : « لماذا أنا هنا ؟ » (١) . ألم تقف على الايات الخاتمة « المواكب » :

العيش في الغابِ والأيام لو نُظمت في قبضتي لغدت في الغابِ تنتثرُ
لكن هو الدهر في نفسي له أرب فكلّما رمتُ غاباً قامَ يعتذرُ
وللتقادير سبلٌ لا تغيرها والناس في عجزهم عن قصدهم قصروا

أتذكر السطور الاخيرة من « العاصفة » (٢) بعد حديثه مع يوسف الفخري :

« نعم أن اليقظة الروحية أخلق شيء بالانسان بل هي الغرض من الوجود (؟) ولكن أليست المدنية بما فيها من التلبس والاشكال من دواعي اليقظة الروحية ؟ وكيف يا ترى نستطيع انكار امر موجود ونفس وجوده دليل على اثبات صلاحيته ؟ قد تكون المدنية عرضاً زائلاً ، ولكن الناموس الابدي قد جعل الاعراض سلماً تنتهي درجاته بالجوهر المطلق »

حسن جداً !

إذاً نحن أمام رجل متمرد على انظمة البشر . ومن جهة أُخرى تراه يدافع عنها مفسراً ما فيها من لُبسٍ واشكال ، مقرراً انها أعراض ضرورية للسير نحو الجوهر المطلق . وهو واثق بذلك إلى حدّ الارتياب في زوال هذه المدنية . فيقول : « قد تكون المدنية الحاضرة عرضاً زائلاً »

إنها عرض زائل بلا « قد » وبلا ريب لأنّ كل مقبل يسير إلى الإدبار ، وكل صرح يُدركهُ الخراب ليشاد غيره على أنقاضه ، وكل مدنيةٍ تنهارُ وتتلاشى لتقوم مقامها مدنيةٌ جديدة . « قد » ، « لو » ، « هل » ، « لكن » ، « لماذا » ، أهذه هي الكلمات التي ينصبُّ فيها غيظ المتمردين ؟

اني أراها ، على كل حال ، متفقة تمامَ الاتفاق مع قول بطل « الاجنحة المتكسرة » عند ذكر الفراق الاخير (أخير في الرواية) : « وكم مرةٍ فكرتُ منذ تلك الليلة الى هذه الساعة بالنواميس النفسية التي جعلت سلمى تختار الموت بدلا من الحياة . وكم مرةٍ وضعت نبالة التضحية بجانب سعادة المتمردين لأرى أيهما أجل وأجمل »

لنقفنَ هنيهةً عند « سعادة المتمردين » فهي نقطة جوهرية . هو متمرد التمرُّد اللازم للشعور بتلك « السعادة » المفاجئة الفائضة على النفس احساساً جديداً ،

(١) " Why am I here, O God of lost Souls,
Thou who art lost amongst the Gods ? "

(٢) نشرت في « الهلال » و « الفنون »

وتأثيراً لم تختبره من ذي قبل ، وهزة عجيبة تنبسطُ لها جوانب الكيان . هو أليف الحماسة مهبط الوحي ، التي تطلبُ أبداً تحريضاً حديثاً يمكنها من ابداع أساليب مجهولة . وكما تجاوبُ الاصوات والانغام ، وتأتلف الالوان والعطور في هيكل الطبيعة كذلك هي في هيكل الانسان ؛ ولكنها لا تفطنُ لها الا الاعصاب التي دوزنها التوتّر والتيقّظ ، أعصابُ الشعراء والفنيين ، لا سيما اذا كانوا من الرمزيين . وجبران افندي مع ما يرمى اليه دائماً من اصلاح محسوس ومع ما يبقى عليه من الحصافة والرزانة حتى في أوسع شوارده الشعرية ، كثيراً ما تراهُ في حالة الانجذاب لا يدري أهو يستنشق الألحان ، أو يسمع الالوان ، أو يرقد على حزمة من متجمعات الاشعة ، فينشد :

هل تحممت (كذا) بعطرٍ وتنشّفت بنور
وشربت الفجر خمراً في كؤوسٍ من أثير

فكيف لا يبحث مثل هذا المزاج عن خبرات غير مألوفة ، وأي شيء أطرب للفتى من الضرب على اليد القوية التي سنّت قوانين الاجتماع واصطلاحاته ، لا سيما اذا قاومت احدى رغباته ، أو قاسى بسببها العذاب يوماً ؟ هل تألم مؤلف «المواكب» من تلك القيود ؟ انه تألم من بعضها ، بلا شك ، بفكره وبقلبه وبكبريائه ، تألم شديداً حتى بلغ الدرجة الابتدائية من سلم الحكمة حيث يتعلم المرء الجرأة والخروج على ما يعذبه . ولكن هذه القيود ضرورية له ميداناً تبرز فيه قوّتهُ ويمرّن عليها مجهوداته ، فهو لا يُبدلها بألف حريةٍ معاً . انه في حاجة الى ما تقدمهُ اليه من ضغط ومقاومة يصيبان منه خفايا النفس فينبثق في جوانبها ينبوع الوحي والالهام

* * *

ان الاثنينية التي نجدها اليوم في « المواكب » كأنما شخصان اثنان يتحدثان متعارضين ـ شيخ وفتى ، يقول نسيب افندي عريضه ـ قد جاء جبران افندي بمثلها في « العاصفة » . وما هي إلاّ تعدد الوجدانات المقيم في جميع البشر ، فان الشخص الواحد يتكلم بلهجات متباينات في أحوال متشابهة . ومن ذا الذي لم يمتحن هذا الامر في نفسه ؟ فالشخصية التي اكتسبها مُسيّر « المواكب » من الاجتماع ، تلك الشخصية التي تقيدها الشواغل والاطماع بقيود لا تريد التخلص منها لاهتمامها بما يترتب عليها من النتائج ، تراقب نفسها بنفسها وتنظر الى احوال العالم محاسبة منتقدة ،

فاذا ما أردت تدوين ما تعلم وما هي مختبرة ، استعارت من « المواكب » الرائية الواسعة البحر التي يتفق قرارها البعيد مع صوت الاختبار الجديّ . على أن لهجة هذا الوجدان تناقض نفسها أحياناً ، فآناً تنتقد وآونةً تقرر ما يحسن عندها . ألا يخيل اليك أن يوسف الفخري يتكلم في هذه الايات الدالة على حب الحياة السامية حياة العزلة والانفراد ، حياة كل شاعر وكل مفكر حقيقي :

فان رأيت أخا الاحلام منفرداً عن قومه وهو منبوذ ومحتقر
فهو النبيُّ وبردِ الغد يحجبه عن أمةٍ برداء الامس تأتزر
وهو الغريب عن الدنيا وساكنها وهو المجاهر لام الناس أم عذروا
وهو الشديد وان أبدى ملاينةً وهو البعيد تدانى الناس ام هجروا

ولما أن يغوص في تلك الحياة العميقة المكتنظة بتطواف سوانحه وخيالات أبداعه ، فيشعر كم هو عبدٌ لها ، اذ ذاك يهتف :

والحر في الارض يبني من منازعه سجناً لهُ فهو لا يدري فيؤتسرُ
وهو الطليق ولكن في تسرعه حتى الى أوج مجدٍ خالد صغرُ

الحمد لله الذي أنعم على أهل المجد والشهرة بعقل يدرك بطلان المجد والشهرة ! ما هو المجد ، ان لم يكن تلك اللحظة التي تصرف في اتقان العمل الذي نحسبه آلة الخلود ؟ — جبران أفندي يدرك ذلك ، واتقان العمل يخلق فيه نشوة تدفعه الى الكلام كالمعرّي ساعة يقول :

فالناس ان شربوا سروا كأنهم رهن الهوى وعلى التخدير قد فطروا
فذا يعربد اين صلى وذاك اذا أثرى وذلك بالاحلام يختمر
فالارض خمارةٌ والدهر صاحبها وليس يرضى بها غير الأُلى سكروا

نشوة الاحلام ، نشوة الوحي ؛ ان هذا الفنيّ ليستخدم كل شيء للحصول عليها ، يستخدم حتى أشرف العواطف وأرفعها فيقول :

والحب في الروح لا في الجسم نعرفه كالخمر للوحي لا للسكر ينعصر

وما نشوة الوحي ، ونشوة العواطف ، ومجد الافكار الا سبل مؤدية الى تلك الكعبة التي ما برحت الانسانية سائرة نحوها منذ فجر الوجود ، والتي يحن اليها الشاعر اكثر من غيره ، ألا وهي السعادة . هو يحدّق في موكب السعادة حيناً فتعيد اليه ذكرى كل ما حسبه سعادة في الماضي ، فيقلب شفتهُ لما بقي له من مرارة وملل ،

ويرسل هذه الحكمة الرائعة :

وما السعادة في الدنيا سوى شبح يُرجى فإن صار جسماً ملّهُ البشرُ
لم يسعد الناس الاّ في تشوّقهم إلى المنيع فان صاروا به فتروا

ولكن فتى الغاب واقف بالمرصاد وما ألطف استعماله موسيقى الموشح الخفيف لمعارضة وجدان الخبرة وسوء الظن الصائب : وكثيراً ما يجيء كلامه ضحكاً من الاستهزاء وتهكماً على التهكم فيجيب :

إنما العيش رجاءٌ إحدى هاتيك العلل

* * *

في « المواكب » كما في « المجنون » أكاد أتبيّن تأثير نيتشه وان كانت بسمة التهكم الفني الدقيق التي نراها عند جبران افندي لن تشبه ابداً ضحكةَ نيتشه ذات الجلبة الضخمة المزعجة . ان الشاعر السوري فني في كل شيء ونظرة واحدة الى كتاب « المواكب » تكفي لتعيين ما عنده من ذوق بسيط أنيق . ولا تقيم المرارة لديه طويلاً لأنه يعود إلى ذكر الطبيعة وحبها وينشد مطرباً حزنه ولهفه بنُغيةٍ عذبة :

ليس حزن النفس الا ظلَّ وهمٍ لا يدوم
وغيوم النفس تبدو من ثناياها النجوم

وقد يرتفعُ أحياناً الى أعلى ذُرى التأمل ، فتحسب الامام الغزالي متكلماً :

وغاية الروح طيَّ الروح قد خفيت فلا المظاهر تبديها ولا الصورُ
فما طوت شمألٌ أذيال عاقلةٍ إلاّ ومرَّ بها الشرقي فتنتشرُ

فيجيبهُ فتى الغاب بما يدلّ على اعتقادهِ بوحدةِ الوجود :

لم أجد في الغاب فرقاً بين نفسٍ وجسد
فالهوا ماءٌ تهادى والندى ماءٌ ركد
والشذا زهرٌ تمادى والثرى زهرٌ جمد
وظلال الحور حورٌ ظنَّ ليلاً فرقد
أعطني الناي وغنِّ فالغنا جسم وروح
وأنين الناي أبقى من غبوق وصبوح

* * *

ولا يفتأ المرء يسائل نفسهُ ما هذا الناي الذي يبقى بعد فناء كل شيء وانينهِ « سر الخلود » ؟ أهو أداة الفن ريشة كانت أو قلماً أو وتراً ؟ أهو الجاذبية سر تعارف الاكوان ؟ أهو نظام الاستمرار الدائم مع ما يتخللهُ من تحولٍ وانشعاب ؟ أم هو الحياة كل الحياة ؟ لست أعلم ما اذا كان ذلك واضحاً في ضمير الشاعر وهل هو يعني بالناي شيئاً معيناً ؟ ولكن ان غمض علينا هذا المعنى فان كل معنى في صوره الاخاذة جليّ وكلاً منها حكايةُ خاطرةٍ وقصيدة رمزية رُسمت بريشة استاذ ماهر جمع بين الحدس الشرقي والاتقان الغربي . وازاء رسم الثالوث الهندي كما ازاء صورة العزم التي رُسمت بيدٍ جريئة لست ادري لماذا يغتابني ذكر بعض الرسوم الخالدة في تاريخ الفن ، فانهيب شاعرة بأن جبران الكاتب ليس الاّ نصف جبران فقط . إنني في كل القليل الذي رأيته من رسومه كما في بعض الكثير الذي قرأته من كتاباته استشف من وراء الظواهر طبيعةً شغوفاً بالاستسلام . ان جبران خليل جبران المتمرد من أخلص اتباع القدرية والجبرية ، وهو ينزع اليهما بقوة اشد من الفكر والارادة ، اعني قوة البداهة الشرقية والحدس الشرقي

فلهذه الاسباب

« وحيث ان جميع القراء يعترضون على هذا البيان

« وحيث انهم يقولون ان ما ابديته هنا ليس الاَّ صنفاً من صنوف المنطق النسائي المفعم بالاغاليط والمناقضات

« وحيث ان كل ما عندي من هذا النوع

« فقد حكمت محكمة النقض والابرام (من دولة الادب) عليَّ بالاعتذار إلى « الهلال » عن كتابة بحث في « المواكب » .

وقد اعتذرت

ولكني اودّ ان أضيف مغالطة أخرى ، وهي هذه : اعتقد ان ذاتية الكاتب لم تدرك بعد استعدادها الاقصى ولم تقف بعد على ذروة اقتدارها . سواء في التصوير والكتابة ما زال جبران أفندي خليل جبران متسلقاً كتف الجبل الذي قيدته الاقدار بالتصعّد عليه . وسيتابع الصعود متمرداً ، ما دام كلفاً بهذا النعت ، وراء ستار الهجو والتهكم بالرموز والامثال ، ولكنه سيصل يوماً الى القمة فنسمع منه عندئذٍ أجمل انغامه ، ونلمح أسمى هيئة من نفسه الفنية السنية التي تسطع في ارجائها الاضواء

وترعى في جوانبها الاظلال

قلت « الاظلال » وأعني تلك الاظلال التي « تبدو من ثناياها النجوم » كما يبدو معنى الامتثال والاستسلام من خلال ضجيج التمرد والعصيان

(مي)

مناجاة الشرق

[الهلال] جاءتنا هذه القصيدة من حضرة ناظمها الاديب وفيها مدح للهلال واهله فنشرناها شاكرين له فضله معتذرين عن نشر ما جاء فيها من المدح

الى كم أحث الشرق والشرق ناعسُ	وعن مرتقى المجد المؤثل آيسُ
وادعو وما في القوم الا معاكس	وآخر عن نيل العلى متقاعسُ
أمن وثبة يا شرق ذات عزائم	تعاد بها تلك العهود القدامس[1]
بحيث العلى لم ترض الآك نائلاً	على أنها من دونك اليوم عانس[2]

***

نهوضاً بني العليا بحزم مشيد	تكن لكم فيه الفعال النفائس
وجزوا نواصي الاختلاف بعزمة	تدين لها الاعناق فهي نواكس
اذاً ترتقوا هام السماك وتعتلوا	سمواً له تعنو الغمام الرواجس[3]
وتستأصلوا المجد الاثيل بهمة	تزان بها تيجانه والقلانس
ذروا عنكم أمر النزاع وحاذروا	خلافاً به تفرى الطلى والمعاطس
ألستم اذا ما الوفق جزت أصوله	ولم يبق للعلياء والمجد حارس
وثبتم وثوب الضاريات بغارة	لها تنثني الجرد العتاق العوابس
ومزقتم ثوب الشقاق بطعنة	لها تلتوي السمر الطوال المداعس[4]
ثبوا واقتفوا أثر الوفاق تطلباً	كما تقتضي شاة الفلاة اللغاوس[5]

صيدا — سورية

محمد كامل شعيب العاملي

استاذ اللغة العربية في المكتب الرشيدي الاعلى بصيدا

(١) اي القدم (٢) لا تتزوج (٣) اي الغمام الرفيع ذو الرعد (٤) الرماح المشهورة (٥) الذئاب

نهضة المرأة المصرية

والمرأة العربية في التاريخ — ٣

أتينا في المقالة الماضية على بيان حال المرأة المصرية قبل نهضتها وبعدها فتكلمنا على تاريخ هذه النهضة وأسبابها ومظاهرها والادوار التي تقلبت فيها ووصفنا اول هذه الادوار فذكرنا شيئاً عن اشتراك النساء في المظاهرات السياسية ، والآن نتمم الكلام عن هذا الدور فنقول :

خطابة النساء

لم تكتف المرأة المصرية ، من سيدة وآنسة ، بان حسرت الستور وزايلت القصور والدور لتشارك الرجل في المظاهرات العامة السياسية ، ولم تقتصر على التظاهر بالهتاف والطواف والتلويح بالرايات والمناديل واشارات التشجيع والتحية للمتظاهرين فقط على ما فصلناه ، بل آلت على نفسها أن تشترك بالفعل في هذه المظاهرات وأن تأخذ بقسطها من الخطابة فتباري الرجال في ميدان الفضل والآداب وايقاد الحماسة في الصدور

تلك اعجوبة الحركة الوطنية التي ابرزت هذه النهضة النسائية واظهرت المرأة المصرية المحتجبة وراء الجدران والستور هذا الظهور الفجائي . ففي المظاهرات وقفت السيدات تخطب بجرأة في الميادين والطرقات وامام الدور الرسمية وفي كل مكان ، في المتظاهرين والمتظاهرات والجماهير المحتشدة حولهن ، في المواضيع السياسية والعمومية ، فكان لكلامهن وخطبهن الرائقة وقع عظيم في النفوس زاد به تحمس الناس . وما كان احد يظن ان المصرية التي كانت تمثل باقبح أمثلة الخلاعة والجهل كما تقدم ، قد بلغت هذه الدرجة الراقية من العلم ورقي الشعور والعواطف

ولم تقتصر السيدات على الخطابة في المظاهرات فقط بل رأيناهن قد ارتقين منابرها في المجتمعات الوطنية والحفلات الخيرية وفي الجوامع والكنائس وفي الوفود وغيرها كما سيأتي . وهذه اول مرة في تاريخنا تخطب النساء في الكنائس والجوامع . ثم رأيناهن في جمعياتهن يقرعن الاسماع بالدرر الزاهية ، ومن ذلك مثلاً اجتماع السيدات (جمعية المرأة الجديدة) بجامع السيدة زينب وهن قبطيات ومسلمات

وخطاباتهن الواحدة تلو الاخرى في مقصوراتهن والناس حولها يسمعون . ومثل هذا الاجتماع كثير مما سيأتي ذكره ونرى منه أن الجوامع والكنائس قد صارت مأوى للعبادات واتحاد الملل . وابلغ من هذا وقوف خطيبة اسرائيلية في الازهر الشريف تخطب في الناس ! وقد رحب بها العلماء وقام أحدهم فالقى نبذة في تاريخ الاسرائيليين وعلاقاتهم بالعرب وقام أحد القسيسين الاقباط فرحب بها ايضاً وبقومها ! وهذه الحادثة فريدة في بابها وهي بداية حياة جديدة في مصر والمصريين اذ من الجديد فيها أن تقف سيدة اسرائيلية للخطابة في هذا المعهد الشريف !

وكم أعجب الناس ، خاصتهم ومتنورهم ، بمن ارتقين المنابر من السيدات في هذه المجتمعات وقدرتهن على الخطابة وبلاغتهن وتضلعهن في التاريخ والدين واللغة . وما كان يظن أن السيدة المصرية قد بلغت من الادب العربي وقوة الفكر هذا المبلغ العظيم . ولا يسعنا هنا تعداد كل المواقف التي وقفت فيها السيدات المصريات للخطابة وتفصيل الكلام عليها فان هذا مما يضيق عنه المقام ، وفي القدر الماضي ما يقوم بالاشارة الى ذلك ويكفي لنبين أن خطابة السيدات في نهضتهن هذه تشبه تمام الشبه ما قدمناه عن سالفتهن المرأة العربية . فقد سبق أن نساء العرب ابان نهضتهن حتى في عهد الخلفاء الامويين والعباسيين كن يخطبن في الجهود في المواضيع السياسية والاجتماعية والعلمية على نحو ما نرى من خطيباتنا وخطيبات أوربا واميركا اليوم . وليس هذا فقط وجه الشبه بين النهضتين بل هو عام فيهما ، فكما شاطرت المرأة العربية الرجل كل عمل في عهد نهضتها حتى الشؤون والاعمال السياسية والاجتماعية والحربية فضلاً عن الخطابة والكتابة والشعر والادب وغيره ، كذلك فعلت المرأة المصرية في نهضتها الحاضرة

ولا اذكر أو اتخيل مواقف الخطيبات العربيات وبلاغتهن وشجاعتهن وأثرهن في قومهن ، أو اقلب صفحات خطبهن ومقالاتهن الحماسية المحفوظة في كتب الادب والتاريخ حتى اذكر خطيباتنا في المظاهرات وغيرها واتخيل مواقفهن ومقالاتهن الحماسية الرائقة التي كن يلقينها في المتظاهرين والسامعين فتنفخ في الصدور روحاً جديداً وتجعل من يسمعها يتفانى في حب وطنه مما سيسجله لهن التاريخ في صفحاته باجمل الثناء والفخر كما سجل اعمال سلفهن الصالح وحفظ خطبهن البليغة حتى اليوم

كتابات النساء

كما ظهرت السيدة المصرية في الخطابة محررة العقل مطلقة الفكر تشاطر الرجل

بفعلها ونفسها كذلك ظهرت في الكتابة والصحافة . فانه ما كاد يحدث هذا التطور وتظهر النساء في ميدان العمل حتى انفكت عقولهن الكامنة من عقالها وذهبت عنها آثار السكون والقعود فنشطت وانطلقت من محبسها الى مجال التفكير والبحث والنظر وابداء الرأي بغير وجل او تحرز . فاخذن ، من سيدات وأوانس ، يظهرن عواطفهن على صفحات الجرائد وصرنا نرى صوت المرأة ، كل آن في ارتفاع ، ونسمع ذلك التغريد اللطيف كل يوم في ازدياد . وقد أفسحت الصحف لكلماتهن الطية صدرها فلأن أمدتها بالآراء المتنوعة والاقتراحات والمطالب المختلفة التي جادت بها قرائحهن فيما يراد به النهوض الى مستوى الكمال الادبي والاخلاقي . هذه تبدي اقتراحاً لانشاء ملجأ للمنكوبين والمحتاجين ، وتلك تنادي بوجوب تعليم المرأة المصرية التعليم الصحيح والتربية القويمة ، واخرى تحث المحسنين على انشاء المدارس والملاجىء وتأليف جمعيات الاحسان ، وغيرها تقترح على اخواتها السيدات عمل الاشغال اليدوية والتطريز للاعمال الخيرية وبيعها في سوق خيري تباع فيه الازهار والرياحين ويخصص دخله لاحد الملاجىء ، وغيرها تعالج المواضيع الاخلاقيـة وتنتقد العادات والاخلاق السيئة (كالزار وغيره) وتنصح بالتمسك بجميلها مما يتفق مع رقي مظاهر هذه النهضة ، وغيرها تقترح انشاء مجلة للسيدات تنشر ما تجود به قريحة الفتاة المصرية وما يعن لها من المباحث العلمية والاجتماعية والعمرانية ، الى غير ذلك من الآراء والاقتراحات الجليلة المفيدة التي قد احلها اهل النظر محلها من الاعتبار . وكل هـذه الاقتراحات ، وبعبارة أخرى هذه الاماني التي جاشت في الصدور وأخذت تتراكض وتتزاحم في صور مطالب واقتراحات تترى كل يوم ، انما هي بالطبع نتيجة لازمة للتطور الفكري الذي اندفع مرة واحدة لالتماس ضروب التحسين في كل حالة من حالاتنا الاجتماعية . وبالاجمال قد أحدثن حركة قلمية في المسائل الاجتماعية ولا يسع المتتبع لها الا الاعجاب بالتشجيع العام الذي لقته المرأة المصرية من رجال الصحافة وسائر المفكرين وحملة الاقلام وتنشيطها على الكتابة او اجماعهم على وجوب ظهورها في ميدان الحياة ، كما لا يسعه الا الثناء على نشاط فتياتنا المصريات وغيرتهن العظيمة التي يبدينهـا نحو خير وطنهن والاعجاب بتلك الروح الجديدة الكريمة وذلك الدم الحديث الذي سرى بهن فخرجن لعالم الوجود يتشاطرن جليل الآراء . والمطلع على ذلك القسم الكبير الذي وقفته الصحف على ثمرات أقلام الكاتبات

يرى منه مجموعة وافرة من آراء السيدات واقتراحاتهن ومناقشاتهن، يستطيع المفكر أن يكوّن لنفسه منها رأياً عن المستوى العقلي للمرأة المصرية في نهضتها الحاضرة، فيرى ان سيداتنا قد توخين فيما يكتبن الحث على التمسك بجميل العادات الشرقية والمحافظة على نواميس الآداب والاخلاق التي تقيد نهضتهن في سيرها نحو الرقي الصحيح والبحث عن معرفة أمراض هذه النهضة والعلاج الذي نستأصل به هذه الامراض الى غير ذلك من الآراء الناضجة والافكار القويمة التي اكسبت كاتباتها شرف تولي قيادة هذه النهضة النسائية

اعمال النساء

لم يقتصر مجهود المرأة في الحركة الاخيرة على المظاهرة والخطابة والكتابة فقط بل تدلت في جهادها الاجتماعي هذا من مشاطرة الرجل في ذلك الى مشاركته اشتراكاً فعلياً في الامور الاجتماعية والسياسية حتى ظهر أثرها في كل حادثة ومسألة كما ترى فيما يأتي :

جمع الاعانات والجود بالمال لمساعدة المنكوبين

فقد تسابقت المصريات الى الخير وتسارعن الى عمله بالسعي لجمع الاموال والاعانات لمساعدة الفقراء والبؤساء بل تسابقن في ميدان العطاء والجود لتخفيف ويلات المنكوبين . ومن ذلك مساعدتهن المشروعات الاجتماعية المفيدة كمشروع ملجأ الحرية لتربية الايتام واطفال الشوارع البؤساء فقد تسابقن في الاكتتاب له وجمع التبرعات من السيدات المحسنات . وعقدت السيدات في الاسكندرية اجتماعاً لاعانة الارامل والايتام والاخذ بناصر هذا المشروع فأسسن لهن جمعية باسمه ألقين فيها الخطب المناسبة واكتتبن بالمبالغ الكبيرة ، وألفن لجنة دائمة تهتم بالمصالح المصرية ومؤاساة المعوزين وجمع الاكتتابات . وهذا الشعور الوطني الذي دبّ في نفوسهن قد تعدّى السيدات منهنّ الى الفتيات والتلميذات . فمن ذلك ان اتفق اربع منهن على القيام بعمل خيري رحمة باخوانهن المنكوبين فتطوعن لجمع الاعانات والتبرعات من عقائل البيوتات ، وتبرع بعض الغيورين بمركباته الخصوصية لنقلهنّ ، الى غير ذلك من أعمال الاحسان التي قامت بها السيدات مما يضيق المقام عن سرده وهو يدل دلالة واضحة على رقي المرأة المصرية وتقديرها الوطنية حق قدرها بجودها بالمال

وتطوعها لجمع التبرعات وتعضيدها المشروعات الخيرية الوطنية واشتراكها في جل الاعمال التي ينتظر منها خيراً للبلاد

تشييع جنازات المصابين ومؤاساة الجرحى

ثم بهذا اشتراك السيدات المصريات مع الرجال في كل عواطفهم وفي جميع ضروب ومظاهر الحركة الاخيرة فشاطرتهم أفراحهم وأتراحهم وقاسمتهم سراءها وضراءها وشاركتهم في كل ابتسامة ودمعة . فكما شاركتهم في مظاهراتهم السلمية وأفراحهم كذلك شاركتهم في تشييع جنازات المصابين بالحوادث الاخيرة وتسارعن لزيارة المستشفيات لمؤاساة جرحى المظاهرات . وقد ذكرت « الغازت » أن السيدة المصرية دخلت في طور جديد مستشهدة بزيارة حرم سعد زغلول باشا ومن معها من عقائل السيدات للجرحى في القاهرة وزيارة حرم اسماعيل صدقي باشا وزميلاتها المستشفى الاميري في الاسكندرية لعيادتهم ومؤاساتهم . فاستقبلن في المستشفين بكل حفاوة ووزعن على الجرحى أصناف الهدايا . وخصص وفد من السيدات القبطيات عيد القيامة الماضي بزيارة هؤلاء الجرحى ومؤاساتهم وقد جمعن مبلغاً من المال اشترين به أزهار وسجاير وحلوى وهدايا أخرى لهم . فكان في زيارة هذه الوفود النسائية أعظم سلوى واكبر مروح على نفوس الجرحى كباراً وصغاراً

عملهن في حفظ النظام وتسكين روع الاجانب

وشاركن الرجال أيضاً في حل مشكلة الارمن فقابلن نساءهم ساعيات في ازالة ما وقع بين الفريقين من سوء التفاهم ، وساعدن على حفظ النظام فزرن نساء العامة ونصحن لهن بالتزام السكينة والهدوء واحترام الاجانب كي يبلغن ذلك لازواجهن وأولادهن . وأخذ بعضهن على عاتقه زيارة دور السيدات الاجنبيات ليزيل ما قد يكون علق بذهنهن من سوء الظن بالمصريين فزرن الروميات وغيرهن من الاوربيات وشرحن لهن عواطف المصريين نحو الاجانب وحسن ضيافتهم لهم السنين الطوال ورجونهن ان ينبهن أزواجهن ليعودوا الى أعمالهم التجارية وغيرها

وكانت مهمة المرأة في خدمة الامن وتسكين الروع هذه دقيقة وشاقة لكنهن قمن بها خير قيام مدفوعات بعامل الغيرة والشعور الوطني

وفود النساء

نضيف الآن الى صور هذا التطور صورة أخرى هي أعجب مظاهر هذه النهضة

رمني بها وفود النساء . فقد ألفن الوفود وقابلن الوزراء والامراء وذهبن الى الكنائس والمساجد وغيرها . ومن ذلك وفدهن الى الوزارة الرشدية فقد استقبل رشدي باشا ووزارته فيما قابله من الوفود اثناء وزارته الثانية وفداً من كرائم السيدات المصريات ثم وفداً آخر من نخبة المعلمات المصريات وهن قدّمن للوزراء العرائض وبسطن لهم رغباتهن فقوبلن بما يليق من الاكرام . ومن وفودهن الى العظماء وفدهن الى الامير عمر طوسون ، فقد هزّت العاطفة الوطنية نفوس فتيات الأمر فألفن وفداً منهن لمقابلته وابداء ما يخالج ضمائرهن من الاعجاب بعواطفه السامية وجميل سعيه في جمع الكلمة ، وليرفعن اليه واجب الشكر على منحه وأريحيته النادرة ، فألقين بين يديه الخطب وتقبل سموه شكرهنَّ بلطف واكرام

وفودهن الى الكنائس والمساجد

ومن دلائل الاغتباط برقي المرأة المصرية ووقوفها بجانب الرجل في الحياة القومية ان وفداً من أرقى السيدات المسلمات قصد دار البطريركية القبطية للزيارة والمشاركة بالعيد وتهنئة غبطة البطريرك به واعلان شعورهن نحو الوحدة فألقين الخطب الرائقة داخل الكنيسة، وقوبل هذا الوفد بالاعجاب والشكر . وتلاه وفد السيدات القبطيات الى المسجد الزينبي فقد اجتمع جمهور كبير من السيدات المسلمات في مسجد السيدة زينب لاستقبال وفد اخواتهنّ القبطيات الآتي لشكرهن على زيارتهن البطريركية والكنيسة القبطية الكبرى وتهنئتهن بالعيد . وقد قوبل هذا الوفد المؤلف من أرقى السيدات والاوانس القبطيات داخل المسجد الزينبي بالترحاب الفائق ، وهناك ألقيت الخطب من الكثيرات منهن اظهاراً لسرورهن بتوثيق عرى اتحادهن مع باقي شقيقاتهن الوطنيات وفرحهن بهذا التآخي الجميل الذي عم جميع الطبقات

ومن ذلك أيضاً وفد السيدات المصريات الى مسجد أبي العباس المرسي في الاسكندرية فقد يمم هذا المسجد وفد من نخبة السيدات المصريات المسلمات والقبطيات نخطبن في النهضة النسائية وتضامن المصريين والمصريات والقين القصائد والجمع المحتشد يعي ما يقلن مسروراً بتلك الخطب والاقوال النافعة . وقس على ذلك الوفود النسائية فقد قوبلت في كل مكان بالاعجاب والشكر على هذه الروح الشريفة والنهضة المباركة والتطور العجيب الجليل . وكفى بهذا برهاناً على فضل المرأة المصرية

والخلاصة ان النساء المصريات في هذا الدور الاول من نهضتهن اشتركن مع

رجالهن في أعمالهم الوطنية والحركات القوميـة وعضدن كل مشروع جبري قام به الرجال ولم يتركن باباً من الابواب الا طرقنه في خدمة وطنهن

الدور الثاني

جمعيات النساء

هذا الدور هو دور الجد والعمل واصلاح شأن المرأة المصرية بتأليف الجمعيات. فقد تحولت هذه النهضة الى حركة عملية يقصد بها ترقيـة شأن المرأة المصرية واصلاح شؤونها وانارة مداركها . والجمعيات هي باكورة أعمال النساء في هذا الدور من نهضتهن . والذي يستلفت النظر فيها كثرتها وسرعة تأليفها وانشائها ورقي مبادئها وأغراضها . فقد أنشئت في القاهرة جمعية « المرأة الجديدة » وجمعية « فتاة مصر الفتاة » في وقت واحد تقريباً ، ثم انتشر عقب ذلك تأليف الجمعيات النسائية لرقي المرأة في غير القاهرة مما دل على أن النهضة ليست قاصرة في دورها الثاني على القاهرة فقط بل هي عامة في جميع عواصم وبلدان القطر المصري . ففي الاسكندرية ألفت « جمعية ترقية الفتاة المصرية » وفي بور سعيد « جمعية الاتحاد الاخوي للسيدات المصريات » وفي طنطا « جمعية المرأة الطنطاوية » الى غير ذلك كجمعية « الناشئات المصريات » وكلها تعمل على جمع كلمة سيدات المصريين وتوحيد رأيهن في انهاض المرأة المصرية . ولا يتسع المقام لتفصيل الكلام على كل هذه الجمعيات وقوانينها وأغراضها واعمالها فنكتفي بهذه الاشارة ونترك التفصيل الى الكتاب الذي خصصناه لهذا الموضوع

عبد الفتاح عباده

اقوال بعض المعاصرين

لا يقوم السلام الا على الرضى — برنارد باروخ

شر ما يفسد الصداقة المغالاة في المديح — ماريا مورافسكي

لن تحل المسائل التي تهم الرجال والنساء معاً بحكمة الرجال وحدهم — جانت رنكين

الديموقراطية هي اتحاد الاوسط والاسفل للحيلولة دون تقدم الارقى — ينتسن

رفع السفن من قعر البحر

واسترداد بعض الكنوز التي أغرقها الالمان

ورد في احصاء مجلس الملاحة الاميركي أن مجموع ما غرق من سفن الحلفاء والمحايدين في مدة الحرب تبلغ حمولته ١٩٣ ٤٠٤ ٢١ طناً . وكثير من هذه السفن قد انتشل وأصلح وبعضها انتشل ما فيه من الكنوز ومن الادوات والمولد التي يمكن الانتفاع منها . ولما كانت « الحاجة أم الاختراع » فقد برع المهندسون الغوَّاصون في استخراج هذه الكنوز من قعر البحر اي براعة . وقد نشرت مجلة العلم العام مقالة في هذا الموضوع لخصنا منها ما يأتي :

الانسان حيوان يعيش في أوقيانوس من الهواء له ثقل كما لاوقيانوس الماء ثقل . فان ضغط الهواء عند سطح البحر يوازن ثقل ١٥ رطلاً لكل قيراط مربع . وقد أعدت الطبيعة الجسم البشري بحيث يحتمل هذا الضغط أو جعلت في جسمه ما يقاومه

وكذلك أسماك البحر وسائر حيواناته تقاوم أجسامها ضغط الماء . ولكن لهذه المقاومة حدًّا فان بعض الاسماك التي تعيش على عمق عظيم اذا صعدت الى سطح الماء تتشقق وتنفجر لزوال ضغط الماء عن جسمها . والانسان اذا صعد في بالون الى علو خمسة أميال فقد لا يتشقق جسمه ولكنه يموت من قلة الهواء أو من قلة ضغطه

ولا يخفى أن ثقل قدم مكعبة من الماء الملح ٦٤ رطلاً . فكلما غاص الغوَّاص اشتد ضغط الماء على بدنه اشتداداً لا يشعر به في تنقله في الاوقيانوس الهوائي بين قمة الجبل والوادي . وهذا الضغط يزيد بنسبة نصف رطل للقيراط المربع كلما غاص الغواص قدماً . فاذا تجاوز حداً معلوماً في الغوص فقد ينسحق تحت الضغط الشديد

ولذلك جعل للغواص ثوب خاص يلبسه لا ليقيه من الاختناق فقط بل ليصد عنه ضغط الماء

ما يتعرض له الغواص

يشتمل ثوب الغوَّاص على قسمين رئيسيين : خوذة غير مرنة وغير قابلة الانضغاط وثوب للجسم والساقين قابل الانضغاط فكلما غاص الغوَّاص حاول

الضغط ان يطرد الهواء رويداً من داخل الثوب الى فراغ الخوذة لان الثوب قابل الانضغاط كما تقدم القول . ولا بد من انضغاط الهواء الداخلي حول الجسم أي ضمن الثوب واندفاع بعضه الى أعلى الجسم والخوذة حتى يكون ضغط الماء الخارجي موازناً لضغط الهواء الداخلي . فكأن الهواء الذي هو ضمن الثوب يتحمل معظم الضغط عن الغواص

ثم ان الغوّاص اذا طال تنفسه من هذا الهواء أصبح يتنفس سمًّا — هو غاز الحامض الكربوني الذي ينفثه . ولذلك لا بدَّ من افلات هذا الهواء الفاسد تدريجاً وابداله بهواء نقي بل لا بدَّ من ذلك ايضاً لمنع تجاوز الضغط الداخلي حداً معيناً . ولذلك يوجد في الخوذة منفذ ذي مصراع ينفتح لانطراد الهواء منـه متى تجاوز انضغاطه الحد المعين

ولا يخفى ان جسم الغوّاص أخف من الماء فلا يقدر أن يغوص بمجرد ارادته بل لابدَّ من تثقيله باثقال . ولهذا يكون مع جسمه نحو ٨٠ رطلاً من الرصاص تجذبه الى الاسفل فضلاً عن ١٦ رطلا من الرصاص أيضاً في كل حذاء من حذائيه ومجموع وزن كسائه واثقاله نحو ١٧٥ رطلا

ثم ان الهواء يرسل اليه في انبوبة مرنة أو قابلة التلوي تصل بينه وبين سفينة عائمة فوقه أو بحوض فيه هواء مضغوط (في السفينة أيضاً) ويتصل بالغائص ايضاً « خط الحياة أو خط الاشارة » وهو خط في قلبه سلك تلفون

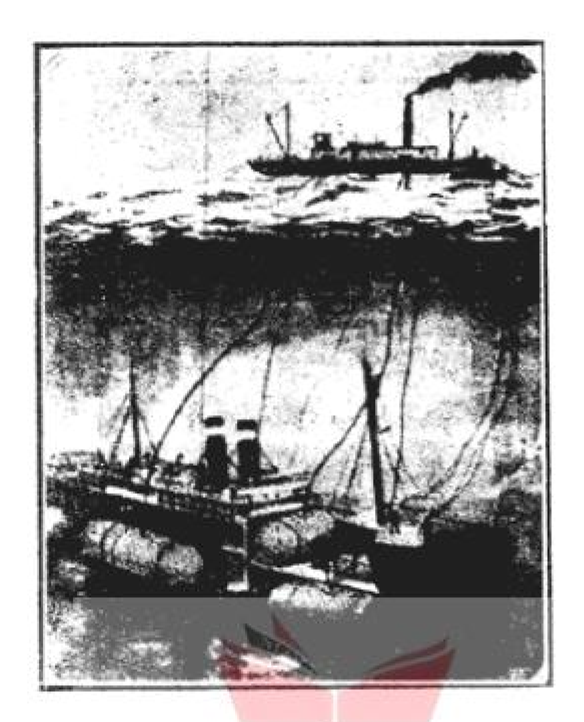
يتضح من ذلك ان المهم في هذا الجهاز للغوّاص مقدار الهواء الذي يدخل اليه ومقدار الهواء الذي يخرج منـه بفعل الضغط . وكلما نزل الغوّاص وجب أن يدخل اليه الهواء اكثر لان الضغط يشتد باشتداد ضغط الماء . فاذا كان الجهاز الذي يدفع الهواء الى فراغ ثوب الغوّاص يدفع قدماً مكعبة منـه في الدقيقة تحت سطح الماء وجب أن يدفع قدمين مكعبتين منه على عمق ٣٣ قدماً و٣ اقدام مكعبة على عمق ٦٦ قدماً و٤ اقدام على عمق ٩٩ وهلم جراً أي زيادة قدم مكعبة لكل ٣٣ قدماً عمقاً . واعظم عمق بلغه الغواصون الى الآن ٣٠٠ قدم . وكلما غاص الغوّاص قلَّت قوة بعض عضلاته . مثال ذلك يتعذر عليه أن يصفر وصوته يظهر في التلفون مرتجًا . ثم ان الزجاج الذي أمام عينيه في الخوذة يغشاه بخار نفسه فلا يعود يرى أمامه فيمتص من مثل حنفية قدراً من الماء ويتفه على الزجاج فيزول عنه البخار هنيهة



صهر الحديد بالنار في الماء

وهناك امر لا بدَّ من اعتباره . فلا يخفى أن الهواء الذي نتنفسه يشتمل على نحو ٨٠ بالمئة من النيتروجين وهو عنصر قليل الاتحاد بالعناصر الاخرى فنتنفسه وننفثه كما هو . فتى اشتد الضغط تسرب هذا الغاز الى الدم ولكنه لا يتحد بشيء فيه،كما يتحد الاوكسيجين ويخرج مع الكربون حامضاً كربونيًا . وكلما غاص الغوَّاص تسرب الى دمه وسار انسجته مقدار اكثر من النيتروجين . فاذا أصعد الغوَّاص من الماء خف الضغط عنه فيتفلّت النيتروجين من جسمه ومن دمه في شكل فقاقيع وفي هذه الحالة يتألم الغوَّاص وقد يموت من جراء ذلك . فلهذا السبب يجب أن يصعد الغوَّاص بالتدريج لكي يتفلت منه النيتروجين رويداً رويداً . وقد حسب معدل اصعاده التدريجي وجعل له جدول دقيق تحامياً لتعرضه للأذى . والمفهوم من هذا الجدول أن الغوَّاص اذا كان على عمق ١٦٢ قدماً وبقي في هذا العمق نحو ساعة فاصعاده الى سطح الماء يستغرق نحو ٣ ساعات لكي يتفلّت منه النيتروجين من غير أن يصاب باذى

ولكي يصعد الغوَّاص يقفل مصراع النافذة التي يتفلّت منها الهواء وبالطبع يستمر الهواء اليه من الانبوبة مندفعاً فيخف وزنه فيتصاعد وكلما صعد قدماً تمدد الهواء الذي حوله داخل ثوبه فينتفخ الثوب حتى انه لا يعود يستطيع أن يصل الى



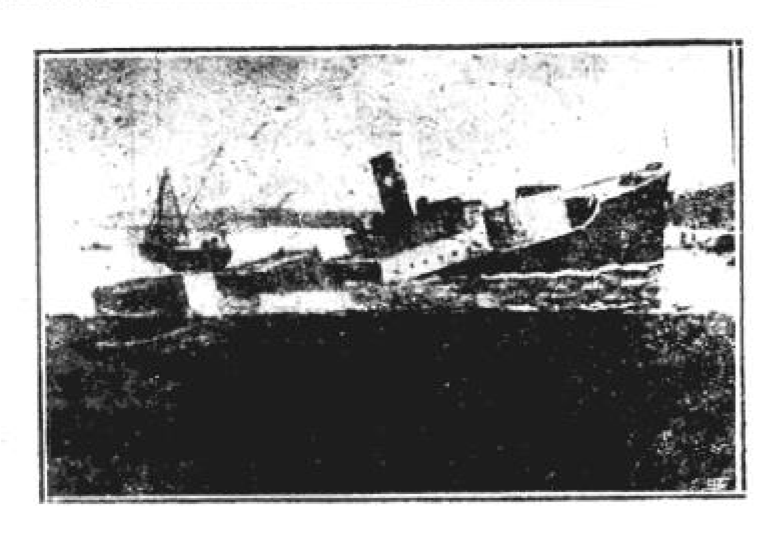
رفع السفينة بواسطة اكياس فيها هواء مضغوط

المصراع لكي يفتحه ويطرد المزيد من الهواء . وفي هذه الحالة يتفلّت المزيد من الهواء من الاكيام بعنف الضغط

الاستعدادات اللازمة للانتشال

بقي الامر المهم وهو عملية انتشال السفينة الغارقة وهي عملية لا قاعدة لها بل تتوقف على ذكاء الغوّاص المهندس وفطنته وعلمه . فلكل سفينة غارقة طريقة خاصة تناسبها بحسب مقدار الضرر الذي لحق بها وعمقها ووضعها في قعر البحر وحجمها . ولا بد ايضاً من ملاحظة امور أخرى جوهرية كهياج البحر ونوع مجرى الماء الى غير ذلك مما يجب حسبانه . فعلى الغوّاص المهندس ان يتدبر كل ذلك باسرع ما يمكن في حالة تخصه السفينة الغارقة

واذا رأى استحالة اصعاد الباخرة بحث فيما يمكن ان يستخرج من كنوزها ومن موادها النافعة . وللوصول الى مكان المواد والكنوز يثقب السفينة من الجهة القريبة للكنوز بصهر ذلك الجانب بمشعال شديد الحرارة . هنا العجب العجاب ! نار في الماء تحرق وتصهر الحديد والفولاذ كيف يتيسر ذلك ؟



رفع السفينة الغارقة بواسطة صناديق تقام على سطحها ويفرغ منها الماء

المشعال المذكور اختراع بروش وباير وهو لهيب ينبعث من إحراق غاز الاوكسي استيلين . ويصحب هذا المشعال حنفية يندفع منها الهواء المضغوط بشدة ليفسح الماء من سبيل لهيب الاستيلين وبالوقت نفسه يوجه اللهيب الى الجهة المطلوب صهرها . ومتى ثقب جنب السفينة الثقب الكافي يستخرج من ذلك الثقب ما يتوصل منه اليه من كنوزها أو قل مشحونها . فاذا اتفق ان كان ذلك المشحون حديداً مثلاً أنزل اليه المغنطيس المكهرب فيجذبه ويتعلق الحديد به كما يتعلق العلق بجسم المريض . وان كان ذهباً أو فضة أو نحاساً يرفع بوسائل أخرى

وقد يمكن التوصل الى مشحون السفينة بنسف جانب منها بالديناميت مثلاً . ولكن هذه الطريقة لا يلجأ اليها الا نادراً اذ لا مزية لها الا السرعة وانما لها مساوىء أهمها أنها تعرض الغواص لخطر النسف فضلاً عن أنه يصعب استخراج المواد النافعة من بين المواد المحطمة . وربما استعملت هذه الطريقة لاستخراج مشحونات أو كنوز الباخرة لوزيتانيا العظيمة التي هاج اغراقها خواطر الاميركان واستفزهم لمحاربة المانيا . ذلك لان لوزيتانيا لا يؤمل اصعادها برمتها لكبرها ولانها على عمق ٣٠٠ قدم

وسائل الاصعاد

السفن التي حمولتها دون ٢٠٠٠ طن يمكن اصعادها بادلاء السلاسل اليها وأرسالها من تحت السفينة الغارقة المراد رفعها واثبات أطراف السلاسل في العوامات على سطح



اخراج الماء من احد اجزاء السفينة بواسطة طلمبة

البحر . ومتى ارتفع الماء بسبب المدّ ارتفعت السفينة الغارقة بقدر ارتفاع البحر وحينذاك تمخر العوامات نحو الشاطئ الى ان ترتكز السفينة الغارقة على القعر . ثم ينتظر البحارة الى أن يأتي الجزر ويهبط ماء البحر فترتخي السلاسل طبعاً . عند ذلك يشدونها من ظهر العوامات ويثبتونها بالعوامات جيداً وينتظرون الى أن يعود المدّ الثاني ويرتفع سطح البحر فترتفع السفينة الغارقة عن القعر بقدر ارتفاع الماء وثم تسير العوامات الى الجهة التي يرتفع فيها قعر البحر - وهكذا يكرر هذا العمل يوماً بعد يوم بين مواعيد المد والجزر الى أن تصبح السفينة الغارقة في مكان قليل العمق حيث تعمل لهـا عملية أخرى وهي ادخال الهواء بقوة الضغط في أنابيب خاصة الى بعض خلاياها بحيث ينطرد الماء من تلك الخلايا ويحل الهواء محله . وفي هذه الحالة يسهل انتشالها

وأحياناً تعمل عملية أخرى وهي أن تنزل اسطوانات حديدية كبيرة جداً يشدها الغواصون الى جانب السفينة جيداً ثم تفرغ هذه الاسطوانات من الماء ويدخل الهواء مكانه وبذلك تخف السفينة وتعوم - على هذا النحو عومت بعض السفن

العظيمة الضخمة ومن جملتها الطرادة جلاديايتور الانكليزية التي يبلغ طولها ٣٢٠ قدماً ومحمولها ٥٠٠ ٥ طن

ثم أن ثقل ماء البحر لا يؤثر على الغواص فقط بل يؤثر على السفينة الغارقة أيضاً. تصور قدماً مكعبة من الماء فوق قدم أخرى وهلم جرّا واحسب تجد أن القيراط المربع الواحد في أعمق قعر للبحر يكون تحت ضغط اطنان من الماء فوقه. عند عمق ٦٠ قدماً مثلاً يكون الضغط ٢٦ رطلاً وسبعة أعشار الرطل وعند عمق ١٥٠ يكون $\frac{٧}{١٠}$ ٦٦ الرطل وعند عمق ٣٠٠ قدم يكون $\frac{٣}{١٠}$ ١٣٣ الرطل. ولذلك تجد أن اصعاد السفينة من قعر البحر يكون صعباً لا لان السفينة مملوءة ماء فقط بل لان ثقل الضغط فوقها عظيم. وهذا ما يجب أن يحسب حسابه جيداً في كيفية اصعاد السفينة والنفقة اللازمة لذلك

عملية التفريغ بادخال الهواء المضغوط

ويحسن احياناً سد الخرق في السفينة الغارقة. فعلى المهندس الغواص اذ ذاك أن يعرف جيداً شكل الخرق وسعته. ويمكنه أن يأخذ قياس شكله بخشبة تسده سداً محكماً. ثم يصنع بعد ذلك صفحة من الفولاذ كتلك الخشبة التي جعلت نموذجاً لسد الخرق. وتنزل هذه الصفحة بالاسلاك وتوضع في الخرق وتثبت فيه بواسطة روافد وعضاضات من الداخل والخارج

واذا ارتأى الغواص أن يطرد المياه من قلب السفينة بادخال الهواء المضغوط اليها واحلاله محل الماء استلزم ذلك أن يقفل جيداً نوافذ السفينة ويسد خروقها بحيث لا تنفتح اذا اشتد ضغط الهواء المدخل الى باطنها. ثم تعمل عملية أدخال الهواء الى فراغ قعر السفينة من نافذة معينة لهذا الغرض بواسطة أسطوانات ممتدة من العوامات الى السفينة

بعد ذلك يثبت الغوّاص على باب النافذة (المعينة للدخول الى بطن السفينة) ما يسمى «بالقفل الهوائي». وهذا القفل عبارة عن غرفة صغيرة جداً ذات بابين الواحد خارجي والآخر يتصل بداخل قعر السفينة

ثم يدخل الغوّاص من الباب الخارجي الى «القفل الهوائي» ويقفله وراءه. ثم يجتاز الباب الثاني الى داخل قعر السفينة ويقفل هذا الباب الآخر وراءه أيضاً.

ويكون قعر السفينة قد ملئ هواء مضغوطاً فيه من قبل وبقي محصوراً فيه . عند ذلك يطلق الهواء الى داخل السفينة . ويجب أن يكون ضغط الهواء أشد من ضغط الماء فيطرده من نافذة أو من نوافذ معينة لهذا الغرض وأحياناً تكون هذه النافذة هي نفس الخرق الذي سبب الغرق

وعلى المهندس أن يحسب حساب ضغط الهواء وضغط الماء المضاد له . فلا يخفى أن ظهر السفينة لا يحتمل اثقال الوف من الاطنان من الماء فوقه ولذلك يجب أن تجر السفينة الى مكان قليل العمق كما تقدم وصف ذلك حتى متى « شفط » الماء من داخلها لا ينهار سطحها تحت ضغط الماء

السفن والكنوز المستخرجة

والظاهر ان جميع الحلفاء اشتركوا في اتقان فن رفع السفن الغارقة لان ربع سفن العالم أغرقت مدة الحرب . وتقدر قيمة السفن الغارقة وما فيها من الشحن والكنوز نحو ٦٠٠ مليون جنيه . وقد ظهر ان انكلترا وحدها استخرجت من السفن حتى اوائل هذا العام نحو ٤٧٠ سفينة . ولكن معظمها انقذت قبل ان تغرق غرقاً نهائياً

وقبل الحرب كان يظن مستحيلا انتشال سفينة يجاوز محمولها ١٦٠٠ طن اذا كانت في قعر عميق ولكن في مدة الحرب أنقذت سفن ذات ٢٨٠٠ طن

ومعظم السفن التي أغرقت كانت في عرض البحر . واذا كان انتشال السفينة في مرفأ مصون من هياج الامواج من عمق ١٠٠ قدم مثلا يعد عملاً عظيماً فما بالك بانتشال السفن من خارج المرافئ حيث البحر مضطرب الامواج والرياح عاصفة عاتية . فلا يسهل رفع سفينة الا اذا كانت في عمق أقل من ١٠٠ قدم . ولا يحتمل استخراج غير السفن القريبة من الشاطئ والتي هي في امكنة محروسة من ثوران الامواج واضطراب اللجج

وقد اخترع الدكتور سلفيو بليكو بورتللا من ريو ده جنيرو (البرازيل) اسلوباً آخر لتعويم السفن وهو عبارة عن اكياس مصنوعة من مادة لا تنفذها المياه فيأخذ الغواص عدداً منها ويثبته في قلب السفينة وبعضه يثبته في ظاهرها ثم يرسل الهواء بواسطة انابيب الى هذه الاكياس ويضغطه اليها فتنتفخ وتطرد من داخل السفينة ماء بقدر انتفاخها هذا فضلاً عما تطرده الاكياس التي هي خارج السفينة والمثبتة بها جوانبها . وعلى هذا النحو تعوم السفينة . فكأن هذه الاكياس مناطيد مائية تحمل السفينة

حكاية وردة

لخليل مطران

الى ابهى مثال للعفاف والكمال الآنسة م . ر . خ .

كتبها الشاعر في طرس جعله كفناً لوردة ذبلت عنـده وهي هدية من الآنسة المشار اليها ووضع تلك البقية من الوردة في وعاء من أوعية الزينة البيتية مورق مزهر هو أشبه بالمهد منه باللحد

هذي حكاية وردة   تحلى بسيرتها السير
شغلت مكاناً من حيا   تي لم يزل عبق الأثر

***

في ذلك الزمن الذي   هو أمس لا عهد عهيد
لـكن أشرت بعده   اذ كل منصرم بعيد

ظفرت يداي بها وكا   نت آية بين الزهر
من فاخر الورد الذي   يسبي بروعته الفكر

ممشـوقة أوراقها   مضمومة ضم الشفه
تشفي بيهجتها أوام   المقلة المـترشفه

عذراء جادت لي بهـا   عذراء من اخواتها
بعفافها وعبـيرها   وبشائقات صفاتها

لحفظتها حفظ الحر   يص عناية وتعهدا
ومنحتها حظ الخص   يص رعاية وتوددا

أحللتها مستبشراً   خير المواضع في الحمى
وظللت أياماً أجا   ور نفحة وتبسما

حتى! اذا ما آذن الـ   قدر المتاح ببعدها
زاد الشجى في النفس رز   ئي مرتين بفقدها

في البدء مات بها الجما ل وعمره أبداً قصير
لكن أقام عبيرها فجعلت سلواي العبير

* * *

هذي عروس الورد أمـ ست بزرة أو شبه ذاك
جسم ألمّ به الردى فاجفّه والروح ذاك

صيرت جيبي من شما ل الصدر موطنها الامين
ولبثت آناً بعد آ ن أنشق العطر الكمين

طيب أحسّ بشمّه ما ظل فيها من رمق
وعلى توالي نقصه منها يزيد بي الفرق

أخشى وأحزن كلما مرت سويعات الوصال
وأود لو بجوارها القلب مدتها تطال

لكن متى حمّ القضا ء فليس يدفعه الحذر
ماذا يرد عليك فر ط الحرص والجاري قدر

أصبحت يوماً وهي قد جادت بفضلة عطرها
وبدا عليها أنها فاضت بقية عمرها

* * *

فاستوحشت نفسي وكنـ ت بجارتي مستأنسا
واسيت أقصى ما تجيز طبائع الزهر الأسى

لا تقبل الازهار ان تُبكى وغايتها الفدى
هي للتهانىء في الحيا ة وللتعازي في الردى

لكن ضننت بوردتي عن ان ترد الى الثرى
آثرتها لي دونه وحرىً بها ان تؤثرا

تلك التي بحياتها ملأت عيون المعجبين
عادت عقيب مماتها هنة لها شبه الجنين

شبه صنعت بوجيه لحداً حكى المهد الجميل
ما المهد إلا اللحد في حدَّين بينهما سبيل

شاكلت بينهما وما قصدي مشاكلة الصفه
لكن يعان القلب أحـ ياناً ببعض الفلسفه

المهد رمز العَود أو رمز الوجود مجددا
والعَود في الاحياء ليـ س يكون الا مولدا

فلمعنيين كلاهما فيه رجاء أو عزاء
هيأت ذاك المهد مو فور المحاسن ما أشاء

أرجو به التبشير ان كان التجدد يؤمل
أو أبتغي التذكير والـ ذكرى نشور أول

* * *

النفس أم كالطبيـ ـعة ليس تفتأ تخلق
وتعيد في رسم جديد كل شيء يخلق

فبالابتكار تصوغ ما يهدي اليـه وحيها
وبالادّكار ترد أشـ باحاً شجاها نأيها

ما أعجب الذكرى وأشـ فاها لتبريح الجوى
نور به تجلو النهى ما حجبت عنها النوى

ولوردتي ما دمت حيـ يا بعثة في خاطري
وبه يقبلها فمي وبه يراها ناظري

فاذا جرى أني نسيـ ت وربما نسي الفطن
فالمهد يمنح يقظة طرف الضمير اذا وسن

مهد بشكل خميلة غناء حانية الغصون
أنزلتها من قلبه في منزل السرّ المصون

في كل يوم حول ذا ... ك المهد أسراب المنى
وطوائف الفِكَر السوا ... نح في تلاميع السنى

ما بين عسية نزو ... رف حوله أو مصبحه
شبه الفراش تخالها ... زهراً يطير بأجنحه

يعقدن رؤيا للتي ... ماتت فتحسب حالمه
وعلى رقيق الشدو يو ... قظن العروس النائمه

فتعود تلك الوردة ال ... زهراء زاهية الورق
ملء الضمير بحسنها ... وكأنها ملء الحدق

لا تبعدي أي وردتي ... ما غاب الا من ضلا
لله ما أخلى الفؤا ... د اذا من الذكرى خلا

ما مات من لحبه ... قلب وفيٌّ ينشره
القلب يطوي الغيب في ... أثر الحبيب فيحضره

تالله أنك ما مكث ... ت عن الحياة مغيبه
لنضيرة في مقلتيَّ ... وفي فؤادي طيبه

* * *

يا ربة الشيم النبيـ ... لة هكذا بُذل العطاء
كل الازاهر للتي ... هي منك فلتكن الفداء

فازت ببعض القرب منـ ... ـك وذاك عزٌّ لا يرام
فلذاك أمست في الورو ... د وقد أقيم لها مقام

أدَّت أمانتها أدا ... ء الحق في دار الشقاء
واليك أهدت عمرها ... بتمامها فلك البقاء

خليل مطران

حفلة

عيد ارتفاع الصليب

صفحة من تاريخ بعض العادات عند سكان سوريا وفلسطين

﴿كلمة قبيلة﴾ ان الشرقي مولع بحفظ ما اقتبسه عن آبائه واجداده من العادات الحميدة والذميمة وما اكتسبه عنهم بالوراثة المعنوية . ولا جدال في أن هؤلاء انما نقلوها عن أمم مغيرة عليهم أو متعاملة معهم . فمن قبيل ذلك عادة اضرام النيران ليلة عيد ارتفاع الصليب . فهذه العادة يعرفها الشعب السوري «بالقبيلة» أو «القبّولة» (بلفظ القاف كالهمزة) وهكذا أثبت كتابتها بعض كتبة عصرنا . غير أن صحيحها وفصيحها إبالة وإبّالة بمعنى الحزمة الكبيرة من الحطب . ويقال ضغث على إبالة أو إبّالة بمعنى بلية على بلية أو خصب على خصب . وجاء في إبالته وأُبلته أي في اصحابه وقبيلته . والأبالة ايضاً الحزمة الكبيرة من الحطب والابيلة والايبالة والوبيلة الحزمة من الحشيش . وقد استعملت كلة ابيلة على سبيل الاستعارة والمجاز للدلالة على ايقاد النار وإضرامها

﴿أصل التلغراف وأنواعه﴾ وقبل ان نذكر شيئاً عن تاريخ الأبيلة ليلة عيد ارتفاع الصليب استصوبنا ان نلمح الى أصل التلغراف وأنواعه فان الأبيلة من الاصطلاحات الكثيرة التي من شأنها سرعة ايصال الاخبار وانتشارها من محل الى آخر . فيحسن بنا والحالة هذه أن نسميها بالتلغراف في أول عهده وطور طفولته . فأقدم ما أصطلح عليه الناس في سرعة ايصال الاخبار استخدام الصوت ثم اصطلحوا على ايقاد النيران. وقد ورد ذكر ذلك لاول مرّة على ما أذكر في الالياذة حرف سيغما عدد ٢١١ من الطبعة اليونانية . ولبث الامر مقصوراً على مثل ما ذكر الى القرن الثالث قبل الميلاد . اذ تنبه الناس الى استخدام مصابيح تظهر وتخفى برمز بها الى حروف الهجاء . وفي القرون الوسطى أهمل أمر هذا التلغراف وجل ما ورد ذكره ان اليونان في بزنطة والعرب في الاندلس كانوا يخاطبون نهاراً بواسطة الالوية وليلاً بواسطة النار

وفي القرنين الخامس عشر والسادس عشر مال الناس الى دراسة علم البصريات

فتنبهوا لامر التلغراف البصري وتفننوا فيه حتى كثرت انواعه وتباينت أشكاله وفي ذلك تفاصيل طويلة لا حاجة اليها هنا . ومما سبق يستفاد أن ايقاد النار كان منتشراً بين الامم الغابرة لسرعة ايصال الاخبار وقد ورد ذكرها للمرة الاولى في الياذة هوميروس

﴿ تاريخ الايلة بين مسيحيي سوريا ﴾ ليست لدينا كتب سندية لتأييد تاريخ عادة الايلة ليلة عيد ارتفاع الصليب . فهذه العادة مألوفة اليوم عند بعض مسيحيي سوريا . فاولادهم بعد أن يضرموا النار في رُكام من الوقش والزرّجون (عاميّها جرزون) والحطب وما شاكلها من المواد المحترقة يقفزون عليها وإماوات الفرح تعلو وجناتهم وتحيجهم يصم الآذان . ولهذه العادة تقاليد لا مانع من ذكرها فانها جامعة بين الفكاهة والتاريخ : زعم بعضهم أن ايقاد النار (القبيلة) يوم عيد ارتفاع الصليب يرجع عهده الى ايام الملك هرقل فانه لما استرجع الصليب من الفرس أمر أن يعين لذكر هذا الواقع عيد حافل . فأخذ نصارى الشرق يظهرون فرحهم بايقاد النيران على متن الجبال . وارتأى غيرهم أن الملكة هيلانة لعلمها اليقين بوجود الصليب في أورشليم توجهت اليها ولما وصلت الى جبل عال مقابل القسطنطينية بنت عليه برجاً رفيعاً وأودعت فيه جنوداً وحطباً وأوصتهم بايقاده اذا رأوا ناراً متقدة في البرج الذي امامهم وأخذت تفعل هكذا كلما وصلت الى جبل مرتفع من بناء برج وايداع حطب فيه حتى دخلت أورشليم . وبعد استقصاء طويل واستنطاق غريب في بابه تحققت موضع الصليب ولما وجدته أمرت بايقاد النار في البرج الاول المجاور لاورشليم وهكذا وصل الخبر الى القسطنطينية . وربما كانت الرواية الاولى أقرب الى الحقيقة من الثانية بدليل أن الكنيسة تحتفل بعيد ارتفاع الصليب تذكاراً لاسترجاعه الى أورشليم بغيرة ملك الروم هرقل وبسالته

﴿ ليلة حفلة الاربعين شهيداً ﴾ ومما هو جدير بالذكر أن قاطني أورشليم وضواحيها لا يعرفون لهذه العادة من أثر مما يقضي علينا بالدهشة وهو معلوم أن مرجعها أورشليم . انما توجد عندهم مثل هذه العادة ليلة عيد الاربعين شهيداً . فاولاد رعاعهم في هذه الليلة يوقدون ناراً في الشوارع والازقة على مرأى من عابري السبيل ويملأون الفضاء تحيحاً وصراخاً مرددين الجملة التالية نذكرها بحرفها ولهجة مردديها : « اربعين شاهد أربعين فتيلة لا يخلّي بدارنا لا عقرب أسود ولا حية كبيرة » . فهذه الحفلة تشير بلا ريب الى ما أنزل بالاربعين شهيداً في مدينة سبسطية من ضروب

العقوبات وانواع العذابات . فأولئك الجنود الشهداء كانوا من كماة الذين شهدت لهم الحروب بالبسالة وثبات الجاش وشدة العزيمة فاستشهدوا على أثر الاضطهاد الذي أضرم ناره ليسينيوس ختن القديس والملك المظفر قسطنطين الكبير في السنة التاسعة عشرة في القرن الرابع فامر اذ ذاك عماله في الشرق أن يكرهوا الجميع على عبادة الاوثان . أما استشهادهم فكان على زمن أغريكولادس والي كبادوكيا وأرمينية الصغرى وتحتفل الكنيسة الشرقية بتذكارهم في اليوم التاسع من شهر آذار (مارس)

وفي بلاد اليونان والاستانة وضواحيها توجد مثل تلك العادة الغريبة في شكلها واعتاد القوم أن يحتفلوا بها في ٧ يوليو الموافق ٢٤ حزيران (يونيو) من كل سنة اكراماً لمولد يوحنا السابق المعمدان وقد كتب الشيء الكثير عن هذه العادة العلامة المدقق بوليتس أحد أساتذة الجامعة اليونانية في أثينا وربما عدنا في فرصة أخرى الى هذا البحث

﴿ ذكر ارتفاع الصليب ﴾ ويطول بنا الكلام اذا أردنا الافاضة في كل ما ألمّ بأورشليم سنة ٦١٤ للمسيح من الحوادث المؤلمة والشدائد المبرّحة وكلها مما يحتاج الى صفحات واسعة . فبطل هذه الرواية هو ملك العجم كسرى الثاني الذي بعد أن حاصر أورشليم وافتتحها نكل بسكانها أشد التنكيل وخرّب كثيراً من ديارها ومعاهدها . وكأنه لم يكتف بذلك فسلب منها ذخائرها وعود الصليب معها وأسر طائفة من أعيانها ووجهائها وكان بينهم الطيب الذكر البطريرك زخريا . ولكن العزة الالهية أخذت اذ ذاك بنصرة المسيحيين واصطفت منهم ملكاً غيوراً محباً للكنيسة . فهرقل ملك الروم عقد النية على مقاومة العجم ووطن النفس على استنقاذ الصليب واسترجاعه الى محله وقد تمّ ذلك في السنة الثامنة والعشرين بعد القرن السادس للميلاد . وفي السنة التالية توجه الملك المظفر ببطانته قاصداً الاراضي المقدسة فوضع ذخيرة الصليب في مكانها على جبل الجلجلة في ١٤ أيلول (سبتمبر)

(بتصرف من مخطوطنا « الروضة البهية في بعض العوائد الشرقية » وللبحث متفرقات وحواش لا محل لذكرها هنا)

اسكندرية نجيب ميخائل ساعاتي
دكتور لاهوتي

ومعها ثلاث بنات وابن وطفل هم أولادها . وحين قبض على هولمس كانت زوجة بيتزل وابنتها الكبرى دسي وطفلها يقطنون في منزل استأجره هولمس في برلينغتون (ولاية فرمونت) فقبض عليها بتهمة الاشتراك في القضية وجيء بها الى بوسطن

أما هولمس فبعد يومين من القبض عليه خاف جداً من ارساله الى تكساس بتهمة سرقة حصان . لان العقاب هناك عنيف جداً . فاعترف للبوليس بمكيدة التزوير وان شريكه فيها بيتزل . وادعى ان الجثة التي جعلها تمثل بيتزل أخذها من طبيب في نيويورك وشحنها في صندوق الى فيلادلفيا . بيد أنه أبى ان يبوح باسم الدكتور . وزعم أن بيتزل برح مع أولاده الثلاثة اليس ونلي وهورد الى اميركا الجنوبية . وانه لم يخبر زوجة بيتزل بذلك . ولما جيء بهذه المرأة المسكينة الى بوسطن كانت في اضطراب عقلي شديد . ولما سئلت أنكرت اشتراكها في المكيدة ولكنها قالت انها كانت قلقة جداً لعدم ورود أخبار من زوجها وأولادها . وقالت انها لم تعد ترى ابنتها اليس منذ ذهبت الى فيلادلفيا لكي تحقق جثة أبيها . وكان على أثر انجاز المكيدة ان هولمس ذهب الى زوجة بيتزل في سنت لويس وأخذ نلي وهورد لكي يضمهما الى اليس التي كانت (على قوله) مقيمة عند أرملة في اوفينغتون (ولاية كنتكي) . ومنذ ذلك الحين لم تعد زوجة بيتزل ترى زوجها ولا أولادها الثلاثة . ثم أشار عليها هولمس ان تبرح الى ديترويت . ثم الى بلدة أخرى وأخيراً الى برلنغتون على أمل ان ترى زوجها أو أولادها . ولكنها لم تجد أحداً . وأخيراً اعتقدت ان زوجها هجرها فرغبت ان تجمع أولادها اليها

وفي ٢٠ نوفمبر نقل هولمس وزوجة بيتزل من بوسطن الى فيلادلفيا حيث أعلن اتهامهما واتهام بيتزل وهوي المحامي بارتكاب التزوير ضد شركة ضمانة الحياة واختلاس ١٠ آلاف ريال

وعلى أثر وصولهم سأل مفتش من قبل الشركة هولمس عمن أرشده الى كيفية طي الجثة ووضعها في الصندوق للشحن . لان الجثة تكون عادة بعد الموت كالخشب لا تلتوي . وقد لوحظ ان الجثة كانت كذلك وكانت أيضاً مستقيمة فكيف استطاع هولمس ان يحولها من قاسية الى لينة ثم من لينة الى قاسية . فاجاب هولمس انه تعلم ذلك في المدرسة في مشيغان يوم كان طالب طب . وسئل عن طريقته في ذلك فلم يجب على انه ما لبث ان تحقق خطأه في هذا الاعتراف فاعترف اعترافاً آخر بعد بضعة

أسابيع . وقال ان بيتزل نفسه كان في حالة يأس فسكر وانتحر في الطبقة الثالثة من المنزل الذي حدثت فيه الحادثة . وهناك وجد هولمس جثته فنقلها الى الطبقة الثانية ووضعها في موضع موافق لخداع الشركة . وقال ان بيتزل انتحر باضجاعه على الارض وسكب الكلوروفورم في فمه من أنبوبة كوتشوك وجدت موضوعة على الكرسي . ثم قال هولمس ان الاولاد الثلاثة برحوا مع مس ميني وليمس (التي اشترى منها الارض في تكساس) الى انجلترا

ولهولمس قصة أيضاً مع مس وليمس رواها هو كما يأتي :

أتت الفتاة الى هولمس سنة ١٨٩٣ وتعينت عنده كاتبة أسراره في مخزن أدوية كان له في شيكاغو . وقد اشتدت العلائق بينهما وتجاوزت حد الصداقة الى ان كتبت ميني وليمس الى أختها ناني تستقدمها لكي تحضر حفلة زواجها . وما وصلت نانى حتى حدث بين الاختين خصام عنيف . ولما عاد هولمس الى البيت وجد ان ميني في ساعة غضبها قتلت أختها . فاضطر ان يعاون ميني على ستر جريمتها باخفاء جثة أختها . فرماها في بحيرة شيكاغو . ولذلك كان هم ميني الوحيد ان تبرح أميركا الى أوربا فاخذت أولاد بيتزل معها . في الوقت نفسه كان هولمس باسم بوند وبيتزل باسم ليمان يشتغلان في أرض مس وليمس في تكساس

وكان لهولمس تأثير على بعض النساء فكان ينتفع من جرأته وكان اسمه الحقيقي هرمان مدجت وعمره نحو ٣٤ سنة حين قبض عليه . وفي أيام حداثته كان زراعاً ثم درس الطب ونال درجة فيه . وفي مدة دراسته كان له صديق في المدرسة . واتفق انهما وجدا جثة تشبه مشابهة غريبة ذلك الصديق فانتفعا من هذه المشابهة بان « نصبا » على شركة ضمانة حياة بالف ريال بنفس الحيلة التي نحن في صددها وكان بيتزل شريكه فيها . وبعد أن استخدم في مستشفى مجاذيب ذهب الى شيكاغو وفتح صيدلية فيها . فنجح في هذه المدينة حتى بنى في زاوية شارع والاس وشارع ٦٣ بناية ذات أربع طبقات كانت تسمى باسمه « قلعة هولمس » . وكان يشغل البناية كلها فكان أسفلها دكانه ومكتب أشغاله وكان يقطن في الطبقة الثانية . وجعل الطبقة الثالثة معملاً كيماوياً . وكان في مكتبه قبو لا ينفذ اليه الهواء ولا يخرج منه صوت . وكان في غرفة الحمام باب سري مغطى بسجادة يفتح الى سلم ينزل بها الى القبو الاسفل وكذلك كان بين المعمل والقبو الاسفل سلم سرية تتصل بباب سري أيضاً . وفي القبو موقد

كبير . الى هذه البناية دعت مس ميني وليمس أختها لحضور قرانها . وفي هذه البناية قتلت ميني أختها (على قول هولمس)

لما كانت ميني وليمس تطمع بالزواج من هولمس كان له ثلاث زوجات لا تعرف الواحدة بالاخرى . فقد تزوج أولا باسم مدجت سنة ١٨٧٨ وكانت زوجته تقيم في برلنغتون (ولاية فرمونت) . ثم تزوج ثانية في شيكاغو باسم هورد وثالثة في دنفر باسم هولمس سنة ١٨٩٤ . وكانت زوجته الثالثة معه حين ذهب الى فيلادلفيا لتحقيق جثة بيتزل

وافت سنة ١٨٩٥ وهولمس لا يزال في سجن فيلادلفيا . ولم تكن الحكومة لتعجل في محاكمته على التزوير والاحتيال بعد ما وقعت التهمة عليه كقاتل . وكان هم رجال القضاء ان يجدوا مس ميني وليمس وأولاد بيتزل الثلاثة وادورد هاتش الذي (يقول هولمس) انه ساعدهم على الرحيل

وكان هولمس يقاسي الوحشة في سجنه حتى عاف اكل اللحم وكانت زوجته الثالثة تزوره في سجنه فتفرج كربه . ولما لم يكن قد حكم عليه بعد كان يؤذن له بمطالعة الجرائد والمجلات . وطلب ان يخرج من السجن بضمانة فقيل له انه معتقل لاجل تهمة القتل فضلاً عن الاحتيال والتزوير فضاق ذرعه . وفي ٣ يونيو حوكم على التزوير وحكم عليه ولكن أجل تنفيذ الحكم لان القضاء كان يريد ان يستوفي أخبار مس وليمس والاولاد الثلاثة

وفي يوم الحكم عليه استدعاه وكيل النيابة وأخبره انه متهم ليس بقتل بيتزل فقط بل بقتل اولاده الثلاثة . فاذا شاء ان يتبرأ من هذه التهمة فليظهر الاولاد الى الوجود

فاصرَّ هولمس على ان مس وليمس سافرت مع الاولاد الى لندن وأقامت في رقم ٨٠ من شارع ڤادار . واقترح ان ينشر في نيويورك هرلد كتابة جفرية اصطلح هو وميني وليمس على التفاهم بها في هذه الجريدة . ولما سئل عمن رأى مس وليمس وهي مسافرة غضب لانه عد هذا السؤال اهانة له وبكى قائلا « لماذا أقتل ثلاثة أولاد أبرياء » . فقال له أحد الحاضرين « كل هذه الاقوال محض كذب » فازداد امتعاضه وشمخ . ومع ذلك اذن له بان ينشر في الهرلد ما اراد فنشر ولكن لم يرد خبر من مس وليمس بل بالعكس ثبت انه لا يوجد في لندن شارع باسم ڤادار مطلقاً . بعد ذلك أطلق سراح زوجة بيتزل

ولم يكن وكيل النيابة وشركة ضمانة الحياة على اتفاق في مصير اولاد بيتزل . فان وكيل النيابة كان لا يزال يؤمل ويعتقد أن يجدهم في لندن مع مس ويليمس . وأما الشركة فجعلت تبحث عن مصيرهم ولم يوجد من أثر لهم سوى علبة صفيح كانت عند هولمس تحتوي على رسائل كانت تكتبها الاولاد لامها ورسائل كانت تكتبها الام للاولاد . وقد ظهر أن هولمس كان يمنع وصول الرسائل . ذلك حين كان الاولاد في سنسناتي وانديانابوليس وديترويت . لذلك قررت الشركة أن تعين بوليساً سرياً يبحث عن الاولاد في كل مكان كان فيه هولمس . فعينت شخصاً بارعاً في البحث يدعى جاير وقد اشتغل وحقق بصبر تحقيقاً عجيباً كان نادراً في بابه

ولم تعد أليس بيتزل ترى أمها منذ اصطحبها هولمس لترى جثة أبيها وتحققها في فيلادلفيا . وقد أخذها هولمس من هناك الى انديانابوليس وفي ذلك الوقت زار زوجة بيتزل في سنت لويس وأخذ معه الفتاة نلي والغلام هورد وقد ادعى حينئذ انهما وأليس سيلتقون بأبيهم الذي كان موته الوقتي ضرورياً لاتمام عملية النصب على شركة ضمانة الحياة وهي العملية التي لم تكن زوجة بيتزل راضية بها من اول الامر . ثم اجتمع هولمس ونلي وهورد بأليس في أنديانابوليس . ومن هناك ذهب الاربعة الى سنسناتي . ومن هنا ابتدأ اللصاص جاير في بحثه في ٢٧ يونيو سنة ١٨٩٥

بعد ان طاف جاير عدة فنادق وجد انه في يوم الجمعة ٢٨ سبتمبر سنة ١٨٩٤ نزل في فندق أتلانتيك هوس رجل باسم اسكندر كوك ومعه ٣ اولاد . فتذكر جاير أن هولمس لما أرسل زوجة بيتزل بعدئذ الى المنزل في برلينغتون كان يلقبها مسز كوك. وزد على ذلك أن صاحب الفندق لما رأى مع جاير صورة الاشخاص الاربعة عرفها . ثم وجد جاير أنهم تركوا ذلك الفندق في اليوم التالي ونزلوا في « فندق برستول » وبقوا فيه حتى الاحد في ٣٠ سبتمبر

ولما كان جاير يعلم أن هولمس يحب سكنى المنازل فلم يحصر بحثه في الفنادق فبحث عند وكلاء المباني فوجد أن رجلا وغلاماً نزلا في منزل رقم ٣٠٥ في شارع بوبلار وقد سمى الرجل نفسه ا . س . هايس . فظهر له أنه هولمس والغلام هورد . استأجره في ٢٩ ستمبر وجاء اليه بالغلام في مركبة عفش . وقد استغربت الجارة التي رأت قدوم الجار الجديد أنه لم يكن معه من العفش سوى اسطوانة وطيس (موقد النار) . واستغربت

بالاكثر حين قال لها هابس أنه لن يقيم في المنزل وأهداها الاسطوانة

ثم برح جابر من سنسناتي الى أنديانابوليس وهنا اتضح له أنه في ٣٠ سبتمبر جاء رجل بالاولاد الثلاثة الى « فندق أنكليزي » ونزل فيه باسم كاننغ وهو الاسم الاول لزوجة بيتزل . فبقي الاولاد في ذلك الفندق ليلة واحدة فقط . بعد ذلك كاد جابر يفقد سلسلة البحث لولا أن علم أن فندقاً كان حينذاك مقفلاً يدعى سركل هوس . وبكل صعوبة استطاع أن يطلع على سجل ذلك الفندق فعلم منه أن الاولاد الثلاثة وصلوا الى الفندق في اول أكتوبر وبقوا فيه حتى ١٠ منه وكان هولمس يدعي أنه عم الاولاد أو خالهم وأن هورد غلام شرير يود أن يضعه في مدرسة أو معهد . وقد شهد صاحب الفندق أن الاولاد لم يخرجوا من الفندق وكانوا معظم الوقت يصورن أو يكتبون او يقرأون واحياناً كانوا يكون كأنهم مستوحشون

وقد وجد في رسائل الاولاد لامهم ـ الرسائل التي وُجدت مع هولمس ـ انهم يتذمرون فيها من بقائهم وحدهم وأنهم ينتظرون أمهم بفروغ صبر الى غير ذلك من العبارات المؤثرة جداً . وبالطبع لم يكن هولمس ليدع هذه الرسائل تصل الى الام المسكينة

ثم علم جابر أن هولمس ذهب الى ديترويت وتأكد أن فتاتين « أنا ونلي كاننغ » نزلتا في ١٢ أكتوبر في فندق « نيو وسترن أوتيل » في هذه المدينة . ومن هناك برحتا في ١٥ منه الى نزل (بيت النوم والاكل) في شارع كونغرس ومن ديترويت كتبت أليس الى جدها كتاباً مؤثراً تصف فيه سوء حالتها وحالة أختها . وأشارت الى أخيها الصغير الطفل وتمنت أن تراه وأملت أن يكون قد صار يمشي

في ذلك الحين كان هذا الطفل وأمه وأخته دسي في ديترويت نفسها وعلى بعد ١٠ دقائق من الفندق الذي أنزل فيه هولمس الفتاتين أنا ونلي كاننغ

ذلك انه في ١٤ أكتوبر وصل الى هذه المدينة ديترويت مرأة في حالة اضطراب عقلي وضعف جسدي ومعها فتاة وطفل ونزلوا في فندق « جيز هوتل » باسم مسز أدمس وابنتها . ولم تكن هذه المرأة لتترك غرفتها لحظة

ولما رأت صاحبة الفندق صورة زوجة بيتزل وابنتها عرفتهما واكدت انهما المرأة وابنتها اللتان نزلتا عندها

وفي نفس الوقت كان في ديترويت هولمس وزوجته الثالثة كما ثبت من اطلاع من نزل عندهم على صورتهما

فنرى مما تقدم انه وجد في وقت واحد ٣ جماعات في مدينة واحدة بإدارة هولمس لا تعرف الواحدة بوجود الاخرى . واغرب من ذلك ان هولمس نقل هؤلاء الاشخاص من ديترويت الى تورنتو في كندا في ١٨ اكتوبر حيث أنزل كل فريق منهم في فندق . والشخص الوحيد الذي ظهر لجاير أنه لم يصل الى تورنتو هو الغلام هورد

وفي تورنتو كانت أليس ونلي كانتا نازلتين في « فندق اليبون » فبقيتا هناك نحو ٦ أيام وكان رجل (ثبت أنه هولمس) يأتي ويأخذهما كل صباح ويعود بهما مساء وفي ٢٥ اكتوبر أخذهما ولم يعد بهما . وهنا انقطعت سلسلة البحث لدى جاير فلم يعد يقف على أثر للفتاتين فجعل يبحث عن أثرهما في المنازل فكان البحث بطيئاً ومخيباً واخيراً لم ير بدّاً من طريقة النشر في الجرائد

فنشرت الصحف تفصيلاً عن الحادثة وصورة هولمس والفتاتين . وبعد ٨ أيام ورد الى جاير خبر مفاده ان رجلاً معه فتاتان استأجر في اكتوبر منزلاً في رقم ١٦ بشارع فنسنت فاسرع جاير الى مرسل الخبر وهو اسكوتلندي يسكن في رقم ١٨ وهو المنزل المجاور للمنزل المذكور . وقد روى هذا الرجل ان (هولمس) قال له انه استأجر المنزل لاخته الارملة . ولما رأى صورة أليس بيتزل عرف انها احدى الفتاتين اللتين كانتا مع هولمس . وقال انه لم يأت بعفش سوى سرير وفراش وصندوق . وفي أثناء وجوده في المنزل رقم ١٦ استعار من جاره معولاً قائلاً انه يريد ان يحتفر حفرة في الطبقة السفلى (بدرون) لكي تودع أخته الارملة فيها البطاطس . ورد المعول في الصباح التالي . وصاحبة المنزل نفسها عرفت صورة هولمس حالما رأتها واكدت إنه هو الشخص الذي استأجر المنزل منها

عند ذلك استعار جاير المعول نفسه الذي استعاره هولمس واستأذن سكان منزل رقم ١٦ للبحث في الطبقة السفلى ولما نزل جاير الى الطبقة السفلى لاحظ في الحال ان الارض عند احدى الزوايا محفورة حفراً غير قديم ومردومة فاعمل المعول واحتفر الحفرة ثانية فوجد على عمق ٣ أقدام بقايا جثتي ولدين . وعلم من السكان انهم وجدوا في مدخنة المنزل بعض ملابس الطفلين غير محترقة ولكنها تلفانة وبعض لعب للاولاد مثل بيضة مصنوعة من الخشب وضمنها أفعى صناعية . وقد أريت زوجة بيتزل شعر الجيفتين وأسنانهما فتحققت انهما لابنتيها اليس وأنا . وهكذا حدث انه في نفس اليوم

الذي أميتت فيه هاتان الابنتان كانت أمهما في فندق على مقربة من منزلها . وفي نفس ذلك النهار ألحّ عليها هولمس ان تبرح الى اوغدنسبورج . وقال لها أن البصاصين يراقبون فيستحيل عليها أن ترى زوجها في تورنتو

على ان جاير البصاص لم يكتف بذلك بل رام ان يعلم ماذا جرى للغلام هورد . فقد علم جاير الى هنا ان هولمس استأجر ٣ منازل في سنسناتي وديترويت وتورنتو وان هورد كان مع أختيه في انديانابوليس في الفندق . وفي ديترويت قال بعض وكلاء المباني ان هولمس لما كان يستأجر منزلاً كان معه صبي . فبحث جاير في المنزل بحثاً دقيقاً فلم يجد أثراً للصبي . فعاد للتحقيق مع هؤلاء الوكلاء فلم يتأكدوا انه كان معه غلام . ولذلك رجح جاير ان الغلام لم يأت الى ديترويت بل اختفى في انديانابوليس . وفي رسالة من اليس لامها (لم تصل لها طبعاً) تصف كيف ان هولمس رام ان يأخذ الغلام والغلام لم يصطبر عليه . وبعد ذلك لم يبق أثر للغلام كما انه لم يبق لاختيه أثر بعد سكناهما في شارع فنسنت في تورنتو (ما عدا جيفتيهما) . فلذلك عاد جاير الى انديانابوليس

في ذلك الوقت اذ كان هولمس في السجن علم باكتشاف خبر الفتاتين في تورنتو فكتب في يوميته : « في صباح ١٦ يوليو وردت الي الجرائد التي اقرأها وما فضضتها حتى وقع نظري على عنواناتها بالقلم العريض تشير الى اكتشاف الاولاد في تورنتو . فخطر لبالي في اول الامر أن تكون هذه العنوانات من قبل تهويل الجرائد « وتهييصها » ولكني لما اطلعت على شيء من الخبر عرفت انه وجد في تورنتو جثتان . ولما قابلت التاريخ الذي استأجر فيه المنزل علمت أنه الوقت الذي كان فيه الاولاد في تورنتو وتحققت الهول الذي حدث . فعدلت عن قراءة تتمة الخبر ولاح في ذاكرتي حينئذ الفتاتان تودعانني اذ كنت مغادراً البلد على عجل وهما تقبلانني بتأثر ثم شعرت اني تحملت عبئاً ثقيلا يذهب معي الى القبر وهو لا يقل هولاً لي عن هول موت ناني ويليمس

ولما سأل وكيل النيابة هولمس عن هذه البينة الجديدة جدد الاشارة الى أدورد هاتش (الذي زعم انه رافق ميني ويليمس والاولاد الى اوربا) وقال أن ميني ويليمس لاستيائها الشديد من هجرة هولمس لها ورغبتها في الانتقام منه وايهاماً انه هو الذي قتل اختها لا هي حملت أدورد هاتش بجترم ذلك الجرم الفظيع - أي قتل الاولاد .

(ولكن التحقيق اظهر انه لا وجود لشخص أدورد هاتش) . ثم طلب هولمس أن يؤذن له بالذهاب الى تورنتو للتحقيق بنفسه عن بينات من مصلحته فابت عليه النيابة ذلك اذ قررت محاكمته في فيلادلفيا

نعود الى جاير فانه جدّد تحقيقه وبحثه في انديانابوليس واستحصل على جدول اعلانات منازل للايجار في هذه المدينة سنة ١٨٩٤ . فبحث في ٩٠٠ منزل منها بلا جدوى وأخيراً وجه همه الى القرى المجاورة لانديانابولس فلم يقف على أثر للغلام واخيراً كتب لرؤسائه : « انه لم يبق الا ارفينغتون وبعدها لا أدري أين اذهب » فذهب اليها في ٢٧ اوغسطس أي بعد شهرين من بده بحثه . وما دخل البلد حتى عثر على مكتب تأجير مبان فدخل واستقبله الوكيل وفي الحال أراه جاير الصورة الفوتوغرافية التي معه وسأله أن كان رجل كهذا الرسم قد استأجر منه منزلاً في اكتوبر سنة ١٨٩٤ ، فما اطلع الرجل على صورة هولمس حتى قال انه يذكر جيداً ان رجلاً بهذا الشكل طلب منه استئجار منزل بطريقة فظة سمجة

فما تردد جاير ان ذهب الى المنزل الذي استأجره هولمس وبحث في (البدرون) الطبقة السفلى فلم يجد أثراً لحفر ولكنه وجد تحت ارض مصطبة المنزل بقايا صندوق يشابه وصف الصندوق الذي كان مع بني بيتزل . ووجد ايضاً الوطيس (الموقد الحديدي) وهو من الصنف الذي لا غنى لهولمس عنه ورآه ملطخاً بقليل من الدم . وقد شهد جار انه رأى هولمس في مركبة عفش قادماً الى المنزل ومعه الصبي في اكتوبر . ثم طلب اليه هولمس أن يأتي الى المنزل ويساعده في وضع الموقد فسأله الجار لماذا لا يستعمل الغاز (وهو شائع هناك) فقال هولمس انه لا يظن الغاز صحياً للاولاد . وفيما كان هولمس والجار يضعان الموقد في مكانه كان الصبي واقفاً يتفرج . وبعد البحث الدقيق وجد جاير في مدخنة البدرون عظاماً واسناناً وحوضاً عظمياً وبقايا المعدة والكبد والطحال . والفحص الطبي أثبت انها اعضاء ولد بين السابعة والعاشرة من العمر والسكان وجدوا بعض ملابس وحذاء الخ مما اثبت بلا ريب انها لابن بيتزل . فاخذها جاير وعاد الى فيلادلفيا في اول سبتمبر

وفي ٢٨ أكتوبر سنة ١٨٩٥ بدأت محاكمة هولمس . وقد اثبت وكيل النيابة أن هولمس قتل بيتزل وانه قتل الاولاد الثلاثة ايضاً لان قتلهم من جملة مقتضيات المكيدة التي كادها لاجل العشرة آلاف ريال . اما القاضي فرفض هذا التعليل ولكنه سلم

باحتماله . والمحامي عن هولمس لم يناقش في أن قتيل فيلادلفيا هو بيتزل ولكنه حاول ان يثبت انه انتحر الا ان شهادة الطبيب الشرعي نافت نظرية الانتحار لان وضع الجسم كما وجد لا يدل على ذلك بل بالعكس يدل على جناية جان . ثم ان الكلوروفورم الذي كان في جوفه يدل على انه ادخل اليه بعد الموت . والراجح أن هولمس نشقه الكلوروفورم وهو سكران ثم سكبه في جوفه بواسطة الانبوبة . ولا ريب انه قتل الاولاد الثلاثة بهذه الطريقة ايضاً لانه وجد بعد محاكمته في منزله زجاجة تحتوي على ١٠ اوقيات من الكلوروفورم . وكان ينوي أن يقتل زوجة بيتزل وولديها الآخرين بهذه الطريقة ايضاً لو لم يقع في يد القضاء

وما اكتفى هولمس بدفاع المحامي عنه بل رام ان يدافع عن نفسه ايضاً فكان رابط الجأش غير هياب . ولم ينكسر له جفن حين رأى في أثناء محاكمته زوجة بيتزل التي قتل زوجها واولادها الثلاثة . وانما اظهر تأثراً حين رأى زوجته الثالثة . ثم صدر الحكم عليه بالموت في ٢ نوفمبر

وقبل المحاكمة بحث البوليس في منزل هولمس الذي بناه في شيكاغو ، وسماه « قلعة هولمس » فوجد في الموقد في البدرون عظاماً بشرية . وفي وسط الغرفة خواناً للتشريح لا يزال ملطخاً بالدم . ثم احتفر رجال البوليس أرض البدرون فوجدوا عظاماً بشرية محروقة وأزراراً معدنية وبقية سلسلة ساعة وبعد التحقيق ثبت أنها تخص ميني وليمس

وقد أثبت التحقيق أن هذه الفتاة دخلت في خدمة هولمس كاتبة على الآلة الكاتبة سنة ١٨٩٣ . وقد سكنت معه في ذلك المنزل وأنها في آخر السنة استدعت أختها لحضور زواجها بهولمس فاتت الفتاة . وبعد ذلك لم يعد أحد يراها في قيد الحياة. وفي فبراير التالي ذهب بيتزل الى فورت وورث (تكساس) باسم ليمان وادعى أرضاً باعها له رجل باسم بوند وهي أرض مس وليمس . وبعد ذلك انضم هولمس اليه باسم برات وشرعا بالبناء في الارض

ثم ظهرت أسرار أخرى من جملة أسرار « قلعة هولمس ». في سنة ١٨٨٧ استخدم هولمس رجلا باسم كونور وكان معه زوجة جميلة وابنة في التاسعة من عمرها . وبعد وقت قصير اختصم كونور مع زوجته وتركها . وبعد سنة ١٨٩٢ اختفت مسز كونور وابنتها بتاتاً . ولكن في سنة ١٨٩٥ وجد البوليس في « قلعة هولمس »

بعض ملابس ثبت أنها ملابسها . وشهد البواب انه رأى جثة مسز كونور في المنزل . ولما سئل هولمس في سجنه عن ذلك ادعى ان مسز كونور ماتت تحت عملية جراحية. ولكنه لا يدري ماذا حدث للفتاة

وفي السنة التي اختفت فيها مسز كونور كانت فتاة تدعى اميل سيجراند مستخدمة في مستشفى كان فيه بنيامين بيتزل مريضاً فارشدها هذا الى هولمس فاستخدمت عنده وما لبثت ان صارت صديقة له وأخيراً أصبحت تساكنه وهما باسم مستر ومسز جوردون . وكانت عادتها ان تكتب لأبويها كثيراً . فمنذ ذلك الحين انقطعت رسائلها ثم اختفى خبرها وأثرها

وروى رجل كان في خدمة هولمس وهو في « قلعة هولمس » فقال انه في سنة ١٨٩٢ دفع هولمس اليه هيكل انسان وطلب اليه ان يعلقه أو يضعه في مكان . وفي يناير ١٨٩٣ أرشده الى هيكل بشري آخر في المعمل لا يزال عليه شيء من اللحم وقال له ان يضعه في المكان الموافق له . ولما كان عند هولمس عدد جراحية ووسائل لتجريد اللحم عن العظم ظن هذا الرجل انه يشتغل في الجراحة والتشريح

وقبل تنفيذ الحكم بنحو شهر وبعد رفض الاستئناف للقضية باع هولمس للجرائد اعترافاً عن جرائمه بقيمة ٧٥٠٠ ريال وادعى انه ارتكب ٢٧ جريمة قتل في حياته . وفي اليوم التالي أعلن انه بلف (خدع) الجرائد في أقواله هذه وقال انه مل اتهام الجرائد له بنسبة كل قتل حدث في السنين الاخيرة اليه . ولما سئل عن اعترافه بتفاصيل قتله لاولاد بيتزل ان كان صحيحاً أو خداعاً فقال : ـ بالطبع انه غير صحيح . وانما الجرائد رامت حوادث مؤثرة فنلتها

وقال في حديثه للجرائد ان بعض الذين قتلهم من السبعة والعشرين نفساً أماتهم بالسم وبعضهم بطرق أصعب من السم وبعضهم ماتوا موتاً بطيئاً باسفكسيا الاختناق من قلة الهواء في حوض مقفل في أسفل قبو منزله « قلعة هولمس » وهو مصنوع بحيث لا ينفذه الهواء ولا يسمع منه الصوت . وقد ذكر أسماء كثيرين ممن أماتهم ولكن ثبت بعدئذ ان بعضهم أحياء . على ان هولمس اعترف بعشرة على الاقل من جرائم القتل التي ارتكبها . ولو مد بأجله في السجن لربما اعترف بغيرها

وقد نفذ فيه الحكم بالموت في ٧ مايو في فيلادلفيا فاستقبل الحكم بعدم اكتراث. والارجح ان ما حدا هولمس لقتل بيتزل وأولاده الثلاثة وعزمه على قتل زوجته .

وولديه الآخرين مشاجرة جرت بينه وبين بيتزل في يوليو سنة ١٨٩٤ . والظاهر ان بيتزل ملَّ عشرة هولمس ورام ان ينفصل عنه · بيد انه علم من ماضي عشرته انه رجل خطر يخشى شره ومغبة عداوته · ولا ريب ان بيتزل عرف مصير اميلي سيجراند التي ارشدها الى هولمس · وقد كان بيتزل شريكه في اختلاس ملك مس ميني ويليمس في تكساس . ويرجح ان بيتزل عرف مصير هذه الفتاة ثم ان بيتزل كان أيضاً معوان هولمس في مكيدة النصب الاخيرة على شركة ضمانة الحياة — فلا بدع اذاً ان يؤثر هولمس ارسال بيتزل الى الابدية بعد ان ارتاب في اخلاصه تخلصاً من شهادته ضده · وبعد قتله بيتزل وقبضه العشرة آلاف ريال صار همه ان يتخلص ممن يشاركه في الحق فيها او ممن يدعي الحق فيها كلها وممن يخشى وشايته · وهذا ما حداه الى قتل أولاد بيتزل وزوجته · ولكنه قبل ان يقضي على حياة الزوجة والولدين الاخيرين وقع في يد القضاء

ولو لم يبح هولمس بعزمه على هذه المكيدة لهدبث في سجن سنت لويس لرجح أنها بقيت مكتومة. ولولم تبعث شركة الضمانة بصاصاً يبحث عن آثار هولمس لبقيت بقية جرائمه مكتومة ايضاً وربما تم قضاؤه على سائر اسرة بيتزل من غير أن ينفضح امرها

وقد سلم هولمس اخيراً بغلطته الاخيرة في اطلاع هربث على مكيدته التي كان يدبرها . وربما كان نجا من شر وشاية هدبث هذا لو دفع له الخمس مئة ريال التي وعده بها

فترى مما تقدم أن اخلاف الوعد بامر زهيد فضح كل جرائم هذا الداهية الذي كاد يقضي على سبعة اشخاص في بيت واحد وقد نجح في اخفاء جرائمه الاربعة الاخيرة كما نجح في اخفاء غيرها . ولولا هذه الغلطة الاخيرة التي افضت الى فضح جرائمه لقضى حياة طويلة مملوءة من الجرائم لم يقضها احد سواه . ومع ذلك فقد عد هذا الرجل في اميركا اعظم المجرمين في القرن التاسع عشر

مكس هرتس باشا

وفضله في حفظ الآثار العربية

نعت أخبار زوريخ بسويسرا المرحوم مكس هرتس باشا Max Herz باشمهندس لجنة حفظ الآثار العربية وناظر دار آثارها السابق . وهو مجري الجنس اسرائيلي المعتقد ، توفي بمونيخ منذ بضعة أشهر ولم نعلم تاريخ وفاته بالضبط

جاء الى مصر في سنة ١٨٨١ مربياً لاولاد مدير فندق النيل بالموسكي وما لبث أن اتصل خبره بفرنس باشا Franz مواطنه وسلفه في وظيفته فعينه مع غيره رساماً في لجنة حفظ الآثار العربية وكانت اذ ذاك حديثة العهد . وفي مايو سنة ١٨٨٢ تعين مهندساً بها تابعاً لرئيس هندسة الاوقاف وظل يترقى حتى بلغ منصبه الاخير . وقد بقي في مصر حتى نشوب الحرب الاوربية فحضر جلسة اللجنة الفنية المنعقدة في ٢٥ يونيو سنة ١٩١٤ مع حضرات علي بك بهجت ومستر هزول ولاشاك بك . وقد جاء عنه في مقدمة المجموعة الحادية والثلاثين من محاضرها الخاصة بعام ١٩١٤ (المطبوعة سنة ١٩١٦) ما ترجمته عن الفرنسية : « منذ نحو عام انقلبت الاحوال في أوربا ومما ترتب على ذلك انفصال هرتس باشا الذي صرف من حياته ثلاثاً وثلاثين سنة باخلاص وكفاءة في سبيل خدمة اللجنة . وتقرر تقسيم اعماله بفصل اعمال دار الآثار عن اللجنة »

وقد كان عضواً عاملاً بمجلس المعارف المصري (المعهد العلمي) وفي جمعية الاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع . ولو كان له متسع من الوقت يسمح له بالاشتراك في جمعيات أخرى لما أحجم عن ذلك ولكنه كان ممن لا يكترثون للالقاب والظواهر بل كان يحب ان يملأ وظيفته لا كرسيه فقط

ان الاخبار قليلة لدينا عن حداثته ونشأته وعن المعاهد التي تعلم فيها واللغات التي اكتسبها والشهادات التي حصل عليها . على أنه مما لا شك فيه ان تعلمه كان راقياً وهو يعد من العلماء الكاتبين بعدة لغات أوربية فقد كان يعرف غير لغته الاصلية اللغات الافرنسية والانجليزية والتليانية (وكانت جميع مقالاته التي نشرت في مصر بالفرنسية

ومحاضراته ومناقشاته كذلك) . وقد كان يجيد العربية وكانت معلوماته فيها وافية بشهادات العلماء والاختصاصيين

تعزى النهضة للاحتفاظ بما بقي من الآثار العربية : من جهة الى ما كان مشاهداً من تهدم الآثار التاريخية واهمال عمارتها حتى خشي انطماسها ، ومن جهة أخرى الى تسرب النفائس المنقولة من تلك البقايا الى الخارج وحلولها بمتاحف أوربا او عند اغنياء الغرب بواسطة الغواة والتجار . لذلك طلب من الخديو اسماعيل باشا انشاء دار للآثار العربية فامر بتأسيسها سنة ١٨٦٩ بناء على اقتراح سلمان Salzmann المهندس النمساوي وناط بفرنس باشا (وكان يومئذ رئيساً لهندسة الاوقاف) أن يهيئ المحل اللائق لها ولكن لم ينفذ هذا الامر الا في عهد الخديو توفيق . وفي السنة نفسها تأسست دار الكتب بناء على طلب المرحوم علي باشا مبارك وعين سترن الالماني Stern مديراً لها وظل الالمان يتناوبون الوظيفة حتى اعلان الحرب كما تناوب المهندسون النمساويون ادارة لجنة حفظ الآثار العربية (فرنس وهرتس) . ومن غرائب المصادفات أن يجتمع المشروعان المؤسسان في وقت واحد في بناء واحد وأن يكونا تحت ادارة مديرين من أهل دولتي الوسط . فقد جعلت دار الآثار في الدور الارضي من عمارتها الحالية بباب الخلق امام محافظة مصر وافتتحت رسمياً في ٢٨ دسمبر سنة ١٩٠٣ وعقب ذلك نقل دار الكتب في اول العام التالي من سلاملك مصطفى باشا فاضل بدرب الجماميز الى الدور العلوي منها . ومن المعلوم أن دور الكتب والمتاحف الفرنسية مثلاً هما تحت ادارة وزارة الفنون الجميلة وقد اقترح مثل ذلك جناب مستر ستانلي لين بول S. Lane Poole المستشرق المعروف في تقرير له رفعه للورد كرومر

***

أن ترجمة هرتس باشا وفرنس باشا مرتبطة في الحقيقة بتاريخ تأسيس لجنة حفظ الآثار العربية (١) وهو موضوع واسع نترك الخوض فيه الآن ولكن لا بد من القول

---

(١) كتب سنيور اشيل باتريكولو خلف المترجم نبذة صغيرة في تاريخ اللجنة وعملها بعنوان La conservation des monuments arabes en Egypte par Achille Patricolo طبعت سنة ١٩١٤ سيتبعها بنبذتين اخريين في طرق العمل وبيان الاعمال التي تمت . وقد دبج يراع حضرة علي بك بهجت تقريراً رفعه الى حضرات اعضاء اللجنة فيه ملاحظات واقتراحات نافعة على أثر اقالة المترجم

ان هذه اللجنة تشكلت بامر عال تاريخه ١٨ دسمبر سنة ١٨٨١ وآخر في ٢١ يناير سنة١٨٨٢ واول محضر بانعقادها مؤرخ في يوم الاربعاء اول فبراير سنة ١٨٨٢ . وقد ابتدأت النشرات تصدر فيهذه السنة وتقرر لنفقاتها مال من ميزانية الاوقاف ومنحتها الحكومة فيسنة ١٨٩٧ من مال الاحتياطي بصندوق الدين عشرين الف جنيه . والميزانية السنوية الآن مستمدة بعضها من الاوقاف والبعض من المالية وجزء من الدار البطريركية القبطية على ذمة الكنائس من حين ادخال آثارها ضمن اعمال لجنة حفظ الآثار العربية

وكانت مجموعة التحف والآثار العربية موضوعة بمحل بني في حوش جامع الحاكم بامر الله في سنة ١٨٨٣ ولكنه لم يكن كافياً لها اذ بقي جانب عظيم منها متراكماً بعضه فوق بعض . ومع الزمن زادت المجموعات من توالي المشتروات والهدايا الكثيرة مما هو وارد في السجلات . واليك ما جاء في تمهيد الفهرس من قلم المترجم : « وكانت استقالة فرنس باشا من خدمة ديوان عموم الاوقاف في سنة ١٨٨٧ وبقيت دار الآثار من غير ناظر وحرمت ممن يباشر ملاحظتها مع الانقطاع لها وجرّ ذلك الى تراخ كبير في صيانة محفوظاتها . وعلى أثر الشكايات الكثيرة قررت اللجنة في ٢٠ ابريل سنة ١٨٩٢ تقليدي مأمورية الاشراف على شؤون دار الآثار فكانت باكورة اعمالي مراجعة جرد الموجودات وتمرها بنمر مضبوطة (١)

« وليست دار الآثار العربية بحالتها الحاضرة جامعة كافة فروع الصناعة العربية بل لا يزال ينقصها الكثير كالاسلحة وما تعلق بها مثلاً وهذه لا وجود لها أصلاً (٢) والمنسوجات ولا يوجد منها الا شيء قليل . والجلود وهذه لا أثر لها الا جلود الكتب (٣) . . . الخ »

---

(١) هذه العبارة وردت في الفهرس في الطبعة الثانية سنة ١٩٠٦ وقد مضى على ذلك الآن ١٤ عاماً زادت المجموعة في غضونها زيادة كبرى من المشتروات الحديثة والهدايا مما استدعى طلب تخصيص القسم البحري من البناء المشغول اليوم بمكتبة الاستاذ احمد زكي باشا

(٢) المشتروات الحديثة سدت نقصاً كبيراً وكذلك هدية سمو الامير يوسف كمال سنة ١٩١١ وهي تقدر بالاف الجنيهات ويندر وجود مثلها في أي مجموعة أخرى

(٣) معروض بدار الكتب السلطانية نماذج جميلة من جلود المصاحف القرآنية مما تفتخر به الصناعة الشرقية في القرون الوسطى وهي كبيرة الحجم وكذلك توجد جلود أخرى خصوصاً في مجموعة الامير مصطفى باشا فاضل تستحق الاعجاب . وبحسن جداً ضم مجموعة دار الآثار مع مجموعة دار الكتب في احد الدارين فتوحيدهما اولى من التفرقة

وإني أحاول ترجمة حياة هرتس باشا معتمداً على مؤلفاته ومقالاته ونبذه التي ظهرت (وهي محفوظة في دار الكتب السلطانية) على ما هو معروف عند الافرنج باسم Biographie bibliographique وبذلك يكون الدليل على علمه قوياً واضحاً

على أن له مؤلفات لم تظهر بعد في عالم المطبوعات . من ذلك كتاب ما زال حتى آخر وجوده بمصر مشتغلاً في وضعه وتنقيحه باللغة الجرية . وموضوعه الفن العربي وأعمال لجنة حفظ الآثار مزيناً بالرسوم الجميلة واللوحات الكثيرة الفوتوغرافية التي اشتغل بها أحد موظفي اللجنة معه . وهو الذي أخبرني بأمر هذا المؤلف الثمين فيما لو ظهر - والامل وطيد أن يتولى أحدهم اخراجه يوماً للناس . وله في ميدان العمل آثار صناعية فنية وآراء علمية . فقد حدثني بعض المشتغلين معه بدار التحف أن اكثر من ١٥٠ عمارة بالقاهرة كان هو واضع تصميماتها على أنماط مختلفة سواء كانت على الطراز العربي وهي الاكثر أو على الطراز الغربي والقوطي ، فانه لم تبن عمارة عربية الا كان له رأي فيها بل الرأي المعتمد على الغالب . وهو مهندس عمارة البنك العقاري المصري الحالية وعمارة الكونت زغيب بميدان الاوبرا . وهما عمارتان مشهود له فيهما بحسن التنسيق كما أنه بنى منزله الذي كان مقيماً فيه بجوار جامع بركات بقصر الدوبارة على الطراز العربي وغير ذلك من العمارات المعروفة . وله دروس وانتقادات على جميع ما وضع عن الآثار من الوجهة الصناعية الفنية اذ كان حجة في مهمته شغوفاً غيوراً على سمعة وظيفته التي تقلدها بحق

ومما يجب ذكره جهده للمحافظة على بقايا الآثار القبطية (١) واشتغاله بجمع مواد تاريخها وادماجها ضمن أعمال لجنة حفظ الآثار العربية . وكان قد انتخب في اللجنة بهذه المناسبة المرحوم نخله بك البارأتي ثم حنا بك باخوم والعضو الحالي هو مرقس باشا سميكة فتم اصلاح كنائس مصر القديمة وديارتها وأهمها كنائس ابي سفين وانبا شنوده وأبي سرجه ودير البنات بمار جرجس والست برباره وأصلحت كنائس حارة الروم وحارة زويلة بالقاهرة وقاعة العرسان بدرب التبي بقصر الشمع وأهم

(١) في سنة ١٨٩٦ منح صندوق الدين العمومي للجنة اعانة قدرها عشرون الف جنيه مصري تخصص منها الفان للكنائس القبطية وأضيف اليها الف جنيه من الدار البطريركية في سنة ١٩٠٥ للديرين الابيض والاحمر بسوهاج وهي تدفع ايضاً مئتي جنيه سنويا للاشتراك في الاصلاح

بأخذ الصور من كنيسة المعلقة وديارات وادي النطرون ودير سمعان باصوان وكنيسة دندره والديرين الابيض والاحمر بسوهاج وتفصيل ذلك مع غيره في النشرات . كما قيل انه كان مشتغلا أيضاً بوضع كتاب واف في الكنائس القبطية مذ اختير عضواً في جمعية تاريخ الآثار القبطية بالقطر المصري التي اسسها مسيو كليدا Clédat (العضو في المعهد العلمي الفرنسي) سنة ١٩٠٣ ويشترك في الاشتغال بذلك غيره من العلماء الاجانب بمصر والخارج كدكتور بطلر Butler (صاحب كتاب الكنائس القبطية) ومستر سومرس كلارك Somers Clarke الانكليزيين ومن الالمان دكتور موريتس مدير دار الكتب الاسبق . واشترك المترجم ايضاً في لجنة ادارة المتحف القبطي المؤلفة من مرقس باشا سميكه ومسيو ماسبرو (وبعد وفاته عقبه مستر كويبل أمين مصلحة الآثار المصرية) ومستر ستورس (حاكم بيت المقدس الحالي) الذي خلفه مستر سومرس كلارك . وحل محل هرتس باشا مسيو باتريكولو A. Patricolo باشمهندس اللجنة الحالي وامين المتحف والمكتبة[1] القمص يوحنا شنوده خادم كنيسة المعلقة فوق سور القلعة الرومانية المشهورة ببابلون .

أما وقد أقيل المترجم فان ذلك لم يمنع ان ينصفه اخوانه من الاعضاء فقد قام مستر فارنل (العضو الانكليزي بصندوق الدين) ومما قاله في أول جلسة عقدت بعد احالته على المعاش :

« . . اني أصرح بمنقبة من مناقب هرتس باشا وربما كانت أجلها واكبرها شأناً وهي فهمه العناية المطلوبة من لجنة حفظ الآثار العربية . . كان جهاده منصرفاً قبل كل شيء الى الحفظ وهذه المهمة أكثر صعوبة مما يظن بالنظر الى ما عند كل مهندس بارع من غلبة الميل الى الابتكار . فان هرتس باشا لم تكن دونه أسرار محجوبة في علم المعمار بما له من الموهبة النادرة على حبس النفس في العمل الفني . . »

وقال مرقس باشا سميكة : « ... وأزيد انه كان ينشر كما نعلم جميعاً من النبذ التاريخية ما قوبل بالاستحسان العلمي العام ... وقد أعد أيضاً بطلب من اللجنة

---

(١) وضع المتحف القبطي في كنيسة المعلقة بقصر الشمع بمصر العتيقة . ويشتغل الدكتور جورجي بك صبحي الآن بعمل فهرس واف مصور لمقتنياته . وقد شرع مرقس باشا سميكة في تأسيس مكتبة وبناء محل لهذا الغرض مع غرف للمطالعة واقتناء الكتب المفيدة وخصوصاً المخطوطات الاثرية النافعة سواء من الاديار أو من مكتبة الدار البطريركية

مذكرات عن جامعي الحاكم والسلطان قلاوون والآثار القبطية ومقابر أسوان الغربية وبما ان هذه المؤلفات المنتظرة بغاية الشوق على وشك التمام وسبق للجنة ان أقرت على طبعها فمن المستحسن تكليف هرتس باشا باتمامها . لانه على ما أرى الشخص الوحيد الذي يمكنه ان يتمها على ما يرام . . وكنت أود ان أطلب من اللجنة تعيينه بصفة عضو مكاتب الا اني رأيت ارجاء هذا الطلب الى وقت آخر لانه قد يكون الآن سابقاً لأوانه »

وقال علي بك بهجت في تقرير رفعه سنة ١٩١٥ : « . . . أما الاعمال الفنية التي تشكلت اللجنة من أجلها أعني بذلك المحافظة على الآثار فقد أجراها هرتس باشا على الطريقة الاصولية بمعنى انه ما كان ليحدث في الاثر الذي يتولى اصلاحه عملاً ليس له أصل فيه وكان كثير الغيرة على هذه الطريقة ويحكم بتفوقه على أستاذه فرنس كل من شاهد جوامع برقوق والمؤيد ومدرسة المهمندار التي تم العمل فيها على أيام الاستاذ وجوامع المرداني وأبو بكر مظهر وقجماس الاسحاقي ومدفن قايتباي وتربة قلاوون وغيرها التي فرغ منها في عهد هرتس باشا »

ومن أعمال هرتس باشا كشفه صفحات جدران بعض الآثار حيث أماط النقاب عن زخارف عظيمة القيمة الأثرية ونقوش كثيرة الاهمية التاريخية مثل منارات جامع الحاكم وجدران جامع قلاوون وتربته وغيرها . ومن مميزاته ايضاً كشف وجهات بعض الآثار كشفاً يمنع عنها تعدي الجار ويقيها من الرطوبة والاضرار ويظهر ما عسى ان تكنه من النقوش والاشكال . ومن مميزاته الجد في حفظ بعض المباني الاهلية واصلاحها بطريقة تشف عن ذوق سليم . ومن مميزاته نشر الكتب والرسائل المفيدة في موضوع الآثار التي تم اصلاحها على أيامه وهي كتب ما كان يتأتى له نشرها لولا معرفته اللغة العربية

والى القراء عنوان المؤلفات والفهارس والمحاضرات والنبذ التي أظهرها قلمه

١ — البيوت في رشيد . نبذة كتبها باللغة الالمانية لنشرها في مجلة المانيـة أثرية سنة ١٨٩٢ بعنوان Die Hauser in Rosette

٢ — تنسيق الالوان في التزويق وفن المعمار العربي بمصر . طبعت في نشرة مجلس المعارف المصري La polychromie dans la peinture et l'architecture arabes en Egypte سنة ١٨٩٣ و١٨٩٤ وظهرت على حدة في ١٢ صحيفة ولوحتين

٣ ـ حماية فن المعمار العربي La protection de l'architecture arabe . نبذة في ٦ صفحات بنشرة مجلس المعارف سنة ١٨٩٦

٤ ـ ملاحظات انتقادية على أحواض الوضوء (الميضئة) في صحون الجوامع . طبعت في النشرة المذكورة سنة ١٨٩٦ ويرمي بها الى ضرورة إقفالها لعدم ملاءمتها من الوجهة الصحية

٥ ـ انتقاد على كتاب المسيو الرجاييه الفرنسي في الفن العربي Gayet l'art arabe اصدره في مجلة المانية في برلين سنة ١٨٩٦ في ٧ صفحات كبيرة

٦ ـ فهرس مقتنيات دار الآثار العربية . وهو دليل وضعه المترجم موجزاً باللغة الفرنسية وطبعه بالمطبعة الاميرية سنة ١٨٩٥ وفيه عشرون لوحة بالمعروضات وهي التي كانت مرتبة في حوش جامع الحاكم وقيل انه نقلها لمحلها الحالي . وقد عني مستر ستانلي لين بول المستشرق بترجمته الى الانكليزية وطبعه في السنة التالية ولكنه لم يترجم

ولما نقلت المعروضات الى دار الآثار الجديدة نقح الفهرس على حسب الترتيب الجديد وأعيد طبعه بالفرنسية في مطبعة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية سنة ١٩٠٦ باعتناء تام ومعه لمعة في تاريخ فن المواد وسائر الفنون الصناعية بمصر وترجم الى الانكليزية بقلم مستر فوستر سميث Foster Smith كما عني بتعريبه حضرة علي بك بهجت وكيل دار الآثار وطبع اذ ذاك بالمطبعة الاميرية (١٣٢) (١)

٧ ـ وقد دبج يراعه مقالة باللغة الالمانية نشرها في احدى المجلات ببرلين موضوعها الاخبار بالآثار العربية في مصر وقصده تعريف الاوربيين خصوصاً الالمان بهذه اللجنة وأعمالها Die arab. Denlemale Aegyptens & das Komittee

٨ ـ وفي سنة ١٩١٤ ظهر في عالم المطبوعات فهرس عام لنشرات اللجنة السنوية التي ادمجت مقالاتها فيها من سنة ١٨٨٢ ـ ١٩١٠ جمعها ورتبها المترجم بالفرنسية لسهولة البحث والاستدلال بحسب المواضيع سواء للآثار العربية التي أصلحت في أماكنها من المساجد أو للآثار القبطية التي قررت اللجنة الفنية اصلاحها وادراجها ضمن الاعمال

٩ ـ أطلس جامع السلطان حسن بالقاهرة (١٨٩٩) وفيه عشرون لوحة غير

(١) سيظهر قريبا فهرس جديد بالمقتنيات الحديثة بترتيب حديث بعناية حضرة علي بك بهجت ناظر دار الآثار الحالي

الرسوم والنقوش كتبه المترجم باللغة الفرنسية وعربه حضرة علي بك بهجت سنة ١٩٠٢ وقد نشر هذا السفر على نفقة لجنة حفظ الآثار العربية لاظهار أهمية هذا المسجد بوصف كونه أهم آثار الفن العربي في مصر من حيث الضخامة والعظم. والغرض من تأليفه لفت النظر اليه لنفاذ الخطة المرسومة لتعميره. وقد انفق عليه اكثر من ٤٠ الف جنيه بمعرفه المهندس التلياني سلفاني Solvani

١٠ ـ جامع الرفاعي وهو المقابل لجامع السلطان حسن وقد بني لتخصيصه مدفناً للعائلة الخديوية وصرف عليه نحو ١٦٠ الف جنيه وظهر هذا السفر سنة ١٩١١ ولا يوجد منه غير نسخ قليلة وكان قد طبع ووزع عند افتتاحه رسمياً وبه ٢٠ لوحه كبيرة غير الرسوم

١١ ـ جامع الامير جانم البهلوان سنة ١٩٠٨ بمناسبة أتمام أصلاحه على مثال الجامعين السابق ذكرهما وقد عرب هذا السفر بقلم علي بك بهجت وهو تحت الطبع أيضاً

١٢ ـ صناعة النجارة المنقوشة والمصورة بصور أشخاص وحيوانات في عهد الفاطميين Boiseries fatimites aux sculptures figurales 1912 طبعت في مجلة المانية صناعية بليبسك ١٩١٢ باللغة الفرنسية مع لوحات ثلاثة وأغلب النقوش من الموجود في جامع قلاوون

***

وابتداء من سنة ١٨٩٧ قررت اللجنة بناء على طلب المترجم على ما يرجح ان تطبع في آخر كل تقرير سنوي نبذاً ومذكرات تاريخية كتابية وفنية مصحوبة بمناظر فوتوغرافية ورسوم. وهي ذات قيمة عظيمة لدى كل من له اهتمام بالفن العربي. وقد توالى نشر هذه الملاحق بانتظام وكلها من قلمه من سنة ١٨٩٧ الى سنة ١٩١٣ مما يطول بنا ايراده هنا فنجتزئ عن ذلك بالاشارة اليه

وآخر عبارة له بقلمه رده على محاضرة احمد زكي باشا في جمعية الاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع التي طبعت بالفرنسية في مجلة « مصر العصرية » L'Egypte contemporaine بشأن الفن العربي وماضيه ومستقبله بعنوان Le passé et l'avenir de l'art musulman

توفيق اسكاروس

اعظم المسائل الاجتماعية

توزيع الثروة بين البشر وفقاً لمبادىء الاشتراكية والبلشفيكية

— ٤ —

بقي علينا في هذه المقالة الاخيرة ان نوضح المذهب الاشتراكي القائل بتوزيع الثروة حسب عمل الانسان . وهو رابع مذهب لتوزيع الثروة بين البشر . ثم نردف ذلك بكلمة عن البلشفيكية فنقول :

٤ — توزيع الثروة حسب العمل

يرمي هذا المذهب الاشتراكي الى جعل وسائل انتاج الثروة ملكاً للجميع . ويدخل في ذلك الارض والمناجم والمصانع والمصارف والسكك الحديدية والمواد الاولية الخ . .

ويمتاز هذا المذهب (المعروف باسم Collectivisme) عن سائر المذاهب الاشتراكية بكونه يدعي الاعتماد على اساس علمي لا جدال في صحته . ولذا فان اصحابه يسمونه « الاشتراكية العلمية » ويعتقدون ان مبادئه انما تقرر ما هو حاصل في الاجتماع بحكم الطبيعة وفقاً لسنة التطور الاجتماعي . واليك البيان :

كانت الملكية فردية في سالف الازمان لان الانتاج كان فردياً . فان العامل كان يعمل وحده وقلما كان يشترك مع غيره أو يستعين بسواه فكان من الطبيعي ان يمتلك نتاج عمله . أما اليوم فان العامل لا يعمل منفرداً بل ان أعمال البشر من صناعية وتجارية وغيرها انما تقوم على الغالب باشتراك العشرات والمئات والالوف في المصانع والمعامل والمخازن الخ . . . وبعبارة اخرى ان الانتاج الفردي قد زال بالتدريج وحل محله الانتاج المشترك . على انه مع كون العمل أصبح مشتركاً على هذه الصورة فان توزيع نتاجه لا يزال قائماً على اساس الملكية الفردية بحيث اصبح بين نظام الانتاج ونظام التوزيع بون واسع بل تضاد ظاهر لا بد أن يؤول الى اختلال التوازن الاقتصادي واضمحلال سلطة اصحاب المال الذين يحتازون معظم نتاج العمل المشترك

وفي نظر أصحاب هذا الرأي انه سوف تضمحل جميع الاعمال الفردية بحكم التطور البشري المحتم وتجمع الثروة والاعمال كلها في أيدي افراد قليلين ولكنها لن تلبث أن تنتزعها منهم الحكومة التي تمثل الامة والشعب فتديرها وفقاً للمصلحة العامة

وعلى ذلك يمكننا تلخيص هذا المبدأ الاشتراكي بقولنا « ان نظام الانتاج المشترك في هذا العصر يجب ان يقابله نظام امتلاك اشتراكي ليكون التوافق تاماً بين النظامين »

واذا سألنا هؤلاء الاشتراكيين كيف يكون انتقال الثروة ووسائل العمل من أيدي اصحابها الحاضرين الى أيدي الحكومة او الجماعة ، اختلفت آراؤهم في الرد على هذا السؤال : فمنهم من يقول ان هذا الانقلاب يجب ان يتم بفعل القانون ما زالت أغلبية الشعب هي التي تسن القوانين – كما تسن القوانين القاضية بنزع الملكية لاجل المنفعة العامة [1]. ومنهم من يقول ان ذلك لا يكون الا بثورة اجتماعية تقوم فيها طبقات العمال على أصحاب المال ، فاذا استولت الجماعة على وسائل العمل ادارتها على حسابها ووزعت كل ربحها على العمال (بعد اختزال جانب منه للقيام بنفقات الحكومة والادارة)

ويختلف هذا المذهب (Collectivisme) عن المذهب السابق ذكره (Communisme) بان هذا الاخير يرمي الى جعل كل شيء مشتركاً بين الجميع – ليس فقط وسائل العمل بل نتاج العمل ايضاً – في حين ان الاول يكتفي بجعل وسائل العمل مشتركة اما الربح الناتج منه فيبقى ملكاً خاصاً لكل عامل . بل ان المذهب الذي نحن بصدده لا يقول بجعل جميع وسائل العمل والانتاج مشتركة على السواء وانما يقصر طلبه هذا على الاعمال القائمة في الوقت الحاضر بالاشتراك والتعاون كالمصانع والمعامل الكبيرة . اما الاعمال الفردية فتبقى ملكاً فردياً ما زالت تقوم بعمل الافراد

وهنا لا بد من الاجابة على سؤال وهو : حين يقول أهل هذا الرأي بتوزيع الثروة باعتبار عمل كل فرد فبأي قياس يقيسون ذلك العمل ؟ هل يعتبرون نتيجة

---

(١) وهنا اختلاف ايضاً في هل تعوض الحكومة أو الجماعة على أصحاب المصانع والمعامل حين تستولي عليها . فالمعتدلون يجيبون بالايجاب اما المتطرفون فيرفضون منح أي عوض

العمل او الجهد الذي انفق في سبيله ؟ ان الرأي الغالب بين الاشتراكيين اليوم هو الرأي الثاني أي ان كل عامل يمنح اجراً بنسبة عدد الساعات التي عمل فيها

وجملة القول ان مرمى هذه الاشتراكية جعل وسائل الانتاج مشتركة . ووسيلتها لذلك تنازع الطبقات الاجتماعية أي طبقات العمال واصحاب المال

***

وعلى هذه النظرية اعتراضات كثيرة نذكرها فيما يلي :

ان زوال الانتاج الفردي وقيام الانتاج المشترك مكانه ـ وهو السنة التاريخية التي يقوم عليها هذا المذهب ـ ليس من الامور المثبتة التي لا تقبل الاعتراض . فقد غالى الاشتراكيون في تعميمهم هذا وفي الواقع نرى ان الانتاج الفردي ليس آخذاً في الاضمحلال لا في الزراعة ولا في التجارة حتى ولا في الصناعة بل ان كلا الانتاج المشترك والانتاج الفردي آخذان في النمو والتقدم معاً

ثم ان القول بان البون اصبح شاسعاً بين نظام الانتاج (المشترك) ونظام التوزيع (الفردي) ليس مطابقاً للحقيقة . فان الشركات المساهمة قد عمت جميع البلدان وهي صاحبة معظم المشاريع الكبيرة ولا يخفى ان مساهميها العديدين هم الذين يتقاسمون الارباح

زد على ذلك ان تقسيم الناس الى طبقتي العمال واصحاب المال لا يطابق الواقع تمام المطابقة . فان هناك طبقة متوسطة — من تجار وخدم وصناع وعمال الخ . . . — يجمع افرادها بين أوصاف الجهتين . فانهم من جهة عمال يتقاضون اجراً معيناً ومن جهة اخرى ترى لديهم سندات واوراق مالية تحصلوا عليها بتوفيرهم واقتصادهم . وهم متمسكون بها كل التمسك لا يتنازلون عنها ابداً . وعدد هذه الطبقة آخذ في الازدياد كل يوم

ولو اراد أصحاب هذا المذهب تطبيقه عملياً لاعترضتهم عقبات جمة :

١ — فهم يدعون ان نظامهم لا يحول دون الامتلاك الفردي لنتاج العمل أي ان العامل حر في التصرف بما ناله جزاء عمله . والحقيقة ان هذه الحرية وهمية فان الاشتراكيين يحتمون ان يكون هذا التصرف ضمن دائرة الاستهلاك الشخصي أي انه يجوز للعامل ان يستهلك ما اكتسبه أو ان يحفظه لنفسه اذا شاء ولكنه لا يستطيع ان يهبه أو ان يبيعه أو ان يقرضه . وبعبارة اخرى انه مفروض عليه ان يستخدمه

في طريق غير منتج . وما ذلك الا لانه لو ابيح التصرف الحقيقي بالمقتنيات لعاد النظام الاقتصادي الى ما كان وعاد معه الامتلاك الفردي

٢ ـ ان استيلاء العمال على المصانع وتسليم إدارتها لبعض افرادهم ـ كما يريد الاشتراكيون ـ محفوف بالاخطار العظيمة لقصر نظر العمال في الغالب وجهلهم القوانين الاقتصادية

٣ ـ ان الغاء العمل الفردي ـ وهو من مطالب الاشتراكيين ـ يقضي على حرية العامل في اختيار المهنة التي يريدها ويجعله تحت تصرف الحكومة المطلق. فهي التي تعين له العمل الذي ينبغي له عمله وهي التي تفرضه اجره وتتولى جميع اموره

٤ ـ يريد الاشتراكيون ان ينال كل عامل اجراً على نسبة ساعات عمله ولكن أليس الرأي الصحيح أن ينال العامل اجراً بنسبة نتيجة عمله لا بنسبة الجهد الذي بذله . والا فاي فرق بين العامل المجد الذكي والعمال الآخرين ؟

هذه اعتراضات على مذهب الاشتراكية كما هو منتشر اليوم في اوربا ولكنها لا تطعن في الغرض السامي الذي ترمي اليه الاشتراكية وهو تحسين حال البشر حتى ينال كل فرد نصيبه من ضروريات الحياة ويتمتع باللذات المادية والمعنوية

البلشفيكية

بقي ان نقول كلمة عن البلشفيكية فانها لا تخرج عن كونها اشتراكية متطرفة . ولعل ما نسمع به عن فظائعها يرجع معظمه الى كونها قد تفشت في الشعب الروسي وهو أقل الشعوب الاوربية علماً ورقيًا وتدرباً على الحكم الذاتي . وعندنا ان هذا التطرف في الاشتراكية ليس الا بمنزلة رد فعل للتطرف السابق في الاوتوقراطية

ان ما نعلمه عن حقيقة البلشفيكية ومبادئها واعمالها ونظاماتها قليل جداً . ولذلك يتعذر علينا تصويرها للقارئ كما اننا لا نستطيع الحكم عليها حكماً قاطعاً

وكلمة بلشفيك هي كلمة روسية معناها اكثرية ، ويقابلها كلمة منشفيك ومعناها أقلية . وهما اسما الحزبين الاشتراكيين في روسيا . فالحزب الاول هو حزب المتطرفين منهم والحزب الآخر هو حزب المعتدلين

ويقول العارفون للحالة الروسية ان للينين اليد الكبرى في بقاء « البلشفيكية »

الى هذا اليوم . فإن لهذا الرجل على ما يظهر قدرة ودهاء عظيمين مكناه من الوقوف بازاء دول اوربا فضلاً عن محاربته مواطنيه القائمين عليه

والبلشفيكية ترمي في المقام الاول الى سيادة نشئة العمال واستلامها زمام الحكم وإبادة طبقات المتمولين والتجار واصحاب الاملاك والمعامل والمصارف وجعل كل المصالح والمرافق والمصانع والمزارع تحت إشراف الحكومة وتدبيرها حتى لا يحتكرها افراد أو فئات

وقد رأينا ان خير ما نختم به هذه المقالة كلمة لاحد كبار الاشتراكيين الفرنسيين في البلشفيكية قال :

« ترمي البلشفيكية الروسية الى تطبيق نظام يتطلب ارقى درجات التربية والتعليم والتدريب على شعب تحرر بالامس من الاستعباد ولم يتحرر بعد من الجهل أو هي ترمي الى القيام بتجربة قد تنجح بين ارقى الشعوب الغربية الراقيـة في أواخر القرن العشرين . . .

« ان المعلم الذي يعلم تلميذه حساب المثلثات قبل ان يعلمه ما هو الخط المستقيم ، أو ذاك الذي يعلم الفلسفة المعقدة قبل حروف الأبجدية ليس بأكثر جنوناً من اولئك الموسوسين الخياليين الذين لم يعرفوا العالم الا من خلال الكتب ، أولئك الذين جعلتهم الاقدار على رأس أمة عددها ١٥٠ مليوناً فظنوا أنهم يستطيعون في يوم قلب نظامها وابداله بنظام يحتاج في الحقيقة الى استعداد طويل أثناء قرون عديدة . . . . لقد ارتكب البلشفيكيون خطأين : خطأ بالنسبة الى الزمان فان البشرية لم تبلغ بعد الدرجة التي تؤهلها لذلك النظام ، وخطأ بالنسبة الى المكان فان البلاد الروسية هي أقل البلاد الاوربية استعداداً له »

حكم

ليس العاقل الذي يعرف الخير والشر انما العاقل الذي يعرف أقل الشرين

ليس الناس بشيء من أقسامهم أقنع منهم باوطانهم

ليس بعاقل ولا لبيب من لم يصف ما به الى الطبيب

ليس الاسير من أوثقه عداه انما الأسير من أوثقه هواه قسراً أو أرهقه خسراً

خليل سركيس

١٨٤٢ — ١٩١٥

[الهلال] كانت خسارة الصحافة العربية عظيمة بوفاة المرحوم خليل سركيس مؤسس لسان الحال وقد توفي رحمه الله أثناء الحرب ولم يتيسر لنا اذ ذاك ترجمته لانقطاع المواصلات بين مصر وسوريا وافتقارنا الى المصادر الوثيقة التي يصح ان نعتمد عليها. ويسرنا الآن ان نقوم بهذا الواجب معتمدين على العدد التذكاري الخاص الصادر أخيراً من جريدة لسان الحال الغراء التي يديرها الآن نجل الفقيد رامز افندي سركيس . قالت :



خليل سركيس

هو خليل بن خطار سركيس . ولد في عبيه ـ احدى قرى لبنان الجنوبي ـ في ٢٢ من كانون الثاني (يناير) عام ١٨٤٢ وقدم مدينة بيروت عام ١٨٥٠ وهو صبي في كنف عائلته ، والنهضة الادبية في سوريا يومئذ لا تزال في المهد ، ووسائل التعليم قليلة جداً بحيث لم يكن في هذه المدينة سوى المدرسة الاميركية التي كان برأسها القس طمسن . فانتظم في سلك طلبتها وأتم كل ما تضمنته لائحتها من الدروس الادبية والعلمية . ورأى بعد ذلك في نفسه رغبة في الصناعة فراح يختلف الى المطبعة

الاميركية حباً بالوقوف على أسرار الطباعة ، والطباعة يومئذ في دورها الاول ، ارضاء لما آنس في نفسه من النزوع الطبيعي الى الصناعة ودرس دقائق الطباعة وأسرارها درساً كافياً وافياً . وفي عام ١٨٦٨ أنشأ « مطبعة المعارف » مشاركاً نسيبه سليم بطرس البستاني

ثم نزعت نفسه الى الاستقلال بالعمل عام ١٨٧٥ فاستقل بانشاء « المطبعة الادبية » « فجريدة لسان الحال » وتولى رئاسة تحريرها ، وكان يكتب مقالاتها الاخلاقية والاجتماعية والادبيـة والانتقادية وينقح المقالات السياسية التي كانت تدرج في الجريدة . ثم لاسباب سياسية رأت الحكومة وقتئذ ان توقف اللسان فاعتاض عنـه بمجلة « المشكاة » التي قامت مقام الجريدة مدة . ثم أعيـد اللسان الى الصدور وأقفلت المجلة

وكان يشعر بادىء ذي بدء بافتقار الطباعة العربيـة الى حروف جديدة ترقيها وتزيد في اتقانها وتكون جديرة بنشر ثمرات قرائح المنشئين ، فوجه عنايته الى سبك الحروف حتى توفق بمعاونة الشيخ ابراهيم اليازجي الى صنع الحرفين الاول والثاني الاسلامبوليين . ولم تقف همته العالية عند هذا الحد بل ظل يواصل السعي والاجتهاد في سبيل اعلاء شأن الطباعة فاستصنع الحروف الكثيرة الاجناس والاشكال المشهورة باسمه في القارات الخمس

وفي عام ١٨٩٣ زار الاستانة فكان موضوع اكرام واعتبار الحكومة لذلك العهد بدليل انها أهدت اليه ثلاثة أوسمة من « العثماني » « والمجيدي » وفي ذلك العام أعلنت الدولة العثمانية اشتراكها في « معرض شيكاغو » فخطر لفريق من أبناء سوريا انشاء « مرمح » في ذلك المعرض وتألفت من أجل ذلك شركة رأس مالها عشرون الف ليرة غير انه شق على أعضائها جمع الاموال المطلوبة فسألوه تولي رئاسة ادارة الشركة ففعل وتغطت القيمة ضعفين في زمن لم يتجاوز أربعاً وعشرين ساعة . وله في وصف رحلته الى اميركا كتاب يتضمن الفوائد الادبيـة والاخلاقية والتجارية مما هو جدير بمطالعة كل مسافر

وفي العام الثاني التهمت النار جانباً من مطبعته وذهبت بكثير من أدواتها وآلاتها فبلغت خسارته فيهـا خمسة آلاف ليرة ولم تكن المطبعة مضمونة فكأنما كانت هـذه الخسارة دافعاً جدد فيه الهمة فاعاد للمطبعة خلال زمن قصير رونقها السابق

ولما زار امبراطور المانيا غليوم الثاني سوريا وفلسطين عام ١٨٩٨ كان الخليل الصحافي الشرقي الوحيد الذي رافق موكبه بصفة رسمية وله في وصف هذه الرحلة كتاب جمع فيه ما بعث به الى جريدته من المقالات الحافلة بكثير من الفوائد

وكان جمهور اعيان البلاد وأدبائها يقدرون الخدمات الوطنية النافعة التي قام بها حق قدرها ويقيمون للفوائد التي أثمرتها تلك الخدمات وزناً فاجمعوا على القيام بحفلة يظهرون فيها لصاحب لسان الحال عواطفهم العالية وفاء لجميله فكان مرور ربع قرن على « اللسان » واسطة العقد وكانت حفلة اليوبيل التي اشترك فيها الوجوه والعلماء والادباء في ٢٢ نيسان ١٩٠٤ دليلاً على المنزلة التي احرزها الخليل في القلوب

وفي عام ١٩١١ أصيب بتصلب شرايين القلب فاعتزل العمل اضطراراً عاهداً الى نجله رامز افندي في ادارة المطبعة والجريدة ومع هذا فقد كان يواصل صحيفته بمقالاته الجليلة الكثيرة الفائدة مما يدلنا على ان رجل العمل لا يقعده شيء عن العمل

وفي بداءة عام ١٩١٥ اشتدت عليه العلة الى أن أدركته الوفاة الساعة الثالثة والخمسة والاربعين دقيقة بعد ظهر الاربعاء في التاسع عشر من شهر ايار (مايو) ١٩١٥

* * *

وقد كان صاحب الترجمة معتدل القامة ، قوي البنية ، أسود العينين ، ابيض اللون ، طلق المحيا ، رحب الصدر ، كبير النفس ، دمث الاخلاق . اذا حدثته حدثك بما يأخذ بمجامع القلوب ويدل على لطف في طبعه ورقة في شمائله وكان يمزج أحاديثه بنكات أدبية وأخلاقية مستظرفات فضلاً عما له في سرعة الخاطر من النوادر المستغربات . واذا رأيته في دائرة أعماله رأيت الحزم والاقدام مجسمين في كل حركة من حركاته وتمثلته قائداً كبيراً يراقب حركات جنوده بنشاط نادر في أصحاب الاعمال في هذه البلاد

اما آثاره الادبية فرأسها ٣٨ مجلداً من لسان الحال وله غير اللسان مؤلفات شتى نذكر منها : العادات . سلاسل القراءة . تاريخ القدس الشريف . معجم اللسان . رحلة امبراطور المانيا . رحلة مدير اللسان . استاذ الطباخين . مفكرة اللسان . الروزنامة السورية . سعيد وسعدى . نزهة الخواطر

السؤال والاقتراح

(١) لا ننشر في هذا الباب الا الاسئلة التي نرى في الرد عليها فائدة لجمهور القراء فقد نغفل الرد على بعض الاسئلة اما لكونها خصوصية لا تفيد الا أصحابها أو لكوننا قد اجبنا عليها في بعض الاجزاء الماضية (٢) نظراً لكثرة الاسئلة التي ترد الينا قد نضطر الى تأجيل الرد على بعضها فنلتمس من السائلين عذراً في هذه الحال (٣) ينبغي أن تذكر مع الاسئلة أسماء مرسليها . على انه يجوز الرمز عن اسم السائل باحرف أو بكلمة عند النشر

هنود اميركا

﴿ كنجسبرت . تنيسي . اميركا ﴾ علي محمد المصري

و ﴿ دورس دي سانتا جوليانا . ميناس . برازيل ﴾ خليل ابراهيم ساسين

من أين أتى هنود أميركا الاصليون . وهل هم من نسل آدم وحواء ؟

﴿ الهلال ﴾ يتعذر التمسك حرفياً بما ورد في الكتب المقدسة في تعليل أصل السلالات البشرية . واذا سلمنا بان آدم وجد حقيقة فلا ريب أن نسله محصور في الشعوب القوقاسية . وقد قام جدال عنيف بين علماء الاجناس على أصل الهنود الاميركيين فبعضهم يرى أنهم نشأوا مستقلين في تلك القارة ويرى آخرون أنهم وفدوا الى أميركا من العالم القديم. ولهم في موطنهم الاصلي آراء متضاربة يطول بنا ايرادها . بل ان بعض العلماء قالوا بان الانسان عاش في أميركا قبل أن يعيش في العالم القديم . وفي صفحة ٧٠٩ من السنة ٢٤ من الهلال فصل مطول في هذا الموضوع

اصل اللغة العربية

﴿ دورس دي سانتا جوليانا . ميناس . برازيل ﴾ خليل ابراهيم ساسين

اذا كان يعرب بن قحطان أول من نطق بالعربية فكيف تكلم بها بديهياً وما هي لغته الاصلية ؟

﴿ الهلال ﴾ أن القول باستنباط أحدى اللغات فجأة أو بتكونها دفعة واحدة مما ينكره العلماء الحديثون . قال المرحوم مؤسس الهلال في كتابه « تاريخ اللغة

العربية » : « ... اللغة تعد من ظواهر حياة الامة وهي خاضعة لناموس النمو والتجدد ولناموس الارتقاء العام ... » وقال : « ونحن نعتقد أن اللغة العربية نشأت ونمت أي تميزت فيها الاسماء والافعال والحروف وتكوّنت فيها معظم الاشتقاقات والمزايدات وهي لا تزال في حجر أمها أي قبل انفصالها عن أخواتها الكلدانية والعبرانية والفينيقية وغيرها من اللغات السامية ... »

كلمة « السيد »

﴿ سنتا ايسابل. فرتندو بو . برازيل ﴾ ا . ش .

ارسلت كتاباً الى أحد اصدقائي ووضعت على عنوانه كلمة « السيد » قبل اسمه . فغضب مني وعد هذا اللقب اهانة مع أنه عربيٌ صميم في حين ان كلمة خواجه أو افندي تركية . فهل يحسن استعمال هذه الكلمة ؟

﴿ الهلال ﴾ لا اعتراض البتة على استعمال كلمة « السيد » بل هي أقرب كلمة عربية تؤدي المقصود من كلمتي مستر أو مسيو الافرنجيتين . وانما نحبذ استعمالها في هذا الوقت على الخصوص بعد ان قطعت الاقطار العربية كل علاقاتها بالدولة التركية

لبنان وسويسرا

﴿ كودو . مارانيون . برازيل ﴾ قيصر فهد مقبل

جرى جدال بين فريقين من المواطنين هنا . فقال فريق أنه ليس لمناظر لبنان وجودة مياهه من مثيل في العالم . وقال الفريق الآخر أن في سويسرا اماكن تفضله في ذلك فما الحقيقة ؟

﴿ الهلال ﴾ أن في سويسرا (فضلاً عما في غيرها من الجهات الاوربية) مناظر بديعة تفوق مناظر لبنان رونقاً وبهاء . على أن في لبنان اماكن كثيرة — ودون الوصول الى بعضها مشاق كثيرة — يجوز ان تعد من اجمل جهات العالم

فلسطين والفلسطينيون

﴿ طول كرم . فلسطين ﴾ عبد الرحمن اسماعيل

ما معنى كلمة فلسطين وما أصلها ؟

﴿ الهلال ﴾ ان اسم بلاد فلسطين مشتق من اسم الشعب الذي سكنها في قديم الزمن . أما أصل هذا الشعب فالارجح انه فرع من الجنس البلاسجي Pelasgi الذي استوطن شواطىء البحر المتوسط قديماً . وبين كلمتي فلسطين وبيلاسجي تشابه لفظي يؤيد ذلك . وقد وجدوا على بعض الآثار المصرية القديمة ذكر لاهالي فلسطين باسم بوراساتي Purasati وقد ثبت ان المراد بهذا الاسم الفلسطينيون أنفسهم . قال المرحوم مؤسس الهلال في مبحث له عن أصل الفلسطينيين ما يأتي :

« وبالجملة فالامم التي عمرت فلسطين قبل التاريخ قلما نعرف شيئاً عن أصولها ولكن أكثرها من الساميين بينهم قبائل من العرب نزحوا اليها من أقدم أزمنة التاريخ . والعل بعضهم جاءها من عهد حمورابي فمن بعده الى الانباط قبيل التاريخ المسيحي . والمظنون ان الساميين القدماء تغلبوا على الفلسطينيين الاصليين باسلحة من البرونز كانوا قد توصلوا الى استخدامها وكان الفلسطينيون لا يعرفون غير الادوات الحجرية فغلبوهم على ما في ايديهم . ولم يبق الى زمن موسى غير الرفائيين

« ويظهر من تدبر أحوال فلسطين القديمة وتفحص آثارها انه حدثت فيها نهضة عمرانية قبل موسى ببضعة قرون أي نحو القرن الثامن عشر قبل الميلاد . اذ عثروا على آثار من بقايا ذلك العصر بينها أدوات خزفية ليست من الآثار الوطنية . وكان الباحثون في شك من أمرها ثم تبين لهم انها تشبه أدوات عثروا عليها مؤخراً في أنقاض جزائر بحر ايجه ولا سيما كريد . فاستدلوا بذلك وبغيره على نزول الكريديين بلاد فلسطين نحو القرن العشرين قبل الميلاد وأنهم نقلوا تمدنهم اليها »

تحقيق مسئلة

﴿ ريو دي جانيرو . برازيل ﴾ جبرائيل ورور

جاء في الهلال الخامس من هذه السنة عن امبراطور المانيا انه « لما كان عمره ١٠ أيام تعين صف ضابط في فرقة الحرس الاولى » والذي يتراءى لي ان هذا خطأ والحقيقة على الارجح انه تعين بهذه الرتبة لما بلغ السنة العاشرة . فما الصحيح ؟

﴿ الهلال ﴾ ان ظنكم في محله فالحقيقة هي إنه تعين في تلك الرتبة لما بلغ العاشرة من عمره . وقد ذكرنا « ١٠ أيام » سهواً بدلاً من « ١٠ سنوات »

مطبوعات جديدة

﴿ المواكب ﴾ هي نظرات شاعر ومصور في الايام والليالي تأليف جبران خليل جبران الشاعر الناثر المعروف . وهذا الكتاب كسائر مؤلفات جبران في جودة معناه ومبناه . وقد خصصته الآنسة ميّ في نهر هذا المكان ببحث واف يغنينا عن الافاضة في وصفه . والكتاب مطبوع طبعاً متقناً على شكل مبتكر وتتخلل صفحاته صور رمزية من تصور المؤلف

﴿ نزهة القلوب ﴾ بعد ان نشرت لجنة جيب التذكارية كتاب نزهة القلوب لحمد الله مستوفي القزويني في اللغة الفارسية نشرت ترجمته الى الانكليزية بقلم ج . لاسترانج العلامة المستشرق الانكليزي . وهو معجم جغرافي عظيم الفائدة لكل مشتغل بالمواضيع التاريخية الشرقية

﴿ أصل الانواع ﴾ ان هذا الكتاب هو باجماع آراء العلماء أعظم المؤلفات العلمية التي صدرت في القرن الماضي . ففيه شرح شارل داروين مذهبه الشهير القائم على نظرية الانتخاب الطبيعي . وقد كانت اللغة العربية مفتقرة الى نقل هذا المؤلف النفيس اليها فسدت الترجمة التي نحن بصددها هذا الفراغ العظيم مما يجعلنا نثني على اسماعيل افندي مظهر الذي عني بهذا العمل الشاق . على انه لم ينقل الا جانباً من الكتاب وأملنا أن يتم عمله في وقت قريب . وقد افتتح الكتاب بتمهيد طويل للمعرب فيه فوائد كثيرة

﴿ الرتب والالقاب ﴾ هي رسالة لغوية في الرتب والالقاب وما يقابلها من العربي الفصيح مبنية على الرتب والالقاب الموجودة في مصر بقلم العالم المدقق احمد تيمور بك . وهذه الرسالة على صغر حجمها جامعة للمعلومات والفوائد الجمة وهي كسائر مباحث العلامة احمد تيمور بك مثال التدقيق في الدرس . وقد طبعت على نفقة ديوان المعارف في دمشق

﴿ الرستميات ﴾ لشعر اسعد رستم نزيل اميركا مقامٌ خاص بين انواع الشعر العصري وهو يمتاز بسلاسته ورقة اسلوبه كما يتجلى ذلك فيما نشر من شعره . ولدينا الآن مجموعة جديدة تحتوي على احدث مبتكرات الشعر الرستمي جمعها أحد اصدقائه وجعلها تحفة اكرامية « لشاعر الشعب » . وفي هذه المجموعة فضلاً عن المنظومات

الرستمية رسوم ورسائل وفكاهات أدبية وشهادات من الافاضل والعلماء مما يجعل هذا الكتاب حديقة غناء فيها من كل فاكهة زوجان

﴿ فردوس المعري ﴾ هو كتاب أدبي خيالي يتضمن بعث أبي العلاء المعري الشاعر الكبير وسياحته في اليونان وايطاليا وفرنسا . وضعه معروف الارناؤوط (رئيس تحرير جريدة الاستقلال العربي ومجلة العلم العربي بدمشق) على نسق كتاب الجحيم للشاعر دانتي الايطالي . وتجلى في هذا الكتاب روح عصرية جميلة تدل على تضلع كاتبه من الادب الغربي . على أن ذلك لم يخرج به عن الاسلوب العربي المتين — وهو غاية ما يرمي اليه الكاتب في هذا العصر

﴿ ابتسامات ودموع ﴾ هي مجموعة مقاطيع شعرية مترجمة عن الفرنسية بقلم معروف الارناؤوط واضع الكتاب المتقدم ذكره . وقد أجاد الكاتب في نقل شعر موسيه وهوجو وغيرهما بالرغم من صعوبة الترجمة في المواضيع الشعرية

﴿ مذكرات ابراهيم زكي المهندس ﴾ صدرت الكراسة الاولى من هذه المذكرات بعنوان « عفريت تقويم النيل » وفيها انتقاد مستفيض لكتاب تقويم النيل تأليف صاحب السعادة أمين سامي باشا

﴿ L'Etat Juif en Palestine, Du Sionisme, Danger d'un Etat Juif ﴾ أصدرت هذه الرسائل الثلاث في اللغة الفرنساوية جمعية « أصدقاء الارض المقدسة » في باريس والغرض منها مقاومة الحركة الصهيونية وكاتبوها من الكتاب المعروفين في عالم السياسة نذكر منهم واضع الرسالة الاولى الشيخ يوسف الخازن صاحب جريدة الاخبار ونزيل باريس الآن

﴿ النحلة ﴾ مجلة دينية علمية جدلية فكاهية اقتراحية انتخابية تصدر في أول كل شهر في ريو دي جانيرو عاصمة البرازيل لصاحبها ورئيس تحريرها القس مبارك اللبناني . بدل اشتراكها ٢٥ فرنكاً خارج البرازيل

﴿ الفلاح ﴾ مجلة علمية زراعية تصدر في دمشق لصاحبها ورئيس تحريرها عمر شاكر . وفي الجزء الاول الذي بين أيدينا مباحث زراعية مفيدة

﴿ العقاب ﴾ جريدة عربية يومية سياسية اجتماعية حرة تصدر في دمشق قيمة اشتراكها جنيه وربع في البلاد العربية وجنيه ونصف في الخارج

﴿ حرمون ﴾ جريدة يومية سياسية عمرانية تصدر في دمشق لصاحبها

الاب مخائيل شحادة والياس بحمدوني . اشتراكها السنوي ١٠٠ قرش في دمشق و١٢٥ في سوريا

﴿ الاخاء ﴾ عادت هذه الجريدة الى الظهور بعد احتجابها زمناً وهي كما يعهدها قراؤها طلية المواضيع كثيرة الفوائد . وهي تصدر الآن اسبوعية في حماه لصاحبها ومديرها جبران مسوح . قيمة اشتراكها السنوي ٢٠ قرشاً في الاقطار العربية و٨ فرنكات في الخارج

﴿ الجامعة السورية ﴾ جريدة عمرانيـة تصدر في بيروت ثلاث مرات في الاسبوع لمديرها ورئيس تحريرها محمد عمر أبو النصر . اشتراكها السنوي جنيه مصري

﴿ النهضة ﴾ جريدة عربية حرة غايتها خدمة النهضة العربية تصدر في حلب مرتين في الاسبوع لصاحبها محمد صبحي بصمه جي . اشتراكها في حلب ٤ ريالات

﴿ الجامعة السورية ﴾ صحيفة سياسية عمرانيـة حرة تصدر في بونس أيرس بالارجنتين مرة في الاسبوع . رئيس تحريرها حسني عبد الملك . وهي الجريدة الرسمية لحزب الجامعة السورية . قيمة اشتراكها في الاقطار العربية ١٠ فرنكات



تاريخ الحرب الكبرى — شعراً

(تحت الطبع)

وهو قصائد ينيف مجموعها على ١٥٠٠ بيت تتضمن وصف أشهر المعارك التي نشبت في هذه الحرب مع مقدمة في رزاياها وفظائعها ونتائجها لناظمه أسعد خليل داغر . وبين تلك القصائد قصيدة طويلة موضوعها « مصر والمصريون » أودعها الناظم وصفاً بديعاً لجمال مصر وجوّها وواديها ونيلها ورغد العيش فيها وهجرة الشعوب من قديم الزمان اليها وسجايا أهلها وشكر السوريين لمصر والمصريين . وقد أشار اليها في مقدمة التاريخ فقال :

« ولقد ادمجتها في قصائد الحرب لان مصر العزيزة اشتركت فيها اشتراكا فعلياً بمالها ورجالها وكانت منذ نشوبها الى الآن — كما كانت لمن أمها من الضيفان في سالف الزمان — ملجأ أميناً لمنكوبي الحرب عموماً والسوريين منهم خصوصاً . فاليها رحلوا من كل صوب وحدب وعند حكومتها السلطانية وأهلها الاجواد نزلوا على السعة والرحب . ولذلك وجب أن يقترن ذكر هذه الحرب بذكرهم . ويختم الخلاص منها بعد حمد الله بشكرهم . وعرفان الجميل أجل عرفان . وشكر اليد فرض على كل انسان »